شرح
راتب الحداد

للحبيب علوي بن أحمد بن الحسن بن عبد الله بن علوي الحداد باعلوي
عفا الله عنه

الناشر
مقام الإمام الحداد
تريم - حضرموت

شرح راتب الحداد

للحبيب علوي بن أحمد بن الحسن بن عبد الله بن علوي الحداد باعلوي
عفا الله عنه

الناشر
مقام الإمام الحداد
تريم - حضرموت

قد تم طبعه بسنغافوره
تحت إشراف
أحمد بن محمد بن زين بن سميط

الطبعة الأولى
رجب ١٤١٤ هـ/ديسمبر ١٩٩٣م

تجميع الحروف
فستاك ناشيونل فريبية لميتيد
ص. ب. رقم ٢٢٠٥
سنغافوره

مطبعة كرجاي المحدودة
سنغافوره

راتب الحدّاد

الفاتحة

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم﴾

الحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العَالَمِين. الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم. مَالِكِ يَوْمِ الدِّين. إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ. اِهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ. صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيهِمْ، غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ - آمِين.

اَللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ، لَاتَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ، لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ، مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِه، يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ، وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَا يَؤُدُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيم. آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ، وَالمُؤْمِنُونَ، كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، لَانُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ. وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ. لَايُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا، لَهَا مَاكَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَااكْتَسَبَتْ. رَبَّنَا لَاتُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا، رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا، رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَاطَاقَةَ لَنَا بِه، وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا، أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ.

لَا إِلٰه إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَاشَرِيكَ لَه، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيت، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير - (ثَلَاثًا).

سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ لِلهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَر - (ثَلاثًا).
سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِه، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيم - (ثَلاثًا).
رَبِّ اغْفِرْ لَنَا، وَتُبْ عَلَيْنَا، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيم - (ثَلاثًا).
اَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد، اَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ وَسَلِّم - (ثَلاثًا)
أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَق - (ثَلاثًا).

بِسْمِ اللهِ الَّذِي لَايَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيم - (ثَلاثًا)

رَضِينَا بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا - (ثَلاثًا).
بِسْمِ اللهِ، وَالحَمْدُ لِلهِ، اَلخَيْرُ والشَّرُّ بِمَشِيئَةِ الله - (ثَلاثًا).
آمَنَّا بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، تُبْنَا إِلَى اللهِ بَاطِنًا وَظَاهِر - (ثَلاثًا).
يَا رَبَّنَا وَاعْفُ عَنَّا، وَامْحُ الَّذِي كَانَ مِنَّا - (ثَلاثًا).
يَاذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَام، مِتْنَا عَلَى دِينِ الإِسْلَام - (سَبْعًا).
يَا قَوِيُّ يَا مَتِين، اِكْفِ شَرَّ الظَّالِمِين - (ثَلاثًا)
أَصْلَحَ اللهُ أُمُورَ المُسْلِمِين، صَرَفَ اللهُ شَرَّ المُوذِين - (ثَلاثًا).
يَا عَلِيُّ يَا كَبِير، يَا عَلِيمُ يَا قَدِير، يَا سَمِيعُ يَا بَصِير، يَا لَطِيفُ يَا خَبِير - (ثَلاثًا).
يَا فَارِجَ الهَمّ، يَا كَاشِفَ الغَمّ، يَا مَنْ لِعَبْدِه، يَغْفِرُ وَيَرْحَم - (ثَلاثًا)
نَسْتَغْفِرُ اللهَ رَبَّ البَرَايَا، نَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنَ الخَطَايَا - (أَرْبَعًا)

لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. (خَمْسًا وَعِشْرِين مَرَّةً).

لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وَشَرَّفَ وَكَرَّم، وَمَجَّدَ وَعَظَّم، وَرَضِيَ اللهُ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِين، وَأَصْحَابِهِ الأَكْرَمِين، وَأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَات، أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِين، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّين، وَعَلَيْنَا مَعَهُمْ وَفِيهِمْ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِين.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم

قُلْ هُوَ اللهُ أَحَد. اللهُ الصَّمَد. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَد. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَد. - (ثلاثًا)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَق. مِنْ شَرِّ مَاخَلَق. وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَب. وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي العُقَد. وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَد.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاس. مَلِكِ النَّاس. إِلهِ النَّاس. مِنْ شَرِّ الوَسْوَاسِ الخَنَّاس. الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاس. مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاس.

﴿الفَاتِحَةَ﴾ لِسَيِّدِنَا الفَقِيهِ المُقَدَّمِ مُحَمَّدِ بنِ عَلِيٍّ بَاعَلَوِيّ وَأُصُولِهِ وَفُرُوعِهِمْ وَجَمِيعِ سَادَاتِنَا آلِ أَبِي عَلَوِي، أَنَّ اللهَ يُقَدِّسُ أَرْوَاحَهُمْ فِي الجَنَّة، وَيُنَوِّرُ ضَرَائِحَهُمْ، وَيُعِيدُ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِهِمْ وَأَنْوَارِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة.

﴿الفَاتِحَةَ﴾ لِجَمِيعِ سَادَاتِنَا الصُّوفِيَّةِ أَنَّ اللهَ يُقَدِّسُ أَرْوَاحَهُمْ فِي الجَنَّة، وَيُنَوِّرُ ضَرَائِحَهُمْ، وَيُعِيدُ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِهِمْ وَأَسْرَارِهِمْ وَأَنْوَارِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة، وَيُلْحِقُنَا بِهِمْ فِي خَيْرٍ وَعَافِيَة.

﴿الفَاتِحَةَ﴾ لِصَاحِبِ الرَّاتِب، الأُسْتَاذِ سَيِّدِنَا الشَّرِيف، القُطْبِ الغَوْث، عَبْدِاللهِ بنِ عَلَوِيّ الحَدَّاد بَاعَلَوِيّ، أَنَّ اللهَ يُقَدِّسُ رُوحَهُ فِي الجَنَّة، وَيُنَوِّرُ ضَرِيحَهُ، وَيُعِيدُ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِهِ وَأَسْرَارِهِ وَأَنْوَارِهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة.

﴿الفَاتِحَةَ﴾ لِوَالِدِينَا وَوَالِدِيكُمْ، وَأَمْوَاتِنَا وَأَمْوَاتِكُمْ وَأَمْوَاتِ المُسْلِمِينَ أَجْمَعِين، أَنَّ اللهَ يَغْفِرُ لَهُمْ وَيَرْحَمُهُمْ وَيُسْكِنُهُمْ فِي الجَنَّة، وَيُصْلِحُ أُمُورَ المُسْلِمِين، وَيَكْفِيهِمْ شَرَّ المُوذِين، وَيَتَقَبَّلُ مِنَّا وَمِنْكُمْ، وَيَرْزُقُنَا وَإِيَّاكُمْ حُسْنَ الخَاتِمَةِ عِنْدَ المَوْتِ فِي خَيْرٍ وَلُطْفٍ وَعَافِيَة، وَإِلَى حَضْرَةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم.

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين، حَمْدًا يُوَافِي نِعَمَهُ وَيُكَافِي مَزِيدَه. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ. اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِحَقِّ الفَاتِحَةِ المُعَظَّمَةِ وَالسَّبْعِ المَثَانِي أَنْ تَفْتَحَ لَنَا بِكُلِّ خَيْرٍ، وَأَنْ تَتَفَضَّلَ عَلَيْنَا بِكُلِّ خَيْرٍ، وَأَنْ تَجْعَلَنَا مِنْ أَهْلِ الخَيْرِ، وَأَنْ تُعَامِلَنَا يَا مَوْلَانَا مُعَامَلَتَكَ لِأَهْلِ الخَيْرِ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا فِي أَدْيَانِنَا وَأَنْفُسِنَا وَأَوْلَادِنَا وَأَصْحَابِنَا وَأَحْبَابِنَا مِنْ كُلِّ مِحْنَةٍ وَبُؤْسٍ وَضَيْرٍ، إِنَّكَ وَلِيُّ كُلِّ خَيْرٍ، وَمُتَفَضِّلٌ بِكُلِّ خَيْرٍ، وَمُعْطٍ لِكُلِّ خَيْرٍ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِين.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ رِضَاكَ وَالجَنَّة، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ سَخَطِكَ وَالنَّار - (ثَلاثًا)

انتهى الراتب

شرح

راتب الحداد

للحبيب علوي بن أحمد بن الحسن بن عبد الله بن علوي الحداد باعلوي
عفا الله عنه

بِسم اللهِ الرحمٰن الرَّحيم

وبِه نَسْتعينُ. ربِّ يسِّرْ ياكَريم!

الحمدُ للهِ حمْدَ الذَّاكرِ الشَّاكِرِ، الصَّابِرِ الظَّافِرِ. أحْمَدُهُ حمدًا كَثيرًا على نِعْمةِ الإِسْلامِ والإِيمانِ والإِحْسانِ المُتواتِرِ. وأَشْهدُ أنْ لا إلٰهَ إلَّا اللهُ وحدَهُ لاشَريكَ له، ربٌّ واحدٌ فَرْدٌ صَمَدٌ قادِر، الَّذي هو معَ كلِّ ذاكِرٍ، مَن ذَكرَه في نَفْسِه، ذَكرَه في نَفْسِه، ومَن ذَكرَه في مَلإٍ، ذَكرَه في مَلإٍ خَيْرٍ مِنه. فَسُبحانَ الرَّبِّ الكَريمِ الَّذي هو لِعَبدِهِ ذَاكِر، وعندَه حاضِر، لا إلٰهَ إلَّا هو الرَّحيمُ الغافِر، الجَوادُ السَّاتِر.

وأَشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدُه ورَسولُه، وواجبُ الإِيمانُ به على الأوَّلِ والآخِر، أَنْزلَ عليه كِتابَهُ المُبين، وكلامَهُ المُنزَّهَ عن كلامِ المَخْلوقِين، بل هُو كلامُ ربِّ العالَمِين. قال تعالى: [فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ]. وقال تعالى: [يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا، وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً]. وقال عزَّ وجلَّ: [وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ]. اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّمْ وبارِكْ وكرِّمْ على سيدِنا محمَّدٍ، وعلى آلِه وصحبِه والتَّابِعِين إلى يومِ المَعاد.

وبعدُ،

فيقولُ الفَقيرُ إلى كرَمِ اللهِ الجوَاد، علوي بن أحمد بن الحسن بن عبدالله بن علوي الحدَّاد باعلَوي، عفا اللهُ عنه، ولَطَفَ به: لَمَّا وقَفْتُ على شَرْحِ الرَّاتب، المسمَّى [سبيلَ الهداية والرَّشاد] لسيدِنا الحبيب الإمام، قُطْبِ العلماءِ السَّنِيَّة، ذي الأحوالِ والمقاماتِ الربّانيَّة، الوالد الأستاذ شهابِ الدِّين أحمد بن الحسن بن عبدالله الحدَّاد ورأَيْت شرحًا على الرَّاتِب – أيضا لسيدِنا الصُّوفيِّ الصَّفوةِ القُدوَة، حامد بن عمر المنفّر باعلوي،

ورأيتُ أيضًا شرحًا ثالِثًا على الرَّاتِب، للشيخ عبدالغني اليمني، رحمه الله.

فأمَّا شرحُ سيدِنا الحبيب حامد بن عمر حامد، إمامِ مَسْجدِ باعلوي بِتَرِيم، نفعَ اللهُ به، فإنَّه شرَحَ الرَّاتِبَ على لِسانِ أهلِ الإشارةِ والتَّصوُّفِ شرحًا وجيزًا.

وأمَّا شرحُ الشيخ عبدالغني البحراني، ساكِنِ المَخا، فإنَّه اعْتَنى في شرحِه بتَخْريجِ ألفاظِ الرَّاتِبِ من الحديثِ النَّبويِّ، وليسَ مُرادُه إلَّا عِلْمَ مَن يَقرأُ الرَّاتِبَ بأنَّه كلَّه واردٌ عن النبيِّ ﷺ، ويَتخرَّجُ جميعُه من الأَحاديث، وهو أيضا شرحٌ وجيزٌ.

وأمَّا الشَّرحُ المسمَّى [سبيلَ الهداية والرشاد] على راتِبِ قُطبِ زمانِهِ الحدَّاد، لسيدِنا المحقِّقِ العارِفِ بالله، والدالِّ عليه، جامِعِ الفضائلِ والفواضِلِ، العالِمِ العامِلِ العلَّامة، شيخِنا الإمام الأستاذ، الوالِد أحمد بن الحسن بن عبدالله الحدَّاد، فشرْحُهُ المذكورُ غايةٌ في التَّحْقيقِ والتَّدْقيق، لَمْ يُصنَّفْ شَرحٌ على الرَّاتِبِ المَذْكورِ مثلُه. اِعْتَنى فيه نفَعَ اللهُ به، بِتَخْريجِ كلِّ ذِكرٍ في الرَّاتبِ مِن الحديثِ النَّبويِّ، واعْتَنى بوضْعِ فضلِ كلِّ ذِكرٍ فيه من الأَحاديثِ الصَّحيحةِ عنه ﷺ، وأتَى بما هُو المُرادُ مِن الحَقائِقِ والدَّقائِقِ من كُتُبِ الأئِمَّةِ الأَعْلام، وعزَا كلَّ حَديث، ونقَلَ كلَّ كَلامٍ إلى الكِتابِ الَّذي نقَلَ مِنه، وأَتَى بما لَمْ يَقْدِرْ عليه غيرُه، لِتَبَحُّرِهِ في العُلوم، وتطَلُّعِهِ على المنطوقِ والمَفْهوم. وشَرْحُهُ أوَّلُ الشُّروحِ في التَّأليف، والمقدَّمُ عليها في الإتْقانِ والإبداعِ والتَّصْنيف، فاخْتَرْتُ اللهَ سُبحانَه وتعالى لَمَّا نَظَرْتُ هٰذه الشُّروحَ على الرَّاتِبِ الشَّريف، أنْ أَجْمَعَ عليه، أَعْني الرَّاتبَ المذكُور، فوائِدَ عظِيمة، وشَرْحًا مَبسوطًا من كُتُبِ الأئِمَّة الأَكابِرِ لِصاحبِ الراتِب نفع اللهُ به، والإمام أحمد بن حجر صاحبِ التُّحفَةِ وغيرِهما، من كلِّ فائِدَةٍ تَسْوَى رحلَه. وإذا رأيتَ الشُّروحَ المذكورَة، ورأَيْتَ الفوائِدَ هذِه، وجَدْتَها أَعْني الشُّروحَ، عَرِيَّةً عَنها مَع أنَّها تَحتاجُ إليها. فَكَم تَرَكَ الأوَّلُ لِلآخِر، فهي تُناسِبُ أهلَ الأَذْكار، والقائِمينَ بِالأَسْحَار، في عبادةِ الكريمِ الغفَّار.

وإنَّما لم أُترجِمْ لِصاحبِ الرَّاتِبِ لِكَثْرةِ التَّراجِم المؤلَّفةِ المُفْرَدَةِ في مَناقِبِه وشُهرَتُه

تَكْفي. قال الإمامُ زرُّوق: إنَّما وُضِعتِ التَّراجِمُ لِتَعْريفِ المناصِب. فمَن عُرِفَتْ رُتْبَتُه كانتِ التَّرْجمةُ له تكلُّفًا، غيرَ مُفيدٍ في ذاتِه. ومَن جُهِلَتْ مَرْتَبَته لزِمَ عندَ ذِكرِه الإِتْيانُ بما يُشْعِرُ بِرُتْبَتِه. ومِن هذه القاعِدةِ جازَ أنْ يُقال: رُوِيَ أنَّ أبابكْرٍ.. وقالَ عمرُ.. وعمِلَ عُثمانُ.. وسمِعَ عليٌّ.. وكان ابنُ المُسَيّبُ.. وأخبَرَ ابنُ سِيرين.. وقال الحسَنُ.. وذَهَبَ مالِكٌ.. وحُكِيَ عن الجُنَيْد.. إلى غيرِ ذلك، واللهُ أعلَم - انتهى مِن كتاب [تَأْسيس القواعِد والأُصُول].

وسمَّيتُ فوائدَ هذا الكتابِ [بُغية أهلِ العِبادةِ والأَوْرادِ، وفوائِدَ تُنَوِّرُ القلبَ والفؤاد، ويُبلَغُ بها السُّولُ والمُراد، على راتِبِ قُطبِ زمانِه الحَدَّاد].

وأَبْتدىءُ أوَّلًا بِالعقيدَةِ الَّتي ختَمَ بها صاحِبُ الرَّاتِبِ نَصائِحَه الدِّينيَّة، ثم بِالفوائِدِ الآتية: -

﴿الفائدةُ الأولى﴾ في فضلِ الذِّكْر.

﴿الفائدةُ الثانية﴾ في أركانِ الذِّكر وشُروطِهِ وآدابِهِ ومكروهاتِه.

﴿الفائدةُ الثالثة﴾ في أركانِ الدُّعاءِ وشروطِهِ وأوقاتِهِ وأسبابِهِ وفضلِه.

﴿الفائدةُ الرابعة﴾ فيما يحتاجُ إليها طالِبُ العلمِ ويقِفُ عليها قبلَ وُقوفِه على فضلِ الذِّكْرِ وفضلِ حِلَقِ الذِّكْر.

﴿الفائدةُ الخامسة﴾ فيما يحترِزُ بها عن الرِّياء وعن رُؤْيةِ العملِ وغيرِ ذلك.

﴿الفائدةُ السادسة﴾ في النَّهْيِ عن الاِحْتجاجِ بالقدَر.

﴿الفائدةُ السابعة﴾ في الإيمانِ بالقدَر، خيرِه وشرِّه، بأنَّ كلَّه من عند الله.

﴿الفائدةُ الثامنة﴾ في تَعْدادِ ما يُحْتاج لكُلِّ مسلمٍ تعلُّمه، ويجبُ عليه تعليمُهُ وجوبًا عَيْنِيًّا.

﴿الفائدةُ التاسعة﴾ عظيمةٌ في الدُّعاء.

﴿الفائدةُ العاشرة﴾ وعليك بها، فهي جليلةٌ في الاِجْتماعِ على أورادِ الصُّوفيَّة، وفضلِ الاِجْتماع في حَلَقِ الذِّكْر، في كيفيَّةِ قِراءةِ راتبِ سيدِنا القُطْبِ الغَوْث عبدالله بن علوي الحدَّاد.

﴿الفائدةُ الحاديةَ عشرة﴾ في الإِنْشادِ بأَشْعارِ الصَّالِحين، وفي الذِّكْرِ المسبّحِ الَّذي يَفْعلُهُ أهلُ الأَسْرار.

﴿الفائدةُ الثانيةَ عشرة﴾ في اسْتِحباب قراءةِ خبَرِ مولدِ النبيِّ ﷺ.

﴿الفائدةُ الثالثةَ عشرة﴾ في التَّهْليلةِ الَّتي اعْتَادَهَا صاحِبُ الرَّاتبِ في مَسْجدِه الَّذي بِالحاوِي، أيْ بلدِ صاحبِ الرَّاتب، نفَعَ اللهُ به. ونأْتي بِسُؤَالاتٍ وأَجْوِبَةٍ تَتَعلَّقُ بهذا الرَّاتبِ الشَّريفِ والذِّكر.

﴿الفائدةُ الرابعةَ عشرة﴾ في فضلِ الذِّكر.

﴿الفائدةُ الخامسةَ عشرة﴾ في زيارةِ الصَّالِحين، أَحْياءً وأَمْواتًا، وما يقَعُ في الزِّيارةِ مِن طَبْلٍ وخُروجِ نِساءٍ، وفضلِ الزِّيارة. ثم بِالفائدَةِ المُحْتويةِ على سبْعِ فوائِد، مِنها سِتٌّ نقلَها صاحِبُ القِرطاسِ عن الشَّيْخ ابنِ حجَر في شرحِهِ على العُبَاب، والسَّابعةُ لِصاحبِ القِرْطاس. وكلُّ فائِدةٍ مِنها مستقِلَّةٌ بِعِلْمٍ نافعٍ يَحْتاجُ إليه صاحِبُ الذِّكر.

﴿الفائدةُ السادسةَ عشرة﴾ في التَّسْبيحِ والتَّحْميدِ والتَّهْليلِ والتَّكْبير، وذكرِ العددِ المعروفِ مع الزِّيادةِ الثَّانية.

﴿الفائدةُ السابعةَ عشرة﴾ في الذِّكر بنيَّةٍ وبلا نِيَّة.

﴿الفائدةُ الثامنةَ عشرة﴾ في أفضليَّةِ الذِّكْرِ على الدُّعاء.

﴿الفائدةُ التاسعةَ عشرة﴾ في مَراتبِ الذِّكرِ الأَربَعِ لا خامِسَةَ لها.

﴿الفائدةُ العشرون﴾ في عَقْدِ الذِّكْرِ بالأنامِلِ والمِسْبَحَةِ والحَصَى والنَّوَى.

﴿الفائدةُ الحاديةُ والعشرون﴾ فيما لابُدَّ مِنه في سماعِ الذِّكْر، وأَحْكامِ الجُنُبِ

والحائضِ والنُّفَساءِ في القراءةِ بالقرآنِ العظيم، وأَحْكام الذِّكْر وصِحَّتِه لهم.

﴿الفائدةُ الثانيةُ والعشرون﴾ وهي المنقولَةُ مِن كتابِ القِرْطاسِ في الحَثِّ على كتابِ أَذْكارِ الإمامِ النوويِّ وغيرِ ذلك، جزاهُم اللهُ عنّا خيرًا.

﴿الفائدةُ الثالثةُ والعشرون﴾ الفائدةُ العَظيمةُ النَّفع، وهي أَعْظَمُ ما هنا. والفوائِدُ تَبَعٌ لها، فنلخِّصُ لك فيها ما في [سبيل الهداية والرشاد] وغيره من الكُتبِ النّافعةِ مِن الخيرِ العميمِ والفضلِ الجَسيمِ لِمَن يَقْرَأُ الرَّاتبَ الشَّريف، ونَشْرَحْ جميعَ أَذْكارِ الرَّاتبِ المُبارك. ونُلحِقْ بهذهِ الفائدَةِ بَعْضَ ما جرَى مِن خَوارقِ العادات، وأَنْواعِ الكرَامات، في خاصِيَّةِ قراءةِ هذا الرَّاتِبِ المُبارك. ومقصودُ هذا الكِتاب أنْ نَشْرَحَ جميعَ أَلْفاظِ أَذْكارِ الرَّاتب، ونُخْرِجَ الفضائِلَ الجَمَّةَ مِن الكُتبِ الكثيرَةِ المُهِمَّة، وما تقدَّمَ وتأخَّرَ راجِعٌ إلى هذه الفائِدَة، وهي ناصِفةُ الكِتاب في الحَجْم، وما تقَدَّم وتأخَّر نِصْفُ آخر، وحقِيقٌ بأَنْ نُقدِّمَها أوَّلَ الكتاب، لكنْ مايُقَدِّرُ اللهُ إلاّ هنا، وكثِيرٌ مِن أهلِ التَّأْليفِ بعد أنْ يَنْتَهِيَ يرَى أنَّه لو قدَّمَ ما كان أخَّرَ في تصنيفِه، ويُؤَخِّر ما كان قَدَّمَ في تصنيفه، كان أحسنَ وأجمَل، تُعرَفُ بذلك قُدْرةُ مَن له القُدْرة، وأنَّ العِبادَ مُسَخَّرون، وأنَّ كُلَّ كتابٍ أُلِّفَ وكُتِبَ مِن عندِ غيرِ الله، كان الاخْتِلافُ فيه كثيرًا.

وأَرْجو أن يغفِرَ اللهُ لي جميعَ الزَّلَل، وأنْ يُوفِّقَني لِخيرِ العمَلِ، وإخوانِنا مِن المُسْلِمين في عافيَة، آمين.

﴿الفائدةُ الرابعةُ والعشرون﴾ في تَبْيِينِ عددِ الذِّكر.

﴿الفائدةُ الخامسةُ والعشرون﴾ في جَمْعِ سُؤالاتٍ مِن كتاب [النَّفائس العُلوِيَّة] فيها خيرَاتٌ كثيرةٌ يَحْتاجُ لها صاحبُ الذِّكر.

﴿الفائدةُ السادسةُ والعشرون﴾ تَجْمعُ لك بعضَ أورادِ سيدِنا صاحبِ الرَّاتبِ مِن نَقْلِ الشيخ أحمد بن عبدالكريم الشجَّار الأَحْسائيِّ وغيرِه.

﴿الفائدةُ السابعةُ والعشرون﴾ في فضلِ قيامِ اللَّيْل، ثم نَخْتِمُ بفائدةٍ فيها لِمَن عمِل بها خَيرُ الدُّنيَا والآخِرة، وكَيفِيَّةِ تَرتِيبِ صاحِبِ الرَّاتِبِ العِبادات.

فنسألُ اللهَ القَبُولَ وحُسْنَ الخِتام، والنَّفْعَ بهذه الفوائد للخاصِّ والعامّ، فمَن وَقفَ عليها فَلْيَعْلَمْ أنِّي لستُ أهلاً لجمْعِ الفوائِد، وإنَّما أردْتُ بذلك طلبَ دعوةِ أخٍ صالحٍ يَنْتَفِعُ بشيءٍ مِن ذلك، فإنْ وافقَ مانَقَلْتُه خاطرَك، فهو نعمَةٌ من اللهِ عليَّ، وإلَّا فلَا تَلُمْ نَفْسَك، فالسببُ منِّي، وهو قلَّةُ الإخْلاص، [وَمَاأُبَرِّىءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ].

ونَسْتغفرُ اللهَ ونَتُوبُ إليه مِن الرِّياءِ والسُّمعَة، وكلِّ ما فيه طلَبُ النَّفْسِ مِن الحُظُوظِ الفانِيَة، ويَعْلَمُ أنْ ليس لي مِن ذلك إلَّا النَّقْلُ فقَطْ، وأَعْزِي كلَّ ما أَنْقُلُه لِصاحِبِهِ الَّذي نقَلْتُ مِنه، وَلْنبْتَدِىءْ الآنَ بِالمَقْصود. فنَسْأَلُ اللهَ الكريمَ المَعْبودَ أنْ يُعينَ على ذلك، وأنْ يَتقَبَّلَ ما هُنالك، وأنْ يَنْفَعَ به، إنَّهُ جوادٌ كَريم، غفُورٌ رَحيم، وما تَوْفيقِي إلَّا بالله، عليه تَوَكَّلْتُ وإليه أُنِيب.

وابْتَدَأْنا بِالعقيدَةِ لأَجْلِ إنَّما يَذْكُرُ الَّذي ذَكَرَ إلَّا مَن يَعْرِفُه، وهي عَقيدةٌ كافِيَةٌ لِمَن عرَفَها، وآمَنَ بها. فنقولُ: قال سيدُنا صاحِبُ الرَّاتِبِ في كتابِه [النَّصائح الدِّينيَّة]:

﴿خاتمةُ الكتاب﴾ في عقيدَةٍ وجيزَة، جامعَةٍ نافِعَة، إنْ شاءَ اللهُ تعالى، على سبيلِ الفِرْقَةِ النَّاجِيَة، وهم أَهْلُ السُّنَّةِ والجماعَة، والسَّوادُ الأعظَمُ مِن المسلمين:

الحمدُ للهِ وحدَه، وصلَّى اللهُ على سيدِنا محمَّدٍ وآلِه وصحبِه وسلَّم.

وبعدُ،

إنَّا نَعْلَمُ ونُقِرُّ، ونَعْتقدُ ونُؤْمِنُ ونُوقِن، ونشهدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَه لاشريكَ لَه، إلهٌ عَظيم، مَلِكٌ كَبير، لا ربَّ سِواه، ولا مَعْبودَ إلَّا إيَّاه، قدِيمٌ أزَلِيٌّ، دائِمٌ أبَدِيٌّ، لا ابْتِدَاءَ لأَوَّلِيَّتِه، ولاانْتِهَاءَ لآخِرِيَّتِه، أحَدٌ صمَدٌ، لم يلِدْ ولم يُولَد، ولم يكُنْ له كفُؤًا أحَد، لاشَبيهَ لَه ولا نَظيرَ، وليسَ كَمِثْلِهِ شيءٌ، وهو السَّميعُ البَصير.

وأنَّه تعالى مُقَدَّسٌ عن الزَّمانِ والمكَان، وعن مُشابَهَةِ الأَكْوَان، لاتُحيطُ به الجهَات، ولا تعتَرِيهِ الحادِثَات، مُسْتَوٍ على العَرْشِ على الوَجْهِ الَّذي قالَه، وبِالمعنَى الَّذي أرَادَه، إسْتِواءً يَليقُ بعِزِّ جلالِه، وعُلُوِّ مجدِه وكِبْريائِه.

وأنَّه تعالى قرِيبٌ مِن كُلِّ مَوْجُود، وهو أقرَبُ إلى الإنْسانِ مِن حبْلِ الوَريد، وهو على كُلِّ شيءٍ رقِيبٌ وشَهِيد، حَيٌّ قَيُّوم، لاتَأْخُذُه سِنَةٌ ولا نَوْم، بديعُ السَّمٰوَاتِ والأَرْض، وإذا قضَى أَمْرًا فإنَّما يقولُ له: كُنْ، فيَكُون. اللهُ خالِقُ كلِّ شَيْء، وهو على كلِّ شيءٍ وكيلٌ وقدِير، وبكلِّ شيءٍ علِيمٌ وخبِير، قد أَحَاطَ بِكلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، وأَحْصَى كُلَّ شيْءٍ عدَدًا، وما يَعْزُبُ عن رَبِّكَ مِن مِثْقالِ ذَرَّةٍ في الأرضِ ولا في السَّماء، يَعْلَمُ ما يَلِجُ في الأرضِ وما يَخْرُجُ منها، وما يَنْزِل مِن السَّماءِ وما يَعْرُجُ فيها، وهو معَكُم أينَما كُنْتُم، واللهُ بِما تَعْمَلونَ بصِير، ويَعْلَمُ السِّرَّ وأَخْفَى، ويَعْلَمُ ما في البَرِّ والبَحْر، وما تَسْقُطُ مِن ورقَةٍ إلَّا يَعْلمُها، ولا حبَّةٍ في ظُلُماتِ الأرضِ ولا رَطْبٍ ولا يابِسٍ إلَّا في كتابٍ مُبِين.

وأنَّه تعالى مُرِيدٌ لِلْكائِنَات، مُدَبِّرٌ لِلْحادِثات، وأنَّه لايكونُ كائِنٌ مِن خيرٍ أو شرٍّ، نَفْعٍ أو ضَرّ، إلَّا بِقضائِه ومَشيئَتِه، فَما شاءَ كان، وما لَمْ يشَأْ لم يكُنْ، ولَوِ اجْتمَعَ الخَلْقُ كُلُّهم على أنْ يُحرِّكوا في الوُجودِ ذَرَّة، أو يُسَكِّنُوها دُونَ إرادَتِه لَعجَزوا عنها.

وأنَّه تعالى سميعٌ، بَصِير، مُتكلِّمٌ بكلامٍ قدِيمٍ أزَلِيٍ، لايُشْبِهُ كلامَ الخَلْق، وأَنَّ القُرْآنَ العظيمَ كلامُهُ القدِيم، وكتابُهُ المُنَزَّلُ على نبيِّهِ المُرْسَل، ورسولِهِ محمَّدٍ ﷺ.

وأنَّه تعالى الخالِقُ لِكُلِّ شَيْء، والرازِقُ لَه، والمُدَبِّرُ والمُتصرِّفُ فيه كيف يشَاء، ليسَ له في مُلكِهِ مُنازِعٌ ولا مُدافِع، يُعْطِي مَن يَشاء، ويَمْنَعُ مَن يشَاء، ويَغْفِرُ لِمَن يشَاء، ويُعَذِّبُ مَن يَشَاء، لايُسأَلُ عمَّا يَفْعَلُ وهم يُسْأَلُون.

وأنَّه تعالى حكِيمٌ في فِعْلِه، عَدْلٌ في قضائِه، لايَتَصَوَّرُ مِنه ظُلْمٌ ولا جَوْر، ولا يجِبُ عليه لأحَدٍ حقّ، ولَوْ أنَّه سُبحانه أهْلَكَ جميعَ خَلْقِهِ في طَرْفَةِ عَيْنٍ لم يكُنْ بذلك جائِرًا

عليهِم، ولا ظالِمًا لهم، فإنَّهم مِلكُهُ وعبيدُه، وله أنْ يَفْعَلَ في مُلْكِهِ وسُلطانِهِ مايشَاء، وما رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلعَبِيد، يُثِيبُ عِبادَه على الطَّاعاتِ فضلاً وكرَمًا، ويُعاقِبُهم على المعاصي حِكْمَةً وعَدْلاً، وأنَّ طاعتَهُ واجبَةٌ على عِبادِهِ بإيجابِهِ على أَلْسِنَةِ أنبيائِه، عليهم الصَّلاةُ والسَّلام.

ونَشْهَدُ أنَّ محمَّدًا عبدُهُ ورسولُه، أَرْسَلَه إلى الجنّ والإنس، والعرَبِ والعَجَم، بِالهُدَى ودينِ الحقّ، لِيُظهرَهُ على الدِّينِ كلِّه، ولو كَرِهَ المُشْرِكون.

وأنَّه بَلَّغَ الرِّسالَة، وأدَّى الأمانَة، ونصَحَ الأمَّة، وكشَفَ الغُمَّة، وجاهدَ في اللهِ حقَّ جهادِه.

وأنَّه صادقٌ أمِين، مؤيَّدٌ بالبراهِينِ الصَّادقَة، والمُعْجزاتِ الخارِقَة. وأنَّ اللهَ تعالى فَرَضَ عَلى العِبادِ تَصْديقَهُ وطاعَتَهُ واتِّباعَهُ، وأنَّهُ لايُقبلُ إيمانُ عَبدٍ، وإنْ آمنَ بِه سُبحانَه حتَّى يُؤمِنَ بمحمَّدٍ ﷺ، وبجميعِ ما جاءَ به، وأخبَرَ عنه، مِن أُمُورِ الدُّنيا والآخِرَة.

ومِن ذلك أنْ يُؤمِنَ بِسؤالِ مُنْكَرٍ ونَكِيرٍ لِلمَوْتَى عن التَّوْحيدِ والدِّينِ والنُّبُوَّة.

وأنْ يُؤمِنَ بِنعيمِ القبرِ لأهلِ الطَّاعَة، وعذابِه لأهلِ المَعْصِيَة.

وأن يُؤمِنَ بِالبعْثِ بعدَ المَوْت، وبِحَشْرِ الأجسادِ والأرواحِ إلى الله، وبِالوقوفِ بينَ يدَيِ الله، وبِالحسَاب، وأنَّ العِبادَ يَتفاوَتُون إلى مُنَاقَشٍ ومُسَامَحٍ، وإلى مَن يدخُلُ الجَنَّةَ بغيرِ حسَاب.

وأنْ يُؤمِنَ بِالميزانِ الَّتي تُوزَنُ فيه الحسَنَاتُ والسيِّئَات، وبِالصِّراطِ وهو جَسْرٌ مَمْدُودٌ عَلى مَتْنِ جهَنَّم، وبحَوْضِ نبيِّنا محمَّدٍ ﷺ الَّذي يَشْربُ مِنه المُؤمِنونَ قبلَ دُخولِ الجنَّة.

وأنْ يُؤمِنَ بِشفاعةِ الأنبيَاء، ثم الصِدِّيقِين، ثم الشُّهدَاء، ثمَّ العلماءِ والصَّالحِين والمُؤْمنِين، وأنَّ الشَّفاعةَ العُظمَى مخصوصَةٌ بمحمَّدٍ ﷺ.

وأنْ يُؤمِنَ بإِخْراجِ مَن دخَلَ النَّارَ مِن أهلِ التَّوحيدِ حتَّى لايُخلَّدَ فيها مَن في قلبِهِ

مثقالُ ذرَّةٍ مِن الإيمان، وأنَّ أهلَ الكُفْرِ والشِّركِ مُخلَّدونَ في النَّارِ أبَدَ الآبدِين، ولا يُخَفَّفُ عنهم العذَابُ ولا هُم يُنظَرُون، وأنَّ المُؤْمنينَ مُخَلَّدونَ في الجنَّةِ أبَدًا سَرْمَدًا لا يَمَسُّهُم فيها نَصَبٌ وما هُم مِنها بمُخْرَجِين، وأنَّ المُؤْمنينَ يرَوْنَ ربَّهُم في الجنَّةِ بأَبْصارِهِم على مايَليقُ بجلالِه، وقُدْسِ كمالِه.

وأنْ يَعْتَقِدَ فضلَ أصحابِ رسولِ الله ﷺ، ورضيَ عنهم، وتَرْتيبَهم، وأنَّهم عُدُولٌ أَخْيَارٌ أُمَناء، لا يَجُوزُ سَبُّهم، ولا القَدْحُ في أحَدٍ مِنهم، وأنَّ الخليفةَ بعدَ رسولِ اللهِ ﷺ أبو بكرٍ الصدِّيق، ثم عُمَرُ الفاروقُ الشَّهيد، ثم عُثْمانُ الشَّهيد، ثم عليُّ بنُ أبي طالِب، رضِيَ اللهُ عنهم، وعن أصحابِ رسولِ اللهِ أجمعين، وعن التَّابِعين لهم بإحسَانٍ إلى يومِ الدِّين، وعنَّا معَهُم، بِرَحْمَتِك ياأَرْحَمَ الرَّاحِمِين.

انتهَتِ العقيدَةُ الشَّريفَة.

قال سيدُنا صاحِبُ الرَّاتِب، عبدالله بن علوي الحدَّاد، في كتابِه [رسالة المُعاوَنة]: ويَنْبَغي لِكلِّ مُؤْمنٍ أنْ يُحصِّنَ مُعتقدَهُ بحِفْظِ عقيدَةٍ من عقائِدِ الأئمَّةِ المُجْمَعِ على جلالتِهم ورسوخِهم في العِلْمِ - انتهى.

وهذه الأبيَاتُ مِن رائيَّتِهِ الكُبْرى عقيدَةٌ جامِعَة، وقد أمَرَ بعضَ مُحبِّيهِ بحفظِها، فقال نفَعَ اللهُ به وبِعُلومِه، آمين:

نُوحِّدُهُ سُبحانَهُ وهو واحِدٌ * تَقَدَّسَ عن مِثْلٍ لَهُ ومُناظِرِ
وليسَ لَهُ في ذاتِهِ وصفاتِهِ * شريكٌ تعالَى اللهُ عن قَوْلِ كافِرِ
وجَلَّ عن التَّشْبيهِ والكيْفِ ربُّنا * وعن كلِّ ما يَجْرِي بوَهْمٍ وخاطِرِ
وعن جهةٍ تَحْوِيهِ أو زمَنٍ بِهِ * يُحَدُّ تعالى عن بُدُوٍّ وآخِرِ
عليمٌ وحَيٌّ قادِرٌ متكلِّمٌ * مريدٌ سميعٌ مُبصِرٌ بالمصادِرِ
أَحاطَ بتَحْتِ التَّحْتِ والفَوْقِ عِلمُهُ * ويَعْلَمُ مانُبدِي وما في الضَّمائِرِ
ومن عَدَمٍ أَنْشَأَ العوالِمَ كلَّها * بقُدْرتِهِ فاعظِمْ بقُدْرةِ قادِرِ

ولا كـائِنٌ قد كـانَ أو هُـوَ كـائِنٌ * سِـوى بِمُرادِ اللهِ مِنْ غـيرِ حـاصِرِ
ويَسْمَـعُ حِسَّ النَّملِ عنـدَ دبيبِـهِ * ويُبْصِرُ مـا تحتَ البِحارِ الـزَّواخِرِ
وأَنَّ كـلامَ اللهِ وصـفٌ لِـذاتِــهِ * وليسَ بِمَخْلوقٍ خِـلافًا لصـاغِرِ
وأفعـالُـه فضـلٌ وعَـدْلٌ وحِكمَـةٌ * ولـيسَ بـظَلَّامٍ وليس بـجـائِـرِ
يُثيبُ على الطَّاعـاتِ فضلاً ومِنَّـةً * وتعـذيبُـهُ قِسطٌ لعـاصٍ وفـاجِـرِ
تُسبِّحُ كـلُّ الكـائنـاتِ بِحمـدِهِ * وتَسْجُـدُ إعظامًـا له عن تَصَـاغُـرِ
فسبحـانَـهُ مِن خـالِقٍ مـا أجَلَّهُ * وأعظَمَهُ مُنشي السَّحـابِ المواطِرِ
ومُحيِي بها ميْتًا مِن الأرضِ هامِدًا * ومُنبِتُـهُ من كـلِّ رَطْبٍ ونـاضِرِ
ورافِـعُ أطبـاقِ السمٰـواتِ عِبْـرَةً * مُـزيِّنُهـا بـالنيِّـراتِ الـزَّواهِـرِ
ومُجري الرِّياحِ الذَّارياتِ بما يَشَـا * ومُمسِـكُ مِن جوِّ الهوا كلَّ طـائِـرِ
ومُـرسي الأراضي بالجبـالِ وفيهِمَا * جميعًـا مِن الآياتِ يـا رُبَّ بـاهِـرِ
وفي البحرِ كَمْ مِن آيةٍ حارَ عندَهَا * وسبَّـحَ إعـظامًـا لَـهُ كـلُّ نـاظِـرِ
به الفُلْكُ تَجري شـاحِناتٍ بـأمرِهِ * ولحمٌ طـرِيٌّ مَع نفيسِ الجـواهِـرِ
وفي الحيـواناتِ العجـائبُ فاعتـبِرْ * وفكِّرْ وعُدْ بالطَّرفِ خاسٍ وخاسِرِ
وكَمْ في الجماداتِ الصَّوامتِ عِبْرَةٌ * لمُعتـبِرٍ مستيقِظِ الـقلبِ حـاضِرِ
فقَـدْ مـلأَ اللهُ العـوالمَ حِكْمَـةً * وأَشْحَنَهـا بـالمُبـدَعَـاتِ البـواهِـرِ
لينـظرَ فيهـا النَّـاظِرون فيعلَمُـوا * بهـا قُـدْرَةَ المُنْشي لهـا خـيرِ قـادِرِ
ويَستيْقِنُـوا أنْ لا إلـهَ وخـالِقَـا * سِـوى اللهِ جـلَّ اللهُ ربّي وفـاطِـرِ
وأَشْـهَـدُ أنَّ اللهَ لا رَبَّ غـيـرُهُ * إلـهُ البـرَايـا عـالِمٌ بـالسَّـرائِـرِ
مليـكُ جميـعُ العـالَمـين عبيـدُهُ * وفي قهـرِهِ مِن كـابِـرٍ وأصـاغِـرِ
وُقـوفًـا عـلى أبـوابِـهِ يَـرْتَجُـونَـهُ * ويخشَـوْنَـهُ عن ذِلَّـةٍ وتصـاغُـرِ
وأَشْـهَـدُ أنَّ اللهَ أَرْسَـلَ أحمَـدًا * إلى الخَلْقِ طُرًّا بالهُدى والبصَائِـرِ
فـبلَّغَ أمْـرَ اللهِ تـبليـغَ صـادِقٍ * أمينٍ شفيقٍ واسعِ الصَّدرِ صابِـرِ

أفضلُ مِن ذكرِ اللِّسانِ على انفرادِه. ﴿قلتُ﴾ معنى ذكرِ القلب: أنْ تكونَ صُورةُ الذِّكرِ الجارِي على اللِّسانِ حاضِرةً فيه وجارِيةً عليه، مثلُ إذا قالَ الذَّاكرُ بلسانِه «لَا إلَهَ إلَّا الله» يكونُ كذلك قائِلًا لها بِقلبِهِ. وقد يكونُ معنَى ذكرِ القلب: أنْ يكونَ معنى الذِّكرِ الجارِي على اللِّسانِ حاضِرًا فيه، مِثْلُ أنْ يقولَ بِلِسانِه «لَا إلَهَ إلَّا الله»، ويكونُ معنَى هذهِ الكلمةِ الشَّرِيفَة، الَّذي هو انْفِرادُ الحقِّ بالأُلُوهِيَّة، حاضِرًا في القلب، والله أعلَم.

قال حجَّةُ الإسلام، رحِمَه اللهُ تعالى: الذِّكرُ على أربعِ مراتِب: -

الأولى: ذِكرُ اللِّسانِ فقَطْ.

الثانية: ذِكرُ اللِّسانِ مع القلبِ تَكَلُّفًا.

الثالثة: ذِكرُ القلبِ طَبْعًا، وحضورُهُ مع اللِّسانِ من غيرِ تَكَلُّفٍ.

الرابعة: استيلاءُ المذكورِ على القلب، واستِغْراقُه به.

﴿قال﴾ والمَرْتبةُ الأولى قليلةُ النَّفْع، وضعيفَةُ الأثَر، يعنِي بها ذِكْرَ اللِّسانِ مع غَفْلةِ القَلْب - انتهى بمعناه.

ولا شكَّ أنَّ ذِكْرَ اللِّسانِ مع غفلَةِ القلبِ قليلُ الفائِدَةِ والنَّفع، ولكنَّهُ خيرٌ مِن تَرْكِ الذِّكرِ رأسًا.

قيلَ لِبعضِ العارِفين: إنَّا لَنَذْكُرُ الله، ولا نجِدُ حُضُورًا، فقال: احْمَدُوا اللهَ الَّذي زَيَّنَ جارِحةً مِن جوارِحِكُم بذِكْرِه، يعنِي بها اللِّسان.

فيَنْبَغي لِمَن أخذَ في الذِّكرِ بلِسانِه، أنْ يَتَكَلَّفَ إحْضارَ قلبِهِ مع اللِّسانِ حتَّى يصيرَ ذاكِرًا بهما جميعًا، تَكَلُّفًا في أوَّلِ الأمر، ثم لايزالُ يُواظِبُ على ذلك حتَّى يَذُوقَ القلبُ لَذَّةَ الذِّكْر، وتَشْرُقَ عليه أنوارُه، فعندَ ذلك يحضُرُ بلا تَكَلُّفٍ ولا مَؤُونَة، بل رُبَّما صار إلى حالَةٍ لايُمْكِنُه معها الصَّبرُ عن الذِّكر، ولا الغفلةُ عنه.

ثم اعْلَموا، رحِمَكم الله، أنَّ لِلذِّكْرِ آدابًا، وأنَّ حُضورَ القلبِ مع اللِّسانِ حالَ الذِّكْرِ هو أهَمُّها وآكَدُها، فعليكُم به، فإنَّ الذاكِرَ لايكادُ يصِلُ إلى شيءٍ من فوائدِ الذكرِ

﴿الفائدةُ الأولى﴾
في فَضلِ الذِّكـر

قال سيدُنا صاحبُ الرَّاتبِ في كتابِه: واعْلَمُوا معاشِرَ الإخوان، جعلَنا اللهُ وإيَّاكُم من الذَّاكرينَ له كثيرًا، ومِن الَّذين لاتُلهيهُم أموالُهم ولا أولادُهُم عن ذكرِه، أَنَّ الذِّكرَ للهِ مِن أعظَمِ الأوامرِ، وأفضَلِ القُرُبَات، وأوصلِ الوسائِل. قال تعالى: [يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا، وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً]. وقال تعالى: [اَلَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ. أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ]. وقال رسولُ اللهِ ﷺ: [يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي. فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا (أَيْ بِطَاعَتِي) تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا (أَيْ بِرَحْمَتِي)، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً]. وقال عليه السَّلامُ: [أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالوَرِقِ، وَمِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ وَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ. قَالُوا: بَلَى! قَالَ: ذِكْرُ اللهِ]. وقال عليه السَّلامُ: [مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ عَمَلاً أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللهِ مِنْ ذِكْرِ اللهِ]. وقال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: [لَذِكْرُ اللهِ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ أَفْضَلُ مِنْ حَطْمِ السُّيُوفِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمِنْ إِعْطَاءِ المَالِ سَحًّا]. وقال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: [مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَايَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ، وَمِثْلُ الشَّجَرَةِ الخَضْرَاءِ بَيْنَ الشَّجَرِ اليَابِسِ، وَذَاكِرُ اللهِ بَيْنَ الغَافِلِينَ كَالمُقَاتِلِ بَيْنَ الفَارِّينَ].

قال العلماء: أفضلُ الذِّكرِ ما كانَ بالقلبِ واللِّسانِ جميعًا، وذكرُ القلبِ على انفرادِهِ

وجـاهَـدَ في الـرحمٰنِ حقَّ جهـادِهِ * وشمَّــرَ حتّى ردَّ كــلَّ مُـكــابِــرِ
وأَشْهَـدُ أنَّ المـوتَ حقٌّ وكـلَّ مَـا * أَتى بعـدَهُ مِن بَعْثِ مَن في المَقابِـرِ
وحشرٍ ومـيــزانٍ ونــارٍ وجــنَّــةٍ * وجسرٍ وحوضٍ طيِّبِ الماءِ عـاطِرِ
لسيـدِنـا الهـادي الشَّفيـعِ محمَّـدٍ * حميـدِ المَسـاعي كلِّهـا والمَـآثِـرِ
عليـه صـلاةٌ تشمَــلُ الآلَ بعـدَهُ * مع الصَّحبِ من ربٍّ رحيمٍ وغافِرِ

وثمراتِه المقصودةِ إلَّا بالحُضور.

ومِن آدابِ الذِّكر: أنْ يكونَ الذَّاكرُ على أكمَلِ الآداب، وأحسَنِ الهَيْئات، ظاهِرًا وباطِنًا، وأنْ يكونَ على طهارَةٍ ونظافَةٍ تامَّة، وأنْ يكونَ في حالِ ذِكرِهِ خاشِعًا لله، مُعَظِّمًا لجلالِه، مستَقْبِلاً للقبلَة، مُطْرِقًا، ساكِنَ الأطرَاف، كأنَّهُ في الصَّلاة. ثمَّ إن المطلوبَ من العَبْد، أنْ لايزالَ ذاكِرًا للهِ في جميعِ أحوالِه، وعلى دوامِ أوقاتِه، فإنْ أَمْكَنَهُ الدَّوامُ على هذه الآدابِ الَّتي ذَكَرْناها مِن الطَّهارةِ والإِسْتقبالِ وغيرِهما في دوامِ أحوالِه، كما هو شأنُ أهلِ الخَلْوَةِ والإِنْقطاعِ إلى اللهِ تعالى - فَعَلَ وداوَمَ، وإنْ لم يُمكِنْهُ ذلك، وهو الأكثَرُ والأغلَب، فيَنْبَغي أنْ يجعلَ له وقتًا معيَّنًا يجلِسُ فيه لِلذِّكر، مُتَأَدِّبًا بهذهِ الآدابِ الَّتي ذَكَرْناها، وما في معناها، ممَّا لم نَذْكُرْه. ثمَّ لايزالُ في بقيَّةِ أوقاتِهِ ذاكِرًا لله، قائِمًا وقاعِدًا ومُضْطَجِعًا مِن غيرِ حدٍّ ولا تَقْييد، كما قال تعالى: [فَاذْكُرُوا اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ].

ولْيحذَرْ مِن الغفلةِ عن الذِّكرِ في وقتٍ مِن الأوقَات، فإنَّ الغفلةَ عن ذكرِ اللهِ كثيرةُ الضَّرَر. قال النبيُّ ﷺ: [مَنْ قَعَدَ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ تِرَةٌ، وَمَنِ اضْطَجَعَ مَضْجِعًا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ تِرَةٌ، وَمَنْ مَشَى مَمْشَى لَمْ يَذْكُرِ اللهَ فِيهِ إِلَّا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ تِرَةٌ]. - انتهى. ومَعنى التِّرةِ الحَسْرَة، وقيل التَّبِعَة.

ورُبَّما تسَلَّطَ الشَّيطانُ على الغافِل، واستَوْلَى عليه بِسببِ غفلَتِهِ عن ذكرِ مولاَه، كما قال تعالى: [وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ، نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ]. وقال تعالى: [إِسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ].

ومِن شأنِ المُؤْمنِ أن يذكرَ اللهَ كثيرًا، كما أنَّ وصْفَ المُنافِق، أنَّه لايذكرُ اللهَ إلا قليلاً. قال اللهُ تعالى في وَصْفِ المُنافِقِين: [يُرَآؤُنَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلاً]. وفي مُلازَمَةِ الذِّكر، والمُداومةِ عليه، طَرْدُ الشَّيطان، وقَطْعُ لِوَسْوَسَتِه، كما وردَ أنَّ الشَّيطانَ جاثِمٌ على قلبِ العبد، فإذا ذكرَ اللهَ خَنِس، وإذا غَفِلَ وَسْوَسَ له.

فتَنْبَغي وتتأَكَّدُ المواظبةُ والملازمةُ لذكرِ اللهِ على دوامِ الأوقاتِ وفي عمومِ الأحوَال.
قال عليه الصَّلاةُ والسلامُ لِلرَّجُلِ الَّذي قال لَه: [قَدْ كَثُرَت عَلَيَّ شَرَائِعَ الإِسْلَامِ، فَمُرْنِي بِشَيْءٍ أَتَثَبَّتُ بِهَ! فَقَالَ: لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ].

وقد ذَكَرَ العلماءُ، رحِمَهم الله، مِن فضائلِ الذِّكرِ وأرجحِيَّتِهِ على غيرِه، أنَّها تُمْكِنُ المُداومةُ عليه في جميعِ الأوقاتِ والأحوَال، لأنَّه غيرُ مؤقَّتٍ بوَقْت، بل هو مأمورٌ به على الدَّوَام، ويَتَعاطاه المُحْدِثُ والجُنُبُ والمشغُولُ والفارِغ، ولا هٰكذا غيرُه من الصَّلاةِ والصَّومِ والتِّلاوَة، فإنَّ لها شرائِطَ تتوَقَّفُ عليها، وأوقاتًا لاتصِحُّ إلَّا فيها. وأفضلُ الأعمالِ الصَّلاةُ، وهي ممنوعَةٌ في نَحْوِ ثُلُثِ النَّهَار، مِن بعدِ صلاةِ الصُّبحِ إلى ارْتِفاعِ الشَّمس، ومِن بعدِ صلاةِ العصرِ إلى الغُرُوب. والصَّومُ ممنُوعٌ إلَّا في النَّهَار. وقراءةُ القرآنِ الكريمِ ممنوعَةٌ على صاحِبِ الجَنابَة، وغيرُ محبوبَةٍ مِن صاحبِ الأَشْغالِ الَّتي تُفرِّقُ القَلْب، بِحيثُ لايجتمِعُ معها قلبُه، وذلك لِحُرْمةِ القرآنِ وجلالتِه. وأمَّا الذِّكرُ فقد وسَّع اللهُ الأمرَ فيه رحمةً لِعبادِه، ومِنَّةً عليهِم، ومع ذلك فالمؤونَةُ فيه قليلَة، والكُلفَةُ خَفيفَةٌ بِالنِّسْبةِ إلى غيرِه، ففَضَلَ الذِّكرُ مِن هٰذه الحَيْثِيَّاتِ على غيرِهِ من الأَعمَال، وإنْ كان لِبعضِها فضلٌ عليه مِن حيْثِيَّاتٍ أُخَر.

فمِن خُصوصِيَّاتِ الذِّكرِ خِفَّةُ المُؤونةِ فيه مع فضلِه، وأنَّها تُمْكِنُ المُداومةُ عليه حتَّى أنَّه يَنْبغي لِمَن يكونُ على حالةٍ يُكْرَهُ له فيها أن يَذْكرَ اللهَ بلسانِه، مِثْلُ الخلاءِ والجِماع، أنْ لايغفُلَ عن ذِكْرِ اللهِ بِقلبِه، كذلك قال العلماءُ بالله. فلا تزالُ رحِمَكَ اللهُ ذاكِرًا، وإنْ كنتَ صانِعًا ومُحْترِفًا ومُلابِسًا لِشيءٍ مِن أَشْغالِ الدُّنيا، فلازِمِ الذِّكرَ مع ذلكِ بِقلبِكَ وبِلسانِكَ حَسْبَ الإِمْكَان، وإنْ ذكرتَ اللهَ تعالى في سرِّكَ، وبِحيثُ تُسمِعُ نفسَكَ فقد أَصَبْتَ وأَحْسَنْتَ - انتهى من كتاب [النصائح الدينية].

والآن نأتِي بأركانِ الذِّكر، فنقولُ:

﴿الفائدةُ الثانية﴾
في أركانِ الذِّكرِ وشُروطِه وآدابِه ومكروهاتِه

وهي كثيرَةٌ لاتَنْحصِر، ولكنْ نأتي بما تيسَّر. فمِنها، وهو الأصْلُ، أكلُ الحلاَل، لأنَّ طِيبَ المَطْعَمِ والمَلْبَسِ كذلك وهو الأصلُ، كما قال سيدُنا عبدالله بنُ عمر، رضي اللهُ عنهما: لَوْ صلَّيْتُم حتَّى تكونُوا كالحَنايَا، وصُمْتُم حتَّى تكونُوا كالأَوْتَار، لم يُتَقَبَّلْ ذلك مِنكم إلا بوَرَعٍ حاجِز. وفي الحديثِ النبويِّ، لَمَّا ذكرَ الرَّجُلَ يُطيلُ السَّفر، أَشْعَثَ أَغْبَر، . . . . إلى أنْ قال . . . . ومَطْعَمُهُ حرامٌ، ومَلْبَسُهُ حرامٌ، وغُذِيَ بالحرام، فأنَّى يُستجابُ لذلك.

ومِنها، أنْ لايكونَ مُرائِيًا ومتزيِّنًا للنَّاس. قال السَّرِيُّ السَّقَطِيُّ، رحِمه الله: مَن تزيَّنَ لِلنَّاسِ بما ليسَ فيه سَقَطَ مِن عَيْنِ الله. وقال الفُضَيلُ، رحِمَه الله: تَرْكُ العملِ مِن أَجْلِ النَّاسِ رياءٌ، والعمَلُ لأجلِ النَّاسِ شِرْكٌ، والإخلاصُ أن يُعافِيَك اللهُ منهما.

ومِنها الجوعُ، فلا يحصُلُ التَّأْثيرُ والتَّنويرُ إلَّا بِالجُوع، وخفَّةِ المَعِدةِ وهو غيرُ الجُوعِ الشَّدِيدِ الَّذي يَنْتَفي معه الخُشوعُ والحُضُور.

ومِنها ماقالَه في مُختصَرِ الإحْياء للبلالي: شرطُ كُلِّ ذِكْرٍ حيثُ يُسمِعُ نفسَه، وكلُّ طاعةٍ ذِكْرٌ، والمَأْثورُ أَسْلَم. ويَفْتقِرُ الفقيهُ إليه لِتنويرِ باطنِه. قال تعالى: [فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ] . . . [وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ]. ومن أدِلَّةِ الجهرِ بالذِّكْرِ قولُه تعالى: [كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا]. وأَفْتَى النوويُّ، رحِمَه الله، بِتفْضيلِهِ ما لم يشُبْهُ حظٌّ أو تَشْويش، ويُكرَهُ النُّطقُ به بفَمٍ متنجِّسَة، وفي بُقعَةٍ متنجِّسَة، وحالةِ خُروجِ الرِّيح، وحالةِ خُروجِ كلِّ خارِج، وحالُ البَوْلِ والغائطِ أشدُّ كراهَةً.

وقال في مُختصَرِ الإحياء، للبلالي: ﴿مهمَّةٌ عظيمةُ النَّفْعِ مجرَّبَة﴾ يُقرأُ عندَ النَّوم: [اللهُ يَتوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا والَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا، فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا المَوْتَ، وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمَّى]. ثم يَسْأَلُ إيقاظَهُ كيف شَاء، ومتَى شَاء، ففيها سِرٌّ عجيبٌ.

ومن كتاب [مَنْهج السالك] للشَّيخ عليِّ المرصفي، رحِمَه الله، ﴿قال﴾: وشرائِطُهُ وآدابُه، أي الذِّكْرِ عشرون، فنختارُ منها بعضَها:

الأول: التَّوْبةُ، وحقيقتُهَا تَرْكُ ما لايعنِيهِ قولاً وفِعلاً وإرادَةً بعدَ النَّدَم.

الثاني: لُزومُ الطَّهارَة، وهو الغُسْلُ والوُضوء. قالَ في مُخْتصرِ الإحياء، للبلالي، رحِمَه الله: وطهارَةُ باطنِهِ أيضًا واستقبالُ القِبْلَة.

الثالث: أنْ يستمِدَّ بقلبِهِ عندَ شُروعِهِ في الذِّكْرِ بهِمَّة. قال الشيخ جِبْريل، قدَّسَ اللهُ سِرَّه: فإذا ابتدَأَ بالذِّكْر، فليُحْضِرْ صورَةَ شيخِهِ في قلبِه، ويستَمِدَّ مِنه، إذْ قَلْبُ شيخِهِ يُحاذِي قلبَ شيخِ الشَّيخِ إلى الحضرَةِ النَّبويَّة، وقلبُ النبيِّ ﷺ دائمُ التوجُّهِ إلى الحضرَةِ الإلٰهيَّة. فالذَّاكِرُ إذا صوَّرَ صُورةَ شيخِهِ في قلبِه، واستمَدَّ مِن وِلايتِه، يَفيضُ الإمدَادُ مِن الحضرَةِ الإلٰهيَّةِ على قلبِ سيِّدِ المُرسلِين، ثم على قلوبِ المَشَائِخِ على التَّرْتيب، إلى أنْ ينتَهِيَ إلى شيخِه، فيَقْوَى على اسْتِعْمالِه، إذْ هو في الابْتِداءِ على مِثَالِ الطِّفْل، ليسَ له اسْتِعْمالٌ لهٰذهِ الكلمَةِ على الوجهِ الَّذي يُؤَثِّرُ للغرَض، وإنْ كانَ بِيدِهِ سَيْفُ الله، وهو الذِّكْر. قال ﷺ: [الذِّكْرُ سَيْفُ اللهِ]، ولٰكنْ أينَ السَّيْفُ مِن ضارِبٍ إلَّا بقُوَّةٍ مستفادَةٍ منْ حضرَةِ رسولِ اللهِ ﷺ، فإذَا استمَدَّ مِن شيخِهِ جاءَهُ المَدد، لِقولِهِ تعالى: [وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ، فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ].

الرابع: أنْ يرَى اسْتمدادَهُ من شيخِه، هو اسْتِمْدادُهُ مِن النبيِّ ﷺ.

الخامس: الجُلوسُ على مكانٍ طاهِر.

السادس: تَطْيِيبُ مجلسِ الذِّكْرِ بالرائحَةِ الطيِّبَة، لأنَّ مجالسَ الذِّكْرِ لاتخلُو عن الملائكةِ وعن مُؤْمِني الجنّ.

السابع: لُبْسُ اللِّباسِ الطيِّبِ حِلًّا ورائحةً.

الثامن: أن يُخَيِّلَ خيالَ شيخِهِ بينَ عينَيْه، وهذا عِندهُم آكَدُ الآدَاب.

التاسع: الصِّدْقُ، وهو اسْتِواءُ السِّرِ والعلانيَة، وهو كالسَّيْفِ، ما وُضِعَ على شيءٍ إلَّا قطَعَه.

العاشر: الإخلاصُ، وهو تصفِيَةُ العملِ مِن كُلِّ شَوْب، وبالصِّدْقِ والإخلاصِ يَصِلُ الذَّاكِرُ إلى درجَةِ الصِّدِّيقيَّة، وهو أنْ يُظْهِرَ جميعَ مايَخْطُرُ بِقلبهِ مِن حُسنٍ وقُبحٍ لِشيخِه، فلأجلِ هذا، قالوا: ليسَ مِن شرطِ الشيخِ أنْ يطَّلِعَ على باطنِ المُريد، ولكنْ مِن شرطِ المُريدِ أنْ يَذكُرَ جميعَ مايخطُرُ بقلبِهِ لشيخِه، وإنْ لم يُظهِرْ كان خائِنًا، واللهُ لايحبُّ الخائنين.

الحادي عشر: أنْ يَختارَ من الذِّكْرِ لفظَةَ «لا إلَهَ إلَّا الله» مع التَّعْظيمِ بقُوَّةٍ تامَّةٍ جهرًا، وتَصْعيدُ «إلَّا الله» مِن فوقَ السُّرَّةِ مِن النَّفسِ الَّتي بينَ الجنبَيْن، وإيصَالُ «إلَّا الله» بالقَلْبِ اللَّحْميِّ الكائِنِ بينَ عَظْمَيِ الصَّدْرِ والمِعدَة، مائِلًا رأسَهُ إلى الجانِبِ الأيسَر، مع حُضورِ القلبِ المعنويِّ فيه. قال سهلُ بنُ عبدالله، رحِمَه الله: إذا قُلْتَ «لا إلَهَ إلَّا الله»، مُدَّ الكلِمَة، وانظُرْ إلى قِدَمِ الحَقّ، وأثبِتْه، وأبطِلْ ماسِواه. ﴿قلتُ﴾ ولهذا الشَّرْطِ الحادِي عشرَ أكثرَ منه الحبيب عبدالله في أذكارِ راتبِه، ونصَّ على خمسِينَ مِن «لا إلَهَ إلَّا الله» ولا حَدَّ لأكثَرِه، ولَوْ أُلوفًا. قال الإمامُ الغزالي، رحِمه اللهُ تعالى، ورضيَ عنه وعنَّا به، في كتابٍ له يُسَمَّى [ثمرة الأعمال]: قال رسولُ اللهِ ﷺ في «لا إلَهَ إلَّا الله»: [مَنْ حَافَظَ عَلَى قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ظَاهِرًا، وَجَعَلَ لِسَانَهُ مُسْتَغْرَقًا فِيهَا، فَتَحَ اللهُ عَلَى قَلْبِهِ نُورَ الكَشْفِ عَنْ سِرِّهَا]. وتَسْتغرِقُه أنوارُها، ويَشغَفُ قلبُه بذكرِها، وتصطَلِمُه ثَمَراتُها، فيَشْهَدُ باطنُهُ من عجائِبِ المَلَكوتِ ما لاتَسْتَطيعُ العِبارَةُ أنْ تُحرِّزَ وصفَها ونعتَها، وتِلك

نتائِجُها وثمراتُها، ثم تنعكِسُ أذكارُهُ الظاهِرَةُ باطنةً، وكلَّما داوَم على الذِّكر، غلَبَ باطِنُهُ على ظاهِرِه، إلى أنْ يَقْوَى سلطانُ القلبِ على حركَةِ اللِّسان، ويَنْفرِدَ القلبُ بالذِّكر، ثم ثمرَةُ قلبِهِ إشرَاقُ شمسِ الرُّوح، فيستَغْرِقُ القلبُ في الأَنْوارِ الرُّوحانيَّةِ، ويُكَاشَفُ مِن اللَّطائِفِ الرَّبّانيَّة، ويَرِدُ عليه مِن الوارداتِ الغيبِيَّة، ويَهيجُ عليه من الأَنْوار السنيَّةِ مايَستَغْرِقُهُ عن الصِّفاتِ البَشرِيَّة، ويُرقِّيهِ إلى المَقاماتِ العَلِيَّة، ويَفوزُ بِالكَرامات - انتهَى ما أَرَدْنا نقلَه مِن [منهج السالك].

وقال أيضًا: وتُشتَرَطُ ثلاثةُ شُروطٍ بعدَ الفراغِ مِن الذِّكْر:-

الأول: السُّكوتُ، فإذا سكَتَ يَخشَعُ ويسكُنُ ويحضُرُ معه قلبُه، مترقِّبًا لِوارِدِ الذِّكر، فلعلَّه يرِدُ عليه، فيعُمُّ وجودُهُ في لحظةٍ ما لَم يَعُمَّهُ بِالرياضةِ والمُجاهدَةِ في ثلاثينَ سنَة.

الثاني: أنْ يَزُمَّ نفسَــه مرارًا، لأنَّه أَسْرعُ لِتنويرِ البصيرَة، وكشفِ الحِجَاب، وقطْعِ خواطِرِ الشَّيطانِ والنَّفس، لأنَّه إذا زمَّ نفسَه، وعطَّلَ حواسَّه، أَشْبَهَ الميِّت، والميِّتُ لايقصِدُهُ الشَّيطَان.

الثالث: الاِمْتِناعُ عن شُربِ الماءِ عقِبَ الذِّكر، لأنَّ الذِّكْرَ يُورِثُ حُرقةً وشوقًا وتهييجًا، وهو المطلوبُ مِن الذِّكر، وشربُ الماءِ عقِبَه يُطفِىءُ ذلك، وقد نُهِيَ عنه من بابِ الطِبِّ أيضًا، لأنَّه يُورِثُ في الأعضاءِ ضرَرًا، ورُبَّما يُورِثُ الاِسْتسقَاء، فلْيحْرِصْ على هذهِ الآدابِ تَظْهَرْ عليهِ برَكَةُ الذِّكر.

﴿قلتُ﴾ وإنَّما كان سيدُنا الحدَّاد يعتادُ في مسجدِهِ بعدَ قراءَةِ الرَّاتبِ شُرْبَ الماء، ويُدارُ به على الحاضِرين، فذلك بعدَ أنِ اسْتوفَى الشُّروطَ الثلاثَة، ولأنَّ النبيَّ ﷺ إذا حضَرَ عندهُ الصَّحابَةُ لم يفترِقُوا إلَّا عن ذَوَاق. وكان سيدُنا الحدَّاد، نفَعَ اللهُ به، في عاداتِهِ وعباداتِهِ مُحَافِظًا على السنَّةِ الغرَّاءِ على كمالِ المُتابعَةِ للنَّبيِّ ﷺ.

﴿مطلب﴾ قال العلامةُ الشيخ عبدُالرحمن باكثِير الشِّحْري، في كتابِه في الطِّبّ،

قال العلماءُ: التفَكُّرُ في مصنوعاتِ اللهِ تعالى هو الذِّكْرُ القلبِيُّ، وهو أفضَلُ الذِّكر. وقد أورَد الغزاليُّ، رضِيَ اللهُ عنه، قسمًا وافِرًا في كتابِ التفكُّرِ من الإحياء - انتهى. وقال الإمام النوويُّ، رضِي اللهُ عنه: ذكرُ القلبِ مع اللِّسانِ أفضَلُ مِن ذكرِ القلبِ وحدَه.

وكما ذكَرْنَا آدابَ الذِّكْرِ وأركانَهُ وشروطَه، فلْنَذْكُرْ هنا أركانَ الدعاءِ وشروطَهُ وأوقاتَهُ وأسبابَهُ وفضلَهُ، فنقولُ:

﴿الفائدةُ الثالثة﴾
في أركانِ الدعاءِ وشروطِه وأوقاتِه وأسبابِه وفضلِه

قال الإمامُ التَّيمِيُّ، رحِمَه الله، في خواصِّ القرآنِ العزيز: قال ابنُ عطاءِ الله، رحِمَه الله: لِلدُّعاء أركانٌ وأَجْنِحَة، وأَسْبابٌ وأَوْقات، فإنْ وافقَ الدُّعاءُ الأركانَ قَوِيَ، وإن وافَقَ أجنحتَهُ طارَ في السَّماء، وإنْ وافقَ مَواقيتَهُ رَقِيَ، وإنْ وافقَ أسبابَهُ أَنْجَح. فأَرْكانُهُ حضورُ القلبِ والرقَّةُ والاِسْتِكانَةُ والخُشوعُ وتعلُّقُ القلبِ باللهِ تعالى وقطعُهُ من الأَسْباب. وأَجْنحتُهُ الصِّدقُ. ومَواقيتُهُ الأَسْحار. وأَسْبابُهُ الصَّلاةُ على النبيِّ ﷺ - انتهى. قال تعالى: [وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ]. وقال تعالى: [بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَاتَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ]. فهذه الآيةُ قيَّدَتْ ما في الأولى من العموم، وأنَّهُ تعالى يَكْشِفُ عمَّنْ يشاء. ولهذا كانَ الدُّعاءُ على ثلاثةِ أَقْسام: مُجَابٌ، وحَطٌّ للأوزَار، ورَفْعٌ لِلدَّرجَات، لأنَّ الغالِبَ أنَّ مَن أتى بـه على شروطِه، حصلَتْ له الإجابَةُ بِفضْلِ اللهِ سُبحانَهُ وتعالى وبِمَنِّه.

قال القاضي أبوبكر بنُ العربي في كتاب [مراقي الزُّلف]: حقيقةُ الذِّكْرِ مُناداةُ اللهِ تعالى، لِما يُريدُ مِن جَلْبِ مَنْفعَة، أو دَفْعِ مضَرَّةٍ. ومِن القضاءِ ردُّ البلاَءِ بالدُّعَاء، فهو سببٌ لذلك، واسْتِجْلابٌ لِرحمَةِ المَوْلَى، كما أنَّ التُّرْسَ سببٌ لردِّ السَّهْم، والدُّعاءُ سِلاحُ المُؤْمنين. فإذا كان العبدُ دائِمَ الذِّكْرِ والدُّعاءِ والتضَرُّعِ إلى اللهِ تعالى، حفِظَه ذلك مِن جميعِ المَكارِه. فإذا جاءَهُ ضرَرٌ أو مَكْروهٌ مِن أحدٍ من المَخْلوقين منعَتْهُ الملائِكَةُ، وصَدَّتْ في وجهِه، فلا يزَالُ محفوظًا مِن جميعِ الجهَات، إلاَّ مِن جِهَةِ فوقَ، فإنَّ القضاءَ والقدَرَ نازِلان، فإذا نزَلَ القضاءُ والقدَرُ أسلَمَتْهُ الملائِكَة.

فيَنْبغي أنْ يحرُسَ جهةَ فوقَ بالعملِ الصالحِ ، وِجْهَةَ تحتَ كذلك ، فإنه لابُدَّ لكلِّ عبدٍ من طريقٍ إلى السَّماء ، يصعَدُ منه عملُه ، ويَنْزِلُ منه رزقُه ، وتُقبَضُ منه روحُه . فإذا كانَ العبدُ مؤدِّيًا لِلطَّاعات ، مُوَاظبًا على الخَيْرَات ، كثيرَ الدُّعاء ، كثُرَ صُعودُ عملِهِ الصالحِ إلى السَّماء ، فلا تزالُ تلك السُّبُلُ معمُورَةً بالخَيْـرات ، مملوءَةً بالـطَّاعات ، فيُحبَسُ ذلك البلاءُ عن النُّزولِ مِن اللهِ سُبحانه وتعالَى بالمكانِ الأعلى ، فيُصادِمُ الدُّعاءُ البلاءَ ، فتارَةً يغلِبُ الدُّعاءُ ، وتارَةً يغلِبُ البلاءُ ، فيَدْفَعُ الدُّعاءَ ، فهما كالمُتَصارِعَيْن . فإنْ غلَبَ الدعاءُ ، دفَع البلاءَ ، وخرَقَ السمٰوات ، وَارْتَقَى إلى اللهِ سُبحانه ، وإنْ غلَبَ البلاءُ ، أزالَ الدُّعاءَ ، ونَزَلَ في العَبد ، وإليهِ الإشارَةُ بقولِه تعالى : [وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ] . وقال عليه الصَّلاةُ والسلامُ : [لَايَزَالُ الدُّعَاءُ وَالبَلَاءُ يَقْتَتِلَانِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ] .

ورَوَى أبو هريرةَ عن النبيِّ ، عليه الصَّلاةُ والسلام ، أنَّه قال : [لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللهِ مِنَ الدُّعَاءِ] . وقال عليه الصَّلاةُ والسلام : [مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ] . وفي الصَّحيحَيْنِ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال : [الدُّعَاءُ هُوَ العِبَـادَةُ] . وقال تعـالى : [أُدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ] . وأخرج الترمذيُّ أنَّه عليه الصَّلاةُ والسلامُ قال [الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ] .

وقال فيه : معنى الدُّعاءِ اِسْتِدْعاءُ العبدِ ربَّهُ العِنايَة ، واسْتمدادُهُ إيَّاهُ المَعـونَةَ ، وحقيقتُهُ إظْهارُ الافْتِقارِ إليه ، والتبرِّي مِن الحَوْلِ والقُوَّة ، وشِيمةُ العُبوديَّة ، هو اسْتِشْعارُ الذِلَّةِ البشَرِيَّة . وفيه معنَى الثَّناءِ على اللهِ سُبحانَهُ وتعالى ، وإضافةِ الجُودِ والكَرَمِ إليه . وقيل : الدُّعاءُ مِفْتاحٌ لِلحاجَة ، وهـو دَرَجُ أصحابِ الحـاجاتِ والفـاقات ، وتَنْفيسُ الكرُبَات . وقد ذَمَّ اللهُ سبحانه وتعالى أقوامًا ، فقال : [وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ] ، أي لايمدُّونَها في الدُّعاء . وقد قيل : الدُّعاءُ المُراسلَة ، وما دامَ المُراسلةُ باقِيَةً فالأمرُ حَميد . وقيل : الإذْنُ في الدُّعاء خيرٌ مِن الدُّعَاء .

﴿فائدةٌ﴾ مِن شَرائطِ الدُّعاءِ وآدابِه ، ما قال سيِّدُنا الوالِد ، نَفَعَ اللهُ به ، في كتابه

[سفينة الأرباح ونُزهة الأرواح]، قال بدرُ الدِّين بن جماعة في شُروطِ الدُّعاء نَظْمًا .....

قالوا شُروطُ الدُّعاءِ المُسْتجابِ لنا * عَشرٌ بها بَشِّرِ الداعِي بإفلاحِ
طهارةٌ وصلاةٌ معْهُما نَدَمٌ * وقتُ خشوعٌ وحُسْنُ ظنٍّ بإصلاحِ
وحِلُّ قُوتٍ ولا يَدعو بِمَعْصيةٍ * واسمٌ يُناسِب مَقْرونٌ بإلحاحِ

قال الإمامُ التيمِيُّ في شرائِطِ الدُّعاءِ وآدابِه: منها، أنْ تُقدِّمَ بينَ يديْكَ عملاً صالحًا، مِن صدقَةٍ أو صيامٍ أو صلاةٍ. ﴿قلتُ﴾ ولذلك قدَّمَ صاحبُ الرَّاتِب، نفَعَ اللهُ به، التَّهْليلَ والتَّسْبيحَ على أذكارِ راتبِهِ كُلِّها، وبعدَ ذلك أمَر بالدُّعاءِ بعدَ الفواتِحِ الأربَع.

ومن شرائِطِ الدُّعاء، الصَّلاةُ على النبيِّ ﷺ. قال أميرُ المُؤمنين، عمرُ بن الخطَّاب، رضيَ اللهُ عنه: الدُّعاءُ مَوْقوفٌ، لايصعَدُ مِنه شيءٌ، حتَّى يُصَلَّى على النبيِّ ﷺ.

ومِن شروطِه، الدُّعاءُ لِلوالِدَيْنِ والمُسلمين بخيرٍ في كُلِّ دعاء، كما ورَدَتْ في ذلك الأحادِيث.

ومِن شروطِه، حضورُ القَلْب، فلا يكُنْ ساهِيًا. رُوي في الحديث أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى لايَسْتجِيبُ دُعاءً مِن قلبٍ غافلٍ ساهٍ، ولا مِن قلبٍ لاهٍ.

ومِن شروطِه، أنْ لاتدعُوَ، وأنتَ مُصِرٌّ على المعاصي، لما رُوِيَ عن النبيِّ ﷺ، أنَّه قال: [أَحْمَقُ النَّاسِ مَنْ يَتَمَنَّى التَّوْبَةَ، وَهُوَ مُصِرٌّ عَلَى المَعَاصِي، وَلَوْ قَبْلَ المَعْصِيَةِ].

ومِن شروطِه، الإخلاصُ وهو أصلُ العمَل، لِقولِه تعالى: [فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ]. ورُوِيَ عن موسى، على نبيِّنا وعليه أفضلُ الصَّلاةِ والسلام، أنَّه مَرَّ بِرَجُلٍ، وهو يَدْعُو أو يَتَضَرَّعُ، فقال موسى، على نبيِّنا وعليه أفضلُ الصَّلاةِ والسلام: إلٰهي لَوْ

كانتْ حاجتُهُ بِيدي قضَيْتُها. فأوحَى اللهُ إليه: أنَا أرْحَمُ به مِنك، ولكنْ يَدعوني وقلبُهُ عِندَ غيرِي. فذَكَرَ ذلك موسى، عليهِ السَّلام، لِلرَّجُل، فانْقَطَعَ بِقَلبِه إلى الله، فقُضِيَتْ حاجَتُه

ومِن شروطِه، أنْ يكونَ مَطعمُهُ حلالاً، لِقولِه ﷺ لِسعْدٍ: [يَا سَعْدُ! أَطِبْ طُعْمَتَكَ، تُسْتَجبْ دَعْوَتُكَ]. وفي الخبَر، أنَّ موسى عليه السَّلام، مَرَّ لِحاجَة، فإذا هُوَ بِرَجُلٍ يَدعو ويَتَضَرَّعُ، ثم رجَعَ وهو على حالِه، فيسألُ اللهَ أنْ يستَجِيبَ له. فأَوْحَى اللهُ إليه: كيفَ أَسْتَجِيبُ، وفي بَطْنِهِ الحرَامُ، وعلَى ظهرِهِ الحرَامُ، وفي بيتِهِ الحرَامُ. فانْصرَفَ موسى إلى بيتِ ذلك الرَّجُل، فوَجَدَ فيه خمسَةَ دراهِم.

فإذا فهِمْتَ ذلك، وجَدْتَ هذه الشُّروطَ كلَّها أو غالِبَها تَجِبُ في الذِّكْر، وتلحَقُ به. والَّذي تختَصُّ بِالدُّعاءِ مِن وُجوهٍ دونَ الذِّكْر، مِنها أنْ يكونَ صوتُ الدَّاعِي مَعْروفًا عندَ الملائِكَة. قيل لِجعفرِ الصَّادِق، رضِيَ اللهُ عنه: ما لَنا نَدْعُو فلاَ يُسْتَجابُ لنا؟ فقالَ: إنَّكم تَدْعُونَ مَن لاتَعْرِفونَه، فلَوْ عرَفْتُمُوه، لاسْتَجابَ لَكم.

ومِن الشُّروطِ استِقْبالُ القِبْلة، ويَسْتقبِلُ بيدَيْه، ويَرْفَعُهما نحْوَ السَّماءِ وتعبُّدًا للهِ تعالى، فإنَّ الكعبَةَ قِبلَةُ المُصَلِّي، والسَّماءَ قِبلَةُ الدُّعاء.

﴿قيل﴾ سأَلَ بعضُ أهلِ الذِّمَّةِ بعضَ العارِفِين، فقالَ أعني الذِّمِّيَّ: رأَيْتُكَ تَرْفَعُ يدَيْكَ نحوَ السَّماء، وتَخْفِضُ جَبْهَتَك نحْوَ الأرض، فمَطْلوبُكَ أينَ هو؟ فقال العارِف: إنَّما نَرْفَعُ أيدِيَنا إلى مَطَالِعِ أرزَاقِنا، ونستَدْفِعُ بالثَّاني شَرَّ بِضاعتِنا، أَلَمْ تَسْمَعْ؟ قال بلَى! فقال: قال اللهُ العظيمُ سبحانه: [وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ]. وقال تعالى: [مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ، وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ، وَمِنْهَا نُخرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى]. فأَسْلَمَ الذميُّ وحسُنَ إسلامُه.

ويُشْترَطُ إخفاءُ الدُّعاءِ فيكونُ سِرًّا. قال تعالى: [أُدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً]. وقال بعضُ السَّلَف: دَعْوَةُ سِرٍّ أفضلُ مِن سبعين دعوَةً علانِيَةً، بِخلافِ الذِّكْرِ وجمعِ النَّاس عليه، فالجَهْرُ أولَى وأفضَلُ

ومِن شروطِه، صِدْقُ الاِضْطِرار. وقال بعضُ العارِفين: أَقْرَبُ الدُّعاءِ مِن الإجابةِ الدُّعاءُ الخالِي، وهو أنْ يكونَ العبدُ كالغَرِيق، أو كالمُلْقَى في فَلَاةٍ من الأرض، وقد أَشْرَفَ على الهَلَاك. فمَن صدَقَ الاِلْتِجاءَ إلى اللهِ تعالى، والاِسْتِعانةَ به، أُجِيبَتْ دعوتُهُ في الحال، أيْ غالِبًا - انتهى ماأَرَدْنا نقلَهُ مِن أركانِ الدُّعاءِ وشُروطِهِ وأَسْبابِهِ وأَوْقاتِهِ وآدابِه، واللهُ أَعْلَم.

قال سيدُنا الحبيب عبدالله في نصائحِه: وقال بعضُ السَّلف: الدُّعاءُ كالمِفْتاح، وأَسْنانُهُ لُقَمُ الحَلَال. ويَنْبَغي أنْ لايَغْفُلَ عن الدُّعاءِ في أوقاتِ الصِحَّةِ والرَّخاء، لِقولِه عليه الصَّلاةُ والسلامُ: [تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ تَعَالَى فِي الرَّخَاءِ، يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ]. وقال عليه السلام: [مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللهُ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالكُرَبِ، فَلْيَسْتَكْثِرْ مِنَ الدُّعَاءِ فِي الرَّخَاءِ].

ويَنْبَغي أنْ يدعُوَ له ولأَحْبابِهِ ولِلمسلمِين، ولْيَحْذَرْ كُلَّ الحِذْرِ مِن الدُّعاءِ بِالشَّرِ على نفسِه، أو على أولادِه، أو على مالِه، أو على أحَدٍ من عبادِ الله، وإنْ ظلَمَهُ فلْيَكِلْ أَمْرَهُ إلى الله، ويَرْضَ بنُصْرَةِ اللهِ له. وفي الحديث: [مَنْ دَعَا عَلَى مَنْ ظَلَمَهُ فَقَدِ انْتَصَرَ]. ولا خَيْرَ في الدُّعاءِ بِالشَّرِّ على ظالِمٍ، أو على غيرِه، ولْيجعَلْ بدلَ الدُّعاءِ عليه، الدُّعاءَ له، كما هي صِفَةُ عبادِ اللهِ الرُّحَماء. وقال عليه السلام: [أُدْعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لَايَقْبَلُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ سَاهٍ].

وأَمر عليه السَّلام بِتَعْظِيمِ المسأَلَةِ وبِجَزْمِها، وأنْ لايقولَ العبدُ «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي إنْ شِئْتَ»، بل يجزِمَ ويُلِحَّ في المسأَلَة، ويكونَ عندَ دُعائِهِ حاضِرَ القَلْبِ مع رَبّه، خائِفًا مِن الرَدِّ مِن حيثُ غفلَتُهُ عن مَوْلَاه، وتَقْصيرُهُ عندَ القيامِ بحقِّه، وطامِعًا في الإجابَة ونَيْلِ الرَّغبَةِ لِكمالِ الجُود، وصِدْقِ الوَعد. وقد ورَدَ أنَّ اللهَ حَيِيٌّ كريم، يَسْتَحْيِي مِن العبد، إذا رَفَعَ إليه يدَيْه، أنْ يرُدَّهُما خائِبتَيْن، أي فارِغَتَيْن، وأَحَبُّ الدُّعاءِ إلى اللهِ سُؤالُ العافِيَة - انتهى مِن النَّصائح، لسيدِنا الحَدَّاد، نفَعَ اللهُ به.

وستَأْتي فائِدةٌ جليلةٌ في الدُّعاءِ عن خاتمةِ المحقِّقين، الشيخ أحمد بن محمد بن حجر، صاحبِ التُّحفَة، وافهَمْ قولَه فيها، ففائدتُه، أي الدُّعاء، الثوابُ، لأنَّ الدُّعاءَ مِن العِبادَة، بل مِن أَنْهَاها، كما قالَ ﷺ: [الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ].

ولَمَّا أَتَيْنا بأركانِ الذِّكْرِ والدُّعاء، وشروطِهما وآدابِهما، فسنُقَدِّمُ فائدةً يحتاجُ إليها صاحِبُ العِلْمِ النَّافِع، ويقِفُ عليها قبلَ وقوفِهِ على فضلِ الاِجْتماعِ لِلذِّكْر، وعلى فضلِ الذِّكْر.

﴿الفائدةُ الرابعة﴾

فيما يَحتاج إليها طالبُ العِلم ويَقف عليها قبل وقوفه على فَضل الذِّكر وفضل حلق الذِّكر

قال سيدُنا ومولاَنا القُطْبُ الغَوْث، عبدالله بن علوي الحدَّاد، رضيَ اللهُ عنه، في كتابِه [الدعوةُ التامَّة] في وَصْفِ أهلِ الزَّمان: وقد ظهَرَتِ البِدَعُ والحوادِث، وفشَتِ المنكرَات، واستَوْلَتِ الغفلَةُ والإعراضُ عن اللهِ وعن الدَّارِ الآخِرَة، على الخاصِّ والعامّ، فلم يَبْقَ عُذْرٌ لأهلِ الحقِّ والدِّين، مِن أهلِ العلمِ واليَقِين، في السُّكوتِ عن بيانِ الحقِّ والهُدَى، والدُّعاءِ إلى اللهِ وإلى سبيلِه، بالأقوالِ والأفعَال، والسَّعْيِ بكلِّ مُستطاعٍ ومُمكِن، في إماتَةِ البِدَعِ والمُحْدَثَات، وإزالةِ المنكرَات. وقد قال عليه الصَّلاةُ والسلام: [إِذَا ظَهَرَتِ الفِتَنُ، أَوْ قَالَ البِدَعُ، وَسُبَّ أَصْحَابِي، فَلْيُظْهِرِ العَالِمُ عِلْمَهُ، فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَايَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا].

وقد تَعْرِض لِبعضِ أهلِ العلمِ أوهامٌ، فتمنَعُهُ وتصدُّهُ عن الدَّعوةِ إلى الحقِّ ونشرِ العلم، مِنها أنْ يقولَ: إنِّي غيرُ عامِلٍ بعِلْمِي، فكيفَ أعلِّمُهُ وأدعُو إليه. وقد ورَدَ مِن الوَعيدِ الشَّديدِ في ذلك ما لا مزيدَ عليه، فيُقالُ له: التَّعْليمُ للمُعَلِّمِ مِن جملةِ العملِ به، والَّذي يعلَمُ ولا يعمَلُ بعلمِهِ خيرٌ بكثيرٍ مِن الَّذي لا يعمَلُ ولا يعلَم. وإذا لم تَقْدِرْ على الخَيْر، فلا تَعْجِزْ عن القيامِ ببعضِه. وعليك أنْ تُعلِّم، وعليك أنْ تجتهِدَ وتعزِمَ على العمَلِ بما تعلَم، ولا شكَّ أنَّ الوعيدَ الواردَ في حقِّ من يعلِّمُ النَّاسَ ولا يعمَلُ بما يعلَم، هو أَلْزَمُ وأجدَرُ بالَّذي لا يعمَلُ ولا يعلَم، لأنَّ الأوَّلَ فَرَضَ اللهُ عليه فريضَتَيْن، فقامَ

بأحَدِهِما وقصَّرَ عن الأُخْرَى، والثَّاني تَرْكَ الفريضَتَيْنْ جميعًـا، فهو بـالوعيـدِ أَوْلَى، وبِالعقوبَةِ أَحْرَى.

ومِنها أنْ يقولَ في نفسِه: إنَّ الدُّعاءَ إلى الله، والإرشادَ لِعبادِ الله، مَرْتَبَةٌ رفيعَة، ومَنْزِلَةٌ شريفَة، هي مِن شأنِ أئمَّةِ الهُدَى والدِّينِ ووَصْفِهِم، وأنا لستُ كذلك ولا أهلَه، فيحمِلُهُ اسْتِصْغَارُهُ لنفسِه، واحتقارُه لها، وتواضُعُه، وانْخِفاضُهُ على السُّكوتِ عن الدُّعاءِ إلى اللهِ تعالى، والقيامِ بوظيفَةِ الإرْشَاد، ويَتوهَّمُ أنَّ ذلك مِن التواضُعِ المحمُود، ومَعْرِفَةِ الإنْسانِ بِقدْرِ نفسِه، ووقوفِهِ عند حدِّه، وهذا مِن التَّوهُّماتِ الفاسِدَة، لأنَّ الحَقَّ لايمنعُ عن الحقِّ، والخيرَ لايَصْرِفُ عن الخَير، فعليه أنْ يجتهِدَ ويُشمِّرَ في الدُّعاءِ إلى الهُدَى، والدِّلالةِ على الخيرِ مع التَّواضُعِ والخُشوع، والاِسْتشعارِ لِلخشْيَةِ والخُشُوع، والاِعْترافِ بالتَّقْصِير، واحْتِقارِ النَّفْس، وذلك هو الكَمَالُ، والجمعُ لأوصافِ الرِّجالِ الَّذين لاتصُدُّهُم وساوِسُ الشَّيطان، ولا تَصْرِفُهُم تَخْييلاتُهُ وتَلْبِيساتُه، وتَرْوِيجُهُ للشَّرِّ في معرِضِ الخَير.

ومِنها، أعني تلك الأَوْهَام، أنْ يَشْغَلَ العالِمُ نفسَهُ وأوقاتَهُ بمُواصلةِ الأورَاد، وتَتَابُعِ الوظائِفِ مِن العبادَات، تلاوَةً وذِكْرًا، ونحوَ ذلك، ويرَى أنَّ ذلك أفضَلُ له، وأَوْلَى به مِن الدُّعاءِ إلى الله، وإلى سبيلِه، ونَشْرِ العِلْمِ النَّافعِ في الدِّين، والحَقُّ أنَّ الدَّعْوةَ إلى الله، والنَّشْرَ لِلْعلمِ النَّافعِ مع الإخلاص للهِ فيه، أفضَلُ مِن العباداتِ اللَّازِمَةِ مِن نوافلِ الصَّلاةِ والأذكار، لِما في العلمِ مِن تعدِّي العلمِ، واحْتِياجِ الخاصِّ والعامِّ، والصَّغيرِ والكبيرِ إليه. وفي الحديث: [فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلي عَلَى أَدْنَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابي]. وفي حديثٍ آخر: [فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ].

ومع ذلك فلا يَنْبَغي للعالِمِ الدَّاعِي إلى اللهِ تعالى أنْ يَهْجُرَ الأورَاد، ويُقَصِّرَ عن وظائِفِ العبادَات، بل يَنْبَغي له أنْ يَجْعَلَ لها أوقاتًا تخُصُّها، ويحسُنُ التَّفَرُّغُ للعباداتِ

فيها، خصوصًا باللَّيلِ وأوقاتِ النَّهارِ الَّتي لايَنْشَطُ فيها لِنشرِ العِلم، ولا يحضُرُ فيها الطَّالبونَ المُسْتفيدُون. وقد قال الإمامُ مالِك، رحِمَه الله: اُطْلُبوا هذا العِلْمَ طلبًا لايضرُّ بِالعبادة، واطْلُبوا هذه العِبادةَ طلَبًا لايَضُرُّ بالعِلم. وكان الإمامُ الشَّافعيُّ، رحِمَه اللهُ تعالى، يَقْسِمُ اللَّيلَ أثْلاَثًا: ثُلُثًا للصَّلاة، وثُلُثًا لِدراسةِ العِلم، وثُلُثًا لِلنَّوْم.

وقد ذَكَرَ حجَّةُ الإسلام، رحِمَه الله، في كتابِ ترتيبِ الأورادِ من الإحياء، كَيْفِيَّةً في ترتيبِ أوقاتِ العالِمِ وتوزيعِها يخصُّهُ، فلْيَتَمَسَّكِ العالِمُ بما ذَكَرَه هنالك، ولْيَعْمَلْ عليه، واللهُ يتولَّى هُداه - انتهى ماأرَدْنا نقلَه من [الدَّعوة التَّامَّة]. وقد أورد في مقدِّمَةِ الدَّعوةِ مايَحْتاجُ إليه كلُّ عالِمٍ وجاهِل، وجَزاه اللهُ عن الإسْلامِ خيرًا، فقَد أَحْيَى قُلُوبًا أُمِيتَتْ، ولِذلك لَقَّبُوه بِحدَّادِ القُلُوب.

﴿قلتُ﴾ والتَّدْريسُ في العلومِ النَّافعَةِ هو مِن الذِّكْر، والاِجْتِماعُ عليه كالاِجْتِماعِ على الذِّكْر، ويزيدُ على حَلَقِ الذِّكْرِ بأشْياءَ كثيرةٍ يَطُولُ حَصْرُها. ومَن لزِمَ العِبادةَ والأذكارَ مع جهلِهِ بمعرفَةِ مافرَضَ اللهُ عليه، مِن تعلُّمِ ظاهرِ الاِعْتقادات الِواردةِ في الكتابِ والسُّنَّة، ومِن تَنْزِيهِ اللهِ تعالى مِمَّا هو مُحالٌ عليه ممَّا يَقْتَضي جِسْمًا أو جِهَةً، كالاِسْتِواءِ على العَرْش، إلى غيرِ ذلك مِن وجوبِ العِلْمِ به على مسلمٍ ومسلمةٍ، كما سيأتي في سُؤالٍ وجوابِه، للشَّيخ ابنِ حجَر، صاحبِ التُّحفَة، في معرفةِ مايجِبُ على كلِّ مسلمٍ ومسلمة، فمَن جهِلَ ذلك، وتعبَّدَ بِالعباداتِ والأذكارِ مِن غيرِ معرفةٍ بِالواجِب، فهو ضَالٌّ جَاهِل. ومِن أجلِ ذلك فضَرَرُهُ على عامَّةِ النَّاسِ ظاهرٌ لِحيثُ أنَّ العوَامَّ يَقْتَدونَ ويعتَقِدونَ بمَن رأَوْهُ على العِباداتِ والأذكار، فرُبَّما يَقَعُونَ بسببِه في المُخالفَات، ورُبَّما يَقَعُ بسببِ اعْتِقادِهِم فيه في الوَرَطاتِ المُهْلِكات، وإنْ كان هو هالِكًا مِن حيثُ الجَهْلُ بما فرَضَ اللهُ تعالى عليه تعلُّمَه، لكِنْ مع جَهْلِهِ أضَلَّ العوَامَّ في الاِقْتِداءِ به.

قال سيدُنا القُطْب، عبدالله بن علوي الحدَّاد، في كتابِهِ [الدَّعوة التامَّة] في الصِّنْفِ الثَّاني: واعلَمْ رحِمَك الله، أنَّ مَن أرادَ سلوكَ طريقِ الله، وعزَمَ على التَّفرُّغِ لِعبادتِه،

والانْقطاعِ إليه سُبحانه، وعلى التجرُّدِ مِن كلِّ مايشغَلُهُ عن التفرُّغِ لهذا الشَّأنِ من أيِّ شيءٍ كان، يتعَيَّنُ عليه ويتأكَّدُ جدًّا، أنْ ينظُر، فإنْ كان قد حصَّلَ مِن علومِ الإيمان، وعلومِ الإسلام، ما لابدَّ منه، أخذَ في العبادَةِ بالتَّفرُّغِ عن كُلِّ ما يَشْغَلُهُ عنها، وجَدَّ في قَطْعِ العلائِق، وصَرْفِ العوائِقِ، وأَقْبَلَ بظاهِرِهِ وباطنِهِ على الله، وعلى الدَّارِ الآخِرَة. وإنْ كان لم يُحَصِّلْ ما لابُدَّ منه مِن هذه العُلُوم، وَجَبَ عليه أنْ يُحَصِّلَ القدْرَ الذي يتعَيَّنُ عليه علمُه. فإنَّ ذلك فرْضٌ عليه، مُقَدَّمٌ على الأخذِ في العبادَة، وعلى سلوكِ طريقِ التَّأَلُّهِ والزَّهادَة. وقد قال رسولُ الله ﷺ: [طَلَبُ العِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ]. وفي الخبرِ أو الأثر: [مَنْ عَبَدَ اللهَ بِجَهْلٍ كَانَ مَا يَضُرُّهُ مِنْ عِبَادَتِهِ أَكْثَرَ مِمَّا يَنْفَعُهُ].

فعلَى الرَّاغبِ في سُلوكِ طَريقِ الله، أنْ يَتعلَّمَ مِن العلومِ الإيمانيَّة، والعلومِ الإسلامِيَّة، مايُصحِّحُ به مُعتقدَهُ في معرفَةِ اللهِ عزَّ وجلَّ، ومعرِفَةِ صفاتِه، ومِن الإيمانِ بالرُّسُلِ وبِاليومِ الآخِر. ومِن عُلومِ الإسلامِ العلمُ بِالطَّهارةِ والصَّلاةِ والصَّومِ والزَّكاةِ والحجِّ.

وبِالجُملَة، فلايدخُلْ في شيءٍ مِن العبادَات، ولا يتلبَّسْ بشيءٍ مِن العادَات، كالأنْكِحَةِ والمُبايعاتِ حتَّى يعلَمَ حُكْمَ اللهِ فيه، وإلَّا وَقعَ في الحَرَجِ مِن حيثُ لايدرِي، مِن غيرِ أن يُعذَرَ بذلِك. ويكفِيهِ في معرفَةِ عُلومِ الإيمَان، أنْ يعرِفَ ويعلَمَ بعضَ عقائِدِ الأئمَّةِ، المُجمَعِ على عِلْمِهِم وأمانَتِهِم وصلاحِهِم، مثلُ الإمامِ حُجَّةِ الإسلَام، وعَقيدَتِهِ الَّتي أوردَهَا في أوَّلِ كتابِ قَواعِدِ العَقائِدِ مِن [إحياءِ علومِ الدِّين]، وعَقيدَتُهُ كِفايَةٌ في ذلِكَ ونهايَة.

وقد ذكرْنَا في أوائِلِ كتابِ [اتِّحاف السائل]، وفي خاتمَةِ كتابِ [النَّصائح الدِّينيَّة] عقائِدَ مختصَرَةً جامِعَة، فيها الكفايَةُ للسَّالِكِ النَّاسِك.

وأمَّا عُلومُ الإسلَام، المترجَمُ عنها بعلومِ الأحكَام، فيكفِي السَّالكَ أنْ يعلَمَ منها ماأورَدَهُ حُجَّةُ الإسلَام في [بدايةِ الهِدايَة]، غيرَ أنَّهُ لم يَذْكُرْ فيها مِن علومِ الزَّكاةِ وعلومِ

الحَجِّ ماتدعُو الحاجَةُ إليه. وقد أَحَالَ مُريدَ ذلك على كتابِ [إحياء علوم الدين]، وفيما ذكرَهُ الفقيهُ العلَّامةُ عبدُالله بن عبدالرحمن بَالْحَاج أبي فضل، رحِمَه الله، في كتابِ [المُخْتصَرِ اللطِيف] مايكفِي النَّاسِكَ، فإنِ احتاجَ إلى مَزيدٍ عليه، فلْيَنْظُرْ في مختَصَرِهِ الكبيرِ الَّذي شرَحَهُ الشيخُ أحمد بنُ حجر الهَيْتَمِي، رحِمَه الله.

ثمَّ قال سيدُنا الحدَّاد، بعدَ كلامٍ طويل: وكانَ العُلماءُ في تلكَ الأزمِنَةِ مُتَكاثِرينَ ومُتَوافِرين، وكانَ القِيامُ بفَرْضِ الكِفايَة، مِن تعليمِ مَن ليسَ يعلَمُ حاصِلًا بِالبَعْضِ منهم، وقائِمًا به، فتَفَرَّغَ أمثالُ هؤلاءِ الَّذين ذكَرْناهم لِلعملِ والعِبادةِ والإعْتزالِ عن النَّاس، والإقبالِ بكُنْهِ الهِمَّةِ على الدَّارِ الآخِرَة، وترْكِ مايَشْغَلُهُم عن ربِّهِم، وعن طاعتِه، والتجَرُّدِ لِعِبادتِهِ كائِنًا ذلك ما كَان.

ثمَّ إنَّ مِن أهَمِّ المُهِمَّاتِ على سالكِي هذا الطَّريق، بعدَ أخْذِ ما لابُدَّ منه مِن العِلم، التَحَرِّيَ البالِغَ والحِرْصَ التَّامَّ على تناوُلِ الحلَال، ثمَّ على الإقْتصارِ منه على سَدِّ الضَّرورَةِ والحاجَةِ من المَطْعَمِ والمَلْبَس، ونحوِ ذلك مِن الحاجَاتِ المَعاشِيَّة، وأنْ لايَتساهَلُوا في ذلك، ولا يَأْخذوا فيه بِالرُّخْصَة، وما يجوزُ ممَّا هو شأنُ العامَّـة، بل يَجْتهدون في طلَبِ الحلَالِ المُطْلَق، الصَّافي عن جميعِ الشَّوائِب، فإنْ صفَا لهم ذلك وتَيسَّر، وهم بينَ ظَهْرَانَي النَّاس، وإلَّا خرجوا في طلَبِهِ إلى حيثُ يُوجَدُ ويتيسَّرُ، مِن المواضِعِ الَّذي يوجَدُ ذلك فيها، مِن الجبالِ والبرارِي الَّتي يوجَدُ فيها وُجودُ الأشياءِ المباحَةِ المُقتاتَةِ ولو مِن الحَشِيش. وقد أخَذَ بذلك واعتمَدَهُ كثيرٌ مِن رِجالِ اللهِ الَّذين لهم عِنايَةٌ بِصَفاءِ قُلوبِهم وصلاحِها، واسْتِعْدادِها لِمعرفةِ اللهِ والمُكَاشفَةِ بِأَسرارِهِ وغيوبِهِ في مُلكِهِ وملَكُوتِه، رضِيَ اللهُ عنهم أَجْمَعين. فقد بلَغَنا عن بعضِهِم، أنَّهُ كانَ يَقْتَـاتُ الحَشِيشَ حتَّى اخضَرَّ جسَدُه، وكان بعضُهُم إذا لم يَجِدِ الحلَالَ المُطْلَقَ يَسْتَفُّ مِن الرَّمْلِ الأَيَّامَ الكثيرَة، نُقِلَ ذلك عن سُفيانَ الثَّوْري، رحِمَه اللهُ تعالى، وغيرِه.

وأمَّا مايَقولُهُ العلماءُ، رحِمَه اللهُ عليهِم: إنَّ الحلالَ هو الَّذي لايعلَمُ الإنسانُ سببًا

ظاهرًا في تحريمه، وإنَّ مَن أكثرُ مالِهِ حلالٌ، تَجُوزُ مُعَاملتُه، فذلك هو الصَّحيحُ، والَّذي يسَعُ عامَّةَ المسلمينَ ويَتَيسَّرُ لهم، وما جَعَلَ اللهُ في الدِّينِ من حَرَجٍ، ولكنَّ الجائزَ والمُباحَ وموضِعَ الرُّخْصةِ والسَّعَةِ غيرُ الوَرَعِ والاِحْتياطِ والأخذِ بِعزائمِ الدِّين، ولكلِّ مَقامٍ رِجَال، ولكلِّ حالٍ مَقال.

وقد بالَغَ رِجَالٌ مِن هذا الصِّنفِ في الاِقْتصارِ مِن الحلَالِ الصَّافي على ما لابُدَّ مِنه في حفظِ القوَّةِ الَّتي لابُدَّ منها في إقامَةِ أمرِ الله، وفرائِضِ دينِه، وانْتَهى بعضُهُم إلى الاِقْتصارِ على حدِّ الضَّرورةِ مِن ذلك، ولهم في ذلك سِيَرٌ وأَقْوالٌ معرُوفَة، عن سهلِ بنِ عبدالله، وغيرِه من أَئِمَّتِهِم. وقد شرَحَ ذلك الإمامُ حُجَّةُ الإسلام، رحِمَه الله، في كتابِ كَسْرِ الشَّهوتَيْنِ مِن الإحياء وغيرِه، من كُتُبِهِ الَّتي أَلَّفَها في علومِهِم، وشَرْحِ طرائقِهِم. وقد كان أبو سُليمانَ الدَّارانيُّ، رحِمَه اللهُ تعالى، يقولُ: أَحْلَى ماتكونُ العِبادةُ إذا الْتَصَقَ بطني بِظَهْري. وقال أيضًا: لَأَنْ أترُكَ لُقْمَةً مِن عَشائِي أَحَبُّ إليَّ مِن قيامِ ليلَة. وأقوالُهم في ذلك كثيرةٌ مشهورَة.

وقد رَدَّ بعضُهم أُصولَ هذه الطَّريقةِ إلى أربعَة: قِلَّةُ الطَّعام، وقِلَّةُ المَنام، وقِلَّةُ الكلَام، واعْتِزالُ الأنَام. قال وبِها صارَ الأبْدالُ أَبْدالاً، وهي أركانُ بيتِ الوِلايَة، وفي ذلك يقولُ قائلُهم شِعْرًا:

بيتُ الوِلايةِ قَسَمَتْ أركانَه * ساداتُنا فيه مِن الأبدَالِ
ما بينَ صمتٍ واعتزالٍ دائمٍ * والجُوعِ والسهَرِ النَّزيهِ العالي

وقَد نظَّمْناها في بيتٍ مِن آخرِ التَّائيَّة، وهو:

وكُنْ في منامٍ والطَّعامِ وخِلْطةٍ * ونُطقٍ على حدِّ اقْتصارٍ وقِلَّةِ

وقال حاتِمُ الأصَمُّ: مَن أراد طَريقَنا هٰذا، فلْيُوَطِّنْ نفسَهُ على أربعَةِ ألوانٍ مِن المَوْت. موتٌ أبيَضُ وهو الجُوعُ، وموتٌ أحمَرُ وهو مُجاهَدةُ النفس، وموتٌ أخضَرُ وهو طَرْحُ الرِّقاعِ بعضِها على بَعْض، وموتٌ أسوَدُ وهو احْتِمالُ الأذى من الخَلْق، أو كما

قال. وقال الجُنَيْد، رحِمَه الله: لايَصْلُحُ طريقُنا هـذا إلا لِأقوامٍ كُنِسَتْ بـأَرْواحِهِم المزابِل، أيْ مِن تذلُّلِهِم لله، وتواضُعِهِم لِعبادتِه، وخشوعِهِم وخضوعِهِم لِعظَمتِه.

واعلَمْ أنَّ الصَّادقينَ مِن أهلِ هذا الطَّريقِ قد قَلُّوا وعَزُّوا حتَّى صاروا أعَزَّ مِن الكِبْرِيتِ الأحمَر، حتَّى قال بعضُ المُحقِّقين بِفَقْدِهِم، وخُلُوِّ الأرضِ منهم، وفي كلامِهِ نظَر. وقد يُعَبَّرُ عما قَلَّ وعَزَّ وجودُهُ بالمَفْقود، والأرضُ لاتخلُو عن قائِمٍ لِلهِ بحُجَجِه. وفي الحديث: [لَاتَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ، لَايَضُرُّهُمْ مَنْ نَـاوَأَهُمْ (أي خَذَلَهُمْ) حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ عَلَى ذٰلِكَ]. وفي الحديثِ الآخَر: [لَيَجِدَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ رِجَالًا مِنْ أُمَّتِي، هُمْ مِثْلُ حَوَارِيِّيهِ أَوْ خَيْرٌ مِنْهُمْ]، أو كما قال عليه الصَّلاةُ والسلام، ولكنَّهُم يقِلُّونَ ويستتِرونَ عند فسادِ الزَّمان، وعُمومِ الفِتَن، وغلَبَةِ الغَفْلَةِ والإعْراضِ عن الله. فمنهُم من يَعْتزِلُ النَّاسَ مع الإقامَةِ بينَ أظهُرِهِم، ومنهُمْ مَن يَسْتَتِرُ عنهم بحِرْفَةٍ ونحوِها، ومنهم مَن يخرُجُ إلى البرارِي والقِفَارِ فرارًا إلى اللهِ تعالى بِدِينِه، واحْترازًا مِن الفِتَنِ والمَفْتونِين.

قال بعضُ العارِفين: إنَّما خـرَجَ أهلُ الحقِّ من بـينِ أظهُرِ النَّـاسِ إلى القِفَار والبرارِي، لأنَّهُم لايُطِيقونَ النَّظرَ إلى علماءِ السُّوء، الَّذين هم عُلماءُ عند أنفسِهِم، وجُهَّالٌ عند أهلِ اللهِ مِن رِجَالِ الحَقِّ - انتهى ما ذكرَه بمعناه.

فأهلُ هذه الطَّريقةِ أَحْرَصُ النَّاسِ على الإسْتِتارِ والخُمولِ، والفِرارِ عن النَّاس، خصوصًا عند فسادِ الزَّمان، وإلى مثلِ هذه الطَّائفةِ الإشارةُ بمثلِ قولِه عليه الصَّلاةُ والسلام: [كَمْ مِنْ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ لَايُوبَهُ لَهُ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ. مِنْهُمُ البَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ]. وقال عليه الصَّلاةُ والسلام: [إِنَّ اللهَ يُحِبُّ العَبْدَ التَّقِيَّ الغَنِيَّ الخَفِيَّ]، يعني بالغنيِ الغنيَّ النَّفْسِ القَنوع.

وقال رجلٌ: [يَا رَسُولَ الله! أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: مُؤْمِنٌ مُجَاهِدٌ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ الله. قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ، يَعْبُدُ اللهَ وَيَدَعُ

النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ]. وقال عليه السلام: [يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرُ مَالِ الرَّجُلِ غَنَمًا، يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ وَمَوَاقِعَ القَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ].

وعن مُعاذ، رضيَ اللهُ عنه، قالَ: قال رسولُ اللهِ ﷺ: [اليَسِيرُ مِنَ الرِيَاءِ شِرْكٌ]. وقال عليه الصَّلاةُ والسلام: [مَنْ عَادَى أَوْلِيَاءَ اللهِ، فَقَدْ بَارَزَ اللهَ بِالْمُحَارَبَةِ] . . . [إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الأَبْرِيَاءَ الأَتْقِيَاءَ، الَّذِينَ إِنْ غَابُوا لَمْ يُفْقَدُوا، وَإِنْ حَضَرُوا لَمْ يُعْرَفُوا، قُلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ الدُّجَا، يَخْرُجُونَ مِنْ كُلِّ غَبْرَاءَ مُظْلِمَةٍ]. وقال عليه السلام: [أَغْبَطُ النَّاسِ عِنْدِي رَجُلٌ خَفِيفُ الحَاذِ، ذُو حَظٍّ مِنْ صَلَاةٍ، وَكَانَ رِزْقُهُ كَفَافًا وَصَبَرَ عَلَيْهِ، وَأَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ، وَكَانَ غَامِضًا فِي النَّاسِ، عُجِّلَتْ مَنِيَّتُهُ، وَقَلَّ نَوَائِحُهُ، وَقَلَّتْ بَوَاكِيهِ]. وفي مثلِهِ أَنْشدُوا شِعْرًا:

أخصُّ النَّـاسِ بـالإيمـانِ عبـدٌ * خفيفُ الحـاذِ مسكنُـهُ القِفـارُ
لـه بـالـليـل حظٌّ مِـن صـلاةٍ * ومِـن صـومٍ إذا طـلعَ الـنَّهـارُ
وفـيـه عِـفَّـةٌ وبـهِ خُـمـولٌ * إلـيـه بِـالأصـابـعِ لا يُشـارُ
وقـلَّ الـبـاكيـاتُ عـليـه لمَّـا * قضى نـحْبًـا وكـانَ لـه يسَـارُ

قال الشيخ الإمامُ عبدالله بن أسعد اليافعيُّ اليمنيُّ، رحِمَه الله، في كتابه [روض الرياحين] في الحِكايةِ الخامسةِ والأربعينَ بعد المائةِ منه: رُوي أنَّ أُوَيْسًا القرَنيَّ، رضِيَ اللهُ عنه، كان يَقْتَاتُ مِن المَزابِلِ، ويكتسِي منها، فنبَحَهُ كلبٌ على مَزْبلَة، فقال لَهُ أُويسٌ: كُلْ ممَّا يَلِيك! وأنا آكلُ ممَّا يَلِيني، ولا تنبَحْني، فإنْ جُزْتُ الصِّراطَ فأنا خَيْرٌ مِنك، وإلَّا فأنتَ خيرٌ مِنِّي! وكان أهلُهُ يقولُون: هو مَجْنونٌ، وأقارِبُهُ به يَسْتهزِءون، والصِّغارُ به يتولَّعُون، وبالحجارةِ يَرْجُمون، وفيه أقول:

سَقى اللهُ قـومًـا مِـن شـرابِ وِدادِهِ * فَهـامـوا بـه مـا بـينَ بـادٍ وحـاضِرِ
يَـظُنُّهُـمُ الجـهَّـالُ جُـنُّـوا ومـا بهِـمْ * جُنـونٌ سِوى حُبٍّ عـلى القومِ ظـاهِرِ

سُقوا بِكؤوسِ الحُبِّ راحًا من الهَوَى * فَـراحـوا سُكـارَى بِـالحبيبِ المُسـامِـرِ
يُنـاجُـونَـهُ في ظُلمـةِ اللَّيـلِ عنـدَمَـا * بـه قـد خلَوْا مِنهم أُوَيسُ بنُ عـامِـرِ

وفي الحديث، عن أبي هريرة، رضيَ اللهُ عنه قالَ، قال رسولُ اللهِ ﷺ: [إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ مِنْ خَلْقِهِ الأَصْفِيَاءَ الأَخْفِيَاءَ الأَبْرِيَاءَ، الشَّعِثَةَ رُؤُوسُهُمْ، المُغَبَّرَةَ وُجُوهُهُمْ، المُخْمَصَةَ بُطُونُهُمْ، الَّذِينَ إذَا اسْتَأْذَنُوا عَلَى الأُمَرَاءِ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُمْ، وَإِذَا خَطَبُوا المُنَعَّمَاتِ لَمْ يُجَابُوا، وَإِنْ غَابُوا لَمْ يُفْقَدُوا، وَإِنْ طَلَعُوا لَمْ يُفْرَحْ بِطَلْعَتِهِمْ، وَإِنْ مَرِضُوا لَمْ يُعَادُوا، وَإِنْ مَاتُو لَمْ يُشْهَدُوا. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! كَيْفَ لَنَا بِرَجُلٍ مِنْهُمْ؟ قَالَ: ذٰلِكَ أُوَيْسٌ القَرَنِيُّ .... الحديث إلى آخره]. وقد أَطَالَ في ذِكْرِ أُوَيسٍ، رحِمَه الله.

ثم قال نفَعَ اللهُ به، ورَضِيَ عنه وعنَّا به: وما كانَ فيه، أيْ أُوَيسٍ، مِن رَثاثَةِ الحَالِ، والتَّوحُّشِ والانْعِزال، وما نَسَبَ إليه الجُهَّالُ مِن الجُنونِ والاخْتِلال، مِن التَقَشُّفِ والابْتِذَال، وغيرِ ذلكَ مِن سائِرِ الأحْوَال، أَظْهَرُ دليلٍ لِمَن نَحا ذلك النَّحْوَ مِن الفقراءِ الصَّادقِين، ولا مُبَالاةَ بإِنْكارِ مَن يُنكِرُ عليهم، يزعُمُ أنَّ ذلك خِلافُ السُّنَّة، ولا يَدْرِي أنَّ السُّنَّةَ العُظْمَى هي تَرْكُ الدُّنيا، والإعْراضُ عن الوَرَى، والإقْبالُ على المَوْلَى، سُبحانَهُ وتعالَى.

﴿الفائدةُ الخامسة﴾

في نَفْيِ الرِّياءِ والعُجْب، والفَخْرِ، والكِبْر، ورؤيةِ العمَل

قَال سيِّدُنا الإمامُ حُجَّةُ الإسلامِ في بِدايَتِه: وأمَّا العُجْبُ والكِبْرُ والفخرُ، فهو الدَّاءُ العُضَال، وهو نَظَرُ العَبدِ إلى نفسِهِ بعَينِ العِزَّةِ والإسْتِعْظَام، ونَظَرُهُ إلى غَيرِهِ بعَينِ الذُّلِّ والإحْتِقَار، ونَتِيجَتُهُ على اللِّسان، أنْ يقولَ: «أنا . . . وأنا»، كما قَال إبليسُ اللَّعِينُ: [أَنَا خَيرٌ مِنْهُ، خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ، وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ].

وثمرتُهُ في المجالِسِ التَّرفُّعُ والتَّقدُّم، وطلبُ التَّصدُّرِ في المُحاورَة، والإسْتِنكافُ مِن أنْ يُرَدَّ كلامُه عليه. فالمُتكبِّرُ، الَّذي إنْ وُعِظَ أنِف، وإن وَعَظَ عَنَّف. فكُلُّ مَن رأى نفسَهُ خيرًا مِن أحدٍ مِن خَلْقِ اللهِ فهو مُتكبِّر، بل يَنْبَغي لك أنْ تعلَمَ «الخَيِّرُ مَن هو خَيِّرٌ عندَ اللهِ تعالى في الدَّارِ الآخرة»، وهو مَوْقوفٌ على الخاتِمَة، فاعْتِقادُكَ في نفسِكَ أنَّكَ خيرٌ مِن غيرِك جهلٌ مَحْضٌ، بل يَنْبَغي أنْ لاتنظُرَ إلى أحدٍ إلَّا ترَى أنَّه خيرٌ مِنك، وأنَّ الفضلَ له على نفسِك، فإن رأيتَ صغيرًا، قلتَ «هذا لم يَعْصِ الله، وأنا عَصَيْتُه، فلا شَكَّ أنَّه خيرٌ مِني». وإنْ رأيتَ كبيرًا، قلتَ «هذا قد عَبَدَ اللهَ قَبْلي، فلا شكَّ أنَّه خيرٌ منِّي». وإنْ رأيتَ عالِمًا، قلتَ «هذا قد أُعطِيَ ما لم أُعْطَ، وبلَغَ ما لم أَبْلُغْ، وعلِمَ ما جهلْتُ، فكيفَ أكونُ مثلَه». وإن رأيتَ جاهلًا، قلتَ «هذا قد عَصَى اللهَ بجَهْلٍ، وأنا عَصَيْتُهُ بعِلْمٍ، فحُجَّةُ اللهِ عليَّ آكَدُ، ولا أَدْري بما يُختَمُ لي وبما يُختَمُ له». وإنْ رأيتَ كافِرًا، قلتَ «لا أدري، عسى أنْ يُسلِمَ، فيُختَمَ له بخيرِ العمَلِ، ويَنْسَلَّ بإسلامِهِ مِن ذنوبِه، كما تَنْسَلُّ الشَّعَرةُ مِن العجِين. وأمَّا أنا، والعِياذُ بالله، فعسى أنْ يُضِلَّني اللهُ فأكفُرَ، ويُختَمَ لي بشرِّ العمَلِ، فيكونَ غدًا من المقرَّبِين، وأنا مِن المُبْعَدِين».

ولا يخرُجُ الكِبْرُ من قلبك، إلَّا بأَنْ تعرفَ أنَّ الكبيرَ مَن هو كبيرٌ عندَ الله، وذلك مَوْقوفٌ على الخاتِمَة، وهو مَشْكوكٌ فيه، فيَشْغَلُك خوفُ الخاتمةِ عن أنْ تتكَبَّرَ مع الشَّكِّ فيها على عِبادِ اللهِ تعالى، ويقينُـك وإيمانُـك في الحالِ لايُناقِضُ تجويـزَك التغيُّرَ في الاِسْتِقبال، فإنَّ اللهَ مُقَلِّبُ القُلوب، يهدِي مَن يشَاء، ويُضِلُّ مَن يشَاء.

والأخبارُ في الحسَدِ والكِبرِ والرِّياءِ كثيرةٌ، ويَكْفيك فيها حديثٌ واحِد، فقد روَى عبدُالله بنُ المُبارَكِ بإسنادِه، أنَّه قال لمُعاذٍ: يا مُعاذُ! حدِّثْني بحديثٍ سمعتَه من رسولِ اللهِ ﷺ قال: فبكَى معاذٌ حتَّى ظَنْنتُ أنَّه لايسكُتُ، ثم سكَت، وقال: واشَوْقاهُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ وإلى لِقائِه، ثم قال: سمعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ لي: [يَا مُعَاذُ! إنِّي أُحَدِّثُكَ بِحَدِيثٍ إنْ أَنْتَ حَفِظْتَهُ نَفعَكَ، وَإنْ أَنْتَ ضَيَّعْتَهُ وَلَمْ تَحْفَظْهُ انْقَطعَتْ حُجَّتُكَ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ. يَا مُعَاذُ! إنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ سَبْعَةَ أَمْلَاكٍ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ، وَجَعَلَ لِكُلِّ سَمَاءٍ مَلَكًا بَوَّابًا عَلَيْهَا، ﴿قَالَ﴾ فَتَصْعَدُ الحَفَـظَةُ بِعَمَلِ العَبْدِ مِنْ حِينِ يُصْبِحُ إلَى حِينِ يُمْسِي، لَهُ نُورٌ كَنُورِ الشَّمْسِ، حَتَّى إذَا صَعِدَتْ بِهِ إلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا زَكَّتْهُ وَكَثَّرَتْهُ، فَيَقُولُ المَلَكُ المُوَكَّلُ لِلْحَفَظَةِ: اِضْرِبُوا بِهٰذَا العَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ، أَنَا صَاحِبُ الغِيبَةِ أَمَرَنِي رَبِّي أَلَّا أَدَعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إلَى غَيْرِي. ﴿قَالَ﴾ ثُمَّ تَأْتِي الحَفَظَةُ بِالعَمَلِ الصَّالِحِ مِنْ أَعْمَالِ العَبْدِ، فَتُزَكِّيهِ وَتُكَثِّرُهُ، حَتَّى تَبْلُغَ بِهِ إلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَيَقُولُ لَهُمُ المَلَكُ المُوَكَّلُ بِالسَّمَاءِ الثَّانِيَةِ: قِفُوا وَاضْرِبُوا بِهٰذَا العَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ، إنَّهُ أَرَادَ بِعَمَلِهِ هٰذَا غَرَضَ الدُّنْيَا، وَإنَّهُ أَمَرَنِي رَبِّي أَلَّا أَدَعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إلَى غَيْرِي، إنَّهُ كَانَ يَفْتَخِرُ عَلَى النَّاسِ فِي مَجَالِسِهِمْ، أَنَا مَلَكُ الفَخْرِ. ﴿قَالَ﴾ وَتَصْعَدُ الحَفَظَةُ بِعَمَلِ العَبْدِ يَبْتَهِجُ نُورًا، مِنْ صَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَصَدَقَةٍ، وَأَعْجِبَ الحَفَظَةُ بِهِ، فَيُجَاوِزُونَ بِهِ إلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَيَقُولُ لَهُمْ المَلَكُ المُوَكَّلُ بِهَا: قِفُوا وَاضْرِبُوا بِهٰذَا العَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ، أَنَا مَلَكُ الكِبْرِ، أَمَرَنِي رَبِّي أَلَّا أَدَعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إلَى غَيْرِي، إنَّهُ كَانَ يَتَكَبَّرُ عَلَى النَّاسِ فِي مَجَالِسِهِمْ. ﴿قَالَ﴾ وَتَصْعَدُ الحَفَظَةُ بِعَمَلِ العَبْدِ يَزْهَرُ كَالكَوْكَبِ الدُّرِّيِّ، مِنْ تَسْبِيحٍ وَصَلَاةٍ وَحَجٍّ وَعُمْرَةٍ، حَتَّى يُجَاوِزُوا بِهِ إلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَيَقُولُ لَهُمُ المَلَكُ المُوَكَّلُ بِهَا:

قِفُوا وَاضْرِبُوا بِهٰذَا العَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ وَظَهْرَهُ وَبَطْنَهُ، أَنَا صَاحِبُ العُجْبِ، أَمَرَنِي رَبِّي أَلَّا أَدَعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي، إِنَّهُ كَانَ إِذَا عَمِلَ عَمَلاً دَخَلَ العُجْبُ فِيهِ. ﴿قَالَ﴾ وَتَصْعَدُ الحَفَظَةُ بِعَمَلِ العَبْدِ حَتَّى يُجَاوِزُوا بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الخَامِسَةِ، كَأَنَّهُ العَرُوسُ المَزْفُوفَةُ إِلَى بَعْلِهَا، فَيَقُولُ لَهُمُ المَلَكُ المُوَكَّلُ بِهَا: قِفُوا وَاضْرِبُوا بِهٰذَا العَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ، وَاحْمِلُوهُ عَلَى عَاتِقِهِ، أَنَا المَلَكُ المُوَكَّلُ لِلحَسَدِ، إِنَّهُ كَانَ يَحْسُدُ مَنْ يَتَعَلَّمُ وَيَعْمَلُ بِمِثْلِ عَمَلِهِ، وَكُلَّ مَنْ كَانَ يَأْخُذُ فَضْلاً مِنَ العِبَادَةِ كَانَ يَحْسُدُهُمْ، وَيَقَعُ فِيهِمْ، أَمَرَنِي رَبِّي أَلَّا أَدَعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي. ﴿قَالَ﴾ وَتَصْعَدُ الحَفَظَةُ بِعَمَلِ العَبْدِ، لَهُ ضَوْءٌ كَضَوْءِ الشَّمْسِ، مِنْ صَلَاةٍ وَزَكَاةٍ وَحَجٍّ وَعُمْرَةٍ وَجِهَادٍ وَصِيَامٍ، فَيُجَاوِزُونَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَيَقُولُ المَلَكُ المُوَكَّلُ بِهَا: قِفُوا وَاضْرِبُوا بِهٰذَا العَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ، أَنَا صَاحِبُ الرَّحْمَةِ، إِنَّهُ كَانَ لَا يَرْحَمُ إِنْسَانًا قَطُّ مِنْ عِبَادِ اللهِ تَعَالَى، أَصَابَهُ بَلَاءٌ أَوْ ضُرٌّ، بَلْ كَانَ يَشْمَتُ بِهِ، أَنَا مَلَكُ الرَّحْمَةِ، أَمَرَنِي رَبِّي أَلَّا أَدَعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي. ﴿قَالَ﴾ وَتَصْعَدُ الحَفَظَةُ بِعَمَلِ العَبْدِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، مِنْ صَلَاةٍ وَقِيَامٍ وَنَفَقَةٍ وَاجْتِهَادٍ وَوَرَعٍ، وَلَهُ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، وَضَوْءٌ كَضَوْءِ الشَّمْسِ، مَعَهُ ثَلَاثَةُ آلَافِ مَلَكٍ يُشَيِّعُونَهُ، فَيُجَاوِزُونَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ لَهُمُ المَلَكُ المُوَكَّلُ بِهَا: قِفُوا وَاضْرِبُوا بِهٰذَا العَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ، وَاضْرِبُوا بِهِ جَوَارِحَهُ، وَاقْفُلُوا عَلَى قَلْبِهِ، إِنِّي أَحْجُبُ عَنْ رَبِّي كُلَّ عَمَلٍ لَمْ يُرِدْ بِهِ رَبِّي، إِنَّمَا أَرَادَ بِعَمَلِهِ غَيْرَ اللهِ تَعَالَى، إِنَّهُ أَرَادَ بِهِ رِفْعَةً عِنْدَ الفُقَهَاءِ، وَذِكْرًا عِنْدَ العُلَمَاءِ، وَصِيتًا فِي المَدَارِسِ، أَمَرَنِي رَبِّي أَلَّا أَدَعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي، وَكُلُّ عَمَلٍ لَمْ يَكُنْ لِوَجْهِ اللهِ تَعَالَى خَالِصًا فَهُوَ رِيَاءٌ، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ عَمَلَ المُرَائِي. ﴿قَالَ﴾ وَتَصْعَدُ الحَفَظَةُ بِعَمَلِ العَبْدِ مِنْ صَلَاةٍ وَزَكَاةٍ وَحَجٍّ وَعُمْرَةٍ وَصِيَامٍ وَحُسْنِ خُلُقٍ وَذِكْرٍ للهِ تَعَالَى، وَتُشَيِّعُهُ مَلَائِكَةُ السَّمٰوَاتِ، حَتَّى يَقْطَعُوا بِهِ الحُجُبَ كُلَّهَا إِلَى اللهِ تَعَالَى، فَيَقِفُوا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَيَشْهَدُوا لَهُ بِالعَمَلِ الصَّالِحِ المُخْلَصِ للهِ، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى لَهُمْ: أَنْتُمُ الحَفَظَةُ عَلَى عَمَلِ عَبْدِي، وَأَنَا الرَّقِيبُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ، إِنَّهُ لَمْ يُرِدْنِي بِهٰذَا العَمَلِ، وَأَرَادَ بِهِ غَيْرِي، فَعَلَيْهِ لَعْنَتِي. فَتَقُولُ المَلَائِكَةُ كُلُّهَا: عَلَيْهِ لَعْنَتُكَ وَلَعْنَتُنَا! وَتَقُولُ السَّمٰوَاتُ كُلُّهَا: عَلَيْهِ

لَعْنَةُ اللهِ ولَعْنَتُنَا! وَتَلْعَنُهُ السَّمٰوَاتُ السَّبْعُ وَمَنْ فِيْهِنَّ.

﴿قَالَ مُعَاذٌ﴾ فَقُلْتُ يَارَسُولَ الله: أَنْتَ رَسُولُ الله، وَأَنَا مُعَاذٌ، كَيْفَ لِي بِالنَّجَاةِ وَالخَلَاصِ؟ قَالَ: نَعَمْ يَا مُعَاذُ! اِقْتَدِ بِي، وَإِنْ كَانَ فِي عَمَلِكَ تَقْصِيرٌ، يَا مُعَاذُ، حَافِظْ عَلَى لِسَانِكَ مِنَ الوَقِيعَةِ فِي إِخْوَانِكَ مِنْ حَمَلَةِ القُرْآنِ خَاصَّةً، وَاحْمِلْ ذُنُوبَكَ عَلَيْكَ، وَلَا تُحَمِّلْهَا عَلَيْهِمْ، وَلَاتُزَكِّ نَفْسَكَ بِذَمِّهِمْ، وَلَا تَرْفَعْ نَفْسَكَ عَلَيْهِمْ، وَلَا تُرَاءِ بِعَمَلِكَ كَيْ تُعْرَفَ بَيْنَ النَّاسِ، وَلَا تُدْخِلْ عَمَلَ الدُّنْيَا فِي عَمَلِ الآخِرَةِ دُخُوْلاً يُنْسِيكَ أَمْرَ الآخِرَةِ، وَلَا تَتَكَبَّرْ فِي مَجْلِسِكَ كَيْ يَحْذَرَ النَّاسُ مِنْ سُوءِ خُلُقِكَ، وَلَا تُنَاجِ رَجُلاً وَعِنْدَكَ آخَرُ، وَلَا تَتَعَظَّمْ عَلَى النَّاسِ فَتَنْقَطِعَ عَنْكَ خَيْرَاتُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَلَا تُمَزِّقِ النَّاسَ بِلِسَانِكَ فَتُمَزِّقَكَ كِلَابُ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي النَّارِ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا، هَلْ تَدْرِي مَا هُنَّ يَا مُعَاذُ؟ قُلْتُ: مَا هُنَّ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: كِلَابٌ فِي النَّارِ يَنْشِطْنَ اللَّحْمَ مِنَ العَظْمِ. قُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، يَا رَسُولَ الله، مَنْ يُطِيقُ هٰذِهِ الخِصَالَ، وَمَنْ يَنْجُو مِنْهَا؟ فَقَالَ: يَا مُعَاذُ! إِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، وَيَكْفِيْكَ مِنْ ذٰلِكَ أَنْ تُحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَتَكْرَهَ لَهُمْ مَاتَكْرَهُ لِنَفْسِكَ. فَإِذَا أَنْتَ قَدْ سَلِمْتَ.]

قَال خالدُ بن مَعدان: فما رأيتُ أحدًا أكثرَ تِلاوَةً لِلقُرآنِ مِن مُعاذ، لِهذا الحديث.

فتأمَّلْ، أيُّها الرَّاغبُ في طلَبِ العِلْمِ هذه الخِصالَ، واعلَمْ أنَّ مِن أعظَمِ الأسبابِ في رُسوخِ هذه الخَبائِثِ في القلبِ طلبَ المُباهاةِ والمُنافسَة. فالعاميُّ بمَعْزِلٍ عن أكثرِ هذه الخِصال، والمُتَفقِّهُ مُتهدِّفٌ لها، وهو مُتعرِّضٌ لِلهلاكِ بسببِها. فانظُرْ، أيُّ الأمورِ أهَمُّ عليك، أن تتعلَّمَ كيفيَّةَ الحذَرِ مِن هذه المُهلِكَات، وتشتَغِلَ بإصلاحِ قلبِك، وعمارةِ آخرتِك، أمِ الأهَمُّ أنْ تخوضَ مع الخائِضِين، فتطلُبَ من العِلْمِ ما هو زيادةُ الكِبرِ والرِّياءِ والعُجبِ والحسَد، فتهْلِكَ مع الهالِكِين.

واعلَمْ أنَّ هذه الخِصالَ، هي مِن أُمَّهاتِ خبائثِ القلب، ولها مَغرِسٌ واحِد، وهو

حُبُّ الدُّنيا، ولذلك قال ﷺ: [حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ]. ومع هذا فالدُّنيا مَزْرعَةُ الآخِرَة. ومَن أخذَ من الدُّنيا بقَدْرِ الضَّرورَة، ليستعِينَ به على الآخِرَة، فالدُّنيا مَزْرعَتُه. ومَن أرادَ الدُّنيا لِيَتَنعَّمَ بها، فالدُّنيا مَهلكَتُه.

﴿تتمة﴾ ومِن خطِّ الأَحْسائي أحمد الشجَّار، قال سيدُنا القُطب، عبدالله بن علوي الحداد، نفعَ اللهُ به، في بعضِ المُكاتَبَات: وللهِ الحمدُ، على حَسمِ مَوادِّ الشِّقاق، وحُصولِ مايُسَكِّنُ النُّفوس، وإخْمادِ نِيرانِ الفِتَنِ مِن كلِّ الوُجوه، ومِن بعضِها، حسْبَ ما يليقُ بمظاهِرِ الزَّمانِ والمَكانِ وأهلِه، والصَّبرُ سُلَّمٌ إلى كلِّ خَيْر، والصِّدقُ عِصْمَةٌ مِن كلِّ ضَيْر، وكُلُّ مَن تلَقَّى صَوادِرَ وبوادِرَ مِن أهلِ هذا الزَّمان، الدَّالَّةَ منهم على خُبْثِ الضَّمائِر، وإظلامِ السَّرائِر، بالاِسْتِنكارِ والاِسْتِبعاد، دلَّ ذلك منه على قِلَّةِ المعرِفَةِ بأحوالِهم، وأحوالِ زمانِهم، والمعرِفَةُ بذلك مُهِمٌّ، مُتَعَيِّنٌ بأَرْبابِ المراتِبِ الدينيَّةِ والدُّنيويَّةِ خُصوصًا، وذلك أنَّ العُرَى والرَّوابطَ الَّتي كانَتْ في قلُوبِ أهلِ الإيمانِ قد انْفَصَمَتْ وانْحَلَّتْ، أو كادَتْ يَعرِفُ ذلك مَن مارسَ أحوالَهُم، وشاهَدَ تقلُّبَاتِهم في معاملاتِهم الحَقِّيَّةِ والخَلْقِيَّةِ، فإنَّا للهِ وإنَّا إليه راجِعُون. تَمَسَّكُوا بِكتابِ الله، واعْتَصِمُوا بحَبْلِ الله، [وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ، فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ].

وقال نفعَ اللهُ به، في بعضِ المُكاتبات: ومَن أحَبَّ، مِن أهلِ هذا الزَّمان، أنْ يستَقِيمَ قلبُه، ويرضَى عنه ربُّه، فلْيُوَطِّنْ نفسَهُ على الصَّبرِ والفَقر، وضِيقِ المعيشَة، وقلَّةِ احْتِفالِ النَّاس به، فإنَّ الجَنَّةَ حُفَّتْ بالمَكارِه، كما أنَّ النَّارَ حُفَّتْ بالشَّهوَات، والهُدى هُدَى الله، والتَّوفيقُ بِيَدِ الله – انتهى.

ولْنَذْكُرْ قبلَ وُقوفِك، أيُّها النَّاظِرُ على الفائِدَةِ الَّتي فيها الخيرُ والشَّرُّ بمشيئَةِ الله، كلامًا هنا، فيه فائدةٌ عظيمَة، وهي:

﴿الفائدةُ السادسة﴾
في النَّهي عن الاحْتجاج بالقَدر

قال سيدُنا صاحبُ الرَّاتب، في [النصائح الدينية]: وأمَّا الاِحْتِجاجُ بالقَدَر، الَّذي يُجْرِيه الشَّيطانُ اللَّعينُ على أَلْسِنَةِ كثيرٍ مِن عامَّةِ المُسلمين، ففِيه خطَرٌ كثِير، وهو أنَّ أحدَهُم إذا قيلَ له، وقد تَرَكَ بعضَ الواجِبَات، وفَعَلَ بعضَ المُحرَّمَات، «لِمَ فعَلْتَ ذلك؟ وخالَفْتَ أمْرَ اللهِ تعالى وأمْرَ رسولِه؟» فيقول: «ذلـك مُقَدَّرٌ عـلَيَّ، ومَكْتوبٌ ومَقْضِيٌّ!» يَعذُرُ بذلك نفسَه، ويرفَعُ الحرَجَ عنها، ويحتَجُّ على اللهِ تعالى الَّذي له الحُجَّةُ البالِغَةُ على جميعِ خَلْقِهِ في كلِّ حَال، لايُسأَلُ عمَّا يَفعلُ، وهم يُسأَلون.

﴿وأقولُ﴾ إنَّ قولَ العاصي هذا، أَعْظَمُ مِن مَعْصِيَتِه، وأكثرُ ضررًا عليه في دُنيَاهُ وآخِرَتِه، لأنَّ هذه المَقالَةَ تدُلُّ مِن صاحبِها - إنْ قالَها عن اعتقادٍ باطنٍ - على تزَلزُلِ قواعِدِ دينِه من أصلِها، فمتى يَتُوبُ هذا العاصي، ومتى يندَمُ على فعلِهِ القَبِيح، ومتى يَسْتَغْفِرُ منه، وهو لايرَى له فعلاً، ويرَى أنه مَجْبورٌ ومَقْهور، ليس له اخْتِيارٌ ولا قُدْرَة، وهذا هو بِعَيْنِهِ مَذْهَبُ الجبَرِيَّة، وهم فِرقةٌ من المُبْتدِعين في الدِّين، يقولـون بعدَمِ الاِخْتِيار على ضِدِّ ماتقولُهُ المُعْتزِلَةُ، وهم فِرقةٌ أخرَى مِن أهلِ البِدْعَة. ومَذْهَبُ أهلِ الحَقِّ والسُّنَّةِ والجماعةِ وسَطٌ بينَ هاتَيْنِ الفِرقتَيْنْ، وهو كما قال بعضُ العلماء، خارِجٌ من بينِ فرْثٍ ودمٍ لبنًا خالِصًا سائِغًا للشَّاربِين.

ومُعْتقَدُ أهلِ السُّنَّةِ، جعلَنَا اللهُ تعالى مِنهُم بِفضلِه، أنَّه لايكونُ كائِن، صغيرٌ ولا كبِير، إلَّا بِقضائِهِ ومَشيئتِهِ وإرادتِهِ وقدرتِه، وأنَّ العِبادَ وأفعالَهُم، خيرَها وشرَّها، خَلْقُ اللهِ تعالى. ثم بعدَ ذلك، يُطالِبونَ أنْفُسَهُم بِامْتثالِ أَوَامِرِ اللهِ تعالَى كُلَّ المُطالَبَة، ولا يُرَخِّصون لها في تَرْكِ شيءٍ منها، ويَحْمِلُونها على تَرْكِ المَنهِيَّاتِ وعلى اجْتِنابِها رأسًا. وإنْ

وَقعوا في شيءٍ منها، بادَروا إلى اللهِ بالتَّوبَةِ والاِسْتغفار، إنْ فَرَّطوا في شيءٍ مِن الأوامِر، بادَرُوا للهِ بِقضائِه، وتابُوا إلى اللهِ مِن تَرْكِه، ولا يَحْتَجُّون على اللهِ لأنفُسِهم أبدًا، ولا يَعْذِرونها بِسَبْقِ القَدَر، ولا يُرَخِّصُون في ذلك. وحَسْبُكَ مِن القَدَرِ الإيمانُ بِه، خَيْرِه وشَرِّه. ثم كلِّفْ نفسَك الاِمْتِثالَ لأَوامرِ الله، والاِجْتِنابَ لِمَنْهِيِّه، وتُبْ على الدَّوام مِن تَقْصِيرِك عن القِيامِ بِحَقِّه، واسْتَعِنْ باللهِ وتوَكَّلْ عليه. وقد قال عليه الصَّلاةُ والسلام: [إذا ذُكِرَ القَدَرُ فَأَمْسِكُوا!] فنهَى عن الخَوْضِ فيه، لِما في ذلِك من الخَطَرِ وكَثْرَةِ الضَّرَر.

وسأَلَ رجُلٌ عليًّا، رضي اللهُ عنه، عن القَدَر، فقالَ في جوابِه: هُوَ بَحْرٌ عَميقٌ فلا تَلِجْه، وطَرِيقٌ مُظْلِمٌ فلا تَسْلُكْه، سِرُّ اللهِ تعالى قد خفِيَ عليك فلا تُفشِه!

وقد مَضى عملُ السَّلفِ والخَلَفِ من أهلِ الحقِّ، على الإيمانِ بالقَـدَر، خيرِهِ وشَرِّه، وانْعَقدَ إجْماعُهم، رَحْمَةُ اللهِ عليهم، على ذلك، وعلى الإمْساكِ عن الاِحْتِجاجِ بالقَضاءِ والقَدَرِ عند تَرْكِ الأَمْر، وإتْيانِ النَّهي. وكانوا يرَوْنَ ذلك مِن أعظَمِ المُنْكَرات، أَعْني الاِحْتجاجَ بِأَمرِ القَدَرِ عند ارْتِكابِ المُحَرَّم، وتَرْكِ الواجبات. فإنْ كنتَ مِن أهلِ الحقِّ، فَاقْتَدِ بهم، واسْلُكْ سبيلَهُم. وإلاَّ فقدْ سمعتَ ما قال اللهُ تعالى للمتَّبِعينَ غيرَ سبيلِ المؤمنين، واسمَعْهُ الآن. قال اللهُ تعالى: [وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ المُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَاتَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا].

ثم اعلَمْ، رحِمك الله، بأنَّه لايجوزُ، ولا يصِحُّ للمُؤمِن، أن يعتقِدَ في نفسِه أنَّه لاحرَجَ ولا جُناحَ عليه إذا ترَكَ واجبًا، أو فعَلَ مُحَرَّمًا، لأنَّ القدَرَ غالِبٌ له، وسابِقٌ عليه. ثم إذا صدَرَ منه فِعْلٌ أو تَرْكٌ لايَرضَى اللهُ تعالى به، فإنِ احتَجَّ بالقدَرِ على إقامةِ العُذْرِ لِنفسِهِ وهو باقٍ على الاِخْتِيارِ والتَّمييزِ، فقد احْتَملَ بُهتانًا وإثمًا مُبينًا. وقد خَشِيتُ أنْ تكونَ هذه البلِيَّةُ قد دَبَّتْ إلى أُناسٍ مِن المَنْسوبين إلى العِلْمِ والصَّلاحِ، فضلاً عن غيرِهم من عامَّةِ المسلمين، ويكادُ أن يَدُلَّ على وجودِ هذا الأمرِ مِنهم، أنَّه لايَظْهَرُ عليهم كثيرُ تَوجُّعٍ وتَأَلُّمٍ وتَأَسُّفٍ عند مايَصْدُرُ من بعضِهم ما يُلامُ عليه ويُذَمُّ به شرعًا، فلْيَتَّقِ

اللهَ مؤمنٌ أحسَّ مِن نفسِهِ بذلك، ولْيَتكَلَّفْ نَفْيَه عنها، ولْيعلَمْ أنَّ اللهَ لايعذرُهُ بالقدَر، ولا يقبَلُ منه الاِحْتِجاجَ بِه، ما دامَ مُخْتارًا أبدًا أبدًا. فإذا سمعْتَ مِن أحدٍ من المسلمين هذه الحُجَّةَ السَّاقِطة، فازْجُرْهُ عنها، وعرِّفْهُ بأنَّ إثمَهُ في الاِحْتِجاجِ بالقضاءِ والقدَرِ على تَرْكِ الأوامرِ وفِعْلِ المَحارِمِ أعظَمُ مِن إثمِهِ على نفسِ التَّركِ للواجِب، والفِعْلِ لِلحرَام. فلْيَتّقِ الله، ولا يجمَعْ على نفسِهِ بَلِيَّتيْن، ويقودُهما إلى سخَطِ ربِّه من جِهتَيْن.

وأمَّا ذِكرُ القضاءِ والقدَر، والتذكيرُ به عند الشَّدائدِ والبلايا والمَصائِب، فلا بأسَ به وهو احْتِجاجٌ على النَّفس، وليس احْتِجاجًا لها، لأنَّ العَبدَ المُبْتلَى والمُصاب، إذا علِمَ أنَّ المُبْتلِيَ له ربُّهُ الرَّحيمُ بِه، وأنَّه بذلك البلاءِ سبَقَ عليه الكِتابُ مِن اللهِ تعالى، تحقَّقَ وأيْقنَ أنَّ في ضِمْنِ ذلك له صَلاحًا وخيرًا كثيرًا، فيحمِلُهُ العلْمُ بذلك على الرِّضا والتَّسْليمِ للهِ العليمِ الحكِيم. فقد وضَحَ وتَبيَّنَ لك، أنَّ الاِحْتِجاجَ بالقدَرِ عند الأمرِ والنَّهيِ مَحْظورٌ ومَذْموم، فاحذَرْه، وعِند البلايا والمَصائبِ نافِع، ولكنْ لِمَن يعقِلُ عن اللهِ تعالى. قال اللهُ تعالى: [مَاأَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنْفُسِكُم إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا، إِنَّ ذٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ. لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَافَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ، وَاللهُ لاَيُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ.]

وإنْ تذكَّرَ العبدُ عِند المَصائبِ والبلايا ما وعَدَ اللهُ عليها مِن رَفْعِ الدَّرَجاتِ والحسنَات، والكفَّارَةِ للسَّيِّئات، فذلك حسَن، وهو أَنْفَعُ لعامَّةِ المسلمين، وأقربُ إلى أَفْهامِهِم، لأنَّ النَّظرَ إلى العلمِ الأزَلِي، والقضاءِ والقدَرِ السَّابِق، يَفتقِرُ إلى فِطْنةٍ وبصيرةٍ يخلو عنها كثيرٌ مِن النَّاس، بِخلافِ الوعْدِ الأخرَوِيّ، فإنَّ كلَّ أحدٍ يَفْهمُه، وكذلك الوعيد. ومِن أجلِ ذلك، كان التَّذْكيرُ بالوعْدِ والوعيدِ عامَ المَنْفعَة عِند البلايا، وعِند الطَّاعات، وعند المَعاصِي، وغير ذلك. ولهذا ترى كتابَ الله، وسُنَّةَ رسولِ الله، مشحونَيْنِ بِذِكْرِ الوعدِ والوعيد، والوَعْظِ والتَّذْكيرِ بهما، فافهَمْ هذه الجُمْلة، وتأمَّلْها راشِدًا، وتوكَّلْ على الله، إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتوَكِّلين، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا باللهِ العليِّ العظِيم.

﴿الفائدةُ السَّابعة﴾

في الإيمان بالقدر خَيره وشرّه

اعلَمْ أوّلاً أنَّ الإيمانَ، بأنَّ الخيرَ والشرَّ بمَشيئةِ اللهِ واجِبٌ على كلِّ مسلم، فيؤمِنُ بذلك، ويعرِفُه من الكُتُبِ الصحيحة، كما سنُبَيِّنُ ذلك. فاعلَمْ، أيُّها النَّاظرُ، أنَّ سيدَنا الحبيبَ الأعظَم، القُطْبَ الغَوْث، عبدَالله بن علوي الحدَّاد، أَوْرَدَ هذه الكلمة «اَلْخَيْرُ وَالشَّرُّ بِمَشِيئَةِ الله» في راتِبِه المشهُور، نفَعَ اللهُ به، لِعُظْمِ أجرِها وثوابِها، وهي من أَعْظَمِ ما في هذا الرَّاتِبِ الشَّريف.

وقد قال مُفْتي المسلمين، العالِمُ العلاَّمة، الشيخ محمد بن القاضي عجلون، رحمه الله، عند شَرْحِه على الأبيات في العَقِيدةِ الشَّيْبانِيَّة؛ قال صاحِبُ النَّظم، نفع اللهُ به:

ونُـؤمِـنُ أنَّ الخَـيرَ والشرَّ كـلَّهُ * مِن اللهِ تَقْـدِيـرًا عـلى العبـدِ عـددًا
فـما شاءَ ربُّ العـرشِ كـان كـما يشـا * ومـا لَمْ يشأْ لا كـان في الخَلْقِ مـوجِـدا

يعني أنَّ كلَّ حادِث، من خيرٍ أو شرٍّ، فهو مُسندٌ إلى قدرةِ اللهِ وإرادتِه. قال تعالى: [إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ]. والآياتُ الوارِدةُ في ذلك كثيرةٌ. ففي الحديثِ الصَّحيح: [كُلُّ شَيْءٍ بِقَضَاءٍ وَقَدَرٍ، حَتَّى العَجْزِ وَالكَسَلِ].

ثم فرَّغَ النَّاظِم قوله «فما شاءَ ربُّ العَرْشِ كان كما يَشَا . . . . .» إلى آخره، إشارةٌ إلى ماوَرَدَ عن النَّبي ﷺ، واشْتهَرَ بين السَّلفِ، وتلَقَّتْهُ الأُمَّةُ بالقَبُول، إنَّ ماشاءَ اللهُ كان، وما لَمْ يَشأْ لم يكُنْ.

وخالفتِ المُعْتزلةُ في هٰذين الأصلَيْن، فأنْكَروا إرادةَ اللهِ تعالى لِلشَّرِ، وقالوا: إنَّه

أراد مِن الكافرِ الإيمانَ لا الكُفْر، وأرادَ مِن العاصي الطَّاعةَ لا المَعْصية، زعْمًا منهم، أنَّ إرادةَ القَبيحِ قبيحَة، فعِندهُم يكونُ أكثرُ مايقَعُ من أفعالِ العِبادِ على خِلافِ إرادةِ اللهِ تعالى. وقد دلَّتِ الآياتُ على خلافِ قولِهم، كقوله تعالى: [فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ، وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا]. وقوله تعالى: [وَنَبْلُوكُمْ بالشَرِ وَالخَيْرِ فِتْنَةً]. وروى البيهقي بسنده، أن النبيَّ ﷺ قال لأبي بكر: [يَاأَبَابَكْرٍ! لَوْ أَرَادَ اللهُ أَنْ لَايُعْصَى، مَاخَلَقَ إِبْلِيسَ].

وقولُ المُعْتزلَة: إنَّ إرادةَ القبيحِ قبيحَة، هو بالنِّسْبةِ إلينا. أمَّا اللهُ تعالى فلا قبيحَ، أي إليه، فإنَّه مالِكُ الأمورِ على الإطلاَق، يفعَلُ مايشَاءُ ويختَار، لايُسأَلُ عما يفعَل، وهم يُسأَلُون. فإنْ قلتَ: ما معنى قولِ اللهِ تعالى: [مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ، وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ]، فإنَّ ظاهرَهُ يدلُّ على قولِ المُعْتزلَة، إنَّ السَّيِّئةَ ليستْ من اللهِ؟ فالجوابُ، أنَّ معناها لايُضافُ الشرُّ إلى اللهِ تعالى لإنْفِرادِ مُراعاةِ الأدَب، كما لايُقالُ «ياخالِقَ الخنازِير!»، وإنْ كان خالِقَها، ويُضافُ إليه عِند الجُملَة، كما قال اللهُ تعالى: [قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ]. ومن ذلك القبيلِ قولُه حكايةً عن إبراهيمَ عليه السلام: [وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ]. فأضافَ المَرَضَ إلى نفسِه، والشِّفاءَ إلى اللهِ تعالى، ولم يَقْدَحْ ذلك في كونِهِ تعالى خالِقَ المَرَضِ والشِّفاء، بل إنَّما فصَلَ بينَهُما رِعايةً للأدَب، أو إنَّ المعنى، إنَّ ما أصابَ الإنْسانَ مِن بَليَّةٍ فمِن نَفْسِه، أي بِذُنوبِه، كما قَال تعالى: [وَمَاأَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ]، واللهُ أعلَم.

﴿قلتُ﴾ فافهَمْ قولَه «ويُضافُ إليه عند الجملَة»، كما قال تَعالى: [قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ]، ففي الرَّاتِبِ الإضافةُ إليه بالجُملة. قال رضِي اللهُ عنه «اَلْخَيْرُ وَالشَّرُّ بِمَشِيئَةِ اللهِ»، وافهمْ قولَه «بمشيئةِ الله» ولم يقُلْ «من عندِ الله»، ولو كان إضافةُ الجُملةِ مَدْحًا له جلَّ وعلا، كما قال الإمامُ الغزالي في [المقصد الأسنى]، لكنَّ صاحبَ الرَّاتِبِ الشَّريفِ تأدَّبَ أدَبًا زائِدًا، واللهُ أعلَم، وإلاَّ فهو سُبحانَهُ قال: [وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِ وَالخَيْرِ] . . . الآية، فأضافَهما إليه، ولم يُضِفْهُما إلى المَشِيئةِ، فهو أخصُّ، فافهَمْ.

ثم ﴿قال﴾ حُكِيَ أنَّ القاضيَ عبدَالجبَّار الهَمْداني، أحَدَ شُيوخِ المُعْتزلَة، دخَلَ على الصَّاحِبِ ابنِ عباد، وعِندَهُ الأستاذ أبو إسحاق الأسْفَرايِني، أحَدُ أئمَّةِ أهلِ السنَّة. فلمَّا رأى الأستاذ، قال: «سُبْحانَ مَن تَنَزَّهَ عن الفَحْشاء». فقال الأستاذ على الفَوْر: «سُبْحانَ مَن لايَقَعُ في مُلكِهِ إلا مايشَاء». قال القاضي عبدُالجبار: «أيَشاءُ ربُّنا أن يُعصىَ؟» قال الأستاذ: «أفيُعْصَى ربُّنا قَهْرًا؟» فقال القاضي: «أفرأيتَ إنْ منَعَني الهُدَى، وقَضى عليَّ بالرَّدَى، أأَحْسَنَ إليَّ أم أساءَ؟» فقال الأستاذ: «إنْ منَعَك ممَّا هو لك فقد أسَاء، وإنْ منعَك عمَّا هو له، فيختَصُّ برَحْمتِهِ مَن يشاء» - انتهى.

﴿قلتُ﴾ قولُه: لايُضافُ الشرُّ إلى اللهِ عند الإنْفِرادِ مُراعاةً لِلأدَب، ويُضافُ إليه عند الجُملَة، كما قال تعالى: [قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ الله]. هذه صِفةٌ مُسْتحسَنةٌ رفيعةٌ عالِيَة، لأنَّ الأمورَ كُلَّها بيد الله، لا بيَدِ غيرِه. وقد أكثرَ منها ساداتُنا الصُّوفيَّةُ الأكابِر، المُعْتمَدون في أَوْرادِهِم، لأجلِ العقائِد.

قال الإمام النوويُّ في حِزْبِه: [اَللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ غَيْرِي، وَمِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ رَبِّي، وَذَرأَ وَبَرأَ].

وقال الإمامُ أبو الحسن الشاذلي في حِزْبِه، المُسَمَّى بحِزْبِ البَرّ: [يَاوَهَّابُ يَاعَلِيمُ، نَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَاخَلَقْتَ].

وفي [إحياء علوم الدين] للغزالي دعاءٌ لسيدِنا أبي بكر الصِّدِّيق، رضِيَ اللهُ عنه، قال: ويُقرأُ كلَّ يَوْم، وفيه كذا كذا من الفَضْل. وأتَى فيه سيدُنا أبو بكر بمثلِ ما في حِزْبِ البَرّ، ذكَرَهُ في كتابِ المَوْت. وذُكِرَ أيضا في الإحياء دعاءُ علي، كرَّمَ اللهُ وجهَه، فقال: رواه عن النبي ﷺ بأنَّ اللهَ يُمَجِّدُ نفسَه كلَّ يومٍ ويقول: «إِنِّي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا رَبُّ العَالَمِينَ» . . . إلى أنْ قال في أثْنائِه: إِنِّي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، خَالِقُ الخَيْرِ وَالشَّرِّ» . . . إلى آخِرِ الدُّعاء. ويقول قبلَ كلِّ كلمة «إِنِّي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا»، قال الغزالي: فمَن دعا بهذا الدعاء، فلْيقُلْ «إِنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» كذا وكذا، فمن دعا بهذا

الدعاء، كُتب من السَّاجدِين المُخْبتين، الَّذينَ يُجاورون محمدًا وإبراهيمَ وموسى وعيسى والنَّبيّين في دارِ الجَلال، وله ثوابُ العابِدين في السَّمٰواتِ والأرَضِين - انتهى من الإحياء للغزالي، نفع اللهُ به.

وقال سيدُنا القُطبُ الغَوْث، عبدُالقادر الجيلاني، نفَعَ اللهُ به في حِزْبه، المُسَمَّى تسبيحَ الكِبرِياء: [لَا إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ، خَالِقُ الخَيْرِ وَالشَّرِّ، لاَشَرِيكَ لَهُ وَحْدَهُ، لا إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ].

وقال الإمامُ أحمد بن موسى بن عُجَيل في حِزْبِهِ الَّذي يُقرأُ كلَّ يومٍ، وأوله: [الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَذْهَبَ بِاللَّيْلِ مُظْلِمًا بِقُدْرَتِهِ، وَجَاءَ بِالنَّهَارِ مُبْصِرًا بِعِزَّتِهِ . . . إلى أن قال: وَإِنَّ الخَيْرَ مِنَ اللهِ، وَالشَّرَّ بِقَضَاءِ اللهِ، هٰذِهِ عَقِيدَةٌ اعْتَقَدَهَا قَلْبِي، وَنَطَقَ بِهَا لِسَانِي].

وقال سيدُنا العلامة، عمر بن سيِّدِ القُطْب أبي بكر ابن سالم باعلوي، نفع اللهُ به، في حزبه: [اَللَّهُمَّ اجْعَلْنَا رَاضِينَ بِقَضَائِكَ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَمُعْتَرِفِينَ أَنْ لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لاَ فِي طَاعَةٍ وَلاَ فِي مَعْصِيَةٍ إِلاَّ بِكَ، مَاشِئْتَهُ كَانَ، وَمَا لَمْ تَشَأْ لَمْ يَكُنْ.]

وقال سيدُنا العلامة أحمد بن عمر الهِنْدُوان علوي في حِزْبه: [آمَنْتُ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ]. وفي أورادِ ساداتِنا آل أبي علوي، وغيرهم من العلماء الأعلام من ذلك شيءٌ كثير، وفي هذا القَدَرِ كِفايَة.

وقال سيدُنا الوالد، أحمد بن الحسن بن عبدالله الحدَّاد، نفَعَ اللهُ به، آمين، في كِتابِه [سبيل الهداية والرَّشاد]، في ذكرِهِ نُبْذَةً مِن فضائلِ راتبِ سيدنا الحداد: ومَن زَعَمَ أنَّه لايُضافُ الخيرُ والشرُّ إلى مشيئةِ الله، فيَنْبني على هذا الزَّعْمِ الفاسِدِ تَحْرِيمُ قراءةِ كثيرٍ من الآيات القرآنيَّة، والأحاديث، والأدعيَةِ النبويَّة، والعقائدِ الإيمانيَّة، كما أشرْنا إلى طرَفٍ مِن ذلك عِند قولِ صاحبِ الرَّاتِب «اَلْخَيْرُ وَالشَّرُّ بِمَشِيئَةِ الله» أوَ ما علِمَ الغبِيُّ أنَّ هذه الكلمةَ صفةُ مدْحٍ، لا صفةُ ذَمٍّ. فقد قال الإمامُ حجَّةُ الإسلام الغزالي، نفَعَ اللهُ به، في الفصلِ الثالثِ من كتاب [المقصد الأسنى]، ولا نقول للهِ تعالى «يَا مُذِلُّ»، ونقول «يَا مُعِزُّ يَا مُذِلُّ»، فإنَّه إذا جُمِع بينهما كان وصفَ مَدْحٍ، إذ يدلُّ على أن طرفَي الأمورِ

بِيدِه، وأيُّ فَرْقٍ بين قوله تعالى: [وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالخَيْرِ] وبين قولِ صاحبِ الرَّاتِبِ «الخَيْرُ وَالشَّرُّ بمَشِيئَةِ الله»، بل الذي في الآية أخصُّ، لأنَّه أضافَ فيها ذلك إلى نفسِه، والَّذي في الرَّاتِبِ مُضَافٌ إلى مَشِيئَتِه تعالى، فافهَمْ، واللهُ أعلَم. قال اللهُ تَعالى: [وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ]. وقال تعالى: [قُلْ إِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ]. وقال تعالى: [وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ]. وقال تعالى: [وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ]. وقال تعالى: [وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا] . . . إلى غيرِ ذلك من الآياتِ في هذا المعنى. وأيُّ شَرٍّ أشرُّ من الضَّلالِ القائدِ صاحبَهُ إلى التوَرُّطِ في دارِ النَّكالِ والوبال، وقد سمَّى نفسَه عزَّ وجلَّ الضارَّ النافِع.

قال الإمامُ الغزالي، رحِمه اللهُ تعالى: كِلا هٰذيْنِ الاِسْمَين الكريمَيْن، هو الَّذي يَصْدرُ منه الخيرُ والشرُّ، والنفعُ والضرُّ، وكل ذلك منسوبٌ إلى اللهِ تعالى، إمَّا بواسطةِ الملائكَةِ أو الإنسِ أو الجمادَات، أو بغيرِ واسِطَة. فلا تَظُنَّ أنَّ السُّمَّ يقتلُ ويضُرُّ بنفسِه، وأنَّ الطعامَ يُشبعُ وينفعُ بنفسِه، وأنَّ المَلَكَ والإنسانَ والشَّيطانَ وغيرَهم من الحيواناتِ أو شيئًا من جميعِ المخلوقاتِ من فلَكٍ وكوكَبٍ وغيرِهما، يقدرُ على خيرٍ أو شَرٍّ أو نفعٍ أو ضُرٍّ بنفسِه، بل كلُّ ذلك أسبابٌ مسخَّرةٌ لايَصدرُ منها إلا ما سُخِّرَتْ له، وخُلِقَ فيها . . . إلى أن قال: وجملةُ ذلك بالإضافةِ إلى القدرةِ والإرادةِ الأزَلِيَّتَيْن، كالقلمِ بالإضافةِ إلى الكاتبِ في اعتقادِ العامِّي. ثم أتى رحِمه اللهُ بدُعاءِ عليٍّ، كرَّم اللهُ وجهَهُ المتقدِّم، ثم قال: وقد ورَدَ عن النَّبي ﷺ في دُعاءِ قُنوتِ الصُّبح «وَقِني شَرَّ مَاقَضَيْت». قال العلماءُ: لو تركَ المصلِّي كلمةً من هذا القُنوتِ الواردِ في الصُّبح، نُدِبَ له أن يسجُدَ للسَّهو، فأعظِمْ بكلمةٍ يُسَنُّ لتاركِها سجودُ السَّهو، ومن المعلوم أنَّ سجودَ السَّهْوِ إنَّما شُرِعَ لجَبرِ الخَلَلِ في الغالب، أو إرغامِ الشَّيطانِ عند الزيادَة، فافهَمْ.

وصحَّ أيضًا عنه، عليه السَّلام، أنَّه كان يتعوَّذُ من «جَهْدِ البَلَاء، وَدَرَكِ الشَّقَاء، وَسُوءِ القَضَاء». وجاء أيضا نسبةُ الشَّرِ إليه تعالى في أحاديثَ كثيرَة، من ذلك قوله ﷺ:

[إذا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ شَرًّا، جُعِلَ صَنَائِعُهُ وَمَعْرُوفُهُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِ الحِفْظِ. وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ شَرًّا، جُعِلَ فَقْرُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ. وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ شَرًّا، أَمْسَكَ عَنْهُ (يَعْنِي العُقُوبَةَ) فِي الدُّنْيَا حَتَّى يُوَافِيَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ. وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِأَهْلِ بَيْتٍ شَرًّا، تَرَكَهُمْ هَمَلًا. وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ شَرًّا، أَكْثَرَ جُهَّالَهُمْ وَأَقَلَّ فُقَهَاءَهُمْ. وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ شَرًّا، وَلَّى عَلَيْهِمْ سُفَهَاءَهُمْ، وَقَضَى بَيْنَهُمْ جُهَّالُهُمْ، وَجَعَلَ المَالَ فِي بُخَلَائِهِمْ. وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ شَرًّا، رَزَقَهُمْ الخُرْقَ فِي مَعَائِشِهِمْ. وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ شَرًّا خَضَّرَ لَهُ فِي اللَّبِنِ وَالطِّينِ حَتَّى يَبْنِيَ. وَإِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يُزِيغَ عَبْدًا، عَمَّى عَلَيْهِ الحِيَلَ] - انتهى مُلْتقطا من [الجامع الصغير] للإمام السُّيوطي، رحمه اللهُ تعالى. فتبيَّنَ بما ذكرناه غلطُ مَن قال: لايجوزُ نِسْبةُ الشَّرِ إلى اللهِ تعالى، لأنَّ الشرَّ يُطلَقُ على مَعانٍ كثيرَة، منها الضُّرُّ والسَّقَمُ والشِّدَّةُ والفقرُ، كما فسَّروه بذلك في قوله تعالى: [وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالخَيْرِ فِتْنَةً]. وقوله عز وجل: [إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا. إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا]. ويُطْلَقُ أيضا على فعلِ ما يُخالِفُ الشَّرْع.

قال الغزالي، رحمه الله، في كتاب قواعد العقائد: إنَّ المعاصيَ والجرائمَ، إنْ كان اللهُ يكرهُها ولا يُريدُها، وإنَّما هي جارِيةٌ على وَفْقِ إرادةِ إبليسَ، لعنه الله، مع أنه عدوٌّ لله، فالجاري على وَفْقِ إرادةِ العَدُوِّ أكثرُ من الجارِي على وَفْقِ إرادتِهِ تعالى، فياليْتَ شِعْري! كيفَ يَسْتجيزُ المسلمُ أنْ يردَّ مُلكَ الجبَّار ذا الجلالِ والإكرامِ إلى رُتبةٍ لو رُدَّتْ إليها رِئاسةُ زَعيمِ ضَيْعَةٍ، يَعني قَريةً صَغيرةً لاسْتَنْكَفَ مِنها. والمَعصيَةُ هي الجارِيةُ على الخَلق، وكلُّ ذلك جارٍ عند المُبْتدِعةِ المُعْتزِلَة على خلافِ إرادةِ الخَلق، وهذا غايةُ الضُّعفِ والعَجْز، تعالى ربُّ الأربابِ عن قولِ الضالّين علُوًّا كبيرًا - انتهى.

قال رضيَ اللهُ عنهُ في كِتاب المحبَّةِ والشَّوق من الإحياء: فإنْ قلتَ: قد ورَدَتِ الآياتُ والأَخْبارُ والآثارُ بالرِّضا بِقَضاءِ الله، فكَراهتُها أو بُغْضُها كَراهةٌ لِقضاءِ الله، فكَيْفَ السَّبيلُ إلى الجَمْع، وهو مُتَناقِضٌ على هٰذا الوَجْه؟ فكَيف يُمكِنُ الرِّضا والكَراهةُ في شَيْءٍ واحِد؟

فاعلَمْ أنَّ هذا يَلتبِسُ على الضُّعفاءِ والقاصِرين عن الوقوفِ على أَسْرارِ العلُوم، وأطال رضِيَ اللهُ عنه في تفصِيلِ ذلك، وهذا كلُّه يُستمَدُّ من سرِّ القُدْرةِ الَّذي لا رُخصة في إفْشائِه، وهو الخيرُ والشرُّ، كلاهما داخلانِ في المشيئةِ والإرادَة، ولكنَّ الشرَّ مرادُهُ مكرُوه، والخيرَ مرادُهُ مرضيٌّ بِه. فمَن قال: ليس الشرُّ من اللهِ فهو جاهِل. وكذا عمَّن قال: إنَّهما جميعًا من اللهِ من غيرِ افتراقٍ في الرِّضا والكراهةِ فهو مُقصِّرٌ، وكشفُ الغطاءِ عنه غيرُ مأذونٍ فيه . . . إلى آخر ما قال نفَعَ اللهُ به - انتهى ملخصا.

وقال العارفُ بالله، أبو طالِب المكيُّ، رحِمه اللهُ تعالى، في كتابه [قوت القلوب] عند ذكرِهِ المقامَ الثانيَ من المُراقبَة، فتكلَّمَ في ذلك . . . إلى أن قَال: وقد أحكَمَ اللهُ ماذكَرْناه في توحيدِ نفسِهِ بالمشيئةِ والأفعَال، ونهيِهِ عن الشِّرْكِ به، وضرَبَ الأمثال، وعجِبَ ممَّن سوَّى بينَه وبينَ خلقِهِ في الأحكَام، وجعل ذلك جُحُودًا له ولِنعمتِه، وشِرْكًا له في مُلكِه، وأخبرَ به عن المشركين وإضلالِهم أتباعَهم بعد ضلالِهم المبين، وإضلالِهم بتسوِيَتِهم بينه وبين عبادِه في الأحكامِ حرَّ الجحيمِ في قوله تعالى: [قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ. تَاللهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ. إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ العَالَمِينَ. وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا المُجْرِمُونَ]. قيل نزلتْ في القدَرِيَّة، لأنَّهم أضافوا الحولَ والقوَّةَ في الشرِّ إلى الخلقِ، فسوَّوْا بينَهُم وبينَ الخالِق، وقد قال الله: [وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ]. فأضاف الأعمالَ إلى نفسِه، وإلى أنَّه خلقَها، كخلقِه إيَّاهم، فهم المجرمون الَّذين نزلتْ فيهم هذه الآيةُ الَّتي ذكر فيها القَدَرِيَّة، فوُصِفوا بإنكارِهِم في قوله تعالى: [إِنَّ المُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ. يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرٍ. إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ]، وهم المجرمون الَّذين أضلُّوا أَشْياعَهم، وهم الغاوُونَ الَّذين كُبْكِبوا في النَّارِ مع أشياعِهِم . . . وأطالَ في ذلك إلى أن قال: قال بعضُ العارفين: الخَلْقُ أهونُ على اللهِ مِن أن يَعْصُوه عزَّ وجلَّ بِما لم يُرِدْه، واللهُ أَعزُّ وأَجلُّ مِن أنْ يُرضِيَه إلَّا ماأحبَّ، لكنَّه غضِبَ على قومٍ في العدَم، فلمَّا أظهرَهم استعملَهم بأعمالِ أهل الغضَبِ ليُحِلَّهم دارَ الغضَب، ورضي عن قومٍ في العدَم، فلمَّا أظهرَهُم استعملَهُم بأعمالِ أهلِ الرِّضا ليُحِلَّهُم دارَ

الرِّضا. ثم قال: وحُدِّثْتُ عن بعضِ هذه الطَّائفَةِ أنَّه قال: كان بقِيَ في نفسي شيءٌ من القدَر، وكنتُ أستكشِفُه من العلماء، فلا ينكشِفُ حتى قيَّضَ اللهُ لي بعضَ الأبدال، فاستكشفتُهُ إيـاه، فقال: ويْحَـك ماتصنَـعُ بالاِحْتجـاج؟ نحن نكشِفُ لك عن سرِّ الملَكوت، فتنظُرُ إلى الطَّاعات تَنزِلُ صُوَرًا من السَّماءِ حتى تقَعَ على جوارحِ قومٍ، فتتحرَّكُ الجوارِحُ بها، وتنظُرُ إلى المعاصي صُوَرًا مصوَّرَةً تنزِلُ من السَّماء، فتقَعُ على جوارحِ قومٍ، فتتحرَّكُ الجوارحُ بها. ﴿قال﴾ فكشَفَ اللهُ عن قلبِي القدَر، وأَوْقَعَ لي العِلْمَ بمُشاهدةِ القدَر - انتهى مُلَخَّصا من الكتاب المذكور.

وأمَّا القُبحُ والظُّلمُ، فلا يُضافانِ إلى اللهِ سُبحانه، لأنَّهما لايُتصوَّرانِ في حقِّه عزَّ وجلَّ، لأنَّ القبيحَ كما قال الإمامُ الغزالي: ما لايُوافِقُ الغرضَ حتى أنَّهُ قد يكونُ الشيءُ قبيحًا عند شخصٍ، حسَنًا عند غيرِه، إذا وافقَ غرَضَ أحدِهما دون الآخَر، حتَّى قد يُستقبَحُ قتلُ الشخصِ أولياءَه، ويَستحسِنُه أعداؤُه، فإنْ أُريدَ بالقبيحِ ما لايُـوافِقُ غرضَ الباري، فهو مُحَال، إذ لا غرضَ له، فلا يُتصوَّرُ منه قبيح، كما لا يُتصوَّرُ منه ظُلْم، لأنَّه متصرِّفٌ في مُلكِه، والظُّلمُ هو عبارةٌ عن التصرُّفِ في مِلكِ الغَيْر، وهو مُحَالٌ على اللهِ تعالى، فإنَّه لاتصرُّفَ لغيرِه حتى يكونَ تصرُّفُهُ فيه ظُلْمًا. وإنْ أُريدَ بالقبيحِ ما لايُوافِقُ غرَضَ الغَيْر، فلِمَ قلتُم إنَّ ذلك عليه مُحَال، وهل هذا إلا مجرَّدُ تَشَهٍّ - انتهى ملخصا.

﴿أقول﴾ ومع ذلك كلِّه، ففَرقٌ بين قولِك «الشَّرُّ بمَشِيئَةِ الله» وقولِك «الشَّرُّ مِنَ الله» عِند مَن له فَهْمٌ وغَوْصٌ على المَعانِي، فإنَّه سُبْحانَه قالَ في الآية [قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ الله]، ولم يقُل «مِنَ الله». قال محيي الدين ابن العربي: ففصَّلَ بين ما كان من الله، وما يكون من عنده.

وأمَّا احتجاجُ القدَرِيَّةِ الَّذين هم مَجُوسُ هذه الأمَّة، كما ورد في الحدِيث، بما ورَدَ في دُعائِه ﷺ «وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ»، فقد أجاب النوويُّ، رحِمه اللهُ تعالى، في [الأذكار]،

فقال: وأمَّا قولُه ﷺ «وَالشَّرُّ ليسَ إليك»، فاعلَمْ أنَّ مذهبَ أهلِ الحقّ من المحدِّثين والفقهاءِ والمتكلِّمين من الصَّحابةِ والتَّابعين، ومَن بعدَهم من علماءِ المسلمين، أنَّ جميعَ الكائِنات، خيرَها وشرَّها، ونفعَها وضرَّها، كلُّها من اللهِ سبحانه وتعالى، وبإرادتِه وتقديرِه. وإذا ثبتَ هذا، فلابدَّ من تأويلِ هذا الحديث. وذكرَ العلماءُ فيه أجوبةً: -

الأول: وهو ما قاله النَّضرُ بنُ شُمَيل، والأئمَّةُ بعده، والشرُّ لايُتقرَّبُ به إليك.

الثاني: لايصعَدُ إليك، إنَّما يصعَدُ إليك الكَلِمُ الطيِّب.

الثالث: لايُضاف إليك أدَبًا، ولا يُقالُ «يا خالقَ الشّرِ»، كما لايُقال «يا خالقَ الخنازير»، وإن كان خالِقَها.

الرابع: ليس الشرُّ بالنسبة إليك، وإلى حكمتِك، فإنَّك لاتخلقُ شيئًا عبثًا.

واللهُ أعلم - انتهى كلام النووي، رحمه الله.

فانظرْ كيف اضطُرَّ أهلُ السنَّةِ والجماعةِ إلى تأويلِ هذا الحديثِ لِئلَّا يكونَ فيه حجَّةٌ لأهلِ البِدْعَة، وكيف صحَّحَ النوويُّ، رحِمه الله، ما قاله النَّضْرُ بنُ شُمَيل والأئمَّةُ بعدَه، والثاني والرابعُ في معناه. وأمَّا الثالثُ فهو ضعيفٌ بالنسبةِ إلى القولَيْنِ اللذَيْن قبلَه، والقولِ الذي بعدَه، كما أشارَ النوويُّ، رحِمه الله، بقولِه في الأولِ إنَّه الأشهَرُ، وعزَاه إلى الأئمَّةِ، وما قدَّمْناه من الأدلَّةِ على جوازِ ذلك، وعلى تقديرِ صحَّتِه وأوليَّتِه، فهو مخصوصٌ بما إذا أُفردَتِ النسبَة، وليس في الرَّاتبِ إفرادُها، بل هي مقرونةٌ بنسبةِ الخَيْر.

وقد قدَّمنا عن الإمام الغزالي، أنَّ ذلك يكونُ صِفَةَ مَدْحٍ لا صفةَ ذَمٍّ، فانظرْه مع قولِ النوويّ، رضِيَ اللهُ عنه، لا يُضافُ إليك أدَبًا، ولم يقُلْ لايجوزُ تعرفْ شَطْحَ القَدَرِيَّة. وأيضًا لايُقاسُ عليه قولُك «ياخالِقَ الشّرِّ» بقولِك «ياخالِقَ الخنازيرِ والكِلاب» ونحوِ ذلك مما هو سوءُ أدَب، فإنَّه لم يَرِدْ شيءٌ منه في الكتابِ العزيز، ولا في شيءٍ من الأحاديثِ والأدعيَةِ النبويَّة، ولا في عقائدِ أهلِ السنَّةِ، ولا في شيءٍ من أورادِ الصَّالحين،

بخلافِ نسبةِ الشرّ، فإنَّه ورَدَ فيه كثيرٌ من ذلك، كما أشرْنَا إلى ذكرِ شيءٍ من ذلك في هٰذا النَّقل.

وأمَّا احْتِجاجُهُم بقولِه تعالى: [مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ، وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ]، فقد ردَّ عليهم أهلُ السنَّةِ بما هو معرُوف.

قال الإمام البغويُّ: فإنْ قِيلَ كيفَ وجهُ الجَمْعِ بين قولِه تعالى [قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ] وبين قولِه [فَمِنْ نَفْسِكَ]، قيل قوله «كلٌّ مِن عندِ الله»، أي الخِصْبُ والجَدْبُ والنَّصْرُ والهزيمةُ، كلُّها من عندِ الله. وقولُه «فمِنْ نفسِك»، أي ما أصابَك فبِذَنْبِ نفسِك عُقوبةً لك، كما قال تعالى: [وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ]، يدلُّ عليه ماروى مجاهدٌ عن ابنِ عباسٍ، رضي اللهُ عنهما، أنَّه قرأ «وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ، وَأَنَا كَتَبْتُهَا عَلَيْكَ». وقالَ بعضُهُم: هٰذِه الآيةُ مُتَعلِّقةٌ بما قبلَها والقَولُ فِيها مُضْمَرٌ، تقديرُه «فما لِهٰؤلاءِ القَومِ لايَكادُون يَفْقَهُونَ حدِيثًا. يَقولُون: ما أَصابَكَ مِن حَسنَةٍ فمِن الله، وما أَصابَك مِن سيِّئةٍ فمِن نفسِك؛ قُلْ كلٌّ مِن عندِ الله»، وذهبَ إلى هٰذا الوَجهِ وجزَمَ به حجَّةُ الإِسلَام في كِتاب التِّلاوةِ مِن الإحياء، فإنَّه قال: والوجهُ الثَّاني أنْ يَتَسارعَ إلى تَفسيرِ القُرآنِ بِظاهرِ العَربيَّةِ مِن غير اسْتِظْهارٍ بالسَّماعِ والنَّقلِ فيما يَتعلَّقُ بِغرائبِ القُرآن، وما فِيه مِن الألفاظِ المُبْهَمَةِ والمُبْدَلَة، وما فيه مِن الاخْتِصارِ والحَذْفِ والإِضمَار، والتَّقديمِ والتَّأخير، فمَنْ لم يُحكِمْ ظاهرَ التَّفسير، وبادَرَ إلى اسْتِنْباطِ المَعاني بمُجرَّدِ العَربِيَّة، كَثُرَ غلَطُه، ودخَلَ فيمَنْ يُفسِّرُ القرآنَ بالرَّأي. ثُم قال: والغَرائبُ الَّتي لاتُفهمُ إلَّا بالسَّماعِ كثيرَة، ونحن نَرْمُزُ إلى جُمَلٍ منها لِيُستدَلَّ بها على أَمْثالِها، ويُعلَمَ أنَّه لايَجوزُ التَّهاوُنُ بِحفظِ التَّفسيرِ ظاهِرًا . . . . . إلى أَنْ قال: وما لابُدَّ مِنه مِن السَّماعِ فَفُنونٌ كَثيرَة، مِنها الإيجازُ بالحَذْفِ والإِضمَار، كقولِه تَعالى: [وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا]، معناه «ظلَموا أَنْفسَهم بِقتلِها»، وقولِه تَعالى: [وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ]، أي شُكْرَ رزقِكم، وقولِه تَعالى: [وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَانَعْبُدُهُمْ إِلَّا

لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى]، أى يَقولونَ مانَعبـدُهم، وقولـه تَعالى: [فَـمَا لِهَؤُلَاءِ القَوْمِ لَايَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا. مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ الله، وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ]، مَعناه لايَفْقَهون حَديثًا يَقولون ما أصابَك، فإنْ يُردْ هذا كان مُناقِضًا لِقولِه: [قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ]. ويسبِقُ إلى الفهمِ منه مذهبُ القدَرِيَّة - انتهى.

وأما قولُهم «إِنَّ اللهَ لَايَأْمُرُ بِالفَحْشَاءِ»، فالأمرُ غيرُ الإرادةِ، لأنَّ الأمرَ هو الَّذي يترتَّبُ عليه الثَّوابُ والعِقَاب، وبه تقُومُ على العبدِ الحجَّة، فإنَّه تعالى مريدٌ لجميعِ الكائنَات، غيرُ آمرٍ بما يُريد، وعلى العبدِ أنْ يتَّبعَ أمرَه، وليس له أن يتعلَّقَ بإرادتِهِ ومشيئتِه، فإنَّ مشيئتَه لاتكون عذرًا لأحَد.

وقد ذكَرَ الإمامُ الغزالي في كِتاب آدابِ النِّكاح مِن الإحياء: أَنَّ ما هو مَحْبوبٌ ومَكْروهٌ عند اللهِ سبحانه وتعالى، لايُنافِي إضافةَ الكائناتِ كلِّها إلى إرادتِهِ تعالى، خيرِها وشرِّها، نفعِها وضرِّها، ولكنَّ المحبَّةَ والكراهةَ يتضادَّانِ، فرُبَّ مُرادٍ مكرُوه، ورُبَّ مرادٍ محبُوب، فالمَعاصي مكروهَة، وهي مع الكراهةِ مُرادَة، والطاعاتُ مُرادَة، وهي مع كونِها مُرادةً محبوبةٌ ومرضيَّة. وأمَّا الكُفْرُ والشرُّ، فلا نقول إنَّه محبوبٌ ومرضيٌّ، فافهَمْ - انتهى.

وأمَّا احتجاجُ أهلِ المعاصي فهو كبيرَة، وبدعةٌ قبيحَة، فلْيردَعُـوا عن ذلك، والإيمانُ بالقضاءِ والقدَرِ واجِب، كما أمرَ الشَّرْعُ به أيضا، وكما رَدَّ اللهُ على المُشركين احْتِجاجَهُم بقوله إخبارًا عنهم: [لَوْ شَاءَ اللهُ مَاأَشْرَكْنَا]، وبقولِه تكذيبًا لهم: [كَذٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا]، وقولِهم: [لَوْ شَاءَ الرَّحْمٰنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ]، وبقولِه عزَّ مِن قائِل: [مَا لَهُمْ بِذٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ]، أي يكذِبُون.

ومن تفسيرِ الإمامِ البغوي، رحِمه الله، قال الحسينُ بنُ الفضل: لو ذَكَروا هذه المَقالةَ تعظيمًا وإجلالاً للهِ عزَّ وجلَّ، ومعرفةً منهم به، لما عابَهُم بذلك، لأنَّه تعالى قال: [وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكُوا]، وقال: [وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ]. والمؤمنونَ يَقولون ذلك، لكنَّهُم يعني المُشركين، قالوا ذلك تَكْذِيبًا وجَدَلاً من غيرِ مَعْرِفةٍ بالله، وبما يقولون.

وقيل في معنى الآيةِ أنَّهم كانوا يَقولونَ الحَقَّ بهذه الكلِمَة، إلَّا أنَّهم كانوا يعُدُّونَه عذرًا لأنفسِهِم، ويجعلونَهُ حجَّةً لها في تَرْكِ الإيمان، فردَّ عليهم في هذا، لأنَّ أمْرَ اللهِ بمعزِلٍ عن إرادتِه ومشيئتِه، فإنَّه مُريدٌ لجميعِ الكائنَات، غيرُ آمرٍ بجميعِ مايُريد. وعلى العبدِ أن يتَّبعَ أمرَه، وليس له أنْ يتعلَّقَ بمشيئتِه، فإنَّ مشيئتَهُ لاتكونُ عذرًا لأحدٍ - انتهى.

قال سيدُنا القُطب الغَوْث، عبدالله بن علوي الحدَّاد، رضِي اللهُ عنه، ونفَعَ به: رُبَّ مسخَّرٍ للقضاءِ والقدَرِ مَأجورٌ في الشَّرع، ورُبَّ مُسخَّرٍ له مَأْزورٌ في الشَّرع، وكلُّ أحدٍ مُسخَّرٌ لِلْقضاءِ والقدَر، ولكنَّه لا حجَّةَ فيه لأحَد، لأنَّه لا جَبْرَ، وكلُّ الأشياءِ من القضاءِ والقدَر، لا مِن الأسبَاب، والأسبابُ مَظْهَرٌ لها.

وقال نفَعَ اللهُ به: الرِّضا بالقضاء، هو أن تفعلَ مايَرضى اللهُ به ظاهِرًا، ويَرضى ما يَقْتضيهِ باطِنًا. فهذا هو الحَقُّ والصَّواب، وما كان غيرَ ذلك فهو باطِل. وماذا وقَعَ للعامَّةِ كلُّ مافعَلوه، قالوا: هذا مُقدَّرٌ علينا! وإذا جاءَ ما فيه هَوَاهُم وغرَضُهُم، قالوا ذلك، وإذا جاءَ خلافُ ذلك ضاقوا به ذَرْعًا، وقامَتْ عليهم القيامَة.

وقال رضِي اللهُ عنه: مذهبُ الجبريَّةِ هو الغـالبُ الجاري عـلى أَلْسِنةِ العـامَّةِ وأفعالِهم، لكونِهم لايعرِفُون العِلْم. أَلَيْسَ أحدُهُم يأكُلُ بِاخْتيارِه، ويفعَلُ باختيارِه، وهو بِقضاءِ اللهِ تعالى وقدَرِه، ولكنَّهُ في ذلك مختار، وما جعَلَ اللهُ سبحانه وتعالى للإنسانِ اخْتِيارًا إلَّا ليَختارَ ما اختارَهُ الله، فليفعَلْ من الأمورِ الشَّرعيَّةِ المطلوبَ منه، وينْتَهِ عن المنهيَّاتِ في كلِّ ما له اختيارٌ فيه. وإذا ذهَبَ عنه الِاخْتيارُ حصَلَ له العُذْرُ حينئذٍ.

وقال رضي اللهُ عنه أيضًا: مايُحيلُ على المقاديرِ إلَّا العاجِز، فأعطِها حقَّها أوَّلًا، فإذا أعجَزَتْك، فحينَئذٍ كِلْها على المقادِير.

وقال نفَعَ اللهُ به أيضًا: اِبْقَ على المَطْلوبِ منك حتى يغلِبَك القدَر. وأمَّا أنَّك تَرمِي بنفسِك في البِئْر، وتقولُ «ذلك مُقدَّرٌ عليَّ»، أَستغفِرُ اللهَ! هذا لايجُوز.

وقال رضِيَ اللهُ عنه: إذا أَصَبْتَ مَعْصِيةً، تُبْ منها، واعملِ الطَّاعةَ! وأنتَ مع

ذلك تؤمِنُ أنها بقدرَةِ اللهِ تعالى.

وقال رضِي اللهُ عنه: وأمَّا الجَبَرِيَّةُ المُحْتَجُّونَ على الله، فإذا قامَ أحدُهم للمعصيةِ مختارًا، وقال «إنَّما أقامَني اللهُ لها»، فنقولُ له «تكذِبُ على الله، إنَّ اللهَ نَهاك عنها، ولا نَراكَ مُكْرَهًا عَليها. ومَن قالَ لك: اِفْعَلها، ولٰكِنَّ اللهَ تركَكَ مِن حِفظِه، فأَخَذَ بيدِك الشَّيطانُ، وجرَّك إليها».

وقال رضي اللهُ عنه: لايجوزُ للإنسانِ أنْ يحتَجَّ على اللهِ بالقضاءِ والقدَر، بل يُؤمنُ بذلك، ويجتهِدُ ويختارُ الأحسنَ حتى يَغلِبَ، وقد علَّمك اللهُ القضاءَ والقدَر، فخُذْ به، لأنَّ اخْتِيارَك مِن فِعْلِ الله، فماذا تحتَجُّ به، كما إذا حضرَ الطَّعامُ عندك وأنتَ جائِعٌ، وقصَدَك عدُوٌّ مِن سبُعٍ وغيرِه، ومعك سلاحٌ، وأنتَ قادرٌ، فتتركُ ذلك؟ ولا تأكُلُ؟ ولا تقاتِلُ؟ وتقول «إنْ قدَّر اللهُ عليَّ شيئًا هو يكون»، فهو قدَّرَ لك بأنْ أعطاك الاختيارَ والقدرَة، وفصَّل لك أنواعَ الخيرِ والشّرِ، وبيَّنَ لك الأحسنَ والأسوَأ، فاجتهِدْ أنت وتحَرَّ ما يَحسُن، ولا تجلِسْ، وتتعذَّر.

وما جاء في طلبِ الرِّضا بالمقدُور، فهو يعني به في أُمورِ الدُّنيا، من فقرٍ أو غنًى، أو ربحٍ في تجارةٍ أو خسران، أو مرضٍ أو صحَّةٍ أو مَوْت، وأمثالِ ذلك، لا بأَنْ ترضى بِتَرْكِ واجِب، أو فعلِ محرَّم، إن اللهَ تعالى لايَرْضى لِعباده الكُفْرَ، وكذلك فروعُه - انتهى كلامُه، وهو نفيسٌ جدا، فتأمَّلْ حقَّه تعرِفْ سعةَ علمِه، ودقَّةَ فهمِه. وله في هذا المعنى كلامٌ كثيرٌ حذفناه اختصارًا - انتهى ما أردنا نقله من كتاب [سبيل الهداية والرشاد] لسيدنا الوالد أحمد بن الحسن بن عبدالله الحداد، نَفَعَ اللهُ به، آمين.

وسيأْتي في شَرْحِ قولِ صاحبِ الرَّاتبِ «الخَيْرُ وَالشَّرُّ بمَشِيئَةِ الله» ما فيه كِفايةٌ وزِيادةٌ على ما هو هُنا، فانظُرْهُ هُناك تُرشَدْ وتُسعَدْ، إنْ شاءَ اللهُ تعالى.

﴿مُهِمَّة﴾ قال أئِمَّتُنا الشَّافعيَّةُ وغيرُهم: إذا جادَلَك قدَرِيٌّ، فلا تَنْسَ مسألَةَ العِلْم، وذٰلِك أنْ تقولَ له: «مَن خَلَقَ إبْليسَ، لعَنَهُ الله»، فيقولُ: «اللهُ خلقَه، ولكنْ

مع المَلأ الأعْلَى»، فقُلْ له: «هَلْ يعلَمُ اللهُ أنَّ إبْلِيسَ، لعَنَهُ الله، يصيرُ إلى هذه الحالَة، أم لايعلَمُ؟» فهُنا يقِفُ حِمَارُ الشَّيخ في العقَبَة، إنْ قال: «لايَعْلَمُ، كَفَرَ»، وإنْ قال: «يَعْلَمُ، أَقَرَّ بأَنَّ اللهَ خلَقَ الشَّرَّ» - انتهى.

وكذا، قُلْ له: قال اللهُ تعالى: [إنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ إلَّا آتِ الرَّحْمٰنِ عَبْدًا. لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا]، فقُلْ له: أَعَدَّ أولادَ الزِّنا معَهُم، أم لا؟ فإنْ قالَ: «نعَمْ، فقد أَقَرَّ بخَلْقِ الشّرِ، وإنْ لم يُقِرَّ بذٰلِك، فقد كَفَر، والعِياذُ بالله».

وانظُرْ في [الأربعين الحديث] للإمام النوويِّ، رحِمَه الله، إيرادَهُ الحدِيثَ الصَّحيحَ عن النَّبي ﷺ: [إذَا بَلَغَ أَحَدُكُمْ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ..... إلى آخرِهِ حتَّى قال يَأْمُرُ المَلَكَ بِكَتْبِ أَجلِهِ وَرِزْقِهِ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ ... الحديث بِطُوله، انْظُرْه مع شرحِهِ الَّذي شرَحَهُ الشَّيخ ابن حَجَر، رحِمَه الله. وكذٰلك إيرادُهُ الحدِيثَ الصَّحيحَ عنه ﷺ: [إنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا. وَإنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَايَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا]، والأعمالُ بالخَواتِيم. وكذلك إيرادُهُ في شَرْحِ حديثِ جِبْريلَ إلى أن قالَ: [وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ مِنَ اللهِ]. وقد ردَّ سيدُنا عبدالله الحدَّاد على رجُل، يُسَمَّى محمد الغُشْم، مِن علماءِ الزَّيْديَّة، لمَّا سألَه عن هذه المسألَةِ، فانظُرْه في كتابه [المكاتبات].

ومن قواعدِ الإمام النووي، نفَعَ اللهُ به، ﴿مسألة﴾ مذهبُ أهلِ الحقِّ، الإيمانُ بالقدَرِ وإثباتُه، وأنَّ جميعَ الكائنات، خيرِها وشرِّها بقضاءِ اللهِ تعالى وقدَرِه، وهو مُريدٌ لها كلِّها، ويَكرَهُ المعاصيَ مع أنَّه مُريدٌ لها، بِحكْمةٍ يَعْلَمُها سُبحانَهُ وتعالى. هل يُقالُ إنَّه يَرضى بالمعاصي ويُحبُّها، فيه مذهبانِ لأصحابِنا المتكلِّمين، حَكَاهُما إمامُ الحرَمَيْنِ وغيرُه. قال إمامُ الحرمين في الإرشاد: ممَّا اختلفَ أهلُ الحقِّ في إطلاقِه، ومنعِ إطلاقِه المحبَّةُ والرِّضا. وقال بعضُ أئمَّتِنا: لايُطلَقُ القولُ بأنَّ اللهَ يُحبُّ المعاصِيَ ويَرْضاها، لِقولِهِ

تعالى: [وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الكُفْرَ]، ﴿قال﴾ ومَن حقَّق ما قال أئِمَّتُنا لم يلتفِتْ إلى تهويلِ المُعْتزلَة، بأنَّ اللهَ يُريدُ الكُفْرَ ويُحِبُّه ويرضَاه، والإرادةُ والمحبَّةُ والرِّضا بمعنى واحِد. ﴿قال﴾ وقولُهُ الحقّ، ولا يَرْضى لِعِبادِه الكفرَ، المُرادُ به العِبادُ المُوَفَّقُون للإيمَان، وأُضِيفُوا إليه تَشْريفًا لهم، لِقولِهِ تعالى: [عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ]، أي خوَاصُّهُم، لا كلُّهُم، واللهُ أعلَم - انتهى.

﴿الفائدةُ الثامنة﴾

في تَعدادِ مايجبُ تعلُّمه على كلِّ مُسلِم ومسلِمَة

وهي فائِدَةٌ وأيُّ فائِدَةٍ مِن خاتِمَةِ الفتَاوى، للشَّيخ أحمد بن محمد بن علي ابن حَجَر، رحِمَه الله. سُئِل، أدامَ اللهُ النَّفْعَ بِعُلومِه: ماالَّذي يجبُ علينا تعلُّمه واعتِقادُه؟ بيِّنوا لنا بيانًا شافِيًا، لايحتاجُ معه إلى مُراجعَةِ مصنَّفٍ، ولكُم الثَّوابُ الجزيلُ من المَلِك الجليل!

فأجابَ بِقولِه: يجبُ على كلِّ مكلَّفٍ وجوبًا عينِيًّا، لارُخْصةَ في تركِه، أن يتعلَّمَ ظواهرَ الاعْتِقاداتِ الوارِدَةِ في الكتابِ والسنَّةِ مع تنزيهِ الله، ممَّا هو مُحالٌ مما يقتضي جِسمًا أو جِهةً، والآياتُ والأحاديثُ الَّتي فيها ذِكْرُ الوجهِ واليَد، فهذه ونحوُها فيها مذهبَانِ: مذهَبُ السَّلَف، وهو الأسلَم، وهو أن يُفوِّضَ عِلْمُ حقائِقِها إلى اللهِ من التَّنْزيه، ممَّا دلَّتْ عليه ظواهِرُها، ممَّا هو مُسْتحيلٌ على الله. ومذهبُ الخلَف، وهو أن تُخْرَجَ تلك النُّصوصُ عن ظواهِرِها، وتُحْمَلَ على محامِلَ تليقُ به تعالى، كحَمْلِ الاِسْتواءِ على الاِسْتيلاء، والوجهِ على الذَّاتِ الوُجود، والعينِ على تمامِ الرِّعايةِ والكلأ والحِفْظ، واليدِ على القُدْرَة، والرِّجْلِ على القومِ والجماعَةِ المُقَدمين، وغير ذلك مما هو مبسوطٌ في كُتب العَقائِدِ وغيرِها. فالمذهبَانِ متَّفِقانِ على التَّنْزيِهِ عن ظواهِرِ تلكَ النُّصوصِ المُشْكِلة. وإنَّما اخْتَلفوا هَل يُفوَّضُ علمُها إلى اللهِ تعالى، ولا يُتعرَّضُ لتأويلِها، وهو مذهبُ السَّلَف، أو يُتعرَّضُ لِتأويلِها صونًا لها عن خَوْضِ المُبْطِلين، وزَيْغِ المُلْحِدين، وهو مذهبُ الخلَف.

وأمَّا بقيَّةُ نُصوصِ الكتابِ والسنَّةِ، مما دلَّ على التَّوْحيدِ والتَّقْديسِ وسائرِ صِفاتِ الكمَال، كالعِلْمِ والقُدرةِ والإرادةِ والسَّمعِ والبَصرِ والكَلامِ والبَقاءِ وسائِرِ صِفاتِ

السَّلْبِ، كلَيْسَ بِجسمٍ ولا جَوْهرٍ ولا عَرَضٍ، ولا متحيّزٍ في مكَان، ولا يحُدُّه زمَان، ولا يتصوَّرُه وَهْم، ليس كمِثْلِه شيءٌ وهو السَّميعُ البَصِير، فهٰذه كلُّها يجِبُ على كلّ أحَدٍ أنْ يتعلَّمَ ظواهِرَها، وكذلك يجِبُ ذلك في نحوِها، ككونِ العبدِ لايخْلُقُ أفعالَ نفسِه، خيرَها وشرَّها، وإنَّما الخالِقُ والمُوجِدُ له هو اللهُ وحدَهُ لاشريكَ له، وككونِه تعالى يُرى في الآخِرَة، وكَكَوْنِ عذابِ القبرِ وسؤالِ المَلَكَيْنِ والصِّراطِ والحَوْضِ والمِيزانِ والحِسابِ حقًّا، وأنَّ الجنَّةَ والنَّارَ مَخْلوقتانِ اليَوْم، وسائِرَ مايتعلَّقُ بالمعَاشِ والمعَاد.

وممَّا يجِبُ تعلُّمُه عينِيًّا أيضًا، أركانُ الصَّلاةِ وشروطُها ومُبْطِلاتُها، أي ظواهِرُ ذلك بعدَ وجوبِها، وكذلك قبلَه إنْ لم يَتمكَّنْ بعدَه من التعَلُّم، وإدْراكُ الفَرْضِ في وقتِه. وكذلك الصَّومُ، وكذا الزَّكاةُ إنْ كانَ له مَال، وكذا الحجُّ إنْ أرادَ فعلَه، أو تَضَيَّقَ لنحوِ خَوْفِ مَوْتٍ أو عَضْبٍ أو تلَفِ مَال. وكذا البَيْعُ إنْ أرادَه، ومثلُه سائِرُ المُعاملاَت، كالنِّكاح، وكالقَسمِ لِمَن معه أكثرُ مِن زوجَة. فهذه كلُّها بعد الوُجوب، وإرادةِ الفِعْل، يجِبُ وجوبًا عينِيًّا تعلُّمُ ظواهرِ شروطِها ومُبْطلاتِها وأركانِها.

وكذلك يجِبُ وجوبًا عينِيًّا، تعلُّمُ ظواهرِ حُدودِ أمراضِ القلبِ وأسبابِها وعِلاجِها، كالحَسَد، والعُجب، والكِبْر، والرياء، والسُّمعَة، والحِقْد، والبُغْض. نعَمْ مَن خُلِقَ سليمًا منها، أو أمكنَهُ إزالتُها مِن غيرِ تعلُّمِ ماذُكِرَ من الحدودِ وما بعدَها، إذ لاحاجَةَ له إليه، واللهُ سُبحانه وتعالى أعلَم - انتهى كلامُ ابنِ حجر، صاحبِ التُّحفة من كتابِه خاتمَةِ الفتاوى. فافهَمْ كلامَه في قوله «وكذلك يجِبُ ذلك في نحوِها، لكونِ العبدِ لايَخْلُقُ أفعالَ نفسِه، خيرَها وشرَّها . . . إلى آخرِه»، تعلَمْ أنَّ سيدَنا الحَدَّاد له الأجْرُ والثَّوابُ على قولِه في راتبِه «اَلْخَيْرُ وَالشَّرُّ بِمَشِيئَةِ الله».

وسُئِل ابنُ حجر أيضا: هل القائِلُ بِكَوْنِ العبدِ خالِقًا لأفعالِ نفسِه شِركٌ، أم لا؟

فأجابَ بأنَّ القائِلَ بالخَلْقِ الحقيقيِّ لغيرِ اللهِ في شيءٍ من الأَشْياءِ كافِرٌ، مُراقُ الدَّمِ، كما هو جليٌّ. والقائِلُ بِخلْقِ العبدِ لأفعالِه بالمعنَى الَّذي يقولُه المُعْتزلةُ مبتدِعٌ ضالٌّ فاسِق، وأمَّا إسلامُهُ ففيه خلاَف. والأصَحُّ أنَّه مسلمٌ - انتهى من خاتمَةِ الفتاوي له.

﴿الفائدةُ التاسعة﴾

في فضيلة الدُّعاء

وهي جَليلةٌ في فَضْلِ الدُّعاء. قال ابنُ حجر، رضي الله عنه، في مَوْضعٍ آخرَ من خاتمةِ الفتاوى: فائِدَةٌ أيُّ فائدةٍ على أنَّ الدَّاعيَ لايخيَّبُ أبدًا، لأنَّه إنْ علَّق على الدعاءِ فواضِحٌ وجودُ الفائدةِ فيه، وعليه يُحْمَدُ قولُه ﷺ: [لَايَرُدُّ القَضَاءَ إلَّا الدُّعَاءُ]. وإنْ كان لم يُعَلِّقْ على ذلك، ففائدتُهُ الثَّوابُ، لأنَّ الدُّعاءَ من العِبادَة، بل مِن أَنْهاها، كما قالَ ﷺ: [اَلدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ]. وأَيضًا فيُبدِّلُ اللهُ الدَّاعِيَ بدلَ ما دعا بِه، بما لم يُقَدَّرْ له مِمَّا هو مِثلُ ذٰلك، وأفضَلُ منه كما يليقُ بجُودِهِ وكَرمِه، وسَعَةِ فَضْلِه وجَميلِه. ومِن ثَمَّ أَطْلَقَ تَبارَكَ وتَعالى الاِسْتِجابةَ لِلدُّعاء، ولَمْ يُقيِّدْها بشيْء. فقَال عزَّ مِن قائِل: [وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ]، وقَال تَعالى: [أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إذَا دَعَانِ]. والفِعْلُ، وإنْ كَان في حيِّزِ الإِثْباتِ لا عُمومَ له، لٰكنَّه في مَقامِ الاِمْتِنانِ لِلعُموم، كما قَالوا به في «النَّكِرَةُ في سياقِ الاِمْتِنان، أو الفعلِ، والنَّكِرَةُ المُثْبَتَةُ من وادٍ واحدٍ عُمومًا وعَدمِه»، فتأمَّلْ ذٰلك كلَّه، فإنَّه ظهَرَ لي، ولا مَزِيدَ على حُسْنِهِ وتَحْقِيقِه.

ثم رأيتُ بعضَهم أشارَ لبعضِ ذلك، فقال: لايُنكِرُ الدُّعاءَ إلا كافِرٌ، مكذِّبٌ بالقرآن، لأنَّ اللهَ تعالى تعبَّدَ عبادَه به في غيرِ ما آيةٍ، ووعَدَهم بالاِسْتِجابة أوِ الاِدِّخار، أو يكفِّرُ عنه. وقال آخَر، مُنْكِرُ ذلك إمَّا جاهِل، فيُنْهى عنه أشدَّ النَّهي، وإمَّا تمادِيًا بعدَ العِلْم، فقد كذَّبَ القرآن، فهو مرتدٌّ. وقال عليه الصَّلاةُ والسلام: [لَايَرُدُّ القَضَاءَ إلَّا الدُّعَاءُ]، فقد يكونُ في علمِ القضَاء، يعلِّقُ بذلك القضَاء، ولا يكونُ إلا هو، كقوله ﷺ: [إعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ] الحديث انتهى كلامه.

وقد قدَّمْنا أركانَ الدُّعاءِ وغيرَ ذلك فيما سبَق، فانظُرْه في أوَّلِ الكِتاب.

﴿الفائدةُ العاشرة﴾
في فضل الاجتماع في حلق الذِّكر وكيفية قراءة الرَّاتب

وهي عظيمةٌ نَدْرَأُ بها وبما بعدَها في نحْرِ مَن يُنكِرُ على رواتِب السَّلفِ الصَّالِح، فنقولُ: أمَّا الاِجْتماعُ على أَوْرادِ الصُّوفِيَّة، والذِّكرِ الَّذي لم يرِدْ عن رسولِ اللهِ ﷺ، والَّذي ورَد، ففَضْلُ الجَمْعِ عظيمٌ في مسجِدٍ، أو غيرِه، وسنُوردُ الأحادِيث.

فمِن خاتمةِ الفتاوى لابنِ حجر، قال نفَعَ اللهُ به: وأَوْرادُ الصُّوفِيَّةِ الَّتي يَقرأُونها بعدَ الصَّلاةِ على حسَبِ عاداتِهم وسُلوكِهم لها أَصْلٌ أصِيلٌ. فقد روَى البيهقيُّ عن أنسٍ، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: [لَأَنْ أَذْكُرَ اللهَ تَعَالَى مَعَ قَوْمٍ مِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا]. وروى أبو داود عنه، أنه ﷺ قال: [لَأَنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللهَ تَعَالَى مِنْ صَلَاةِ العَصْرِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتِقَ أَرْبَعَةً]. وروى أبو نعيم أنه ﷺ قال: [مَجَالِسُ الذِّكْرِ تَنْزِلُ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَتَحُفُّ بِهِمُ المَلَائِكَةُ، وَتَغْشَاهُمُ الرَّحْمَةُ، وَيَذْكُرُهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ]. وروى أحمد ومسلم أنه ﷺ قال: [لَايَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا حَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ].

وإذا ثبتَ أنَّ لِما اعتادَه الصُّوفِيَّةُ من اجْتِماعِهم على الأذكارِ بعد الصُّبحِ وغيرِه أصلاً صحيحًا من السُّنَّةِ، وهو ماذكرناه، فلا اعتِراضَ عليهم في ذلك. ثم إنْ كان هُناك مَن يَتأَذَّى بِجَهرِهِم كمُصَلٍّ ونائِمٍ، نُدِبَ لهم الإِسرَار، وإلَّا رجَعوا لِما يَأمرُهُم به أستاذُهُم، الجامِعُ بين الشَّريعةِ والحَقيقَة، لما مرَّ أنَّه كالطبيبِ، فلا يأمرْ إلا بما فيه شِفاءُ لِعِلَّةِ المرِيض. ولذلك تجِدُ بعضَهم يختارُ الجَهْر، لِدَفْعِ الوَسْواسِ الرَّديء، والكَيْفيَّاتِ

النَّفْسانيَّة، وإيقاظِ القُلوبِ الغافِلةِ، وإظهارِ الأعمالِ الكامِلَة. وبعضُهم يختارُ الإسرارَ لُمجاهدةِ النَّفس، وتعليمِها طُرُقَ الإخلاص، وإيثارِها الخُمول. وقد ورَدَ أنَّ عُمر، رضِيَ اللهُ عنه، كان يَجْهَر، وأبوبكر كان يُسِرُّ، فسألَهُما النَّبيُّ ﷺ، فأجاب كلٌّ بنحوِ ماذكرتُه، فأقرَّهما.

والأخذُ عن مشائِخَ متعدِّدين يختَلِفُ الحالُ فيه، بين مَن يُريدُ التبرِّيَ، وبين مَن يُريد التَّربيَةَ والسُّلوك. فالأوَّلُ يأخذُ عمَّن شاء، إذْ لا حجْرَ عليه. وأمَّا الثَّاني فيتَعيَّنُ عليه مصطلَحُ القومِ السالكين مِن المحذورِ واللَّوم، حشَرَنا اللهُ في زُمرتِهم، أن لاَيَقْتدِيَ إلا بمَن جدَّ به حالُه إليه قهرًا عليه، بحيثُ اضمحلَّتْ نفسُه لباهرِ حالةِ ذلك الشَّيخِ المُحِقّ، وتخلَّتْ له عن شَهَواتِها وإرادتِها، فحينئذٍ يتعيَّنُ عليه الإسْتِمساكُ بهدْيِه، والدُّخولُ تحتَ جميعِ أوامرِه ونواهِيهِ ورسومِه، حتى يصيرَ كالميِّتِ بين يدَيِ الغاسِل، يقلِّبُه كيف يشاء. فإنْ لم يَجُدْ به حالَ الشَّيخِ كذلك، فلْيتحَرَّ أورعَ المشائخ، وأَعْرَفَهم بقوانينِ الشريعةِ والحقيقَة، ويدخُلْ تحتَ إشارتِه ورسومِه كذلك.

ومَن ظفِرَ بشيخٍ بالوصفِ الأوَّل، فحرامٌ عليه عندهم أن يترُكَه، ويَنْتقِلَ إلى غيرِه، وإنْ سوَّلَتْ له نفسُه أنَّ غيرَه أكمَلُ، فإنَّه قد يضجَرُ عن حقِّ ذلك الشَّيخِ، فتريدُ النَّفسُ أن تَنْقُلَ صاحبَها إلى باطلِ غيرِه، وإنَّما مَحلُّ اخْتيارِه الأعرَفَ الأعلَمَ الأورَعَ الأصلَحَ في الابْتِداء. وأمَّا بعدَ الدُّخولِ تحتَ حيطةِ عارفٍ أهلٍ، فلا رُخْصةَ في الخروجِ عنه، بل ولا رُخْصَةَ عندهم للشيخِ الثاني، إذا علِمَ أن المُريدَ الآخِذَ عنه أُستاذٌ كامِلٌ أن يسلِّكَه، بل يأمرُهُ بالرُّجوعِ لأستاذِه، ويُعلِمُه أنَّ ذلك الأستاذ، لولا أنَّه على حقٍّ، مانَفَرَتِ النَّفسُ عنه، ولَمَا أحبَّتْ فراقَه إلى غيرِه، فهذا أدلُّ دليلٍ على كمالِه وحقِّيَّةِ طريقتِه. وكثيرٌ من النُّفوسِ الَّتي يُراد لها عدمُ التَّوْفيق، إذا رَأَتْ من أستاذٍ شِدَّةً في التَّربيَةِ تَنْفِرُ عنه، وتَرْمِيه بِالقبائِحِ والنَّقائصِ، ممَّا هوعنه بريء. فلْيحذَرِ الموفَّقُ من ذلك، لأنَّ النَّفسَ لاتريد إلا هلاكَ صاحبِها، فلا يُطيعُها في الإعراضِ عن شيخِه، وإنْ رآه على أدنى حالٍ، حيثُ أمكنَه أن يخرِّجَ أفعالَه على تأويلٍ صحيحٍ، ومقصِدٍ مقبولٍ شرعًا.

ومَن فتحَ بابَ التَّأْويلِ للمشائخ، وأَغْضى عن أحوالِهم، ووَكَلَ أمورَهم إلى الله، واعْتَنى بحالِ نفسِه، وجاهَدَها بحسَبِ طاقتِه، فإنَّه يُرجى له الوصولُ إلى مقاصدِه، والظَّفرُ بمرادِه في أسرعِ زمَنٍ. ومَن فتحَ بابَ الاِعْتِراضِ على المشائخ، والنَّظرِ في أحوالِهم وأفعالِهم، والبحثِ عنها، فإنَّ ذلك علامةُ حِرمانِه، وسوءِ عاقبتِه، وأنَّه لايُنتج قطُّ. ومن ثَمَّ قالوا: مَن قال لشيخِه «لِمَ» لمْ يُفلِحْ أبدا! أي لشيخِه في السُّلوكِ والتَّربيَة، لما تقرَّرَ أنَّ شأنَ السالكِ أن يكونَ بين يدَيِ الشيخِ كالميِّتِ بين يدَيِ الغاسِل، حتى لو كانت له علومٌ أو رسومٌ أو أعمالٌ، فليُعرِضْ عنها، ولا يلتفِتْ إليها، فإنَّ نارَ حقِّ الشَّيخِ العارفِ تُطهِّرُ الخبَثَ وتُزيلُه، ويبقى الطيِّبُ، ويبِينُ صَفا جوهرِه، ونفاسةُ جنسه.

والمُرادُ بالإرادةِ والتَّحْكيمِ ونحوِهما، أنَّ مَن أرادَ السُّلوكَ إلى اللهِ على يدِ بعضِ الواصلين، ويسَّرَ اللهُ له مَن هو كذلك، أن يُلزِمَ نفسَه طاعتَه، والدُّخولَ تحت جميعِ أوامرِه ونواهيه. ثم الكيفيَّةُ المحصِّلَةُ لهذا الاِرْتباطِ تختلفُ باختلافِ المشائخِ فيها. فمنهم مَن يأمرُ بالذِّكر، ومنهم من يُلبِسُ الخِرقةَ، ومنهم من يفعلُ غيرَ ذلك، بحسَبِ طُرقِهم، فإنَّها كثيرةٌ جدًّا، حتى قيل «الطُّرُقُ إلى اللهِ بعدَدِ أنفاسِ الخلائق».

ولْيتعيَّنْ على الموفَّقِ أيضا، أن لايدخلَ تحتَ حيطةِ أحدٍ، إلا بعد أن يَقهَرَه حالُه، أو يعلمَ منه الإحاطةَ بعِلْمَيِ الشَّريعةِ والحقيقَة، لِما أنَّ الكاذِبين والمُتلبِّسين قد كَثُروا، وادَّعَوْا هذه الطرِيقَة، وهم منها برِيئُون، وإلى النَّارِ صائِرون، لِسُوءِ أفعالِهم، وفسادِ أحوالِهم وأقوالِهم، وتكالُبِهم على الدُّنيا الفانِيَة، وإعراضِهم عن الآخِرةِ الباقِيَة، إذْ ليس قَصْدُهُم بادِّعاءِ هذه الطَّريقةِ العليَّة، إلَّا جَمْعَ الحُطام، ونيلَ لذَّةِ أكلِ الحرَام، واسْتِفْراغَ العُمرِ في الجهالاتِ والآثام، فحذَرًا حذَرًا من أمثالِهم، والاِغْترارِ بأقوالِهم وأفعالِهم، فإنَّ كلَّ مَنِ اتَّبعَهُم زلَّ قدمُه، وطغى قلمُه، وحقَّ ندَمُه، وحُرِمَ الوصولَ إلى شيءٍ من الكمَال، ويأتِيه من اللهِ أعظمُ البوارِ والنَّكال.

وعليكَ - إنْ أردتَ أَنْ يَظهرَ لك الحَقُّ، وأنَّك تتحلَّى بالصِّدقِ - بمُطالعةِ إحياءِ

الغزالي، ورسالةِ الإمامِ العارفِ القُشَيْري، وعوارفِ المعارِفِ للسَّهْروردي، والقُوتِ لأبي طالبِ المكِّي، فإنَّ هذه الكُتبَ نافعةٌ مُبيِّنةٌ لأحوالِ الصَّادِقين، وتلبيساتِ المُبْطلين، وحامِلةٌ على معالي الأخلَاق، وإيثارِ الفقرِ والإملَاق، وإدمانِ الطَّاعات، ومُلازمةِ العبادَات، سيما الجماعَات، والإعراضِ عن سَفاسِفِ أقوامٍ غلَبَ عليهم الشَّيطانُ، فسوَّلَ لهم القَبيحَ حسنًا، والمُنْكرَ معروفًا، والمَذْمومَ ممدوحًا، فاسْتَغْرَقوا في بحارِ شهواتِهم، وقبائحِ اعْتِقاداتِهم وإراداتِهم، وهم مع ذلك يَحْسِبون أنَّهم يُحسِنون صُنعًا، أو يُحكِمون وَضْعًا. وفَّقَنا اللهُ لمعرفةِ عيوبِ أنفسِنا، وأجَارَنا مِن شهَوَاتِها، وأدامَ علينا رِضَاه، مع السَّلامةِ مِنْ كلِّ فتنةٍ ومِحْنةٍ في هذه الدَّار، إلى أنْ نلقَاه، إنَّهُ الجوادُ الكريمُ، الرؤوفُ الرحيمُ.

وقال ابنُ حجر أيضًا، رحِمَه اللهُ تعالى، في مَوْضعٍ آخر، ردًّا على ابنِ تيمية: وأمَّا ماذَكَره ابنُ تيمية من أنَّهُم اتَّخذوا هذه الأحزابَ، يعني بها أحزابَ الشَّاذليةِ وغيرَها في المساجدِ سنةً، يَجْتمعون عليها، فلا اعْتِراضَ فيه. أمَّا الاِجْتِماعُ على الذِّكر، فلِمَا ورَدَ فيه من الحديثِ القُدْسيِّ الصَّحيح «مَا ذَكَرَنِي عَبْدِي فِي مَلأٍ، إِلَّا ذَكَرْتُهُ فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُ». وأمَّا كونُها في المساجِد، لأنَّها محلٌّ يَجْتمعُ فيه النَّاسُ للذكرِ والصَّلاةِ، ومثلُه الرِّباطُ ونحوُه، وهو مِن بابِ التعاوُنِ على البّرِ والتَّقوى. وزعمُه، أيْ ابنُ تيمية، أنَّهم اتَّخذُوا ذلك سنةً ممنوعٌ، بل هي عادةُ خيرٍ، ألِفُوها وحفِظُوها، فهو مِن بابِ التَّيْسِير.

وقال ﷺ [مَنْ فُتِحَ عَلَيْهِ مِنْ بَابٍ، فَلْيَلْزَمْهُ مَا لَمْ يَتَغَيَّرْ عَلَيْهِ]، رواه ابنُ ماجه. ومن ألِفَ شيئًا من الطَّاعات، وداومَ عليه، كُرِهَ انْفِصالُه عنه.

وقد رُؤِيَ، بيد الحسن البِصْريِّ سُبحَةٌ، فقيل له: مع عُظْمِ إشارتِك، وسني عبارتِك، أنتَ مع السُّبحة؟ قال رضِيَ اللهُ عنه: هذا شيءٌ كنَّا اسْتَعْملناه في البِدايات، ما كُنَّا بالَّذي نتركُهُ في النِهايات - انتهى ملخَّصا.

وقال الإمامُ السُّيوطي في نتيجَةِ الفِكْرِ في الجهرِ بالذِّكر: بسمِ اللهِ الرحمٰنِ الرَّحيم.

الحمدُ لِله، وسلامٌ على عبادِهِ الَّذين اصْطَفى. سألتَ، أرشدَكَ اللهُ تعالى، عمَّا اعْتَادَه السَّادةُ الصُّوفيَّةُ من عَقدِ حَلَقِ الذِّكر، والجهرِ به في المساجِد، ورَفْعِ الصَّوتِ بالتَّهْليل، هل ذلك مكروهٌ، أو لا؟

الجوابُ: إنَّه لاكراهةَ في شيءٍ مِن ذلك. وقد وردَتْ أحاديثُ تَقْتَضي اسْتِحْبابَ الجهرِ بالذِّكر، وأحاديثُ تَقْتَضي اسْتِحبابَ الإسْرار، والجمعُ بينهما أنَّ ذلك يَخْتَلفُ باخْتلافِ الأحوالِ والأشْخاص، وها أنا أُبيِّنُ ذلك بذِكْرِ الأحاديثِ الدالَّةِ على اسْتِحبابِ الجهرِ بالذِّكر، تصريحًا والْتِزامًا، وآتي بالأحاديثِ الآتيةِ الَّتي ننقلُها عن كلامِ الشَّيخ الأَحسائيِّ الشجَّار، الَّتي استدَلَّ بها على حَلَقِ الذِّكر وغيرِها، وها نحنُ نذكرُ بعضًا منها. أخرج مسلمٌ والترمذيُّ عن أبي سعيدٍ الخدريِّ، رضِي اللهُ عنه، قال. قال رسولُ الله ﷺ: [مَا مِنْ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللهَ إلَّا حَفَّتْهُمُ المَلائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ].

وأخرج البيهقيُّ في [شعب الإيمان] قال، قال رسولُ الله ﷺ: [أَكْثِرُوا ذِكْرَ اللهِ حَتَّى يَقُولَ المُنَافِقُونَ إنَّكُمْ مُرَآءُونَ]، وفي رواية [أَكْثِرْ ذِكْرَ اللهِ حَتَّى يَقُولُوا مَجْنُونٌ]. ووجهُ الدِّلالةِ من هذا، و الَّذي قبلَه، أنَّ ذلك إنَّما يُقال عند الجهرِ دون الإسْرار.

وأخرجَ البيهقيُّ عن أبي سعيدٍ الخُدري، رضِيَ اللهُ عنه، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: [يَقُولُ الرَّبُّ جَلَّ وَعَلَا يَوْمَ القِيَامَةِ: سَيَعْلَمُ أَهْلُ الجَمْعِ اليَوْمَ، مَنْ أَهْلُ الكَرَمِ؟ فَقِيلَ: مَنْ أَهْلُ الكَرَمِ؟ قَالَ: أَهْلُ مَجَالِسِ الذِّكْرِ فِي المَسَاجِدِ].

وأخرجَ البيهقيُّ عن زيدِ بنِ أسلَم، قال: قال ابنُ الأذرع، رضِي اللهُ عنه: [انْطَلَقْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَمَرَّ بِرَجُلٍ فِي المَسْجِدِ يَرْفَعُ صَوْتَهُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَارَسُولَ الله! عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ هٰذَا مُرَائِيًا. قَالَ: لَا، وَلٰكِنَّهُ أَوَّاهٌ].

وأخرج البيهقيُّ عن جابر بن عبدالله، رضِي اللهُ عنهما، [أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالذِّكْرِ. فَقَالَ: لَوْ أَنَّ هٰذَا أَخْفَضَ مِنْ صَوْتِهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّهُ أَوَّاهٌ]. وأطال في

الإِسْتدلالِ بالأحاديثِ في اسْتِحْبابِ الجَهر.

ثم قال ﴿فصلٌ﴾ إذا فهمتَ ماأَوْرَدناه من الأحادِيث، عرفتَ مِن مجموعِها أنَّه لا كراهةَ اَلبتَّةَ في الجهرِ بالذِّكر، بل فيه ما يدلُّ على استحبابِه، إمَّا صريحًا أو التزامًا، كما أشَرْنا إليه.

وأمَّا مُعارضةُ حديثِ [خَيْرُ الذِّكْرِ الخَفِيُّ]، فهو نظِيرُ مُعارضةِ أحاديثِ الجهرِ بالقُرآن، حديثَ السِّرِ بالقرآن كالسِّرِ بالصَّدقَة. وقد جَمَعَ النوويُّ، رحِمَه اللهُ ونفَعَ به، بينهما أنَّ الأخفَى أفضَلُ، حيثُ خافَ الرِّياء، أو تأذَّى به مُصَلُّون، أو نِيامٌ، والجهرُ أفضلُ من غيرِ ذلك، لأنَّ العملَ فيه أكثَرُ، ولأنَّ فائدتَهُ تتعدَّى إلى السَّامعين، ولأنَّه يُوقِظُ قلبَ القارِي، ويجمَعُ همَّه إلى الفِكر، ويَصرِفُ سَمْعَه إليه، ويَطرُدُ النَّومَ، ويَزيدُ في النَّشاط. وقال بعضُهم يُستحَبُّ الجهرُ ببعضِ القراءَة، والإسرارُ ببعضِها، لأنَّ السرَّ قد يَمَلُّ فيأنَسُ بالجَهر، والجاهِرُ قد يَكِلُّ فيَسْتريحُ بالإِسْرار - انتهى.

قال الإمامُ السُّيوطي: وكذلك نقولُ في الذِّكر، إنَّه على هذا التَّفْصيل، وبه يحصُلُ الجمعُ بين الأحادِيث. فإنْ قلتَ، فقد قال اللهُ تعالى: [وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الجَهْرِ مِنَ القَوْلِ . . .]، قلتُ: الجوابُ عن هذه من ثلاثةِ أوجُه:-

الأوَّل: أنها مكِّيَّةٌ، كآيةِ الإسرار، [وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا]، وقد نزلتْ حِين كان النبيُّ ﷺ يجهَرُ بالقُرآن، فيسمَعُهُ المُشركون، فيَسُبُّونَ القُرآنَ ومَن أنزلَه، فأُمِر بالتَّرك، سَدًّا لِلذَّريعَة. وقَد زالَ هذا المعنَى، أَشارَ إلى ذٰلك ابنُ كثيرٍ في تفسيرِه.

الثاني: أنَّ جماعةً من المُفَسِّرين، منهم عبدُالرحمن بنُ زيد بن أسلم، وابن جرير، حمَلُوا الآيةَ في الذِّكر على حالِ قراءةِ القُرآن، وأنَّه أُمِرَ بذلك على هذهِ الصِّفةِ تعظيمًا للقُرآنِ أن تُرفَعَ عنده الأصوَات، ويُقَوِّيه اتِّصالُها بقوله: [وَإِذَا قُرِىءَ القُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ]، قلتُ: وكأنَّه لمَّا أُمِرَ بالإنصاتِ خَشِيَ من ذلك الإخلادَ إلى البَطالَة، فنبَّهَ على أنه وإنْ كانَ مأمورًا بالسُّكوتِ باللِّسان، إلا أنَّ تكلُّفَ الذِّكرِ بالقلبِ باقٍ حتى لايغفُلَ عن ذكرِ

اللهِ تعالى. ولذا خَتم بقوله: [وَلَا تَكُنْ مِنَ الغَافِلِينَ].

الثَّالث: ما ذكَره السَّادةُ الصُّوفيَّةُ، أنَّ الأمرَ في الآيةِ خاصٌّ بالنَّبيِّ ﷺ الكاملِ المُكَمَّل. وأمَّا غيرُه مِمَّن هو محَلٌّ للوَسْواسِ والخواطِرِ الرَّديئَة، فمأمُورٌ بالجَهر، لأنَّه أشدُّ تأثيرًا في دفعِها. ﴿قلتُ﴾ ويُؤيِّدُه من الحديث ماأخرجَهُ البزَّارُ عن معاذِ بن جبل، رضيَ اللهُ عنه، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: [مَنْ صَلَّى مِنْكُمْ بِاللَّيْلِ فَلْيَجْهَرْ بِقِرَاءَتِهِ، فَإِنَّ المَلَائِكَةَ تُصَلِّي بِصَلَاتِهِ، وَتَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِهِ. وَإِنَّ مُؤْمِنِي الجِنِّ الَّذِينَ يَكُونُونَ فِي الهَوَاءِ وَجِيرَانَهُ مَعَهُ فِي مَسْكَنِهِ يُصَلُّونَ بِصَلَاتِهِ وَيَسْتَمِعُونَ لِقِرَاءَتِهِ، وَأَنَّهُ يَنْطَرِدُ بِجَهْرِهِ فِي قِرَاءَتِهِ عَنْ دَارِهِ، وَعَنِ الدُّورِ الَّتِي حَوْلَهُ فُسَّاقُ الجِنِّ وَمَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ]. فإن قلتَ: قد قال تعالى: [أُدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً، إِنَّهُ لَايُحِبُّ المُعْتَدِينَ]، وقد فسَّرُوا الاعتداءَ بالجهرِ في الدُّعاء. ﴿قلتُ﴾ الجوابُ عنه من وجهين:-

أحدُهما: أنَّ الرَّاجحَ في تفسيرِه، أنْ يُجاوِزَ المأمورَ به، واختراعُ دعوةٍ لا أصلَ لها في الشَّرع. ويُؤيِّدُه ما أَخْرجَه ابنُ ماجه والحاكِمُ في [المستدرك]، وصحَّحَه عن ابنِ نعامة، أَنَّ عبدَالله بن مُغَفَّلٍ سمِعَ ابنَه يقول: [اَللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ القَصْرَ الأَبْيَضَ عَنْ يَمِينِ الجَنَّةِ]. فقال إني سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: [سَيَكُونُ فِي هٰذِهِ الأُمَّةِ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ]. فهذا بيانُ تفسيرِ صَحابيٍّ، وهو أعلَمُ بالمُرَاد.

ثانيهما: على تقديرِ التَّسْليم، فالآيةُ في الدُّعاءِ لا في الذِّكر، والدُّعاءُ بِخُصوصِه، الأفضَلُ فيه الإسرار، لأنَّه أقربُ إلى الإجابَة. ولذا قال تعالى: [إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا]. ومِن ثَمَّ استُحِبَّ الإسرارُ بالاِسْتِعاذةِ في الصَّلاةِ اتِّفاقًا، لأنَّها دعاءٌ. ﴿قلتُ﴾ فقد نُقِل عن ابنِ مسعود، رضِيَ اللهُ عنه، أنَّه نَهى عن الرَّفعِ بالتَّهْليلِ في المسجِد. فعلى تقديرِ ثُبوتِهِ فهو مُعارَضٌ بالأحاديثِ الكثيرةِ الثابتةِ المُتقدِّمَة، وهي مقدَّمَةٌ عليه عند التَّعارُض. ثم رأيتُ مايقتَضي إنكارَ ذلك عن ابنِ مسعود. قال الإمامُ أحمد في كتابِ [الزهد] حدَّثنا الحسينُ بن محمد، قال حدَّثنا المسعوديُّ، عن عامر، عن شقيقِ بن أبي

وائلٍ ، قال: هؤلاءِ الَّذين كانوا يزعُمونَ أنَّ عبدَالله كان ينهَى عن الذِّكر، ما جالستُ عبدَالله مجْلِسًا قطُّ، إلا ذكَر اللهَ فيه. وأخرجَ أحمدُ في [الزهد] عن ثابتٍ البُنانيّ، رحِمَه اللهُ تعالى، قال: إنَّ أهلَ ذكرِ اللهِ تعالى لَيجلِسونَ إلى ذكرِ الله، وإنَّ عليهِمْ مِن الآثامِ مثلَ الجِبال، وإنَّهم لَيَقُومون من ذكرِ اللهِ وما عليهم منها شيءٌ - انتهى ما الْتقطْناه ملخَّصًا من رسالة الإمام السُّيوطي، نفَعَ اللهُ به وبعلومِه، وجزاه أفضلَ الجزَاء.

﴿تتمَّةٌ عظيمة ودُرَّةٌ فاخرة﴾ قال الشيخ أحمدُ بن عبدالكريم الشجَّار، تلميذُ سيدِنا القُطب عبدالله بن علوي الحدَّاد: اعلَمْ بأنَّ هناك أحاديثَ كثيرةً حجَّةً للَّذين يجْتمعُون لِذكرِ اللهِ جهرًا، ولأهلِ الرَّواتبِ المرتبَّةِ في أوقاتٍ مخصوصَة، كما بعد العِشاءِ للاِجْتماعِ عليها لِذكرِ الله. وأكثرُ مَن يعتَني بذلك أهلُ اليَمَن، سيَما أهلُ حضرَمَوْت من السَّادةِ خاصَّةً، ومِن غيرِهم عامَّةً. فمِن السَّادةِ مَن له راتِبٌ من الْمُتقدِّمين، كالشَّيخ عبدالله باعلوي، والشَّيخ عبدالرحمن السَّقاف، وابنِه الشَّيخ عمر المِحْضار، وابنِ ابنه الشَّيخ عبدالله بن أبي بكر العَيْدَروس، والشَّيخ أبي بكر صاحِب عدَن، وغيرِهم من الْمُتأَخِّرين بتَريم، كالشَّيخ أحمد بافرَج له راتِبٌ يُقرأُ لِمسجدِ باعلوي بتَرِيم، وفي مسجدِ جامِع شِبام، والشَّيخ أحمد الحَبَشي في الشِّعب من الجمعةِ إلى الجمعَة، والشَّيخ عبدالرحمن الجُفري بتَريس، والشَّيخ أبي بكر بن سالم، والشَّيخ عمر بن عبدالرحمن العطَّاس، وآخرُهم راتبُ سيدِنا الشَّيخ عبدالله بن علوي الحدَّاد. فواظَبَ النَّاسُ عليه واكْتَفَوا به عما قبلَهُ من الرَّواتِب. وأُقِيمَ في مساجِدَ بتَرِيم، مثل الجامِع، ومسجد باعلوي، ومسجد المِحْضار، ومسجِد الحاوي، والأوَّابِين كذلك، وغيرِ ذلك من مساجِدَ تريم وأكثرِ قُرَى حضرَمَوْت، كسِيوُون، وشِبام بمسجدِهِ المعروفِ بها وجامِعِها، ومَدودَة، وتَـرِيس، والغُرْفَة، وجُعِيمَة، والغُرَيْب، ووادي ثِبِي، وعِينَات، وقَسَم، وفي هِينَن، ووادي عَمَد، ودُوعَن أيضا وفي قُرًى متعدِّدَة، وفي الشِّحْر، وفي أَحْوَر، وأَرْضِ العَوالِق، وفي اليَمَن كالمَخَا، والحُدَيدَة، ومكَّة المشرَّفة تِلقاءَ الحَجَرِ الأسوَد، وفي المسجدِ النَّبويِّ عند بابِ الرَّحْمة، بل في مِصرَ في الجامعِ الأزهَر، وفي الهِند، وجاوَه، والبَصْرَة، وبَغدَاد، وفي

الأَحساء، وفي بعضِ بُلدان نَجْد، بل في قَطَر، وعُمَان، والسَّواحِل، وفي غير هذه البُلدانِ كثيرًا - فالحمدُ للهِ الذي شهَرَه، كما شهَرَ صاحِبَه، نفَعَ اللهُ به، شُهرةً أنْسَتْ شُهْرَةَ مَن قبلَه، حتَّى إنَّ السيدَ الشَّريفَ أبا الطيِّب الإدريسيَّ في بلدِ الأَحساء حدَّثني، قال: حضرْتُ في المغربِ في حضرَةِ رجُلٍ اجتمَعَ أهلُ المغربِ قاطِبةً على اعْتِقادِه وتفضيلِه، فخطَرَ ببالِي أنَّهُ يكونُ هو القُطْبَ، فحين خطَرَ لي هذا الخاطِر، الْتَفَتَ إليَّ وقالَ: يا ولدِي! ما أنا بالقُطْب. إنَّما القُطْبُ السيد عبدالله الحدَّاد بحضرمَوْت. هكذا أخبرَني أبوالطَّيِّب بنفسِه، وسمِعَه منه جماعَةٌ فيهم كثيرَة. فهؤلاءِ المذكورونَ من ساداتِنا آل باعلوي، ومن غيرِ السَّادة، مَن لهم رواتِب، كالشَّيخ عبدالله باعبَّاد القديم، وابنِ أختِه عبدالله الثاني، وكثيرٍ مِن صالحِي سلفِهِم، لهم رواتِبُ، وكثيرٌ مِن آل العَمودِي، وغيرُ هؤلاءِ كثيرون مِمَّن لهم رواتِبُ ذِكْر، يُقصَدُ بها الاِجْتماعُ على ذكرِ اللهِ تعالى اتِّباعًا للأحاديث الشريفةِ الآتيةِ وما في معناها، وامْتِثالاً لذلك من الأمرِ والتَّرْغيبِ في حَلَقِ الذِّكر. فمَن أنكرَ هذا الاِجْتماعَ الشَّريفَ فنَدْرأُ في نَحْرِه بالأحاديثِ الآتيةِ وغيرِها، وبهؤلاءِ الأكابِر، ونَقْذِفُ بحقِّهِم على باطلِه، فيَدمغُهُ فإذا هـو زاهِق. وليس المُنكِرُ الجاهِلُ الناصِبُ نفسَه في منصِبِ العلماء، المُظهِرُ نفسَه بدعوَى العِلْمِ رياءً وسُمْعةً، بأَعْلَمَ بالله، ولا بِأَحْكامِ الله، مِن هؤلاءِ الكُمَّلِ الكِرامِ على الله، فما بَقِيَ له من حُجَّةٍ مِن أمرٍ يدَّعِيه، إلا أنْ يقولَ: «شوَّشَ على مُصَلٍّ»، فالمُصلِّي الَّذي يخافُ التَّشْويشَ يبعدُ عنهم، ولا يحجُرُ على النَّاسِ ذكرَ اللهِ رغبةً في الوعدِ المذكورِ في الاِجْتِمَاع، خاصَّةً من حُفوفِ الملائكةِ، وغِشْيانِ الرَّحمةِ، ونزولِ السَّكينة، لأجلِ صلاتِه، فإنْ كان صلاتُهُ فرضًا، فإنَّ الرَّاتبَ لايُقامُ إلَّا بعدَ فراغِ النَّاسِ من الفَرْض. وإنْ كانَتْ صلاتُه نفلاً، فإنْ أرادَ تمامَ الفضيلَة، فلْيُصَلِّها في بيتِه، فهو أفضَلُ له. فإنْ قال: لايلزَمُني ذلك! فكذلك لايلزَمُهم يَتْركونَ ذِكْرَ اللهِ لأجلِ صلاتِه. وكما هو يطلُبُ التقرُّبَ إلى ربِّه، فكذلك هم يطلُبونه. شعرًا:

كُلُّ مَن في الوجودِ طالبُ صيدٍ * غـيرَ أنَّ الـشِّبَـاكَ مخـتـلفـاتُ

ومِن قواعدِ الشَّرعِ تقدُّمُ النَّفعِ العامِّ، على النَّفعِ الخاصِّ. فنفْعُ صلاتِه وعبادتِه خاصٌّ به، ونفْعُ الاجتماعِ لِذكرِ اللهِ عامٌّ، فهو أقدَمُ. وفي الحديث: [فَضْلُ صَلاَةِ النَّفْلِ فِي البَيْتِ كَفَضْلِ صَلاَةِ الفَرِيضَةِ فِي المَسْجِدِ عَلَى فِعْلِهَا فِي البَيْتِ]. وحديثُ فضلِ صلاةِ النَّفلِ في البيتِ عمَّ كلَّ مسجدٍ، مسجدِ الحرامِ والمدينَة.

ثم قال الشَّيخ أحمد بن عبدالكريم الشجَّار الأَحسائي: وهذا راتِبُ سيدِنا القُطب، عبدالله بن علوي الحدَّاد، نفَعَ اللهُ به، المسمَّى براتبِ العِشاء، يُقرَأُ بعد صلاةِ العِشاء، إلا في رمضانَ فقبْلَها، وقراءتُه في جماعة. فإنْ لم تتفِقْ قراءتُه في جماعَة، فيقرأُه منفرِدًا. والمقصودُ بأنَّه يُقرأ في جماعَة، لِما ورَدَ في الاِجْتِماعِ لِذكرِ اللهِ من الفَضْل. فمِنْ ذلك ما رواه مسلمٌ والترمذيُّ عن أبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، رضي اللهُ عنهما، عن رسولِ اللهِ ﷺ أنه قال: [لاَيَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ، إلاَّ حَفَّتْهُمُ المَلاَئِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ]، فأَفْهَمَ أنَّ هذه الفوائدَ الَّتي لاتحصُلُ، إلا بالاِجْتِماعِ دونَ الاِنْفِراد، ولأجلِها رتَّبَ المشائِخُ الرَّواتِب، وحَلَقَ الذِّكر، لِحُصولِها مع ما هو مَذْكورٌ في كلِّ ذكرٍ من الفَضْل.

ورَوَى البخاريُّ ومسلمٌ عن أبي هريرة، رضيَ اللهُ عنه، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: [إنَّ لِلهِ مَلاَئِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ، يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللهَ، تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ. ﴿قَالَ﴾ فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تفرَّقُوا عَرَجُوا إِلَى السَّمَاءِ. ﴿قَالَ﴾ فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ مِنْهُمْ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ قَالُوا: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادِكَ فِي الأَرْضِ. ﴿قَالَ﴾ فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ مِنْهُمْ: مَايَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ. فَيَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْنِي؟ ﴿قَالَ﴾ فَيَقُولُونَ: لاَ وَاللهِ، مَا رَأَوْكَ. ﴿قَالَ﴾ فَيَقُولُ: كَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا. ﴿قَالَ﴾ فَمَاذَا يَسْأَلُونَنِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ. ﴿قَالَ﴾ فَيَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ ﴿قَالَ﴾ فَيَقُولُونَ: لاَ وَاللهِ مَا رَأَوْهَا. ﴿قَالَ﴾ فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ ﴿قَالَ﴾ فَيَقُولُ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ

عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً. ﴿قَالَ﴾ فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ ﴿قَالَ﴾ فَيَقُولُونَ: يَتَعَوَّذُونَ مِنَ النَّارِ. ﴿قَالَ﴾ فَيَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ ﴿قَالَ﴾ فَيَقُولُوْنَ: لَا وَاللهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا. ﴿قَالَ﴾ فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ ﴿قَالَ﴾ فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ مِنْهَا مَخَافَةً. ﴿قَالُوا﴾ وَيَسْتَغْفِرُونَكَ. فَيَقُولُ: أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، وَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا ﴿قَالَ﴾ فَيَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: رَبِّ فِيهِمْ عَبْدٌ خَطَّاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ. ﴿قَالَ﴾ فَيَقُولُ: وَلَهُ قَدْ غَفَرْتُ. هُمُ الْقَوْمُ لَايَشْقَى بِهِمْ جَلِيْسُهُمْ]. وإنَّما كان سُؤالُه سُبْحانه تقريرًا لهم، لِيتَبَيَّنَ لهم أنَّهم كانوا مُخْطئِينَ في اعْتِراضِهِم السَّابق، لَمَّا قالوا: [أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ] فردَّ عليهِم سُبْحانه إذْ ذاك بقولِه: [إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَاتَعْلَمُونَ]. أي إنَّكم لا تَعْلَمون ما أُرِيدُ بحِكمَتي في خلقِهِم. وهذا السُّؤالُ كالتَّذْكيرِ لهم، أي ماتَذْكُرون ماقُلتُ فيهم، فهذا حِكْمَتي وسِرُّ قَوْلي لكم، إنِّي أعلمُ ما لاتَعْلَمون. وذلك أنَّهم اجْتَمَعوا على ذِكْري، وعَبَدُوني أَقْوى من عبادَتِكم، لأنَّها عبادَةٌ مع الصَّوارِفِ عنها، وهي النَّفسُ البَهيمِيَّةُ ونحوُها، وعبادَتُكم تُشبِهُ فعلَ الطَّبيعَة، وشتَّانَ ما بين العِبادَتَيْنِ.

فكلُّ اجتماعٍ يجتمِعُ فيه المؤمِنُون لِعِبادةِ اللهِ تعالى يُباهِي اللهُ بهم الملائِكَة، ويُذَكِّرُهم عند ذلك ما قالُوا، وما قالَهُ لهم، وردَّ به عليهِم، كاجْتِماعِهِم في ذِكْرٍ، أو صلاةِ جمعَة، أو جماعَة، أو في جهاد، أو في سبيلِ الله، أو في وقوفِ عرفَة، أو مجالسِ علمٍ نافِعٍ، وغيرِ ذلك، فافهَمْ هذه المعانيَ الحاصِلةَ في الاِجْتِماعِ خاصَّةً. والفوائِدُ الخاصَّةُ في الاِجْتِماعِ للذِّكرِ لاتحصُلُ مع الاِنْفِراد، فإنَّه مارتَّبَ المشائِخُ الرَّواتِبَ وحَلَقَ الذِّكر، إلَّا لذلك.

وما ورَدَ في خُصوصِ كلِّ ذِكْرٍ من الفضائِل، فهو حاصِلٌ أيضًا مع ماهو حاصِلٌ في الاِجْتِماع، وما اختَصَّ بالاِجْتِماعِ لايحصُلُ مع الاِنْفِراد، فافهَمْ. ولا تظُنَّنَّ أنَّ الحالَ

مجتمِعٌ ومنفرِدٌ هيهاتَ، لو كان كذلك لكانَتِ الصَّلاةُ أيضا في جماعَةٍ ومنفرِدًا سواءً، وقد فاوَتَ النبيُّ ﷺ بينهما، فقال:

[تَفْضُلُ الصَّلاَةُ فِي الجَمَاعَةِ عَلَى صَلاَةِ الفَرْدِ سَبْعٌ وَعِشْرُونَ دَرَجَةً]، يعني تكون صلاةُ المُنفرِدِ من صلاةِ الجماعةِ بقدرِ جزءٍ من سبعَةٍ وعشرِين جزءًا، فأيُّهما، إذا عرَفْتَ ذلك، أحَبُّ إليك؟

وأخـرج مسلمٌ والترمـذيُّ [عَنْ مُعَاوِيَـةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرجَ عَـلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: مَاأَجْلَسَكُمْ؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ وَنَحْمَدُهُ. فَقَـالَ: إِنَّهُ أَتَـانِي جِبْرَائِيلُ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللهَ يُبَاهِي بِكُمُ المَلاَئِكَةَ]. وفي هذا الحديثِ دليلٌ على ماتقدَّم مِن نتيجةِ قولِه تعالى ردًّا عليهم، «إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَتَعْلَمُونَ»، وهي مباهاتُهُ لهم بهم.

ورَوى البيهقيُّ عن أنس قال، [قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِذَا مَرَرْتُم بِرِيَاضِ الجَنَّةِ فَارْتَعُوا! قَالُوا: يَارَسُولَ اللهِ! وَمَا رِيَاضُ الجَنَّةِ؟ قَالَ: حَلَقُ الذِّكْرِ].

وأخرج البيهقيُّ أيضا عن عبدالله بن مغفَّلٍ قال، [قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَا مِنْ قَوْمٍ يَجْتَمِعُونَ لِذِكْرِ اللهِ تَعَالَى إِلاَّ نَادَاهُمْ مُنَادٍ: قُومُوا مَغْفُورًا لَكُمْ، قَدْ بُدِّلَتْ سَيِّئَاتُكُمْ حَسَنَاتٍ]. والحديثُ القُدْسِيُّ الصحيحُ الَّذي قال فيه: [أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذْ ذَكَرَنِي. فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ . . . . . إلى آخره]، وغير ذلك مِن الأحاديثِ الدالَّةِ على فضيلةِ الاِجْتِماعِ على ذكرِ اللهِ تعالى، وفضلِ حَلَقِ الذِّكر، وإنَّ الذِّكرَ في الاِجْتِماعِ أفضَلُ منه في الاِنْفِراد، لأنَّ ما ورِدَ من الفَضْلِ في الاِنْفِرادِ كما في حديثِ: [مَنْ قَالَ «لَا إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَشَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذٰلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلاَّ أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذٰلِكَ]، فهو حاصِلٌ في الاِجْتِماع. والمقصُودُ براتبِ سيدِنا هذا الاِجْتِماعُ على ذكرِ اللهِ تعالى.

وكيفيَّةُ ترتيبِه أن يجتمِعَ الجماعَةُ صفًّا، مُسْتقبِلينَ القِبلَة، والَّذي يقرأه لهم يقعدُ مُقابِلَهم، وإنِ اسْتَدْبرَ القبلةَ كما يفعلُه الإمامُ بعد السَّلام، فيَشْرَعُ ويقرَأُ الفاتِحَةَ وآيةَ الكُرْسيِّ وآخِرَ البقرةِ مِنْ «آمَنَ الرَّسولُ . . . . . إلى آخرِها» جهرًا، وهم يقرَأُون سِرًّا، ثم يقولُ معهم برفْعِ الصَّوت، إمَّا معًا أو تعقيبًا، أوله:

لَا إِلَه إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَاشَرِيكَ لَه، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيت، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير - (ثلاثا).

سُبْحَانَ الله، وَالحَمْدُ لله، وَلَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَالله أَكْبَر - (ثلاثا).

سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِه، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيم - (ثلاثا).

رَبِّ اغْفِرْ لَنَا، وَتُبْ عَلَيْنَا، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيم - (ثلاثا).

اَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد، اَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ وَسَلِّم - (ثلاثا)

أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَق - (ثلاثا).

بِسْمِ اللهِ الَّذِي لَايَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيم - (ثلاثا)

رَضِينَا بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا - (ثلاثا).

بِسْمِ الله، وَالحَمْدُ لله، اَلخَيْرُ وَالشَّرُّ بِمَشِيئَةِ الله - (ثلاثا).

آمَنَّا بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِر، تُبْنَا إِلَى اللهِ بَاطِنًا وَظَاهِر - (ثلاثا).

يَا رَبَّنَا وَاعْفُ عَنَّا، وَامْحُ الَّذِي كَانَ مِنَّا - (ثلاثا).

يَاذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَام، مِتْنَا عَلَى دِينِ الإِسْلَام - (سبعا).

يَا قَوِيُّ يَا مَتِين، اِكْفِ شَرَّ الظَّالِمِين - (ثلاثا)

أَصْلَحَ اللهُ أُمُورَ الْمُسْلِمِين، صَرَفَ اللهُ شَرَّ الْمُوذِين - (ثلاثا).

يَا عَلِيُّ يَا كَبِير، يَا عَلِيمُ يَا قَدِير، يَا سَمِيعُ يَا بَصِير، يَا لَطِيفُ يَا خَبِير - (ثلاثا).

يَا فَارِجَ الهَمّ، يَا كَاشِفَ الغَمّ، يَا مَنْ لِعَبْدِه، يَغْفِرُ وَيَرْحَم - (ثلاثا)

نَسْتَغْفِرُ اللهَ رَبَّ البَرَايَا، نَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنَ الخَطَايَا - (أربعا)

ثم يقول: لَا إِلَهَ إِلَّا الله، لَا إِلَهَ إِلَّا الله. هكذا تهليلتَيْنِ في نفَسٍ واحِد. وأقَلُّ ذلك خمسٌ وعشرُون مرَّةً لاينقُصُ عنها، ليُتِمَّ بذلك خمسِين تهلِيلةً بلا نُقْصانٍ، ولا حَدَّ لأكثرِه. ولو أرادُوا الوَفاء، ثم يَخْتِمون: بـ«لَا إِلَهَ إِلَّا الله، مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وَشَرَّفَ وَكَرَّم، وَمَجَّدَ وَعَظَّم، وَرَضِيَ اللهُ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِين، وَأَصْحَابِهِ الأَكْرَمِين، وَأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَات، أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِين، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّين، وَعَلَيْنَا مَعَهُمْ وَفِيهِمْ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِين». ثم يقرَأُ جهرًا، وهم سِرًّا، سورةَ الإخلاص (ثلاثا) والمُعَوِّذَتَين (مرةً مرةً)، ثم يقول:

﴿الفَاتِحَةَ﴾ لِسَيِّدِنَا الفَقِيهِ الْمُقَدَّمِ مُحَمَّد بِن عَلِيّ بَا عَلَوِيّ وَأُصُولِهِ وَفُرُوعِهِمْ وَجَمِيعِ سَادَاتِنَا آلِ أَبِي عَلَوِيّ، أَنَّ اللهَ يُقَدِّسُ أَرْوَاحَهُمْ فِي الجَنَّة، وَيُنَوِّرُ ضَرَائِحَهُمْ، وَيُعِيدُ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِهِمْ وَأَسْرَارِهِمْ وَأَنْوَارِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة.

ثم ﴿الفَاتِحَةَ﴾ لِجَمِيعِ سَادَاتِنَا الصُّوفِيَّةِ أَنَّ اللهَ يُقَدِّسُ أَرْوَاحَهُمْ فِي الجَنَّة، وَيُنَوِّرُ ضَرَائِحَهُمْ، وَيُعِيدُ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِهِمْ وَأَسْرَارِهِمْ وَأَنْوَارِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة، وَيُلْحِقُنَا بِهِمْ فِي خَيْرٍ وَعَافِيَة.

ثم ﴿الفَاتِحَةَ﴾ لِصَاحِبِ الرَّاتِب، الأُسْتَاذِ سَيِّدِنَا الشَّرِيف، القُطْبِ الغَوْث، عَبْدِالله بِن عَلَوِيّ الحَدَّاد بَاعَلَوِيّ، أَنَّ اللهَ يُقَدِّسُ رُوحَهُ فِي الجَنَّة، وَيُنَوِّرُ ضَرِيحَهُ وَيُعِيدُ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِهِ وَأَسْرَارِهِ وَأَنْوَارِهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة.

ثم ﴿الفَاتِحَةَ﴾ لِوَالِدِينَا وَوَالِدِيكُمْ، وَأَمْوَاتِنَا وَأَمْوَاتِكُمْ وَأَمْوَاتِ الْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِين، أَنَّ اللهَ يَغْفِرُ لَهُمْ وَيَرْحَمُهُمْ وَيُسْكِنُهُمْ فِي الجَنَّة، وَيُصْلِحُ أُمُورَ الْمُسْلِمِين، وَيَكْفِيهِمْ شَرَّ المُوذِين، وَيَتَقَبَّلُ مِنَّا وَمِنْكُمْ، وَيَرْزُقُنَا وَإِيَّاكُمْ حُسْنَ الخَاتِمَةِ عِنْدَ المَوْتِ فِي خَيْرٍ وَلُطْفٍ وَعَافِيَة، وَإِلَى حَضْرَةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم.

ثم يرفعُ يدَيْه، ويدعُو سِرًّا. وإنْ حضرَ أحدٌ من السَّادة، فهو أَوْلَى أن يدعُوَ بهم، وإلَّا الَّذي يقرَأُ الرَّاتب، ويدعُو له ولِوالِدَيْه وللمُسلمين عُمومًا وخُصوصًا، ولا بأسَ بأنْ

يدعُو بهذا الدُّعاء، وهو لِصاحبِ الرَّاتب، وأصلُهُ وضعَهُ له بعد قراءةِ الفاتحةِ لترتيبِها المذكورِ بعد الصَّلاة، ويشتمِلُ أيضا إذا قرأتَ في أيِّ وقتٍ وموضعٍ كان، وهو:

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين، حَمْدًا يُوافِي نِعَمَهُ وَيُكَافِي مَزِيدَه. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ. اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِحَقِّ الفَاتِحَةِ المُعَظَّمَةِ وَالسَّبعِ المَثَانِي أَنْ تَفْتَحَ لَنَا بِكُلِّ خَيْر، وَأَنْ تَتَفَضَّلَ عَلَيْنَا بِكُلِّ خَيْر، وَأَنْ تَجْعَلَنَا مِنْ أَهْلِ الخَيْر، وَأَنْ تُعَامِلَنَا يَا مَوْلاَنَا مُعَامَلَتَكَ لِأَهْلِ الخَيْر، وَأَنْ تَحْفَظَنَا فِي أَدْيَانِنَا وَأَنْفُسِنَا وَأَوْلاَدِنَا وَأَصْحَابِنَا وَأَحْبَابِنَا مِنْ كُلِّ مِحْنَةٍ وَبُؤْسٍ وَضَيْر، إِنَّكَ وَلِيُّ كُلِّ خَيْر، وَمُتَفَضِّلٌ بِكُلِّ خَيْر، وَمُعْطٍ لِكُلِّ خَيْر، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِين.

ثم يَختِمُ الدُّعاءَ، ويَقُولونَ معًا بِرَفعِ الصَّوتِ أكثرَ مِن الأوَّل:
اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ رِضَاكَ وَالجَنَّة، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ سَخَطِكَ وَالنَّار - (ثلاثا)
ثم يَقولُ الَّذي يَجْمعُ بهم الدُّعاءَ بِحيثُ يُسْمِعُ الحاضِرين:
تَقَبَّلَ اللهُ مِنَ الجَمِيع، وَجَعَلَهُ خَالِصًا لِوَجْهِهِ الكَرِيم، لَنَا وَلِمُحِبِّينَا وَلِأَحْبَابِنَا وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِين.

تَمَّ الرَّاتِبُ الشَّريف، وكلُّ كلِمَةٍ لها شاهِدٌ ودَليلٌ يَليقُ بِتَفْصيلِها، غيرُ هذا المَوْضِع، وكَلِماتُهُ تِسْعَ عشْرَةَ (بتقديمِ التَّاءِ المُثَنَّاة الفوقُ)، وكلُّ كَلِمةٍ تُقالُ ثلاثًا، إلَّا اثنتَيْن: أحدُهُما سبعًا، والأُخْرى أربعًا. وفَواتِحُه، قال صاحِبُه، جُعِلَتْ أربعًا، وإنْ أرادَ الزِّيادةَ فلاَ بأسَ بِما زادَ، ولا ينقُصْ عن الأربعِ، والثَّالِثةُ في حياتِهِ في حَضْرتِه، أو في غيرِ حَضْرَتِه لايسمَّى، وإنَّما يُقالُ الفاتِحَةَ لِصاحبِ الرَّاتبِ أنْ يُجَمِّلَ أَحْوالَه، ويكونَ في عَوْنِه، ويُعْطِيَه مَطْلوبَه فِي الدُّنيا والآخِرة، ويَنْفَعَنا ببركاتِهِ وأَسْرارِه وأنوارِه في الدُّنيا والآخِرة. وإنَّما اسْتَحْبَبْنا ذِكرَه هنا بعدَ التَّعْريف، لأنَّ عندَ ذِكْرِ الصَّالِحين تَنزِلُ الرَّحْمَةُ، لاسِيَما ذكرُه عندَ راتِبِه، ولِفَوائدَ غير ذلك أيضًا، وقَوْلُ الملائِكَةِ لَمَّا قالَ اللهُ تعالى لَهم «مَا يَقُولُونَ عِبادِي؟ قَالُوا: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَك وَيَحْمَدُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ» هو ما

في الرَّاتِب مِن قَوْلِ «سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَاللهُ أَكْبَر»، فإنَّه مؤسَّسٌ ومبنيٌّ على هذا الحديث، وأَمْثالِه ممَّا هو في مَعْناه.

وقولُهم «وَيَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ وَيَسْتَعِيذُونَ بِكَ مِنَ النَّار» هو ما ختَم به الرَّاتبَ مِن سُؤالِ الجنَّةِ، والاِسْتِعاذةِ من النَّار، كما هو أيضًا خاتِمَةُ الحديث، فافهَمْ ذلك! فمَن أَنْكرَ هذا الرَّاتِب، وحَلَقَ الذِّكرِ، فإنَّما أَنْكرَ ما لم يألَفْ، ومَن جهِلَ شيئًا أَنْكرَه، والمرءُ عدُوٌّ ما جهِل، والطَّبعُ مخالِفٌ لِلشَّرع. فلِهذا احْتِيجَ إلى مُجاهدَةِ النَّفْسِ على مُتابَعةِ الحقّ، فإنَّها إنَّما ترَغبُ في مُتابعةِ هواها ومَأْلوفِها، حتى إنَّ عُبَّادَ الأصنَام، إنَّما شقَّ عليهم تَرْكُها لإلفِهِم لها. ولِهذا قال النَّبيُّ ﷺ: [أَبْغَضُ مَعْبُودٍ فِي الأَرْضِ إِلَى اللهِ عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ الهَوَى]، وإِنْكارُه مُصارِمٌ لهذه الأحادِيث الشَّريفةِ الصَّحيحةِ وهي حُجَّةٌ عليه، ونحن نَدرَأُ بها وبِقائِلِها في نَحْرِه، فلا حُجَّةَ له عندَ الله.

وقد اشْتَهَر هذا الرَّاتِبُ في جِهاتِ الدُّنيا، وسَمِعَه أكابرُ من أهلِ الباطِنِ وأهلِ الظَّاهر، وكلُّهم أَقَرُّوه وأَذْعَنُوا له وسَلَّموا، ولا أحَدَ مِنهم مَن أَنْكرَ منه شيئًا، لا بِقلبِه ولا بِلِسانِه، وهم أَعْرَفُ بِاللهِ وبأحكامِ الله، مِن كلِّ مُنكِرٍ متجاهِلٍ مُتعصِّبٍ، مِن نَجْدِيٍّ أو بَدَوِيٍّ، لايُوبَهُ له، وليسَ شيءٌ معه مِن العلمِ الحقِيقيِّ، بل مجرَّدُ دعوَى شيءٍ من ظاهِرِ العِلْم. فلَوْلا مَزِيَّةُ هذا الرَّاتِبِ عندَ اللهِ ما أَشْهرَهُ اللهُ هذه الشُّهْرَة، وقَبِلَتْه قلوبُ أهلِ الحقّ، فإنَّه يُقامُ تِلْقاءَ الحجَرِ الأسعَدِ عندَ البيتِ الحرَام، وتِلْقاءَ النَّبيِّ ﷺ عندَ بابِ الرَّحْمة، وفي الحرمَيْنِ عندَ عُلماءِ الظَّاهرِ والباطنِ مِن كلِّ جهاتِ الأرض، ولا أجِدُ مَن أَنْكرَ منه شيئًا، والاِجْتِماعُ حُجَّةٌ قاطِعَة.

ويُقامُ أيضًا في جِهاتٍ كثيرةٍ مُتعدِّدَة، مِن اليَمَن، والهِنْد، ومِصْرَ، والشَّام، حتَّى في المَغْرِب، وغيرِها، فما بالُ المُنكِر الخَبيثِ يدَّعِي أنَّه أَعْلَمُ وأَعْرَفُ بالحقِّ من هؤلاءِ الخَلْق. وقد أَشْهرَه الله، كما أَشْهرَ صاحِبَه، حتَّى عندَ الجنِّ، فَضْلاً عن الإنْس. وقد جرَّبْنا ورأَيْنا بالعِيانِ والمُشاهدَة، وليسَ الخَبَرُ كالمُعايَنَة، مِن بركاتِ هذا الرَّاتبِ من جَلْبِ

النَّفعِ ، ودَفْعِ الضُّرِ ، وأذى المُؤذِين ، ما لايُمكنُ حَصْرُهُ وتَعدَادُه ، ولولا خَوْفُ الإطالةِ والمَلالَة ، لَذَكَرْنا منه شيئًا كثيرًا .

وكان قد ورَدَ هذا الرَّاتبُ على مؤلِّفِه ، نفعَ اللهُ به ، في بعضِ ليالِي رَمَضانَ ، وكانتْ ليلةَ القَدَر سنةَ ١٠٧١ (إحدى وسبعين وألف) .

قال سيِّدي : أوَّلُ مَن سألَه ، يعني الرَّاتبَ مِنَّا ، رجُلٌ مِن بني سعد ، يُقال له عامر السَّعدي ، وأقامَه بمسجدِ بلدةِ مُوشح بإذنٍ منَّا ، ولم نُقِمْه نحن إلَّا في شهرِ عاشوراءَ المحرَّمِ من السَّنة التي تليها . ثم درَّكْنا به رَجُلًا يُقِيمه عندَنا ، أي في حَضْرتِه . قال نفعَ اللهُ به : وأَقَمْناهُ سَنةَ حَجِّنا في الحَرَمَيْنِ ، فَيحْضُرُه جَمعٌ ، فبَقِيَ مِن ذٰلِك الحِينِ يُقرَأُ فيها حتَّى انْتَشَر .

وكان لايُقامُ بحضرةِ مؤلِّفِه إلَّا بعدَ الفراغِ مِن صلاةِ العِشاءِ ورواتِبِها ، من سُنَنِها البَعْديَّةِ وغيرِها ، وأذكارِها المُرَتَّبَةِ بعدَ الصَّلوات . ولا يُؤذنُ لأحَدٍ يُصلِّي بقُرْبِهم في حالِ القِراءَة ، بل يأمُرُ مَن أرادَ بالبُعْد ، ويلُومُ مَن يصلِّي بالقُرْبِ - انتهى كلامُ الأَحسائي ، رحِمَه اللهُ تعالى .

وقولُه : إنَّ الحبيب الحدَّاد رخَّصَ لِمَن أرادَ الزِّيادةَ على الأربعِ الفَواتحِ ، بأنَّه لابأسَ بها ، فإنِّي سمِعتُ سيدَنا وشيخَنا الجدَّ الحسن بن سيدنا القُطب عبدالله ، نفعَ اللهُ بهما ، يقولُ : إنَّ القائِمِين بمسجدِ سيدِنا الوالدِ الَّذي بِنَقْرِ شِبام ، يقالُ لهم آلُ بن حَمود وجيرانُهم ، أناسٌ من السَّادة آل الشيخ أبي بكر بن سالم ، نفعَ اللهُ به ، فقال السَّادةُ آل بن حمود : اِقْرأوا لسيدِنا الشيخ أبي بكر بعد راتبِ سيدنا الحبيب عبدالله فاتحةً عندَ الفَواتحِ الأربَع ، فاستَأْذَنَ آلُ بن حمود سيدَنا الوالدَ صاحبَ الرَّاتب ، فقال لهم : لاتَزيدوا على الأربَعِ الفَواتِح ، وإنْ أرادُوا السَّادات آل الشيخ أبي بكر ذِكْرَ الشيخ أبي بكر بن سالم ، فَاذْكُرُوه عندَ فاتحةِ الصُّوفيَّة وهو مِنهم . ﴿قلتُ﴾ وأرى سيدَنا الحبيب الحسن يَنْهى عن الزِّيادةِ على الأربَع ، ونقلُ الأَحْسائي صحيحٌ عن سيدِنا صاحبِ الرَّاتب ، بأنَّه لابأسَ

بالزِّيادةِ على الأربَع ، لٰكنْ لم أتبيَّنْ، هل رَخَّص سيدُنا الحدَّاد، نفعَ اللهُ به، أوَّلاً، ونَهى عن الزِّيادةِ ثانِيًا، أو نَهى أوَّلاً ورَخَّص ثانيًا، واللهُ أعلَم. والتَّوقُّفُ أحسَن.

ولَمَّا علِمَ سيدُنا الأزهَر، عبدالله بن جعفر مُدْهِر باعلوي، نفَعَ اللهُ به، أنَّ بعضَ النَّاسِ يزيدُ وينقُصُ في الرَّاتبِ والفَواتِح، نظَّم الرَّاتبَ والفواتحَ على سبيلِ الإشارَةِ على ماسيأتِي في شَرْحِ «لا إلٰهَ إلَّا الله»، فانظُرْهُ هُناك.

وقال نفَعَ اللهُ به في الفَواتِحِ شِعْرًا:

فَواتِحًا أربَعًا قبلَ الدُّعاءِ فاقرأَنْ * فاتِحةً للمُقَدَّمِ مُبتَدا حِزْبِهِ
صُوفيَّة صاحبِ الرَّاتب آخِرُها * للمُصْطفى أحمدَ الهادِي إلى ربِّهِ

- انتهى.

وسُئِلَ الشيخ أحمد بن حجر، رحمه اللهُ تعالى، عمَّن قرأَ شيئًا من القُرآن، أو خَتَمَه، هل الأَولى أن يُوصِلَ ثوابَ قراءتِهِ إلى والدَيْه، أو يَتوصَّلَ بإهداءِ ثوابِه إلى جانبِ النَّبيِّ ﷺ، أو لايُوصلَ ثوابَه إلى أحَد ..... الخ؟

الجواب: مايفعلُهُ الناسُ الآنَ من سُؤالِهِم من الله، أن يُوصِلَ مثلَ ثوابِ مايَقْرأون إلى النَّبيِّ ﷺ وآلِه وصحبِه، وتابِعِيهم بإحْسَان، حسَنٌ، لا اعْتِراضَ عليه، خِلافًا لما بيَّنْتُه في إفْتاءٍ طويلٍ غيرِ هذا - انتهى ملخصا.

وقد ردَّ الشيخ أحمد بن حجر، جزاه اللهُ خيرًا على الفقيه أحمد الباهِلي، على منعِه إهداءَ الثَّوابِ إلى النَّبيِّ ﷺ، وكذلك قال الباهِلي، قال في حقِّ غيرِه عندَ الشَّافعي. قال ابنُ حجر: وقولُه «لايَجُوز في حقِّهِ ﷺ» من تَهَوُّراتِه، بل الصَّوابُ أنَّه مُستحَبٌّ. واستَدَلَّ رضِي اللهُ عنه بِدلائلَ قَطْعيَّةٍ لا نُطوِّلُ بذكرَها. وقولُه أي الباهِلي: وأما غيرُه فكذلك، عندَ الشَّافعي ... إلى آخرِه، فهو من مُجازَفاتِه، فإنَّ معنى الإهداءِ أنَّ الإنسانَ يسألُ اللهَ أنْ يَجْعلَ للمُهْدَى إليه مثلَ ذلك الثَّوابِ، فإنْ حُذِفَ لفظَةُ «مثل» لم يَضُرَّ، كما صَرَّح به بعضُ المُحقِّقِين ويُؤَيِّدُه أنَّ الفُقهاءَ قَدَّروها وإنْ لم يُورِدْها المُتكلِّمُ في «أَوْصيتُ لِفُلانٍ

بنصيبِ ابني!». فإنْ قلتَ: يقَعُ لِبعضِ المُهْدِين أن يقولَ: أَهْدَيْتُ ثوابي إلى النَّبيِّ ﷺ، فهل يَسُوغُ ذلك؟

الجواب: إنْ نَوَى بذلك الدُّعاءَ، كما في «غفَر اللهُ له»، أي «اللهُمَّ اغفِرْ له!»، أي اِجعلْهُ واصِلاً للنبيِّ ﷺ، فلا مَحْذورَ عليه، وإلَّا كلامُ لَغْوٌ، لأنَّه لاتَصرُّفَ له في الثَّوابِ أصلاً – انتهى ملخصا.

وقد ذكرَ سيدُنا القُطب عبدالله، نفَعَ اللهُ به، في [مسائل الصُّوفِية] في مسألةٍ سُئِلَ عنها، في مِثْل ماتقدَّم، فأجابَ بالجواب العَجيبِ الغَريب، فانظُرْهُ هناك في المَسائلِ المذكورَة، وفي الَّذي الْتَقَطْناه منها. وسيأْتي في هذا الكتابِ إن شاءَ اللهُ تعالى، ولم نَأْتِ به هنا خَوْفًا من الإطالَة. وكذلك فإنَّ كُتُبَ سيدِنا الشيخ عبدالله ظاهِرةٌ عند غالِبِ النَّاس، فاكْتَفَيْنَا بذلك، ولو أَرَدْنا أنْ نفتحَ البابَ في التَّطويلِ لَاحْتاجَ هذا الكِتابُ إلى مُجَلَّدات، لٰكنْ فيما ذكَرْناه كِفايةٌ للنَّبيه.

وقولُ الأَحسائي: «وتَرْتِيبُه أن تجتمِعَ الجماعةُ صَفًّا، مُسْتقبِلِين القِبْلَة»، فهذا مِن عادةِ صاحِبِ الرَّاتب، وهكذا العمَلُ على ذلك، حتَّى سمعْتُ سيدَنا الوالِد، نَفَعَ اللهُ به، يقولُ: رَأَيْتُهُم يَعْملونَ هذا العمَل – انتهى.

وقولُ الأَحسائي: «يقرَأُ هو جَهْرًا، وهُمْ سِرًّا»، فقد سأَلْتُ سيدَنا الأكبَر، الجدَّ الحسن بن عبدالله، فقال: يقرَأُ أوَّلَ الرَّاتِب الفاتِحَة، وآيَة الكُرسي، وآمنَ الرَّسُول، وكذلك آخِرَ الرَّاتِب – الإخلَاص والمُعَوِّذَتين، يقرَأُ جهرًا وهم سِرًّا. وكذلك قال سيدي الوالِد: لٰكنْ رأيتُ لسيدِي العلاّمة، الحبيب محمد بن زين بن سميط، في كتابِه [غاية القصد والمُراد] عند ذكرِه للرَّاتِب، قال: القارِىءُ وحدَهُ يقرَأُ جهرًا، والبقِيَّةُ يَسْتمِعون لِقراءتِه، فافهَمْ! واللهُ أعلَم.

وأَعْلَمَني بعضُ السَّادةِ الأفاضِل، قال: إنَّ والدَه أخذَ إجازةً في قراءةِ الرَّاتِبِ الشَّريفِ مِن سيدي الشيخ العارفِ بالله، علوي بن سيدِنا القُطب عبدالله صاحبِ

الرَّاتب ﴿قال﴾ وقال له سيدُنا علوي : إذا وجَدْتَ جماعَةً قد قرَأُوا بعضَ الرَّاتب، فاقرَأْ معَهُم، ووافِقْهُم فيما هم فيه. ثم بعدَ أنْ تتِمَّ معهم الرَّاتِب، هاتِ ما فاتَك منه - انتهى.

وقولُ الأَحسائي «معًا»، وهو الَّذي رَخَّصَ فيه سيدُنا الحدَّاد، نفَعَ اللهُ به، لِتِلْميذِه الشيخ محمد باقَيْس. وقولُه «أو تَعْقيبًا»، فهو عادَةُ صاحبِ الرَّاتِب في مسجدِه. وقولُه «بعدَ صلاةِ العِشاء»، فهو كذلك، إلَّا في رمضَانَ فإنَّه يأمُرُ صاحِبُ الرَّاتبِ أنْ يُقَدِّموه قبلَ الصَّلاة، بل إنَّ بعضَ الأخيارِ الأكابِرِ مِن تلامذَةِ صاحبِ الرَّاتب، وهو الشيخ محمد باقَيْس في بلدِه، بدُوعَن، قدَّمَه في ليالي كلِّ شَهْر. وكذلك سيدُنا الكامِل، عمر بن زين بن سُميط، قدَّمَه في غيرِ رمضانَ، لأنَّ الجماعةَ قبلَ الصَّلاةِ أكثَرُ. ورَأَى بعضُ الدَّواعِنَةِ في المَنامِ سيدَنا الحدَّاد رخَّصَ له بِتَقْدِيم الرَّاتبِ قبلَ صلاةِ العِشاء.

﴿الفائدة الحادية عشرة﴾

في الإنشاد بأشعار الصَّالحين وذِكر أهل الأسرار

أمَّا ما كان سيِّدُنا الحدَّاد يَفعَلُ بعدَ قِراءةِ راتِبِه، إذا أرادَ القِيامَ، فَإنَّه يَخْتِمُ جُلوسَه بِنَشيدةٍ يُنشِدُ بها بعضُ الحاضِرين، ثمَّ يقرَأُ الفاتِحَة، ويَرْفَعُ يدَيْه، ثم يَدْخُلُ البَيت، فالإنْشادُ مليحٌ. فقد سُئِلَ عن ذٰلك الشيخ أحمد بن محمد بن علي بن حَجر السَّعْدي الهَيْتَمي، رضِي اللهُ عنه، في خاتِمَةِ الفتاوى، «ماقولُكم، نَفَعَ اللهُ بكم، عمَّا يَفْعَلُه طَوائفُ اليَمَن وغيرُهم، مِن اجْتِمَاعِهم وإنشادِ أَشْعارِهم، والمَدَائحِ مع ذِكرٍ مُسَجَّع، وهل هُو ذِكْرٌ أَو لاَ؟ وهل يُفْرَقُ بينَه وَبينَ الأَشْعار والمَدائِح، وهل مَنَعَه أَحدٌ مِن العُلماء، فَإن كان فما سببُه؟

فأجاب، نفَعَ اللهُ بِعُلومِه، بقولِه: إنشادُ الأشعَار، إنْ كان فيه حَثٌّ على خَيْر، أو نهيٌ عن شرّ، أو تشويقٌ إلى التأسّي بأحوالِ الصالِحين، والخُروجِ عن النَّفْسِ ورُعُونتِها وحُظُوظِها، والتأدُّبِ والجِدّ في التَّخلّي بالمُراقبةِ للحَقّ في كلّ نَفَس، ثم الاِنْتِقالِ إلى شهوةٍ في كلّ ذرَّةٍ من ذرَّاتِ الوُجودِ والعبادَات، كما أشارَ إليه الصَّادقُ المَصْدوقُ بقولِه: [الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَراهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ]، فكلٌّ من الإنشادِ والاستماعِ سنَّةٌ، والَّذي نسمَعُه عن اليمنِيَّةِ وغيرِهم، أنَّهم لايُنشِدُون في مجالسِ ذكرِهم، إلا بما فيه شيءٌ ممَّا ذكَرْناه. والمُنْشِدون والسَّامِعون مَأْجورون مُثابُون، إنْ صلُحَتْ نِيَّاتُهم، وصَفَتْ سرائِرُهم. فأمَّا إنْ كانوا بِخِلافِ ذلك، فيَفْهَمون من كلامِ الصَّالِحين غيرَ المُراد به، بما يَلِيقُ بِأَغْراضِهِم الفاسِدَة، وشهواتِهِم المُحرَّمَة، فهؤلاءِ

عاصُون آثِمُون، [فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ].

وقد وقَعَ لِبعضِهم، أنَّه كان يُنشدُ كلامَ بعضِ فسَقَةِ الشُّعرَاء، المُشْتمِلَ على الاِجْتِماعِ بالمُرد والخُمورِ ونحوِهما من المَعاصي، فيَنْبَغي النَّهيُ عنه ما أَمْكَن، فإنَّ إنشادَه واسْتِماعَه حرامٌ، كما صرَّحَ به النوويُّ في [شرح المهذب]، وهو ظاهِرٌ لأنَّه يَحملُ العوَامَّ، سِيَما الفَسَقَةُ منهم، على محبَّةِ ذلك، ويَزيدُ الِاسْتِرسالُ فيهم فتنةً من الشّرِ والفسادِ ما لاتُحْصى كثرتُه، ولا تُسْتقصَى نِهايتُه.

وأمَّا الذِّكرُ المُسَجَّع، فإنْ وقعَ السَّجعُ فيه عن تكلُّفٍ كان مكروهًا، لأنَّه يُنافي الخُشوعَ، وإنْ وقَعَ لا عن تكلُّفٍ، فلا بأسَ به أَخْذًا ممَّا ذكَرُوه مِن مثلِ هذا التَّفْصيلِ في الدُّعاء. نعمْ يقعُ لِبعضِهم عندَ السَّجع، أنْ يُصغِّرَ اسمَه تعالى، كالله ملي، وهذا عندَ تعمُّدِهِ حرامٌ، شديدُ التَّحْريم، وربَّما يكون كُفرًا، بل أَطْلَقَ بعضُهم أنَّه كفرٌ، فلْيُحْذَرْ!

وقَولُ السَّائِل «وهَل يُفْرَقُ بينَ الأَشْعارِ الغَزَلِيَّةِ والمَدائِحِ، وبينَ ما فيه حَـدْوٌ ونَحوُه»، فَحِينَئِذٍ جَوابُه: أنَّه لا فَرْقَ بينَهُما فيما سَبَق، مِن أَنَّ ماشْتَمَلَ على سُخْفٍ وهُزْوٍ، أو مَدحِ مَعصِيَةٍ، أو مُحَرَّمٍ، فَحَرامٌ. وأنَّ ما خَلا عن ذٰلك فَمُباحٌ، أو مَندُوب.

والحاصِلُ أنَّ العِبْرَةَ بالمَقْصـودِ والنِّيَّات، ومـا اشْتَملَتْ عليه القُلوب، وأَكَنَّتْـهُ الضمائِر، فرُبَّ سامِعٍ قَبِيحٍ صرَفَه إلى الحسن، وعكسِه، فيُعامَل كلُّ أحدٍ بحسَبِ نيَّتِه وقصدِه.

ويَنْبَغي للإنسانِ حيثُ أَمكنَهُ عدمُ الاِنْتِقـادِ على السَّـادةِ الصُّوفيَّـة، نفعَنا اللهُ بمعارِفِهم، وأفاضَ عَلينا بِواسطةِ مَحبَّتِنا لهم، ما أَفاضَ على خَواصِّهِم، ونَظَمنا في سِلكِ اتِّباعِهم، ومنَّ علينا بِسَوابِغِ عَوارِفِهِم، وأنْ يُسلِّمَ لهم في أَحْوالِهِم ما وَجَدَ لهم مَحْمَلاً صحيحًا يُخرِجُهم عن ارْتِكابِ المُحرَّم. وقد شاهَدْنا مَن بالَغَ بالاِنْتِقادِ عليهم مع نوعِ تعصُّبٍ، فابْتلاهُ اللهُ بالاِنْحِطاطِ عن مَرْتَبتِه، وأَزالَ عنه عوائِدَ لُطفِهِ وأسرارَ حَضرتِه، ثُم

أَذاقَهُ الهَوانَ والذِلَّة، وردَّه إلى أَسفلِ السَّافِلِين، وابْتَلاهُ بكلِّ علَّةٍ ومِحنَة، فنعوذُ بك اللهُمَّ من هٰذه القَواصِمِ المُرْهفَات، والبواتِرِ المُهْلِكات. ونسأَلُك أنْ تَنظِمَنا في سلكِهم القويِّ المتِين، وأن تمُنَّ علينا بما مَنَنْتَ عليهم، حتَّى نكونَ من العارفِين، والأئمَّةِ المُجْتَهدِين، إنَّك على كلِّ شيءٍ قدِير - انتهى كلامُه، نفَعَ اللهُ به وبِعلومِه، آمين.

ومِن خاتمةِ الفتاوى أيضًا: سُئِل نفَعَ اللهُ به، عن رَقْصِ الصُّوفيَّةِ عندَ تواجُدِهم، هل له أصلٌ؟

فأجاب بقولِه: نعَم له أصلٌ، فقد ورد في الحدِيث، أنَّ جعفر بن أبي طالب، رضيَ اللهُ عنه، رَقَصَ بينَ يدَيِ النَّبيِّ ﷺ، لَمَّا قال له: «أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي!» وذلك من لذَّةِ هذا الخِطاب، ولم يُنكِرْ عليه ﷺ. وقد صحَّ القيامُ والرَّقصُ في مجالِسِ الصَّحابة، عن جَماعةٍ مِن كِبارِ الأَئِمَّة، منهم عِزُّ الدِّين شيخُ الإسلامِ ابنُ عبدِالسلام.

﴿الفائدة الثانية عشرة﴾
في استحباب قراءة خبر مولد النَّبيّ ﷺ

ومِن عادةِ سيدِنا الحدَّاد، صاحبِ الرَّاتِب، نفَعَ اللهُ به، أنَّه يَعملُ مَوْلدًا للنَّبيِّ ﷺ في شهرِ ربيعِ الأوَّل، يسمُّونَه مولدَ الحِداة (بكسر الحاء المهملة وفتحِ الدَّال المُهْمَلة)، وهو باقٍ إلى الآنَ يسمَّى بهذا الاِسْم، فعملُ المولدِ مستحَبٌّ.

فلْنتمَّ بهذه الفائدة، فائدةً من كتابِ [إتمام النعمة الكبرى] لمولد سيدِ بني آدم ﷺ، تأليف الشيخ الإمام، شيخ مشائخ الإسلام، مفتي الحرمين، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي. قال رضِيَ اللهُ عنه، ونفَعَ بِعُلومِه في الفَصْلِ الأوَّل، في أصلِ عمَلِ المولِد: اِعْلَمْ أنَّه بدعةٌ، لأنَّه لم يُنقلْ عمَّن سبقَ من القُرونِ الثَّلاثةِ الَّتي شهِدَ النبيُّ ﷺ بخَيْريَّتِها، لكنَّها بِدعةٌ حسنةٌ، لِمَا اشْتَملتْ عليه من الإحسانِ الكثيرِ للفقيرِ، أو مِن قراءةِ القُرآن، وإكثارِ الذِّكر، والصَّلاةِ على النَّبي ﷺ، وإظهارِ السُّرورِ والفَرَحِ به ﷺ، والمحبَّةِ له، وإغاظةِ أهلِ الزَّيغِ والعِنادِ من الزَّنادِقةِ والمُلْحِدين، والكَفَرةِ والمُشْركين. ولَقد قالَ الإمامُ الجليلُ الشمسُ ابنُ الجَزَري: إنَّ ممَّا جُرِّب مَن فعلَ ذلك، كان أمانًا له ذلك العَام، أي مِن الفَقر. وممَّا يدلُّ على أنَّ عمَلَ المولِد المُشْتملَ على ما مرَّ من الإحسانِ الواسعِ والذِّكرِ الكثيرِ بدعةٌ حسَنَة، إكثارُ الإمام الكبيرِ أبي شامَة، شيخِ الإسلام النووي، رحمةُ اللهِ تعالى الثناءَ على الملِكِ المُظفَّر، صاحبِ إرْبِل، لما كان يفعلُه من الخيراتِ في هذه الخيراتِ ممَّا لم يجرِ بعضُه عند غيرِه، كما يَعرفُ ذلك مَن وقَف على تَرْجمتِهِ في تاريخِ ابنِ خلِّكَان وغيرِه. فثناءُ مثلِ هذا الإمامِ على هذا الفِعلِ في هذه الليلَةِ بِخصوصِها، أدَلُّ دليلٍ على أنَّها بِدْعةٌ حسَنَة، لاسِيَما وأبو شامة، رحِمَه اللهُ تعالى، إنَّما

ذكرَ هذا الثّناءَ الفائِق، في كتابِه الّذي سمّاه على إنْكارِ البِدَعِ والحوادِث، فذَكَر هو هذا الثّناءَ والمَدْحَ في هٰذا الكِتاب المَوْضوعِ لإنْكارِ البِدَعِ والحَوادِث، أدلُّ دَليلٍ على أنَّ ذٰلِك ليسَ مِن البِدَعِ الّتي تُنْكَر، بل مِن الّتي تُستحسَنُ وتُشكَر.

قال ابنُ الجزري، رحِمَه اللهُ تعالى: ولو لم يكُنْ في ذلك إلا إرغامُ الشّيطان، وسُرورُ أهلِ الإيمان، لَكَفَى. ﴿قال﴾ وإذا كان أهلُ الصّليبِ اتّخَذُوا ليلةَ مولِدِ نبيِّهم عيدًا، فأهلُ الإسلامِ أولى بذلك وأجدَر. واستدَلَّ شيخُ الإسلامِ، الحافظُ أبو الفضل ابنُ حجر، لكونِها بِدعةً حسنَة، بِخبرِ الصحيحين، أنَّه ﷺ لمّا قدِمَ المدينةَ وجَدَ اليهودَ يَصُومون يومَ عاشُوراءَ. سأَلَهم فقالوا: هذا يومٌ أَغرَقَ اللهُ فيه فِرْعون، ونجّى فيه موسى، فنحن نصومُه شكرًا للهِ تعالى. فقال ﷺ: فأنا أحقُّ بموسى منكم! فصامَه، وأمرَ بصيامِه، وقال: إنْ عشتُ إلى القابِل . . . الحديث.

﴿قال﴾ أعني شيخَ الإسلام: فيُسْتَفادُ منه فِعْلُ الشُّكرِ للهِ تعالى بِأنواعِ العِبادات، على ما منَّ به في يومٍ معيَّنٍ من إسداءِ نِعمَة، أو دفعِ نِقمَة، ويُعاد ذلك في نظيرِ ذلك اليومِ من كلِّ سنَة. وأيُّ نعمةٍ أعظمُ من نعمةِ بُروزِ هذا النبيِّ نبيِّ الرحمَة، في ذلك اليوم، صلى اللهُ عليه وسلَّم. وسبقَه لنحوِ هذا، الحافظُ ابنُ رجَب الحنبلي، رحِمَه اللهُ تعالى، فقال: إنَّ النِّعمةَ تمَّتْ بإرسالِ نبيِّنا محمدٍ ﷺ، المُحصِّلِ لِسعادةِ الدّارين. فصِيامُ يومٍ تجدَّدتْ فيه النِّعمةُ حسَنٌ جميل.

وسُئِل الإمامُ المحقِّق، أبو زرعة العراقيُّ، عن فعلِ المولِد، أَمُسْتحَبٌّ أم مكرُوه، وهل ورَدَ فيه شيْء، أو فعلَهُ مَن يُقتدَى به؟.

فأجاب بقولِه: الوَليمةُ وإطعامُ الطّعامِ مُستحَبٌّ في كلِّ وَقْت، فكيفَ إذا انضَمَّ إلى ذلك السُّرورُ بظهورِ نورِ النُّبوَّةِ في هذا الشَّهرِ الشَّريف، ولا نعلمُ ذلك من السَّلف، ولا يلزَمُ من كونِه بدعةً كونُه مكروهًا. فكَم مِن بدعةٍ مُسْتحبَّةٌ، بل واجِبَة، إذا لم تَنْضَمَّ لذلك مَفسَدَة.

قال شيخُ الإسلام ابنُ حجر: ثم يَنْبَغي أنْ يتحَرَّى اليومَ بعينِه، فإنْ كان قد ولَّدَ ليلاً فيقعُ الشُّكرُ بما يُناسِبُ اللَّيل، كالإطعامِ والقِيامِ. وإنْ كان ولَّدَ نهارًا، فبما يُناسِبُه كالصِّيام. ومَن لم يلاحِظْ ذلك، فلا يُبالي بِعَملِ المولدِ في أيِّ يومٍ من الشَّهْر، بل توسَّعَ قومٌ، فنَقَلوه إلى أيِّ يومٍ كان مِن السَّنَة.

وبالجُملة، فلا بأسَ بفعلِ الخيرِ في سائرِ الأيَّامِ واللَّيالِي الَّتي وقَعَ الإخْتِلافُ في تعيِينِها للمولِد، بل يحسنُ في أيَّامِ الشَّهرِ كلِّها ولَيالِيه.

قال ابنُ الجزري: فإذا كان أبو لهبٍ، الكافِرُ الَّذي نزَلَ القرآنُ بذَمِّه، الَّذي لا ذمَّ فوقَه، جُوزِيَ في النَّارِ بفَرَحِه ليلةَ مولدِهِ ﷺ، فما جزاءُ المُسلمِ المُوَحِّدِ لله، يُسَرُّ بمولدِه، ويَبْذُلُ ما يقدِرُ عليه، لَعَمرِي إنَّما يكونُ جزاؤُه من اللهِ الكريمِ أنْ يُدخِلَه بِفضلِه العميمِ جناتِ النَّعيم.

الفصلُ الثاني في بيانِ قبائِحَ صدرَتْ من النَّاس، مُقْتَرنةٍ بعملِ المولِد: منها اختِلاطُ النِّساءِ بالرِّجالِ. ومنها أنَّ أكثرَ النَّاسِ في عملِهم الموالِدَ لايَمْنعون النِّساءَ من إشْرافِهنَّ على الرِّجالِ، ونظرِهنَّ إليهم، وذلك قبيحٌ، لأنَّه إمَّا مُحَرَّمٌ على المُعْتمَدِ في مذهبِنا، أو مكروهٌ على مقابلِه، ومحلُّ الكراهةِ حيثُ لاشهوَة، ولا خشيةَ فتنَة، وإلا حرُم اتِّفاقًا.

والواقِعُ من النِّساءِ في الموالِدِ كثِير، وما يترتَّبُ على الشَّهوةِ والفتنَة، هذا في نظرِ النِّساءِ إلى الرِّجال. وأمَّا نظرُ الرِّجالِ عليهنَّ المُترَتِّبُ غالبًا على نظرِهنَّ للرِّجال، وإشرافِهم إليهِنَّ، فحرامٌ على الأصَحِّ عندنا، وإنْ لم يكُنْ هناك شهوَة، ولا خشيةُ فتنَة. وقَد جَعَلَ أئمَّتُنا من الأعذارِ المانِعةِ لوُجوبِ الإجابةِ في وليمَةِ العُرس، إشرافَ النِّساء، بل المرأةِ الواحِدةِ على الرِّجال، فمع هذا لاتجِبُ الإجابةُ في وليمةِ العُرْس، ولا تُستحَبُّ في غيرِها من الولائِم، بل يُكرَهُ ذلك أتَمَّ الكراهةِ، بل لو قيل يحرُمُ على مَن علِمَ أنَّ امرأةً تنظُرُ إليه لم يبعُدْ، لأنَّ الإعانةَ على المعصيةِ معصيَة- انتهى.

ثمَّ أطالَ في البِدَع، فانظُرْه وافهَمْه أنَّه لايجبُ في وليمةِ العُرْس، بل يُستحَبُّ، لأنَّه إنْ قدَرَ على إزالةِ المنكرِ أزالَهُ وُجوبًا، وإلا فيُثابُ على بغضِهِ للمُنكر، ولا يتركُ السُّنَن، لأنَّه لو ترَكَ كلَّ مارُؤيَ بدعةً سنةً، فيتركُ بذلك سُننًا كثيرةً، كما سيأتي عن ابن عبدالسلام، وعبدالله بن مخرمة، والشيخ ابن حجر في فتاويه، وكذلك الإمامُ القُشيريُّ في رسالتِه عن سيدِنا الحسن البِصري، نفَعَ اللهُ بهم.

وقولُ ابنِ حجر: لايُسْتحَبُّ في غيرِها، تعرف سنتَه فيه، لأنَّه واجِب، وكذلك كلُّ سنَة. وزيارةُ القُبورِ مُستحَبٌّ، فلا تُتْرَكْ إن رُؤِي مُنْكرًا، وعليهِ الدَّرجاتُ الثَّلاثُ في إزالةِ المُنكَر. فإن قدَرَ فبيَدِه، ثم بلِسانِه، ثم بقلبِه، أي والنِّساءُ إذا لم يفعَلْنَ منكَرًا، كما لم يَنْهَوْهُنَّ عن الطَّوافِ المُستحَبِّ، بل أَمَروهُنَّ بالبُعدِ مع عدمِ خشيةِ الفتنَة، وإلا يُمنَعْنَ شرعًا. وأمَّا الرِّجال، فلا يجبُ ولا يُسَنُّ لهم تَرْكُ الزِّيارَة، وإن حَصَلَ اخْتِلاطُ في الزِّيارةِ المُستحبَّة، فانظُرْ هناك في الفائِدَةِ الخامِسة عشْرَةَ في الزِّياراتِ والحضَراتِ والموالِدِ ما تَقَرُّ به العَين.

وأمَّا الإنْشادُ بأشعارِ الصَّالِحِين، فقد قدَّمْنا لك كلامَ الشيخ أحمد بن حجر، وقد أجابَ سيدُنا الحدَّاد في مكاتباتِه، لما سُئِل ما هذه الأشعارُ الَّتي تُنشَدُ في مساجِدِكم، فأجابَه بما هو المُراد، لأنَّ الشِّعرَ أُنشِدَ به عندَ النَّبيِّ ﷺ في حياتِهِ بحَضْرتِه في مسجِدِه، ولم يُنكِرْه، فانظُرْه هناك ترَ العَجَبَ من سِعةِ علمِه، رضِيَ اللهُ عنه.

﴿الفائدة الثالثة عشرة﴾

في التَّهليلة التي اعْتادها صاحبُ الرَّاتب في مسجده

وهي مطلبٌ عزيز، وجوهرةٌ نفيسَة، ودُرَّةٌ ثمينَة، وياقُوتَةٌ غالِيَة. فمن عادةِ سيدِنا الحدَّاد كلَّ ليلةِ جُمعَةٍ، بعدَ صلاةِ العِشاء وقراءةِ الرَّاتب، فإنَّه يأمرُ بالذِّكرِ المُسَجَّعِ المعروفِ إلى الآن، رتَّبَه سنةَ ١٠٧١ (إحدى وسبعين وألف) من هجرتِه ﷺ، وليلةَ الخميسِ والإثنين، بعدَ صلاةِ العشاءِ والرَّواتبِ وقراءةِ الرَّاتب، يجتمِعون أي كلُّ الحاضِرين كالحلقَة، ويهلِّلون بالسُّبحةِ الكبيرَة، خمسَمائة من «لا إلَه إلَّا الله»، فإنْ زادُوا على الخمسِمائة لم يَضرَّ، كلُّ ذلك رَتَّبَه سيدُنا الحدَّاد، نفَعَ اللهُ به.

وكيفِيَّةُ ترتيبِ سيدِنا الحدَّاد، رضيَ اللهُ عنه، إذا ختَمَ راتبَه بـ«اللَّهُمَّ إنَّا نَسْأَلُكَ رِضَاكَ وَالجَنَّة، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ سَخَطِكَ وَالنَّار» جِيءَ له بالسُّبْحَة، وقال برفعِ الصَّوت «اعلَمْ أنَّهُ . . . » فيُهلِّلُ ويهلِّلُ معه الحاضِرُون، هو وإيَّاهم جَهْرًا، لا يَتَقَدَّمُ أحدٌ على أحَد « . . لا إلَهَ إلَّا الله» إلى أنْ يُتِمُّوا الخمسَمائة. فإذا أَتَمُّوا، يقولُ الَّذي يقرَأُ الرَّاتبَ وحدَه، والحاضِرُون يَسْتَمِعون «لا إلَهَ إلَّا الله . . لا إلَهَ إلَّا الله»، ثم يَقُولون بعدَه مثلَه، يقولُها ثلاثًا وهُم مثلُه، ثم يقولُ «لا إلَهَ إلَّا الله . . محمَّدٌ رسولُ الله»، ثم يقولونَ بعدَه مثلَه، ثم يقولُ «اللَّهُمَّ صلِّ على مُحَمَّد . . اللهُمَّ صلِّ عليه وسلِّمْ»، ثم يقولونَ بعدَه مثلَه، ثم يقولُ «اللهُمَّ صلِّ على مُحَمَّد . . اللهُمَّ صلِّ عليه وسلِّمْ»، ثم يقولونَ بعدَه مثلَه، ثم يقولُ «اللهُمَّ صلِّ على مُحَمَّد . . اللهُمَّ صلِّ عليه وسلِّمْ»، ثم يقولونَ بعدَه مثلَه، ثم يقولُ «اقرَأُوا الفاتِحَةَ، وآيةَ الكُرْسي، وإحدى عشْرةَ مِن قُلْ هو اللهُ أحَد، والمُعَوِّذَتينِ - بارَكَ اللهُ فيكم!». ثم يقرَأُ هو والحاضِرُون سِرًّا. فإذا أَتَمَّ الفاتِحَةَ وآيةَ

الكُرْسيّ والإخلاصَ والمُعوِّذتَين، قال برفع الصَّوتِ كالأوَّل «الحَمْدُ لله ربِّ العالَمِين» وهم بعدَهُ مثلَه، ثم يقولُ «اللهُمَّ صلِّ على مُحَمَّد . . وعلى آلِ مُحَمَّد وسلِّم» وهم بعده مثلَه، ثم يقولُ «اللهُمَّ اجعَلْ . . » وهم بعدَه مثلَه، ثم يقولُ «ثَوابَ . . » وهم بعدَه مثلَه، ثم يقولُ «ما هلَّلْنَاهُ . . » وهم بعدَه مثلَه، ثم يقولُ «مِن لا إلَهَ إلاَّ الله . . » وهم بعدَه مثلَه، ثم يقولُ «وما قرَأْناهُ من القُرآنِ العظِيم . . » وهم بعدَه مثلَه، ثم يقولُ «في هذا المجلِس . . » وهم بعدَه مثلَه، ثم يقولُ «هديَّةً واصِلَة . . » وهم بعدَه مثلَه، ثم يقولُ «ورحْمَةً نازِلَة . . » وهم بعدَه مثلَه، ثم يقولُ «إلى حَضْرةِ سيدِنا . . » وهم بعده مثلَه، ثم يقولُ «ونبيِّنا . . » وهم بعدَه مثلَه، ثم يقولُ «وشفيعِنا . . » وهم بعدَه مثلَه، ثم يقولُ «محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسَلَّم . . » وهم بعدَه مثلَه، ثم يقولُ «وإلى رُوحِ . . » وهم بعدَه مثلَه، ثم يقولُ «الفَقِيهِ . . » وهم بعدَه مثلَه، ثم يقولُ «المُقدَّم . . » وهم بعده مثلَه، ثم يقولُ «محمَّد . . » وهم بعدَه مثلَه، ثم يقولُ «بِن علي . . » وهم بعدَه مثلَه، ثم يقولُ «وإلى رُوحِ . . » وهم بعدَه مثلَه، ثم يقولُ «سيدِنا الشَّيْخ . . » يعني صاحِبَ الرَّاتِب الحبيب عبدالله الحدَّاد، وهم بعدَه مثلَه، ثم يقولُ «وأصولِهِا . . » وهم بعدَه مثلَه، ثم يقولُ «وفروعِهِمْ . . » وهم بعدَه مثلَه، ثم يقولُ «وجميعِ ساداتِنا آلِ باعَلَوِي . . » وهم بعدَه مثلَه، ثم يقولُ «اللهُمَّ اجْعَلْهُ فِداءً لهم مِن النَّار . . » وهم بعدَه مثلَه، ثم يقولُ «واجْعَلْهُ فَكاكًا لهم مِن النَّار . . » وهم بعدَه مثلَه، ثم يقولُ «اللهُمَّ اغْفِرْ لهم وارْحَمْهُم . . » وهم بعدَه مثلَه، ثم يقولُ «ووالدِينَا ووالِدِيهِم . . » وهم بعدَه مثلَه، ثم يقولُ «وجميعِ المسلِمِين . » وهم بعدَه مثلَه . ثم يقولُ المُتصدِّرُ بهم والمُقدَّمُ على الحاضِرِين «تقبَّلَ اللهُ منَّا ومِنْكم، ويجعَلُهُ خالِصًا لِوجهِهِ الكريم - الفاتِحَـةَ أنَّ اللهَ يَغْفِرُ لهم، ويَرحَمُهُم، ويُسْكِنُهُم الجَنَّة، ويَجْمَعُنا وإيَّاكُم في مُسْتَقَرِّ رَحْمَتِه، مع اللُّطْفِ والعافِيَة، وإلى حَضْرَةِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسَلَّم». ثم بعدَ قراءةِ الفاتِحَة، يَرْفَعُ يَدَيْهِ بالدُّعاء، هو والحاضِرُون، ويَتَحَرَّوْنَ في الدُّعاءِ بالجوامِع، لأنَّه مَرْجُوُّ الإجابَةِ بعدَ هـذه التَّهْليلةِ مجرَّبٌ، وكذلك بعدَ الرَّاتِب. فقد قال الشيخُ محمد البلالي في مُختصرِ الإحياء: ومِن

أوقاتِ الدُّعاء المُسْتَجابةِ بعدَ الذِّكرِ. ﴿مَطلَب﴾ قال السيد العلاَّمـة علي بن حسن العطَّاس في كتابِه [القرطاس] عندَ نقلِه لِرَاتبِ سيدِنا القُطب عبدالله الحدَّاد، فقَال عندَ قولِ صاحِبِ الرَّاتِب «ربِّ اغْفِرْ لنا وتُبْ علَيْنا، إنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيم» يَجُوز، أي في الجَمِيع، أنْ يقولَ «ربَّنَا» بـ«نا» الجمع ليُناسِب «اغفِرْ لنا وتُبْ علَيْنا»، واللهُ أعلَم. وبهٰذا جاءَ في القُرآنِ كثيرًا، مثلُ قولِه تعالى: [رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا . . . . . .] الآية، وقولِه تعالى: [رَبَّنَا لَاتُؤَاخِذْنَا . . . . . .] وغيرِ ذٰلك، فافهَمْ، واللهُ أعلَم - انتهى.

﴿قلتُ﴾ وسمِعْتُ السيد العلاَّمة القاضيَ، سقَّاف بن محمد بن طه، صاحِبَ سِيوُون، يسأَلُ سيدِي الوالِد العلاَّمة، أحمد بن حسن الحدَّاد، وذلك سنةَ ١١٨٠ (ثمانين ومائة وألف) من الهِجْرةِ النَّبويَّة، أنَّ بعضَ الناسِ عندَ قراءتِهم للرَّاتِب، يقول عندَ قولِ صاحِبِ الرَّاتِب «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّات . . . الخ» يقولونَ في الجمعِ «نَعُوذُ» - (بنا بِصيغةِ الجمع)، هل يصِحُّ؟ فقال له سيدي الوالِد، نفَعَ اللهُ به: إنَّ الوارِدَ في قُنوتِ الصُّبح «اللَّهُمَّ اهْدِنِي . . . . . . الخ»، فقالَ الفُقهاء في الجماعَةِ في الصَّلاة، يأتِي بِصيغةِ الجَمْع «اهْدِنَا . . . الخ» - انتهى.

﴿قلتُ﴾ ولْيَجْتَنِبْ أهلُ الحَضْراتِ تَصْغيرَ اسمِهِ تعالى، فإنَّه عندَ القَصْدِ حرامٌ، أو وَصْفُه كالله ملي، بل رُبَّما يكونُ كُفرًا، فانظُرْه كما قدَّمْناه من نَقْلِ خاتِمَةِ المُحقِّقين، الشَّيخ أحمد بن حجر، صاحبِ التُّحفَة. وكذلك يَجْتَنِبْ أهلُ الحَضْراتِ والرَّواتِبِ في إثباتِ (الياء) في اللهُمَّ «صلِّ»، فإنْ أَثْبتَ الياء، وهو يَعْرِفُ العربيَّةَ عامِدًا، كَفَر، والعِياذُ باللهِ تعالى.

قال الإمامُ الفقيهُ البارِع، عبدالله بن عمر مَخْرَمة في الفتاوى الهِجْرانيَّة ﴿مسألة﴾ لو قالَ في تشهُّدِه «اللهُمَّ صلِّي . . » بإثباتِ الياء، تَبْطلُ صلاتُه، أو يُفرِّقُ بينَ العمدِ وغيرِه، الجوابُ أنَّ ذلك لايَكْفِيه، سواءٌ كان عالِمًا عامِدًا، أو جاهِلًا، أو ناسِيًا، لكنَّ العالِمَ العامِدَ، إنْ كان يعرِفُ العربيَّةَ يكفُرُ بذلك، لأنَّهُ خِطابُ مؤنَّثٍ، وغيرُه إذا لم

يعرِفْ أنَّ ذلك خِطابُ مُؤنَّثٍ، إنْ قاله جاهِلًا أو ناسِيًا لم تبطُلْ صلاتُه، لكن لايُجْزِيه عن الرُّكْن، واللهُ أعلَم - انتهى.

واعلَمْ أنَّ نقلَ الأحسائي في الرَّاتبِ الشَّريفِ عند قولِ سيدِنا الآتي «يَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَام .. أَمِتْنَا عَلَى دِينِ الإِسْلَام» بإثباتِ همزةِ القَطْعِ على قاعِدَةِ النُّحاةِ في قولِه «أَمِتْنَا» فاللهُ أعلَم، أهو مِن زيادةِ الأَحسائي، أم بأمرِ سيدِنا الحدَّاد، صاحبِ الرَّاتِب. لَكنْ أخبرَني العلاَّمةُ القُدْوة، الشيخُ عِمادُ الدين بن أحمد، قال: سنةَ حجَجْنا، وقَعَ بينَ الطَّلبةِ مُذاكرةٌ في أقوالِ سيدِنا الحدَّاد في راتِبِه «يَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَام .. أَمِتْنَا عَلَى دِينِ الإِسْلَام»، هل همزةُ القَطْعِ لابدَّ منها، أم لا؟ فارْتَفع الكلامُ عند الشيخ سعيد سنبل، تِلميذِ سيدِنا عبدالله بن جعفر مُدْهر باعلوي، فقال الشَّيخ سعيد: قد وقَعتْ في ذلك مُباحَثَة، وسألَنا سيدُنا الحبيب عبدالله بن جعفر مُدْهِر، ما الصَّوابُ؟ فقال: عندَ النُّحاةِ لابدَّ من همزةِ القَطْعِ لِمثالِ الأَمْر، لُكن في لُغةٍ غريبَةٍ لايَأْتُون بها، وسيدُنا الحدَّاد لعلَّه تبعَ هذه اللُّغةَ في راتِبِه، فلا يَنْبَغي أنْ يُؤْتَى بهمزةِ القَطْع. هذا وكذلك سُئِلَ العلاَّمةُ الفاضِلُ مُفْتي زَبيد، السيد سُليمان بن يحيى الأَهْدَل الحُسَيْني، رحِمَه اللهُ تعالى، عن قولِ سيدِنا القُطبِ الغَوْث، عبدالله بن علوي الحدَّاد، نفَعَ اللهُ به في الدَّارَيْن، يقولُ السَّائلُ: ماقولُكُمْ عن قولِ السيد الحبيبِ القُطب، عبدالله بن علوي الحدَّاد، في راتِبِه «يَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَام .. مِتْنَا عَلَى دِينِ الإِسْلَام» بِحذف الهمزَة مِن «أَمِتْنَا»؟ فقالَ بعضُهم: لايَصِحُّ، لأنَّه من بابِ الإِفْعال، فالصَّوابُ فيه أنْ يُقالَ «أَمِتْنَا». فأجابَ بعضُهم بأنَّ الهمزةَ حُذِفَت فيه، كما حُذِفَتْ من «خُذْ» و «كُلْ»، و«مُدَّ». غايةُ ما في البَاب، أنَّ (ما) هناك من بابِ اللُّزومِ، و(ما) هنا من بابِ الجَوَاز، لِكَثْرةِ الاِسْتِعمال. فقِيلَ: هذا قِياسٌ في اللُّغة، والقِياسُ في اللُّغةِ لايَصِحُّ، فالمُرادُ تحقيقُ هذا التَّرْكِيب، هل ورَدَ في وسِيعِ الكلَام، أو في الشِّعْرِ المُعْتبرِ من هذا البابِ الَّذي هو بابُ الإِفْعال - التَّحْقيقُ مطلُوب!

فأجابَ رحِمَه الله: اِعْلَم أوَّلًا، أنَّ وُرودَ الاِعْتِراضِ على السَّيدِ القُطب المذكُور،

نفَعَ اللهُ به، أنَّ ما يتِمُّ بعدَ التَّسْليم لِصِحَّةِ ذلك عنه، أَعْني أنَّه صَحَّ عنه، أنَّ اللَّفْظَة المذكورَةَ في الرَّاتِبِ الشَّريفِ تُقْرَأُ بِحذفِ الهمزَة، وإلَّا فالظَّاهِرُ أنَّ ذلك إنَّما هو مِن تَحْريفِ المُتَعاطِين للرَّاتِب المذكُور، مِمَّن لا مَعْرِفةَ لدَيْهِ في العربيَّة، وقد سُمِع مِنهم نحوُ هٰذا في مواضِعَ مِن الرَّاتبِ المذكُور، كقولِهم «يَا مَنْ لِعَبْدِه يَغْفِر وَيَرْحَم» بإسْكانِ الهاءِ في عبدِه) وراءَ (يغفِر) في حالةِ الوَصْل، مع أنَّ الوجهَ الظَّاهرَ كسرُ الهاء وضَمُّ الرَّاء. وإنْ أمكنَ تكلُّفُ توجِيهٍ لِما يأْتون به. فإذا صَحَّ عن السيد، نفَعَ اللهُ به، إيرادُ «مِتْنَا» بحذفِ الهمزَة، فاعتذِرْ عنه، لما ذكرَهُ الجلَال السُّيوطي، رحِمَه اللهُ تعالى، في مُؤَلَّفِه في إعرابِ قولِ المِنْهاج (وَمَا ضُبِّبَ . . . . . الخ)، فإنَّه بعدَ أنْ ذكَرَ التكلُّفاتِ في نَصْبِ ضبه، قال مالفظُه: إنَّ المُوَلَّدَ إذا صَنَّفَ في الفُروعِ أوغيرِها، يُعذَرُ في ارتكابِه لغتَه المولَّدَة، لأنَّه لو كُلِّف الكلامَ باللِّسانِ العربيّ، رُبَّما صعُبَ عليه، لأنَّه لايَقدِرُ عليه إلا بكُلفَة، فإذا عجَّزْناه عن الدُّخولِ بكلامِه في اللِّسانِ العربيِّ عَذَرْناه، ولا جُناحَ عليه - انتهى.

وهذا يَكْفي في الاِعْتذارِ عنه، إذا لم يُوجَدْ له شاهِدٌ بِوُروده في هذه المادَّةِ بِخُصوصِها مُعَدًّى بِنَفسِه، ولم أَعثُرْ على شيءٍ في ذلك، بل الَّذي صرَّحوا به في كُتبِ العربيَّة، أنَّ «مَاتَ» فِعلٌ قاصِرٌ لايَتعدَّى بنفسِه، كقولِه تعالى [فَأَمَاتَهُ اللهُ مِائَةَ عَامٍ]، ولكنَّه لايبعُدُ أنْ يُوجد.

وقد أوردَ الحافِظُ السُّيوطيُّ، رحِمَه اللهُ تعالى، نقلًا في المُزْهِر عن النَّوادِر، لليزيديّ، أنَّه سمِعَ «لِقِ الدَّوَاةَ في لِقْها»، و«قِلِهِ البَيْعَ في أَقِلْه». قال: وهي لغةٌ رديئةٌ - انتهى.

وأمَّا الجوابُ الَّذي نقلَه السَّائلُ عن بعضِهم، فلم يَظْهرْ لي وجهُه، لأنَّ الأفعالَ المذكورةَ مع كونِها من بابِ الثُّلاثيِّ المجرَّد، وما نحن فيه من بابِ الثُّلاثيِّ المزِيد، لأنَّه مع الإِماتَة، والهمزةُ فيه للتعديَة، قال تعالى: [رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ]. وقال تعالى: [فَأَمَاتَهُ اللهُ]. والأمرُ منه «أَمِتْنَا» بقطعِ الهمزةِ، كما هو واضِحٌ، قد صَرَّحوا بأنَّها شَوَاذٌّ خارجةٌ

من القاعِدَة، ومعلومٌ أنَّ الشاذَّ يُحفَظ، ولا يُقاسُ عليه. وأمَّا «مُرْ» فلا يُقاسُ عليها ما كان مثلَها من بابِ كأَفَلَ النَّجْمُ يَأْفُلُ، وكأَزَرَ يَأْزِرُ، وكأَبَّرَ النَّخْلَ يُؤَبِّرُهُ، فإنَّها من بابِ (نَصرَ يَنْصرُ) فضلاً عمَّا لم يكُنْ من بابها كَأَمِتْ الَّذي الكلامُ فيه، وبيانُ ذلك أنَّهم قالوا «حيثُ سكنَ لفظُ ثاني حرفِ المُضارَعةِ من الفعلِ الثلاثيّ، كيَقْتُلُ، ويَضْرِبُ، ويَذْهَبُ، بُدِىءَ في أَمرِه بِهَمزةِ الوَصلِ إلى النُّطقِ بالسَّاكنِ، فيُقال: اُقْتُلْ، واِضْرِبْ، واِذْهَبْ، وإنْ لم يُسكن لفظًا كيَمُوتُ، ويَبِيعُ، ويَرُدُّ، ويَعِدُ، ويَسَعُ، لم يَحتَجَّ إلى الهمزَة، قالُوا وشَذَّ ممَّا يَأتي مُضارِعُهُ ساكِنًا هٰذه الأفعالُ الثَّلاثَة، فإنَّهم لم يجتلِبوا في أَوائلِها همزةَ الوَصلِ على القِياس، إذْ كانَ قِياسُها أُوخِذَ، أُومِرَ، أُوكِلَ، لأنَّ ثانيَ مُضارِعِها ساكِنٌ، بل أتَوْا بها بحذفِ همزاتِ الأصلِ والوصلِ، فقالوا خُذْ، وكُلْ، ومُرْ، فحذفوا همزةَ الأصلِ لكثرةِ الاِسْتِعمال، واستغنَوْا عن همزةِ الوصلِ، ولم يلتزموا بها ذلك فيها كلِّها مطلقًا، كما يوهِمُه إطلاقُ المُجيب، بل إنَّما التزَموا ذلك في خُذْ وكُلْ ما لم يلِيَا واوًا أو فاءً، وإلا فيجوزُ بضعفٍ إثباتُها على القِيَاس، كأَكَلَ، وأَخَذَ. وأمَّا مَرَّ فلم يلتزموا ذلك فيه أصلاً، وإنَّما هو أعني الحذفَ أفصَحُ من الإثبَات، ما لم يَلِ واوًا أو فاءً، وإلَّا فالإثباتُ أفصَحُ. قال اللهُ تعالى: [وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ]

ثم المُجيبُ المذكور، إن أرادَ قياسَ حذفِها على حذفِ همزةِ الأصلِ في الأفعالِ الثلاثيِّ المذكورةِ لِما ذُكر، فالمحذوفُ في أَمِتْنَا إنَّما هو همزةُ التعدِيَة، وهي فريدةُ الأصليَّة، أو على حذفِ همزةِ الوَصْل، فهي في نحوِ كُلْ قد اسْتَغْنى عنها عندَ حذفِ همزةِ الأصلِ كما سبَقَ بيانُه، ولا غِنىً عن همزةِ التَّعْديَةِ فيما نحنُ فيه، واللهُ وليُّ الهدايَة.

وأمَّا الاِعْتِراضُ على الجوابِ المذكُور، بأنَّ هذا قِياسٌ في اللُّغة، والقِياسُ في اللُّغةِ لايصِحُّ، فغيرُ مُسْتقيم، إذْ محلُّ الخِلافِ في كونِ اللُّغةِ تَثْبتُ قياسًا أو لا، إنَّما هو في ما معناهُ وصفٌ، كما بُيِّنَ في محلِّه من كُتب أصولِ الفِقه. أمَّا ماثبتَ تعميمُه بالاِسْتِقراءِ، فليس مِن محلِّ الخِلاف، فإنَّ صِيَغَ التَّصاريفِ كلَّها على القِياسِ في كلِّ مَصْدرٍ نُقِلَ

بالاتِّفَاق، وهو في حكمِ المنقُول، كما صرَّحَ به الغزالي، رحِمَه اللهُ تعالى، في المَنْحول وغيرِه. بل لفظُ القِياسِ فيما ذُكِر، يعني عن قولِنا مَحَلُّ الخِلافِ فيما لم يثْبُتْ تعميمُه باسْتِقراءٍ، قالَهُ في شرح الجوامِع. قال اللقاني في حاشيتِه على شَرْحِ المحلِّي عليه: وذلك لأنَّ القِياسَ إلْحاقُ مسكونٍ مَنْطوق، وكلُّ معنى انْدَرَجَ تحتَ عامٍ ثبَتَ عُمومُه باسْتِقراءٍ يغني أو بنقلٍ، كما صرَّح به ابنُ الحاجب، فإنَّه منطوقٌ لامسكونٌ، فليس منه محلُّ الخِلاف - انتهى. فكان يَنْبَغي له فيما نحن فيه، أنْ يكونَ الإعْتِراضُ منه على القِياسِ بما يُفيدُ عدمَ صِحَّتِه، واللهُ أعلَم.

وهذا ما ظهَرَ بحسَبِ مااقْتَضَتْه الحالةُ الرَّاهِنةُ من كَلالِ الذِّهْن، وشُغْلِ البالِ بأمورٍ لايعلمُها إلَّا ذُو الجلاَل.

﴿قلتُ﴾ ورأَيْتُ راتِبَ سيدِنا الحدَّاد، بقلمِ ابنِه الوَلِّي، سيدِنا زينِ العابدين علي، ولم يُثْبِتْ همزةَ القَطْعِ في قولِه «مِتْنَا»، وكذلك نَسْمَعُ عوامَّ جهتِنا لم يُثْبِتوها، ولا يَأْتُون بها، لا في اللَّفظِ، ولا في الخطِّ، ولم يُنكِرْ عليهم أهلُ الفَضْل، فحصَلَ التحيُّر. ورأيتُ فائدةً منقولةً للحبيب الأزهر المُزهر، عبدالله بن جعفر مُدْهِر، نقلاً عن خطِّ السيد الشريف جعفر الصَّادق العَيْدَروس، نفَعَ اللهُ بهما، قالا: ﴿مهمَّةٌ جليلة﴾ نقلُ حركةِ الحرفِ إلى ماقبلَه، لغةٌ لَخميَّة، كقولِهم «من يَأْتَمُّ الخيرَ فيما قصَدَه يُحْمَد مساعِيه»، أصلها:

أبـالخـبَر بِـالخَـيْرِ فـيـما قـصـدُه * يُحـمَـد مـسـاعِيـه، ويُعـلَم رُشـدُه

ومنه قولُ الشيخ أبي بكر العَيْدَروس، نفَعَ اللهُ به: إنَّ المدَبِّرَ في الأمورِ غيرَك، في كل أحوالَك وفي أمورَك. قوله (غير) بفتحِ الراء، وأصلُه ضمُّ الراء، كقوله «لا إلَه غيرُك» بالضمِّ، وقوله: في كل أحوالَك وفي أمورَك، بفتحِ «لام» أحوالك و«راء» أمورك، والأصلُ في الجميع الكسرُ.

وقولُ الشَّيخ بامَخْرَمة رضِيَ اللهُ عنه ونفَعَ به: با جُبَير ادنُ من دارِ الحبائِب! قيل:

إنَّ أصلَه «أبا جُبَير!» فحُذفتِ الهمزةُ تخفيفًا من «أبي» كقولِ بعضِهم يُخاطِبُ زيدَ بن علي رضِيَ اللهُ عنهما:

يــا بــاحُــسَــين والجــديــدَيْــن إلى * مَــتى أولادْ زرُّه أَسْــلَمــوك وطــاروا!

وكثيرًا مايَسْتَعمِلُه أهلُ حَضْرموت في مثلِ «يا بافُلان!» أصلُها «يا أبا حُسَين».

وقولُه «أولادْ زرُّه» هُم السَّفَلَةُ من الناس - انتهى.

واعلَمْ أنَّ قولَ صاحبِ الرَّاتِب «تُبْنَا إِلَى الله بَاطِن وَظَاهِر»، فهي لغةُ ربيعَة. قال قائِلُهم شعرا:

أَلَا حبَّــذا غَنْمٌ وحُسنُ حديثِهـا * لقــد تَــرَكْتُ قَلْبي هـائِم دَنِف

بسكونِ الفاء لأنَّهم يَقِفون على المُنوَّنِ المنصُوب، ذكرَه الفاكهيُّ في باب الوقف في كتابِه التَّتِمَّة على الأجرومية. ﴿قلتُ﴾ وكذلك يَحْذِفون همزةَ القَطْعِ تخفيفًا، واللهُ أعلمُ بالصَّواب.

وكما أَتَيْنَا بفضلِ الاِجْتِماعِ على الذِّكْر، وإن لم يكُنْ وارِدًا عن النبيِّ ﷺ، فلْنأتِ بفضْلِ الذِّكرِ في غيرِ الجمعِ، وإنْ لم يكُنْ وارِدًا عن النبيِّ ﷺ أيضا

﴿الفائدة الرابعة عشرة﴾

في فَضل الذِّكر

قال الإمامُ الجلال السُّيوطي، رحِمه اللهُ تعالى، في رسالته المُسَمَّاة [إعمال الفكر في فضل الذكر] - ﴿مسألة﴾ في الذِّكرِ والتَّسبيحِ والدعاءِ، هل هو مُعادِلٌ للصَّدقَةِ، ويقوم مقامَها في دفعِ البلاء؟ الجواب: الأحادِيثُ والآثارُ صريحَةٌ في ذلك، وفي تفضيلِه على الصَّدقَة. وأمَّا كونُه سببًا لِدَفعِ البلاء، فهو أمرٌ لا مِرْيَةَ فيه، ورَدَتْ أحاديثُ لاتُحْصَى في أذكارٍ مخصوصَة، مَن قالَها عُصِمَ من البَلاءِ ومن الشَّيْطان، ومِن الضُّرِ ومن السَّقَم، ومن لَدْغَةِ العقرَب، ومِن أن يُصيبَه شيءٌ يَكْرَهُه. وكتاب [الأذكار] للشيخ محيي الدين النووي مشحُونٌ بذلك، وكذلك كتاب [الدعاء] للطبراني وللبيهقي، فلا معنى للإطالةِ بذلك. ثم بعدَ كلامٍ طويل، قال: وأمَّا تَفْضِيلُ الدُّعاءِ على الصَّدقَة، ففيه أحاديثُ كثيرَة، مرفوعةٌ وموقوفَة. فمِن المرفُوعةِ ما أَخْرَجه الحاكمُ والترمذيُّ عن أبي الدَّرداء، رضي اللهُ عنه: [أَلَا أُنبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالوَرِقِ، وَمِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ، فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟ قَالُوا: وَمَاذَا يَارَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: ذِكْرُ اللهِ].

وأَخْرَج الترمذيُّ عن أبي سعيد الخدري، أنَّ النبيَّ ﷺ سأل: [أَيُّ العِبَادِ أَفْضَلُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا. قُلْتُ: يَارَسُولَ اللهِ! وَأَفْضَلُ مِنَ الغَازِي فِي سَبِيلِ اللهِ؟ قَالَ: لَوْ ضَرَبَ بِسَيْفِهِ فِي الكُفَّارِ وَالمُشْرِكِينَ حَتَّى يَنْكَسِرَ وَيَخْتَضِبَ دَمًا لَكَانَ الذَّاكِرُونَ أَفْضَلَ مِنْهُ دَرَجَةً].

وأَخْرَج عن ابن عمر، رضِي اللهُ عنهما، قال: [ذِكْرُ اللهِ بِالغُدُوِّ وَالعَشِيِّ أَفْضَلُ مِنْ

حَطْمِ السُّيُوفِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِعْطَاءِ المَالِ سَحًّا].

وأَخْرَجَ عن أبي الدرداء، رضِي اللهُ عنه، قال: [لَأَنْ أُسَبِّحَ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِمائَةِ دِينَارٍ عَلَى المَسَاكِينِ].

وأَخْرَجَ عن معاذ بن جبل، رضِي اللهُ عنه، قال: [لَوْ أَنَّ رَجُلَيْنِ أَحَدَهُمَا عَمِلَ كُلَّ الجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالآخَرَ يَذْكُرُ اللهَ، لَكَانَ الذَّاكِرُ أَعْظَمَ وَأَفْضَلَ أَجْرًا].

وأَخْرَجَ عن سلمان الفارسي، رضِي اللهُ عنه، قال: [لَوْ مَاتَ رَجُلٌ يُعْطِي القِيَانَ البِيضَ، وَمَاتَ آخَرُ يَقْرَأُ القُرْآنَ أَوْ يَذْكُرُ اللهَ تَعَالَى، لَرَأَيْتُ أَنَّ ذَاكِرَ اللهِ أَفْضَلُ].

وأَخْرَجَ عن ابن عمر، رضِي اللهُ عنهما: [لَوْ أَنَّ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا مِنَ المَشْرِقِ وَالآخَرَ مِنَ المَغْرِبِ، مَعَ أَحَدِهِمَا ذَهَبٌ لَايَمْنَعُ مِنْهُ شَيْئًا إِلَّا فِي حَقٍّ، وَالآخَرُ يَذْكُرُ اللهَ حَتَّى الْتَقَيَا فِي طَرِيقٍ، كَانَ الَّذِي يَذْكُرُ اللهَ أَفْضَلَهُمَا].

فهؤلاء صحابةٌ كِبارٌ صرَّحوا بفضلِ الذِّكرِ على الصَّدقَة - انتهى ملخصا.

ثم قال نفَعَ اللهُ به، في آخِرِ كلامِه: وأَخْرَجَ ابنُ جرير في تفسيره عن قتادة، قال: افترضَ ذكرَه عند أَشْغَلِ مايكونونَ عندَ الضَّربِ بالسُّيوف، فقال: [يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا، وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ].

وسُئِل الشيخ أحمد بن حجر في خاتمة الفتاوي عن معنى قول الشيخ نجم الدين الكبير: الذِّكر يَقْطعُ لُقَيماتِ الحَرام! فأجابَ: هو مَحْمولٌ على لُقَيْماتٍ يسيرةٍ كما أَفادَهُ التَّصْغير، يأكلُها الإنسانُ وقتَ غلَبَةِ الحرامِ على أهلِ الدُّنيا، كما في زمانِنا هذا، فإنَّ ذلك يُباحُ له شرعًا.

وقد قال ابنُ عبدالسلام وغيرُه: لو عمَّ الحرامُ الدُّنيا، جازَ لِلمسلمين أنْ يأْكلوا منه قَدْرَ القُوت، كما يُباحُ لِلْمُضطرِّ أكلُ المَيْتَة. وفي مَعناه لو كانَتِ الدُّنيا دمًا عبِيطًا، لكان قوتُ المُؤمنِ منها حلالاً. ومع إباحتِه شرعًا، لايخلُو عن إظلامِهِ لِلْقلب. فالذِّكرُ يُنوِّره بمَحْوِ تلك الظُّلمَة، كما أنَّ الدَّواءَ يَذْهبُ بالأخلاطِ المُتولِّدةِ من الغِذاءِ المذمُوم، ويقطَعُها «إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ» - انتهى.

﴿قلتُ﴾ وفَضلُ الذِّكرِ كثير، ويحتاجُ إلى مؤلَّفٍ مُستقِلّ. وما أَتَيْنا به كِفايةٌ لِلَّبِيب الطالِب. وافهَمْ أنَّ هذا الفضلَ إذا كان مُنفرِدًا، وإذا كان في جماعةٍ، حصلَ له فضيلةُ الانْفِرادِ وفضيلةُ الاجْتِماع. وإذا أتى بالذِّكرِ الواردِ في جماعَة، حصَلَ فضيلةُ الذِّكر، وفضيلةُ الوارِد، وفضيلةُ الاجتماعِ للذِّكر، وبذلك تعلَمُ فضيلةَ راتبِ سيدِنا الحدَّاد، رضِي اللهُ عنه، إذ كُلُّ كلمةٍ لها شاهِدٌ من الحديثِ وفَضْل، كما أجادَ وأفادَ سيدُنا الحبيب الفاضِلُ القُدوة، الوالِد أحمد بن سيدنا الحسن بن عبدالله الحدَّاد، في شرحِه على الرَّاتبِ الشَّريف، فجزَاه اللهُ أفضلَ الجزَاء. وانظُرْه من الشَّرحِ المذكُور، وفيما يأتي في هذا الكتاب، مبسوطًا بزياداتٍ كثيرةٍ من الكتبِ الصَّحيحَة، وزيادةٍ أيضا على ما هناك.

هنا بعضُ الفوائدِ الوارِدةِ عن النبيِّ ﷺ في الذِّكر، وفي الاجْتِماعِ على الذِّكر، وفي فضلِ الرَّاتبِ الشَّريفِ من الحديثِ الصَّحيحِ عنه ﷺ، وغيرُ ذلك. وهذه الفوائِدُ جمعناها تَبَرُّكًا بها، ولعَلَّ الإخوانَ يدعون لجامعِها. وسيأتي من أورادِ سيدِنا صاحبِ الرَّاتِب، الحبيب عبدالله بن علوي الحدَّاد، من خطِّ العلاَّمةِ تلميذِه، نفَعَ اللهُ به، الشيخ أحمد بن عبدالكريم الشجَّار الأحسائي، خصوصا الأورَادُ الأربعَة: الوِرْدُ الكبيرُ والصَّغير، والرَّاتبُ الشَّريفُ، وحِزبُ الفَتْحِ والنَّصرِ. فإن أردتَ أن تعملَ على ترتيبِ سيدِنا القُطب الغَوْث في العِباداتِ والعادَات، فعليكَ به تُرشَدْ وتُسعَدْ. وتأتي بالمتيسَّرِ فيها بعدُ، وفيها جمَعْناه من الفوائِدِ المتقدِّمةِ والأدعيَة، والفوائدِ المتأخِّرةِ كفايةٌ لسالكِ طريقِ الآخرَة. وما جمعناه هنا جعلناه كالخاتِمةِ بشرحِ الرَّاتبِ الذي شرحَه قطبُ العلومِ والأحوالِ، سيدُنا العلاَّمة الوالد أحمد بن الحسن بن عبدالله الحدَّاد، نفَعَ اللهُ به، وإن كان جميعُ ما هناك هنا، لكنَّه الأصلُ والعُمْدَة. وإن أُفرِدتْ عنه، فهي فوائِدُ عظيمَة، يحتاج إليها أهلُ العِبادَة، لأنَّ فيها الخيرَ والزيادَة - انتهى.

﴿الفائدة الخامسة عشرة﴾
في فَضل زيارة الصَّالحين

هي عظيمةٌ وأيُّ فائدةٍ تَسْوَى رحلَة، وهي ما يقعُ في الحضَراتِ من المُنكَر، وفي جموعاتِ النَّاسِ في زياراتِ الأولِيَاء، أحياءً وأمواتًا، وفي الموالِد، وفي حضراتِ الذِّكر، وغيرِ ذلك من جُموعاتِ أهلِ الخيرِ للخَيْر، ينبغي للإنسانِ أن لايَتْرُكَ ذلك، ويحضُرَ في هذه المواضِع، ولو كان فيها مُنكَرٌ من خُروجِ النِّسَاء، وغيرِ ذلك. فإنْ قدَر على إزالةِ المُنكَر في خروجِه ذلك - فَعَلَ. وإنْ عجَزَ كان مأجورًا على كراهةِ ذلك بالقَلْبِ.

ولْنبسطِ الكلامَ في الزِّيارات، نقلًا من [سبيل الهداية والرشاد] لسيدنا العارفِ بالله، الوالد أحمد بن سيدنا الحسن بن عبدالله الحدَّاد، وغيرِه من الكتب الصَّحيحَة.

قال في كتابِه المذكُور، نفعَ اللهُ به: أَفْرَدَ الإمامُ النوويُّ، رحِمَه الله تعالى، بابًا في كتابِه [رياض الصالحين] في اسْتِحْبابِ زيارةِ القبُور، وقال الإمامُ العارِفُ بالله، سيدُنا الحبيب أحمد بن زين الحَبَشي، نفعَ اللهُ به، في كتابِه [المسلك السوِيّ المُلتقط من المَشرع الروِيّ]، قال: ﴿فائدة﴾ تُستحَبُّ الرِّحلةُ لزيارةِ الصالحين . . . الخ ما قال.

وقال الإمامُ الغزالي في الإحياء، في الكتاب السابع من رُبْعِ العبادَات، وهو كتاب أسرار الحج، قال ﷺ: [لَاتُشَدُّ الرِّحَالُ إلَّا لِثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: المَسْجِدِ الحَرَامِ، وَمَسْجِدِي هٰذَا، وَالمَسْجِدِ الأَقْصَى]. وقد ذهَبَ بعضُ العلماءِ إلى الاِسْتِدلالِ بهذا الحديثِ في المَنْعِ من الرِّحلَةِ لزيارةِ المَشاهِد، وقبورِ العُلماءِ والصُّلحاء. وما تبيَّنَ لي أنَّ الأمرَ كذلك، بل الزِّيارةُ مأمورٌ بها. قال ﷺ: [كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ القُبُورِ، فَزُورُوهَا!]. والحديثُ إنَّما ورد في المساجِد، وليس في معناه المَشاهِد، لأنَّ المساجدَ بعدَ المساجدِ الثلاثةِ متماثِلَةٌ، فلا بلدةَ إلا وفيها مسجِدٌ، فلا معنى إلى الرِّحلةِ إلى مسجدٍ آخَر.

وأمَّا المَشاهِدُ فلا تَتَساوى، فإنَّ بركَةَ زِيارتِها على قدْرِ درجاتِهم عندَ الله. نعَمْ لو كانَ في موضعٍ لا مَسْجدَ له، فلهُ الرِّحلةُ إلى موضعٍ فيه مَسْجِد، وينتقِلُ إليه بالكُلِّيَّةِ إن شَاء. ثمَّ ليتَ شِعْري، هل يَمنعُ هذا القائِلُ من شدِّ الرِّحالِ إلى قُبورِ الأَنْبِياء، مِثْل إبراهيمَ وموسى ويحيَى، وغيرِهم، فالمَنْعُ مِن ذلك في غايَةِ الإحالَة. وإذا جَوَّزَ ذلك، فقُبورُ العُلماءِ والأولياءِ والصُّلَحاءِ في معنَاها، فلا يَبْعُدُ أنْ يكونَ ذلك مِن أَغْراضِ الرِّحلَة، كما أنَّ زِيارةَ العُلماءِ في الحياةِ من المَقاصِد، هذا في الرِّحلَة - انتهى.

وإذا قدَّرْنا وُقوعَ اخْتِلاطِ النِّساءِ بالرِّجالِ، فنَحْتاجُ إلى أنْ نُنكِرَ المُنكَر مِن حيثُ هُو، ولا نترُكُ الأمرَ الكُلِّيَّ لِلأمرِ الجُزئيِّ. قال المقري في [الإرشاد] في بابِ الجهاد: وجازَ رميُ نِساءٍ تُتُرِّسَ بهِنَّ. وقد حَضَرَ الحسنُ البِصْريُّ وابنُ سِيرين، رحِمَهُما الله، في بعضِ الجَنائز، وكان فيها لغَطٌ، فأرادَ ابنُ سِيرين أنْ يرجِعَ، فقال الحسنُ البِصْريُّ له: لو كُلَّما رأَيْنا بِدعةً تَرَكْنا سُنَّةً، لقد تَرَكْنا سُنَنًا كثِيرَة!، فافهَمْ - ذكرَهُ الإمامُ زكريَّا في شَرْحِ [رسالة القُشيري]. وقرِيبًا مِنه ما ذكرَهُ الشيخ محمد بن أحمد العَدْني في شَرْحِ تراجِمِ البُخارِي.

وسُئِلَ الإمامُ العلَّامةُ عبدالله بن عمر بامَخْرمة: لو كانَ تُتْبَعُ جنازةٌ بأنواعٍ مِن المُنْكَرات، كخُروجِ النِّساء، واختلاطِهِنَّ بالرِّجال، هل يكونُ معذُورًا في تَرْكِ الخُرُوج، إذا لَمْ يُمْكِنْهُ نَهْيُ المُنكَر؟ فأجابَ: لايُتْرَكُ الحقُّ لِلباطِل، فإنْ قدَرَ على إنْكارِ شيءٍ مِن ذلك في خُروجِه فَعَل، وإنْ عجَزَ كان مَأْجورًا على كراهةِ ذلك بِقَلبِه. وقد أجابَ ابنُ عبدالسَّلام بجوابٍ طويلٍ، مُوافقٍ لما ذكَرْنا، واللهُ أعلَم - انتهى من فتاوِيه العَدْنيَّة.

وإذا كانَ في المَوالدِ والحَضراتِ يُضرَبُ الدُّفُّ فلايَحْرُم ذلك، فقد قال الشيخ ابنُ حجَر، رحِمه الله، في كتاب [الزَّواجر]: والأَصَحُّ حِلُّ ما عدا الكُوبةَ من الطُّبولِ، كما صرَّحَ به الشَّيخانِ وغيرُهما. وعبارةُ الرَّافعي وفي الإحياء: لايَحْرُمُ صوتُ طَبْلٍ، إلَّا الطَّبلُ الَّذي يُسمَّى الكُوبة، وهو طبلٌ طويلٌ مُتَّسعُ الطَّرفَين، ضَيِّقُ الوسَط - انتهى.

وقال الشيخ حجّةُ الإسلام الغزالي، رحِمَه اللهُ تعالى، في كتابِ السَّماع من الإحياء: فالتَّرنُّمُ بِالكلماتِ المُسَجَّعةِ المَوْزونةِ يُعتادُ في مواضِعَ لِأغراضٍ مخصوصَة، تَرْتَبِطُ بها آثارٌ في القَلْب، وهي سبعةٌ، فذكرَها، وقال: (الخامِسُ) السَّماعُ في أُوَيْقاتِ السُّرورِ تأكيدًا للسُّرور، وتهييجًا له، وهو مُباحٌ، إنْ كان ذلك السُّرورُ مُباحًا، كالغِناءِ في أيَّامِ العِيد، وفي العُرْسِ، وفي وقتِ قُدومِ الغائِب، ووقتِ الوَليمةِ والعقيقَة، وكذلك عندَ وِلادةِ الولَد، وعندَ خِتانِه، وعندَ حِفْظِه لِلقُرآن، فكُلُّ ذلك مُعتادٌ لأجلِ إظْهارِ السُّرور . . . إلى أن قالَ . . . ويَدُلُّ على هذا مِن النَّقلِ إنْشادُ النِّساءِ على السُّطوحِ بالدُّفِّ والألحانِ عندَ قُدومِ رسولِ اللهِ ﷺ:

طَلَعَ البدرُ علينا * مِن ثنِيَّاتِ الوَداعِ
وجَبَ الشُّكرُ علينا * ما دعا لِلهِ داعِ

ثم قال: وهو جائزٌ في قُدومِ كُلِّ قادِم، يجوزُ الفرحُ به، وفي كُلِّ سببٍ من أسبابِ السُّرور. ويدُلُّ على هذا ما رُوِي في الصَّحيحَين عن عائشةَ، رضِيَ اللهُ عنها، قالتْ: [لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَسْتُرُنِي بِرِدَائِهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى الحَبَشَةِ يَلْعَبُونَ فِي المَسْجِدِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا الَّذِي أَسْأَمُهُ]. وعنها أيضًا، رضِيَ اللهُ عنها، [أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا جَارِيَتَانِ فِي أَيَّامِ مِنًى تُدَفِّفَانِ وَتَضْرِبَانِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ مُتَغَشٍّ بِثَوْبِهِ، فَانْتَهَرَهُمَا أَبُو بَكْرٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَكَشَفَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ وَجْهِهِ، وَقَالَ: دَعْهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ، فَإِنَّهَا أَيَّامُ عِيدٍ]. ثم أطالَ الاِسْتِدلالَ لذلك إلى أنْ قال: ويجوزُ لِلفَرحِ بزيارةِ الإخوانِ، ولِقائِهم واجْتِماعِهم في موضعٍ واحدٍ على طعامٍ أو كلامٍ، فهو أيضًا مَظِنَّةُ السَّماع - انتهى ملخَّصا.

فانظُرْ قولَ الغزالي إنْ كان ذلك السُّرورُ مُباحًا، تفهَمْ منه نَدْبَه إنْ كانَ ذلك السُّرورُ مَندوبًا. ثم انظُرْ أيضًا قولَه: ويجوزُ للفرحِ بزيارةِ الإخوانِ . . . إلى آخرِه، فكيفَ بِزيارةِ الأولياءِ والصَّالحين، الَّتي هي من أَعْظَمِ المُقرَّباتِ إلى ربِّ البريَّات. قال

الشيخ العلاَّمةُ أبو الحسن محمد بن الشيخ العالمِ العاملِ عبدالرحمن بن سراج الدين جمال، رحِمَه اللهُ تعالى، في كتابه [مواهب البرّ الرءوف في مناقب الشيخ معروف باجمَّال]، وكذلك قال إمامُنا الشيخ علي بن أبي بكر علوي في كتاب [معارج الهداية]: روي أن الشيخ محمد بن الحسين البجلي، رحِمَه اللهُ تعالى، قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ في المَنام، فَقلتُ: يارسولَ الله! أَيُّ الأَعْمالِ أَفْضلُ؟ قالَ: وُقوفُكَ بينَ يَدَيْ وليّ لِلهِ تَعالى، كحَلْبِ شاةٍ، أو كشَيِ بيضَةٍ خيرٌ لك مِن أنْ تتَقَطَّعَ في العِبادةِ إرْبًا إرْبًا. فقلتُ: يا رسولَ الله! حيًّا كان أو ميتًا؟ قال: حيًّا كان أو ميتًا. وقال بعضُهم: الواقِفُ بين يدَيِ الولي يَنْدرِجُ فيه ويدخُلُ تحتَ اسْتِيلاءِ شُمولِه، فيكونُ الوليُّ واسطتَه إلى اللهِ تعالى عزَّ وجلَّ، فيَحْصُلُ له بِتلك الوَقْفةُ بِواسطةِ الولِي ما لَمْ يحصُلْ له بِعبادتِه حتى يتقَطَّعَ إرْبًا إرْبًا، ويكونَ الحاصِلُ على قدْرِ اسْتِعدادِ الولِي، فإنَّ الإمْداداتِ على قدْرِ الاسْتِعدادات - انتهى.

وقد وردَ: [وُقُوفُ سَاعَةٍ بَيْنَ يَدَيْ وَلِيّ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَبْعِينَ سَنَةً . . . الحديث] وقال في كتاب [غاية القصد والمراد]: قال الشيخ أبو بكر الأشخر اليمنيُّ، رحِمَه اللهُ تعالى، قال بعضُهُم: مَن كتَبَ تاريخَ وليّ، كان معَهُ يومَ القِيامة. ومنْ طالَعَ اسمَهُ في التَّاريخِ حبًّا له، فكأنَّما زارَه. ومَن زارَ وليًّا للهِ غُفِرَتْ ذُنوبُه ما لم يُؤْذِه أو يُؤْذِ مسلِمًا في طريقِه. وقال أيضًا في الكتابِ المذكُور، في البابِ الرَّابع في ذِكْرِ الحِكاياتِ والوقائعِ مِن كراماتِ صاحبِ الرَّاتِب (الحكايةُ السِّتُّون) أخبرَنِي السيدُ الجليلُ عقيل بن عيدروس باعقيل، قال أخبرَنِي الشيخ الفاضل عبدالله بن عبدالرحمن باشيخ بمكة، وكان مُجاوِرًا بها، ورأَيْتُه بخطِّ السيدِ الجليل أحمد بن عيدروس صاحبِ الوَهْط، عنه أيضًا، قال: حجَجْتُ سنَةً مِن السِّنين حَجَّةَ الإسلام، ولم تَتأَتَّ زِيارةُ رسولِ اللهِ ﷺ لِقلَّةِ ذاتِ اليدِ إلى نحوِ عشرين سنَة، وأنا بمكَّة. فرأيتُ النَّبيَّ ﷺ يقولُ: يا عبدَالله! لِم لاتزورُني؟ أمَا تعلَمُ أنَّ مَن زارَ السيد عبدالله الحدَّاد تُقْضَى له سبعُون حاجَةً، فما ظنُّكَ بزيارتِنا؟ فاعتذَرْتُ إليه، وشكَوْتُ عدمَ القُدْرةِ لِقلَّةِ ذاتِ اليَد، فوعَدَني بِتَيْسيرِ المَسِير، فلقِيَني

رجُلٌ فأعطَاني ثلاثين أحمَر، فتجَهَّزْتُ لِزيارةِ النَّبيِّ ﷺ وزُرْتُه.

وقال أيضًا في خاتمةِ الباب الأول: أخبرَني بعضُ الصَّالِحين، قال: زُرْتُ سيدَنا الحبيب عبدالله الحدَّاد، فرأَيْتُ نُورًا مُمْتَدًّا مِن السَّماء مُتَّصِلاً بقَبرِه، فذهَبْتُ أنا ولم يَذْهَبْ ذلك النُّورُ - انتهى.

وقال أيضًا: قال سيدِي الوالِد الحسن بن سيدنا عبدالله الحدَّاد، نفَعَ اللهُ بهما، قال والِدي: إذا أَرَدْتُم أنْ تفعَلُوا شيئًا مِن الأمُور، أو نابَكُم شيءٌ، وأنا ميِّتٌ، فاطْلُعُوا إلى عندَ قبرِي، وأَعلِمُوني بذلك، فإنِّي أَنفعُكُم حيًّا وميّتًا.

وقال السيد العارِفُ بالله، محمد بن زين بن سُميط، في كتابِه [غاية القصد والمُراد] في خاتِمةِ البابِ السَّادِس: وقال رضِيَ اللهُ عنه: الوليُّ يكونُ اعْتناؤه بِقرابتِه، واللاَّئذِين به بعدَ موتِه، أَكْثَرَ مِن اعْتِنائِه بهِم في حَياتِه، لأنَّه في حَياتِه مَشْغولٌ بالتَّكْلِيف، وبعدَ موتِه طُرِحَ عنه الأَعْباءُ وتجَرَّد.

وقال في كتابِه [تثبيت الفؤاد بِذكر كلامِ الإمام القُطب الحبيب الحدَّاد] جمْعِ فقيرِه الأَحْسائي، ﴿قال﴾ قال له رجُل: أُرِيدُ زِيارتَكم! فقال: إنْ شاءَ الله، إنْ لحِقْتُمُونا، وإلاَّ فقُبورُنا تَنُوبُ مَنابَنا، فإنَّ الأخيارَ إذا ماتُوا لم تُفقَدْ منهم إلاَّ أَعْيانُهُم وصوَرُهُم، وأما حقائِقُهُم فمَوْجودَة. فقيلَ له: اللهُ يُمَتِّعُ بِبَقائِكم! فقال: وإلى متَى يكونُ ذلك؟ قد دَنَتِ الأُمور، وإذا رَأى الإنسانُ الضُّعْفَ وأَمارَةَ الكِبَرِ ظَنَّ أنه قرُبَ أمرُه، ومُرادُنا عسَى أنَّ العِيالَ يَكْبَرون، عسى أنْ يكونَ منهم نائِبٌ عنَّا. قال تعالى حِكايَةً عن نبيِّه موسى: [وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي]، ولو نابَ عنَّا حتَّى أربعون رجُلاً، وقد أخَذْنا عن كثيرٍ من المشائِخ، لو عَدَدْناهم بلَغُوا مِائةً وأربعين.

وقال رضِيَ اللهُ عنه: أهلُ البَرْزَخِ من الأولياءِ في حَضرةِ الله، فمَن توَجَّه إليهم، يعني بالتَّعْظيمِ وحُسنِ النِيَّةِ والعقيدَة، توَجَّهوا إليه، يعني بِحُصولِ مطلوبِه.

وقال رضِيَ اللهُ عنه في زِيارةِ القُبور: نُجْحٌ لما تعسَّرَ مِن الأمُور.

وقال رضِيَ اللهُ عنه: يَنْبَغي لِلإنسانِ أنْ يُشاوِرَ كبيرَه، حتَّى في قبرِه بعدَ موتِه.
وقال رضِيَ اللهُ عنه: مَن بلَّغَ إلينا السَّلام، ولم يَجْتَمِعْ بنا، فما فاتَه منَّا أَكْثَرُ ممَّا حصَّلَه، كما قال الشيخ أبو بكر بن سالم: ومَن فاتَنا يَكْفيه أنَّا نَفُوتُه - انتهى.

وجمعِيَّاتُ النَّاسِ عندَ قُبورِ المشائخ، وفي زَواياهُم في أوقاتٍ مخصوصَة، وقراءةِ خبَرِ المولِدِ الشريف، كثيرًا مايَعْتادُه أهلُ الحرَمَيْن واليمن والشَّام والعِراق عندَ قُبورِ الأولياءِ المشهورِين، رضِيَ اللهُ عنهُم ونفَعَ بهم أجمَعِين، حتَّى ذكرَ الإمامُ الشيخ عبدالوهاب الشَّعراوي في كتابِه [الطبقات] في ترجَمةِ الإمامِ السيد أحمد البَدَوي، رضِيَ اللهُ عنه ونفَعَ به، قال: أَرَدْتُ التخلُّفَ سنَةً مِن السِّنين عن ميعادِ حُضورِي للمولِد، أي الَّذي يُقرَأُ عندَ قبرِه، فرَأَيْتُ سيدِي أحمد رضيَ اللهُ عنه، ومعَهُ جرِيدَةٌ خَضْراءُ وهو يدعُو النَّاسَ مِن سائِرِ الأَقْطَار، والنَّاسُ خَلْفَه ويمينَه وشِمالَه، أُمَمٌ وخلائِقُ لايُحْصَوْن، فمرَّ عليَّ وأنا بمصر، فقالَ: أمَا تَذْهَب؟ قلتُ: إنِّي وجِعٌ، فقال: الوَجَعُ لايَمْنَعُ المُحِبَّ. ثمَّ أَراني خَلْقًا كثيرًا مِن الأولياءِ وغيرِهم، الأحياءَ والأمواتَ، مِن الشيوخِ والزَّمْناءِ، يَمْشون معه ويزْحَفُون ويحضُرون المولِد. ثمَّ أَراني جماعةً مِن الأُسَراء، جاءُوا مِن بلادِ الإفْرَنْج، مُقيَّدِين ومَغْلُولِين، يَزْحَفون على مَقاعِدِهم. ثمَّ قال: أُنْظُر إلى هٰؤلاءِ في هٰذا الحالِ ولا يَخْلُفون، فقَوِيَ عَزْمي على الحُضور، وقلتُ له: إنْ شاءَ اللهُ تعالى. فقالَ: لابُدَّ مِن التَّرْسيم، فرسَّمَ عليَّ سبُعَين عظيمَين أسوَدَيْن كالأفيال، وقال: لاتُفارِقَاه حتَّى تحضُرَا به.

وقالَ لي الشيخ محمَّد الشنَّاوي، رضِيَ اللهُ عنه: إنَّ سيدِي محمد السروي شيخي، تخلَّفَ سنةً عن الحُضورِ، فعاتَبَه سيدِي أحمد رضِيَ اللهُ عنه، وقال: موضِعٌ يحضُرُ فيه رسولُ الله ﷺ، والأنبياءُ عليه الصَّلاةُ والسلامُ، والأولياءُ رضِيَ اللهُ عنهم، ماتَحْضُرُه؟ فخرَجَ الشيخ محمد رضِيَ اللهُ عنه إلى المولِد، فوجَدَ الناسَ راجعِين، وفاتَه الاِجْتِماعُ، فكانَ يلمُسُ ثِيابَهُم ويُمِرُّ بها على وجهِه. وأخبرَني أيضًا شيخُنا محمد الشَّنَّاوي: أنَّ شخصًا أَنْكَرَ حُضورَ مولدِه، فسُلِبَ الإيمانَ، فلم تكُنْ فيه شَعَرَةٌ تحِنُّ إلى دينِ الإسلام،

فاسْتَغاثَ بسيدِي أحمد رضِيِ اللهُ عنه، فقالَ: بِشرطِ أنْ لاتَعُود! فقال: نعَمْ. فردَّ عليه ثوابَ إيمانِه. ثم قال له: فماذا تُنكِرُ؟ قال: إخْتِلاطُ الرِّجالِ بالنِّساءِ. قال له سيدِي: ذٰلك واقِعٌ في الطَّوافِ، ولم يُمْنَعْ أحَدٌ مِنه. ثمَّ قال: وعِزَّةِ الرُّبوبِيَّةِ ما عصَا أحَدٌ في مَوْلِدِي إلَّا وتابَ، وحسُنَتْ توبَتُه. وإذا كنتُ أرعَى الوُحوشَ والسَّمكَ في البِحار، أَحمِيها بعضَها مِن بعضٍ، أفَيُعْجِزُني اللهُ مِن حِمايةِ مَن يَحْضُرُ مولدِي؟

وقال لي شيخُنا أيضا: إنَّ سيدِي الشيخ أبا الغَيْث كتَبَ له أحدُ العُلماءِ بالمحلَّةِ الكُبرى، وأحَدُ الصَّالِحين بها كان بمِصر، وجاء إلى بُولاق، ووجَدَ الناسَ مُهْتَمِّين بأمرِ المولِد، والنُّزولِ في المراكِب، فأنْكرَ ذلك، وقال: هَيْهاتَ أنْ يكونَ اهْتِمامُ هؤلاءِ بزيارةِ نبيِّهِم مِثلَ اهْتِمامِهِم بأحمَد البَدَوي! فقال له شخصٌ: سيدِي أحمد وليٌّ عظِيم! ﴿فقال﴾ ثم في هذا المجلِسِ مَن أعلى مِنه مَقامًا، فعزَمَ عليه شخصٌ، فأَطْعَمَه سمَكًا، فدخَلَتْ شَوْكَةٌ تَصَلَّبَتْ، فلم يَقْدِروا على نُزولِها بِدُهْنٍ ولا بِحِيلةٍ مِن الحِيَل، ووَرِمَتْ رقَبَتُه حتى صارَتْ كخَلِيَّةِ النَّحلِ تِسْعةَ أشهُر، وهو لايَلْتَذُّ بِطعامٍ ولا شَرابٍ ولا مَنامٍ، وأَنْساه اللهُ سببَ ذلك. فبعْدَ التِّسعةِ الأشهُرِ، ذكَّرَه اللهُ السَّببَ، فقال: احمِلُوني إلى قُبَّةِ سيدِي أحمد! فأَدْخَلُوه، فشَرَعَ بِقراءةِ «يٰس»، فعَطَسَ عَطْسةً، فخَرَجَتِ الشَّوْكةُ مَغْمُوسةً دَمًا. فقالَ: تُبْتُ إلى الله، ياسيدِي أحمد! وذهَبَ الوَجَعُ والوَرَمُ مِن السَّاعَة.

وأنْكَرَ ابنُ الشيخ خَليفَه بناحيةِ أَنْبار بالغربِيَّةِ، على حُضورِ أهلِ بلدِه إلى المولِد، فوَعَظَه شيخُنا الشيخ محمد الشنَّاوي، فلم يرجِعْ. فشَكَاه إلى سيدِي أحمد، فقال: ستَطْلُعُ له حَبَّةٌ تَرْعَى فمَه ولِسانَه، فطلَعَتْ من يومِه ذلك، وأَتْلَفَتْ وجهَه، فماتَ بها – انتهى ملَخَّصا من الكِتاب المذكُور.

فنَعُوذُ باللهِ مِن مَقْتِه وغَضَبِه بِسببِ الاعْتِراضِ والإيذاءِ والإنْكارِ على أوليائِه، سَلِّمْ تَسْلَمْ، ولا تَعْترِضْ تَنْدَمْ، واعْتَقِدْ تَغْنَمْ، فاعْتَبِرْ أيُّها النَّاظرُ بِهذه الوقائِعِ، ولا تَغْتَرَّ بِزَخارُفِ ضُعفاءِ البَصائِر.

وقال سيدُنا الكبيرُ نورالدين الشيخ علي بن أبي بكر علوي، رضيَ اللهُ عنه ونفَعَ به، في كتاب [معارج الهداية إلى ذَوْق جنى شُهْد ثمراتِ المعاملات في النهايـة] - «فصلٌ» اعلَمْ أنَّه يَنْبَغي لكلِّ مسلمٍ، طالبِ الفضلِ والخَيراتِ، أنْ يلتمِسَ البَركاتِ والنَّفحات، واسْتِجابةَ الدَّعَوات، ونُزولَ الرَّحَمات، في حضَراتِ الأولياءِ ومجالسِهم وجمعِهم أحياءً وأمواتًا، وعندَ قبورِهم وحالِ ذكرِهم، وعند كثرةِ الجُموعِ في زيارتِهم، وعندَ مُذاكراتِ فضلِهم ونَشْرِ مناقبِهم . . . إلى آخـرِه. وقال بعضُهم: إنَّ صَفـاءَ المُجْتَمعين يُجمَعُ ويُفرَّقُ عليهِم، فيُجْعلُ لكلٍّ مِنهم نصِيب، كما في صلاةِ الجماعَة، يُجمعُ حضورُ مَن يحضُرُ في الصَّلاةِ ويفرَّق، فيُجعَلُ لكلِّ واحدٍ منهم صلاةٌ كامِلةٌ - انتهى.

ثم قال نفَعَ اللهُ به، حِكايةً لها تَعَلُّقٌ بذلك، رُوِي عن الشيخ عمر بن مَيْمون الكِندِي الهجراني، رضِيَ اللهُ عنه ونفَعَ به، أنَّه قال: كنتُ كثِيرَ الزِّيارةِ لِلصَّالِحين، الأحياءِ والأمواتِ، في جَمْعٍ مِن الإخوان، فقال بعضُ الأخيَار: لعلَّ انْفِرادَك بِالزِّيارةِ أولى! فوقَعَ في نَفْسي شيءٌ، فأتَيْتُ الشيخَ وحِيدَ زمانِه، أبا العبَّاسِ فضل بن عبدالله، رضيَ اللهُ عنه ونفَعَ به، وأَخْبرْتُه بما وقَعَ في نَفْسي، فزَيَّقَ ساعةً، ثمَّ قال: قال العُلماءُ رضيَ اللهُ عنهم: إذا كثُرَ الماءُ لم يَحْمِلْ خبَثًا - انتهى.

ولما ذَكرَ هذه الحِكايةَ عن الشيخ عمر بن ميمون الشيخ الكبير عبدالقادر بن شيخ في كتابه [الزهر الباسم]، قال في حِكايةٍ قبلَها: ليسَ مَن يحمِلُ المَأْمولَ بأوجُهٍ كمَنْ يحمِلُهُ بوجهٍ واحِدٍ، وليسَ رَجاءُ واحدٍ كرَجاءِ الجمِيع، وليس اعْتِذارُ واحِدٍ كاعْتِذارِ الجمِيع، ولذلك قال ابنُ عمر رضيَ اللهُ عنهما: إنَّ اللهَ لَيَعْجَبُ مِن صلاةِ الجمِيعِ! ومثلُه إذا كان في الطَّريقِ المَشاعِلُ والأنوارُ بـالأرواحِ، وكلَّما ازْدادَتِ الأنوارُ في الـطَّريقِ انْجابَتِ الظُّلمَةُ، فيسهُلُ السُّلوك - انتهى.

وقالَ الإمامُ حجَّةُ الإسلام الغزالي، نفَعَ اللهُ به، في كتاب [منهاج العابدين]، لمَّا

ذَكَرَ فيه العُزْلة، وكذلك نقولُ: إنَّ مِن حقِّ المُنْفَرِدِ أنْ يُشارِكَ النَّاسَ في الجُموعِ العامَّةِ في الخَير، وأن يُجانِبَهم في الصُّحبَةِ والمُزاحمَةِ في سائرِ الأمُور، لِما فيها من ضُروبِ الآفاتِ . . . إلى أنْ قالَ: أمَّا الرَّجُلُ البصيرُ القويُّ في أمرِ اللهِ تعالى، إذا رَأَى زمانَ الفِتنَة، فالعُزلةُ له أولى. وأنْ لايَنْقطِعَ مِن جُموعاتِ الإسلامِ في الخَيراتِ العامَّة، فإنَّ جُموعاتِ الإسلامِ مِن اللهِ بمَكان، وإنْ تغيَّرَ النَّاسُ وفسَدُوا. كذا سمِعْنَا من حالِ الأبدَال، أنَّهم يَحْضُرون جُموعَ الإسلامِ أينَما كانَتْ. ﴿قلتُ﴾ وأكابِرُ ساداتِنا آل أبي علوي كُلُّهم، وآلُ حضرموت مِن وقتٍ قديمٍ إلى الآن، يَفْعَلون زيارةً عظيمةً بِحضرموت في شهرِ شَعْبانَ عندَ قبرِ نبيِّ اللهِ هود، على نبيِّنا وعليه أفضلُ الصَّلاةِ والسلام. وكان سيدُنا الفقيهُ المُقدَّم، وابنُه علوي، وسيدُنا السقَّاف والمِحضارُ والعَيْدَروس ووالدُه، والشيخ أبو بكر بن سالم، وسيدُنا القُطب عبدالله بن علوي الحدَّاد، وأكابِرُ ساداتِنا سابِقًا ولاحِقًا، يَحْضُرون هذه الزِّيارَة، وإنْ شقَّ عليهم المَسِير، كأيَّامِ حرٍّ أو بردٍ أو مطَر، حتى أنَّ بعضَهم وهو الشيخ أبو بكر بن سالم، من كِبَرِ السِّنِّ وَكُبْرِ حالِه، فكانَ لم يَقدِرْ أَن يَرْكَبَ على المركُوب، إلَّا إنْ أَرْكَبوه، ولم يترُكِ الزِّيارَة.

وكذلك في حضرموت زِيارةٌ عظيمَة، ثالِثَ جُمعةٍ من رجَب، تَجْتَمِعُ فيها أمَّةٌ عظيمَةٌ عندَ قبرِ سيدِنا القُطبِ الغَوث، عبدالله بن علوي الحدَّاد، نفَعَ اللهُ به. ولمَّا بلغَ سيدَنا الحبيبَ العارِف بالله، أحمد بن زين الحَبَشي باعلوي، أنَّ السيِّدَين الإمامَين الجليلَين، علوي والحسن ابنَي القُطب الأعظَم الإنسانِ الكامِل، صاحبِ الصِّدِّيقيَّةِ الكُبرى، عبدالله بن علوي الحدَّاد، فعَلا الزِّيارةَ العظيمَةَ عندَ قبرِ والدِهما، قال أعني الحبيبَ أحمد بن زين: إنْ أَرادَها الحبيبُ عبدالله فيكونُ أمرُ هذه الزِّيارةِ في زيادَة، ويَكْثُرُ النَّاسُ في كلِّ سنَة زِيادةً على الأُولَى، فكانَ الأمرُ كذلك. فكلُّ سنَةٍ في زائدٍ وجاذِبٍ قلبِيٍّ للنَّاسِ لِهذه الزِّيارَة، فسُبْحانَ المُعطِي المُنْعِم، يفعَلُ مايشَاء، ويَحْكُمُ مايُريد.

وكذلك زِيارةٌ في حضرموت معروفَةٌ للشيخ الأكبرِ القُطب الغَوْث، الشيخ سعيد

بن عيسى العَمودي، بدُوعن، حتى إنَّ الفقيهَ الفاضِل، تلميذَ سيدِنا عبدالله الحدَّاد، عبدالله بن محمد بن عثمان العَمودي يَحْضرُ في هذه الزِّيارَة، لجدِّه الشيخ العارِف بالله سعيد، وحضَرَ جَمْعٌ من النَّاس، وتوضَّأَ من المحِلِّ الَّذي يتوَضَّأُ منه النَّاسُ في مسجدِ الشيخ. ولمَّا خرجَ نقَضَتْهُ امرأةٌ لِكثرةِ ازْدِحام النَّاس، واخْتِلاطِ النِّساءِ بالرِّجال، وتوضَّأَ ثانِيًا وثالِثًا، ويَنْتَقِضُ من النِّساءِ حتَّى في الرَّابعةِ سلِمَ من النِّساء، فخطَرَ بِبالِ الفقيهِ عبدالله المذكُور، أنْ يأمُرَ الواليَ في ذلك الوقتِ، وهو الشيخ حسن بن مطهر العَمودي، أنْ يَرْفَعَ هذه الزِّيارَة، ويأمُرَ بِمَنْعِها، فرَأَى في المَنام، أعني الفقيهَ عبدالله المذكُور جدَّه الشيخ سعيد، وقال له: لاتُنكِرْ هذه الزِّيارَة، ولا على الزُّوَّار، والتَّمْرُ يحمِلُ الحَشَف! فسكَتَ عن مُرادِه، وعرَفَ أنَّ اللهَ يُنفِّذُ ما أَرادَه. ولا يَجُوزُ الاعْتِراضُ على خَواصِّ عِبادِه، وأهلِ وِدادِه، فَتَنَبَّهْ أيُّها العاقِلُ البَصيرُ، لِما أَمْلَيْنا عليك في هذا التَّنْبيه.

وسمِعْتُ العارِف بالله، الشيخ محمد باقَيْس، سنَةَ ثمانين بعدَ المِائةِ والأَلْف، وأنا مع والِدي في زِيارتِه له لِدُوعن، يقولُ لوالِدي: إنِّي لمَّا أَعْلَموني بِكَثْرةِ النِّساءِ يَحْضُرون في زِيارةِ سيدِنا الإمامِ عمر البار، تلميذِ الحبيب عبدالله الحدَّاد، قلتُ نَعْتَقدُ فيه ما في الإمامِ السيد أحمد البَدَوي وزِيادَة. وقد ذكَرَ الشَّعراني في مَناقِبِ البَدَوي، أنَّها لاتُتْرَكُ الزِّيارةُ لأجلِ اخْتِلاطِ النِّساء، فإنْ قدَرَ على مَنْعِهنَّ فعَل، وإلَّا كان مَأجورًا على كراهةِ ذلك بقَلْبِه، فتَنَبَّهْ أيُّها العاقِلُ البَصير، لِما أَمْلَيْنا عليك في هذا التَّنْبيه، ولا يعرفُه إلَّا المُوَفَّقُ النَّبيه، فسَلِّمْ تَنْتَفِعْ، فالمُعْترضُ مُتَّضِع، وللخيرِ فاستمِعْ، وله اتَّبِعْ، ومِن الشَّرِ فارتفِعْ، وعنه فامْتَنِعْ، وما يَتذكَّرُ إلَّا مَن يُنيب. قال تعالى: [فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى. سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى]. وقال تعالى: [وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ]. والحمدُ للهِ ربِّ العالَمين.

قال الإمامُ الشَّعراوي في [العهود المحمدية]، نفَعَ اللهُ به: وأمَّا مولِدُ الأولياءِ المُكَمَّلين، كالإمامِ الشَّافعي، والإمامِ اللَّيْث، وذي النُّونِ المَصريِّ، وسيدي أحمد البَدَوي، وسيدي إبراهيم الدَّسُوقي، وأضرابِهم، فحُضُورُها مطلُوبٌ مِن حيثُ الأمرُ بِزيارةِ قُبورِهم، وإنْ حصَلَ في بعضِ موالِدِ هؤلاء، بعضُ لَهْوٍ ولَعِب، فما يحصُلُ إنْ شاءَ

اللهُ مِن مددِهِم، وتَنْفِيقِ سِلَعِ النَّاس، يرجَحُ على ما يَقَعُ فيها مِن اللَّهْوِ واللَّعِبِ ونحوِ ذلك - انتهى كلامُه مِن [العهود في البحر المورود]، نفَعَ اللهُ به.

﴿مهمَّةٌ جليلَة﴾ من كتاب [السمط] للشيخ العلَّامة عبدالله بن أحمد بازَرعة، الَّذي اخْتَصر فيه فتاوي شيخ الإسلام أحمد بن محمد بن علي بن حجر: مسألةُ زيارةِ الأولياءِ في زمنٍ معينٍ مع الرِّحلةِ إليها، هل تَجُوزُ مع أنَّهُ تُحْتَملُ عندَ تلك القُبورِ مفاسِدُ كثيرَة، كاخْتِلاطِ النِّساءِ بالرِّجَال، وإسْراجِ السُّرُجِ الكثيرَة، وغيرِ ذلك. ﴿أجابَ﴾ زِيارةُ قُبورِ الأولياءِ قُرْبَةٌ مُسْتَحبَّة، وكذا الرِّحلةُ إليها. وقولُ الشيخ محمد «لاتُسْتَحَبُّ الرِّحلةُ إليها» فقد ردَّهُ الغزالي. وما أشارَ إليه السَّائِلُ مِن البِدَعِ والمُحرَّمات، فالقُرُباتُ لاتُتْرَكُ لِمثلِ ذلك، بل على الإنسانِ فِعْلُها وإنْكارُ البِدَعِ وإزالتُها إن أمْكَنَه. وقد ذكَرَ الفُقهاءُ في الطَّوافِ المَنْدوبِ فضلاً عن الواجِب، أنَّه يَفْعَلُه ولو مع وُجودِ النِّساء. وكذا الرَّمَلُ، لٰكنْ أمَرُوه بالبُعدِ عنهنَّ. فكذا الزِّيارةُ يَفْعَلُها ويَبْعُدُ عنهنَّ . . . إلى آخرِ ما قال - انتهى خطُّ الفقيه بازَرعة المذكور.

﴿قال﴾ ومِن خطِّ سيدي الشيخ، السيد الشَّريف، عبدالرحمن بن علي بن أبي بكر علوي، نفَعَ اللهُ بهم: ومَن زارَ قَبْرًا مِن قُبورِ الصَّالِحين، كان كمَن زارَ صاحِبَه حيًّا، فإنَّه يَنْظُرُ زائرَه ويراهُ ويَسْمَعُ كلامَه، وقد يُكلِّمُه ويَرُدُّ عليه، إلَّا أنَّ الزَّائرَ لايَسْمَعُه ولا يراه، ولو كُشِفَ رَيْنُ الذُّنوبِ عن القُلوب، لَرَأَى الزُّوَّارُ من الأحياء أهلَ القُبورِ من المَوْتَى، وسَمِعوا كلامَهم، وإنَّ الأمواتَ لَيَفْرَحون بزيارةِ الأحيَاء، وتُقابِلُ بِوجوهِها للزَّائرِين الَّذين يَقْصِدون رِضا ربِّ العالَمين. هذا في عُمومِ المسلِمين.

وأمَّا أهلُ الأحوالِ العظيمَة، فلِزائرِهِم الكرامَةُ الجسيمَة، فإنَّ اللهَ تعالى يقولُ في حقِّهِم: [وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَأُكْرِمَنَّ مَنْ أَكْرَمَكُمْ، وَلَأُعَظِّمَنَّ مَنْ عَظَّمَكُمْ، وَلَأُهِينَنَّ مَنْ أَهَانَكُمْ، وَلَأُبَاعِدَنَّ مَنْ تَبَاعَدَ عَنْكُمْ، ذٰلِكَ لِإِكْرَامِكُمْ] - انتهى.

﴿قلت﴾ ويُحْترمُ الصَّالحُ جِدًّا، حيًّا وميِّتًا، فلا تُهْجَمُ حُجرتُه، ولا يُمَسُّ قبرُه، ولا

الصُّندوقُ الَّذي عليه، ولا يَسْتَدْبِرُه، ولا يطوفُ بالقَبرِ، ولا يُقَبِّلُه، ويَتَأَدَّبُ كُلَّ الأدَبِ، كما ذكرَه الإمامُ النوويُّ في [الإيضاح]. واعلَمْ أنَّ المَدَدَ في المَشْهَـدِ، فإذا عـظَّمتَ مَشْهدَك، وحسَّنتَ عقيدتَك، بلغْتَ مطلوبَك. وعندَنا فيما ذكَرْناه أدِلَّةٌ كثيرَة، لكن فيما ذكَرْناه كِفايةٌ لِمَن وُفِّقَ للخيرِ - انتهى.

ورَوَى الترمذي، وقال حديثٌ حسَن، عنه عليه السَّلامُ في الحديثِ المرفُوع: [وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ .....] إلى آخرِه - انتهى.

قال الإمامُ الغزالي في [إحياء علوم الدين] في كتاب أسرارِ الحجّ، في زيارةِ النَّبيِّ محمدٍ ﷺ، قال: ثمَّ يأتي قَبرَ النَّبيِّ ﷺ، فيَقِفُ عندَ وجهِه، وذلك بأنْ يستدبِرَ القبلَةَ، ويَسْتَقبِلَ جِدارَ القَبرِ على نحوِ أربعةِ أذرُعٍ من السَّاريَةِ الَّتي في زاوِيَةِ جدارِ القَبر، ويَجْعَلَ القِنْديلَ على رأسِه. وليسَ من السُّنَّةِ أن يَمَسَّ الجِدار، ولا أنْ يُقبِّلَ، بل الوُقوفُ من بُعْدٍ أقرَبُ إلى الاِحْتِرَام، فيقِفُ ويقولُ «السَّلامُ عليكَ يارسولَ الله ....» الخ.

﴿قلتُ﴾ وقد نقَلَ الإمامُ العارِف بالله، محمد بن أبي بكر شلّيه باعلوي، في كتابه [المَشرع الروي] مسألتَيْنِ في مَناقِبِ بني علوي، وكذلك في مختصرِه لسيدِنا الإمامِ العارِفِ بالله، أحمد بن زين الحبشي، المُسَمَّى [المسلك السوي في مختصر المشرع الروي] بأنَّه يَصِحُّ لِصاحِبِ الذَّوْق، المُحِبِّ المُعَظِّمِ المُتَبَرِّكِ بهم، الَّذي لاتسكُنُ لَوْعَتُه إلاَّ بالتَّقْبيل، ولا يَتَمالَكُ عندَ رُؤيةِ قَبرِ نبيِّه، أو شيخِه، أو الوليّ مَثلاً، إلاَّ بِالتَّقبيل، فيَصِحُّ له. قال في المَشرع عن الشيخ ابنِ حجر، لكن المُقْتَدَى به يَفْعَلُه مع الخَلْوَة، وأطالَ في المَشرع بأقوالِ أئمَّةٍ أكابرَ «إذا كانَ لِلتَّعْظيمِ والتَّبرُّكِ يجُوز»، ولم يكُنِ المَشرع عندي حالَ النَّقْل، فليَنْظُرْ مَن أرادَ ذلك، يَجِدْ ما لايَجِدُه هنا مُبَيَّنًا.

وقال الإمامُ الرَّملي على شَرحِه على إيضاحِ الإمام النوويّ، نفَعَ اللهُ بهما، في شرحِ الباب السادسِ في زِيارةِ قَبرِ سيدِنا سيدِ البَشَر، رسولِ الله ﷺ، في المسألةِ الثامنةِ لَمَّا ذكَرَ الطَّوافَ بالقَبر، وقال: لايجُوزُ، ويُكرَهُ إلْصاقُ الظَّهْرِ والبطنِ بجدارِ القَبر. قال

الحليمي وغيرُه ﴿قال﴾ ويُكرَه مسحُه باليدِ وتَقْبيلُه . . . إلى آخرِه .

قال الرَّمليُّ : وقد اعْتَرضَ العِزُّ ابنُ جماعَة وغيرُه في تَقْبيلِ القَبر، ومِنه قولُ أحمد لابَأْسَ به، أي في إحْدى قولَيْه . وقولُ المُحِبِّ الطَّبريِّ، وابنُ أبي الصَّيف : يجوزُ تَقْبيلُ القَبرِ، ومنه وعليهِ علماءُ صالِحُون . وقولُ السُّبُكيِّ : إنَّ عدمَ التَّمسُّحِ بِالقَبرِ ليسَ ممَّا قام الإجماعُ عليه، ثم ذكَرَ حديثَ إقْبالِ مَروان، فإذا بِرجُلٍ مُلْتزمٍ القَبرِ وفيه، وذلك الرَّجُلُ هو أبو أيُّوبُ الأنصاري، رضيَ اللهُ عنه . وهذا الحديثُ أَخْرَجه أحمد والطَّبراني والنَّسائي بسندٍ فيه كثيرُ بن زيد، وثَّقَهُ جماعَةٌ، وضَعَّفَه النسائِي، وأطَالَ في ذلك نفَعَ اللهُ به وجزاَه خيرًا، ثم قالَ : واعلَمْ أنَّ عِبارةَ المُصَنِّفِ تُفيدُ أنَّ عِلَّةَ الكراهَةِ نَفْيُ الأدَب، فيُعلَمُ منه أنَّه لو قُصِدَ به التَّبرُّكُ، فلا بأسَ به . فقد نصَّ الشَّافعيُّ، رضيَ اللهُ عنه، على أنَّه أيَّ جُزءٍ قبَّلَه مِن أجزاءِ البَيْتِ فحَسَنٌ . ويُكرَه الإنْحِناءُ لِلقبرِ الشَّرِيف، وتَقْبيلُ الأَعْتابِ، ما لم يُقصَدْ به التَّبرُّكُ والتَّعْظِيم – انتهى كلامُ الرَّملي .

﴿قلتُ﴾ وقولُه «ما لم يُقصَدْ به التَّبرُّكُ والتعظيمُ»، أي فإذا هو لِلتَّبرُّكِ، فلا كراهةَ واللهُ أعلَم .

وقال الإمامُ الرَّمليُّ قُبَيل قولِ النوويّ في منسكه المذكُور : ويَسْتَقبِلُ القِبلةَ، ويحمَدُ اللهَ تعالى ويُمجِّدُهُ، ويدعو لِنَفْسِه وما أَحبَّه، ولِوالدَيْه، ومَن شاءَ مِن أقارِبه وأَشْياخِه وإِخْوانِه وسائِرِ المسلِمين . ﴿قال﴾ في الشَّرْحِ المذكُور، قال السَّمْهُودي ومالِك، رضيَ اللهُ عنهما : يَرَى أنَّ اسْتِقْبالَ القَبرِ في حالةِ الدُّعاءِ أفْضَلُ . واعلَمْ أنَّ ممَّا يدلُّ على طلبِ التَّوسُّلِ به ﷺ، وأنَّ ذلك هو سِيرةُ السَّلفِ الصَّالحِ والأَنْبياءِ والأَوْلياءِ وغيرِهم ماأَخْرَجه الحاكِم وصحَّحه، أنه ﷺ لَمَّا اقْتَرفَ آدمُ عليه السَّلامُ الخطِيئةَ، قال : يا ربِّ أسالُك بمحمَّدٍ ﷺ إلاَّ ماغفَرْتَ لي . فقال تعالى : ياآدمُ، كيفَ عرفتَ محمَّدًا، ولم أخلُقْه؟ قال : يا ربِّ، إنَّك لَمَّا خلَقْتَني بيَدِك، ونفَخْتَ فيَّ من رُوحِك، رفَعْتُ رأسي، فرأَيْتُ على قوائِمِ العَرشِ مكتوبًا «لا إلَهَ إلاَّ اللهُ محمَّدٌ رسولُ اللهِ ﷺ»، فعلِمْتُ أنك لا

تُضِيفُ إلى اسمِكَ إلَّا أحبَّ النَّاسِ إليك. فقال اللهُ تعالى: صدَقْتَ، يا آدمُ، إنَّه لَأَحَبُّ الخلقِ إليَّ، إذ سألْتَني بِحَقِّه، فقد غفَرْتُ لك. ولولاَ محمَّدٌ لما خلقْتُك! وأطالَ، ثم قال: ولا فرقَ بينَ ذِكْرِ التَّوسُّلِ والاِسْتِغاثَة، أو التَّشفُّعِ أوالتَّوجُّهِ بـه ﷺ، أو بغيرِه مِن الأنبِيَاء، وكذا الأولياءُ، وِفاقًا للسُّبُكيِّ، وإن منعَهُ ابنُ عبدالسلام، لأنَّه ورَدَ جوازُ التَّوسُّلِ بِالأعمالِ مع كونِها أَعْراضًا، فالذَّواتُ الفاضِلةُ أولى. ولأنَّ عُمَرَ تـوسَّلَ بالعبَّاسِ رضِيَ اللهُ عنهما في الاِسْتِسقَاء، ولم يُنْكَرْ عليه - انتهى، ولمَّا قال النوويُّ في الزِّيارةِ له ﷺ: ويقِفُ ﴿قال﴾ في الشَّرح: وظاهِرُه أنَّ الوُقوفَ أفضَلُ مِن الجُلوس، وهو كذٰلك، إذ هو المَأْثُور، ونَقْلُه التَّخييرَ عن غيرِه، ولم يتعقَّبْه، لايَقْتَضي تَرْجِيحَه. ولو قعَدَ لعُذرٍ أو غيرِه، فالاِفْتِراشُ أولَى، ثم الجُثِيُّ على الرُّكْبَتَيْن.

ويَنْبَغي له في حالِ وُقُوفِه وجُلُوسِه وَضْعُ يمينِه على يسارِه، كما في الصَّلَاة، بِأَنْ يَقْبِضَ بِيمينِه كُوعَ يسارِه. قال في المَتْنِ «ناظِرًا إلى أسفَلِ مايَسْتَقبِلُه من جِدارِ القَبْر، غاضَّ الطَّرفِ في مقامِ الهَيْبَةِ والإجلَال، فارِغَ القَلبِ مِن علائِقِ الدُّنيا، مُسْتَحضِرًا في قلبِه جَلالةَ مَوْقِفِه، ومَنْزِلةَ مَن هو بِحَضْرَتِه، ثم يُسلِّمُ ولا يرفعُ صوتَه، بل يَغُضُّه - انتهى.

﴿مهمَّة﴾ قال الإمامُ الزَّمَخْشري في كتابِه [ربيع الأبرار]، وكذلك قال صاحِبُ [المستطرف]: قال الحسن، رحِمَه الله: مَن دخلَ المقابِرَ، فقال «اللَّهُمَّ رَبَّ الأَرْوَاحِ الفَانِيَة، وَالأَجْسَادِ البَالِيَة، وَالعِظَامِ النَّخِرَة، الَّتِي خَرَجَتْ مِنَ الدُّنْيَا وَهِيَ بِكَ مُؤْمِنَة، أَدْخِلِ اللَّهُمَّ عَلَيْهِمْ رَوْحًا مِنْكَ وَسَلَامًا مِنِّي» كتبَ اللهُ له بعدَدِ مَن ماتَ من لَدُنْ آدمَ إلى أنْ تَقومَ السَّاعةُ حَسناتٍ - انتهى.

قال بعضُ أكابرِ عُلماءِ المُتَأخِّرين في جوابِ أَسْئِلةٍ في المَوْتَى، وزيارتِهم إلى أنْ قال: وأمَّا كونُ المَوْتى، يعرِفُون مَن يَزورُهم مِن الأحياء، وتَسْمعُ الموتَى نِداءَ مَن يَزورُهُم ولو مِن بُعْدٍ، ويَرُدُّون السلامَ على مَن يُسلِّمُ عليهم، ورَوَى ابنُ عبدالبرِّ في التَّذْكِرة والتَّمْهيد

من حديثِ ابنِ عبَّاس، رضيَ اللهُ عنهما، ﴿قال﴾ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: [مَا مِنْ أَحَدٍ يَمُرُّ بِقَبْرِ أَخِيهِ المُؤْمِنِ كَانَ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنْيَا، فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِلَّا عَرَفَهُ، وَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ]، صحَّحَه أبو محمد عبدالحق، وهذا كما قالَه ابنُ القَيِّم: نَصٌّ في أنَّه يعرِفُه بِعينِه، ويَرُدُّ عليه السَّلامَ.

ورَوَى ابنُ أبي الدُّنيا، في كتابِ القُبورِ، بسندِه عن زيد بن أسلمَ عن أبي هريرة، رضيَ اللهُ عنه، قال: [إِذَا مَرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ مَنْ يَعْرِفُهُ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، رَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ].

ورَوَى ابنُ أبي الدُّنيا أيضًا، عن محمد بن واسِع، قال: [بَلَغَنِي أَنَّ المَوْتَى يَعْلَمُونَ مَنْ زَارَهُمْ يَوْمَ الجُمُعَةِ، وَيَوْمًا قَبْلَهُ، وَيَوْمًا بَعْدَهُ]. ﴿قلتُ﴾ وقد ذَكَرَ هذا الحديثَ في الإحياء الإمامُ الغزالي. وعن الضَّحَّاك، قال: [مَنْ زَارَ قَبْرًا يَوْمَ السَّبْتِ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، عَلِمَ المَيِّتُ بِزِيَارَتِهِ. قِيلَ: وَكَيْفَ ذٰلِكَ؟ قَالَ: لِمَكَانِ يَوْمِ الجُمُعَةِ].

قال أبو رَزِين: [يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ طَرِيقِي عَلَى المَوْتَى، فَهَلْ مِنْ كَلَامٍ أَتَكَلَّمُ بِهِ إِذَا مَرَرْتُ عَلَيْهِمْ؟ قَالَ: قُلْ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَاأَهْلَ القُبُورِ مِنَ المُسْلِمِينَ وَالمُؤْمِنِينَ، أَنْتُمْ لَنَا سَلَفٌ، وَنَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ. قَالَ أَبُو رَزِينٍ: يَارَسُولَ اللهِ! يَسْمَعُونَ؟ قَالَ: يَسْمَعُونَ، وَلٰكِنْ لَايَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُجِيبُوا. قَالَ: يَا ابْنَ رَزِينٍ! أَلَا تَرْضَى أَنْ يَرُدَّ عَلَيْكَ السَّلَامَ بِعَدَدِهِمْ مِنَ المَلَائِكَةِ]. وقوله في الحديثِ «لايَسْتطيعون أنْ يُجيبوا» يعني جوابًا يَسْمَعُه الحَيُّ، وإلَّا فهُمْ يرُدُّون حيثُ لايَسْمَعُ الحَيُّ، كما ورَدَ في رَدِّ السَّلامِ على المُسَلِّمِ عليهم فيما تقدَّمَ من الأحاديث. وأطالَ، ثم قال: والظَّاهِرُ مِن الأحاديثِ أنَّ المَيِّتَ يسمَعُ سلامَ الزَّائرِ ونِداءَه، سواءٌ كان واقِفًا على قبرِه، أو قريبًا منه، أو بعيدًا بطرَفِ الجَبَّانَة، بحيثُ يُسمَّى زائِرًا - انتهى.

ثم قالَ بعدَ كلامٍ طويلٍ: وأمَّا كونُهُم يَأْنَسون بالزَّائرِ، ويَفْرَحون به كالأَحْياء، ويَعْتِبُون على مَن لم يَزُرْهم، فنعَم. قال ابنُ القَيِّم: الأحاديثُ والآثارُ تَدُلُّ على أنَّ الزَّائرَ متى زَار، علِمَ به المَزُورُ، وسمِعَ سلامَه، وأنِسَ به، وردَّ عليه. وهذا عُلِمَ في حَقِّ

الشُّهداءِ وغيرِهم، وأنْ لاتوقَّيتَ في ذلك، وهو أصَحُّ من أثرِ الضِّحاكِ الدالِّ على التَّوْقِيت. ﴿قال﴾ وقد شَرَعَ لأمَّتِه على أنْ يُسلِّمُوا على أهلِ القُبورِ سلامَ مَن يُخاطِبون ممَّن يَسْمَع.

ورَوَى ابنُ أبي الدُّنيا في كتابِ [القبور] من حديثِ عائشةَ، رضيَ اللهُ عنها، قال رسولُ اللهِ ﷺ: [مَا مِنْ رَجُلٍ يَزُورُ قَبْرَ أَخِيهِ وَيَجْلِسُ عَلَيْهِ، إِلَّا اسْتَأْنَسَ بِهِ وَرَدَّ عَلَيْهِ حَتَّى يَقُومَ].

وفي الأربعينَ الطَّائيَّة، ورُوِيَ عن النَّبيِّ ﷺ، أنَّه قال: [آنَسُ مَا يَكُونُ المَيِّتُ فِي القَبْرِ إِذَا زَارَهُ مَنْ كَانَ يُحِبُّهُ فِي الدُّنْيَا].

وقد رُوِيَ في عَتْبِهم على مَن لَم يَزُرْهم، وجاءَ عَن بعضِ الثِّقاتِ، فأَخْرَج البيهقِيُّ وابنُ أبي الدُّنيا عن بِشْر بن منصور، رضيَ اللهُ عنه، قَال: كان رَجُلٌ يَخْتلِفُ إلى الجَبَّانَة، فيَشْهدُ الصَّلاةَ على الجنائز. فإذَا أَمْسَى وقَفَ على أبوابِ المَقابر، فقال: «آنَسَ اللهُ وَحْشَتَكُمْ، وَرَحِمَ اللهُ غُرْبَتَكُمْ، وَتَجَاوَزَ اللهُ عَنْ سَيِّئَاتِكُمْ، وَقَبِلَ اللهُ حَسَنَاتِكُمْ»، لايَزِيدُ على هٰؤلاءِ الكلِمات. قال ذلك الرَّجُل: فأَمْسَيتُ ذاتَ ليلَةٍ، فانْصَرفتُ إلى أهلي، ولم آتِ القُبور. فبَيْنما أنا نائِمٌ، إذْ أنا بخلْقٍ كثيرٍ قد جاؤُوني. قلتُ: مَن أنتُمْ، وما حاجاتُكُم؟ قالوا: نحنُ أهلُ المَقابِر. قلتُ: ما جاءَ بِكُم؟ قالوا: إنَّك تَدْعو لنا. قلتُ: فإنِّي أعودُ لذلك. قال: فما تَرَكْتُها بعدَ مارَأَيْتُ ذلك.

ثم أَوْرَدَ حِكاياتٍ عجيبَةً إلى أنْ قال: ورَوَى الحافِظُ ابنُ رجَب بِسندِه عن الأسد بن موسى، قال: كان لِي صديقٌ، فماتَ، فرَأَيْتُه في المَنامِ وهو يقولُ: سُبْحان الله، جِئْتَ إلى قَبرِ فُلانٍ صديقِك، وقرَأْتَ عندَه، وترَحَّمْتَ عليه، وأنتَ ما جِئْتَ إليَّ، ولا قَرَبْتَني. قال: وما يُدْرِيك؟ قال: لَمَّا جِئْتَ عندَ قبرِ فُلانٍ صديقِك، رأَيْتُك. قلتُ: كيفَ رأَيْتَني والتُّرابُ عَليك؟ قال: مارَأَيْتَ الماءَ إذا كانَ في الزُّجاجِ أَوَ ما يَتَبيَّنُ؟ قلتُ: بلى! قال: كذلك نحنُ نَرَى مَن يَزورُنا - انتهى. ﴿قلتُ﴾ فكيفَ بمَن يزورُ أكابرَ مَقْبرةِ

تَرِيم، إذْ في مَقْبرةِ زَنْبَل سبعونَ مِن أهلِ بَدْر، وأعمالُهُم كأعمالِ أهلِ بَدْر، وفيها مِن وقتِ السقَّاف عبدالرحمن إلى الأَوْقاتِ الَّتي قبلَها لا الَّتي بعدَها ثمانُون قُطبًا مِن الأَشْرَاف، من الَّذين دارَتْ عليهِم الدَّائِرةُ الكُبرى والصِّدِّيقيَّةُ العُظمى. وفيها آلافٌ من أهلِ بيتِ النبيِّ محمدٍ ﷺ، وقد قال سيدُنا الحدَّاد عبدالله:

أَلَا يابَخْت مَن زارَهُم بالصِّدقِ واندَرْ * إليهِم مُعْتَني كلُّ مَطلوبُه تَيَسَّرْ

- انتهى.

وقال السقَّاف: في مَقْبرةِ الفُرَيْط عشرةُ آلافِ وليّ، فكيفَ بأولياءِ مَقْبرةِ أَكْدَر؟ قال العدْنيُّ أبو بكر العَيْدَروس: فما يَزُولُ عنك الكَدَر حتى تَزُورَ أهلَ بَكْدَر. وانظرْ فضائِلَ مَقْبرةِ تَرِيم في [الجوهر الشفَّاف] و[المشرع الروي].

﴿الفائدة السادسة عشرة﴾
في التَّسبيح والتَّحميد والتَّهليل والتَّكبير

وهي تَحْتَوي على سبعِ فوائِدَ مُتَراسِلَة، نَقَلْتُها من كتابِ [القرطاس] لسيدِنا الإمامِ العلاَّمة الحبيب علي بن الحسن بن عبدالله بن الحسين بن عمر بن عبدالرحمن العطَّاس باعلوي، رضِيَ اللهُ عنه ونفَعَ به، نقَلَها مِن شرحِ العُبَاب لابنِ حجَر، رحِمَه اللهُ تعالى. وهذه الفائِدَةُ تَحْتَوي على ستِّ فوائِدَ مِن العُباب، والسَّابعةُ له، فافهَمِ الأولى، وهي مانَقَلَه الشيخُ البكري عن أبي الفَضْل الزَّيْنِ العِراقيّ، قال: اِخْتَلَفتِ الأحادِيثُ في التَّسْبِيحِ وما بعدَه بعدَ الصَّلوَات. ففي حديثٍ: التَّسْبِيحُ ثلاثَةٌ وثلاثُون، وفي آخَرَ خمسَةٌ وعشرُون، وفي آخَرَ أَحدَ عشَرَ، وفي آخَرَ ثلاثَةٌ، وفي آخَر مرَّةً واحِدَة، وفي آخَرَ سبعون، وفي آخَرَ مِائَةٌ. ووَرَدَ: التَّحْميدُ ثلاثَةٌ وثلاثُون، وأربعةٌ وثلاثُون، وخمسةٌ وعشرُون، وأحَدَ عشَر، وعشَرَةٌ ومِائةٌ. ووَرَدَ: التَّهْليلُ عشَرَةٌ، وخمسةٌ وعشرُون، ومِائةٌ. ﴿قال﴾ وكُلُّ ذلك حسَنٌ، وما زادَ فهو أَحَبُّ إلى الله.

وجَمَعَ البغَوِيُّ بينَ ذلك، بأنَّه يُحتَمَلُ صُدورُ ذلك في أَوْقاتٍ مُتَعَدِّدَة، أو أنْ يكونَ ذلك على سبيلِ التَّخْيير، أو يُفَرَّقَ بِافْتِراقِ الأحوَال. وظاهِرُ كلامِ العِراقيِّ السَّابقِ تَرْجيحُ الثَّاني، وهو أنْ يكونَ على سبيلِ التَّخْيير، لكن نَقَلَ عن بعضِ مشائِخِه أنَّ هذه الأعدادَ الوارِدَةَ في الأعدادِ ممَّا ورَد، له عدَدٌ مَخْصوصٌ، لايَحْصُلُ ذلك الثَّوابُ لِمَن زادَ في أعدادِها عَمْدًا، فعلَّها بِحكمَةٍ تفوتُ بِمُجاوَزَتِها. ثم نظَّرَ الشيخُ العِراقيُّ المذكورُ بأنَّه قد أُتِيَ بها فلا تكونُ الزِّيادةُ مُزيلةً لذلك الثَّوابِ بعد حُصولِه.

﴿قال﴾ وقد صَحَّ مايَدُلُّ لذلك وهو حديثُ: [مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبحُ وَحِينَ يُمْسِي:

سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ القِيَامَةِ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدًا قَالَهَا أَوْ زَادَ عَلَيْهِ] - انتهى.

وقال ابنُ حجَر: فيما اسْتَشْهَدَ به العِراقيُّ نظَرٌ. ثم قال: وقد يُقالُ ما ذكرَه واضِحٌ مِمَّا نحنُ فيه ونحوُه من الأعدادِ المُتعاقِبَة، لأنَّ الزِّيادةَ تَقْطَعُ المُوالاةَ بينه وبينَ مابعدَه، ورُبَّما كان لِلتَّوالي حِكْمةٌ خاصَّةٌ - نقل الحافِظُ ابنُ حجَر ذلك. ثم بحَثَ التَّفْرِقةَ بين أنْ يَنوِيَ عندَ الانْتِهاءِ إليه الامْتِثالَ، ثم يزيدَ عليه ما شاءَ فيُثابَ، وبينَ أن يزيدَ بلا نيَّةٍ بأنْ يكونَ الثَّوابُ على عشَرَةٍ فيُرَتِّبَه هو مِائةً فيَتَّجِه عدمُ الثَّواب. ومَثَّلَه بعضُهُم بالدَّواءِ تَضُرُّه الزِّيادةُ فيه، يعني تُفْسِدُ نفعَه، وبِالمِفْتاحِ إذا زِيدَ في أَسْنانِه لايَفْتَحُ. ثم قال ابنُ حجَر: ومِن ثَمَّ بالَغَ العِراقيُّ، وقال إنَّ الزِّيادةَ بِدْعةٌ مكروهَة.

ونقَلَ بعضُ المُتَأخِّرين عن ابنِ الصَّلاح، أنَّ الزِّيادةَ تُضاعِفُ الثَّواب. ونُقِلَ عن البَلْقيني أنَّه يَحْصُلُ له ثوابُ السُّنَّةِ وثوابُ الزِّيادةِ بالنيَّة. قال ابنُ حجَر الهيتميُّ بعدَ نقلِه: وهذا أوفَقُ للمعنى ولِكلامِ الحافِظ ابنِ حجَر يعني العَسْقلاني. ثمَّ قال ابنُ حجَر الهَيْتمِيُّ، رحِمَه الله: ثم ابنُ العِماد ساقَ قولَ العِراقيِّ أنْ لا ثوابَ مع الزِّيادةِ والنَّقصِ. ثم ﴿قال﴾ وهذا مَرْدودٌ لايَحِلُّ اعْتِقادُه لأنَّه قولٌ بِلا دلِيل، ولم يَعْثُرِ العِراقيُّ على المعنى الَّذي لأجلِه سِيقَ العدَد. ثم بيَّنَه وأطالَ فيه، وساقَ فيه أحادِيثَه، وقال: إنَّها تدُلُّ على عَدمِ اخْتِيارِ مَنعِ الزِّيادةِ والنَّقْص، وأنَّ المَقصودَ الإِتْيانُ بهٰذه الثَّلاثَةِ مِن أنواعِ الذِّكر، وأنَّ أصلَ السُّنَّةِ يحصُلُ بِدُونِ المِائة، وأنَّ الأكملَ مائةٌ بعدَ أسمائِه الحُسنى، وما زادَ عليه أفضَلُ. ثم قال ابنُ حجَر: انتهى وهو حسَنٌ، لكنَّه مُقَيَّدٌ بما مرَّ عن ابنِ حجَر العَسْقَلاني، وهو الإِتْيانُ بِنيَّةِ الزِّيادةِ عند انتهاءِ العددِ الوارِد.

﴿الفائدة السابعة عشرة﴾
في الذِّكر بنيَّة وبلا نيَّة

قال ابنُ حجَر: نقلَ بعضُهم خلافًا في الذِّكرِ باللِّسانِ العَرِيِّ عن النِّيَّة، وأنَّ ظاهرَ كلامِ القاضي عِياضٍ وغيرِه، أنَّه لاثوابَ له، وهو بمنزلةِ أصواتِ ما لايعقِلُ. ثم ﴿قال﴾ قال الجلالُ البَلْقينيُّ: وهو حقٌّ لا شكَّ فيه. ثم ﴿قال﴾ وقد يُنْظَرُ في هذا القَول. قال صاحِبُ [الأذكار] الشيخ النوويُّ: الذِّكرُ يكونُ بالقلبِ واللِّسان، والأفضَلُ ما كان بهما. فإنِ اقتُصِرَ على أحدِهما، فالقَلْبُ أفضَلُ. وإذا واظَبَ الإنسانُ على الأذكارِ الوارِدَةِ المأْثُورَة، صباحًا ومساءً، أوعندَ اخْتِلافِ أحوالٍ انْدَرَجَ وانْتَظَمَ في سِلْكِ الذَّاكرِين للهِ كثيرًا أو الذَّاكِرَات - انتهى. وقال في [الأذكار]: ويَنْبَغي لِمَن بلَغَه شيءٌ من فضائِلِ الأعمالِ أنْ يعمَلَ به ولو مرَّةً، وإن كان الحديثُ ضعِيفًا - انتهى.

ومِن كتاب [الوظائف] للحافظ أبي موسى محمد بن بكر بن عيسى المدنِّي، عن جابر بن عبدالله، رضيَ اللهُ عنهما، قال. قال رسولُ اللهِ ﷺ: [مَنْ بَلَغَهُ عَنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ شَيْءٌ فِيهِ فَضِيلَةٌ، فَأَخَذَهَا إِيمَانًا بِهِ، وَرَجَاءَ ثَوَابِهِ، أَعْطَاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ذٰلِكَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذٰلِكَ].

ومن الكتاب المذكُور، ذكَرَ بعضُهُم أنَّ الفضلَ بنَ العبَّاسِ بلَغَهُ الحديثُ عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: [مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ المُؤَذِّنَ: مَرْحَبًا بِالقَائِلِينَ عَدْلاً، وَبِالصَّلَاةِ مَرْحَبًا وَأَهْلاً، أَعْطَاهُ اللهُ مِائَةَ أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ مِائَةَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ، وَرَفَعَ لَهُ مِائَةَ أَلْفِ دَرَجَةٍ]. ففَكَّرَ في نَفْسِه، فقال: كيفَ يكونُ؟ إذَنْ لايَبْقَى على أحدٍ ذنبٌ، فرَأَى في المَنامِ كأنَّ قائِلًا يقولُ: إنَّ رَبَّك عزَّ وجلَّ يقولُ: أَتُبَخِّلُني يافضْل! وإنَّ عبدِي فُلانُ بنُ فلانٍ

الملِكُ قال لبعضِ الشُّعراء: تُنشِدُني شِعرًا!؟ فقال: إنَّ شِعْري لايُقاوِمُ عطاءَك، فإنَّك تُكثِرُ العَطاء. فقال الملِكُ: أَعْطُوه مِائةَ ألفِ درهمٍ لهذا الكلاَم. ثم قال: إذا كانَ المَخْلوقُ يُعْطِي كلَّ هذا العطَاءِ في كلمَةٍ ارْتَضَاها، أَفأنَا لاأُعْطِي ذلك الَّذي بلَغَك، والمَخْلوقونَ بِأجمعِهِم فُقَراء، وأنا الغنيُّ الحمِيد - انتهى.

﴿الفائدة الثامنة عشرة﴾
في أفضلية الذِّكر على الدُّعاء

أنَّ الذِّكرَ أفضلُ من الدُّعاءِ على الأصحِّ عند ابنِ حجر، لحديثِ [مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِيَ السَّائِلِينَ].

وقال بعضُ العُلماء: ورَدَ مايَقْتَضي تَفْضيلَ الذِّكرِ على الصَّدقةِ بالمَال، كحديثِ أحمدَ والترمذي [أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالوَرِقِ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ، فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ. قَالُوا: بَلَى، يَارَسُولَ الله. قَالَ: اُذْكُرُوا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ]. وحديثِ أحمدَ والترمذي أيضا: [أَيُّ العِبَادِ أَفْضَلُ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا. قُلْتُ: يَارَسُولَ الله! وَمِنَ الغَازِي فِي سَبِيلِ الله؟ قَالَ: لَوْ ضَرَبَ بِسَيْفِهِ فِي الكُفَّارِ وَالمُشْرِكِينَ حَتَّى يَنْكَسِرَ وَيَخْتَضِبَ دَمًا لَكَانَ الذَّاكِرُونَ اللهَ أَفْضَلَ مِنْهُ دَرَجَةً]. وحديثِ الطبراني [لَوْ أَنَّ رَجُلاً فِي حِجْرِهِ دَرَاهِمُ يُقَسِّمُهَا، وَآخَرَ يَذْكُرُ اللهَ لَكَانَ الذَّاكِرُ اللهَ أَفْضَلَ]. وحديث [مَنْ كَبَّرَ مِائَةَ مَرَّةٍ، وَسَبَّحَ مِائَةً، وَهَلَّلَ مِائَةً، كَانَتْ لَهُ خَيْرًا مِنْ عَشْرِ رِقَابٍ يَعْتِقُهَا، وَمِنْ سَبْعِ بَدَنَاتٍ يَنْحَرُهَا].

﴿قال﴾ وأخَذَ بِقضيَّةِ هذه الأحاديثِ جماعةٌ من الصَّحابةِ والتَّابعِين، فقالوا: إنَّ الذِّكرَ أفضلُ من الصَّدقةِ بعددِه من المَال. ويَدُلُّ له أيضًا حديثُ أحمد والنسائي، أنَّه ﷺ قال لأمِّ هاني: [سَبِّحِي اللهَ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَإِنَّهَا تَعْدِلُ مِائَةَ رَقَبَةٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمٰعِيلَ، وَاحْمَدِي اللهَ مِائَةَ تَحْمِيدَةٍ، فَإِنَّهَا تَعْدِلُ مِائَةَ فَرَسٍ مُلْجَمَةً مُسَرَّجَةً، تَحْمِلِينَ عَلَيْهَا فِي سَبِيلِ الله، وَكَبِّرِي اللهَ مِائَةَ تَكْبِيرَةٍ، فَإِنَّهَا تَعْدِلُ مِائَةَ بَدَنَةٍ مُقَلَّدَةً مُتَقَبَّلَةً، وَهَلِّلِي اللهَ مِائَةَ

تَهْلِيلَةٍ، وَلاَ أَحْسِبُهُ إلاَّ قَالَ فَإِنَّهَا تَمْلأُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ، وَلاَ يُرْفَعُ لأَحَدٍ يَوْمَئِذٍ مِثْلُ عَمَلِكِ إلاَّ أَنْ يَأتِيَ بِمِثْلِ مَا أَتَيْتِ].

والأحاديثُ في فَضْلِ الذِّكرِ كثيرَةٌ - انتهى ماأَوْرَدَه.

﴿قلتُ﴾ ويحسُنُ أن يُقال: التَّسْبيحُ والتَّهْليلُ والتَّحْميدُ والتَّكْبيرُ من الفقيرِ له فَضْلٌ كثيرٌ لقولِه تعالى: [وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَيَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلهِ وَرَسُولِهِ، مَا عَلَى المُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ. إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ، رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الخَوَالِفِ، وَطَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَيَعْلَمُونَ].

وأما الغنيُّ إذا شَحَّ بالمالِ أنْ يُنْفِقَه، واسْتَغْنى عن ذلك بِثوابِ التَّسْبيحِ ، فذلك غيرُ مَرضيٍ منه، واللهُ أعلمُ وأحكمُ.

وقد قال حجَّةُ الإسلام: والتَّحْقيقُ فيه أنَّ الغَنِيَّ الذي معه مَال، وقد غلَبَ عليه البُخْلُ وحُبُّ المالِ بإمساكِه، فإخراجُ درهمٍ أفضَلُ من قيامِ ليالٍ وصيامِ أيَّام.

﴿الفائدةُ التاسعةَ عشرة﴾
في مراتب الذِّكر الأربع

قال بعضُ العارِفينَ الأَكابِر، نفَعَ الله به آمِين: إعْلَمْ أنَّ مَراتِبَ الذِّكرِ أربعٌ، لاخامِسَ لها:-

الأولى: ذِكْرُ اللِّسانِ، وهو ذِكْرُ «لا إلهَ إلَّا الله».

الثانية: ذِكْرُ القلبِ، المُسمَّى ذِكْرَ الجَنانِ. وذِكْرُ اللِّسانِ مِفتاحُ ذِكْرِ القَلْب، وذِكْرُ القَلبِ «الله.. الله»، واللِّسانُ مع ذِكْرِ القلبِ ساكِنَة، ما لها حركَة.

الثالثة: ذِكْرُ الرُّوحِ، ومِفتاحُهُ ذِكْرُ اللِّسانِ وذِكْرُ القَلبِ معًا. ومعنَى ذِكْرِ الرُّوحِ أنَّ كلَّ مَنْبتِ شَعَرةٍ يقولُ «الله.. الله». ومِن هذا الذِّكْرِ، وهو ذِكْرُ الرُّوحِ، يَسْمعُ الذَّاكِرُ ذِكْرَ جميعِ الكائِناتِ بإذنِ ربِّه.

الرابعة: ذِكْرُ السِّرّ، ومِفتاحُهُ ذِكْرُ اللِّسانِ والقَلبِ والرُّوحِ معًا. وذِكْرُ السِّرِ «هو.. هو»، ولأنَّه ما ذكَرَه إلَّا بالهَوِيَّة، وهو يَسْتَوعِبُ الأذكارَ كُلَّها، ويَسْتَغرِقُها اسْتِغْراقَ الكوكَبِ والقَمرِ في الشَّمسِ، فيَظُنُّ أي صاحِبُ ذِكْرِ الرُّوحِ، أنَّه مَسْلوبٌ حيثُ فَقد ذِكْرَ رُوحِه، وهو في مَقامِ النِّهايَة، وهو مَقامُ ذِكْرِ السِّرِ، وهو الفَناءُ في المذكُور، وهذا هو الغايةُ القُصْوَى عند المُوَحِّدين والعارِفِين، ومع هذا لا يَنْبَغي له تَرْكُ الذِّكرِ باللِّسانِ أبدًا، لأنَّ مَواهبَ الحَقّ ما لها نِهايَة.

﴿الفائدة العشرون﴾
في عقد الذِّكر بالأنامل والمسبحة والحصى والنوى

ثبَتَ أنَّ النبيَّ ﷺ كان يعقِدُ التَّسْبيحَ بِيمينِه، رواه أصحابُ السُّنَن الثلاثَةُ وابنُ حِبَّان في صحيحِه، ورَوَى البيهقِيُّ بسندٍ ضعِيف: اِعْقِدُوه بَالأَنامِل، فإنَّهُنَّ مَسْئولاتٌ مُسْتَنطَقات. قال ابنُ حجَر: وهذا يَشْمَلُ أنامِلَ كُلٍّ مِن اليمينِ والشِّمال. فإمَّا أنْ يُحْمَلَ أنْ يُوافِقَ الأولَ على أناملِ اليمِين، أو ذلك لِبيانِ الأفضَل، وهذا البَيانُ ما يَحْصُلُ به أصلُ السُّنَّة.

﴿قال﴾ وظاهِرُ كلامِ الأذرعيِّ، أنَّ المُرادَ بالعَقدِ هنا ما يَتعارَفُه النَّاس. وقال غيرُه: المُرادُ عَقدُ الحِسابِ الَّذي يَعْلمُه النَّاسُ وعلى تَسْلِيمِه، فالظَّاهِرُ أنَّ الأوَّلَ يُحَصِّلُ السُّنَّةَ بلا كَمالٍ لها، إنْ لم يَعْرِفْ غيرَها. ويُؤيِّدُه ما ورَدَ بسندٍ ضعيفٍ عن عليٍّ مرفوعًا: نِعْمَ المُذكِّرُ المِسْبَحَة. وعن أبي هريرة، أنَّه كان له خَيْطٌ فيه أَلْفُ عُقْدَة، فلا ينامُ حتى يُسبِّحَ به. وفي روايةٍ كان يُسَبِّحُ بالنَّوَى. والرِّواياتُ في التَّسْبيحِ بالنَّوى والحَصَى كثيرةٌ عن الصَّحابةِ وبعضِ أُمَّهاتِ المؤمنِين، بل رآها النبيُّ ﷺ وهي تُسَبِّحُ بالحَصَى، وأَقَرَّها على ذلك. قيل عَقْدُ التَّسْبيحِ بالأنامِلِ أفضَلُ من السُّبْحَة، وقيل إنْ أمِنَ الغلَط، فهو أولَى، وإلاَّ فهي أولى يعني المِسْبَحَة، وهو أقربُ لبُعْدِه عن مواطِنِ الرِّيَاء، واللهُ سبحانه أعلَم.

﴿الفائدة الحادية والعشرون﴾

في سماع الذّكر وأحكام الجُنب والحائض والنُّفساء في القراءة بالقرآن وأحكام الذِكر وصحته

قال مُحيي الدِّين في كتابِ [الأذكار]: اِعْلَمْ أنَّ الإسرارَ بالقِراءةِ والتَّكْبيرِ وغيرِهما مِن الأذكارِ المَشْروعةِ في الصَّلاةِ وغيرِها واجِبةً كانت أو مُسْتَحبَّةً لايُسْتَحَبُّ شيءٌ منها، ولا يُعْتَدُّ به حتى يَتَلفَّظَ به بِحيثُ يُسمِعُ نفسَه، إذا كان صحيحَ السَّمعِ، ولا عارِضَ به. فإنْ لم يُسمِعْ نفسَه لم تَصِحَّ قراءتُه ولا غيرُها من الأذكار بِلا خِلافٍ - انتهى.

وقال أيضا: أَجْمَعَ العُلماءُ على جوازِ الذِّكرِ بالقلبِ واللِّسانِ للمُحدِثِ والجُنُبِ والحائضِ والنُّفَساء، وكذلك في التَّسْبيحِ والتَّهْليلِ والتَّحْميدِ والتَّكْبير والصَّلاةِ على رسولِ اللهِ ﷺ والدُّعاءِ وغيرِ ذلك، ولكِنَّ قراءةَ القُرآنِ حرامٌ على الجُنُبِ والحائضِ والنُّفَساء، سواءٌ قرأَ من القرآنِ قليلاً أو كثيرًا، حتى بعضَ آية. ويجوزُ لهم إجْراءُ القرآنِ على القلبِ مِن غيرِ لفظٍ، وكذلك النَّظرُ في المُصْحَف، وإمرارُه على القَلْب.

قال أصحابُنا: ويَجوزُ للجُنُبِ والحائضِ أن يقولَ عند المُصيبةِ «إنَّا للهِ وإنَّا إليه راجِعُون»، وعندَ رُكوبِ الدَّابَّةِ «سُبحانَ الَّذي سَخَّر لنا هذا، وما كُنَّا له مُقْرِنِين»، وعندَ الدُّعاءِ «ربَّنا آتِنا في الدُّنيا حسنَةً وفي الآخرةِ حسنَةً، وقِنا عذابَ النَّار» إذا لم يَقْصِد به القُرآن. ولَهما أَنْ يقولاَ «بِسم الله . . والحمدُ لله» إذا لم يَقْصِدَا به القُرآن، سواءٌ قصَدَا به الذِّكرَ أو لم يكُنْ لهما قَصدٌ، ولا يَأْثَمانِ إلا إذا قصَدَا به القرآن. ويجوزُ لهما قِراءةُ ما نُسِخَتْ تلاوتُه كـ«الشَّيْخُ والشَّيْخةُ إذا زنَيا فارْجمُوهُما . . . . . الآية». وأمَّا إذا قال الإنسانُ «خُذِ الكتابَ بقُوَّةٍ»، أو قال «اُدْخُلوها بِسلامٍ آمنِين»، أو نحوَ ذلك، فإنْ قصَدَ غيرَ القرآنِ لم يحرُم، وإذا لم يَجِدا الماء، تَيمَّما وجازَ لهما القراءة، فإنْ أَحْدَثَ بعدَ ذلك لم

تحرُمْ عليه القراءة، كما لو اغْتَسلَ ثم أَحْدَث.

ثم لا فَرْق بينَ أن يكونَ تَيَمُّمُهُ لعدمِ الماءِ في الحَضَر، أو في السَّفَر، فله أنْ يَقْرأَ القُرآنَ بعدَه وإنْ أَحْدَث. وقال بعضُ أصحابِنا: إنْ كانَ في الحَضَرِ صلَّى به وقرَأَ به في الصَّلاة. ولايَجُوزُ له أنْ يَقْرأ خارِجَ الصَّلاة، والصَّحيحُ جَوازُه، كما قد قدَّمْناه لأنَّ تَيمُّمَه قام مَقامَ الغَسْلِ.

ولو تَيمَّمَ الجُنُبُ، ثم رَأَى ماءً، يَلْزَمُه اسْتِعْمالُه، فإنَّها تَحْرُمُ عليه القِراءة، وجميعُ ما يحرُمُ على الجُنُبِ حتَّى يَغْتَسِلَ. ولو تيمَّم وصلَّى وقرأَ، ثم أَرادَ التيمُّمَ لِحدثٍ أو فَريضةٍ أُخْرى وغيرِ ذلك، لم تَحْرُمْ عليه القِراءة، وهذا هو المَذهبُ الصَّحيحُ المُختَار، وفيه وجهٌ ضعيفٌ لِبعضِ أصحابِنا أنَّه يحرُم. أمَّا إذا لم يَجِدِ الجُنُبُ ماءً ولا تُرابًا، فإنَّه يُصلِّي لِحُرمةِ الوقتِ على حسَبِ حالِه.

وتَحْرُمُ عليه القِراءةُ خارِجَ الصَّلاةِ، ويَحْرُمُ عليه أنْ يقرَأَ في الصَّلاةِ ما زادَ على الفاتِحَة. وهَلْ تَحْرُمُ علَيه الفاتِحةُ وَجْهانِ، أَصحُّهما لاتَحْرُمُ، بل تجِبُ، فإنَّ الصَّلاةَ لاتَصِحُّ إلَّا بها. وكَما جازَتِ الصَّلاةُ لِلضَّرورَة، يجوزُ القِراءَة. والثَّاني تَحْرُمُ، بل يَأْتي بالأَذْكَار، الَّذي يَأْتي بها مَن لايُحسِنُ شيئًا من القُرآن - انتهى.

وقال الإمامُ النوويُّ أيضا: مَن لم يَجِدْ ماءً تَيمَّمَ حيثُ يجوزُ له التَّيَمُّمُ، فيَجُوزُ له مَسُّ المُصْحَف، سواءٌ كان تَيمُّمُه للصَّلاةِ أو لغيرِها ممَّا يَجِبُ التَّيَمُّمُ له. وأمَّا مَن لم يجِدْ ماءً ولا تُرابًا، فإنَّه يُصَلِّي على حسَبِ حالِه. ولا يَجُوزُ له مَسُّ المُصْحَف، لأنَّه مُحْدِث، وجَوَّزْنا له الصَّلاةَ للضَّرورَة. فلو كان معه مُصْحَفٌ، ولم يَجِدْ مَن يُودِعُه إيَّاه، وعجَزَ عن الوُضوء، جازَ له حَمْلُه للضَّرورَة. أمَّا إذا خافَ على المُصْحَفِ من حَرْقٍ، أو غرَقٍ، أو وُقوعِ نجاسَةٍ، أو حُصولِه في يدِ كافِرٍ، فإنَّه يَأْخذُه، وإنْ كان مُحدِثًا للضَّرورَة - انتهى.

﴿قال﴾ ويَنْبَغي للذَّاكِرِ أن يَسْتَقبِلَ القِبلَة، ويكونَ مُتذلِّلًا مُتَخشِّعًا مُتواضِعًا لِربِّه تعالى بِسَكِينةٍ ووَقارٍ، مُطرِقًا رأسَه في مَوْضعٍ خالٍ عمَّا لايَلِيق. ويَتجنَّبُ الذِّكرَ في حالةِ

الجُلوسِ على الخَلاءِ فإنَّه مكرُوه. وكذا في حالةِ الجِماع، وفي حالةِ الخُطْبة، إلَّا إذا لم يَسْمعْ صوتَ الخَطِيب، وكذا في القِيام، بل يَشْتَغِلُ بالقِراءة، وكذا في حالةِ النُّعَاس.

ولا يُكرَهُ في الطَّريق، ولا في الحمَّام - انتهى.

﴿الفائدة الثانية والعشرون﴾

في الحثّ على أذكار النَّوويّ

اِعْلَمْ أيُّها الأخُ الصَّادقُ النَّاصِحُ لنفْسِه، القاصِدُ رِضا ربِّه، المُخَالِفُ لِأبناءِ جِنْسِه، أنَّه يَنْبَغي لك أنْ تُحَصِّلَ نُسخةً من كتابِ [الأذكار] المشهُور، تَصْنيفِ الإمامِ مُحيي الدين النوويّ، وتُلازِمَ المُطالعةَ فيه، وذلك بعدَ أنْ تُحقِّقَه قراءةً على يدِ شيخٍ يُوَضِّحُ لك معانِيَه، ويُبَيِّنُ لك مبانِيَه، ويُظْهِرُ لك خوافِيَه، ويُفهِمُك ما فيه، فإنَّ فيه ما تَشْتَهيه، من الآدابِ والمَعارف، والمَسائِلِ واللَّطائِف، وتحقيقِ الحقائِق، وتَدْقيقِ الدَّقائِق، وتَوْضيحِ الطَّرائِق، وما يَطْلُبُه القاصِدُ والوارِد، من المقاصِدِ والمَوارِد، والأورادِ والمنافِعِ الدِّينيَّةِ والدُّنْيويَّة والأُخْرَويَّة، بحيثُ لايخلُو وقتٌ مِن أوقاتِ الإنسان، وتَقَلُّباتِه في أَطْوارِ عُبودِيَّتِه وعباداتِه، من وقتِ مولدِه إلى وقتِ وفاتِه، له وعليه، إلَّا وقد حقَّقَه هذا الإمامُ، وأشارَ إليه في هذا الكِتاب، كتابِ الأذكار، المُسمَّى بِحِلْيَةِ الأبرار، وشِعارِ الأخيار، وهو بُغْيَةُ الباب اللُّباب. وقد قال مُصنِّفُه، رحِمَه اللهُ تعالى: كتابُ [الأذكار] الذي لايَسْتَغْني طالِبُ الآخرةِ عن مثلِه. قال في [القِرطاس]: كان شيخُنا الوالِدُ الجدُّ حسين بن عمر، نفَعَ اللهُ به، في حالِ قِراءتي عليه فيه: كثيراً ما يقول ﴿قالوا﴾ مَن لَم يَقْرَأْ كتاب [الأذكار] فليس بِذِكْرٍ ولا ذَكَّار. ﴿قلتُ﴾ هذا من كلامِ سيدِنا الأكبرِ عبدالرحمن السقَّاف.

وقال الشيخ أحمد بن عبداللطيف باجابِر: ثلاثةُ كُتبٍ لا يَنْبَغي لطالِبِ العلمِ أن يخلُوَ عنها، أو عن أحدِها: كتاب رسالة الإمام القُشَيري، وكتاب بداية الهداية، وكتاب الأَذكار المَشهور. فلِلّه دَرُّه من كِتاب، لَقد احْتَوَى على نَفائِسِ الآداب، الَّتي لم يُكتَبْ مثلُها في كِتاب.

وقال سيدُنا ومولانا القُطب الشيخ عبدالله بن علوي الحدَّاد في كتابِه [النصائح الدينية]: اِعْلَمْ أنَّه قد ورَدَ عن رسولِ الله ﷺ مِن الأذكارِ والأَدْعِيَة، المُطْلَقةِ والمُقيَّدَة، بالأوقاتِ المُتَعاقِبَة، والأحوالِ المُتَغايِرَة، ما كَثُر وانْتَشَر. وقد رتَّبها ﷺ لأمَّتِه، ورغَّبَهم فيها لِتكونَ سببًا لهم إلى نيلِ الخيرَات، والسَّلامةِ من الشرِّ والآفَات، الواقعةِ بمشيئةِ اللهِ في تلك الأحوالِ والأوقَات. فمَن حافظَ عليها نجَا وسلِم، وفاز وغنِم. ومَن فرَّط فيها، وأَهْمَلَ العملَ بها، فلا يَلُومَنَّ إلا نَفْسَه، وما ربُّك بظلامٍ لِلعبِيد.

ثم قال: وقد جَمَعَ الإمامُ النوويُّ، رحِمَه الله، في كتاب [الأذكار] له جملةً مُسْتكثرةً من ذلك، وضَمَّ إليها من الإيضاحِ والبيانِ، ونفائسِ الأحكام، ومُهِمَّاتِ الفوائِد، ما يَطْمئِنُّ له القَلْب، ويَنْشَرِحُ له الصَّدْر، شكَر اللهُ سعيَه، وجزاه عن المسلمِين خيرًا - انتهى.

فانظُرْ رحِمَك اللهُ إلى هٰذا الثَّناءِ العَظِيم، والتَّبْجيـلِ الفَخِيم، من هٰؤلاء السَّادةِ الأَقْطَاب، والصَّالِحين من أُولي الألبَاب، أهلِ الفَضْلِ والإنصافِ والآدَاب، على هذا الكتاب، فعَليك به، ثم عَليك به، فإنِّي أَحُثُّك عليه - انتهى مانقَلْناه من كتاب [القرطاس].

﴿الفائدة الثالثة والعشرون﴾

تلخيص ما في [سبيل الهداية والرَّشاد] وغيره من الكتب النافعة

وهي مَقْصُودُ هٰذا الكتابِ ولُبُّه، وعُمْدَةُ ما تقدَّم وما تأخَّرَ راجعٌ لِهٰذه الفائِدةِ العظِيمَة، وأيُّ فائِدَة. نُلخِّصُ لك، أيُّها النَّاظِرُ في هذه الفوائِدِ فضائِلَ الرَّاتِبِ من الكُتُبِ الكثيرةِ الصَّحيحَة، ومِن شرحِ سيدِنا الوالِدِ الَّذي على راتِبِ جدِّه القُطبِ الغَوْث، عبدالله بن علوي الحدَّاد، نفعَ اللهُ بهما، وأُقدِّمُ قولَه بقولي ﴿قال﴾ في الشَّرْح، لأنَّ بالتَّكْرير يَحْصُلُ التَّقْرير، وبِالتَّقْرير يَحْصُلُ التَّنْوير، وإلى اللهِ تعالى المَصِير، لأنَّ الوالِد، نفعَ اللهُ به، خرَّجَ الرَّاتِبَ الشَّريفَ من الأحاديثِ النَّبويَّة، بالأدِلَّةِ الصحيحَة، ويُسنِدُ في كلِّ حديثٍ إلى كلِّ كتابٍ نقلَه منه، ونَنْقُلُ من الكُتُبِ الفريدةِ ما يُوافِقُ عند كل ذِكْر. والغالِبُ من كتبِ سيدِنا صاحبِ الرَّاتِب، والجزء الثاني من كتاب [القرطاس]، ولا نطوِّلُ بفضائِلِ السُّوَر والآيَات، لشُهرةِ فضائلِها الكثيرَة، الَّتي أَفْرَدها العُلماءُ بالتَّأْلِيف، لكن نَتبرَّكُ بِشيءٍ مِن ذلك.

قال الإمامُ الشَّرجي في كتابِه [الفوائد]، وفي الحديث: خُذ مِن القرآنِ ماشئتَ، لِما شئتَ! وفي الحديث [أَنَّ فَضْلَ كَلَامِ اللهِ عَلَى سَائِرِ الكَلَامِ كَفَضْلِ اللهِ تَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ].

قال الإمامُ الغيطي في كتابِه المُؤلَّفِ في فضائلِ شعبَان، قال ابنُ مسعود: مَن أَرادَ عِلمَ الأوَّلينَ والآخِرين، فلْيُثَوِّرِ القُرآن! وقال بعضُ العلماء: لكلِّ آيةٍ سِتُّون فَم. وقال بعضُ أئمَّةِ القُرَّاء: القرآنُ يَحْتَوي على سبعةٍ وسبعِين ألفَ عِلمٍ ومائتيْ عِلْم. وإنَّما قال ذلك، لأنَّ عددَ كلماتِ القرآنِ تسعَ عشْرَةَ ألفَ كلمةٍ وثلاثَمائةِ ألفِ كلمَة. فإذا كان

لِكلِّ كلمةٍ منها ظَهْرٌ وبَطْنٌ، وحَدٌّ ومُطَّلَعٌ، حصَلَ من ذلك سبعةٌ وسبعُون أَلْفَ علمٍ ومائتَا علمٍ، بل علومُ الأوَّلِينَ والآخِرِينَ مَوْجودةٌ في الكتابِ المُبِين. قوله تعالى: [مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ].

﴿تنبيه﴾ قال: وقدِ اخْتَلفَ العلماءُ في تَرْتيبِ السُّوَر، هل هو تَوْقِيفِيٌّ مِن النبيِّ، أوِ اجْتِهادٌ من الصَّحابةِ بعدَ الإجماعِ على أنَّ تَرْتِيبَ الآياتِ تَوْقِيفِيٌّ والقَطْعُ على ذلك، فذَهبَ جماعةٌ من العُلماءِ إلى أنَّ تَرْتيبَ السُّوَر باجتهادٍ مِن الصحابَة، منهم الإمامُ مالِك، والقاضي أبو بكر البَاقِلَّاني، في أَحَدِ قولَيْه. وذهب جماعةٌ آخَرُون إلى أنَّه تَوْقِيفيٌّ، مِنهم القاضي أبو بكر في أَحَدِ قولَيْه وخلائِقُ. وقال بعضُهم: تَرْتيبُ السُّوَرِ كهذا، هو عندَ اللهِ في اللَّوْحِ المَحْفوظِ على هذا التَّرْتِيب، وأطالَ في ذلك ورَجَّحه بأدِلَّةٍ كثِيرةٍ واضِحَة، فانظُرْه إنْ شئتَ هناك. وإن أَرَدْتَ البَسطَ في هذهِ المسألة، فعليكَ بـ[الإتقان في علوم القرآن] لسيدِنا جلالِ الدين السُّيوطي، فإنِّي رَأَيْتُه بسَّطَ وأكثَرَ فيها، واللهُ أعلَم.

فمِن فضائِلِ الفاتِحَةِ المُعَظَّمةِ المُشَرَّفةِ، نفعَنا اللهُ بها أحياءً وأَمْواتًا، وقد أُفْرِدَتْ بالتَّأْلِيف، قال في [الدر المنثور]: وقد أَخْرَج عبدالحميد عن ابن عباسٍ، رضِيَ اللهُ عنهما، قال. قال رسولُ اللهِ ﷺ: [فَاتِحَةُ الكِتَابِ تَعْدِلُ بِثُلُثَيِ القُرْآنِ]. ومن كتاب الرداد، المسمى [موجبات الرحمة في فضل الفاتحة] ملخَّصًا: وفي الحديث: [لَمْ يَنْزِلْ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي القُرْآنِ مِثْلُهَا وَأَنَّهَا السَّبْعُ المَثَانِي وَلَمْ يُؤْتَهَا نَبِيٌّ قَبْلَهُ ﷺ: الفَاتِحَةَ وَخَوَاتِيمَ سُورَةِ البَقَرَةِ يَعْنِي آمَنَ الرَّسُولُ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ لَنْ تَقْرَأَ حَرْفًا مِنْهَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ وَأَنَّهَا تُجْزِي مَا لَا يُجْزِي شَيْءٌ مِنَ القُرْآنِ. وَلَوْ أَنَّ فَاتِحَةَ الكِتَابِ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ مِنَ المِيزَانِ وَوُضِعَ القُرْآنُ فِي كِفَّةٍ لَرَجَحَتْ فَاتِحَةُ الكِتَابِ سَبْعَ مَرَّاتٍ.] رواه ابنُ زَنْجويه.

[وَأَنَّ مَنْ وَصَلَ البَسْمَلَةَ بِالحَمْدِ لِلهِ رَبِّ العَالَمِينَ فِي نَفَسٍ وَاحِدٍ مِنْ غَيْرِ قَطْعٍ، يَقُولُ الحَقُّ: اِشْهَدُوا أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ، وَقَبِلْتُ مِنْهُ الحَسَنَاتِ، وَتَجَاوَزْتُ عَنْهُ السَّيِّئَاتِ،

وَلَا أَحْرِقُ لِسَانَهُ فِي النَّارِ، وَأُجِيرُهُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ وَعَذَابِ القِيَامَةِ وَالفَزَعِ الأَكْبَرِ وَيَلْقَانِي قَبْلَ الأَنْبِيَاءِ وَالأَوْلِيَاءِ أَجْمَعِينَ] - ذكر هذا الحديثَ ابنُ العربي في فتوحاته، والردَّاد في [موجبات الرحمة]، والشيخ محمد بن سليمان الكردي في [الفتاوى المدنية]، ومن [الجامع الصغير] للسيوطي.

وورد: [فَاتِحَةُ الكِتَابِ وَآيَةُ الكُرْسِيِّ لَايَقْرَأُهُمَا عَبْدٌ فِي دَارٍ فَيُصِيبُهُمْ فِي ذٰلِكَ اليَوْمِ عَيْنُ إِنْسٍ أَوْ جِنٍّ].

وفي الإنجيل: [مَنْ قَرَأَهُمَا حَرَّمَ اللهُ جَسَدَهُ عَلَى النَّارِ].

كلُّ ذلك ورَدَ في الأحاديثِ عن النبيِّ ﷺ.

﴿قال﴾ في كتاب [زاد المسافرين]: حُكِي أنَّ قَيْصَرَ كَتَبَ إلى أميرِ المؤمنين عُمَرَ بنِ الخطَّاب، رضِيَ اللهُ عنه: إنَّا نَجِدُ في الإنجيلِ مَن قرأ سورةً خاليةً عن سبعةِ أحرُفٍ - الثاء والخاء والظاء والفاء والزاي والجيم والشين - مَن قرأ السورةَ هذه، حرَّم اللهُ جسَدَه على النَّار. وطلَبْناها في الزَّبورِ والتَّوراة، فلم نجِدْها، فهل تُوجَدُ في كتابِكُم؟ فجمَعَ الصَّحابةَ وأخبرَهُم. فقال له أُبَيُّ بن كعبٍ، رضِيَ اللهُ عنه: تِلك سُورةُ الحَمْد! فجوَّبَ عليه بذلك، فأَسْلَم.

قال الإمامُ الشَّعْراوي، رحِمَه اللهُ تعالى، في [العهود المحمدية]: وقد اسْتَخْرَجَ أخي، أَفْضَلُ الدِّينِ، رحِمَه الله، مِن سُورةِ الفاتحةِ مائتَيْ ألفِ عِلم، ونَيِّفًا وأربعين ألفَ عِلْم. وذكَرْنا منها في كتابِنا المُسمَّى بـ[تنبيه الأغبياء على قطرة من بحر علوم الأولياء] ثلاثةَ آلاف علم، لايعقِلُها الإنسان، إلَّا إنْ رَأَى أسماءَها، إذْ لم يخْطُرْ له على بَال - انتهى.

ومن كتاب [الدر المنثور] للإمام الحافِظ عبدالرحمن بن الإمام العلامة أبي بكر السُّيوطي، رحِمَه اللهُ وجَزاه عن المسلِمين أَفْضَلَ جزاء، ونفَعَنا بِبَركاتِه وعُلُومِه في الدَّارَيْنِ، آمين. ﴿قال﴾ وأَخْرَج البيهقِيُّ في [شعب الإيمان] عن الحسن، قال: أَنْزَلَ

اللهُ مائةً وأربعةَ كُتُب، وأَوْدَعَ عُلومَها أربَعَةً، منها التَّوْراةُ والإنجيلُ والزَّبورُ والفُرقان، ثم أَوْدَعَ علومَ التَّوْراةِ والإنجيلِ والزَّبُورِ القرآن، ثم أَوْدَعَ علومَ الفُرقانِ المُفصَّل، ثم أَوْدَعَ المُفصَّلَ فاتحةَ الكِتاب. فمَن عَلِمَ تَفْسِيرَها، كان كمَن عَلِمَ تفسيرَ جميعِ الكُتُبِ المُنزَّلَة.

وأَخْرَجَ أبو الشيخ في الثَّواب، عن عطاء، قال: إذا أَرَدْتَ حاجَةً، فاقرَأْ بفاتحةِ الكتابِ حتى تختِمَها، تُقضَى بإذنِ اللهِ تعالى.

وأَخْرَجَ ابنُ قانِع في [معجم الصحابة] عن رجاء الغَنَوِيّ، قال. قال رسولُ اللهِ ﷺ: [إسْتَشْفُوا بِمَا حَمِدَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ قَبْلَ أَنْ يَحْمَدَهُ خَلْقُهُ وَبِمَا مَدَحَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ. قُلْنَا: وَمَا ذَاكَ يَانَبِيَّ اللهِ؟ قَالَ: الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، فَمَنْ لَمْ يَشْفِهِ القُرْآنُ فَلاَ شَفَاهُ اللهُ].

وأَخْرَجَ ابنُ الضريس عن أبي قلابة، يَرْفَعُه إلى النبيِّ ﷺ، قال: [مَنْ شَهِدَ فَاتِحَةَ الكِتَابِ حِينَ تُسْتَفْتَحُ كَمَنْ شَهِدَ فَتْحًا فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَنْ شَهِدَهَا حِينَ تُخْتَمُ كَانَ كَمَنْ شَهِدَ الغَنَائِمَ حِينَ تُقَسَّمُ.]

وأَخْرَجَ ابنُ عساكر في [تاريخ دمشق] عن شدَّاد بنِ أَوْسٍ، قال. قال رسولُ اللهِ ﷺ: [إِذَا أَخَذَ أَحَدُكُمْ مَضْجِعَهُ لِيَرْقُدَ، فَلْيَقْرَأْ بِأُمِّ الكِتَابِ وَسُورَةٍ، فَإِنَّ اللهَ يُوَكِّلُ بِهِ مَلَكًا يَهُبُّ مَعَهُ إِذَا هَبَّ].

وأَخْرَجَ وكيعٌ والثعلبيُّ عن ابن مسعود، قال: مَن أَرَادَ أَنْ يُنَجِّيَه اللهُ من الزَّبانيَةِ التسعةَ عشَرَ، فَلْيَقْرَأْ «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم» لِيَجْعَلَ اللهُ له بِكلِّ حرفٍ منها جُنَّةً مِن كلِّ واحِد.

وأَخْرَجَ الدَّيْلميُّ في [مسند الفردوس] عن ابن عباسٍ، رضِيَ اللهُ عنهما: أَنَّ المُعلِّمَ إذا قال لِلصَّبيِّ قُل «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم» فقالَ، كُتِبَ لِلمُعلِّمِ ولِلصَّبيِّ ولأبَوَيْهِ بَراءةٌ مِن النَّار.

وأَخْرَجَ الدَّيْلميُّ عن ابن مسعود، قال. قال رسولُ الله ﷺ: [مَنْ قَرَأَ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، كُتِبَ لَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ أَرْبَعَةُ آلافِ حَسَنَةً، وَمُحِيَ عَنْهُ أَرْبَعَةُ آلافِ سَيِّئَةً، وَرُفِعَ لَهُ أَرْبَعَةُ آلافِ دَرجَةً.]

وأَخْرَجَ الخطيبُ في تالي التَّلْخِيص عن أنس مَرْفوعا: مَن رَفَعَ قِرطاسًا مِن الأرضِ فيه بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ إجْلالاً له أنْ يُدَاسَ، كُتِبَ عندَ اللهِ من الصِّدِّيقين، وخُفِّفَ عن والِدَيْهِ وإن كانَا كافِرَيْن.

وسيأْتي في فضلِ البَسْمَلةِ عندَ قولِ صاحِبِ الرَّاتِب «بِسْمِ اللهِ والحَمْدُ لله، الخَيْرُ والشَّرُّ بمَشِيئةِ الله» ما فيه كِفايةٌ بِحيثُ مَقْصِدُنا جَمْعُ الفضَائِلِ لا غيرَ، فافْهَمْ! ويَكْفِيك في فَضلِها أنَّ الصَّلاةَ لاتَصِحُّ إلَّا بها عندَ الشَّافِعيّ، رضِيَ اللهُ عنه، وعندَ كثيرٍمِن العُلَماء، أهلِ المذاهِبِ المُحَرَّرَة - قال في [الدرّ المَنثور].

وأَخْرَجَ مالِكٌ في [الموطأ] وسفيان بن عُيَيْنة في تفسيرِه، وأبو عُبيد في فضائِله، وابن أبي شَيْبة وأحمدُ في مسندِه، والبخاريُّ في جزءِ القراءة، ومسلمٌ في صحيحِه، وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وابن جرير وابن الأنباري في المصاحِف، وابنُ حِبَّان والدارَقُطنيُّ والبيهقيُّ في السنن، عن أبي هريرة، رضِيَ اللهُ عنه، قال. قال رسولُ اللهِ ﷺ: [مَنْ صَلَّى صَلاَةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ القُرْآنِ، فَهِيَ خِدَاجٌ - ثلاثَ مرَّات]. يعني: غيرَ تَامٍّ. قال أبو السَّائِب: فقلتُ يا أبا هريرة! إنِّي أَحْيانًا أكونُ وراءَ الإمام، فغمَزَ ذِراعِي، وقال اِقْرأْ بها يافارسيُّ في نَفْسِك، فإنِّي سَمِعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: [قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: قَسَمْتُ الصَّلاَةَ بَيْني وَبَيْنَ عَبْدِي، فَنِصْفُهَا لي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ].

قال رسولُ اللهِ ﷺ: اِقْرَأُوا. يقولُ العبدُ «الحمدُ للهِ ربِّ العالمين» فيقولُ اللهُ: حَمِدَني عبدِي. فيقولُ العبدُ «الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم» فيقولُ اللهُ: أَثْنَى عليَّ عبدِي. ويقولُ العبدُ «مالِكِ يَوْمِ الدِّين» فيقولُ اللهُ: مَجَّدَني عبدِي. ويقولُ العبدُ «إيَّاكَ نَعْبُدُ وإيَّاكَ نَسْتَعِين» فيقولُ اللهُ: هذه بيني وبينَ عبدِي، أوَّلُها وآخِرُها لِعبدِي، وله ما سأَل. ويقولُ العبدُ

«اِهْدِنَا الصِّراطَ المُسْتَقِيم. صِراطَ الَّـذِين أَنْعَمْتَ عَليهِمْ غيرِ المَغْضُـوبِ علَيْهِم ولَا الضَّالِّين» فيقولُ اللهُ: هذه لِعبدِي، ولِعبدِي ما سأَل.

وأَخْرَجَ سعيدُ بن منصور في سُنَنِه، وابنُ خُزَيمة في كتابِ البَسْمَلة، والبيهقِيُّ عن ابنِ عبَّاس، قال: اِسْتَرَقَ الشَّيْطانُ من النَّاسِ (ولفظ البيهقي) مِن أهلِ العِراق، أَعْظَمَ آيةٍ مِن القرآنِ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم.

وأَخْرَجَ أبو داود والبَزَّارُ والطَّبرانيُّ والحاكِم وصحَّحَه والبيهقِيُّ في المعرِفَة عن ابنِ عبَّاس، قال: كان النبيُّ ﷺ لايَعْرِفُ فضلَ السُّورةِ «وفي لفظٍ» خاتِمَةَ السُّورةِ حتَّى تَنْزِلَ عليه بسمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم. «زادَ البزَّارُ والطبرانيُّ» فإذا نَزَلَتْ عَرَفَ أنَّ السُّورةَ قد خُتِمتْ واسْتَقْبلتْ أو ابْتَدَأَتْ سُورةٌ أخرَى.

وأَخْرَجَ البيهقِيُّ في [شعب الإيمان]، والواحديُّ عن ابن مسعود، قال: كُنَّـا لانَعْلَمُ فَضْلَ ما بينَ السُّورتَيْنِ حتى تَنْزِلَ بسمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم.

وأَخْرَجَ الدارَقُطنيُّ عن أبي هريرة، رضِيَ اللهُ عنه، قال. قال رسولُ اللهِ ﷺ: علَّمَني جِبْرائيلُ الصَّلاةَ، فقام فكَبَّرَلنا، ثم قرَأَ بسمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم فيما يَجْهَرُ به في كُلِّ ركعَة.

وأَخْرَجَ الثعلبيُّ عن علِّيِ بن زيد بن جدعانَ أنَّ العَبادِلَةَ كانوا يَسْتَفْتِحُون القُرآنَ بِبِسمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم يَجْهَرون بها: عبدُالله بنُ عباس، وعبدالله بنُ عمر، وعبدالله بن الزُّبَير.

وأَخْرَجَ الثعلبيُّ عن أبي هريرة، قال: كنتُ مع النبيِّ ﷺ في المسجِد، إذْ دَخَلَ رَجُلٌ يُصَلِّي، فافْتَتَحَ الصَّلاةَ، وتَعَوَّذَ، ثم قال: الحمدُ للهِ ربِّ العالَمِين، فَسَمِعَ النبيُّ ﷺ، فقال: يا رجُلُ! قَطَعْتَ على نَفْسِك الصَّلاةَ، أَما عَلِمْتَ أنَّ بسمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم من الحَمْدِ، فمَن تَرَكَها فقد تَرَكَ آيةً، ومَن تَرَكَ آيةً، فقد أَفْسَدَ عليه صَلاتَه.

وأَخْرَجَ الثعلبيُّ عن عليٍّ، كرَّم اللهُ وجهَه، أنَّه كان إذا افْتَتحَ السُّورةَ في الصَّلاةِ يَقْرَأُ بسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيم. وكان يقولُ: مَن تَرَكَ قِراءتَها فقد نَقَص. وكان يقول: هي تَمامُ السَّبْعِ المَثَاني.

وأَخْرَجَ الثعلبيُّ عن طلحة بن عبيدالله، قال. قال رسولُ اللهِ ﷺ: مَن تَرَكَ بسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيم، فقد تركَ آيةً مِن كتابِ الله. قال الإمامُ السُّيوطي، رضِيَ اللهُ عنه، في [حاشية البيضاوي]: قوله «بسم اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيم» مِن الفاتحَة، هي مِن مُهمَّاتِ المسائِل، وحَقًّا لها أن تكونَ كذلك، لأنَّه كلامٌ متعلِّقٌ بإثباتِ آيةٍ من كتابِ اللهِ أو نفيِها عنه. وقد أَفْرَدَها بالتَّصْنيفِ خَلقٌ مِن الأئمَّة. ثم أطالَ الكلامَ جداً. ومنه واسْتَشْكلَ آخرون الأمريْنِ معًا الإثباتَ والنَّفْيَ، لأنَّ القرآنَ لايَثْبُتُ بالظَّنِّ، ولا يَنْتَفي بالظَّنِّ، ولا شكَّ أنَّه إشكالٌ قويٌّ كالجَبَل، والتَّحْقيقُ في ذلك أنَّه لا حَرَجَ في إثباتِها ولا في نَفْيِها، وأنَّ كلًّا منهما قَطْعِيٌّ، وبيانُه أنَّ القرآنَ نزَلَ على سبعةِ أحرُفٍ، فنَزَلَ في بعضِها البَسْملةُ، ولم يَنْزِلْ في بعضِها البَسْملَة، وهي نَظيرُ القراءاتِ المُخْتلِفَة، مثلُ «أَوْصَى ووَصَّى - وتَجْرِي تحتَها ومِن تحتِها» في سورةِ التَّوبَة، فإنَّ اللهَ هو الغنيُّ الحميد. وفإنَّ اللهَ الغنيُّ «بإسقاطِ هو» في الحديد. ولا يَخْفَى أنَّ القراءةَ الَّتي فيها زِيادةُ «مِنْ - وهُوَ» والَّتي فيها إسقاطٌ، كلاهما قَطْعِيَّتَان مُتواتِرَتان، وكلٌّ مُنَزَّلٌ من عندِ الله. فمَن قرَأَ بإثباتِهما قرأ بحرفٍ من الأحرُفِ السَّبْعَة، ومَن قرَأَ بإسقاطِهما قرَأَ بحرفٍ منها، وكذلك البَسْملة. ولهذا القُرَّاءُ السَّبْعةُ قرَأَ نصفُهم بالبَسْملَة، ونصفُهم بتركِها، كلٌّ بِحَرفِه الَّذي اتَّصلَ سندُه إليه. وبهذا التَّقْريرِ انْجلَى إشكالٌ كبير. وقد أشارَ إليه جماعةٌ، منهم ابنُ الجزريِّ في النَّشْر - انتهى. ومثلُه في حاشيتِه على مُوطَّإِ مالِك. وزادَ وأَلْطَفُ مِن ذلك أنَّ نافِعًا له راوِيَانِ قرَأَ أحدُهما عنه بها، والآخَرُ بحذفِها، فدلَّ على أنَّ الأمرَيْنِ تواتَرا عندَه بأنْ قرَأ بالحَرْفَين معًا، كلٌّ بِأسانيدَ متواتِرَة. وبهذا التَّقريرِ اجْتَمعَتِ الأحاديثُ المُخْتلفةُ على كَثْرةِ كلِّ جانِبٍ منها، وانْجلى الإشكالُ وزاحَ التَّشْكيك - انتهى.

فإذا علِمْتَ وفهِمْتَ ما نقَلْناه لك في البَسْمَلَة، فلْنذكُرْ لك وجوبَ قراءةِ الفاتحةِ في الصَّلاة، وفسادَ الصَّلاةِ بِتركِها.

قال في [الدر المنثور]، وأَخْرَجَ الشافعيُّ في [الأمّ]، وابنُ أبي شيبة في [المصنّف]، وأحمدُ في مسندِه، والبخاريُّ ومسلمٌ وأبو داود والترمذي والنسائيُّ وابنُ ماجة والبيهقيُّ في [السنن] عن عُبادة بنِ الصَّامِت، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: [لَا صَلاَةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ].

وأَخْرَجَ أحمدُ والبيهقيُّ في سننه، عن أبي هريرة، قال: أمرَني رسولُ اللهِ ﷺ أن أُنادِيَ لا صَلاةَ إلاَّ بِقراءةِ فاتِحةِ الكِتاب، فما زَادَ.

وأَخْرَجَ ابنُ أبي شيبة وابنُ ماجة عن عائشة عن النبيِّ ﷺ قال: [كُلُّ صَلاَةٍ لاَيُقْرَأُ فِيهَا بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ، فَهِيَ خِدَاجٌ].

ورَوَى الإمام الرداد في كتابه [موجبات الرحمة] عن أبي الدرداء، رضي اللهُ عنه، قال: قلتُ يا رسولَ الله، بِأَبي أنتَ وأُمِّي، إنِّي رُبَّما قُمْتُ رَكْعةً رَكْعَتَين لا أَقْرَأُ فيهما إلاَّ بفاتِحَةِ الكِتَاب، القُرآنِ. فقال رسولُ اللهِ ﷺ: فاتِحَةُ القُرآن تُجْزِي ما لا تُجْزِي البَقرةُ وآلُ عِمْران والنِّساءُ والمائِدَةُ إذا لم يُقْرَأْ معهُنَّ بفاتحَةِ القُرآن.

وأمَّا أخذُ الأُجرةِ على القُرآنِ بِتعليمٍ أو رُقْيَةٍ بِقراءةٍ بِنيَّةِ الشِّفاءِ على داءٍ فجائِزٌ لِما ورَدَ عن النبيِّ ﷺ، قال الشيخ ابنُ حجَر، صاحِبُ التُّحفة، في كتابِه [تحرير المقال في آداب أحكامٍ وفوائدَ يحتاج إليها مؤدِّبُو الأَطفال]: أَخْرَجَ الشيخَانِ وأبو داود والتِّرمذيُّ عن أبي سعيد، رضِيَ اللهُ عنه، قال: كُنَّا في مَسيرٍ لنا، فنَزَلْنا مَنزِلاً، فجاءَتْ جارِيةٌ، فقالَتْ: إنَّ سيِّدَ الحَيِّ سَليمٌ - أي لَديغٌ، ومِن عادَاتِهِم التَّعبيرُ عنه بِسَلِيمٍ تَفاؤُلاً، أي رَجاءَ السَّلامَة، وإنَّ نفَرنا غُيَّبٌ، هل فيكُم رَاقٍ؟ فقَامَ معها رَجُلٌ ماكُنَّا نَأْبُنُه بِرُقيَةٍ، أي نَتَّهِمُه بها، فرَقَاه فبَرِىءَ، فأُمِرَ له بِثلاثِين شَاةً، وسَقَانا لَبَنًا. فلمَّا رجَع، قُلْنَا له: أكُنْتَ تُحْسِنُ رُقْيَةً، أو كُنْتَ تَرْقِي؟ قال: لا، مارَقِيتُ إلاَّ بِأُمِّ القُرآن. قُلنا: لاتُحْدِثُوا شيئًا حتَّى

نأتيَ ونسألَ رسولَ اللهِ ﷺ. فلمّا قدِمْنا المَدينةَ، ذكَرْناه لِلنبيِّ ﷺ، قال: وما كانَ يُدْرِيكَ أنَّها رُقْيَةٌ؟! اِقْسِموا واضرِبوا لي بِسَهْمٍ.

الثّاني: أَخْرَجَ الشَّيخانِ وغيرُهما عن أبي سعيد أيضًا، وأتَيا بمثلِ ما تقَدَّم، إلى أنْ قال، فقال بعضُهُم: إنِّي واللهِ لا رَاقِيَ، ولكنْ واللهِ لقد اسْتَطْعَمْناكُم فلم تُضِيفونا، فما أنا بِراقٍ لكُم حتَّى تَجْعَلوا لنا جُعْلًا. فصالَحُوهم على قَطِيعٍ من الغَنَم، فانْطَلَقَ يتفُلُ عليه، ويَقْرَأُ الحمدُ للهِ ربِّ العالَمين، فكأنَّما أُنْشِطَ مِن عِقال.

الثالث: أَخْرَجَ الترمذي عنه، قال: بعَثَنا رسولُ اللهِ ﷺ في سَرِيَّةٍ، وذكَرَ نحوَه، وفيها أنَّ أبا سعيد هو الرَّاقِي، وأنَّه قرأَ الحمدُ للهِ سبعَ مراتٍ.

الرابع: رَوَى البخاريُّ عن ابن عباس، رضِيَ اللهُ عنهما، وأتَى بمثلِ ما تقَدَّمَ إلى أنْ قال: فانْطَلَقَ رجُلٌ منهم، أي الصَّحابة، فقَرَأَ الفاتِحَةَ على شاءٍ، فبرِىءَ، فجاءَ بالشَّاءِ إلى أصحابِه، فكَرِهوا ذلك، فقالوا: أَخَذْتَ على كتابِ اللهِ أجرًا حتَّى قدِمُوا المدينةَ، فقالوا: يارسولَ الله! أَخَذَ على كتابِ اللهِ أجرًا. فقال رسولُ الله: إنَّ أحَقَّ ما أَخَذْتُم عليه أجرًا كتابُ الله.

الخامس: رَوَى أبو داود عن خارجةَ بنِ الصَّلْتِ التميميِّ، قال: أَقْبَلْنا من عندِ رسولِ اللهِ ﷺ، فأتَيْنا على حيٍّ من العَرَب، فقالوا: إنَّا أُنْبِئْنا أنَّكُم قد جِئْتُم من هذا الرَّجُلِ بخيرٍ، فهل عندَكم مِن دواءٍ أو رُقْيَةٍ، فإنَّ عندَنا مَعْتُوهًا في القُيُود. ﴿قال﴾ فقُلنا: نعم. ﴿قال﴾ فجاءُوا به في القُيُود، فقَرَأْتُ عليه فاتحَةَ الكِتابِ ثلاثةَ أيّام، غُدْوَةً وعشِيَّةً. أَجْمَعُ بُزاقي، ثم أتْفُل. ﴿قال﴾ فكأنَّما نُشِطَ من عِقالٍ، فأَعطى جُعلًا، فقلتُ: لا حتَّى أُعلِمَ النبيَّ ﷺ، فقال: كُلْ، فلَعَمْري أكلُ بُرُقْيةٍ باطِلٍ، لقد أَكَلْتَ برُقْيةِ حقٍّ.

السادس: أَخْرَجَ النسائيُّ وأبو داود بسند صحيح عنه، عن عمه، أنَّه أتى النبيَّ ﷺ، ثم أَقْبَلَ راجِعًا من عندِه، فمَرَّ على قَوْمٍ عندَهم رَجُلٌ مَجْنونٌ، مَوْثوقٌ بالحديدِ . . .

إلى أنْ قال: فرقَيْتُهُ بفاتحةِ الكتاب، فبرِىءَ، فأَعْطَوْني مائةَ شاةٍ، فأتَيْتُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فأَخْبَرتُه . . . إلى أنْ قال ﷺ: أَكَلْتَ بِرُقيةِ حقٍّ.

وقد أَوْرَدَ الشَّيخ ابنُ حجَر عشرةَ أحاديثَ دالَّةً على جَوازِ أَخذِ الأُجرةِ على تَعْليمِ القرآنِ والرُّقيةِ به. وقد ذكَرَ الإمامُ النوويُّ في فتاويه جوازَ أخذِ الأجرةِ على التَّمائمِ والحُروز، ومَنِ اهْتَدَى فإنَّما اهْتَدَى لِنَفْسه، والبَحْرُ المُحيطُ هو القُرآنُ. قال الشيخ ابنُ حجَر في شرحِهِ على هَمْزيَّةِ أبي عبدالله محمد بن سعيد بن حمَّاد بن محسن بن عبدالله بن صنهاج بن هلال الصَّنْهاجِي، الشهير بالبُوصِيري، أي بُوصير الصعيد بندانيه، قال نفعَ اللهُ به:

أَوَ لم يَكْفِهِم مِن اللهِ ذِكْرٌ * فيه لِلنَّاس رحمَةٌ وشِفَاءُ

قال في الشَّرْح: وشِفاءٌ مِن كلِّ داءٍ ظاهِرٍ أو باطِنٍ، حسّيٍّ أو معنويٍّ . . . إلى أنْ قال، قال العُلماء: لم يَنْزِلْ شِفاءٌ قَطُّ أَعَمُّ ولا أَنْفَعُ ولا أَعْظَمُ ولا أَنْجَعُ في إزالةِ الدَّاءِ - مِن القُرآن، فهو واللهِ شِفَاء، ولِصَداءِ القُلوبِ جِلاَء، كما قال اللهُ تعالى: [وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ].

قال الفخرُ الرازيُّ: وليسَتْ «مِنْ» لِلتَّبْعيض، بل لِلْجِنس. والمعنى: ونُنزِّلُ من هذا الجنسِ الَّذي هو القرآنُ شِفاءٌ مِن الأمراضِ الرُّوحانيَّة، كالاِعْتِقاداتِ الفاسدةِ في الإلٰهيَّةِ والنُّبُوَّةِ والمعَاد، وفي القرآنِ مِن النُّصوصِ القاطِعَةِ بِفَسادِ تلك ما تَكْفِي وتَشْفِي، وكالأخلاقِ المَذْمُومةِ. وفيه أَوْضَحُ بيانٍ لأنواعِها، وحِضْنٌ على اجْتِنابِها، ومن الأمراضِ الجِسْمانيَّةِ بِالتَّبَرُّكِ بِقراءتِه عليها، لكنْ مع الخُلوصِ وفَراغِ القَلبِ مِن الاغْيَار، وإقبالِه على اللهِ تعالى بِكُلِّيَّتِه، وعَدمِ أكلِ الحَرَام، وعدمِ دُنُوِّ الذُّنُوب، وعدمِ اسْتِيلاءِ الغَفْلةِ على القَلْب، وفي حديث: [إنَّ اللهَ لاَ يَقْبَلُ الدُّعَاءَ مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لاَهٍ]. وقراءةُ آيةٍ ممَّن هذه حالتُه على أيِّ مَرضٍ كان مُبْرِئَةً له، وإنْ أَعْيَى الأطِبَّاء. ومِن ثَمَّ، قال بعضُ الأئمَّةِ: متى تَخلَّفَ الشِّفاء، فهو إمَّا لِضُعفِ تأثيرِ الفاعِل، أو لعدمِ قبولِ المَحلِّ

المُنفَعِل، أو لِمانعٍ قويٍّ فيه، يَمنعُ أن ينجَعَ فيه الدَّاء، وكما يكونُ ذلك في الأدْوِيَةِ والأدْوَاءِ الحِسِّيَّة. وقد رُوِي حديثُ: [مَنْ لَمْ يَسْتَشْفِ بِالقُرْآنِ لَا شَفَاهُ اللهُ]. نعَمْ رَوَى ابنُ ماجة أنَّه ﷺ قال: [خَيْرُ الدَّوَاءِ القُرْآنُ].

وعن العارفِ الكبير، أبي القاسم القُشَيريِّ، رحِمَه الله، أنَّ ولدَه اشْتَدَّ به مرضٌ، فانْزَعجَ عليه، فرَأَى النبيَّ ﷺ فشَكَا له ما بِوَلدِه، فقال له: أينَ أنتَ عن آياتِ الشِّفاء، وهي سِتُّ آياتٍ مَشْهورَة، فكتَبَها ومحاهَا بِمَاء، وسَقَاها له، فكأنَّما نُشِطَ من عِقَال - انتهى.

فلْنَرجِعْ إلى ما نحنُ بِصَدِده، قال الشَّيخُ العلَّامة محمد بن سليمان الكُرديُّ في كِتابِه المُسمَّى [الفَوائد المَدنيَّة في بيانِ مَن يُفْتَى بِقوله مِن مُتأَخِّرِي السَّادة أئِمَّة الشافِعيَّة]. قال الشيخ ابنُ حجَر في تُحْفَتِه، ﴿قال﴾ في [المجموع]: ويُسَنُّ وصلُ البَسْملةِ بالحَمْدَلَةِ للإمامِ وغيرِه إلى آخرِه. قال في [التُّحفة]: وما ذكَرَه عَجيبٌ، فقد صَحَّ أنَّه ﷺ كَان يُقطِّعُ (بتَشْديد الطَّاء) قراءتَه آيةً آيةً ... إلى آخرِ ما قَال. ثُمَّ قال الشيخ محمد: فتَأَمَّلْ كيفَ تعَجَّبَ مِنه في [التُّحْفة]، مع أنَّه قد قَال بذْلك غيرُ النَوويِّ، وقد نقَلَ ابنُ حجَر في شَرْحِه على الشَّمائِلِ عَن بعضِ المُتأخِّرين: البَسْمَلةُ لا يَقِفُ عليها، بل يَصِلُها بالحمدُ لِلهِ ربِّ العالَمين إعْلامًا بأنَّها مِنها. ﴿قال﴾ وبذْلك صَرَّحَ في [المَجْموع] - انتهى.

وقد جَرَى النوويُّ في [التحقيق] الَّذي هو أصَحُّ كُتبِه على ما قالَه في المَجْموع، كما رَأَيْتُه فيه، وجَزَمَ به أيضًا الخطيبُ الشَّرْبيني، ولم أقِفْ على ما يُخالِفُه للنوويِّ في شيءٍ من كُتُبه في الرَّوْضة وغيره، وقد وَقَفْتُ على حديثٍ في وَصْلِ البَسْمَلةِ بالحمدُ لله، مُسَلْسَلًا بالحَلِفِ باللهِ العظِيم في [الفتوحات المكية] للشيخ مُحيي الدين بن العربي في الباب الموفي خمسمائة وستين، وهو آخرُ الأبواب، وهذه صُورةُ ما ذكَرَه:

﴿وصيَّة﴾ إذا قَرَأْتَ فاتحةَ الكتابِ، فَصِلْ بَسْمَلتَها معها في نفَسٍ واحِدٍ من غيرِ

قَطْعٍ، فإنِّي أَقُولُ باللهِ العظِيم، لقد حدَّثَني أبو الحسن عليُّ بن أبي الفتح، المعروفُ والِدُه بالكَنَاري الطَّبِيب، بمدينةِ المَوْصِل سنةَ إحدى وستمائة بمَنْـزِلي، وقال: بـالله العظِيم، لقد سَمِعْتُ شيخَنا أبا الفضل عبدَالله بن أحمـد بن عبدالقـاهر الـطوسي الخطيب، يقول: باللهِ العظِيم، لقد سَمِعْتُ والِدي أحمد، يقول: باللهِ العظِيم، لقد سَمِعْتُ المُباركَ بن أحمد بن محمد النَّيسابوري المقري، يقولُ: باللهِ العظِيم، لقد سَمِعْتُ مِن لَفْظِ أبي بكر الفضل بن محمد الكاتب الهَرَوِي، وقال: باللهِ العظِيم، لقد حدَّثَنا أبو بكر بن محمد الشاشي الشافعي مِن لَفْظِه، وقال: باللهِ العظِيم، لقد حدَّثَني عبدالله المعروف بأبي نصر السَّرَخْسِي، وقال: باللهِ العظِيم، لقد حدَّثَني أبو بكر بن محمد بن الفَضْل، وقال: باللهِ العظِيم، لقد حدَّثَنا أبو عبدالله محمد بن علي بن يحيى الورَّاقُ الفقيه، وقال: باللهِ العظِيم، لقد حدَّثَني محمد بن يونس الطَّويل الفقِيه، وقال: باللهِ العظِيم، لقد حدَّثَني محمد بن الحسن العلَوِيُّ الزاهِد، وقال: باللهِ العظِيم، لقد حدَّثَني حَوْشَب بن عيسى، وقال: باللهِ العظِيم، لقد حدَّثَني أبو بكر الرَّاجِعي، وقال: باللهِ العظِيم، لقد حدَّثَني عمّار بن موسى البَرْمكي، وقال: باللهِ العظِيم، لقد حدَّثَني أنس بن مالِك، رضِيَ اللهُ عنه، وقال: باللهِ العظِيم، لقد حدَّثَني عليُّ بن أبي طالِب، كرَّمَ اللهُ وَجْهَه، وقال: باللهِ العظِيم، لقد حدَّثَني أبو بكر الصِّدِّيقُ، رضيَ الله عنه، وقال: باللهِ العظِيم، لقد حدَّثَني محمدٌ المصطفى صلَّى اللهُ عليه وسلَّم تَسْليمًا، وقال: باللهِ العظِيم، لقد حدَّثَني جِبْريلُ، عليه السَّلام، وقال: باللهِ العظِيم، لقد حدَّثَني مِيكائيلُ، عليه السَّلام، وقال: باللهِ العظِيم، لقد حدَّثَني إسرافيلُ، عليه السَّلام، وقال: قَالَ اللهُ تَعالَى: يَا إِسْرَافِيلُ! بِعِزَّتِي وَجَلاَلِي، وَوُجُـودِي وَكَرَمِي، مَنْ قَـرَأَ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ مُتَّصِلَةً بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ مَرَّةً وَاحِدَةً، اِشْهَدُوا عَلَيَّ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ، وَقَبِلْتُ مِنْهُ الحَسَنَاتِ، وَتَجَاوَزْتُ عَنِ السَّيِّئَاتِ، وَلاَ أَحْرِقُ لِسَانَهُ بِالنَّارِ، وَآجُرُهُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَعَذَابِ النَّارِ، وَعَذَابِ القِيَامَةِ، وَالفَزَعِ الأَكْبَرِ، ويَلْقَانِي قَبْلَ الأَنْبِيَاءِ وَالأَوْلِياءِ أَجْمَعِينَ - انتهى بِحروفه. ونقلَه الشيخُ علي البِيُوْمي المصرِي في بعضِ رسائلِه من غيرِ سند،

وأقَرَّه. وكذلك الشيخُ أحمد القُشاشي المدني. وقد أَوْرَدَ الحديث المذكورَ في كتابِه [السِّمْط المجيد في تعريفِ كلمةِ التَّوْحيد].

ثم قال عقِبَه ﴿قلتُ﴾ ولا عَجَبَ مِن فَضْلِ اللهِ أنْ يكونَ التَّالي لِلفاتحةِ مع البَسْمَلةِ على الوجهِ المذكُور ما نَطَقَ به الحديثُ الإلٰهيُّ مِن الفضلِ العظِيم عن اللهِ تعالى، فإنَّ هذا من بابِ الِاخْتِصاصِ الإلٰهيِّ والفَضْل، لا مِن بابِ «أجرُكَ على قَدْرِ نَصَبِك». وأَفْضَلُ الأعمالِ أَحْمَزُها، أي أَمْتَنُها.

ثم قال: ومِمَّا تقدَّمَ يَنْكَشِفُ أنَّ ماذكَرَه بعضُهم مِن أنَّه لايَخْفَى على كلِّ عاقِلٍ أنَّ مُجَرَّدَ اتِّصالِ البَسْمَلةِ بفاتحةِ الكِتابِ وصُورةَ التَّلَفُّظِ بها، لايُوجِبُ هـذا التَّرْجيحَ والشَّرفَ الباذِخ - انتهى. إنَّما يَأْتِي إذا كان الأمرُ مَحْصورًا في مُقْتضَى أَجرِك على قَدْرِ نَصَبِك، وسَعَةُ الحَقِّ تَأْبَى ذلك، وأطَالَ القُشاشِيُّ الكلامَ على ذلِك.

ثم قال: ثُمَّ كونُ التَّالي يَلْقَى اللهَ قبلَ الأنبياءِ والأولِياءِ أَجْمَعين، أي الَّذين لم يَقْرَأُوها على الوَجهِ المذكُورِ من بابِ حديثِ «يا بِلالُ! حدِّثْني بِأَرْجَى عمَلٍ عَمِلْتَه في الإسلام، فإنِّي سَمِعْتُ دَقَّ نَعْلَيْكَ بينَ يدَيَّ في الجنَّةِ .... الحديث»، ولا مَحْذُورَ في ذلِك.

ثمَّ قال بعدَ كلامٍ طوِيل: إذا تَمَهَّدَ هذا، فنَقولُ مِمَّا تَضَمَّنَه وَصْلُ الفاتِحَةِ بالحمدُ لِلهِ بنفسٍ واحِدٍ من الأسرارِ أنَّ اللهَ مَحْمُودٌ ... إلى آخرِ ما أطالَ به القُشاشي في كتابِه المذكُور، فراجِعْه منه إن أَرَدْتَه. وسَمِعْتُ عن بعضِ مَشائخِ عصرِنا أنَّه يَصِحُّ أن يكونَ المُرادُ من كونِه يَلْقَى اللهَ قبلَ مَن ذُكِرَ أنَّه يَلْقَى اللهَ قبلَ لُقِيِّهِ الأنبِياءَ والأولِياءَ، فيَتَجَلَّى اللهُ له من أوَّلِ وَهْلَة، ثم بعدَ ذلك يَلْقَى الأنبياءَ والأولِيَاء، أي الَّذين لم يَصِلُوا البَسْمَلةَ بالحَمْدِ له.

والحاصِلُ أنَّ الكلامَ يَتوقَّفُ على وُرودِ الحديثِ والعمَلِ به في مثلِ هذا، فإنْ ثَبَتَ فالخَطْبُ هيِّن، فإنَّ المَفْضولَ إذا تَمَيَّزَ بخِصِّيصةٍ لا يُوجَدُ مثلُها في الفاضِل، لايَلْزَمُ من

ذلِك تَفْضِيلُه على الفاضِل، كما قَرَّروه على أنَّ أهلَ الأداءِ قد اخْتَلَفُوا في إطْلاقِ أوْلَوِيَّةِ الوُقوفِ على أَواخِرِ الآيِ، فمِنهُم مَن لم يَقُلْ به.

قال شيخُ الإسلام، زكرياء الأنصاري، في كتابِه [المقصد تلخيص ما في المرشد] ما نَصُّه: النَّاسُ مُخْتلِفون في الوَقْف، فمِنهم مَن جعَلَه على مَقاطِعِ الانْفاس، ومِنهم من جَعَلَه على رُءوسِ الآيِ، والاعْدَلُ أنَّه قد يكونُ في أَوْساطِ الآيِ، وإنْ كانَ الأغلَبُ في آخرِها، وليسَ آخِرُ كلِّ آيةٍ وَقْفًا، بل المَعاني مُعْتبرَة، والانْفَاسُ تابِعَةٌ لها. وذَكَرَ في مَوْضعٍ آخرَ من الكِتابِ المذكُور: يُسَنُّ لِلقارِئِ أن يَقِفَ على أَواخرِ الآيِ، إلَّا ما كان منها شدِيدَ التَّعَلُّقِ بما بعدَه . . . إلى آخِرِ ما قالَه.

وذكَرَ شيخُ الإسلام، أنَّ الوَقْفَ على «العالَمِين» صالِحٌ لأنَّه رأسُ آيةٍ وليسَ تامًّا لِلُزومِ الابْتِداءِ بعدَه بالمَجْرورِ بغيرِ جارٍّ. وقال «الرَّحِيم» كافٍ ليس تَامًّا لذلِك. ثم قال «المُسْتَقيم» جائِزٌ وليسَ حسَنًا، وإنْ كان آخِرَ آيةٍ، لأنَّ ما بعدَه بدَلٌ منه، وهو مُتعلِّقٌ به - انتهى كلامُ شيخِ الإسلام.

وكلٌّ مِن الصَّالحِ والكافِي والجائِزِ مُخْتلَفٌ في ثُبوتِه، فمَن نفَى ثُبُوتَها، يقولُ: لايَحسُنُ الوُقوفُ عليها. ورَأَيْتُ في [النشر في القراءات العشر] للإمامِ ابن الجرزي في التنابيه الَّتي ذكرَها مانَصُّه: تاسِعُها لابُدَّ من معرفةِ أُصولِ مذاهِبِ الأئِمَّةِ القُرَّاءِ في الوَقْفِ والابْتِداء، لِيَعْتمِدَ في قراءةِ كلٍّ مذهبَه . . . . . الخ ما قال، فانظُرْه كغيرِه من أسماءِ الفاتحةِ وإعرابِها وفضائِلِها.

ومن تفسيرِ الإمامِ أبي السعود بن محمد العمادي، قال في تفسيرِ الفاتحةِ المُعَظَّمة: وعن حُذَيْفة بنِ اليَمان أنَّ النبيَّ ﷺ قال: [إنَّ القَوْمَ لَيَبْعَثُ اللهُ عَلَيْهِمُ العَذَابَ حَتْمًا مَقْضِيًّا، فَيَقْرَأُ صَبِيٌّ مِنْ صِبْيَانِهِمْ فِي الكِتَابِ الحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العالَمِينَ، فَيَسْمَعُهُ اللهُ تَعَالَى فَيَرْفَعُ عَنْهُمُ العَذَابَ بِذَلِكَ أَرْبَعِينَ سَنَةً] - انتهى.

وذكَرَ الإمامُ البَيْضاويُّ في تفسيرِه، قال الإمامُ محمد الشَّربيني الخطيب في تفسيرِه

عندَ نقلِهِ لهذا الحديث، قال: حديثٌ مَوْضوعٌ - انتهى.

وممَّا كتَبَ به سيدُنا القُطبُ عبدُالله بن علوي الحدَّاد، نفَعَ اللهُ به ورضيَ عنه وعنّا به، وذلك في أيَّامِ التَّشْريق - لِبعضِ مُحِبِّيه أبياتُ الإمام الغزالي، رحِمَه اللهُ تعالى:

إذا مـا كُنتَ مُـلْتمِسًـا لـرزقٍ * ونُجْـحِ القَصْـدِ من عَبـدٍ وحـرّ
وتَـظْفَـرُ بـالَّـذي تَهْـوَى سـريعًـا * وتَـأْمَـنُ مـن مَخـافـاتٍ وغَـدْرِ
ففـاتحـةُ الكتـابِ فـإنَّ فيـهـا * لِمـا أمَّـلتَ سـرًّا أيَّ سِرّ
فـلازمْ درسَهـا في كـلِّ ليـلٍ * وفي صُبـحٍ وظُـهْـرٍ ثـم عَصْرِ
وبعـد صـلاةِ مغربَ كـلِّ ليـلٍ * إلى التِّسـعـينَ تُتبِـعُـهـا بـعَشْرِ
تَنَـلْ مـا شِئْتَ من خـيرٍ وجَـاهٍ * وعُـظْمِ مَـهـابـةٍ وعُلُوِّ قَـدْرِ
وعـزٍّ لاتُـغـيِّـرُه الَّـليَـالي * بحـادثـةٍ من النُّقصـانِ تَجْـري
وتـوفـيـقٍ وأفـراحٍ تَـوَالَى * وتـأمَنُ من نِكـايـةِ كُـلِّ شَرّ
فـإنَّـك إنْ فَـعَـلْتَ أتـاكَ آتٍ * بمـا يُغْنيـكَ عن زيـدٍ وعَمْـرِو
وعِـشْتَ مـؤيَّـدًا في كـلِّ وقتٍ * وعِشْتَ بنعـمـةٍ في كـلِّ عُمْـرِ

قال سيدُنا القُطب عبدالله بن علوي الحدَّاد: بعد صلاةِ الصُّبحِ تُقرأُ الفاتحةُ المُعَظَّمةُ إحدى وعشرين، وبعدَ الظُّهرِ اثنتَين وعشرين، وبعد العَصْرِ ثلاثًا وعشرين، وبعدَ المَغْرِبِ أربعًا وعشرين، وبعدَ العِشاءِ عشرَ مرَّاتٍ. ثم أَتَى بِقِسْمِ الفاتِحَةِ له، الَّذي قدَّمْناه في الفائِدَةِ العاشِرة، وسيَأْتي في الفائدةِ السادسةَ عشرةَ، فلا نَأْتي به هنا، فعليك بهذا التَّرَقِّي، فإنَّ سادتَنا يُوصُونَ به كثِيرًا، نفَعَ اللهُ بهم.

وقال الإمامُ الكبير، محمد الخطيب الشَّرْبِيني في تفسيره المُسمَّى [السراج المنيرُ في الإعانة على معرفة بعضِ معاني كلام ربِّنا الحكيمِ الخبير]: سورةُ فاتحةِ الكتـاب، وتُسمَّى أُمَّ القُرآن، لأنَّها مُفْتَتَحَةٌ ومُبْتَدَأَة، فكأنَّها أصلُهُ ومَنْشَؤه، ولذلِك تُسمَّى أساسًا، ولأنَّها تَشْتَمِلُ على ما فيه من الثَّناءِ على اللهِ تعالى، والتَّعبُّدِ بأمرِه ونَهْيِه، وبيانِ وعدِه

ووَعِيدِه، أو على جُملةِ مَعانِيه من الحِكَم النَّظَرِيَّة، والأحكام العِلْمِيَّة، الَّتي هي سُلوكُ الطريقِ المُسْتَقيم، والاِطِّلاعُ على مَراتِبِ السُّعداءِ ومنازِلِ الأشقِيَاء. وسورةَ الكَنْز، لأنَّها نزَلَتْ من كَنزٍ تحتَ العَرْش. والوافِيَةَ والكافِيَة، لأنَّها وافِيَةٌ كافِيَةٌ في صِحَّةِ الصلاة، بخلاف غيرِها عندَ القدرةِ عليها. والشَّافِيَةَ والشِّفاء، لِقولِه عليه الصَّلاةُ والسلام: [هِيَ الشِّفَاءُ لِكُلِّ دَاءٍ]. والسَّبعَ المثانيَ، لأنها سَبعُ آياتٍ باتِّفاقٍ، لكنْ من عدَّ البَسْمَلةَ آيةً منها، جعَلَ السَّابعةَ «صِرَاطَ الَّذِين . . . إلى آخرِها»، ومَن لم يَعُدَّها آيةً جَعَلَ السَّابعةَ «غيرَ المَغْضُوب عليهم . . . إلى آخرِها». وسُمِّيتْ مثانِيَ، لأنَّها تُثَنَّى في الصَّلَاة، أي تَكَرَّرُ فيها، بأَن تُقْرَأَ في كل صَلاةٍ وفي كل ركعةٍ. وقولُ بعضِهم تُثَنَّى في كلِّ ركعَةٍ فيه تَجَوُّز. وهي مكِّيَّةٌ على قولِ الأكثَر. وقال مجاهدٌ: مدنيَّةٌ، وقيل نَزَلَتْ مَرَّتينِ، مرةً بمكَّةَ حينَ فُرِضَتِ الصَّلاةُ، ومَرَّةً بالمدينةِ حينَ حُوِّلَتِ القِبْلَة، ولذلك سُمِّيَتْ مَثانِيَ. قال البغويُّ: والأولُ أصحُّ. وقال البَيْضَاويُّ: وقد صَحَّ أنها مكيَّةٌ، بقوله تعالى: [وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ المَثَانِي]، وهي مكيَّةٌ بالنَّصِّ - انتهى. وأَرادَ بالنصِّ السَّنَةَ، فقد ثَبَتَ ذلك عند ابنِ عبَّاس، رضِيَ اللهُ عنهما. وقولُ الصَّحابَةِ في القُرآن، خُصُوصًا في النُّزُول، له حكمُ المَرْفوع. والقُرآنَ العظيمَ، والنُّورَ، والرُّقْيَةَ، وسورةَ الحمدِ والشُّكرِ والدُّعاء، وتَعْليمِ المَسْألةِ لِاشْتِمالها على ذلِك، وسورةَ المُناجَـات، وسُورةَ التَّفْـويض، وفاتحـةَ القُرآن، وأمَّ الكتاب، وسورةَ الحمدِ الأولى، وسورةَ الحمدِ القُصْوى، وسورةَ السُّؤالِ والصلاة، لخبرِ [قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، فَنِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ].

ثم أَتَى بالحديث، وقد تقَدَّم بالنَّقْل. ثم قال: وقولُه تعالى «بِسْمِ الله» أي الملكِ الأعْظَم، الَّذي لانعبدُ إلا إيَّاه، «الرَّحمنِ» أي الَّذي عمَّ بِنِعْمَةِ إيجادِه وبَيانِه جميعَ خَلْقِه، أَسْفَلَه وأَعْلَاه، وأَدْنَاه وأَقْصَاه، «الرَّحِيمِ» أي الَّذي خَصَّ من بينِهم أهلَ وُدِّه بِرضاه آيةً مِن الفاتِحَةِ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيم، وعَلَيْه قُرَّاءُ مكَّةَ والكُوفةِ وفُقَهاؤُهُما، وابنُ المُبارَك، والشَّافِعيُّ. وقِيلَ ليسَتْ مِنهـا، وعلَيه قُـرَّاءُ المَدينـةِ والبَصْرةِ والشَّـامِ وفُقَهاؤُهـا،

والأوزاعِيُّ ومالِكٌ.

ويدُلُّ للأوَّلِ ما رُوِي، أنّه ﷺ عدَّ الفاتِحَةَ سبعَ آياتٍ، وعدَّ بسمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم آيةً منها، رواه البخاريُّ في تاريخه. ورَوَى الدارَقُطنيُّ عن أبي هريرة، رضِيَ اللهُ عنه، أنه ﷺ قال: [إذَا قَرَأْتُم الحَمْدُ لِلهِ فَاقْرَأُوا بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، لِأَنَّهَا أُمُّ القُرْآنِ وَأُمُّ الكِتَابِ وَالسَّبْعُ المَثَانِي، بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ إِحْدَى آيَاتِهَا].

ورَوَى ابنُ خُزَيمة بإسنادٍ صحيحٍ عن أمِّ سَلَمَة، رضِيَ اللهُ تعالى عنها، أنَّ النبيَّ ﷺ عَدَّ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم آيةً، وعَدَّ الحمدُ لِلهِ رب العالَمِين إلى آخرِها ستَّ آياتٍ، وآيةً مِن كلِّ سُورةٍ إلَّا براةَ، لإجماعِ الصحابةِ على إثباتِها في المُصْحفِ بخطِّه أوائلَ السُّوَر، سوى سورةِ براءَةَ مع المُبالَغَةِ في تَجْريدِ القرآنِ عن الأعْشارِ وتراجِمِ السُّوَر، والتَّعوُّذِ حتَّى لم تُكْتَبْ أمِين، فلو لَم تكُنْ قرآنًا لَما أجازُوا ذلك، لأنّه لا يَحْمِلُ على اعْتِقادِ ما ليسَ بقرآنٍ قُرآنًا. وأيضًا هي آيةٌ من القرآنِ في سورةِ النَّملِ قَطْعًا، ثم إنَّا نَراها مُكرَّرةً بخطِّ القرآن، فوَجَبَ أن تكونَ مِنه، كما إنَّا لَمَّا رأينا قولَهُ تعالى [فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ]، وقولَه تعالى [وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ] مُكرَّرًا في القرآنِ بخطٍّ واحِدٍ وسورةٍ واحِدَة. ﴿قلنا﴾ إنَّ الكُلَّ من القرآن. فإن قيل لعلَّها تَثْبُتُ للفَصْل، أُجِيبَ بأنَّه يَلْزَمُ عليه اعْتِقادُ ما ليسَ بِقرآنٍ قرآنًا، ولَثَبَتَتْ في أوَّلِ براءَة، ولم تَثْبُتْ في أوَّلِ الفاتِحَة. فإنْ قيلَ: القرآنُ إنَّما يَثْبُتُ بالتَّواتُر. أُجِيبَ بأَنَّ محلَّهُ فيما ثَبتَ قُرآنًا قَطْعًا. أمَّا ما يَثْبُتُ قُرآنًا حُكْمًا، فيَكْفِي فيه الظَّنُّ، كما يَكْفِي في كُلِّ ظَنِّيٍّ، خِلافًا للقاضي أبي بكر الباقِلَّاني. وأيضًا إثباتُها بخَطِّه في المُصْحف من غيرِ نَكِيرٍ في معنَى التَّواتُر، وأيضًا يَثْبُتُ التَّواتُرُ عند قومٍ دونَ آخَرين. فإنْ قلتَ: لو كانَ قُرآنًا لَكَفَرَ جاحِدُها. أُجِيبَ بأنَّها لو لم تَكُنْ قرآنًا لَكَفَرَ مُثْبِتُها. وأيضًا التَّكْفِيرُ ما يكونُ بِالظنِّيَّات، وقد أَوْضَحْتُ ذلك مع زِيادَةٍ في شَرْحِ التَّنْبيه والمِنْهاج. أمَّا بَراءَةُ فلَيستِ البَسْمَلةُ آيةً مِنها بإجْماع.

ثم قال: ماأُثبِتَ في المُصْحفِ الآنَ من أسماءِ السُّوَرِ والأعشارِ شيءٌ ابْتَدَعَه الحَجَّاجُ

في زَمنِه. ثم قال: والبَسْمَلةُ وما بعدَها إلى آخِرِ السُّورَةِ مَقُولٌ على أَلْسِنَةِ العِباد لِيَعْلموا كيفَ يُتَبَرَّكُ باسمِه، ويُحْمَدُ على نِعَمِه، ويُسْأَلُ من فَضْلِه، ويُقدَّرُ في أوَّلِ الفاتِحَة، قُولوا كَما قالَ الجَلالُ المَحَلِّيُّ، لِيكونَ ما قبلَ «إيَّاكَ نَعْبُدُ» مُناسِبًا له لِكَونِهِ من مَقُولِ العِباد. ثُمَّ أطالَ بكلامٍ على مَعاني الاِسْمِ والمُسمَّى والنَّحْو.

ثم قال: فإنْ قيلَ لِمَ بُدِىءَ بِبِسْمِ اللهِ دونَ الله؟ أُجيبَ بأنَّ التَّبرُّكَ والاِسْتِعانةَ بذكرِ اسمِه، ولِلفَرْقِ بينَ اليَمينِ والتَّيَمُّن. و«اللهُ» عَلَمٌ على الذَّاتِ الواجِبِ الوُجودِ، المُسْتَحِقِّ لجميعِ المَحامدِ بِذِكْرٍ، وأَصلُهُ إلهٌ. قال الرَّافعي: كإمام، ثمَّ أَدْخَلوا عليه الألِفَ واللاَّم، ثم حُذِفَتِ الهمزةُ طلبًا لِلْخِفَّة، ونُقِلَتْ حركَتُها إلى اللاَّم، فصارَ «الله» بِلامَيْنِ مُتَحرِّكَتَيْنِ، ثم سُكِنتِ الأولى وأُدْغِمَتْ في الثانِيَةِ للتَّسْهِيل - انتهى.

والإلهُ في الأصْلِ يَقَعُ على كلِّ مَعْبودٍ بِحقٍّ أو باطِلٍ، ثم غَلَبَ على المَعْبود بِحَقٍّ، كما أنَّ النَّجمَ اسمٌ لكلِّ كوكَب، ثم غَلَبَ لِلثُّرَيَّا، والحَقُّ أنّه أصلٌ بِنَفْسِه، غيرُ مَأْخوذٍ مِن شيْء، بل وُضِعَ عَلَمًا ابْتِداءً. فكما أنَّ ذاتَه لايُحيطُ بها شيءٌ، ولا تَرْجِعُ إلى شيْءٍ، فكذا اسمُه تعالى. وقيلَ مَأْخوذٌ مِن «أَلِهَ» إذا تَحيَّر، إذِ العُقولُ تَتَحيَّرُ في مَعْرفتِه، وقيل غيرُ ذلك، وهو عَربِيٌّ عندَ الأكثَر، وعندَ المُحقِّقين أنَّه اسمُ اللهِ الأعْظَمُ. وقد ذَكَرَه اللهُ تعالى في ألفَين وثلاثِمائة وستين مَوْضِعا. واخْتارَ النَّوويُّ تبعًا لجماعةٍ أنَّه الحيُّ القَيُّوم. ﴿قال﴾ وذلك أنَّه لم يُذْكَرْ في القُرآنِ إلاَّ في ثَلاثةِ مَواضِع: في البقرَةِ وآلِ عِمْران وطه.

و«الرحمنُ الرَّحيمُ» صِفَتان مُشبَّهتَانِ بُنِيا للمُبالَغةِ من «رحُم» بِتَنْزيلِه مَنْزِلةَ اللاَّزِم، أو بِجَعْلِه لازِمًا. والرَّحْمةُ لُغةً رِقَّةُ القَلْب، أي في المَخْلوقِ تَقْتَضى، أي في حَقِّ البارِي التَّفضُّلَ والإحسانَ، و«الرَّحمن» أَبْلَغُ من «الرَّحيم»، لأنَّ زِيادةَ البِناءِ تَدُلُّ على زِيادةِ المعنَى، وقُدِّمَ «الله» عليهما، لأنَّه اسمُ ذاتٍ، وهما أسماءُ صِفةٍ. والرَّحمنُ على الرَّحيم، لأنَّه خاصٌّ، إذْ لايُقالُ لِغيرِ اللهِ بِخلافِ الرَّحيمِ، والخَاصُّ مُقدَّمٌ على العامّ.

ثم قال رحِمَه اللهُ تعالى: الوَقْفُ على «الله» قبيحٌ للفَصْلِ بينَ التَّابعِ والمَتْبُوع، وعلى

«الرَّحمٰن» كذلك، وقيل كافٍ، وعلى «الرَّحِيم» تامٌّ. وعددُ حُروفِ البَسْمَلةِ الرَّسْمِيَّة تسعةَ عشَر، وعددُ ملائِكَةِ خزَنةِ النَّارِ عليها تِسْعَةَ عشَر. قال ابنُ مسعود، رضِيَ اللهُ عنه: مَن أَرادَ أنْ يُنَجِّيَه اللهُ سُبْحانه وتعالى مِن الزَّبانِيَة، فلْيَقُلْها لِيجْعلَ اللهُ له بكلِّ حرفٍ جُنَّة، أي وِقايَة. قال النَّسفيُّ في تفسيرِه: قيل الكُتبُ المُنَزَّلةُ مِن السَّماءِ إلى الدُّنيا مِائةٌ وأربعةُ صُحُف. صُحُفُ شِيث: سِتُّون، وصُحُفُ إبراهِيم: ثلاثُون، وصُحُفُ مُوسى قبلَ التَّوراة: عشْرٌ، والتَّوْراةُ والإنجِيلُ والزَّبورُ والفُرقانُ، وجميعُ كلِّ الكُتُبِ مَجْموعةٌ في الفاتِحَة، ومعانِي الفاتِحَةِ مَجْمولةٌ في البَسْمَلة، ومَعاني البَسْمَلةِ مَجْمولةٌ في بائِها. ومعناها «بِي كان ما كان – وبِي يكونُ ما يكُون». وزادَ بعضُهم: ومعانِي الباءِ في نُقْطَتِها، وتَخْصِيصُ التَّسْمِيَةِ بهذه الثَّلاثةِ الَّتي هي «الله – والرحمٰن – والرَّحيمُ» لِيَعْلَمَ العارِفُ أنَّ المُسْتحِقَّ لأنْ يُسْتَعانَ به في جميعِ الأمورِ هو المَعْبودُ الحَقِيقيُّ الَّذي هو مَوْلى النِّعَمِ كلِّها، عاجِلِها وآجِلِها، جليلِها وحقيرِها، فيَتوجَّهُ العارِفُ بِجُمْلتِه حِرْصًا ومحبَّةً على جَنابِ القُدْس، ويَتَمسَّكُ بِحَبْلِ التَّوْفِيق، ويَشْغَلُ سِرَّه بذِكْرِه، والاِسْتِمْدادِ به عن غيرِه.

«الحمدُ لله» – الحمدُ اللَّفْظِيُّ لُغَةً الثَّناءُ باللِّسانِ على الجميلِ الاِخْتِياريِّ على قَصْدِ التَّبْجِيل، أي التَّعْظِيم، سواءٌ تَعلَّقَ بِالفَضائِل، وهي النِّعَمُ القاصِرَة. وأمَّا بِالفَواضِل، وهي النِّعَمُ المُتعدِّيَة، فدَخَلَ في الثَّناءِ الحمدُ وغيرُه.

ثم قال: الشُّكرُ لُغةً هو الحَمدُ، وعُرْفًا صَرْفُ العبدِ جميعَ ما أَنْعَمَ اللهُ به عليه من السَّمعِ وغيرِه إلى ما خُلِقَ لأجلِه.

والمَدْحُ لُغةً الثَّناءُ بِاللِّسانِ على الجميلِ مُطْلقًا على جِهَةِ التَّعْظِيم، وعُرْفًا ما يَدُلُّ على اخْتِصاصِ المَمْدوحِ بنَوْعٍ من الفَضائِل. فالشُّكرُ أَعَمُّ من الحمدِ والمدحِ مِن وجهٍ، لأنَّه يَخْتَصُّ بِاللِّسان، وأَخَصُّ مِنهما مِن وجهٍ آخرَ، لأنَّه بالثَّناءِ على الإنْعَام، وضِدُّ الحمدِ الذَّمُّ، وضِدُّ الشُّكرِ الكُفْرانُ، وضِدُّ المدحِ الهَجْو.

«ربِّ العالَمِين» أي مالِكِ جميعِ الخَلْقِ مِن الإنسِ والجنِّ والملائِكَةِ والدَّوابِّ

وغيرِهم، إذْ كلٌّ منها يُطلَقُ عليهِ «عالَم»، وقال إلى أنْ قال: وقيلَ عنَى به النَّاسَ هُهُنا، فإنَّ كلَّ واحدٍ عالَم مِن حيثُ إنَّه يَشْتَمِلُ على نظائرِ ما في العالَمِ الكبيرِ، ووَجْهُ اشْتِمالِ الصَّغِيرِ، وهو الإنسانُ على نظائرِ ما في الكبيرِ، وهو ما سِوَى اللهِ تعالى، إذْ تَفاصِيلُه شَبِيهَةٌ بِتَفاصِيلِ العالَمِ الكبيرِ، إذِ الكبيرُ يَنْقَسِمُ إلى ظاهِرٍ ومَحْسُوس، كعالَمِ المُلْك، وهو ما ظَهَرَ لِلحَوَاسّ، ويكونُ بِقُدْرةِ اللهِ بعضُه مِن بَعْض، ويَتَضَمَّنُه التَغَيُّر. وإلى باطِنٍ مَعْقولٍ، كعالَمِ المَلَكُوت، وهو ما أَوْجَدَه سُبْحانه وتعالى بِالأمرِ الأزَلِي، بلا تَدْرِيج، وبَقِيَ على حالةٍ واحِدةٍ من غيرِ زيادَةٍ فيه ولا نُقْصانٍ منه. وإلى عالَمِ الجَبَرُوت، وهو ما بينَ العالَمَيْنِ ما يُشْبِه أن يكونَ في الظَّاهِرِ من عالَمِ المُلْك، فجُبِرَ بالقُدْرةِ الأزَلِيَّةِ بما هو مِن عالَمِ المَلَكُوت.

والإنسانُ كذلك، يَنْقَسم إلى ظاهِرٍ ومَحْسُوس، كاللَّحْمِ والعَظْمِ والدَّم. وإلى باطِنٍ، كالرُّوحِ والعقلِ والإرادَةِ والقُدْرَة. وإلى ما هو مُشابِهٌ لعالَمِ الجَبَرُوت، كالإدْراكاتِ المَوْجودةِ بالحَواسّ، والقُوَى المَوْجودةِ بأجزاءِ البَدَن.

«الرَّحمٰنِ الرَّحيم. مٰلِكِ يوم الدِّين»، ذُكِرَ مِن أسمائِه تعالى في هذه السُّورةِ خمسةٌ: «اللهُ، والرَّبُّ، والرَّحمٰنُ، والرَّحيمُ، والمالِكُ»، والسبَبُ فيه لأنَّه يقولُ: خَلَقْتُك أوَّلاً فأنا اللهُ، ثم ربَّيْتُك بِوُجودِ النِّعمةِ فأنا الرَّبُّ، ثم عَصَيْتَ فسَتَرْتُ عليك فأنا الرَّحمٰنُ، ثم تُبْتَ فأنا الرَّحيمُ، ثم لابُدَّ من إيصالِ الجزاءِ إليك فأنا مالِكُ يومِ الدِّين. فإنْ قيلَ: إنَّه تعالى ذَكَرَ «الرَّحمٰن الرَّحِيم» في البَسْمَلة، ثم ذكَرَها مرَّةً ثانيةً دونَ الأسماءِ الثَّلاثةِ الباقِيَة، فما الحِكْمَةُ في ذلك؟ أُجِيبَ بأنَّ الحِكْمةَ في ذلك كأنَّه قال تعالى: اُذْكُرْ أنِّي إلٰهٌ وربٌّ مرةً واحِدة، واذْكُرْ أنِّي رَحمٰنٌ رَحيمٌ مرَّتَيْن، لِيُعلَمَ أنَّ العِنايةَ بالرَّحْمةِ أَكْثَرُ مِنه بِسائِرِ الأمُور. ثم لَمَّا بيَّنَ الرَّحْمةَ المُضاعفةَ، فكأنَّه قال: لاتَغترُّوا بذلك، فإنِّي مٰالِكُ يومِ الدِّين. وقَرَأَ عاصِمٌ والكِسائي «مَالك» بألِفٍ بعد الميم، وقَرَأَ الباقون بغيرِ ألفٍ، وبينَهُما عُمومٌ مُطلَق. فكُلُّ ملِكٍ مالِك، ولا عكسَ لِعُمومِ وِلايةِ المَلِكِ الْتِزامًا لا مُطَابَقة. ويومُ الدِّين، يومُ الجزاء، وهو يومُ القِيامَة.

«إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ»، فإنْ قيلَ: لِمَ تكرَّرَ ضميرُ «إيَّاكَ» أُجِيبَ بأنَّه كُرِّرَ لِلتَّنْصِيص على أنَّه المُسْتعانُ به لا غيرُه. فإنْ قيلَ: لما قُدِّمتِ العِبادةُ على الاِسْتِعانة، أُجِيبَ لِتَتوافقَ رُؤوسُ الآيِ، وليُعْلمَ منه أنَّ تَقْديمَ الوَسِيلةِ على طلَبِ الحاجَةِ أَدْعَى إلى الإجابَة. وأيضًا لَّما نَسبَ المُتكلِّمُ العِبادةَ لِنَفْسِه أَوْهَمَ ذلك فَرَحًا واعْتِرافًا منه بما يَصْدُرُ عنه، فَعَقَّبَه بقولِه: «وإِيَّاكَ نَسْتَعِين» لِيَدُلَّ على أنَّ العِبادةَ أيضًا لاتَتِمُّ ولا تَتَيسَّرُ له، إلَّا بمَعونةٍ منه وتَوْفيق.

﴿تنبيه﴾ الضَّميرُ المُسْتكِنُّ في «نَعْبُدُ ونَسْتَعِينُ» لِلقارِىءِ ومَن معه مِن الحَفَظَةِ وحاضِري صَلاةِ الجماعَة، أو له ولِسائِرِ المُوَحِّدين، أُدْرِجَتْ عِبادتُه في تَضاعِيفِ عِبادتِهم، وخُلِطَتْ حاجَتُه، لَعَلَّ عِبادتَه تُقْبَلُ بِبَركةِ عِبادتِهم، وحاجَتَه يُجابُ إليها بِبَركةِ حاجَتِهم. ولهذا شُرِعَتِ الجماعَةُ في الصَّلاة.

«اهدِنا الصِّراطَ المُسْتَقِيم» بيانٌ لِلمَعُونةِ المَطْلوبَة، فكأنَّه قال: كيفَ أُعِينُكم؟ فقالوا: اِهْدِنا! والهِدَايةُ: الدَّلالةُ بِلُطفٍ، ولذلك يُستعمَلُ في الخَيْر، وهدايةُ اللهِ تعالى تَتنوَّع، وأنواعُها لايُحْصِيها عدَد، كما قال تعالى: [وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَاتُحْصُوهَا]، ولكنَّها تنحصِرُ في أجناسٍ مترتِّبَة:

الأول: إفاضةُ القُوى الَّتي بها يَتمكَّن المؤمنُ من الاِهْتداءِ إلى مصالِحِه، كالقُوَّةِ العَقْلِيَّة، والحواسِّ الباطِنيَّة، والمَشاعِرِ الظاهِرَة.

والثاني: نَصْبُ الدَّلائلِ الفارِقَةِ بينَ الحَقِّ والباطِل، والصَّلاحِ والفَساد، وإليه أشارَ تعالى حيثُ قال: [وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ]، يعني إلى طريقِ الخيرِ والشَّرِ.

والثالث: الهدايةُ بإرسالِ الرُّسُل، وإنزالِ الكتُب، وإيَّاها عَنَى بقولِه تعالى: [وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا]، وقولِه: [إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ].

والرابع: أن يَكشِفَ لقلوبِهم السرَّائِر، ويُريَهُم الأشياء، كما هي بالوَحْيِ والإلهَام، والمَناماتِ الصادِقَة. وهذا القِسْمُ يختَصُّ بنَيْلِه الأنبياءُ والأولياء، وإيَّاه عَنَى

بقولِه تعالى: [أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ، فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ]، وقولِه تعالى: [وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا]. فإنْ قيل: ما معنى طلبِ الهِدايَة، وهُم مُهتَدُون؟ أُجِيبَ بأنَّهم طَلَبوا زيادةَ ما مُنِحوا من الهُدى والثَّباتَ عليه، كقولِه تعالى: [وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى].

«صِراطَ الَّذينَ أَنْعمتَ عليهِم» بالهِدايَة. عن ابنِ عبَّاس، أنَّ المُرادَ بالَّذين أَنْعمت عليهِم هُم الأنبياءُ والملائِكَةُ والصِّدِّيقون والشُّهداءُ ومَن أَطاعَه وعَبَدَه. «غيرِ المَغْضوبِ عليهِم» وهم اليَهُود، ولقولِه تعالى فيهم: [مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ]، «ولا الضَّالِّين» أي وغيرِ الضَّالِّين، وهم النَّصارى، لقولِه تعالى: [قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ، وَأَضَلُّوا كَثِيرًا] الآية.

﴿فائدة﴾ أوَّلُ السُّورةِ مُشْتمِلٌ على الحمدِ والثَّناءِ عليه والمدحِ له، وآخِرُها على الذَّمِّ لِلمُعرِضِين عن الإيمانِ به، والإقرارِ بِطاعتِه، وذلك يَدُلُّ على أنَّ مَطْلعَ الخيرات، وعُنوانَ السَّعادَة، هو الإقبالُ على الله، ومَطْلعَ الآفات، ورأسَ المُخالَفات، هو الإعراضُ عن الله، والبُعْدُ عن طاعَتِه، والاِجْتِنابُ عن خدمَتِه.

وليسَ «آمين» مِن القرآن اتِّفاقًا، ولٰكنْ يُسَنُّ ختمُ السُّورةِ به، لِقولِه عليه الصَّلاةُ والسلام: [عَلَّمَنِي جِبْرِيلُ آمِين عِنْدَ فَرَاغِي مِنْ قِرَاءَةِ سُورَةِ الفَاتِحَةِ]، كما رواه البيهقيُّ وغيرُه بقولِه: الإمامُ يَجْهَرُ به في الجَهْرِيَّة، ما رُوِيَ عن وائِل بن حُجْر، أنَّه عليه الصَّلاةُ والسلام، كان إذا قَرأَ ولا الضَّالِّين، قال آمين، ورَفَعَ بها صوتَه. والمَأْمومُ يُؤَمِّنُ مع إمامِه، لقولِه عليه الصَّلاةُ والسلام: [إِذَا قَالَ الإِمَامُ وَلَا الضَّالِّينَ، فَقُولُوا آمِين، فَإِنَّ المَلَائِكَةَ تَقُولُ آمِين، وَإِنَّ الإِمَامَ يَقُولُ آمِين، فَمَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ المَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ]، وزادَ الجرجانيُّ في أماليه [وَمَا تَأَخَّرَ] - انتهى مُلَخَّصا من [السراج المنير]، جزاهُ اللهُ خيرًا، ونفَعَنا به وبِمُصنِّفِه بجاهِ القُرآنِ العظِيم.

وأَمَّا فَضْلُ آيةِ الكُرسيِّ المُعظَّمَة، فمن [الدر المنثور]، قال رسولُ اللهِ ﷺ: [إِنَّهَا

أَعْظَمُ آيَةٍ فِي القُرْآنِ كِتَابِ اللهِ]. وورَدَ: اِقرأْ آيَةَ الكُرْسي، فإنَّها تحفَظُك وذُرِّيَّتك، وتحفَظُ دارَك، حتَّى الدُّوَيْراتِ التي حولَ دارِك، وإنَّها تُجيرُ من الجِنِّ قراءَتُها صباحًا ومساءً، وقِراءتُها إذا أويْتَ إلى فِراشِك، لن يَزَالَ عليك مِن اللهِ حافِظٌ، ولا يَقْرَبُك شَيْطانٌ حتى تُصْبِحَ. ووَرَدَ أيضًا: قِراءةُ آيةِ الكُرْسيِّ تَعْدِلُ رُبْعَ القُرآنِ.

ومِن كتاب [تيسير الأصول إلى جامع الأصول من حديث الرَّسُول ﷺ]، تأليف الشيخ الإمام الكبير، عبدالرحمن بن علي بن محمد بن عمر الدِّيبَعي الشيباني الشافعي، قدَّسَ اللهُ روحَه، ونوَّرَ ضَريحَه، عن أبي هريرة، رضيَ اللهُ عنه، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: [إنَّ لِكُلِّ شيْءٍ سَنَامًا، وَإنَّ سَنَامَ القُرْآنِ سُورَةُ البَقَرَةِ، وَفِيهَا آيَةٌ سَيِّدَةُ آيِ القُرْآنِ آيَةُ الكُرْسِيِّ]، أَخْرَجَه الترمذيُّ.

وعن أُبَيِّ بنِ كعبٍ، رضيَ اللهُ عنه، قال، قال رسولُ اللهِ ﷺ: [يَا أَبَا المُنْذِرِ! أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟ قُلْتُ: «اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ»، فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ لِي: لِيَهْنِكَ العِلْمُ يَا أَبَا المُنْذِرِ]، أَخْرَجَه مسلمٌ وأبو داود.

وعن أبيّ هريرة، رضِيَ اللهُ عنه، قال: [وَكَّلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ، فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ، وَبِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ. قَالَ: فَخَلَّيْتُ عَنْهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! مَافَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ؟ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالاً، فَرَحِمْتُهُ، وَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ. قَالَ: أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ، وَسَيَعُودُ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ، فَرَصَدْتُهُ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ. قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ، وَأَنِّي لَا أَعُودُ، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ؟ فَقُلْتُ: يَارَسُولَ اللهِ! شَكَا حَاجَةً وَعِيَالاً، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ. فَقَالَ: أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ، وَسَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ

الطَّعَامِ ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ، وَهٰذَا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّكَ لَا تَعُودُ. فَقَالَ: دَعْنِي، فَإِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهَا. قُلْتُ: مَا هِيَ؟ قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ «اللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ» حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ، فَإِنَّهُ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ: مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ؟ فَقُلْتُ: يَارَسُولَ اللهِ! زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللهُ بِهَا، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ. فَقَالَ: ما هِيَ؟ قُلْتُ: قَالَ لِي، إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ «اللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ» وقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ حَتَّى تُصْبِحَ، وَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ، وَهُوَ كَذُوبٌ. تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلَاثٍ، يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: ذَاكَ شَيْطَانٌ.] أَخْرَجه البخاريُّ.

وعن أبي أيُّوب، رضِيَ اللهُ عنه، أنَّه كانَ له سَهْوَةٌ فيها تَمْرٌ، وكانَ تَجِيءُ الغُوْلُ فتَأْخُذُ منه. فشَكَا ذلك إلى رسولِ اللهِ ﷺ. قال: اِذهَبْ، فإذا رَأَيْتَها، قُلْ بِسْمِ اللهِ، أَجِيبِي رَسولَ اللهِ ﷺ! قال: فأَخَذَها، فحَلَفَتْ ألَّا تعودَ، فأَرْسَلَها، فجاءَ إلى رَسولِ اللهِ ﷺ، فقالَ: ما فَعَلَ أَسِيرُكَ؟ قال حَلَفَتْ ألَّا تَعودَ. قالَ: كَذَبَتْ، وهي مُعاوِدَةُ الكَذِبِ. قال: قالَ: فأَخَذَها مرَّةً أُخْرى، فحَلَفَتْ ألَّا تعودَ، فأَرْسَلَها، فجاءَ إلى النَّبيِّ ﷺ، فقالَ: ما فَعَلَ أَسِيرُكَ؟ قال: حَلَفَتْ ألَّا تعودَ. قال: كَذَبَتْ، وهي مُعَاوِدَةُ الكَذِبِ. قال: فعادَتْ، فأَخَذَها، فقال: ما أنا بَتارِكِكِ حتَّى أَذْهَبَ بكِ إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فقالَتْ: إنِّي ذاكِرَةٌ لك شيئًا، آيةَ الكُرْسِيِّ، اِقْرَأْها في بَيْتِك، فلا يَقْرَبُكَ شَيْطانٌ ولا غيرُه. قال: فجاءَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فقالَ: ما فَعَلَ أَسِيرُكَ؟ فأَخْبَرَه بما قالتْ، قال: صَدَقَتْ وهي كَذُوبٌ - أَخْرَجه الترمذيُّ.

السَّهْوَةُ بيتٌ صغيرٌ مُنْحَدِرٌ في الأرض، شِبهُ المُخْدَعِ والخِزَانَة - انتهى.

ومن تَفْسيرِ القرآنِ المُسمَّى [السراج المنير] للإمامِ محمد الشَّرْبيني، قال: ورَوَى

النسائي وابنُ حبان وغيرُه، أنَّه ﷺ قال: [مَنْ قَرأَ آيَةَ الكُرْسِيّ دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ مَكْتُوبَةٍ، لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الجَنَّةِ إِلَّا المَوْتُ]. أي فإذا ماتَ دَخلَ الجَنَّةَ.

ورَوى البيهقيُّ في شعبه، أنَّه ﷺ قال: [لاَيُوَاظِبُ عَلَيْهَا إِلَّا صِدِّيقٌ أَوْ عَابِدٌ]. ورَوَى البيهقيُّ أيضًا: [أَنَّ مَنْ قَرَأَهَا إِذَا أَخَذَ مَضْجِعَهُ أَمَّنَهُ اللهُ عَلَى نَفْسِهِ وَجَارِهِ وَجَارِ جَارِهِ، وَالأَبْيَاتِ حَوْلَهُ].

وعن أبي هريرة، رضيَ اللهُ عنه، أنَّه ﷺ قال: [مَنْ قَرأَ حِينَ يُصْبِحُ آيَةَ الكُرْسيِّ، وَآيَتَيْنِ مِنْ أَوَّلِ حَم تَنْزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللهِ العَزِيزِ العَلِيمِ، حُفِظَ فِي يَوْمِهِ ذٰلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ. فَإِنْ قَرَأَهُمَا حِينَ يُمْسِي حُفِظَ فِي لَيْلَتِهِ تِلْكَ حَتَّى يُصْبِحَ].

ورُوِيَ: مَا قُرِئَتْ آيَةُ الكُرْسِيِّ فِي دَارٍ إِلَّا هَجَرَتْهَا الشَّيَاطِينُ ثَلاَثِينَ يَوْمًا، وَلاَ يَدْخُلُهَا سَاحِرٌ وَلاَ سَاحِرَةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً. يا عَلِيُّ! عَلِّمْهَا وَلَدَكَ وَأَهْلَكَ وَجِيرَانَكَ، فَمَا نَزَلَتْ آيَةٌ أَعْظَمُ مِنْهَا. وتَذاكرَ الصَّحابةُ، رضِيَ اللهُ عنهُم، أَفْضَلَ ما في القُرآن، فقالَ لهم عليٌّ، رضِيَ اللهُ عنه، وكرَّمَ اللهُ وجهَه: أَيْنَ أنتُمْ من آيةِ الكُرْسِيِّ؟ ثم قالَ: قالَ لي رسولُ اللهِ ﷺ: يا عليُّ! سَيِّدُ البشَرِ آدَمُ، وسيِّدُ العرَبِ محمَّدٌ ولا فَخْرَ، وسيِّدُ الفُرْسِ سَلْمانُ، وسيِّدُ الرُّومِ صُهَيبٌ، وسيِّدُ الحَبَشَةِ بِلالٌ، وسيِّدُ الجبالِ الطُّورُ، وسيِّدُ الأيَّامِ يومُ الجُمُعَةِ، وسيِّدُ الكُتبِ القُرآنُ، وسيِّدُ القُرآنِ البقَرَةُ، وسيِّدُ البقَرَةِ آيةُ الكُرْسِيِّ - انتهى.

قال في [نوادر الأصول]: لقِيَ جبريلُ موسى، عليهِمَا السَّلام، فقال جِبْرائيلُ: إنَّ رَبَّك يقولُ: مَن قالَ بعدَ كلِّ صلاةٍ مَكْتوبةٍ مرَّةً واحِدةً «اللهُمَّ إنِّي أُقدِّمُ إلَيْكَ بينَ يدَيْ كُلِّ نَفَسٍ ولَمْحةٍ وطَرْفةٍ يُطْرِفُ بها أهلُ السمٰواتِ وأهلُ الأرضِ وكُلِّ شيءٍ هو في عِلْمِك كائِنٌ، أو قد كانَ أُقدِّمُ إليكَ بينَ يَدَيْ ذلِك كُلِّه - اللهُ لا إلٰهَ إلَّا هو الحَيُّ القَيُّومُ . . . إلى العليِّ العظيم» - فإنَّ الليلَ والنَّهارَ أَرْبعٌ وعِشْرون ساعَةً، ليسَ مِنها ساعَةٌ إلَّا ويَصْعَدُ لِقارئِها سبعُونَ أَلْفَ أَلْفِ حسَنَة، وتَشْتَغِلُ الملائِكةُ بذلك، هذا بالنِّسْبةِ إلى

ساعةٍ واحدةٍ، فما بالُك باليوم والليْلةِ والجمُعةِ والشَّهرِ والسَّنةِ، وهَلُمَّ جرًّا - انتهى، وذكَرَه الرَّدَّاد في [موجبات الرحمة].

وروى البغويُّ في تَفْسيرِه بِسندِه إلى أميرِ المؤمنين، عليِّ بنِ أبي طالِب، كرَّمَ الله وجهَه، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: [إنَّ فاتحَةَ الكِتابِ، وآيَةَ الكُرْسِيِّ، وآيَتيْنِ مِنْ آلِ عِمْرانَ، وَشَهِدَ اللهُ . . . إلى قَوْلِهِ إنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإسْلامُ، وَقُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ المُلْكِ . . . إلى بِغَيْرِ حِسَابٍ مُعَقَّبَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ وَبيْنَ اللهِ حِجَابٌ. قُلْنَ: يا رَبِّ تُهْبِطُنا إلى أَرْضِكَ، وَإِلَى مَنْ يَعْصِيكَ. قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: بِي حَلَفْتُ لاَيَقْرَأُكُنَّ أَحَدٌ مِنْ عِبَادِي بَعْدَ كُلِّ صَلاَةٍ، إلاَّ جَعَلْتُ الجَنَّةَ مَثْوَاهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ، وَلأَسْكَنْتُهُ حَضْرَةَ القُدْسِ، وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ بِعَيْنِي المَكْنُونَةِ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً، وَلَقَضَيْتُ لَهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ حَاجَةً، أَدْنَاهَا المَغْفِرَةُ - الحديث - انتهى.

فكان سيدُنا صاحِبُ الرَّاتبِ يدعُو بعدَ الدُّعاءِ المَأْثورِ بعدَ الصَّلواتِ المَفْروضَةِ بقولِه: اللهُمَّ أَنْتَ السَّلامُ . . . . . الخ والتَّسْبيحِ والتَّحْميدِ والتَّكْبيرِ، كلَّ واحِدَةٍ ٣٣ مرَّة، ويُتِمُّ المِائةَ بـ«لا إله إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَرِيكَ له . . . . . الخ»، ثم يدعُو و يَرْفَعُ يَدَيْه، ثم بعدَ الدُّعاءِ يَقْرَأُ سِرًّا الفاتِحَةَ، واللهُمَّ إنِّي أُقَدِّم إليك . . . الخ، وآيـةَ الكُرْسيِّ، وآيتيْنِ من آلِ عِمْران. ولصاحِبِ الرَّاتبِ قَسَمٌ على آيةِ الكُرْسيِّ، فيه مددٌ كثِير، فانظُرْهُ في الفائِدَةِ السادسةَ عشْرةَ - انتهى.

وأمَّا ما وَرَدَ في «آمنَ الرَّسولُ . . .» إلى آخِرِ السُّورَة، فقد قال رسولُ اللهِ ﷺ: [خَتَمَ سُورَةَ البَقَرَةِ بِآيَتَيْنِ أَعْطَانِيهِمَا مِنْ كَنْزِهِ الَّذِي تَحْتَ العَرْشِ، فَتَعَلَّمُوهُمَا وَعَلِّمُوهُمَا نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ، فَإِنَّهَا صَلاَةٌ وَقُرْآنٌ وَدُعَاءٌ] ووَرَدَ أيضًا: إنَّهنَّ قرآنٌ، وإنَّهنَّ دُعاءٌ، وإنهنَّ يُدخِلنَ الجنَّةَ، وإنَّهنَّ يُرضِينَ الرَّحْمَنَ. ووَرَدَ: آيَتانِ هُما قُرآنٌ، وهُما يَشْفِيان، وهُما يُحِبُّها اللهُ. الآيَتانِ مِن آخِرِ سورةِ البقَرَة. ووَرَدَ: مَن قَرَأَ في لَيْلةٍ آخِرَ سُورةِ البقَرَة، فقدْ أَكْثَرَ وأَطَابَ. ووَرَدَ أنَّ جِبْريلَ لقَّنَ رسولَ اللهِ ﷺ عندَ خاتِمةِ البقَرةِ آمِين.

﴿قلتُ﴾ ومِن عادةِ سيّدِنا صاحِبِ الرَّاتبِ أَنَّهُ يَأْمُرُ بالتَّأمينِ بالجَهْر، كما في الصَّلاةِ معًا عندَ خاتمةِ البقَرَة، وعليهِ العَمَلُ الآنَ بحضرموت. إذا قَرَأَ قارِىءُ الرَّاتبِ «فَانْصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ»، قال مَن حَضَرَ «آمين» بالجَهْر.

قال الإمامُ النوويُّ في [كتاب الأذكار]: روَيْنَا في الصَّحيحَيْنِ عن أبي مسعود الأنصاريِّ البَدْريِّ عن ابن عمر، رضيَ اللهُ عنهما، قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: [الآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ، مَنْ قَرَأَ بِهِمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ].

واخْتلَفَ العُلماءُ في معنى «كَفَتَاهُ»، فقيلَ: كفَتَاهُ من الآفَاتِ في لَيْلتِه، وقيلَ: كَفَتَاه مِن قِيامِ لَيْلتِه. قال النوويُّ: ويَجُوزُ أن يُرَادَ بها الأمرانِ جميعًا - انتهى كلامُ النووي.

وقال البغويُّ، رحِمَه اللهُ تعالى، في تَفْسيرِه عن النُّعمان بنِ بشير، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ، قال: [إِنَّ اللهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ بِأَلْفَيْ عَامٍ، وَأَنْزَلَ مِنْهُ آيَتَيْنِ خَتَمَ بِهِمَا سُورَةَ البَقَرَةِ، فَلَا يُقْرَآنِ فِي دَارٍ فَيَقْرَبُهَا شَيْطَانٌ].

﴿قلتُ﴾ وأمَّا الزِّياداتُ الَّتي ليسَتْ مِن عادةِ سيِّدِنا صاحبِ الرَّاتِب، فلا يَنْبَغي فِعلُها، منها «ربَّنا لا تُؤَاخِذْنا . . . . » إلى آخرِ السُّورَة (ثلاثا)، رأيتُ أُناسًا اعْتادُوها، ونَهَيْناهم عنها، لأنَّها ليسَتْ مِن عادَتِه، نفَعَ اللهُ به. فمَن رَأى مَن يَفْعَلُ ذلِك، فلْيأمُرْه بتَرْكِه.

﴿تنبيه﴾ نُلحِقُ فضائِلَ سُورةِ الإخلاصِ والمُعَوِّذَتَيْنِ بِفضائِلِ الفاتِحَة، وآيةِ الكُرْسيّ، وآمَنَ الرَّسولُ . . . إلى آخِرِ السُّورَة، لأنَّ المُعوِّذاتِ آخِرَ الرَّاتِب، والفاتِحَةَ وآيةَ الكُرْسيِّ وآمَنَ الرَّسولُ أوَّلَه.

وأمَّا ما وَرَدَ في فضائِلِ سُورةِ الإخلاصِ والمُعَوِّذتَيْنِ، فقد قالَ في [الدر المنثور] عن كعبِ الأحبار: [مَنْ قَرَأَ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَد، حَرَّمَ اللهُ لَحْمَهُ عَلَى النَّارِ]. وعن كعبٍ أيضا: [مَنْ وَاظَبَ عَلَى قِرَاءَةِ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَد، وَآيَةِ الكُرْسِيِّ فِي لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ اسْتَوْجَبَ رِضْوَانَ اللهِ الأَكْبَرَ، وَكَانَ مَعَ أَنْبِيَائِهِ، وَعُصِمَ مِنَ الشَّيْطَانِ]

وعن أبي هريرة، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: [مَنْ أَتَى مَنْزِلَهُ، فَقرأَ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَد، فَكَأَنَّمَا قَرَأَ ثُلُثَ القُرْآنِ. وَمَنْ قَرَأَ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَد مَرَّتَيْنِ، فَكَأَنَّمَا قرأَ ثُلُثَي القُرْآنِ. وَمَنْ قَرَأَ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَد ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فَكَأَنَّمَا قَرَأَ جَمِيعَ مَا أُنْزِلَ].

وعن أنسٍ، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: [مَنْ قَرَأَ (أَيْ عِنْدَ دُخُولِهِ بَيْتَهُ) قُلْ هُوَ اللهُ أَحَد مَرَّةً، بُورِكَ عَلَيْهِ. وَمَنْ قَرَأَهَا مَرَّتَيْنِ، بُورِكَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ. وَمَنْ قَرَأَهَا ثَلاثَ مَرَّاتٍ، بُورِكَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَجِيرَانِهِ . . . .] إلى آخرِ الحديث، فمَن قَرَأَها، له كذا وكذا، فانظُرْهُ مع غيرِه هُناك، مَبْسوطًا كثيرًا، ولاأَظُنُّك تَجِدُ مجْموعًا مثلَه.

وفيه، قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: [مَنْ قَرَأَ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَد فِي مَرَضِهِ الَّذِي يَمُوتُ فِيهِ، لَايُفْتَنُ فِي قَبْرِهِ، وَأَمِنَ مِنْ ضَغْطَةِ القَبْرِ، وَحَمَلَتْهُ المَلائِكَةُ يَوْمَ القِيَامَةِ بِأَكُفِّهَا حَتَّى تُجِيزَهُ الصِّرَاطَ إِلَى الجَنَّةِ] أَخْرَجَه الطبرانيُّ في [الأوسط]، وأبو نُعيم في [الحلية].

وأَخْرَجَ الطَّبرانيُّ عن أبي أُمامة، قال: أتى عندَ رسولِ اللهِ ﷺ جِبْريلُ، وهو بِتَبُوك، فقالَ: يا محمَّدُ! اِشْهَدْ جنازةَ مُعاويةَ بنِ معويه المُزَني، فخَرَجَ رسولُ اللهِ ﷺ، ونَزَلَ جِبْريلُ في سَبْعِين صَفًّا مِن الملائِكَة، فوَضَعَ جَناحَه الأيْمَنَ على الجِبَال فتَواضَعَتْ، ووَضَعَ جَناحَهُ الأيسَرَ على الأَرضِ فتَواضَعَتْ، حتَّى نَظَرَ إلى مكَّةَ والمدينةِ، فصَلَّى عليه ﷺ وجِبْريلُ والملائِكَة. فلمَّا فَرَغ، قال: يا جِبْريلُ! بِمَ بَلَغَ مُعاويةُ بن معويه المُزَنيُّ هٰذه المَنْزِلَةَ؟ قال: يَقْرَأُ «قُل هو اللهُ أحد» قائِمًا وقاعِدًا، وراكِبًا وماشِيًا. وزادَ سعيدُ بن المُسيِّب في روايتِه، قال جِبْريلُ عليه السَّلام: لقد كُنْتُ أخافُ على أمَّتِك حتَّى نَزَلَتْ هذه السُّورةُ فيها. ووَرَدَ: مَحبَّتُها تُدخِلُك الجنَّة.

ورَوَى الإمامُ مالكٌ في [الموطأ] أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ سَمِعَ قارِئًا يَقْرَأُ قُل هو اللهُ أحد إلى آخرِها، فقال عليه الصَّلاةُ والسَّلام: وَجَبَتْ له الجَنَّة.

قال بعضُ العُلماء: ﴿فائدة﴾ قد ذَكَرَ لنا شيخُنا الإمامُ العبَّاس: مَن قَرَأَ الصَّمَدِيَّةَ مِائَةَ أَلْفِ مرَّةً، أَوْ قُرِئَتْ له، أو اتَّفَقَ له في عُمُرِه كُلِّه هذا العَدَد، فإنَّه يكونُ يومَ القِيامةِ

مُكفِرًا لَلتَّبِعَات، وأنَّه يُنادِي مُنادٍ: يا مادِحَ الله! اُدْخُلِ الجنَّة، فقد تَحَمَّلْنا عنك التَّبِعَاتِ - هكذا ذُكِرَ لنا. ثم بعدَ ذلك اطَّلَعْتُ على حديثِها في شَرْحِ عقيدةِ الأجهُوري، ونصُّه: ورَأَيْتُ في الرسالةِ المُسمَّاةِ بـ[القصد المتجرّد والاسم المفرد] لابنِ عطاءِ الله، مانَصُّه: ورَوَى البزَّارُ عن أنسِ بن مالكٍ، رضيَ اللهُ عنه، عن النبيِّ ﷺ أنّه قال: [مَنْ قَرَأَ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَد مِائَةَ أَلْفِ مَرَّةً، فَقَدِ اشْتَرَى بِهَا نَفْسَهُ مِنَ الله، وَنَادَى مُنَادٍ مِنْ قِبَلِ اللهِ تَعَالَى فِي سَمَاوَاتِهِ وَفِي أَرْضِهِ: أَلَا إِنَّ فُلَانًا ضَيْفُ الله، فمَنْ لَهُ تِبَاعَةٌ، فَلْيَأْخُذْهَا مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ] - انتهى.

ورأيتُ نحوَه في كتاب [عيون السر المصون] لأبي المواهبِ الشَّاذلّي، إلَّا أنَّه لم يَذْكُرِ الصَّحابِيَّ، وزادَ وذكَرَ الشيخُ الوليُّ أبو العبَّاس أحمد بن الحسن بِتِلْمِسَان في عامِ ثمانيةٍ وخمسين: إنَّ وليًّا للهِ كبيرًا بالمَغْرِب، كان ذلك وِرْدَه كُلَّ يوْم، فقُلْتُ له: أرادَ أنْ يُعْتَقَ كُلَّ يَوْم؟ فقال: نعَم، قد عَلِمْتُ، أنَّه لايُكَفِّرُ التَّبِعاتِ إلَّا قِراءةُ هذهِ السُّورةِ الشَّريفةِ بهذا العددِ المذكُور، أو الحَجُّ على مذهبِ الشَّافعيِّ، رضيَ اللهُ عنه، بِشَرْطِ أن يَموتَ في حَجِّه أو بعدَه، ولا يَقْدِرُ على الوَفاءِ وإلَّا فلاَ.

فانْظُرْ، يا أخي، هذا الفَضْلَ العظيمَ حيثُ جَعَلَ اللهُ مِن فَضْلِه لِلحُقوقِ مُكَفِّراتٍ غيرَ الاِسْتِحْلال، وإنَّما ذكَرْتُ ذلك لأنَّ حديثَ الجلالَةِ مثلكم مُخْتَلَفٌ فيه عندَ المُحدِّثين، بِخلافِ هذا الحديث، فإنَّ الظَّاهِرَ أنَّه صحيحٌ بِدليلِ أنَّ الإمامَ الأجهُوري سَلَّمَه، ولم يَتَعَقَّبْه بِشيءٍ. ومثلُ الإمامِ الأجهُوري في النَّقْل ثِقَة، واللهُ تعالى أعلَمُ بالصَّوَاب.

ووَرَدَ: اِقْرَأْ قُل هو اللهُ أحَد والمُعَوِّذتَيْن حينَ تُصبحُ وحينَ تُمسِي تَكْفِينَك مِن كُلِّ شيءٍ. ووَرَدَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ ما تَعَوَّذَ به المُتَعَوِّذون؟ قلتُ: بلى! قال: قُل أَعُوذُ بربِّ الفَلَق، وقُل أعوذُ بربِّ النَّاس. ووَرَدَ: أَيَعجِزُ أحَدُكم أنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ القُرآنِ في لَيْلَة؟ فقيلَ: ومَنْ يُطِيقُ ذلِك، يارسولَ الله؟ قال: اِقْرَأُوا قُلْ هو اللهُ أحَد، والَّذي نَفْسي بِيدِه، إنَّها لَتَعْدِلُ ثُلُثَ القُرآن.

وقال في [الدر المنثور]: وأَخْرَجَ ابنُ مردَويه والبيهقيُّ في [شعب الإيمان] عن عليٍّ، قام نبيُّنا رسولُ اللهِ ﷺ ذاتَ ليلةٍ يُصلِّي، فوضَعَ يدَه على الأرضِ، فلَدَغَتْه عقْربٌ، فتناوَلَها رسولُ اللهِ ﷺ بنعْلِه، فقتَلَها. فلمَّا انْصرَفَ، قال: لعَنَ اللهُ العَقْرَبَ، ما تَدَعُ مُصَلِّيًا ولا غيرَه، أو نبيًّا ولا غيرَه. ثم دَعا بملْحٍ وماءٍ، فجَعلَه في إناءٍ، ثم جعَلَ يَصُبُّه على إصبَعِه حيثُ لَدَغتْه، ويَمْسَحُها، ويُعَوِّذُها بالمُعَوِّذتَين. وفي لَفْظٍ: فجَعَلَ يَمْسَحُ عليها، ويَقْرَأُ قُلْ هو اللهُ أحَد، وقُلْ أَعُوذُ بربِّ الفلَق، وقُلْ أعوذُ بربِّ النَّاس.

وأَخْرَجَ مسلمٌ والترمذيُّ والنسائيُّ وابنُ الغريس وابنُ الأنباري في المصاحف، وابنُ مردويه، عن عُقبة بنِ عامر، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: [نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَاتٌ لَمْ أَرَ مِثْلَهُنَّ قَطُّ: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفلَقِ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ]. ووَرَدَ: لنْ تُقْرَأَ سُورةٌ أحَبُّ إلى اللهِ مِنْهما. ووَرَدَ: فما تَعَوَّذَ مُتَعَوِّذٌ بمثْلِهما. ووَرَدَ: ما سَأَلَ سائِلٌ، وما اسْتَعاذَ مُسْتَعيذٌ بمثْلِهما، يعني المُعَوِّذتَيْن. ووَرَدَ: اِقْرَأْ بِقُل أعوذُ بربِّ الفلَق، وقُل أعوذُ بربِّ النَّاس، فإنَّك لنْ تَقرَأَ أَبْلَغَ مِنْهما. ووَرَدَ: مِن أَحَبِّ السُّوَرِ إلى اللهِ قُلْ أَعُوذُ بِربِّ الفلَق، وقُلْ أَعُوذُ بربِّ النَّاس.

ووَرَدَ: أنَّ ثابتَ بنَ قَيسٍ اشْتَكَى، فأَتَاه رسولُ اللهِ ﷺ، وهو مَريضٌ، فرَقَاهُ بالمُعَوِّذات، ونَفَثَ عليه، وقال: «اَللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، اِكْشِفِ البَأْسَ». عن ثابتِ بن قَيس بنِ شمَّاس، ثم أَخَذَ تُرابًا مِن وَادِيهِم ذلك، يعني بُطْحَان، فأَلْقَاه في ماءٍ، فسَقَاه.

وعن عائشةَ، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان إذا اشْتَكَى قَرَأَ على نفسِه المُعَوِّذتَيْن، وتفَلَ أو نَفَثَ. وعن أنسِ بن مالكٍ، أنَّ النبيَّ ﷺ ركِبَ بَغْلَةً، فحادَتْ به، فحَبَسَها، وأَمَرَ رجُلًا أن يَقْرَأَ عليها قُلْ أَعُوذُ بربِّ الفلَق، مِن شَرِّ ما خَلَق، فسَكَنَتْ ومَضَتْ - انتهى.

﴿تنبيه﴾ ربَّما تَقِفُ على كلامِ ابنِ مسعودٍ في المُعَوِّذتَين، قال السُّيوطي في [الدر المنثور]، قال البزَّار: لم يُتابِعْ ابنَ مسعود، رضيَ اللهُ عنه أحَدٌ مِن الصَّحابَة، وقد صَحَّ عن النبيِّ ﷺ أنَّه قَرَأَ بهما في الصَّلاة، وأُثْبِتَتا في المَصاحِف - انتهى.

قال الإمامُ الغزالي في كتابه [الذهب الإبريز في خواص القرآن العزيز]: مَن أَرَادَ أن يكونَ مِن خيرِ النَّاس، ويُكْفَى شرَّ النَّاس، فلْيَقْرَأْ عندَ طُلوعِ الشَّمسِ قُل أعوذُ بربِّ النَّاسِ إلى آخِرِه - انتهى.

﴿قلتُ﴾ إذا فَهِمْتَ ما في شَرْحِ سيدِنا الوالِدِ، نفَعَ اللهُ به، من الفَوائِدِ الوارِدَةِ عنه ﷺ، فالفاتِحَةُ المُعَظَّمةُ تُقْرَأُ قبلَ الرَّاتبِ مرَّةً، وبعدَه أربعَ فواتِحَ، وسورةُ الإخلاصِ تُقْرَأُ ثلاثًا، وآيةُ الكُرْسيِّ مرةً، فمَجْموعُ ذلك: مَن قَرَأَ السُّورَة، والآياتِ الَّتي في الرَّاتِب، فكأنَّما قَرَأَ القرآنَ العظِيمَ أربعَ مرَّاتٍ، وكأنَّما قَرَأَ ثُلُثَي القُرآنِ، وكأنَّما قَرَأَ رُبعَ القرآن، غيرَ آمَنَ الرَّسولُ والمُعَوِّذتَين، كما سَبَقَ أوَّلاً عنه ﷺ أنَّ قِراءةَ الفاتِحَةِ مرَّةً تَعْدِلُ بِثُلُثَيِ القُرآن، وقِراءةَ قُلْ هو اللهُ أَحد ثلاثًا تَعْدِلُ بِخَتْمَة، وقِراءةَ آيةِ الكُرْسيِّ تَعْدِلُ رُبعَ القُرآن، وآمَنَ الرَّسولُ إلى آخِرِ السُّورَة، ذكَرْنا بعضَ فضائِلِها هٰهنا لِمَن قَرَأَ ذلك.

وذَكَرَ الشيخُ أحمد بن حجر الهيتمي في [شرح الهمزية] أنَّ عدَدَ آياتِ القُرآنِ ستَّةُ آلافٍ وستُّمِائة وستَّ عَشْرَةَ آيَةً، وحُروفُه ثلاثُمِائة ألفٍ وثلاثةٌ وعِشرون ألفًا وستُّمائةٍ وواحِدٌ وسبعُون حرفًا - انتهى. وقد وَرَدَ في الحديثِ أنَّ اللهَ يَأْجُرُكم على تِلاوتِه، يعني القُرآنَ، بكلِّ حرفٍ عشرَ حسَنَاتٍ. وفي [النصائح الدينية] لسيدنا القُطب الشيخ عبدِالله بن علوي الحدَّاد، نفَعَ اللهُ به، قال: قال عليٌّ كرَّمَ اللهُ وجهَه: مَن قَرَأَ القُرآنَ العظيمَ وهو قائِمٌ في الصَّلاة، كان له بِكلِّ حرفٍ مائةُ حسنَة، ومَن قَرأَه وهو قاعِدٌ في الصَّلاة، كان له بكلِّ حرفٍ خمسون حسنَة، ومَن قَرأَه وهو خارِجَ الصَّلاةِ وهو على طَهارَة، كان له بكلِّ حرفٍ خمسٌ وعشرون حسنَة، ومَن قَرأَه وهو على غيرِ طهارَة، كان له بكلِّ حرفٍ عشرُ حسنَاتٍ - انتهى.

فإذا قَرَأْتَ الرَّاتبَ الشَّريف، وأنتَ على طهارَة، كان لك بكلِّ حرفٍ تَقْرَأُه مِن القُرآنِ العظيمِ خمسٌ وعِشرون حسنَة. وقد تَقرَّرَ أنَّ قِراءةَ الفَواتِحِ الأَرْبعِ والفاتِحَةِ الَّتي هي أوَّلُ الرَّاتبِ الشَّريفِ وسُورةِ الإخلاصِ وآيةِ الكُرْسيِّ على ما في الرَّاتِب، فكأنَّما

قَرَأْتَ القُرآنَ العظِيمَ خمسَ مرَّاتٍ إلَّا ثلثَ خَتْمَةٍ ورُبعَ ثُلُثِ خَتْمةٍ، غيرَ فضائِلِ آمَنَ الرسولُ والمُعوِّذتينْ. ولعلَّ بفَضْلِ اللهِ ومَنِّه، إذا اجْتَمعَ الجميعُ يَبْلُغُ مبلَغًا كثيرًا، لأنَّه قد سَبَقَ أنَّ الفاتِحَةَ لو وُضِعَتْ في كِفَّةِ الميزَان، ووُضِعَ القُرآنُ في كِفَّةٍ لَرَجَحَتْ فاتحةُ الكتابِ سبعَ مرَّاتٍ، رواه ابنُ زَنْجَوَيْه، وذكَره في كتابِه [موجبات الرحمة]، لأنَّ جميعَ ما نقَلْناه منه، ومِن [الدر المنثور] للإمام السيوطي، ومن كتاب [الأذكار] للإمام النووي، رحِمَهم اللهُ تعالى ورَحِمَنا بهم، وهنا في الرَّاتِبِ تَقْرَأُ الفاتحَةَ خمسَ مرَّاتٍ. وقد صَحَّ أنَّ حُروفَ القُرآنِ العظيمِ ثَلاثُمائة ألفٍ وثلاثةٌ وعشرون ألفًا وستُّمائةٍ وواحِدٌ وسبعون حرفًا. فعدَدُ الحُروفِ إذا قَرَأَ القرآنَ العظيمَ خمسَ مراتٍ ستَّةَ عشَرَ مائةَ ألفِ حرفٍ وثمانيةَ عشَرَ ألف حرفٍ وثلاثُمائةٍ وخمسةٌ وخمسون حرفًا. وإذا كانَ مُتوضِئًا حين يَقْرَأُ الرَّاتِبَ الشَّريف، كانَ له بكُلِّ حرفٍ خمسٌ وعِشرون حسنَة، فافْهَمْ فُدِيتَ، فَليسَ مَن يَفهَمُ كَمَن لايَفْهَم. فكَمْ لِقارىءِ الرَّاتِبِ من الحسنَاتِ الكثِيرَة، وكلُّها وارِدَةٌ عن النبيِّ ﷺ. وقد ورَدَ عنه ﷺ: [مَنْ قَرَأَهُ (يَعْنِي القُرْآنَ) صَادِقًا مُحْتَسِبًا أُعْطِيَ عَنْ كُلِّ حَرْفٍ زَوْجَةً مِنَ الحُورِ العَيْنِ]، فلِلَّه الحمدُ والمِنَّة.

وقد طالَ الكلامُ، ومُرادُنا الإيجاز، وسنُلَخِّصُ لَك ما في شَرْحِ سيِّدِنا الوالِد وغيرِه مِن الفَضائِلِ على أذكارِ الرَّاتِبِ على تَرْتيبِ قِراءتِه مع شَرْحِ قَوْلِهم. ﴿مَطلب﴾ الرَّاتِبُ هو مَأخوذٌ من تَرْتيبِ الجَماعَة.

فإذا كانَ في القَرْيةِ جُندٌ يَحْمُونها، قيلَ لهم «رَتَبَة»، وإذا كانَ واحِدٌ، قيلَ له «راتِب»، أي دائِمٌ لايَنْفَكُّ عن حِمايَتِه، وهذا مُناسِبٌ للمعنَى، أو هو مَأْخوذٌ مِن دَوَامِ المُلازَمَة. وقال في القاموس: رتَبَ رَتُوبًا = ثَبَتَ، ولم يَتحَرَّكْ كتَرَتَّبَ ورَتَّبْتُه أنا تَرْتيبًا، والتُّرْتُبْ كقُنْفُذْ وجُنْدُب = الشيءُ المُقيمُ الثَّابِت. وقال أهلُ اللُّغة: وأَصْلُ التَّرْتيبِ مِنْ رتَبَ (بتخفيف التاء) رَتُوبًا إذا ثَبَتَ ولم يَتحَرَّكْ. وقولُهم: رتَبَ الأمرُ إذا ثَبَتَ واسْتَقام، فهو مُسْتَقيمٌ دائِمًا.

﴿جوهرةٌ فائقة﴾ قال الشيخُ زَرُّوق في شَرْحِه على حزبِ البَحْر: فأَحْزَابُ المَشائِخِ أهلِ الكَمالِ مَمْزُوجةٌ بِأحوالِهم، مُسَدَّدةٌ بإلهامِهم، مَصْحُوبةٌ بِكَراماتِهم، جامِعةٌ بينَ إفادةِ العِلْم، وأدَبِ التَّوَجُّه، وتَعْريفِ الطَّريق، وتَلْوِيحِ الحَقيقَة، وذِكْرِ جلالِ اللهِ وعَظَمَتِه وكِبْرَيائِه، وذِكْرِ حقارةِ النَّفْسِ، والتَّذْكيرِ بالعُيوبِ والذُّنوب، فهي تَعْليمٌ في قالَبِ التَّوجُّه، وتوَجُّهٌ في قالَبِ التَّعْظيم، فلا يَسْمَعُ أحدٌ من كلامِها شيئًا إلا وجَدَ له أثرًا في نَفْسِه، ما لم يكُنْ مَشْغولاً بِبَلْوَى، أو مَعْروفًا بِدَعْوَى، أعاذَنا اللهُ من البلَاء – انتهى كلامُه نفَعَ اللهُ به.

﴿الذكرُ الأول﴾

قولُ صاحِبِ الرَّاتِب، نفَعَ اللهُ به - «لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَحْدَهُ لَاشَرِيكَ لَه، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْد، يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير» - (ثلاثا). ﴿قال في الشرح﴾ قال في [الأذكار] للنوويِّ عنه ﷺ: مَن قالَها كان له عِدْلُ عِتْقِ رقَبَةٍ مِن وَلَدِ إسمٰعِيل، صلى اللهُ على نبيِّنا وعليه وسلَّم، وكُتِبَ له عشرُ حسنَات، وحُطَّ عنه عشرُ سيِّئات، ورُفِعَ له عشْرُ درجَات، وكان في حِرْزٍ مِنَ الشَّيْطانِ حتَّى يُمسِيَ. وإنْ قالَها مسَاءً، كان له مِثلُ ذلك حتَّى يُصبِحَ. فافْهَمْ، فمَن قالَ ذلك ثلاثًا على ما في التَّرْتِيب، فكأنَّما أَعْتَقَ ثلاثَ رِقابٍ مِن ولَدِ إسمٰعيلَ.

وفي الحديثِ: أنَّ مَنْ أَعْتقَ رقَبَةً مِن ولدِ إسمٰعيلَ، عليه السَّلام، فكأنَّما أَعْتَقَ اثنتَيْ عَشْرةَ رقَبَةً مِن غيرِ ولَدِ إسمٰعيلَ، وثلاثَ رِقابٍ من ولدِ إسمٰعيلَ، عَن ستٍّ وثلاثين رَقَبة من غيرِ ولدِ إسمٰعيلَ، وله ثلاثُون حسنَة، وتُحَطُّ عنه ثلاثُون سيِّئَة، وتُرْفَعُ له ثلاثُون درجَة. ووَرَدَ: أنَّ اللهَ يَنْظُرُ إلى قائِلِها، وتَعْدِلُ له عِتْقَ نَسْمَة، وأنَّه لايَسْبِقُها عَمَل، ولا يَبْقَى معها سيِّئَة، وأنَّها خيرُ ما قالَه عليه الصَّلاةُ والسَّلام، وخيرُ ما قالَه النَّبِيُّون عليهم الصَّلاةُ والسَّلام - انتهى من [شرح الوصية] لسيدِنا الإمام أحمد بن زين الحبشي، نفعَ اللهُ به.

قال الشَّيخ محمد بن سليمان الكُردي في جوابِ سُؤالٍ له: ورَأَيْتُ في [سُنن أبي داود]، عن أبي عيَّاش، أو قال حمَّاد عن أبي عيَّاش، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ، قال: [مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَه، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير»

كانَ له عِدْلُ رقَبَةٍ مِن ولدِ إسمٰعيل، وكُتِبَ له عَشْرُ حسنَات، وحُطَّ عنه عشْرُ سيِّئات، ورُفِعَ له عَشْرُ درجَات، وكان في حِرْزٍ من الشَّيْطانِ حتَّى يُمسِيَ. وإنْ قالَها إذا أَمْسَى كان له مِثْلُ ذلك حتَّى يُصبحَ.

وقال في حديث حمَّادٍ: «رَأَى رجُلٌ رسولَ اللهِ ﷺ فيما يَرَى النَّائِمُ، فقالَ: يا رسولَ الله! إنَّ أبا عيَّاشٍ يُحدِّثُ عنك بِكذا وكذا. قال: صَدَقَ أبو عيَّاش . . . إلى آخرِ ما قالَه أبو داود. قال الحافِظ ابنُ حَجر: هذا حديثٌ حسن صحيحٌ، أَخْرَجَه عن أحمد - انتهى.

واعْلَمْ أنَّ هذا الذِّكْرَ الأَوَّلَ أعظمُ أذكارِ الرَّاتبِ الشَّرِيف، ولم نُطوِّلْ في شَرْحِه، لأنَّ غالِبَ الأذكارِ الآتِيَةِ يَحْتَوي عليها هذا الذِّكْرُ العظِيم، ويَكْفِيك من فَضْلِه أنَّه خيرُ ما قالَه عليه الصَّلاةُ والسلام، وخيرُ ما قالَه النَّبِيُّون، ولا يَسْبِقُه عَمَل، ولا تَبْقَى معه سيِّئَة، ولأنَّ اللهَ يَنْظُرُ إلى قائِله، ومَن نَظَرَ إليه لم يُعذِّبْه. وسيَأْتِي إنْ شاءَ اللهُ في «لا إله إلَّا اللهُ» الذِّكرِ الثامنَ عشرَ مَزيدُ بَسْطٍ على ما هنا، ومِن [إحياء علوم الدين] من كتاب التَّوْحيدِ والتَّوكُّل.

اعْلَمْ أنَّ التَّوكُّلَ مِن أبوابِ الإيمَان، وجميعُ أبوابِ الإيمانِ لاتَنْتَظِمُ إلَّا بعِلْمٍ وحالٍ وعَمَلٍ، والتَّوكُّلُ كذلك يَنْتَظِمُ مِن علمٍ هو الأصْلُ، وعمَلٍ هو الثَّمرَةُ، وحالٍ هو المُرادُ باسْمِ التَّوكُّل.

فلْنَبْدَأْ ببيانِ العلمِ الَّذي هو الأصلُ، وهو المُسمَّى إيمانًا في وَضْعِ أَصْلِ اللِّسان، إذِ الإيمانُ هو التَّصْدِيق، وكلُّ تصديقٍ بالقلبِ فهو عِلْم، وإذا قوِيَ سُمِّيَ اليَقِينَ، ولكنَّ أبوابَ اليقينِ كَثِيرة، ونحن إنَّما نَحْتَاج منها على ما يُبْنَى عليه التَّوكُّل، وهو التَّوْحيدُ الَّذي يُتَرْجِمُه لسانُك بِقولك «لا إله إلَّا اللهُ وحدَهُ لا شرِيكَ له»، والإيمانُ بالقُدرةِ الَّتي يُتَرْجِمُ عنها قولُك «لَه المُلْكُ»، والإيمانُ بِالوُجودِ والحِكْمةِ الَّذي يدُلُّ عليه قولُك «وله الحمدُ». فمَن قال «لا إله إلَّا الله، وحدَهُ لا شرِيكَ له، له المُلْكُ وله الحمدُ، وهو على كلِّ شيءٍ

قدِير» فَقَد تَمَّ له الإيمانُ الَّذي هو أصلُ التَّوَكُّل، أعني أنْ يَصِيرَ معنى هذا القول وَصْفًا لازِمًا لِقَلبِه غالِبًا عليه.

فأمَّا التَّوْحيدُ، فهو الأصلُ، والقَوْلُ فيه يطُول، وهو مِن علم المُكاشَفَة، ولكنَّ بعضَ علوم المُكاشَفات يَتعَلَّقُ بالأعْمال بواسطةِ الأحوَال، ولا يُسمَّى عِلْمَ المُعامَلةِ إلا بِه. فإذَنْ لانَتَعَرَّضُ إلَّا للقَدْرِ الَّذي يَتعَلَّقُ بعلم المُعاملَة، وإلَّا فالتَّوْحِيدُ هو البَحْرُ الخِضَمُّ الَّذي لا ساحِلَ له. فنقولُ: التَّوْحيدُ أربعُ مَراتِب، وهو يَنْقَسم إلى لُبٍّ، وإلى لُبّ اللُّبِ، وإلى قِشْرٍ، وإلى قِشْرِ القِشْرِ. ولْنُمَثِّلْ ذلك تقريبًا إلى الأَفْهام الضَّعيفةِ بالجَوزِ واللَّوزِ في قِشْرَتِه العُليا، فإنَّ له قِشرَيْنِ، وله لُبٌّ، ولِللُّبِّ دُهنٌ، وهو لُبُّ اللُّبِّ.

فالمَرْتبةُ الأولى من التَّوحيد: أنْ يقولَ الإنسانُ باللِّسانِ «لا إله إلَّا الله» وقلبُه غافِلٌ عنه، أو مُنكِرٌ له، كتَوْحيدِ المُنافقِين.

والمَرْتبةُ الثانية: أنْ يُصدِّقَ بمعنى اللَّفظِ قلبُه، كما صَدَّق به عُمومُ المسلمين، وهو اعْتِقادُ العَوامّ.

والمَرْتبةُ الثالثة: أن يُشاهِدَ ذلك بطريقِ الكَشْف بواسطةِ نورِ الحَقّ، وهو مَقامُ المُقَرَّبين، وذلك بأنْ يرى أشياءَ كثيرَة، ولكنَّه يَرَاها على كَثْرَتِها صادِرةً من الواحِدِ القهَّار.

والمَرْتبةُ الرابعة: ألَّا يرَى في الوُجودِ إلَّا واحِدًا، وهو مُشاهدةُ الصدِّيقين، وتُسمِّيه الصُّوفيَّةُ الفَناءَ في التَّوْحيد، لأنَّه مِن حيثُ لايَرَى إلَّا واحِدًا، فلا يرَى نفسَه أيضًا. وإذا لم يَرَ نَفْسَه لكونِه مُسْتغرَقًا بِالواحِد، كان فانِيًا عن نَفْسِه في تَوْحيدِه، بمعنى أنَّه فَنِيَ عن رُؤْيَةِ نَفْسِه.

فالأوَّلُ مُوَحِّدٌ بِمُجرَّدِ اللِّسان، وذلك التَّوْحيدُ يَعْصِمُ صاحِبَه في الدُّنيا عن السَّيْفِ والسِّنان.

والثاني مُوَحِّدٌ بمعنى أنَّه مُعتقِدٌ بقَلبِه، مَفْهُومٌ بِلَفظِه، وقَلْبُه خالٍ عن التَّكْذيبِ بما

انْعَقَدَ عليه قلبُه، وهو عَقْدَةٌ على القَلْبِ ليس فيه انْشِرَاحٌ وانْفِسَاحٌ، ولكنّه يَحْفَظُ صاحِبَه عن العذابِ في الآخرةِ إنْ تُوُفِّيَ عليه، ولم تَضْعُفْ بالمعاصِي عقيدَتُه، ولهذا القَصْدِ حِيَلٌ بها تَضْعِيفُه وتَحْلِيلُه تُسمَّى بِدْعَةً، وله حِيَلٌ يُقصَدُ بها دَفْعُ حيلةِ التَّحْليلِ والتَّضْعِيف، ويُقصَدُ بها أيضًا إحكامُ هذه العُقْدَة، وشَدُّها على القلبِ ويُسمَّى كلامًا، والعارِفُ بها يُسمَّى مُتكلِّمًا، وهو في مُقابَلَةِ المُبْتَدِعِ عن تَحْليلِ هذه العَقِيدةِ عن قُلُوبِ العوَامِّ. وقد يَخْتَصُّ المُتكلِّمُ باسمِ المُوحِّدِ من حيثُ إنَّه يَحْمِي بِكلامِه مَفْهومَ لفظِ التَّوْحيد على قُلوبِ العَوامِّ حتّى لاتَنْحَلَّ عُقَدُه.

والثالث مُوحِّدٌ بمعنى أنَّه لم يُشاهِدْ فاعلاً واحدًا، فإذا انْكَشَفَ له الحقُّ، كما هو عليه، ولا فاعِلَ بالحقيقةِ إلَّا واحِدٌ، انْكَشَفَ له الحقيقةُ كما هي عليه، لأنَّه كلَّفَ قلبَه أنْ يَعْقِدَ على مَفْهومِ لفظِ الحقِيق، فإنَّ ذلك رُتْبةُ العَوامِّ والمُتكلِّمين، إذا لم يُفارِقِ المُتكلِّمُ العامِيَّ في الاِعْتِقاد، بل في صَنْعَةِ تَلْفيقِ الكلامِ الَّذي تَدفَعُ حِيَلَ المُبْتدعِ في تَحْليلِ العقَائِد.

الرابع مُوَحِّدٌ بمعنى أنَّه لم يَحْضُرْ في شُهودِهِ غيرُ الواحِد، فلا يَرَى الكلَّ من حيثُ إنَّه كثِير، بل من حيثُ إنَّه واحِد، وهذه هي الغايةُ القُصْوى في التَّوْحِيد.

فالأولُ كالقِشْرةِ العُليا من الجَوز، والثاني كالقِشْرةِ السُّفلى، والثالث كاللُّبِّ، والرَّابع كالدُّهْنِ المُسْتخرَجِ من اللُّبِّ. وكما أنَّ القِشْرَةَ العُليا لا خيرَ فيها، بل إنْ أُكِلَتْ فهي مُرَّةُ المَذَاق، وإنْ نُظِرَ إلي باطِنِها فهي كريهةُ المَنْظَر، فإنْ اتُّخِذَ حَطبًا طَفَا النَّارَ وأَكثَرَ الدُّخان، وإنْ تُرِكَ في البيتِ ضَيَّقَ المَكان، فلا يَصْلُحُ إلَّا أنْ يُتْرَكَ مُدَّةً على الجَوزِ لِصَوْنِهِ له، ثم يُرْمَى به عنه، فكذلِك التَّوْحيدُ بمُجرَّدِ اللِّسانِ دونَ التَّصْدِيقِ بالقَلْب، عدِيمُ الجَدْوَى، كثيرُ الضَّرَر، مَذْمومُ الظَّاهِرِ والباطِن، ولكنَّه يَنْفَعُ مُدَّةً في حِفْظِ القِشْرةِ السُّفلى إلى وقتِ المَوْت، والقِشْرةُ السُّفلى هي القَلْبُ والبَدَن. وتَوْحيدُ المُنافقِ تَصُونُ به بدَنَه عن سَيْفِ القُرآن، لأنَّهم لم يُؤمَروا بِشَقِّ القُلُوب، والسَّيفُ إنَّما يُصِيبُ جسمَ

البَدَن، وهو القِشْرَة، وإنَّما يَتجرَّدُ عنه بالمَوْت، فلا يَبْقى لِتَوْحيدِه فائِدةٌ بعدَه. وكما أنَّ القِشْرةَ السُّفلى ظاهِرةُ النَّفْعِ بالإضافةِ إلى القِشْرةِ العُليا، فإنَّها تَصُونُ اللُّبَّ وتَحْرُسُه عن الفَسَادِ عندَ الإدِّخار، وإذا فُصِلَ أَمْكَنَ أنْ يُنْتَفعَ به حَطَبًا، لكنَّه نازِلُ القَدْرِ بالإضافةِ إلى اللُّبّ. فكذلك مُجَرَّدُ الاعْتِقادِ من غيرِ كَشْفٍ كثيرُ النَّفعِ بالإضافةِ إلى مُجرَّدِ نُطقِ اللِّسان، ناقِصُ القَدْرِ بالإضافَةِ إلى الكَشْفِ والمُشاهدَةِ الَّتي تَحْصُلُ بانْشِراحِ الصَّدرِ وانْفِساحِه، وإشْرَاقِ نُورِ الحقّ فيه، إذ كانَ ذلِك الشَّرحُ هو المُرَاد، لقولِه تعالى: [فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ]، ولقولِه تعالى: [أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّه].

وكما أنَّ اللُّبَّ نفيسٌ في نَفْسِه بالإضافَةِ إلى القِشْرِ، وكأنَّه المقصُود، ولكنَّه لايخلُو عن شَوْبِ عُصارةٍ بالإضافةِ إلى الدُّهنِ المُسْتخرَجِ منه، فكذلك توحيدُ الفِعلِ مَقْصودٌ بحالٍ لِلسَّالكِين، ولكنَّه لايخلُو عن شَوْبِ مُلاحظةِ الغَيْرِ والالْتِفاتِ إلى الكَثْرةِ بالإضافةِ إلى مَن لا يُشاهِدُ سوى الواحِدِ الحَقِّ - انتهى.

ورَوَى الثعلبيُّ في تفسيره عن علّي بنِ الحسين، قال: كان رَجُلٌ غزَا في سبيلِ الله، وكان إذا خَلَا المكانُ قال «لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له». فبَيْنَما هو ذاتَ يومٍ في أَرْضِ الرُّومِ في مَوْضِعٍ فيه خَلْقٌ وتَردَّى ورَفَعَ صوتَه بقولِ «لا إله إلَّا اللهُ وحدَه لا شَرِيكَ له» خرَجَ عليه شَخْصٌ على فَرَسٍ، عليه ثِيابٌ بِيضٌ، فقال: يا عبدَالله! ماذا قلتَ؟ قال: قلتُ الَّذي سَمِعْتَه. قال: والَّذي نَفْسي بيدِه، إنَّها الكلِمةُ الَّتي قالَ اللهُ تعالى: [مَنْ جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ].

ومِن كتاب [جامع أسرار أسباب الخيرات ومُثير عزم أهل الكسل والفترات] للشيخ الإمام محمد بن عبدالله بن سعد بن موسى العمراني، عن ابن عباسٍ، رضِيَ اللهُ عنهما، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: [مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَه، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير» كَانَ لَهُ عِدْلُ رَقَبَةٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَعِيلَ، وَكُتِبَ لَهُ

عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَحُطَّ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ، وَرُفِعَ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ، وَكَانَ فِي حِرْزٍ مِنَ الشَّيْطَانِ حَتَّى يُمْسِيَ. وَمَنْ قَالَهَا إِذَا أَمْسَى كَانَ لَهُ مِثْلُ ذٰلِكَ حَتَّى يُصْبِحَ].

وعن أنسِ بنِ مالكٍ، رضيَ اللهُ عنه، قال، قال رسولُ اللهِ ﷺ: [مَنْ قَالَ «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَه» قَالَ اللهُ لِكَاتِبِ صَحِيفَتِهِ: أُكْتُبْهَا لِعَبْدِي فِي آخِرِ صَحِيفَتِهِ، وَأمْحُ مَاتَقَدَّمَهَا مِنْ سَيِّئَاتِهِ، فَإِنْ أَوْصَلَهَا بِسُورَةِ الإِخْلَاصِ فَقَالَ «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَه، بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ. قُلْ هُوَ اللهُ أَحَد ... إلى آخرها ... عَشْرَ مَرَّاتٍ كَتَبَ اللهُ لَهُ أَلْفَيْ أَلْفِ حَسَنَةٍ. فَإِنْ قَالَهَا عِشْرِينَ مَرَّةً كَتَبَ اللهُ لَهُ أَرْبَعَةَ آلَافِ أَلْفِ حَسَنَةٍ. وَإِنْ قَالَهَا خَمْسِينَ مَرَّةً غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ. وَإِنْ قَالَهَا مِائَةَ مَرَّةٍ رُفِعَ عَمَلُهُ فِي عَمَلِ النَّبِيِّينَ] - انتهى.

ومن كتاب [بهجة المحافل] للإمام يحيى بن أبي بكر العامري، قال في القِسم الثالثِ في الفصلِ في فضلِ الجمع على الذِّكر، قال: وقد رَأَيْتُ أنْ أَخْتِمَ ذلك بِخمسةِ أذكارٍ مُنتَقاةٍ من الصِّحاح، عظيمَةِ الأَرباح، مُفصِحَةٍ وُعودُها باليُمنِ والفلَاح:-

أوَّلُها: «لا إلٰهَ إلَّا اللهُ، وحدَهُ لا شَريكَ له، لَهُ المُلْكُ وله الحمدُ وهو على كُلِّ شيءٍ قديرٌ».

وثانيها: «سُبْحانَ الله، والحَمْدُ لله، ولا إلٰهَ إلَّا الله، واللهُ أَكْبَرُ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا باللهِ العَليِّ العظيمِ».

ثالثُها: «سُبحانَ اللهِ وبِحَمده، سبحانَ اللهِ العظيمِ».

رابعُها: «ربِّ اغفِرْ لي، وتُبْ عليَّ، إنَّك أنتَ التوَّابُ الرَّحيمُ».

خامسُها: «اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّمْ على سيدِنا محمَّدٍ، وعلى آلِ محمَّد، كما صلَّيت على إبراهيمَ، وعلى آلِ إبراهيمَ، إنَّكَ حميدٌ مجيدٌ».

فهذه الأذكارُ الخمسةُ قد جَمعتْ أَفْضَلَ أَنْواعِ التَّهْلِيل، وأَفْضَلَ أَنْواعِ التَّسْبيح. ومِن أَفْضَلِ أنواعِ الإسْتِغفارِ في اخْتِصار، وأخصرَ كَيْفِيَّاتِ الصَّلاةِ على النبيِّ ﷺ في

تَمام، ولِكُلّ ٍ منها شَرْحٌ طويلٌ ممَّا يُقطَعُ بِصحَّتِه، فهي أَفْضَلُ الأذكارِ بعدَ القُرآن، فيَنْبَغي لكلّ ِ مُتديِّنٍ مُلازمتُها كلَّ يَوْم، واتِّخاذُها وِردًا يُطالِبُ بها نَفْسَه، ويَأْسَفُ عليها إنْ فاتَتْه.

ويَنْبغي له أنْ يَأْتيَ بكلّ ِ ذكرٍ منها مِائةً، وأنْ يَأْتِيَ بها أَوَّلَ نهارِه، لتكونَ حِرزًا له بَقِيَّةَ يومِه. وأرجُو أنَّ مَن وُفِّقَ للعملِ بها، وأُثبِتَتْ كلَّ يومٍ في صحِيفةِ أعمالِه أن يكونَ ممَّن لَقَّاه اللهُ اليُمْنَ والبركةَ، وجَنَّبَهُ الشُّؤْمَ والهلَكة، وغلَبَتْ سيِّئاتِه حسناتُه، وباللهِ سبحانه التَّوفيق.

وقال في أوَّلِ الفصلِ: روَيْنا في صحيح البخاري ومسلمٍ، رحِمَهما اللهُ تعالى، عن أبي هريرة، رضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: [إنَّ لِلهِ تَعَالَى مَلائِكَةً، يَطُوفُونَ في الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللهَ تَعَالَى، تَنادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ فَيُحْفُونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا . . . . .] إلى آخِرِ الحديث.

وقد تقَدَّم عندَ نقلِ الشجَّار الأحسائي، أحمد بن عبدالكريم، عندَ ذكرِه للرَّاتِب، وفَضِيلةِ الجَمعِ على ذِكْر، قال الشجَّار: وقولُ الملائِكَةِ في حديثِ البخاريِّ ومسلمٍ، لمَّا قال اللهُ سُبْحانه وتعالى لهم: ما يَقُولون عِبادِي؟ قالوا: يُسَبِّحونَكَ ويُكَبِّرونَكَ ويَحْمَدونَكَ ويُهَلِّلونَكَ ويُمَجِّدونَكَ! - هو ما في الرَّاتِب مِن قولِ «سُبْحَانَ الله، وَالحَمْدُ لِله، وَلاَ إِلَهَ إلَّا الله، واللهُ أَكْبَر»، فإنَّه مُؤَسَّسٌ ومَبنيٌّ على هذا وأَمْثالِه ممَّا هو في مَعْناه. قولُهم: ويَسْأَلونكَ الجنَّة، ويَسْتَعِيذونَكَ من النَّار! - فهو ما خُتِمَ به الرَّاتِبُ مِن سُؤالِ الجَنَّة، والاِسْتِعاذةِ من النَّار، كما هو أيضًا خاتِمَةُ الحديث، فافْهَمْ ذلك - انتهى.

وآخِرُ الحدِيث، فيقولُ: فأُشْهِدُكم أنِّي قد غَفَرْتُ لهم! - قال: يقولُ ملَكٌ من الملائِكَة: فيهِمْ فُلانٌ ليسَ مِنْهم، إنَّما جاءَ لِحاجَة. قال: هُمُ الجُلَساءُ لا يَشْقَى بهم جَلِيسُهم.

فما أَعْظَمَ، يا أخي، مِن هذا الرَّاتِب، وقد نبَّهْنا أوَّلًا على الحُجَجِ القَواطِعِ في

الإجْتِماعِ على الذِّكْر، فانْظُرْهُ هناك، ونَذْكُرُ هنا شيئًا مِن فضلِ كلِّ ذِكْر، لأن ذلك بُحُورٌ زاخِرَة، مُسْتَمَدَّةٌ من كِتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ، ومِن سنَّةِ النبيِّ محمدٍ ﷺ، ومِن آثارِ الصَّحابَة، رضِيَ اللهُ عنهم، وأقْوالِ العُلَماء، رحِمَهم اللهُ تعالى. ومُرادُنا الفَضائِلُ لا غيرَ، لأجلِ ترغيبِ الخاصَّةِ والعامَّة، ولو أَرَدْنا تفْسيرَ الألفَاظ، وتحقِيقَ المعنَى، احْتَاجَ كلُّ ذِكرٍ من هذا الرَّاتِب مجلَّدًا مستقِلًّا، واللهُ أعلَم.

وقولُ صاحبِ الرَّاتِب، نفَعَ اللهُ به، (ثلاثًا)، وفي «يَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَام» - (سبعًا)، و«أَسْتَغْفِرُ الله . . . . » الخ - (أربعًا)، وفي «لَا إِلَهَ إِلَّا الله» - (خمسين)، ولا حَدَّ لأكثرِه، وجميعُ ما يُقْرَأُ في الرَّاتبِ من القرآنِ مرَّةٌ مرَّةٌ، إلا سورةَ الإخلاص (ثلاثًا) - قال الإمامُ الكبيرُ أحمد بن محمد التونسي، عُرِفَ بزرُّوق، في كتابِه [تأسيس القواعد والأصول]- ﴿قاعدة﴾ ما خَرَجَ مَخْرَجَ التَّعْليمِ وُقِفَ به على الوارِدِ مِن غيرِ زِيادةٍ ولا نَقْص. ولقد رُوِيَ أنَّ رجُلًا كان يَذكرُ في دُبُرِ كلِّ صلاةٍ «سبحانَ الله - والحمدُ لله - واللهُ أكبر» مائةَ مرةٍ من كلِّ واحدةٍ، وكان قائِلًا يقولُ: أينَ الذَّاكِرُون أَدْبارَ الصلواتِ؟ فقامَ. فقِيلَ له ارجِعْ فلسْتَ منهم، إنَّما هذه لِمَنِ اقْتَصَرَ على الثَّلاثِ والثَّلاثِين، فكلُّ ما ورَدَ فيه عددٌ قَصُرَ عليه، وكذا اللَّفظُ. نعَمْ، اخْتُلِفَ في زيادةِ سيدِنا في الوارِدِ مِن كَيْفِيَّةِ الصَّلاةِ عليه ﷺ، والوجهُ أنْ تَقْتَصِرَ على لفظِه حيثُ يُعتَدُّ به، ويَزْدادُ حيثُ ما يُرادُ الفضلُ في الجُمْلَة.

وقال ابنُ العربي في زيادةِ «وارحمْ محمدًا» إنَّه قرِيبٌ من بِدْعَة، وذكَرَه في العارِضَة، واللهُ أعلَم.

﴿قاعدة﴾ إقامةُ الورِدِ وقتَه عندَ إمكانِه لازِمٌ لِكلِّ صادِق، فإذا عارَضَه عارِضٌ سُرَّ به. وأمَّا واجِبٌ من الأُمورِ الشَّرعيَّةِ لَزِمَ إنفاذُه بعد التَّمَسُّكِ بما هو فيه جُهدَه من غيرِ إفراطٍ مُخِلٍّ بواجبِ الوَقْت، ثم يَتَعيَّنُ تَدارُكُه بمثلِه لِئلَّا يَعْتادَ البطالَة، ولأنَّ اللَّيلَ والنهارَ خِلْفَةٌ، والأوقاتُ كلُّها لله، فليسَ لِلاخْتِصاصِ وجهٌ إلَّا مِن حيثُ ما خُصِّص.

فمِن ثَمَّ، قال بعضُ المَشائخ: ليس عندَ ربّكم ليلٌ ولا نهارٌ يستَتِر لِلكَونِ بحكمِ الوَقْت، لا مايفهَمُه البطَّالُون من عدَمِ إقامةِ الوِرد. وقيل لِبعضِهم، وقد رُؤيَتْ بيدِه سُبحَةٌ: أَتعُدُّ عليه؟ قال لا، ولكنْ أُعُدُّ له، فكلُّ مُريدٍ أهمل أوقاتَه فبطَّالٌ، وكلُّ مُريدٍ يتعلَّقُ بأوقاتِه دون نَظرٍ للحُكمِ الإلٰهيّ، فهو فارِغٌ من التَّحْقِيق، ومَن لا يُعْرَفُ بواردِ الأحوالِ عليه، فهو غيرُ صادِقٍ بل هو غافِلٌ، ولذلك قيل: مَن وَجدَ قبْضًا وبَسْطًا لايُعرَفُ به سَبَبٌ، فلِعدمِ اعْتِنائِه بقَلْبِه، وإلَّا فهُما لايَرِدَانِ دونَ سَبَب، والله أعلَم.

﴿الذكر الثاني﴾

قولُ صاحبِ الرَّاتِب، نفَعَ اللهُ به، «سُبْحَانَ الله، وَالحَمْدُ لِله، وَلَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَاللهُ أَكْبَر» - (ثلاثًا)، قال في الشَّرْح: فهنَّ الباقِياتُ الصالِحاتُ، كما ورَدَ في الحديثِ الصَّحِيح: فما أَعْظَمَ وما أَكْمَلَ وما أَشْرَفَ وما أَفْضَلَ ثناءَ اللهِ عزَّ وجلَّ على الباقِياتِ الصالِحاتِ في قولِه تعالى: [وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا]. وفي الآيةِ الأُخْرى [مَرَدًّا]. وقد قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: [لَأَنْ أَقُولَ «سُبْحَانَ الله، وَالحَمْدُ لِله، وَلَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَاللهُ أَكْبَرُ» أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ]. وعنه ﷺ: [إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الجَنَّةِ، فَارْتَعُوا! قِيلَ: يَا رَسُولَ الله! وَمَا رِيَاضُ الجَنَّةِ؟ قَالَ: سُبْحَانَ الله، وَالحَمْدُ لِله، وَلَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَاللهُ أَكْبَرُ].

ووَرَد: أنَّه ﷺ مرَّ على شَجرةٍ يابِسةِ الوَرَق، فضَرَبَها بِعَصاه، فتَنَاثرَ الورَق، فقال: إنَّ الحمدَ لِله، وسُبحانَ اللهِ ولا إلَهَ إلا اللهُ واللهُ أكبرُ تُساقِطُ ذُنوبَ العبدِ، كما تَساقَطُ ورقُ هذه الشجرَة - أَخْرَجَه الترمذي.

وقال صاحِبُ الرَّاتِب في نصائِحِه: ومِن أَفْضَلِ أنواعِ الذِّكرِ وأَجْمَعِها قولُ «سُبحانَ الله، والحمدُ لِله، ولا إلَهَ إلا الله، واللهُ أكبرُ». قال عليه الصَّلاةُ والسلامُ: لَقِيتُ إبراهيمَ ليلةَ أُسْرِيَ بي، فقالَ لي: يا محمَّدُ! أَقرِئْ أُمَّتَك منِّي السَّلامَ، وأَخبِرْهُم أنَّ الجَنَّةَ طيِّبةُ التُّربَةِ، عَذْبَةُ الماءِ، وأنَّ غِراسَها سُبحانَ الله، والحمدُ لِله، ولا إلَهَ إلَّا الله، واللهُ أكبرُ. وقال عليه الصَّلاةُ والسلامُ: هذه الكلماتُ الأَربعُ مَن قالَهُنَّ غُرِسَتْ له بكلِّ واحِدةٍ شَجَرةٌ في الجنَّة. وفي [شرح الوصية] ورَدَ في «سُبحانَ الله، والحمدُ لِله، ولا إلَهَ

إلَّا الله، واللهُ أكبرُ» يحُطُطْنَ الخطَايَا، كما تَحُطُّ الشَّجرةُ ورَقَها. ووَرَدَ: أَنَّها مُوجِبةٌ لِلجَنَّة، وأَنَّها غِراسُ الجَنَّة، وأنها أَحَبُّ الكلامِ إلى الله، وأنها أَفْضَلُ الكلَام، وأَنَّها تَعْدِلُ مِائة رقَبَة، ومِائةَ فرسٍ مُلجَمةٍ مُسْرِعَةٍ في سبيلِ الله، ومائةَ بدَنةٍ مُقلَّدةٍ مُتقبَّلَة، ولا تَذَرُ ذنبًا، ولا يَسْبِقُها عَمَلٌ، وأنَّها تُجزي عن القرآنِ - فَأَفْهَمَ أنَّ هذا لِمَن قالها مرَّةً. فمَن قالَها ثلاثًا فله ثلاثُمائة بدَنَةً مُقلَّدةً مُتقبَّلَة.

ومن كتاب [موجبات الرحمة] للإمام الردَّاد، قال: ووَرَدَ عنه عليه الصَّلاةُ والسلام: خُذُوا جُنَّتَكم! قالوا: يا رسولَ الله! مِنْ عدوٍّ قد حَضَرَ؟ قال: لا، ولٰكنْ جُنَّتُكم من النَّار، قولوا: «سُبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إلٰهَ إلَّا الله، واللهُ أكبَر»، فإنَّهُنَّ يَأْتِينَ يومَ القِيامةِ مُجنَّباتٍ مُعقِّباتٍ، وهُنَّ الباقِياتُ الصالِحات - انتهى.

وعنه ﷺ، أنَّه كان يقول: ألَا أُخبِرُكم عن وصيَّةِ نوحٍ ابنَهُ حينَ حضَرَه المَوْت، فقَال: إنِّي واهِبٌ لك أربعَ كلِماتٍ، بهِنَّ قيامُ السَّمٰواتِ والأرضِ، وهُنَّ أوَّلُ كلماتِ دُخولٍ على الله، وآخِرُ كلماتِ خُروجٍ مِن عندِهِ. ولو وُزِنَتْ بهِنَّ أعمالُ بني آدمَ لَوزَنَتْهُنَّ. فاعمَلْ بهِنَّ، واسْتَمْسِكْ حتَّى تَلْقاني، أَنْ تقولَ «سُبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إلٰهَ إلَّا الله، واللهُ أكبَرُ». والَّذي نفْسُ نُوحٍ بيدِه، لو أنَّ السَّمٰواتِ والأرضَ وما فيهِنَّ وما تَحْتَهُنَّ وُزِنَّ بهٰؤلاء الكلِماتِ لَوَزَنَتْهُنَّ - رواه أبو عبدالله الحكيم.

ومِن سفينةِ سيدِنا الإمام، أحمد بن زين الحَبَشِيّ، نفَعَ اللهُ به: أربعٌ: سُبحانَ الله، والحمدُ لِله، ولا إلٰهَ إلا الله، واللهُ أكبَر، لايضرُّ بأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ. وهي أَفْضَلُ الكلامِ بعدَ القُرآن، وهُنَّ مِن القُرآن، وهي تُجْزِي عن القُرآنِ مَن لا يَسْتَطيعُه. مَن قالَها كُتِب له بكلِّ حرْفٍ عَشْرُ حسَنَات. لأَنْ أَقُولَها هِيَ أَحَبُّ إليَّ ممَّا طلَعَتْ عليه الشَّمسُ - الحديث.

إذا فهِمْتَ ذلك، فإنَّ «سُبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إلٰهَ إلا الله، واللهُ أكبرُ» أربعون حرفًا، فإنَّك إذا قُلْتَها ثلاثًا، فلك ألفُ حسنَةٍ ومائتا حسَنَة.

وقال الإمامُ السُّيوطيُّ في [الفكر في أعمال الذِّكر]: عن ابن مسعودٍ مرفوعًا، قال: لأَنْ أُسبّحَ تَسْبيحاتٍ أَحَبُّ إليَّ مِن أنْ أُنفِقَ بعدَدِهِنَّ دنانِيرَ في سبيلِ الله. وأَخْرَجَ عن عبدالله بن عمرٍو بنِ العاص، رضِيَ اللهُ عنهما: لأَنْ أَقُولَ «سبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إلٰهَ إلا الله، واللهُ أكبرُ» أحبُّ إليَّ من أن أحمِلَ على عِدَّتِها من خيلٍ بأَرْسانِها - انتهى.

ورَوَى الإمامُ أبو إسحاق الثعلبيُّ، رضِيَ اللهُ عنه، في تَفْسِيرِه بسنده عن أبي هريرة، رضِيَ اللهُ عنه، عن النبيِّ ﷺ، في قولِ اللهِ تعالى: [إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ]، قال: هو قولُ الرَّجلِ «سُبحانَ الله، والحمدُ لِله، ولا إلٰهَ إلا الله، واللهُ أكبرُ» إذا قالها العبدُ عَرَج بها ملَكٌ إلى السَّماء، فحَيَّى بها وجهَ الرَّحمٰنِ عزَّ وجلَّ. فإذا لم يكُنْ عمَلٌ صالِحٌ لم يُقبَلْ منه.

وفي [المهذَّب]، قال ﷺ: [مَا يَسْتَطِيعُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَعْمَلَ كُلَّ يَوْمٍ مِثْلَ أُحُدٍ عَمَلاً. قَالُوا: يَا رَسُولَ الله! مَنْ يَسْتَطِيعُ ذٰلِكَ؟ قَالَ: كُلُّكُمْ يَسْتَطِيعُهُ. قَالُوا: يَا رَسُولَ الله! هُوَ مَاذَا؟ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ أُحُدٍ، وَالحَمْدُ لِلهِ أَعْظَمُ مِنْ أُحُدٍ، وَلَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ أَعْظَمُ مِنْ أُحُدٍ، وَاللهُ أَكْبَرُ أَعْظَمُ مِنْ أُحُدٍ].

وقال ﷺ: [مَنْ ضَنَّ بِالمَالِ أَنْ يُنْفِقَهُ، وَهَابَ اللَّيْلَ أَنْ يُكَابِدَهُ، وَخَافَ العَدُوَّ أَنْ يُجَاهِدَهُ، فَلْيُكْثِرْ مِنْ «سُبْحَانَ الله، وَالحَمْدُ لِله، وَلَا إِلٰهَ إِلَّا الله، وَاللهُ أَكْبَرُ» فَإِنَّهُنَّ مُقَدِّمَاتٌ وَمُجَنِّبَاتٌ وَمُعَقِّبَاتٌ، وَهُنَّ البَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ].

وكان بعضُ السَّلفِ إذا سمِعَ السَّائلَ يقولُ «مَنْ يُقْرِضُ اللهَ قرضًا حسَنًا»، قال «سُبحانَ الله، والحمدُ لِله، ولا إلٰهَ إلا الله، واللهُ أكبرُ» هو القرضُ الحسَن.

وفي كتاب [الحقائق الواضحات في شرح الباقيات الصالحات]: عن أبي هريرة، رضِيَ اللهُ عنه، عن رسولِ اللهِ ﷺ، أنَّه قال: [سُبْحَانَ اللهِ نِصْفُ المِيزَانِ، وَالحَمْدُ لِلهِ مِلْءُ المِيزَانِ، واللهُ أَكْبَرُ مِلْءُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ لَيْسَ دُونَهَا حِجَابٌ وَلَا سِتْرٌ حَتَّى تَخْلُصَ إِلَى رَبِّهَا] - رواه خالدُ بنُ سعدٍ بسنده عن أبي هريرة، رضِيَ اللهُ عنه.

وفيه أَخْرَجَ ابنُ وهبٍ في جامعِه عن كعبٍ، قال: إنَّ اللهَ اخْتارَ من البِلادِ، فاخْتارَ مكَّةَ. وإنَّ اللهَ اخْتَارَ من الشُّهورِ، فاختارَ الأشهُرَ الحُرُم. وإنَّ اللهَ اخْتَارَ من الأشهرِ الحُرُمِ، فاخْتَارَ ذا الحَجَّة. وإنَّ اللهَ اخْتَارَ من ذي الحَجَّةِ، فاخْتَارَ العَشْرَ الأُوَل. وإنَّ اللهَ اخْتَارَ من الأيَّامِ، فاخْتَارَ يومَ الجُمُعةِ. وإنَّ اللهَ اخْتَارَ من ساعاتِ اللَّيلِ والنهارِ، فاخْتَارَ ساعاتِ الصَّلواتِ. وإنَّ اللهَ اخْتَارَ من الكلامِ، فاخْتَارَ أربعًا: «اللهُ أكبرُ، وسبحانَ اللهِ، ولا إلٰهَ إلا اللهُ، والحمدُ لِله». فمَن قال «اللهُ أكبرُ»، فذلك جَلالُ اللهِ، وكُتِبَ له بها عشرون حسَنَة، ومُحِيَتْ عنه بها عشرون سيِّئَة. ومَن قال «سُبحان الله» فإنَّه حينَ فرَغَ من الخَلْقِ، فاسْتَوى على الكُرْسيِّ سبَّحَه، فمَن قال «سُبحان الله» كُتِبَ له عشرون حسَنَة، ومُحِيَتْ عنه بها عشرون سيِّئَة. ومَن قال «لا إلٰهَ إلا الله» فتلك كلمةُ الإخلاصِ، كُتب له بها عشرون حسَنَة، ومُحِيَتْ عنه بها عشرون سيئَة. ومَن قال «الحمدُ لله» فذلك ثناءُ الله، كُتِب له بها ثلاثون حسَنَة، ومُحِيَتْ عنه بها ثلاثون سيِّئَة.

وفي الإحياء، قال: رَوَى زيدُ بن أسلمَ، عن أنسِ بن مالِكٍ، قال: بعَثَ الفقراءُ رسولاً إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فقال: أنا رسولُ الفقراءِ إليك! فقال: مَرحبًا بك، وبمَن جئتَ مِن عندِهم، جئتَ مِن عندَ قومٍ أُحِبُّهم. ﴿قال﴾ قالوا: يا رسولَ اللهِ ﷺ! إنَّ الأغنِياءَ ذَهَبوا بالخَيْر، يَحُجُّون ولا نَقْدِرُ عليه، ويَعْتَمِرون ولا نَقْدِرُ عليه، وإذا مرِضوا بعَثُوا بفضْلِ أموالِهِم خيرٍ لهم. فقال النبيُّ ﷺ: بلِّغْ عني الفقرَاء، أنَّ لِمَنِ احتسَبَ وصبَرَ منكم ثلاثَ خِصالٍ ليسَتْ للأغنِيَاء. أمَّا الخَصْلةُ الواحِدَةُ، فإنَّ في الجَنَّةِ غُرَفًا يَنْظرُ إليها أهلُ الجنَّة، كما يَنْظُرُ أهلُ الأرضِ إلى نُجومِ السَّماء، لايَدْخُلُها إلَّا نبيٌّ فقِير، أو شهِيدٌ فقِير، أو مؤمِنٌ فقِير. والثانيةُ يَدْخُلُ الفُقراءُ الجنَّةَ قبـل الأغنِيَاءِ بنِصْفِ يَـوْم، وهو خمسُمِائةِ عَام. والثالثة إذا قالَ الفقيرُ «سُبْحانَ الله، والحمدُ لِله، ولا إلٰه إلا الله، واللهُ أكبَر»، وقال الغنيُّ مثلَ ذلِك، لم يَلْحَقِ الغنِيُّ بالفَقِير. فرَجَعَ الرَّسولُ إليهِم، فأَخْبَرَهم بما قالَ رسولُ اللهِ ﷺ، فقالُوا: رضِينا ... رضِينا ....!

﴿عجيبة﴾ ذكرَ صاحِبُ القِرطاس حِكايةً، أنَّ الجنَّ عندَ حَمْلِ الأشياءِ الثَّقِيلةِ

يَلْهَجُون بالباقِياتِ الصالِحَات، فتُعِينُهم على الحِمْلِ الثقِيل، ولم نَأْتِ بالحِكايَةِ لأجلِ الإِخْتِصار، ومُرادُنا التَّلْخِيصُ والإِقْتِصارُ. فكذلِكَ الإنسُ تُعِينُهم الباقِياتُ الصالِحَاتُ عند حَمْلِ الأشياءِ الثَّقِيلَة.

قال الإمامُ البغويُّ، رحِمَه الله، في تَفْسِيرِه، عن سعيد بن جُبَيرٍ، أنَّ إبراهيمَ وإسمْعيلَ، عليهما السلامُ، كانا عندَ رَفْعِ قواعدِ البَيت، يَقُولان «سبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إلَهَ إلَّا الله، واللهُ أكبَر». فإذا قالاَها ارْتَفَعتِ الأحجَارُ الكبيرةُ بِنَفْسِها من غيرِ أنْ يَحْمِلاها - انتهى.

﴿خاتمة﴾ في الإشارةِ إلى نُبذَةٍ يسيرةٍ من شَرْحِ الباقِياتِ الصالِحَات، قال الإمامُ حجَّةُ الإسلام في كتابِه [الأربعين الأصل]: ومِن أَفْضَلِ الذِكر، قولُك «سبحانَ الله، والحمدُ لِله، ولا إله إلَّا الله، واللهُ أكبَر»، لأنَّ قولَك «سبحان الله» لِلتَّقْدِيس وهو حقِيقيٌّ في حقِّه، فإنَّ القُدسَ الحقِيقيَّ لايُتصوَّرُ إلا له تعالى. وقولُك «الحمدُ لِله» يُشعِرُ بإضافةِ النِّعَم كلِّها إليه، وهو حقيقيٌّ، إذْ هو المُتفرِّدُ بالأفعالِ تَفرُّدًا حقيقِيًّا بلا تأوِيل، وهو مُسْتحِقٌّ للحمدِ وحدَه، إذ لاشَرِيكَ لأحَدٍ معه في فعلِهِ أصلاً اَلبَتَّة، كما لا شِرْكَ لِلقلَمِ مع الكاتِبِ في اسْتِحْقاقِ المَحْمَدَةِ عندَ حُسْنِ الخطِّ.

﴿قال﴾ اعلَمْ أنَّ كلَّ مَن سِواه، مَن تَرَى منه نِعمةً، فهو كالمُسَخَّرِ له كالقَلَم. وهذا مِثالٌ يُنَبِّهُك على تَفَرُّدِه تعالى باسْتِحقاقِ الحمدِ. وقولُك «ولا إلَهَ إلَّا الله» وقد عَرَفْتَه أنَّه لِلتَّوْحيدِ الحقيقِيِّ. وقولُك «اللهُ أكبَر» من غيرِه، إذ ليسَ معه غيرُه، حتى يُقالَ أنَّه أكبَرُ منه، بل كلُّ ما سِواه فهو نورٌ من أنوارِ قُدْرتِه، وليسَ لنورِ الشَّمسِ مع الشمسِ رُتبةُ المعِيَّةِ حتى يُقالَ أنَّه أكبرُ منها، بل رُتْبَته التبعِيَّةُ، بل معناه أنَّه أكبرُ من أن يُنالَ بِالحَواسّ، ويُدرَك جلالُه بالعَقْلِ والقِيَاس، بل أكبرُ مِن أنْ يُدرِكَ كُنْهَ جلالِه غيرُه، بل أكبَرُ مِن أنْ يعرِفَه غيرُه، فإنَّه لا يعرِفُ اللهَ إلا الله، وأنَّ مُنْتَهى معرِفَةِ عبادِه أنْ يعرِفوا أنَّه تَسْتَحِيلُ منهم معرِفَتُه الحقيقِيَّةُ، ولا يَعرِفُ ذلك أيضا بِكمالِه، إلَّا نبيٌّ أو صدِّيقٌ. أمَّا النبيُّ فيُعَبِّرُ

عنه فيقولُ لا أُحصي ثناءً عليك، أنت كما أَثْنَيت على نفسِك. وأمَّا الصِّدِّيق فيقول: العجزُ عن دَرْكِ الإدراكِ إدْراكٌ.

﴿قال﴾ وإنْ تشوَّقْتَ إلى زِيادَةِ تَحْقيقٍ في هذا المعنَى، واسْتَنْكرتَ قولِي «لا يَعْرِفُ اللهَ إلا الله»، فاطْلُبْ مَعْرِفةَ حَقيقَةِ البُرهانِ من كتاب [المقصِد الأسنى في معاني أسماءِ اللهِ الحسنى]، ويَكْفِيك هذا القَدْرُ مِن الرُّموزِ إلى أَسْرارِ الذِّكْر - انتهى ماذكَرَه الإمامُ رحِمَه الله.

﴿الذِّكرُ الثالث﴾

قولُ صاحبِ الرَّاتِب، نفَعَ اللهُ به: «سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِه، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيم» - (ثلاثًا). قالَ في الشَّرْح: قال رسولُ اللهِ ﷺ: [مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الجَنَّةِ]، أَخْرَجَه الترمذيُّ. فَأَفْهَمَ أَنَّ مَن قالَها ثلاثًا غُرِسَتْ له ثلاثُ نَخْلات. وعن ابنِ عمر، رضيَ اللهُ عنهُما، قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ ذاتَ يومٍ لِأصحابِهِ: قُولُوا «سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِه» مِائةَ مرَّةٍ. مَن قالَها مَرَّةً كُتِبَتْ له عَشْرُ حسَنَات، ومَن قالَها عَشْرًا كُتِبَتْ له مِائةُ حسَنَة، ومَن قالَها مِائةً كُتِبَتْ له ألفُ حسَنَة، ومَن زادَ زادَهُ الله، ومَن اسْتَغْفَرَ غُفِرَ لَه. فَأَفْهَمَ أَنَّ مَن قالَها ثلاثًا كُتِبَتْ له ثلاثُون حسَنَة.

ورَوَى أبو هريرة، رضِيَ اللهُ عنه، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: [كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمٰنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ]، أَخْرَجَه البخاريُّ ومسلمٌ والترمذيُّ، وهذا آخِرُ حديثٍ في كتاب البخاري. ﴿قلتُ﴾ قالَ في كتاب [غاية القصد والمراد]، قال السيدُ الجليل، العارِفُ بالله، الحسن بن سيدي عبدالله الحداد: أخَذَ الوالِدُ في مرَضِ مَوْتِه أربعِين يومًا، وكان كثيرًا في مرَضِه المذكُور يُرَدِّدُ «سُبْحانَ اللهِ وبِحَمْدِه، سُبْحانَ اللهِ العظِيم».

﴿مطلَب﴾ وفاةُ صاحِبِ الرَّاتِب: تُوُفِّيَ صاحِبُ الرَّاتِب، نفَعَ اللهُ به، لِسَبْعٍ خَلَتْ مِن شَهْرِ ذِي القَعْدَة، ليلةَ الثُّلاثاءِ بعدَ مُضِيِ ثُلُثِ اللَّيلِ، سنة ١١٣٢ (اثنتين وثلاثين ومائة وألف).

وفي [شرح الوصية]: وجاءَ عنه ﷺ في «سُبحانَ اللهِ وبِحَمدِه» أنَّها أَحَبُّ الكلامِ

إلى الله، وأنَّها أَفْضَلُ الكلَام، وأنَّه يُكْتَبُ بها لِقائلِها مِائةُ ألفِ حسَنَةٍ وأربعةٌ وعشرُون ألفَ حسَنَة، وأنَّها أَحبُّ إلى اللهِ مِن جَبَلٍ ذهَبٍ يُنْفِقُه في سبيلِ الله، وأنَّ اللهَ تعالى يَحُطُّ عن قائلِها ذُنُوبَه، وإنْ كانتْ أَكْثَرَ مِن زَبَدِ البَحْر. فَأَفْهَمَ أنَّك إذا قُلتَها ثلاثًا، كما في الرَّاتِبِ الشَّريف، فلَكَ ثلاثُمِائةِ ألفِ حسَنَةٍ واثنتانِ وسبعون ألفَ حسَنَة.

وفي [الدر المنثور] عن النبيِّ ﷺ: مَن قالَ «لا إلهَ إلَّا الله» كانَ له عُهْدَةٌ عندَ الله، ومَن قال «سُبْحانَ اللهِ وبِحَمدِه» كُتِبَتْ له مِائةُ ألفِ حسَنَةٍ وأربعةٌ وعشرون ألفَ حسَنَة- انتهى ذَكَرَه عندَ تَفْسيرِه لِسُورةِ «هلْ أتَى علَى الإنسَانِ حِينٌ مِن الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شيئًا مَذْكورًا».

وفي مسندِ الإمامِ أحمد، عن رسولِ اللهِ ﷺ، لَمَّا حَضَرَتْه الوَفاة، دعا ابْنَتَه، فقالَ لها: آمُرُكِ بِـ«سُبْحانَ اللهِ وبِحَمدِه» فإنَّها صَلاةُ كلِّ شَيْء، وبها يُرْزَقُ كلُّ شَيْء - انتهى.

وقال أبو ذَرٍّ: قلتُ لرسولِ اللهِ ﷺ: أيُّ الأَعْمالِ أَحَبُّ إلى اللهِ تعالى؟ قال: ما اصْطَفى اللهُ لِملائكَتِهِ: سُبْحانَ اللهِ وبِحَمدِه، سُبْحانَ اللهِ العظِيم».

ورُوِيَ أنَّ رجُلًا أَتَى إلى رسولِ الله، وقال: تَوَلَّتْ عني الدُّنيا، وقَلَّتْ ذاتُ يَدِي. فقالَ ﷺ: فَأَيْنَ أنتَ مِن صلاةِ الملائِكَة، وتَسْبيحِ الخلائِق، وبها يُرْزَقون. قال: قُلتُ، وماذا يا رسولَ الله؟ قال: سُبْحانَ اللهِ وبِحَمدِه، سُبْحانَ اللهِ العظِيم، واسْتَغفِرِ اللهَ مِائةَ مرَّةٍ ما بينَ طُلوعِ الفَجرِ إلى أنْ تُصلِّيَ، تَأْتِكَ الدُّنيا راغِمةً صاغِرَة، ويَخْلُقُ اللهُ مِن كلِّ كلِمةٍ مَلَكًا يُسَبِّحُ اللهَ تعالى إلى يومِ القِيامةِ لكَ ثوابُه. رواه البخاريُّ في صحيحِه.

وفي [شفاء الصدور] لابن سَبُع، عن أنسٍ، رضِيَ اللهُ عنه، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: أَجَلُ البَهائِمِ وخشَاشِ الأرضِ والقَمْلِ والبَراغيثِ والجَرادِ والخيلِ والبِغالِ والدَّوابِّ وما سِوى ذلك - في التَّسْبيح، فإذا انْقَضَى تَسْبيحُها قبَضَ اللهُ أرواحَها.

وقال الشيخُ عبدالوهاب الشعراوي، رحِمَه الله: فَتَحَ اللهُ عليَّ ذاتَ ليلَة، فسَمِعْتُ

تَسْبيحَ جميعِ المَخْلوقاتِ من الحيوانَاتِ والجمادَات، مِثلُ الرُّعودِ القاصِفَة، وذلك مِن بعدِ صلاةِ المغربِ إلى العِشاء، فكادَتْ تُذْهِبُ عقلِي، فسأَلْتُ اللهَ تعالى أنْ يُذهِبَ عنِّي سَمْعَ ذلك، ويَبْقَى عليَّ عِلمُه، فأَجابَ - انتهى.

ومِن رسالةِ الإمامِ السُّيوطيِّ، المُسمَّى [إعمال الفِكر في فضل الذكر]: وأَخْرجَ إسحاقُ بنُ راهَوَيْه بسندِه مِن طريقِ الزُّهْري، قال: أُوتِيَ أبو بكرٍ الصدِّيقِ بِغُرابٍ وافِرِ الجَناحيْنِ، فقال: سمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: ما صِيدَ صَيْدٌ، ولا عُضِهَ عِضاهٌ، ولا قُطِعتْ وشِيجةٌ إلا بقِلَّةِ التَّسْبيح. وعن أبي هريرة مثلُه.

وعن أبي الدَّرْداء: ما أُخِذَ طائرٌ ولا حُوتٌ إلا بِتَضْييعِ التَّسْبيح. ومِن حديثِ أنسٍ مَرْفوعًا: أجَلُ البَهائِمِ ... إلى آخرِه، كما تقدَّم عن [شفاء الصدور]. ومِن حديثِ يزيدَ بنِ مُرشدٍ مَرْفوعًا: لا يُصَادُ شيءٌ من الطَّيرِ والحِيتانِ إلَّا بما يُضَيِّعُ مِن تَسْبِيحِ اللهِ تعالى.

وقال عليه الصَّلاةُ والسلامُ: [أَطَّتِ السَّماءُ، وَيحِقُّ لَهَا أَنْ تئِطَّ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ شِبْرٍ إلَّا وَفِيهِ جَبْهَةُ مَلَكٍ سَاجِدٍ يُسَبِّحُ اللهَ بِحَمْدِهِ] - رواه ابنُ مَردَويه، عن أنس.

وقال عليه الصلاةُ والسلامُ: [أَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ القَرِيْنَتَيْنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ، فَإِنَّهُمَا يَحُطَّانِ الخَطَايَا وَيَرْفَعَانِ الدَّرَجَاتِ].

ورَوَى أبو هريرة، رضِيَ اللهُ عنه، قال: كان رسولُ اللهِ ﷺ إذا هَمَّهُ الأَمْرُ، رفَعَ رأسَه إلى السَّماء، وقال: سُبْحانَ اللهِ العظِيم. وإذَا اجْتَهَدَ في الدُّعاء، قال: يا حَيُّ يا قَيُّوم!

ورَوَى جابرُ بنُ عبدالله، عن رسولِ اللهِ ﷺ، أنَّه قال: قالَ اللهُ تعالى: يا مُحَمَّدُ! خَمْسٌ تُثَقِّلُ مَوازينَ أُمَّتِكَ: ﴿أحدها﴾ شَهادةُ أنْ لا إلهَ إلَّا الله، وأنَّ مُحَمَّدًا عبدُهُ ورَسولُه. ﴿الثاني﴾ الصَّلواتُ الخَمْسُ. ﴿الثالث﴾ سُبْحانَ اللهِ وبِحَمدِه، سُبْحانَ اللهِ

العظِيم. ﴿الرابع﴾ سُبْحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إلٰهَ إلَّا الله، واللهُ أكْبَرُ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا باللهِ العلِيِّ العظِيم. ﴿الخامس﴾ الإسْتِغفارُ. يا محمَّدُ! إنِّي أجْعَلُ كلَّ حرفٍ مِن هذه الحُروفِ في مِيزانِ أُمَّتِك.

وفي كتاب [الحقائق]: قال خَرَّجَ المالكيُّ في كتاب [رياض النفوس] عن أنس بنِ مالكٍ، عن رسولِ اللهِ ﷺ الصَّادقِ المَصْدُوق، أنَّ مَن قال «سُبْحانَ اللهِ وبِحَمدِه» في ملإٍ من الناسِ مِن غيرِ تَعَجُّب، خَلَقَ اللهُ تعالى مِنها مَلَكًا يُسَبِّحُه ويُهَلِّلُه إلى يومِ القِيامَة، ويكونُ ثوابُ ذلِك لِقائِلِها.

ومِن كتاب [اتحاف السائل] لسيدِنا القُطب الغَوْث عبدالله بن علوي الحدَّاد، صاحِبِ الرَّاتِب، قولُه: وسأَلْتَ عن معنَى التَّنْزِيه والثَّناءِ وما يُعَبَّرُ به عن الحَوْلِ والقُوَّة، وعن معنَى النَّدَمِ والاِسْتِغفار، وهلْ ذلِك خاصٌّ بأهلِ الذُّنُوب، أم هو عَامٌّ حتَّى في التَّرَقِّي مِن مَقامٍ شريفٍ إلى أعلَى مِنه؟

فاعْلَمْ أنَّ التَّنزِيهَ، هو التَّقْدِيسُ، وهو التَّسْبِيحُ أيضًا، ومعناه أنْ يَعتقِدَ القلبُ تَنْزِيهَ الحقِّ عزَّ وجلَّ ذاتًا وصِفاتًا وأفعالاً عن مُشابَهَةِ المَخْلوقِين، فإنَّه المُتقدِّسُ سُبْحانه المُنَزَّهُ عن الشُّرَكاءِ والأَمْثَال، وعن الحُدوثِ والزَّوَال، وعن الأَعْراضِ والعِلَل، وعن التَّقيُّدِ بالزَّمانِ والمحَلّ، بل هو المُنَزَّهُ عن أنْ يَتصوَّرَه وَهْم، أو يتخيَّلَه خَيال، أو يَظْفَرَ به فِكْر، أو يُدْرِكَ ماهِيَّتَه عَقْل، أو يُحيطَ به عِلْم. وكثيرًا ما وقَعَ التَّسْبِيحُ في القرآنِ العظِيم مُتَّصِلاً بتَنْزِيهِ الحقِّ نَفْسَه عمَّا أَضافَهُ إليه المُلحِدون ممَّا لا يَلِيق بِعِزَّةِ كمالِه، مثلُ قولِه تعالى: [يَاأَهْلَ الكِتَابِ! لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ، وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إلَّا الحَقَّ، إِنَّمَا المَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ، وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ، اِنْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ، إِنَّمَا اللهُ إِلٰهٌ وَاحِدٌ، سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ]، ومثلُ قولِه: [اِتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ وَالمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلٰهًا وَاحِدًا، لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ، سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ]، ومثلُ قولِه تعالى: [أَلَا إِنَّهُمْ

مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ. وَلَدَ اللهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ. أَصْطَفَى البَنَاتِ عَلَى البَنِينِ. مَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ. أَفَلَا تَذَكَّرُونَ. أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ. فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجِنَّةِ نَسَبًا، وَلَقَدْ عَلِمَتِ الجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ. سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ]. إلى غيرِ ذلك إلى أنْ قالَ: واعْلَمْ أنَّ اللهَ غنيٌّ عن تَنْزيهِ المُنَزِّهين، وعن ثناءِ المُثْنِين، فإنَّ المنزَّهَ له سُبْحانَه لمْ يَرْفَعْ تَنْزيهُه نقصًا، إذْ لا نقصَ ولا يُتصوَّر. والمُثني عليه تعالى لم يُثْبِتْ له بثَنائِه كمالاً، فإنَّ الكمالَ للهِ تعالى أزلاً وأبدًا. وإنَّما تَنْزيهُ العبدِ لِربِّه وثَناؤُه عليه نَفْعٌ يجُرُّه إلى نَفْسِه، وخَيْرٌ يُوصِلُه إليها، وقد وعَدَ اللهُ ذلك بِفَضْلِه. قال رسولُ اللهِ ﷺ: [الحَمْدُ للهِ تَمْلأُ المِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ تَمْلآنِ أَوْ تَمْلأُ مَا بَيْنَ السَّماءِ وَالأَرْضِ] - الحديث.

وقال عليه الصَّلاةُ والسلامُ: [إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ العَبْدِ يَأْكُلُ الأُكْلَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا، وَيَشْرَبُ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا].

وما وَرَدَ في فَضْلِ التَّسْبيحِ والتَّحْميدِ أَكْثَرُ مِن أنْ يُحْصَر، وأَشْهَرُ مِن أنْ يُذكَر. ومَن جاهَدَ فإنَّما يُجاهِدُ لِنَفْسِه، إنَّ اللهَ لَغنيٌّ عن العالَمِين - انتهى كلامُ سيدِنا، نفَعَ اللهُ به، آمين.

﴿الذكرُ الرابع﴾

قولُ صاحبِ الرَّاتِب، نفَعَ اللهُ به، آمين: «رَبِّ اغْفِرْ لَنا، وَتُبْ عَلَيْنَا، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيم» - (ثلاثًا). قال في الشَّرْح: ورَوَى الترمذيُّ وأبو داود، عن ابنِ عمر، رضِيَ اللهُ عنهما، قال: كانَ يُعَدُّ لِرسولِ اللهِ ﷺ في المجلسِ الواحِدِ قبلَ أنْ يَقُومَ مِائةُ مرَّةٍ «رَبِّ اغْفِرْ لي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ». قال اللهُ تعالى: [وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ، يَجِدِ اللهَ غَفُورًا رَحِيمًا]. وقال تعالى: [فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ، وَاسْتَغْفِرْهُ، إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا].

وقال رسولُ اللهِ ﷺ: [مَنْ أَكْثَرَ مِنَ الاسْتِغْفَارِ، جَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ]. وقال عليه الصلاةُ والسلامُ [إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي اليَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً]. هذا مع أنه ﷺ كان مَغْفورًا له. ذَكَرَ ذلك الإمامُ الغزالي، رضِيَ اللهُ عنه، في الإحياء. وقال ﷺ: [مَا وَضَعَ عَبْدٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا للهِ، فَقَالَ: رَبِّ اغْفِرْ لِي (ثَلَاثًا) إِلَّا رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَدْ غُفِرَ لَهُ].

قال بعضُ العُلماء، رحِمَهم الله: وهذا في كتابِ اللهِ تعالى في قِصَّةِ داود، عليه السَّلام، [وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ. فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ]. قال المُفَسِّرون: أي ساجِدًا، واللهُ سُبحانَه وتعالى أعلَم.

وفي [شرح الحكم] نَقْلًا مِن كتابِ التَّسَبُّبِ والتَّيْسِيرِ لِصالحِ العَمَل، للقاضي يونس بن عبدالله، المَعْروفِ بابنِ الصَّفَّار، عن مُغيث بن سُمَيٍّ، قال: كان رجُلٌ مِن بني إسرائيلَ، يَعْمَلُ بِالخطايَا، فبَيْنَما هو ذاتَ يومٍ يَسِيرُ، ذكَرَ ما سلَفَ من عملِه، فقال:

اللهُمَّ اغفِرْ لي! فماتَ على ذلِك الحَال، فغُفِرَ له. وقال ﷺ: [إذَا أَذْنَبَ العَبْدُ، فَقَالَ «اَللّهُمَّ اغْفِرْ لِي!» فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، وَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، وَيَغْفِرُ الذَّنْبَ. عَبْدِي! اِعْمَلْ مَا شِئْتَ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ]. وقال ﷺ: [إِنَّ رَجُلًا لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، نَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: إِنَّ لِي رَبًّا. «رَبِّ اغْفِرْ لِي!» فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: قَدْ غَفَرْتُ لَكَ].

وفي صحيحِ مسلم، عن عائشةَ، قالتْ: قلتُ يارسولَ الله! إنَّ ابنَ جُدْعانَ كان في الجاهِليَّةِ يَصِلُ الرَّحِم، ويُطعِمُ المِسكِين، فهل ذلِك نافِعُهُ؟ قال: لاينفَعُه. إنَّه لم يقُلْ يومًا «ربِّ اغفِرْ لي خطيئَتِي يومَ الدِّين».

ومن [الجامع الصغير] للإمامِ السُّيوطي مع شرحِه، للإمام المناوي: رَوَى البخاري وأحمدُ في مسندِه، عن ابنِ عمر بن الخطَّابِ: إذا قالَ العبدُ «يا ربِّ . . . يا ربِّ!»، قالَ اللهُ مُجيبًا له: لبَّيْكَ عَبدي! إسأَلْ ما شِئْتَ، فإنَّك تُعْطَى! والمُرادُ أنَّه يُعْطَى عينَ السُّؤال، أو يُعَوَّضُ عنه بما هو أَصْلَح.

وفي حديثٍ، روَاه الحاكمُ: أنَّ العبدَ يقولُ «يا ربِّ اغفِرْ لي!»، وقد أَذْنَب، فتقولُ الملائِكَةُ: إنَّه ليس بأهلٍ! فقال الله: لكنِّي أهلٌ أنْ أَغْفِرَ له - انتهى ملخَّصًا.

وفي الإحياء، قال الربيع بنُ خُثَيم، رحِمَه اللهُ تعالى: لايَقُولَنَّ أحَدُكُم «أَسْتَغفِرُ اللهَ وأَتُوبُ إليه!» فيكونُ ذَنْبًا وكذِبًا إنْ لَم يَفْعَلْ، ولكِن لِيَقُلْ: «اللَّهُمَّ اغفِرْ لي، وتُبْ عليَّ!». قال الإمامُ البغويُّ: وهذا الَّذي قالَه من قولِه «اللهُمَّ اغفِرْ لي، وتُبْ عليَّ!» حسَن. وأمَّا كَراهَتُه «أَسْتَغفِر الله»، وتَسْمِيَتُه كذِبًا لايُوافَقُ عليه، لأنَّ معنَى «أَسْتَغفِرُ الله» أَطْلُبُ مَغْفِرَتَه، وليسَ في هذا كَذِب. ﴿قال﴾ ويَكْفِي في ردِّهِ ما وَرَدَ مِن الأحاديثِ في فَضْلِ الاِسْتِغفارِ مع ذِكْرِ هذه الصِّيغَة - انتهى. وقد رُدَّ كلامُ الرَّبيع بنِ خُثَيم هذا، في كتاب [الأذكار] للإمام النوويِّ، وأَجادَ بمثلِ كلامِ البغوي، نفَعَ اللهُ بالجميع.

وقال العلماءُ، رحِمَهم الله: وحَقيقَةُ الاِسْتِغفار «اللَّهُمَّ اغفِرْ لي!» ويَقُومُ مَقامَه «أَسْتَغفِرُ الله» لأنَّه خبرٌ بمعنَى الطَّلَب. قالوا أيضًا: اِعْلَمْ أنَّ معنَى الاِسْتِغفارِ طَلَبُ المَغْفِرةِ

مِن اللهِ تعالى، وتَقَدَّمَ عن الفُضَيل بن عِياض، أنَّ قولَ العَبد «أَسْتَغفِرُ الله»، تَفْسيرُه أَقِلْني! وهو مَأخوذٌ مِن الغفْرِ بمعنَى السَّتْر. ومِنه المِغْفَرُ الَّذي يُسْتَرُ به الرَّأْس. فمَغْفِرةُ اللهِ تعالى سَتْرُ الذُّنُوبِ ونحوِها، وكذلِك العَفْوُ، ومعناه مَحْوُ الذُّنوبِ وانْدِراسُها. ومنها عَفْوُ الرِّياحِ، إذا أَزَالَتْها ومحَتْها. قال العلماءُ: ولا تُنالُ المَغْفِرةُ إلا بِفَضلِ اللهِ تعالى، وإنَّما الأَعْمالُ مُهَيّآتٌ ومعَدَّاتٌ لقبولِ المَغْفِرَة، والصَّحيحُ أنَّ المَغْفِرةَ أَفْضَل، وهي مَراتِبُ شتَّى. منها غُفْرانُ المَعاصي، ومِنها غُفْرانُ الغفَلاَتِ عن اللهِ تعالى، وهي لِلعارِفِين، وغايتُها مَغْفرةُ ما تَقدَّم وما تَأَخَّر، ولم يَقَعْ ذلك لأحَدٍ في الدُّنيا، إلَّا لنبِيِّنا محمَّدٍ ﷺ. فلِذلك صارَ صاحِبَ المَقامِ المَحْمُود، والشَّفاعَةِ العُظْمى، وإليه الإشارةُ في حديثِ الشَّفاعةِ «اِذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، عَبْدٍ غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ». فلَمَّا أعطاهُ اللهُ المَغْفِرَةَ الكامِلةَ الشَّامِلةَ في الدُّنيا، ذهَبَتْ عنه وَحْشَةُ الخَجَلِ والحَياءِ وأقامَهُ الحقُّ تعالى في مَقامِ البَسْطِ والثَّناء، فقال «أنا لها»، وسائِرُ الأَنْبياء، صلواتُ اللهِ عليهِمْ أجمعِين، لم تُطلَقْ عليهِم المَغْفِرةُ في الدُّنيا، ووُعِدُوا بها في الآخِرَة، وإليه الإشارةُ بقول إبراهيم، عليه الصَّلاةُ والسلامُ: [رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الحِسَابُ]. وقولِه: [وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ] - انتهى.

قال الشيخ ابنُ حجَر في [شرح الأربعين]: الحديث - المَغْفِرةُ والتَّكْفِيرُ مُتَقارِبانِ. المَغْفِرةُ سَتْرُ الذَّنب، والتَّكْفِيرُ من الكَفْر، وهو السَّتْرُ أيضًا. وقيل: هو محوُ أَثَرِ الذَّنبِ حتى كأنَّه لم يكُنْ. والمَغْفِرةُ مع إكْرامِ العَبدِ والإفْضالِ عليه. وقيل: مَغْفِرةُ الذَّنبِ بالعملِ يَقلِبُه حسنَةً، وتَكْفيرُه بالمُكفِّرِ يمْحوه فقط. وقيل: المَغْفِرةُ وِقايةُ الذَّنبِ بالكُلِّيَّة، فلا مُؤاخَذةَ ولا عُقوبةَ، فإنَّ المَصائِبَ الدُّنيوِيَّةَ مُكفِّراتٌ، وهي عُقوبَات. وكذا العفْوُ والرَّحمةُ يَقعانِ مع العُقوبةِ ومع عدَمِها. وقيل: المُكفِّرُ من العملِ مايَنْمَحي به الذَّنْب، فلا ثوابَ له غير ذلك، كاجْتِنابِ الكَبائِر، والعملُ الَّذي يُغْفَرُ به الذَّنبُ ما فيه ثوابٌ ومَغْفِرَة، كالذِّكْر . . . إلى آخرِ ما أَطالَ به في شَرْحِه المذكُور، رحِمَه اللهُ ورضِيَ عنه، ونَفَعَ به آمين - انتهى.

﴿الذكرُ الخامس﴾

قولُ صاحبِ الرَّاتِب، نفعَ اللهُ به، آمين «اَللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد، اَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ وَسَلِّم» - (ثلاثًا). قال في الشَّرْح: فدلائِلُ فَضيلةِ الصلاةِ والسلامِ على رسولِ اللهِ ﷺ مِن الكتابِ والسنَّةِ أَشْهَرُ مِن أنْ تُذكَر، ويَكْفيكَ في فضلِها أَنَّ الصَّلاَة، وخُطبةَ الجُمُعَة، ونحوَها لاتصِحُّ بِدُونها، ولكنَّا نُومىءُ إلى طرَفٍ من ذلك تبرُّكًا بذِكْرِه ﷺ. قال اللهُ تبارَك وتعالى: [إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ. يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا].

ويُرْوَى أنَّه ﷺ جاءَ ذاتَ يومٍ، والبُشْرَى تُرَى في وجهِه، فقال ﷺ: [إِنَّهُ أَتَانِي جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَقَالَ، قَالَ رَبُّكَ: أَمَا تَرْضَى يَا مُحَمَّدُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ وَاحِدَةً إِلاَّ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا، وَلاَ يُسَلِّمُ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ مَرَّةً، إِلاَّ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا؟]. وقال ﷺ: [مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَّتْ عَلَيْهِ المَلاَئِكَةُ مَا دَامَ يُصَلِّي عَلَيَّ. فَلْيَقِلَّ عِنْدَ ذٰلِكَ أَوْ لِيُكْثِرْ]. وقال ﷺ: [إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي يَوْمَ القِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلاَةً]. وقال ﷺ: [مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مِنْ أُمَّتِي كُتِبَتْ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ].

ذُكِر في الإحياء، ومن الكتابَين: القِرطاس وكتابِ المَغنم في الوِرد الأعـظَم، للشيخِ الكبيرِ الإمامِ مُحيي الدين بنِ النحَّاس الدِّمشقي، رحِمَه اللهُ تعالى، عن أبي كاهِلٍ، رضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: يا أبا كاهِلٍ! إنَّه مَن صلَّى عليَّ كلَّ يومٍ ثلاثَ مرَّاتٍ حُبًّا لي وشوقًا إليَّ، كان حقًّا على اللهِ أنْ يَغْفِرَ ذُنوبَه تلك اللَّيلةَ وذلك اليومَ - خرَّجَه أبو بكر بنُ أبي عاصم الحافظ في كتابِ الصَّلاة، أيضًا قال في [شرح الوصية].

ووَرَدَ: أنَّ اللهَ تعالى وكَّلَ بقبري مَلَكًا أعطاهُ أَسْماءَ الخلائِق، فلا يُصلّي عليَّ أحَدُ إلى يومِ القِيامَة، إلا بَلَّغني باسمِه واسمِ أَبيه، فلانُ بنُ فلانٍ صلَّى عليكَ. ووَرَدَ: مَن صلَّى عليَّ صلاةً واحِدةً، قُضِيَتْ له مِائةُ حاجَة. ووَرَدَ: الصَّلاةُ عليَّ تَنْفي الفَقْر. ووَرَدَ: لِكلِّ شيءٍ طهارةٌ، وطَهارةُ قلوبِ المؤمنِينَ من الصَّدإ الصَّلاةُ على النبيِّ ﷺ.

قال عبدُالله بنُ عمر، رضيَ اللهُ عنهما: مَن صلَّى على النبيِّ ﷺ مرَّةً صلَّى اللهُ عليهِ وملائِكَتُه سبعينَ صَلاةً. ويُرْوَى أنَّ رجُلًا مِن بني إسرائيلَ فَتحَ التَّوراةَ يومًا، فوَجدَ فيها اسمَ محمَّدٍ ﷺ، فصلَّى عليه فغَفَرَ له بذلك، وأَمَرَ اللهُ تعالى موسى بِغَسْلِه والصَّلاةِ عليه - انتهى.

ومن كتاب [المستطرف]: قال ﷺ: أَتاني جِبرائيلُ، عليه السَّلامُ، يومًا، فقال: يا محمَّدُ! قد جِئْتُك بِبَشارةٍ لم آتِ بها أحدًا قبلَك، وهي أَنَّ اللهَ تعالى يقولُ لك: مَن صلَّى عليكَ من أمَّتِكَ ثَلاثَ مراتٍ، غَفَرَ اللهُ له، إنْ كان قائِمًا قبلَ أنْ يقعُدَ، وإنْ كان قاعِدًا قبلَ أنْ يَقُومَ، فعندَها خَرَّ للهِ ساجِدًا شُكْرًا للهِ.

﴿قلتُ﴾ فافْهَمْ فإنَّ سيدَنا صاحِبَ الرَّاتِب، جَعَلَ الصَّلاةَ والسلامَ عليه ﷺ ثلاثًا، فيَحُوزُ قارِئُ الرَّاتِبِ فضلَ هذا الحدِيث، والَّذي قبلَه عن أبي كاهِل. وذكَرَ صاحِبُ كتاب [شرف المصطفى] عن مُقاتلِ بنِ سليمان، قال: إنَّ اللهَ تعالى جَعَل مَلَكًا تحتَ العَرشِ على رَأْسِه ذُؤَابَةٌ قد أَحاطَ بالعَرْش، ما مِن شعَرَةٍ على رَأْسِه إلَّا مكتوبٌ عليها «لا إلَهَ إلَّا الله، محمَّدٌ رسولُ اللهِ»، فإذا صلَّى العبدُ على النبيِّ ﷺ لَمْ تَبْقَ شَعَرةٌ مِن شعَرِهِ إلَّا اسْتَغفرَتْ لِصاحِبِها، يعني قائِلَها. وقال ﷺ: حيثُما كنتُمْ فصَلُّوا عليَّ، فإنَّ صلاتَكم تَبلُغُني - رواه الطبرانيُّ.

وقال بعضُهم: كنتُ أَكْتُبُ الحديثَ، وأُصلِّي على النبيِّ ﷺ ولا أُسلِّم، فرأيتُ النبيَّ ﷺ في المَنامِ، فقال ﷺ ما تُتِمُّ الصلاةَ عليَّ في كتابِك؟! فما كَتَبْتُ بعدَ ذلك إلَّا صلَّيتُ وسلَّمْتُ. وفي بعضِ الأخبارِ: مَكتوبٌ على ساقِ العَرْشِ «مَنِ اشْتَاقَ إليَّ

رَحِمْتُه، ومَن سألَني أَعْطَيْتُه، ومَن تَقرَّبَ إليَّ بالصَّلاةِ على محمَّدٍ ﷺ غَفرْتُ له ذُنُوبَه، ولو كانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ.

وعن بعضِ الصَّحابَة، رضِيَ اللهُ عنهم، أنَّه قال: ما مِن مجلسٍ يُصَلَّى فيه على النبيِّ ﷺ إلاَّ قامَتْ منه رائِحةٌ طيِّبةٌ حتى تبلغَ عَنانَ السَّماء، فتقولُ الملائِكَةُ: هذه رائِحةُ مجلِسٍ صُلِّيَ فيه على النبيِّ ﷺ.

وعن أبي هريرة، رضيَ اللهُ عنه، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: إذا كانَ يومُ الخميسِ بعَثَ اللهُ ملائِكَةً معَهُم صُحُفٌ من فِضَّة، وأَقلامٌ من ذَهَب، يَكْتُبون يومَ الخميسِ وليلةَ الجُمُعَةِ أَكْثَرَ الناسِ صلاةً على النبيِّ ﷺ.

وذكَرَ الإمامُ حجَّةُ الإسلامِ في كتابِ الإحياء، عن عبدالواحد بنِ زيدٍ، قال: خَرَجْتُ حاجًّا، فصَحِبَني رجُلٌ، فكان لايَقُومُ ولا يَقْعُدُ ولا يَتحرَّكُ ولا يَسْكُنُ إلاَّ صلَّى على النَّبيِّ ﷺ، فسأَلْتُه عن ذلك؟ فقال: أُخبِرُكَ عن ذلِك. خَرَجْتُ أوَّلَ مرَّةٍ إلى مكَّةَ ومعي أبي، فلمَّا انْصرَفْنا نِمْتُ في بعضِ المَنازِل، فبينَما أنا نائِمٌ إذْ أَتاني آتٍ، فقال لي: قُمْ، فقد أَمَاتَ اللهُ أباكَ، وسَوَّدَ وجهَه. ﴿قال﴾ فقُمْتُ مَذْعورًا، فكَشَفْتُ الثَّوبَ عن وجهِ أبي، فإذا هو مَيِّتٌ أَسْوَدُ الوَجْه، فدَخَلَني مِن ذلك رُعْبٌ. فبَيْنَما أنا في ذلِك الغَمِّ، إذْ غَلَبَتْني عَيني، فنِمْتُ، فإذا على رَأْسِ أبي أربعةُ سُودَانَ، معهم أعمِدَةٌ من حدِيد، إذ أَقْبَلَ رجُلٌ حسَنُ الوجهِ بينَ ثوبَيْنِ أخضرَيْنِ، فقال لهم: تَنَحَّوْا! فَمَسَحَ وجهَه بِيدِه، ثُمَّ أَتاني، فقال لي: قُمْ، فقد بيَّضَ اللهُ وجهَ أَبيكَ. فقُلْتُ له: مَن أنتَ، بأبي وأمِّي؟ فقال: أنا مُحَمَّدٌ. ﴿قال﴾ فقُمْتُ فكَشَفْتُ الثَّوبَ عن وجهِ أبي، فإذا هو أَبْيَضُ، فما تَرَكْتُ الصَّلاةَ بعدَ ذلك على رسولِ اللهِ ﷺ.

وعن عبدالله بنِ عباس، رضيَ اللهُ عنهما، قال: سمِعْتُ نبِيَّكم ﷺ يقولُ: [أَكْثِرُوا الصَّلاَةَ عَلَى نَبِيِّكُمْ فِي اللَّيْلَةِ الغَرَّاءِ وَاليَوْمِ الأَزْهَرِ: لَيْلَةِ الجُمُعَةِ، وَيَومِ الجُمُعَةِ]. وزادَ بعضُ الرُّواةِ عن عمرَ بنِ الخطَّاب، رضِيَ اللهُ عنه: [فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ، فَأَدْعُو لَكُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لَكُمْ].

وعن عثمانَ بنِ حربٍ، رضيَ اللهُ عنه، قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: [مَنْ هَمَّ بِأَمْرٍ، فَشَاوَرَ فِيهِ، وَفَّقَهُ اللهُ لِرُشْدِ أَمْرِهِ. وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُحَدِّثَ حَدِيثًا، فَنَسِيَهُ فَلْيُصَلِّ عَلَيَّ، فَإِنَّ فِي صَلَاتِهِ عَلَيَّ خَلَفًا مِنْ حَدِيثِهِ، وَعَسَى أَنْ يُذَكِّرَهُ].

وعن أبي هريرة، رضِيَ اللهُ عنه، أنَّه قال: [مَنْ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ النِّسْيَانَ، فَلْيُكْثِرِ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ].

وعن عليِّ بن أبي طالبٍ، كرَّمَ اللهُ وجهَه، أنَّه قال: لوْلاَ أنْ أنْسَى ذِكْرَ اللهِ تعالى، ما تَقَرَّبْتُ إلى اللهِ إلَّا بالصَّلاةِ على النبيِّ ﷺ.

وعن كعبٍ، رحِمَه اللهُ تعالى، أنَّه دَخَلَ على عائِشةَ، رضِيَ اللهُ عنها، فذَكَروا رسولَ الله ﷺ، فقال كعبٌ: ما مِن يومٍ تَطلُعُ عليه الشَّمسُ إلَّا نَزَلَتْ سبعون ألفًا مِن الملائِكَةِ حتَّى يحُفُّوا بقبرِ رسولِ اللهِ ﷺ يَضْرِبون بأَجْنِحَتِهم، ويُصَلُّون على رسولِ اللهِ ﷺ، حتَّى إذا أَمْسَوْا عَرَجُوا، وهَبَطَ مِثلُهم فصَنَعُوا مثلَ ذلك حتَّى إذا انْشَقَّتْ عنه الأَرضُ، خَرَجَ في سبعين ألفًا من الملائِكَةِ يَزُفُّونَه.

وعن حُذَيفة، رضِيَ اللهُ عنه، قال: إنَّ الصَّلاةَ على رسولِ اللهِ ﷺ تُدْرِكُ الرَّجُلَ وولدَه وولَدَ ولدِه.

وعن سُفيان الثوريِّ، رحِمَه الله، قال: بينما أنا حاجٌّ، إذْ دَخَلَ شابٌّ لايَرْفَعُ قَدَمًا، ولا يَضَعُ أُخْرَى، إلَّا وهو يقولُ: اللَّهُمَّ صلِّ على مُحَمَّدٍ، وعلى آلِ مُحَمَّدٍ! فقُلتُ: أَبِعِلْمٍ تَقولُ هذا؟ فقال: نعَمْ، مَن أنتَ؟ قُلتُ: سفيانُ الثَّوريُّ. قال: سفيانُ العِراقيُّ؟ قلتُ: نعَمْ. قال: هل عَرَفْتَ اللهَ تعالى؟ قُلتُ: نعَمْ. قال: كيفَ عَرَفْتَهُ؟ قُلتُ: بأنَّه يُولِجُ اللَّيلَ في النَّهارِ، ويُولِجُ النَّهارَ في اللَّيلِ، ويُصوِّرُ الولَدَ في الرَّحِم. قال: يا سُفيانُ! ما عَرَفْتَ اللهَ حَقَّ مَعْرِفتِه. قُلتُ: كيفَ تَعْرِفُه؟ قال: عَرَفْتُه بِفَسْخِ الهِمَّة، ونَقْضِ العَزِيمَة. هَمَمْتُ ففَسَخَ هِمَّتي، وعَزَمْتُ فنَقَضَ عَزِيمَتي، فعَرَفْتُ أنَّ لي رَبًّا يُدَبِّرُني. قُلتُ: فَبِمَ صلاتُكَ على النَّبِيِّ ﷺ؟ قال: كُنْتُ حَاجًّا ومعي والِدتي، فسأَلَتْني

أَنْ أُدْخِلَها البَيْتَ، فوَقَعَتْ، وتَورَّمَ بَطْنُها، واسْوَدَّ وجهُها، ثم ماتَتْ، فجلَسْتُ عندَها وأنا حزِين، فرفَعْتُ يَدَيَّ نحوَ السَّماء، فقُلتُ: يا ربِّ! هٰكذا تَفْعَلُ بِمَنْ دَخَلَ بيتَك، فإذا الغَمامَةُ قد ارْتَفَعَتْ مِن قِبَلِ تِهامَة، وإذا رجُلٌ عليه ثِيابٌ بِيضٌ، فدخَلَ البَيْت، وأَمَرَّ يدَهُ على وجهِها فابْيَضَّ، وأَمَرَّ يدَهُ على بطنِها فسَكَنَ الوَرَم، ثم مَضَى لِيَخْرُجَ، فتَعَلَّقْتُ بِثوبِه، فقلتُ: مَن أنتَ الَّذي فَرَّجْتَ عني؟ فقال: أنا نبيُّك محمَّدٌ ﷺ.

وقال الإقليشي ﴿قال﴾ جاء الشِّبلي إلى أبي بكر بن مجاهد، فقام إليه فعانَقَه، وقبَّلَ بينَ عينَيْه، فقلتُ: يا سيدي! تَفْعَلُ هذا بالشبلي، وأنتَ وجميعُ مَن بِبغدادَ تقولون «إنَّه مجنُون!». قال: فعَلْتُ كما رأَيْتُ رسولَ اللهِ ﷺ فَعَل، وذلك أَني رَأَيْتُ رسولَ اللهِ ﷺ في المَنام، وقد أَقْبَلَ الشبليُّ، فقامَ النبيُّ ﷺ، فقَبَّلَ بينَ عينَيْه، فقُلتُ: يا رسولَ الله! تَفْعَلُ بالشبلي هذا؟ قال: نعَمْ. هذا يَقْرَأُ بعدَ صلاتِه «لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ، حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ»، ويُتْبِعُها بالصَّلاةِ عليَّ ﷺ ثلاثًا.

وحُكِي عن الشِّبْلي، رحِمَه الله، قال: ماتَ رجُلٌ مِن جِيراني، فرَأَيْتُه في المَنام، فقلتُ: ما فَعَلَ اللهُ بك؟ فقال: يا شِبلي! مَرَّتْ بي أَهْوالٌ عظِيمَة، وذلك أَنَّه أُرْتِجَ عليَّ عندَ السُّؤال، فقلتُ في نفسي: مِن أينَ أُتِيَ عليَّ؟ أَلَمْ أَمُتْ على الإسلام؟ فنُودِيتُ: هذه عُقوبَةُ إِهْمالِك لِلسانِك في الدُّنيا! فلمّا هَمَّ بِي المَلَكانِ المُوَكَّلانِ، حالَ بيني وبينَهما رجُلٌ، جميلُ الشَّخْص، طيِّبُ الرائِحَة، فذَكَّرَني حُجَّتِي، فذَكَرْتُها، فقلتُ له: مَن أنتَ يرحَمُك الله؟ قال: أنا شخصٌ خُلِقْتُ بكثرةِ صلاتِك على النبيِّ ﷺ، وأُمِرْتُ أَنْ أَنصُرَكَ في كلِّ كَرْب.

وعن محمد بن الحسين الصفَّار، قال: لَمَّا مات أبو العباس، أحمد بن منصور الحافظُ، جاءَ رجُلٌ إلى والِدي، فقال: رَأَيْتُ، يعني في المَنام، أبا العباس أحمد بن منصور، وهو واقِفٌ في المِحْرابِ في جامعِ شيراز، وعليه حُلَّة، وعلى رأسِه تاجٌ مُكَلَّلٌ بالجَوْهَر، فقلتُ له: ما فعلَ اللهُ بِك؟ فقال: غَفَرَ لي، وتوَّجَني، وأَدْخَلَني الجَنَّة. فقلتُ: بماذا؟ فقال: بِكَثرةِ صلاتِي على رسولِ اللهِ ﷺ.

ورُؤِيَ أبو حفص الكاغِدي بعدَ وفاتِه في المَنام، وكان سيدًا كبيرًا، فقيل له: ما فعلَ اللهُ بك؟ فقال: رحِمَني وغَفرَ لي، وأَدْخلَني الجنَّة. فقيل: بماذا؟ قال: لَمَّا أَوْقَفني بين يديْهِ، أمرَ الملائِكَةَ، فحسَبُوا ذُنُوبي، وحسَبوا صَلاتي على النَّبيِّ ﷺ، فوَجَدوها أَكْثر. فقال لهم جَلَّتْ قُدْرتُه: حسْبُكُم ملائِكَتِي، لاتُحاسِبُوه، واذْهَبوا به إلى جنَّتِي!

وعن محمد بن سعد، أبي مطَرِّف، وكان مِن الأخيارِ الصالِحِين، قال: كنتُ جَعَلْتُ على نَفْسي كلَّ ليلةٍ عندَ النَّوْم، إذا أوَيْتُ إلى مَضْجعي، عدَدًا معلومًا، أُصلِّي على النبيِّ ﷺ، فإنِّي في بعضِ اللَّيالِي، قد أَكْمَلْتُ العدَد، فأَخَذَتْني عَيْنايَ، وكنتُ ساكِنًا في غُرفَة، فإذا أنا بالنبيِّ ﷺ قد دخَلَ عليَّ من بابِ الغُرفَة، فأضاءَتِ الغُرفةُ نورًا، ثم نهَضَ نحْوِي، وقال: هاتِ هذا الفمَ الَّذي كان يُكثِرُ الصلاةَ عليَّ لأُقبِّلَه. فكنتُ أَسْتَحي أنْ يُقبِّلَني في فِيَّ، فاسْتَدَرْتُ بِوَجْهي، فقبَّلَ في خَدِّي، فانْتَبَهْتُ فزِعًا مِن نَوْمي، وانْتَبَهَتْ صاحبتي في جَنْبي، فإذا بالبيتِ يَفوحُ مِسْكًا مِن رائِحَتِه ﷺ، وبَقِيَتْ رائِحَةُ المِسكِ مِن قُبْلَتِه ﷺ في خَدِّي نحوَ ثمانيةِ أيَّام، تجِدُ زوجتي كلَّ يومٍ الرائِحَةَ في خَدِّي.

وعن وكيع بن الجرَّاح، قال: لَوْلَا الصلاةُ على النبيِّ ﷺ في كلِّ حديثٍ ما حدَّثْتُ.

وعن كعب الأحبار، رحِمَه اللهُ تعالى، قال: أَوْحَى اللهُ تعالى إلى موسى، عليه السلام: يا موسى! لَوْلَا مَن يَحمَدُني، ما أَنْزَلتُ من السَّماءِ قَطرَة، ولا أَنْبَتُّ مِن الأرضِ حبَّة، وذكَرَ شيئًا كثيرًا . . . إلى أنْ قال: يا موسى! أَتُريدُ أنْ أكونَ أَقْرَبَ إليك مِن كلامِك إلى لِسانِك، ومِن وساوسِ قلبِك إلى قلبِك، ومِن رُوحِك إلى بدَنِك، ومِن نورِ بصَرِك إلى عينِك؟ قال: نعَم، يا ربِّ! قال: فأَكثِرِ الصلاةَ على محمَّدٍ ﷺ!

ويُرْوَى: يا موسى! أَتُحِبُّ أنْ لا ينالَك مِن عطَشٍ يومَ القيامَة؟ قال: إلهي، نعَم. قال: فأَكْثِرِ الصلاةَ على محمدٍ ﷺ!

وعن عليٍّ، رضِيَ اللهُ عنه، قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: [مَنْ حَجَّ حَجَّةَ الإِسْلَامِ،

وَغزَا غزْوَةً بَعْدَهَا، كُتِبَتْ غَزْوَتُهُ بِأَرْبَعِ مِائَةِ حَجَّةٍ. ﴿قال﴾ فانْكَسرَتْ قُلُوبُ قَوْمٍ لايَقْدِرُونَ عَلَى الجِهَادِ وَلَا عَلَى الحَجِّ، فَأَوْحَى اللهُ عَزَّ وَجلَّ إلَيْهِ ﷺ: مَا صَلَّى عَلَيْكَ أَحَدٌ، إلَّا كُتِبَتْ بِأَرْبَعِمِائَةِ غَزْوَةٍ، وَكُلُّ غَزْوَةٍ بِأَرْبَعِ مِائَةِ حَجَّةٍ].

وعن جابر بن عبدالله، رضِيَ اللهُ عنهما، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: [لَاتَجْعَلُوني كَقَدَحِ الرَّاكِبِ، فَإِنَّ الرَّاكِبَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنْطَلِقَ عَلَّقَ مَعَالِقَهُ، وَمَلأَ قَدَحَهُ، فَإِنْ كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَتَوَضَّأَ تَوَضَّأَ، أَوْ أَنْ يَشْرَبَ شَرِبَ، وَإِلَّا أَهْرَاقَهُ فَاجْعَلُونِي فِي وَسَطِ الدُّعَاءِ، وَفِي أَوَّلِهِ وَفِي آخِرِهِ].

وعن عبدالله بن مسعود، رضيَ اللهُ عنه، قال: كنتُ أُصلِّي والنبيُّ ﷺ وأبو بكرٍ وعمرُ، رضِيَ اللهُ عنهما معه، فلمَّا جَلَسْتُ بَدَأْتُ بالثَّناءِ على اللهِ تعالى، ثم الصَّلاةِ على النَّبيِّ ﷺ، ثم دَعَوْتُ لِنفْسي، فقالَ ﷺ: سَلْ تُعطَهْ سَلْ تُعطَهْ!

ورَوَى القاضي، مجد الدين الشيرازي، بسندِه المُتَّصِلِ إلى عبدالله بن مسعود، عن النبيِّ ﷺ، عن جبريلَ، عن ميكائيلَ، عن إسرافيلَ، عن الرفيعِ صاحبِ اللَّوحِ المحفُوظ، عن اللهِ تعالى، أنَّه أَظْهَرَ في اللَّوحِ المحفُوظ، أَن يُخبِرَ الرَّفيع، وأنْ يُخبِرَ الرفيعُ إسرافِيل، وأن يُخبِرَ إسرافيلُ ميكائِيل، وأنْ يُخبِرَ ميكائيلُ جبرائِيل، وأنْ يُخبِرَ جبرائيلُ محمَّدًا ﷺ، أنَّه مَن صلَّى عليكَ في اليومِ واللَّيلةِ مائةَ مرَّة، صلَّيْتُ عليه ألفَيْ صلاة، ويَقضِي اللهُ له ألفَ حاجَة، أَيْسَرُها أن يَعْتِقَه من النَّار.

﴿فائدة عظيمة﴾

قال صاحِبُ [غاية القصد والمراد في مناقب سيدنا القطب الأوحد الحداد]: قال سيدُنا الحبيب عبدالله بن علوي الحدَّاد: إذا أَشْكَلَ عليَّ الحديثُ، أَصحِيحٌ أمْ ضَعِيفٌ، أَخَذْتُه مِن النبيِّ ﷺ مِن غيرِ واسِطَة – انتهى.

﴿قلتُ﴾ وكذلك قال سيدُنا الحدَّاد نَظْمًا، لَمَّا ذكَرَ سيدَنا الشيخ علي بن علوي،

خالِع قَسَم، نفَعَ اللهُ بهما:

وبالشَّيْخِ مَن ردَّ الرَّسولُ سلامَهُ * وكانَ يُصَلِّي هكذا بِدَوامِ

وذُكِرَ في العَيْنِيَّه أيضًا:

ردَّ الرَّسولُ عليه مِثْلَ سلامِهِ * يا شيخ فاعْجَبْ للفَخارِ الأجْمَعِ

قال الإمامُ الشعراوِي في كتابِ [مشارق الأنوار من العهود الكبرى]، قال: وقد أَخبَرَني الشيخُ عطِيَّه الأنباسي، والشيخ الصَّالِح قاسِم المغرِبِي، بِتُرْبَةِ الإمامِ الشافعيِّ، والقاضي زكريَّا الشافِعِي، أنَّهم سمِعُوا الشيخ جلالَ الدينِ السُّيوطي، رحِمَه الله، يقولُ: رأَيْتُ رسولَ اللهِ ﷺ في اليقَظَةِ بِضْعًا وسبعين مرَّة، وقُلتُ له في مرَّةٍ منها: هل أنا مِن أَهْلِ الجنَّة، يا رسولَ الله؟ فقالَ: نعَمْ. فقُلتُ: مِن غيرِ عذابٍ يَسْبِق؟ فقال: لَكَ ذلك. قال الشيخ عطِيَّة: وسأَلْتُ الشيخَ جلالَ الدين مرَّةً في أنْ يَجْتَمِعَ بِالسُّلطانِ الغَوْري في ضَرُورةٍ وَقَعَتْ لي، فقالَ لي: يا عطِيَّةُ! أنا أَجْتَمِعُ بِالنبيِّ ﷺ يَقظَةً، وأَخْشى إنِ اجْتَمَعْتُ بِالغَوْري، أنْ يَحْتَجِبَ ﷺ عنِّي، ثم قال: إنَّ فُلانًا الصَّحابِيَّ كانَتِ الملائِكَةُ تُسَلِّمُ عليه، فاكْتَوى في جَسَدِه لِضَرورةٍ، فلَمْ يَرَ الملائِكَةَ بعدَ ذلك سنَة، عُقُوبةً له على اكْتِوائِه. ثم قال الشيخُ الشَّعراوِي فيه، وفي كتابِه [تنبيه المغترين]، ولٰكِن بينَ الفَقيرِ وبينَ الأَخْذِ عن رسولِ اللهِ ﷺ، وسَماعِ صَوْتِه بالردِّ عليهِ مِن قَبْرِه ﷺ، مِائَتا أَلْفِ مَقامٍ وسبعةٌ وأربعون أَلْفَ مَقامٍ وتسعُمِائةٍ وتسعةٌ وتسعُون مَقامًا،ألفُ إلاَّ واحِدًا. فمنِ ادَّعَى هذا المَقامَ طالَبْناه بِأَنْ يَتَكَلَّمَ على معنَى هذه المَقاماتِ، فإذا رَأَيْناه لايَعْرِفُها كُلَّها كَذَّبْنَاه. «قال» وقد كانَ سيدِي الشيخُ أبو العبَّاس المُرْسي يقولُ لأصحابِه: أَفِيكُم مَن إذا أَرادَ اللهُ تعالى أنْ يُظهِرَ أَمْرًا في الوُجودِ أَطْلَعَهُ عليهِ قبلَ أنْ يُظْهِرَه، فيقولون: لا. فيقولُ: أَفِيكم أحَدٌ إذا سَلَّمَ على رسولِ اللهِ ﷺ في صلاتِه يَسْمَعُ ردَّهُ عليه بأُذُنِه، فيَقُولون: لا. فيقولُ: أَبْكُوا على قُلوبٍ مَحْجوبَةٍ عن الله، وعنْ رسولِ الله، ثمَّ يقولُ: واللهِ، لَوِ احْتَجَبَ عنِّي رسولُ اللهِ ﷺ لَحْظَةً في ساعَةٍ مِن ليلٍ أو نَهار، لَما عَدَدْتُ نَفْسي مِن جُملةِ الفُقَراء - انتهى.

﴿قلتُ﴾ قال صاحِبُ [القرطاس]: إنَّ سيدَنا الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطَّاس، لَمَّا سمِعَ كلامَ أبي العبَّاس المُرْسي هذا، قال: وأنا أَقُول، واللهِ، لَو احْتَجبَ عنّي رسولُ اللهِ ﷺ لَحْظَةً واحِدةً، لَما عَدَدْتُ نَفْسي مِن المسلِمين. كيفَ يَحْتَجِبُ عنَّا، وهو ﷺ عينُ وُجودِنا -انتهى.

وسنُنَبِّهُ على كلِمةِ سيدِنا الحدَّاد المُتقدِّمَة. قال الإمامُ الشعراوي في كتابه المُسمَّى بـ[اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر] مِن كتابِ الفُتوحات المَكِّيَّة، لِلشيخ مُحيي الدين بن عَرَبي، نفَعَ اللهُ بهما، أنَّه قال: حرَّمَ بعضُ المُحقِّقينَ على جَميعِ أهلِ اللهِ القِياسَ لِكَوْنِ رسولِ اللهِ ﷺ، فإذا شَكُّوا في صِحَّةِ حَديث، أو حُكم، رجَعُوا إليه ﷺ في ذلك، فأَخْبَرَهُم بالأمرِ الحَقِّ يَقظَةً ومُشافَهةً، وصاحِبُ هذا المَشهدِ لا يَحْتاج إلى تَقْليدِ أحَدِ الأئِمَّة، غيرَ رسولِ اللهِ ﷺ. قال تعالى: [قُلْ هٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ، أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي] - انتهى، ولِلهِ الحمدُ والمِنَّة.

فقد بلَغَ هذه المَقاماتِ كثيرٌ من ساداتِنا آلِ أبي علَوي يَعْسُرُ علينا عدَدُهم لِكثرةِ مَن منَّ اللهُ عليهِم بِبُلوغِ الغايَات، وكثرةِ الفُتوحَات، وجزيلِ الهِبَات، ونيلِ الأُمْنِيَّات، نفَعَ اللهُ بهم في الحيَاةِ وبعدَ المَمات، لِعبدٍ ذي إباقَات، كثُرَتْ عليه السيِّئات، فنَسْأَلُ اللهَ تعالى مُستَشْفِعينَ بهم أَنْ يَغْفِرَ الزَّلَّات، ويمحُوَ السيِّئات، ويُبَدِّلَها بالحسَنَات، ويَقْضِيَ لنا وللمسلِمين جميعَ الحاجَات، ويُبارِكَ لنا في الحيَاةِ والمَمات، ويُلحِقَنا بهم في أَرْفَعِ الدَّرجَات، مع اللُّطفِ والعافِيَة، والخَاتِمةِ الحسَنَة، لنا ولوالِدينا وأولادِنا وجميعِ الأصحَاب والقَرابَات، بجاهِ خيرِ البريَّات، محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسَلَّم وعلى آلِه وصحْبِه دائِمًا مَدَى الأوقاتِ واللَّحظَاتِ والخطَرَات، ومَدَى المُلْكِ الدَّائمِ مُلْكِ ربِّ البريَّات.

قال الشيخُ الشَّعراوِي: وقد كانَ في زمَنِ شيخِنا نورِ الدينِ الشُّوني، مَن هو أَكْثَرُ عِلمًا وعَملاً منه، ولكنَّه لم يكُنْ يُكْثِرُ من الصلاةِ على النبيِّ ﷺ، كما كان يُكثِرُ الشيخ، فلم يكُنْ يَنْهَضْ بهم علمُهم وعمَلُهم إلى القُرْبِ الَّذي كان فيه الشيخ نورُ الدين المذكُور، وكانَتْ حوائِجه مَقْضِيَّة، وطريقُه ماشِيَة، وسائِرُ العُلماءِ والمَجاذيبُ تُحِبُّه، وهو

واللهُ ليسَ مَقْصودَ كلِّ صادِقٍ من جميعِ القاصِدينَ والمُقبِلينَ على ذِكْرِ الله، إلا المَحبَّةُ في الله، وجَمْعُهم على الصَّلاةِ على رسولِ اللهِ ﷺ.

﴿قال﴾ وقد قدَّمْنا أوائِلَ العُهُود، أنَّ صُحبةَ النبيِّ ﷺ البَرْزخيَّةَ تَحْتَاجُ إلى صفاءٍ حتى يَصْلُحَ لمُجالسَتِه ﷺ، وأنَّ مَن كان له سرِيرةٌ سيِّئةٌ يَسْتَحِي مِن ظُهورِها في الدُّنيا والآخِرَة، لاتصِحُّ له صُحبةٌ مع رسولِ اللهِ ﷺ، ولَوْ كان على عِبادةِ الثَّقلَيْن، كما لَمْ تنفَعْ صُحبَةُ المُنافِقِين. ومِثلُ ذلك تِلاوةُ الكُفَّارِ لِلقُرآن، لاتَنْفَعُهم ولا يَنْتَفِعون بها، لِعَدمِ إيمانِهِم بأَحْكَامِه - انتهى كلام الشعراوي.

حَكَى الثعلبيُّ أنَّ للهِ تعالى خَلْقًا وَرَاءَ جَبلِ قَاف، لايَعلمُ عددَهم إلا الله، ليسَ لهم عِبادةٌ إلا الصَّلاةُ على رسولِ اللهِ ﷺ - انتهى.

ثم قال الشعراوي: في آخِرِ هذا العَهْد، وقد أَحْبَبْتُ أَنْ أَذْكُرَ لك، يا أخي، جملةً من فوائِدِ الصلاةِ على النبيِّ ﷺ تَشْريعًا لك، لَعَلَّ اللهَ أنْ يَرْزُقَك مَحبَّتَه الخالِصَة، ويصيرَ شُغْلُك في أكثرِ أوقاتِك الصلاةَ والتَّسْليمَ عليه ﷺ وتَصيرَ تُهدِي ثوابَ كلِّ عملٍ عمِلْتَه في صحيفتِه ﷺ، كما أَشَارَ إلى ذلك خبرُ كعبِ بنِ عُجْرةَ السابِق.

فمِن الفوائِد، أو مِن أَهَمِّها صلاةُ اللهِ وسلامُه وملائِكَتِه ورُسلِه على مَن صلَّى وسلَّم عليه. ومِنها تكفيرُ الخطايا، وتَزْكيةُ الأعمَال، ورَفْعُ الدَّرجَات. ومنها مَغْفِرةُ الذُّنوبِ واسْتِغْفارُ الصَّلاةِ عليه لِقائِلِها. ومنها كِتابةُ قِيراطٍ من الأجرِ مِثْلُ جبلِ أُحُد، والكيلُ بالمِكْيالِ الأَوفَى. ومنها كِفايةُ أمرِ الدُّنيا والآخرَةِ لِمَن جَعَلَ صلاتَه كلَّها عليه، كما تَقَدَّم. ومنها النَّجاةُ مِن سائِرِ الأهوَال، وشهادةُ رسولِ اللهِ ﷺ له بها يومَ القِيامَة، ووجوبُ الشَّفاعَة. ومنها رِضَا اللهِ ورَحْمَتُه، والأمانُ مِن سخَطِه، والدُّخولُ تحتَ ظلِّ العَرْش. ومنها رُجْحانُ المِيزَان، ووُرُودُ الحَوْض، والأمانُ من العَطَش. ومنها العِتْقُ من النَّار، والجَوازُ على الصِّراطِ كالبَرقِ الخاطِف، ورُؤْيةُ المَقعدِ المُقرَّبِ من الجنَّة قبلَ المَوْت. ومنها كَثْرةُ الأزواجِ في الجنَّة، والمَقامُ الكَرِيم. ومنها رُجْحانُها على أَكْثَرَ من عشرين غَزْوَة،

وقِيامُها مَقامَها. ومنها أنَّها زكاةٌ وطَهارَة، ويَنْمُو المالُ بِبَركتِها. ومنها أنَّها عَلامةٌ على أنَّ صاحبَها من أهلِ السُّنَّة. ومنها أنَّ الملائِكَةَ تُصلِّي على صاحبِها ما دامَ يُصلِّي على النبيِّ ﷺ. ومنها أنه تَقْتَضِي أنَّها تُقْضَى له بكلِّ صلاةٍ مائةُ حاجَة، بل أَكْثَر. ومنها أنَّها عِبادةٌ ومن أَحَبِّ الأعمالِ إلى اللهِ تعالى. ومنها أنَّها تُزيِّنُ المجالِس، وتَنفي الفقرَ وضِيقَ العَيْش. ومنها أنها يُلْتَمَسُ بها مظَانُّ الخَيْر. ومنها أنَّ فاعِلَها أَوْلَى الناسِ به ﷺ يومَ القيامَة. ومنها أنْ يَنْتَفِعَ هو وولدُه وولدُ ولدِه بها، وثوابِها، وكذلك مَن أُهدِيَتْ إليه في صَحِيفتِه. ومنها أنَّها تقرِّبُ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ وإلى رسولِه ﷺ. ومنها أنَّها نورٌ لِصاحبِها في قَبْره، ويومِ حَشْره، وعلى الصِّراط. ومنها أنَّها تَنصرُ على الأعداء، وتُطهِّرُ القلبَ عن النِّفاقِ وَالصَّدَأ. ومنها أنها تُوجِب مَحبَّةَ المُؤْمنِين، فلا يَكْرَه صاحبَها إلاَّ مُنافِق، ظاهِرُ النِّفاق. ومنها رُؤْيةُ النبيِّ ﷺ في المَنام، وإنْ أَكْثَرَ منها رَآه في اليَقْظَة. ومنها أنَّها تُقَلِّلُ اغْتِيابَ صاحِبِها، وهي مِن أَبْرَكِ الأعمَالِ وأَفْضَلِها، وأَكْثَرِها نَفْعًا في الدُّنيا والآخِرَة، وغيرُ ذلك مِن الأمُورِ الَّتي لاتَخْفَى.

ثم قال رضِيَ اللهُ عنه: وقد رَغَّبْتُك بذِكرِ بعضِ ثوابِها، فلازِمْ يا أخي عليها، فإنَّها مِن أَفْضلِ ذخائِرِ الأعمَال، وقد أَمَرَني أبو العبَّاس الخَضِر، عليه السلام، بها، وقال: لازِمْ عليها بعدَ صلاةِ الصُّبحِ كلَّ يومٍ إلى طُلوعِ الشَّمْس، ثم ذِكْرُ اللهِ تعالى عَقِبَهما مجلِسًا لطيفًا! فقلتُ: سَمْعًا وطاعَةً. وحصَلَ لي ولأصحابِي بذلك خيرُ الدُّنيا والآخِرَة، وتَيسَّرَ الرِّزقُ بِحيثُ لو كان مَصِيرَ عائِلَتِي ما حَمَلْتُها، والحمدُ للهِ ربِّ العالَمين - انتهى.

قال صاحبُ كتاب [أنيس المنقطعين]: حُكِيَ عن عبدالواحد بن زيد، رحِمَه الله، أنَّه قال: كان لنا خادِمٌ يَخْدُمُ السُّلطَان، وهو مَوْصوفٌ بِالفسادِ والغَفْلَةِ عن الله، فرَأَيْته ليلةً في مَنامِي، ويدُه في يدِ رسولِ اللهِ ﷺ، فقلتُ: يا رسولَ الله! إنَّ هذا العبدَ السُّوءَ مِن المُعْرِضِين عن اللهِ تعالى، فكيفَ وضَعْتَ يَدَكَ في يدِه؟ فقال رسولُ اللهِ ﷺ: قد عَرَفْتُ ذلك. هٰأنا أَمْضِي لأتَشفَّعَ فيه إلى اللهِ تَعالى. قلتُ: يا رسولَ الله! فبِأيِّ وسِيلَةٍ

بلَغَ ذلك منك؟ فقال: بِكَثْرةِ صلاتِه عليَّ. إنَّه كان في كلِّ ليلَة، إذا أَوى إلى فِراشِه، يُصلِّي عليَّ ألفَ مرَّة، وإنِّي أَرْجُو أنْ يَقْبَلَ اللهُ تعالى فيه شَفاعَتِي.

قال عبدُالواحِد: فلمَّا أَصْبَحتُ، وإذا أنا بذلِك الرَّجُلِ قد دَخَلَ المَسْجِد، فتَابَ على يَدِي - انتهى ملخَّصًا من الكتابِ المذكُور.

﴿تتمة﴾ قال بعضُ العُلماء: الصَّلاةُ في أَصْلِ اللُّغَة الدُّعَاء. قال اللهُ تعالى: [وَصَلِّ عَلَيْهِمْ]، أي ادْعُ لَهم. وفي الاِصْطِلاح: رَحْمَةٌ من اللهِ مَقرونَةٌ بِالتَّعْظِيم، وهي مِن الملائكَةِ اسْتِغْفَار، ومِن الآدَمِيِّين تَضَرُّعٌ ودُعَاء، ومِن الطَّيْرِ والهوامِّ تَسْبِيح، نُقِلَ ذلك عن الزُّهرِيّ. واشْتِقَاقُها مِن «صلَّيْتُ العُودَ» بالتَّشْدِيد، إذا لَيَّنْتُهُ وقوَّمْتُه، لأنَّها تُلَيِّنُ قَلْبَ المُصلِّي وتُقَوِّمُه. وقيلَ: الصَّلاةُ لله، أي الأَذْكارُ الَّتي يُراد بها تَعْظِيمُ المذكُور، والاِعْتِرافُ له بِجَلالةِ القَدْرِ وعُلُوِّ الرُّتْبَة، كلُّها لله، أي هو يَسْتَحِقُّها، لا تَليقُ بأحَدٍ سِواه. فإذا قُلنا: «اللهُمَّ صلِّ على مُحَمَّد»، فإنَّما نُريدُ بها: اللهُمَّ عظِّمْ مُحَمَّدًا في الدُّنيا بإعلاءِ ذِكرِه، وإظْهارِ دَعْوتِه، وإبْقاءِ شَرِيعتِه - وفي الآخرةِ بتَشْفِيعِه في أُمَّتِه، وإجْزالِ أَجرِه ومَثُوبَتِه، وإبداءِ فضلِه في الأوَّلِينَ والآخِرين، بالمَقامِ المَحْمُود، وتَقْديمِه على كافَّةِ المُقَرَّبين الشُّهُود. وهذه الأمورُ، وإنْ كان اللهُ قد أَوْجَبها للنبيِّ ﷺ، فإنَّ كلَّ شيءٍ مِنها له دَرَجاتٌ ومَراتِب. وقد يَجوزُ إذا صلَّى عليه واحِدٌ من أُمَّتِه يُجيب دُعاءَه فيه أنْ يزدادَ النبيُّ ﷺ بذلِك الدُّعاءِ في كلِّ شيءٍ مِمَّا سمَّيناه دَرَجةً ورُتْبَة.

قال الشيخ عزُّ الدين بن عبدالسلام، رحِمَه الله: ليستِ الصَّلاةُ على رسولِ اللهِ ﷺ شَفاعةً مِنَّا له، فإنَّ مِثلَنا لايَشْفَعُ لِمثلِه، ولكنَّ اللهَ أَمَرنا بِمُكافأةِ مَن أَنْعَمَ علينا. فإنْ عجَزْنا عن المُكافأةِ دَعَوْنا له، وتَضَرَّعْنا إلى ربِّنا أنْ يُكافِئَه عنَّا. ولَمَّا عَجَزْنا عن مُكافَأةِ سيِّدِ الأوَّلِينَ والآخِرين، أَمَرنا ربُّ العالَمِين أنْ نَرْغَبَ إليه، ونُصَلِّيَ عليه ﷺ، لِتكونَ صلواتُنا مُكافأةً لإِحْسانِه إلينا، وتَوْجيهِه الهِدايةَ والمِنَّةَ بها علينا، ولا إِحْسانَ أَبْلَغُ مِن إحْسانِه ﷺ، إذْ دَلَّنا على الطَّريقِ الأَقْوَم، فإنَّه هو السَّببُ لنا في الوُصولِ إلى السَّعادةِ الأَبَدِيَّة، وحصولِ الخيراتِ الدُّنْيويَّةِ والأُخْرَوِيَّة - انتهى.

﴿خاتمة﴾ قال بعضُ العلماء، رحِمَه الله: سُئِلَ الإمامُ الربَّاني الحُجَّةُ الإلٰهيَّة، مِشكاةُ النُّبوَّةِ مِعراجُ الوِلايَة، أعني حَضْرةَ الغزالي الطُّوسي، قَدَّسَ اللهُ سرَّه، ورضيَ عنه: مامعنى قولِه ﷺ: [مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا»، وما معنَى «صلواتِ اللهِ على مَنْ صَلَّى عليه»، وما معنَى «صَلاَتِنَا عَلَيْهِ»، وما معنَى استِدْعائِه من أمَّتِه الصلاةَ، أَيَرْتَاحُ بذلك، أم هو شَفَقَةٌ على أُمَّتِه؟.

فأَجابَ رضيَ اللهُ عنه، بِقولِه: أمَّا صَلواتُ اللهِ على نَبِيِّه وعلى المُصَلِّين عليه، بمعنى إفاضَةِ أنواعِ الكرامَات، ولَطائِفِ النِّعَم. وأمَّا صَلواتُنا عليه وصَلواتُ الملائِكَة، فهو سُؤالٌ وابْتِهالٌ في طلبِ تلك الكرَامَة، ورَغْبةٌ في إفَاضتِها عليه، لا كقولِ القائِلِ «غفرَ اللهُ له، ورحِمَه»، فإنَّ ذلك يَخْتصُّ بطلبِ الرَّحْمَة، وطلبِ العَفوِ والسَّتْر، ولذلك يَخْتصُّ الصَّلاةُ به وذوِيه. وأمَّا اسْتِدعاءُ الصَّلاةِ مِن أُمَّتِه فثلاثةُ أُمُور:-

أحدُها أنَّ الأَدْعِيَةَ مُؤَثِّرةٌ في اسْتِدرارِ فضلِه ورَحْمتِه، لاسِيَما في الجَمْعِ الكَثِير، كالجُمُعاتِ، وعرَفاتٍ، والجماعاتِ، فإنَّ الهِمَمَ إذا اجْتَمعَتْ وانْصَرفتْ إلى طلَبِ ما في الإمْكانِ وُجودُه على قُرْب، كالمَطَر، ورَفْعِ الوَباء، وغيرِه، فاضَ ما في الإمْكانِ مِن الفَيضِ الحقِّ بوسائِطِ الرُّوحانِيَّاتِ المُتَرسِّخين لِتَدْبيرِ العالَمِ الأسفلِ المُقْتضي لِتفَقُّدِهم. وإنَّما أثَّرتِ الهِمَمُ لِمَا بينَ الأَرْواحِ البَشريَّة والرُّوحانِيَّاتِ العالِيَة مِن المُناسبةِ الذَّاتيَّة، فإنَّ هذه الأَرْواحَ مُجانِسةً لتلك الجَوْهَر، وإنَّما يَمْنَعُ أن يَقَعَ مُجانسَتُها التَّدْنيسُ بكُدورَاتِ الشَّهَوات، ولذلك تكونُ كلِمةُ القُلوبِ الزَّكِيَّة الطاهِرَةِ به أَسْرَعَ تَأْثيرًا، وتكونُ في حالِ التَّضَرُّعِ والابْتِهالِ أَنْجح، لأنَّ حُرقةَ التَّضرُّعِ تُذيبُ كُدوراتِ الشَّهواتِ عن القَلبِ في الحَال، وتُضْعِفُه وتَكْسِرُ مِن ظُلمَتِه. وكذٰلك قَلَّما يُخْطِىء دُعاءُ الجَمْع، ولا يَخْلُو الجَمْعُ عن قُلوبٍ طاهِرَة، ثم يَزيدُها التَّعاوُنُ تَأْثيرًا

﴿قلتُ﴾ ويؤيِّـدُ ماأشَـارَ إليه حجَّـةُ الإسلام، مـا ذَكَرَ البخـاريُّ ومسلمٌ في صحِيحَيْهما في قِصَّةِ الَّذين دَخلُوا الغَار، فَانْطَبقَتْ عليهم صَخْرَة، فَسَدَّتْ بابَ الغَارِ

عليهم، فدَعَوُا اللهَ بِصالِحِ أعمالِهِم، فانْفَرَجَتْ بِدُعاءِ الأوَّلِ قليلاً، وبالثَّاني قليلاً، حتَّى اجْتَمَعَ الجَميعُ بِقَدْر مايَخْرُجُ كلُّ رَجُلٍ منهم، فانْظُرْهُ في الصحِيحَيْن.

رَجَعْتُ إلى كلامِ الحُجَّةِ، نفَعَ اللهُ به، قال: وإنَّما كان في يومِ الجُمُعَة وقتٌ يُسْتَجابُ فيهِ الدُّعاءُ بِهِم، إلا أنَّ الحالَ الَّذي تَجْتَمِعُ فيه على ذٰلك قُلوبٌ صافِيَة، وفي وقتٍ واحِدٍ مُبْهَم، لايُدْرَى متَى يتَّفِقُ، لٰكنَّ الغالِبَ أنَّ اليومَ لا يخلُو عنه، وهو وقتُ النَّفحاتِ الَّتي يُتَعرَّضُ لها. ورُبَّما كان اجْتِماعُ الهِمَمِ يومَ الجُمُعَة عندَ الأَسْبابِ الجامِعَة، كابْتِداءِ الخُطْبَة، وابْتِداءِ الصَّلاَة، وكان ابْتِداءُ الصَّلاةِ أَوْلَى أنْ لايُجْزِيَ القَولُ بِتَعْيِين وقتِه، بل يُبْهَم. ولذٰلك تُتَوَقَّعُ تلك النَّفَحاتُ في الأَسْحارِ لِصَفاءِ القُلُوب.

فإذا كانَتِ الأدْعِيةُ مؤَثِّرَةً في الاِسْتِجلابِ لِمزيدِ الفَضْل، وكان ما وُعِدَ رسولُ اللهِ ﷺ مِن الحَوْضِ وغيرِ ذلك من المَقاماتِ المَحْمودةِ غيرَ مَحْدودةٍ على وجهٍ لاتُتَصَوَّرُ الزِّيادةُ فيها، فاسْتِمْدادُه من الأَدْعِيةِ اسْتِزَادةٌ لِتلك الكَرامَات.

ثانيها ارْتِياحُه به، كما قالَ عليه الصَّلاةُ والسلام: إنِّي أُباهِي بكم الملائِكَة، وكما لايَبْعُدُ أنْ يطَّلِعَ النَّائمُ مِنَّا على الغَيبِ مِن أحوالِ المَوْتَى، مع كونِنا في هذا العالَمِ المُظْلِم، لايَبْعُدُ أنْ تَحصُلَ لِلأَرْواحِ بِمَجاري أحوالِنا، مع أنَّهم في العالَمِ المُقَدَّس والصَّفاءِ ودارِ الحيَوان. فوَجهُ اطِّلاعِ النَّائمِ على أحوالِ المَوْتَى، واطِّلاعُ المَوْتَى على أحوالِ النَّاس، يَطولُ ذِكْرُه.

ثالِثُها الشَّفَقةُ على الأُمَّة بِتَحْريضِهم على ما هو حسَنَةٌ في حَقِّهِم، وقُرْبةٌ لهم، وإنَّما تَضاعفَ صَلواتُ اللهِ وسَلامُه عليهِم، لأنَّ الصَّلاةَ ليسَتْ حسَنَةً واحِدَة، بل حسَنات، إذْ فيها تَجْديدُ الإيمانِ باللهِ أوَّلاً، ثم بِالرَّسولِ ثانيًا، ثم تَعْظِيمُه ثالِثًا، ثم العِنَايةُ بِطلَبِ الكرَامَةِ له رابِعًا، ثم تَجْدِيدُ الإيمانِ باليومِ الآخِرِ وأَنْواعِ كَراماتِه خامِسًا، ثم بِذِكْرِ اللهِ سادِسًا، وعند ذِكْرِ الصَّالِحين تَنْزِلُ الرَّحْمَة، ثم بِتَعْظيمِ نِسْبَتِهم إلى اللهِ تعالى سابِعًا، ثم بِإظْهارِ المَودَّةِ لهم ثامِنًا، ولم يَسْأَلِ الرَّسولُ من أمَّتِه عليه الصَّلاةَ والسلامَ إلَّا المَودَّةَ في

القُرْبَى، ثم الاِبْتِهالُ والتَّضرُّعُ في الدُّعاءِ تاسعًا، والدُّعاءُ مُخُّ العِبادَة، ثم الاِعْتِراف عاشِرًا بأنَّ الأمرَ كُلَّه للهِ، وأنَّ النبيَّ ﷺ وإنْ جلَّ قَدْرُه، فهو عبدٌ مُحْتاجٌ إلى رَحْمَةِ الله، وإلى مَدَدِ اللهِ تعالى له.

فهذه عَشْرُ حسَنَاتٍ سِوى ما وَرَدَ الشَّرعُ به، مِن أنَّ الحسَنَةَ الواحِدةَ بعَشْرِ أَمْثالِها، والسيِّئةَ بمثلِها فقط. وسِرُّه أنَّ الجَوْهرَ الإنسانيَّ حنَّانٌ إلى ذلك العالَمِ العُلوِيِّ، لأنَّه مُقْتَبَسٌ منه، وهُبوطُه إلى العالَمِ الجِسمانّي غَريبٌ في طبيعَتِه، والسَّيِّئةُ تُطَأْطِؤه عن التَّرقِّي إلى ذلك العالَمِ على خلافِ طَبعِه، والحسَنَةُ تُرَقِّيه إلى مُوافقةِ الطَّبعِ والقُوَّةُ الَّتي تُحرِّكُ الحجرَ إلى فوقُ ذِراعا، هي بعَينِها إنِ اسْتُعْمِلتْ في تحريكِه إلى أَسْفلَ تَحْرِيكَ عَشَرَةِ أَذرُعٍ وزِيادَة. فلِهذا كانتِ الحسَنَةُ بعشْرِ أمثالِها إلى سبعِمائةِ ضِعْف، إذْ مِنها يُوفَّى أَجْرُه بغيرِ حِسَاب، وهي الحسَنَةُ الَّتي لايُدافِعُ تَأْثيرَها تَقْصِيرٌ مِن رِياءٍ وعُجْب، كالحجَرِ الَّذي تَدَهْوَرَ مِن شاهِقٍ لايُصادِمُه دافِع، فإنَّه لايُقَدَّرُ مِقدارُ هُبوطِه بِحسابٍ حتَّى يبلغَ الغايةَ والنِّهايَة، واللهُ أعلمُ بالصَّواب - انتهى كلامُ الغزالي، نفَعَ اللهُ به.

﴿الذكر السادس﴾

قولُ صاحبِ الرَّاتِب، نفعَ اللهُ به: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِ مَاخَلَق» - (ثلاثا). قال في الشَّرْح، قال النَّوويُّ، رحِمَه اللهُ تعالى، في [الأذكار]: روَيْنا في صحيحِ مسلم، عن أبي هريرة، رضيَ الله عنه، قال: جاءَ رجُلٌ إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فقال: يا رسولَ الله! ما لَقِيتُ مِن عَقْرَبٍ لَدَغَتْني البارِحَة. قال: أَمَا إنَّكَ لو قُلْتَ حينَ أَمْسَيْتَ «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ» لم يَضُرَّكَ. وروَيْنا في كتابِ ابنِ السُّنِّي، وقال فيه: [مَنْ قَالَهَا ثَلاثًا لَمْ يَضُرَّهُ شيْءٌ]، وفي رواية الترمذيِّ: [مَنْ قَالَهَا ثَلاثَ مَرَّاتٍ لَمْ يَضُرَّهُ حُمَّى تِلْكَ اللَّيْلَةَ]. قال سهلٌ: فكان أهلُنا يَقُولونها كلَّ ليلَة، فلُدِغَتْ جارِيةٌ مِنهم، فلم تَجِدْ لها وجَعًا.

قال بعضُ العلماء، رضِيَ اللهُ عنه: واسْتعَاذَ بِالكلماتِ العِظَام، وكلَّما ظَهَرَ في التَّكْوين، هو مِن الكلماتِ المُستعاذَةِ بها هنا بِكلماتِه التَّامَّات، مِن نبيٍّ ومُقرَّبٍ ومَلَكٍ، إذ هي الكلمَات. [وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا]، فكونُها تامَّاتٍ بِوَصْفهنَّ إلا مابرَزَ عنهنَّ من أَوْصافِ العُبودِيَّةِ مِن شرِّ ماخَلَقَ في عالَمِ الخلقِ والاِخْتِرَاع، وما احْتَوَتْ عليه الصُّدورُ والطَّبائِعُ والأَوْضَاع، ممَّا يَصْدُرُ عنها من التَّصرُّفاتِ السِّحْريَّات، والسِّعايَةِ وأَرْسالِ الهِمَمِ الدنيَّـات، والتَّصرُّفـاتِ بالأَفْعـالِ السُّمِّيَّاتِ والحِسـابيَّاتِ بـالأمورِ المُضِرَّات، وخبائِثِ الطَّبعِيَّات، فتكونُ تلك الكلماتُ التَّامَّاتُ حِجابًا واقِيًا عن مَضارِّ هذه السُّمِّيَّات، والأَفعالِ المُهلِكَات، كما وَرَدَ في الأَخْبارِ النَّبويَّات: [مَنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي لَمْ يَضُرَّهُ شيْءٌ حَتَّى يُصْبِحَ. وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ لَمْ يَضُرَّهُ شيْءٌ حَتَّى يُمْسِيَ].

قال: وأمَّا قولُه «ثلاثا»، لأنَّ مَراتِبَ الألوهِيَّةِ تَقْتَضي بِتثْليثِها مَظْهَرَ الألوهِيَّةِ ذَوقًا

ووَصْفًا، كما تَقْتَضي الاِسْتِعاذَةَ منه ذَاتًا مِن هِمَّتِه، ووَصْفًا مِن فِطرتِه، وفِعلاً من حيثُ مايَخْلُقُ اللهُ مِن المَضرَّات، ومِن شرِّ جَوارِحِه وأَرْكانِه من الأَفْعَال. قالَ: وقد ثَبَتَ في الحديثِ تَثْليثُ ذلك، كما وَرَدَ في الأَذْكَار - انتهى.

قال الإمامُ مُحيي الدين النَّوويُّ في كتابِه [الأذكار]: رَوَيْنا في صحيحِ مسلم، ومُوطَّأ مالِكٍ، وكتابِ الترمذي، وغيرِها، عن خَوْلَة بنتِ حكِيمٍ، رضيَ اللهُ عنها، قالَتْ: سمِعْتُ رسولَ اللهِ يقولُ: [مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً، ثُمَّ قَالَ «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِ مَا خَلَقَ» لَمْ يَضُرَّهُ شيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ].

﴿فائدة مهمَّة﴾ يَحْتاجُ إليها صاحِبُ الأَوْلَاد. كان سيدُنا صاحِبُ الرَّاتِب يعلِّمُ صِغارَ بَنِيهِ كلَّ ليلَة، ويُلقِّنُهم على كلِّ كلِمَة. وكذلك رأَيْنا سيدَنا الجَدَّ، ابنَه الحسنَ يَفعلُ ذلك ويُلقِّنُهم، وهو «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِ مَا خَلَق. بِسْمِ اللهِ الَّذِي لَايَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيم. رَضِينَا بِاللهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا. يَاحَافِظُ يَاحَفِيظُ، يَاكَافِي يَامُحِيطُ، صَلَّى اللهُ عَلَى نُوحٍ، وَعَلَى نُوحٍ السَّلَامُ».

﴿خاتمة﴾ قال اللهُ تعالى: [وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا]. وقال تعالى: [وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ]. وقال تعالى: [قُلْ لَوْ كَانَ البَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي، لَنَفِدَ البَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي، وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا]. وقال تعالى: [وَيُحِقُّ اللهُ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ، وَلَوْ كَرِهَ المُجْرِمُونَ]. قال تعالى: [وَيُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ، وَيَقْطَعَ دَابِرَ الكَافِرِينَ]. وقال تعالى: [وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ، وَالبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ، مَانَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ، إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ].

قال بعضُ العُلماء: الكلماتُ التَّامَّاتُ، هي النافِعاتُ الكافِياتُ الشَّافِياتُ مِن كلِّ مايُتَعوَّذُ منه. وقال البيهقيُّ: إنَّما سمَّاها تامَّةً، لأنه لايَجوزُ أنْ يكونَ في كلامِه عَيْبٌ، أو نَقْصٌ، كما يكونُ ذلك في كلامِ الآدميِّين. وقال: بَلَغني عن الإمام أحمد، أنَّه كانَ

يَسْتَدِلُّ بذلك على أنَّ القُرآنَ غيرُ مَخْلُوق. قال تعالى: [وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ]. قال أهلُ العِلْم: هي عشرُ خِصالٍ: فرقُ الشَّعَر، وقَصُّ الشَّارِب، وتقْليمُ الظُّفْر، والسِّوَاك، والمَضْمضَة، والاِسْتِنشَاق، والخِتَان، والاِسْتِحدَاد، والاِسْتِنجَاء، ونَتْفُ الإِبْط. وقيلَ: اِبْتَلاَهُ بالكَواكِبِ فصَبر، ثُمَّ ابْتلاهُ بالقمرِ فصَبر، ثم ابْتَلاه بالشَّمسِ فصَبَر، ثم ابْتَلاه بالنَّاسِ فصَبَر. وقوله تعالى: [فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ، فَتَابَ عَلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ]. اختُلِف في الكلِماتِ الَّتي تَلَقَّاها آدَمُ، عليه السلام، فقيل: إنَّه قال: «اللهُمَّ إِنِّي أَتوسَّلُ إليكَ بمُحمَّدٍ ﷺ أنْ تَغْفِرَ لي خَطيئَتي!»

ونَقَلَ الشرَجي مِن بعضِ مُصَنَّفات الإمامِ البوني، أنَّ الكلماتِ التَّامَّاتِ هي عَشَرَةُ أسماء، وهي: المُحِيط، العَالَم، الربّ، الشَّهيد، الحَسِيب، الفعَّال، الخَلَّاق، البارِىء، الخالِق، المُصَوِّر، «قال» وهي مِن أَعْظَمِ الأَذْكارِ ما اسْتَدَام أحَدٌ ذِكْرَها، إلَّا تَيَسَّرَ له المَطْلوبُ من العاجِلَة. «قال» وفيها اسمُ اللهِ الأَعْظَمِ الَّذي إذا دُعِيَ به أَجَاب، وإذا سُئِلَ به أَعْطَى. ولأَهلِ المُكاشَفاتِ بها إِلمَام، ومَن ذَكَرَها في أَنْصافِ اللَّيلِ يَرَى عَجائِب. وفيها حِفْظُ النَّفْسِ والجِسمِ من المُؤْلِم، وقَهْرُ الأَعْدَاء، ولا يَسْتَديمُ أحَدٌ ذِكْرَها إلَّا ويَرَى مِن العالَمِ العُلْوِيِّ أَسْرارًا، وسُخِّرَ له كلُّ عِلْم.

وقيلَ: الكلِماتُ هي قولُه تعالى: [رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ]. وقيل: [اَللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ سِرِّي وَعَلانِيَتِي فَاقْبَلْ مَعْذِرَتِي، وَتَعْلَمُ حَاجَتِي فَأَعْطِنِي سُؤْلِي، وَتَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ. اَللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيمَانًا دَائِمًا يُبَاشِرُ قَلْبِي، وَيَقِينًا صَادِقًا حَتَّى أَعْلَمَ أَنَّهُ لَنْ يُصِيبَنِي إِلَّا مَاكَتَبْتَهُ عَلَيَّ، وَأَرْضِنِي بِمَا قَسَمْتَهُ لِي]. فَأَوْحَى اللهُ سُبْحانه وتعالى إليه: يَا آدمُ قد قَبِلْتُ تَوْبَتَك، وغَفَرْتُ لك ذَنْبَك، ولنْ يَدْعُوَني بهذا الدُّعاءِ أحَدٌ، إلَّا غَفَرْتُ له ذَنْبَه، وكَفَيْتُهُ الأَهَمَّ مِن أَمْرِه، وزَجَرْتُ عنهُ الشَّيْطَانَ، واتَّجَرْتُ له مِن وَرَاءِ كُلِّ تاجِرٍ، وأَقْبَلَتْ إليه الدُّنيا راغِمَةً، وإنْ لم يُرِدْها.

فهذه الأَقْوالُ في الكلِماتِ الَّتي تَلَقَّاها آدَمُ. وهنا أيضًا في البابِ أَقْوالٌ أُخْرى تَرَكْناها خَوْفَ الإِسْهَاب، ولو أَرَدْنا أنْ نَتَتَبَّعَ الأَقْوَالَ المُعْتَمَدةَ فيما يُناسِبُ كُلَّ ذِكْرٍ في هذا الرَّاتِب، لاحْتَاجَ كلُّ ذِكْرٍ إلى مُجَلَّدٍ يَسْتَقِلُّ بِنفْسِه، وفي هذا كِفَايَة. ومَن أَرَادَ الزِّيادَة، فلْيُطالِعْه في مَظَانِّهِ مِن الكُتُبِ الصَّحِيحَة.

﴿الذكرُ السابع﴾

قولُ صاحِبِ الرَّاتِب، نَفَعَ اللهُ به: «بِسْمِ اللهِ الَّذِي لاَيَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّماءِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيم» - (ثلاثًا). قال في الشَّـرْح، قال في [الأذكار]: روَيْنا في سُنَن أبي داود والترمذيِّ، عن عثمان، رضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: [مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ، وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: «بِسْمِ اللهِ الَّذِي لاَيَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّماءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيم» ثَلاثَ مَرَّاتٍ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ]. هذا لفظُ الترمذي، ولفظُ أبي داودَ [لَمْ تُصِبْهُ فُجَاءَةُ بَلاَءٍ].

قال بعضُ العُلماء، رحِمَه اللهُ تعالى: قولُه «مع اسمِه»، أي الجامِعِ المُراقِبِ الأسماء، والمُظاهِرِ الأُلُوهِيَّة. كذلك «شيءٌ» مِن الآثارِ المَنْسوبَةِ إلى الأَغْيارِ مِن المَظاهِرِ الجِسْمانِيَّة. «في الأَرْضِ ولا في السَّماءِ» مِن التَّأْثِيراتِ السَّماوِيَّة، والكَواكِبِ النَّحْسِيَّة، فمَنْعُ قُدْرتِه الذَّاكِرَ لِهذا الاِسْمِ الأَعْظَمِ يكونُ حِجابًا لِلذَّاكِرِ مِن هذهِ التَّأْثِيرَات، وصَوْنًا لِلمَعانِي الرُّوحانِيَّةِ عن طُرُقِ اللَّمَّاتِ الشَّيْطانِيَّات، الدَّاعِياتِ إلى المُخالَفَات، والأُمورِ الحِجابِيَّات، وذلك الجَميعُ مما يُطْلِقُ عليه الشَّيْـطانُ في الأُمورِ المُضِـرَّات، والشَّهَواتِ المُهلِكَات، مِن المُسْتعِيذِ على غيرِه، ومِن غيرِه عليه. «وهو السَّمِيعُ» الواقِي لِما أَحاطَتْ عليه الدَّائِرةُ الوَصْفِيَّةُ مِن المُلْكِيَّاتِ والمَلَكوتِيَّات، «العَلِيم» الواقِي أيضًا لِما أَحاطَ به العِلْمُ من الحِسِّيَّاتِ والرُّوحانِيَّاتِ والحِسابِيَّاتِ والعُقُوبَات. يقولُ ذلك ثلاثًا كما قدَّمْناه قبلُ - انتهى.

قال سيِّدي أبو الحسنِ الشَّاذِلي في حِزبِه، المُسمَّى بحِزبِ النُّور: «اَللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِالاِسْمِ الأَعْظَمِ الَّذِي لاَيَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَهُوَ

السَّمِيعُ العَلِيم». فهذا دلِيلٌ على أنَّ المُرادَ في هذا الإسْمِ هو الأَعْظَمُ لا ما أَوْمَأَتْ إليه الأَقْوالُ المُخالِفةُ فيما ذكَرَه بعضُ الشُّرَّاحِ لحزبِ البَحْر - انتهى.

وقال في مَوْضعٍ آخرَ من حِزْبِ النُّورِ المذكُور: جَلَّ ربِّي أن يُوجِدَ بِشَيْءٍ، أو يُفْقِدَ بِشَيْءٍ، أنَّه لنْ يَضُرَّ مع اسْمِهِ شَيْءٌ في الأرضِ ولا في السَّماءِ وهو السَّمِيعُ العَلِيم. وقال الأَزْرَق في كتابه [تسهيل المنافع]: ورَوَيْنا في بعضِ كُتُبِ الطِّب عن أنسٍ، قال: جاءَ أَعْرابِيٌّ إلى رسولِ اللهِ ﷺ، وقال: يا رسولَ الله! إنِّي سَقِيمٌ، ولا يَسْتَقيمُ الطَّعامُ والشَّرابُ في مَعِدَتِي، فَادْعُ اللهَ لي بِالصِحَّة! قال عليه الصَّلاةُ والسلام: إذا أَكَلْتَ طعامًا أو شَرابًا، فقُلْ «بِسْمِ اللهِ الَّذي لايضُرُّ مع اسْمِهِ شَيْءٌ في الأرضِ ولا في السَّماءِ، وهو السَّمِيعُ العَلِيم» فإنَّه لايَضُرُّكَ داؤُهُ، وإنْ كانَ عظِيمًا. انتهى.

وذَكَرَ الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن علي الحَنَفي في شرحِه على [اللمعة البونية] في الكلامِ على اسمِه تعالى «البَاسِطِ» أنَّ جارِيَةً لأبي الدَّرداءِ أَطْعَمَتْه السُّمَّ أربعينَ يومًا فما ضَرَّه. إنَّه كانَ يقولُ «بسمِ اللهِ الَّذي لايَضُرُّ مع اسْمِهِ شيءٌ في الأرضِ ولا في السَّماءِ، وهو السَّمِيعُ العَلِيم». وذكَرَه أيضًا ابنُ ظَفَر في كتاب [النصائح] له، كما نَقَلَه عن الدَّميري من [حياة الحيوان الكبرى]. وقال فيه: إنَّها قالَتْ لأبي الدَّرْداءِ: مِن أيِّ جِنسٍ أنتَ؟ قال: أنا آدمِيٌّ مثلُكِ. قالَتْ: كيفَ تكونُ آدَمِيًّا وقد أَطْعَمْتُكَ السُّمَّ أربعينَ مرَّةً، فلم يَضُرَّك؟! فقال: أمَا عَلِمْتِ أنَّ ذاكِرِي اللهِ لايَضُرُّهم شَيْءٌ. وأنا كُنْتُ أَذْكُرُ بِاسْمِه الأَعْظَم. قالتْ: وما هو؟ قال: بِسْمِ اللهِ الَّذي لايَضُرُّ مع اسْمِهِ شيءٌ في الأرضِ ولا في السَّماءِ وهو السَّميعُ العَلِيم. ثم قال: وما الَّذي حَمَلَكِ على هذا؟ قالَتْ: بُغْضُكَ. قال: أنتِ حُرَّةٌ لِوَجهِ الله، وأنتِ في حِلٍّ ممَّا صَنَعْتِ - انتهى.

﴿قال﴾ قال الشيخ داودُ الشاذِليُّ في كتابِه [اللطيفة المرضية] الَّتي شَرَحَ بها حِزْبَ الشيخ القُطب أبي الحسن الشاذلي، رحِمَه الله، عندَ قولِه «بِسْمِ اللهِ بَابُنا»: اِعْلَمْ أنَّ اللهَ شَرَعَ لِلعَبْدِ، أنَّ كلَّ شيءٍ ابتَدَأَه، أنْ يَذْكُرَ اسمَ اللهِ تعالى عندَه، إشْعارًا لِلعَبْدِ أنَّ كلَّ

شيءٍ كائِنٌ باسم ِ الله تعالى، فيَعْلَمُ ذلك، فيَقْوَى إيمانُه ويَتأَكَّدُ. وأيضًا فإنَّه إذا ذَكَرَ اللهَ في شَيْء، بُورِكَ له في ذلكَ الشَّيْء، كما بَيَّنَ ذلك في الحدِيث، فيَبْقَى القليلُ كثِيرًا، والضَّارُّ نافِعًا، ببركاتِ اسْمِه تعالى، كما جاءَ عن موسى، عليه السَّلام، فإنَّه اعْتَلَّ، فقيلَ له: اِذْهَبْ إلى غارِ كذا، ففيه نَباتٌ فيه شِفاؤُكَ. فذَهَبَ، فاسْتَعْمله، فَشَفَاهُ الله. ثم اعْتَلَّ بمثلِ تلك العِلَّةِ بعدَ وَقْتٍ، فذَهَب، فاسْتَعْملَ ذلك النَّبات، فلم يُشْفَ. فقال: يا ربِّ! العِلَّةُ واحِدَة، فما هذا؟ قيلَ: لأنَّك في المَرَّةِ الأولى، ذَهَبْتَ بأَمْرِنا، فشَفَيْنَاك. وفي هذه المَرَّةِ، ذَهَبْتَ بِنَفْسِك، فلم تُشْفَ. أَلَمْ تَعْلَمْ، ياموسى، أنَّ الدُّنيا وما فيها سُمٌّ قاتِلٌ، وإنَّما يُصلِحُها ذِكْرُ اللهِ تعالى عليها. ﴿قال﴾ وهذا مِن تَأْدِيبِ اللهِ تعالى لأنبِيائِه، عليهم الصلاةُ والسلام، حتَّى لايتَعَلَّقوا بشيءٍ سِواه، ولِيكونوا لعبادِه قُدْوَة.

وفي كتاب [القرطاس]، وغيرِه، أنَّ سيِّدَنا خالدَ بنَ الوليد، رضيَ اللهُ عنه، لَمَّا أَخْرَجَ عَمْرَ بنَ نُفَيْلَة من رُؤساءِ الحِيرَة، فرآه خالِدٌ مُعَلِّقًا كِيسًا في حَقْوَيْه، فتَناوَلَ خالدٌ الكِيسَ، ونَثَرَ ما فيه في سَراحَتِه، وقال: ما هذا، ياعمرُو؟ قال: هذا سُمٌّ ساعَة. فأكلَه خالدٌ، وقال قبلَ أَكْلِه «بسم ِ اللهِ الَّذي لايَضرُّ مع اسْمِهِ شَيْءٌ في الأرض ِ ولا في السَّماءِ، وهو السَّمِيعُ العَلِيم»، فلم يَضُرَّه السُّمّ. وقيل إنَّه قال غيرَ ذلك، واللهُ أعلَم.

﴿خاتِمة﴾ قال الشَّيخ شرفُ الدين، في كِتاب [اللطيفة المرضية] على شَرْحِ قولِه: «بسم ِ اللهِ الَّذي لايَضرُّ مع اسْمِهِ شيءُ في الأرض ِ ولا في السَّماءِ، وهو السَّمِيعُ العَلِيم»، هذا دُعاءٌ جلِيلٌ مؤثِّر، عظيمُ النَّفْعِ والبَرَكَة، يَنْبَغي للعبدِ أنْ يُلازِمَه صباحًا ومساءً. فقد ثَبَتَ في الحديثِ الصحِيح، عنه ﷺ، قال: [مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَباحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَساءِ كُلِّ لَيْلَةٍ «بِسْمِ اللهِ الَّذِي لاَيَضرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّماءِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيم» ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فَيَضُرَّهُ شَيْءٌ]، رواه الترمذيُّ في جامعه، وقال حديثٌ حسنٌ غريبٌ صحيح. وقال رواه غيرُه. وفيه أنَّ أبَانَ بنَ عثمانَ رواه عن عثمانَ بن عفَّانٍ، رضِيَ اللهُ عنهما.

روى أبو الزّناد، عن أبَانَ، وكان أبَانُ قد أَصَابَه فالِج، فجَعَل الرجُلُ يَنْظُرُ إليه، فقال له أبَانُ: ما تَنْظُرُ، أمَّا الحديثُ فهو كما حدَّثْتُك، ولكنّي لم أقُلْه يومئِذ، لِيَقْضِيَ اللهُ تعالى عليَّ قَدَرَه. ثم قال: فانْظُرْ إلى عُظْمِ قَدْرِ هذا الحدِيث، وجليلِ فائدتِه، من أنَّه يُصانُ العبدُ بِبَركاتِ ذِكْرِه من كلّ ضُرٍّ في الدِّين والدُّنيا بالعُمُوم، وقولُه ﷺ «لم يَضُرَّه شيءٌ» فيكونُ في صَوْنِ ذِكرِ اللهِ تعالى، وبركاتِ كلامِ نبيِّه ﷺ، وذلك مع تحقيقِ الإيمان، وتصديقِ القَلْب، وقُوَّةِ اليقين. فيُصانُ العبدُ على حَسَبِ يقينِه عندَ ذكرِه. ﴿قال﴾ ولن يَعْدَمَ العبدُ المُؤمنُ خيرًا وإنْ نَزَلَ مَقامُه عن الرُّتْبَةِ العُلْيَا، لِعُمومِ بركاتِ الكلامِ والذِّكْر، وأَطَالَ نَفَعَ اللهُ به بما يَبْهَرُ العُقُول.

ثم قال: وكذلك عُمومُ الأَذْكارِ والعِباداتِ الَّتي وَفَّقَ اللهُ عِبادَه المُؤْمنين لِفعْلِها، أَسْرارُها عَظِيمَة، وخيُورُها وبركاتُها جَسِيمَة، يَقَعُ الإيمانُ بالثَّوابِ عليها، ولا يَعْلَمُ حقيقةَ ذلك، إلَّا الله. وإذا قَرَأْتَ الاسمَ بما ذَكَرَه ﷺ، مِن قولِه «بسمِ اللهِ الَّذي لايَضُرُّ مع اسْمِهِ شيءٌ في الأرضِ ولا في السَّماءِ، وهو السَّمِيعُ العَلِيم» بالاِسْمَيْنِ العظيمَيْنِ اللَّذَيْنِ هما «السَّمِيع العَلِيم»، يكونُ للعبدِ الذَّاكِرِ ما وَعَدَ ﷺ من النَّفْعِ والبَرَكةِ إلى غيرِ ذلك.

﴿قال﴾ وبَسْطُ شيءٍ مِن ذلك مِمَّا يبدو مِن علمِ معاني الأسماءِ والأذكَار، بَحْرٌ عَظِيم، والمَقْصودُ التَّنْبِيهُ على فَضيلةِ هذا الذِّكْر. فيَنْبَغي للعبدِ المؤمنِ أنْ يُلازِمَه صباحًا ومساءً، كما ذَكَرَه ﷺ لِتَحْصُلَ له هذه البَرَكَةُ العَظِيمَة، ودَفْعُ الضَّررِ عنه، وله مع ذلك الثَّوابُ على الذِّكْرِ مع حُصولِ فائِدَة، لأنَّ ذِكْرَ اللهِ تعالى يُثابُ العبدُ على فعلِه، وله أيضًا بَركاتُ مُتابعَتِه ﷺ، وامْتِثالِ أَمْرِه. فكلُّ خيرٍ وفَضلٍ مِن اللهِ عَظِيم - انتهى ما أَوْرَدَه الشيخ شرفُ الدين، رحِمَه الله.

وقال الإمامُ البوني، رحِمَه الله، في كتابِه [شمس المعارف ولطائف العوارف]: اِعْلَمْ أنَّ أوَّلَ صحيفةِ إبراهيم، عليه الصلاةُ والسلامُ «بسمِ الله»، وكذلك في صحيفةِ

نوح، عليه السلامُ، وكذلك في صحيفةِ سُليمان، عليه السلامُ، وكذلك أولُ الوحيِ على رسولِ اللهِ ﷺ، لقوله تعالى: [اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . . . . . ». فبَدَأَ بسرِّ الباءِ، فالباءُ تَضَمَّنُ سرَّ الإلْهيَّة، وهو مِنكَ إليه، وهي مُضْمِراتُ لِذَاتِ سرِّ التجلِّي، لقوله «بِي عَرَفْتَنِي». ولمَّا خلَقَ اللهُ الباءَ، خلَقَ معها من الملائكةِ أحَدًا وثمانين مَلَكًا يُمَجِّدون اللهَ ويُقدِّسُونَه.

ومِن بركةِ «بسمِ الله» أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: [مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ «بِسْمِ اللهِ الَّذِي لَايَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيم» لَمْ تُصِبْهُ فُجَاءَةُ بَلَاءٍ حَتَّى يُمْسِيَ. وَمَنْ قَالَهَا مَسَاءً ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لَمْ تُصِبْهُ فُجَاءَةُ بَلَاءٍ حَتَّى يُصْبحَ]. وفي روايةٍ: [لَمْ يُصِبْهُ فَالِجٌ]. وفي أُخرى: [لَمْ يُصِبْهُ شَيْءٌ]. وقد أَخَذَ خالدُ بنُ الوليدِ، رضِيَ اللهُ عنه، السُّمَّ حينَ بَعَثَ إليه عظيمُ النَّصْرانيَّة، وقال له: إنْ كُنْتَ صادِقًا فيما زعَمْتَ أنَّ السُّمَّ لايَضُرُّ مع هذه الكلِمات، فاشْرَبْه. فجَعَلَه في كَفِّه بمَحْضَرِ رسولِه الَّذي أَرْسَلَه بالسُّمِّ إليه، وبمَحْضَرِ أصحابه، وقال: «بسمِ اللهِ العظيمِ الَّذي لايَضُرُّ مع اسْمِهِ شيءٌ في الأرضِ ولا في السَّماءِ، وهو السَّمِيعُ العَلِيم»، ولَحِسَه، فلم يَضُرَّهُ شيءٌ، إلَّا رشحُ عَرَقٍ. فإذَنْ كأَنَّ هذا الاِسْمَ مَنَعَ من السُّمِّ، ودفَعه وكَفَاه برَكَةً به ويُمْنًا، وبهذا الاِسْمِ جَرَتْ سفينةُ نوحٍ، عليه السلام، ونجا، بقوله تعالى: [بِسْمِ اللهِ مَجْرٰيهَا وَمُرْسٰيهَا]، وبها نجَا إبراهيمُ، عليه السلام، من نارِ نَمرود، وجَعَلَها اللهُ بَرْدًا وسلامًا، وبها النَّجاةُ حينَ تلِجُ بيتَك وحينَ تخرُجُ، وتقولُ عندَ غَلْقِ الباب، فإنَّ الشَّيطانَ لايَفْتَحُ غلقًا ذُكِرَ عليه هذا الاِسْم، نعَم ولا يَقْرَبُه لِصٌّ. ومِن فضلِه أنَّك تقول، إذا دَخَلْتَ فِراشَك، «بسمِ الله، وعلى مِلَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ». وقال رسولُ اللهِ ﷺ: [لَاوُضُوءَ لِمَنْ لَايُسَمِّي اللهَ] - أَخْرَجَه أبو داود.

ومَن أَكَلَ مع مَجْذُوم، وقال «بِسْمِ اللهِ ثِقَةً باللهِ، وَتَوَكُّلًا عَلَيْهِ لَمْ يَضُرَّهُ». وقد فَعَلَ ذلك عمرُ بنُ الخطَّاب، رضِيَ اللهُ عنه، مع مُعَيْقِيب الدَّوْسي، رضِيَ اللهُ عنه، وكان مَجذومًا، وأُوتِيَ بِطَعامٍ، وهو حاضِرٌ، فدعاه، وقال: كُلْ معَنا بِسْمِ الله، ثِقَةً بالله،

وتوكُّلًا عليه. فدَنا، وأَكلَ معه. وبهذا الاسْمِ الكريم، يُسْتَشفى مِن العَيْن، تَضْرِبُ بيدِك على صَدْرِ العَيْن، وتقول: اللَّهُمَّ أَذْهِبْ حَرَّهَا وَوَصَبَهَا! ويقول لها: إذا وَضَعَ رِجْلَه في غرزِ الرِّكَاب.

وكَان رسولُ اللهِ ﷺ يقولُ لِمَن خَرَجَ مُسافرًا، وأَرَادَ وداعَهُ، يَقول: ارْكَبْ بِسْمِ اللهِ وَباللهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ الله. وبها كان رسولُ اللهِ ﷺ يَسْتَفتِحُ في سَفَرِه، يقولُ: بِسْمِ اللهِ أَعُوذُ باللهِ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ . . . . إِلَى آخِرِهِ]. وقال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ لِطَلْحَة بنِ عُبَيدالله حين ضُرِبَتْ يَدُه، وقُطِعَتْ أصابِعُه: أمَا إِنَّكَ لو قُلْتَ بِسمِ الله، لَرَفَعَتْكَ الملائِكَةُ، والنَّاسُ يَنْظُرون إليك.

أُنظُرْ فضلَ هذا الاِسْم، الملائِكَةُ تَرْفَعُ قائِلَه، والشَّياطِينُ تضَلَّلَتْ عندَ ذِكْرِه، والسُّمُّ ارْتَفعَ قَطْعُهُ عندَ ذِكْرِه. وسيِّدُ البشَرِ عَرَّفَك قَدْرَه، وربُّ العَرْشِ قد مَنَحكَ سِرَّه وفَضْلَه، فإِنْ تَطْلُبْ مجدَه وفخرَه، فلا تَتحرَّكْ حركَة، ولا تَسْكُنْ سَكْنَةً إلَّا بذِكْرِه. فبه يُرزَقُ ويُسعَد، ويسلَمُ ويَنْجُو، وكلُّ ذلك في طَيِّ بسمِ اللهِ الرحمٰنِ الرحيمِ.

وبِبِسمِ اللهِ كان عليه الصَّلاةُ والسلامُ يَرْتَقِي ويَسْتَشفِي من الأوجَاع، وجميعِ الأذى كلِّه . . . الخ ماأطالَ فيه، فانْظُرْهُ إنْ شئتَ تَسْتَزِدْ على ماهُنا، وقد لَخَّصْنا مانقَلْناه منه. وفي هذا الذِّكرِ فضائِلُ أُخَرُ غيرَ ماذكَرْناه هنا، ومُرادُنا الإيجاز، لأنَّ الهِمَمَ قصُرَتْ، والنُّفوسَ غَلَبَتْ، والأهواءَ تَحَكَّمَتْ، وفيما ذكَرْناه كِفايةٌ لِلمُوَفَّق، وإلا فَيَطْلُبُه من مَظَانِّه، ولا يجدُ مثلَ الجزء الثاني من كتاب [القرطاس] فيما أظنُّ، واللهُ أعلَم.

﴿الذكر الثامن﴾

قولُ صاحبِ الرَّاتِب، نفعَ اللهُ به، آمين: «رَضِينَا بِاللهِ رَبًّا وَبالإسْـلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا» - (ثلاث مرات). قال في الشَّرْح، قال النوويُّ، رحِمَه اللهُ تعالى في [الأذكار]: روَيْنا في كتاب الترمذي، عن ثوبانَ، رضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: [مَنْ قَالَ حِينَ يُمْسِي «رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا، كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُرْضِيَهُ].

وعن أبي سعيد الخُدري، رضِيَ اللهُ عنه، عن ثوبَانَ «مَن قالَهَا وَجَبَتْ له الجَنَّةُ»، ومِن رواية أبي سعيد الخدري، رضِيَ اللهُ عنه، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: ياأبا سعيدٍ! مَن رضِيَ باللهِ ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ نبيًّا، وَجَبَتْ له الجَنَّة. وقال ﷺ: [ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ قَالَ: رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا]. قال سيدُنا الشيخ، صاحِبُ الرَّاتِب، نفعَ اللهُ به، في كتابه [النصائح الدينية]: واعْلَمُوا معاشِرَ الإخوان، أنَّ «مَن رَضِيَ باللهِ ربًّا»، لَزِمَه أن يَرْضَى بِتَدْبيره واخْتيارِه له، وأنْ يَرْضَى بِمُرِّ قضائِه، وبما قسَمَه له من الرِّزْق، وأنْ يُداوِمَ على طاعتِه، ويُحافِظَ على فَرائضِه، ويَجْتَنِبَ مَحارِمَه. ويكونَ صابِرًا عندَ بلائِه، شاكِرًا لِنَعْمائِه، مُحِبًّا لِلقائِه، راضِيًا به وكيلاً ووَلِيًّا وكفِيلاً، مُخْلِصًا له في عبادتِه، مُعْتمِدًا عليه في غَيْبِه ومُشاهدَتِه، لايَفْزَعُ في المُهِمَّاتِ إلَّا إليه، ولا يُعَوِّلُ في قضاءِ الحاجاتِ إلَّا عليه.

و«مَن رَضِيَ بالإسلام دِينًا»، عَظَّمَ حُرُماتِه وشَعائِرَه، ولم يَزَلْ مُجتهِدًا فيما يُؤَكِّدُه ويَزِيدُه رُسوخًا واسْتِقامةً من العُلومِ والأعمَال، ويكونُ به مُغتَبِطًا، ومِن سَلْبِه خائِفًا، ولأهلِه مُحترِمًا، ولِمَن كفَرَ به مُبْغِضًا ومُعادِيًا.

و«مَن رَضيَ بمحمدٍ ﷺ نبيًّا» كان به مُقتدِيًا، وبهَديه مُهتدِيًا، ولِشَرْعِه مُتَّبِعًا، وبِسُنَّتِه مُتمسِّكًا، ولِحقِّه مُعظِّمًا، ومن الصَّلاةِ والسلامِ عليه مُكْثِرًا، ولأهلِ بيتِه مُحِبًّا، وعليهم مُترَضِّيًا ومُترحِّمًا، وعلى أُمَّتِه مُشْفِقًا، ولهم راحِمًا ناصِحًا.

ثم قال رَضِيَ اللهُ عنه: فيَنْبَغي لك، أيُّها المُؤمِن، أن تُطالِبَ نفسَك بتَحْقيقِ هذه المَعاني، ولا تَقْنَعْ منها بمُجرَّدِ القولِ باللِّسان، فإنَّه قليلُ الجَدْوَى، وإنْ كان لايخلُو عن مَنْفعَة - انتهى ما ذكَره في [النصائح] مُختصَراً، نفَعَ اللهُ به.

وقال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: [إنَّ النُّورَ إذَا دَخَلَ القَلْبَ انْفَسَحَ لَهُ الصَّدْرُ وَانْشَرَحَ. قِيلَ: هَلْ لِذٰلِكَ مِنْ عَلامَةٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، التَّجَافِي عَنْ دَارِ الغُرُورِ، وَالإنَابَةُ إلَى دَارِ الخُلُودِ، وَالاِسْتِعْدَادُ لِلمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِهِ].

﴿مُهمَّةٌ جليلةٌ﴾ قال الشيخ محمد بن عبَّاد في كتابه [شرح الحكم] له: ومِن عظيمِ نِعَمِ اللهِ تعالى على العبدِ إيجادُ الإيمان، ومحبَّةُ الطَّاعاتِ في قلبِه، وإمْدادُهما. وكذلك كَراهيَةُ الكُفْرِ والمَعْصِيَة، فإنَّ ذلك من النِّعَمِ العظيمَةِ الَّتي لامَدْخلَ للعبدِ فيها، ولا له وَسيلةَ إلَيها، ولَوْلَا أنْ تَوَلَّاه تَعالى بتِلْكَ النِّعْمتَيْنِ في القِسْمَيْنِ لتَاهَ في ظُلُماتِ الضَّلالات، وغَرِقَ في بِحارِ الجهَالات. فقَد نَبَّهَ اللهُ سُبْحانَه وتَعالى علَى هٰذا المعنَى في كِتابِه العزيز، فقالَ عزَّ مِن قائِل: [وَلٰكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إلَيْكُمُ الإيمَانَ، وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ، وَكَرَّهَ إلَيْكُمُ الكُفْرَ وَالفُسُوقَ وَالعِصْيَانَ، أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ. فَضْلاً مِنَ اللهِ وَنِعْمَةً].

ثُمَّ ﴿قال﴾ قالَ القُشَيْرِيُّ: وأمَّا مَن فكَّرَ في صُنوفِ الضَّلال، وكَثْرةِ طُرُقِ المَحال، وشِدَّةِ أغاليطِ النَّاسِ في البِدَعِ والأَهْوَاء، وما يَتَشعَّبُ بِكُلِّ قومٍ مِن مُختلِفي النِّحَلِ والآرَاء، ثم فكَّرَ في ضُعفِه، ونُقصانِ عَقلِه، وكثرةِ تَحَيُّرِه في الأُمورِ وشِدَّةِ جهلِه، وتَناقُضِ تَدْبيرِه في أَحْوالِه، وشِدَّةِ حاجَتِه إلى الاِسْتِعانَةِ بأَشكالِه في أَعْمالِه، ثمَّ رأى خالِصَ يقينِه، وقُوَّةَ اسْتِبْصارِه في دِينِه، ونَقاءِ وجهِ تَوحيدِه عن غُبْرَةِ الشِّرْك، وصَفاءِ عَيْنِ عِرْفانِه عن وَهَجِ الشَّكِّ - عَلِمَ أنَّ ذٰلك ليسَ مِن طاقتِه، ولا بِجُهدِه وكَدِّه، بل بِفَضْلِ

ربِّه، وسابغِ طَوْلِه. قال اللهُ تعالى: [وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً]. فهو الظَّاهِرُ بنَعْمائِهِ، وآثارُ نِعَمِه عليكَ مُتظاهِرَة، والباطِنُ بآلائِهِ وزوائِدِ كرَمِهِ لديْكَ متواتِرَة.

ثم قال، أعني ابنَ عبَّاد: فعلى العبدِ أنْ يَعْرِفَ قدْرَ هذه النِّعمَة، ويَتوكَّلَ على مَوْلَاه في إبقائِها وحفظِها عليه، ولا يَعْتمدَ في ذلك على عقلِه وعِلمِه - انتهى.

قال سيدُنا الشيخ، صاحِبُ الرَّاتِب، نفَعَ اللهُ به شعرًا:

نحنُ في رَوْحٍ وراحَةٍ * وحُبورٍ واسْتِراحَةِ
نعمةُ الإسلامِ أعلَى * نعمةٍ حلَّتْ بساحَةِ

وقد ثَبَتَ في الأَحاديثِ الصَّحيحَة، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ، قال: [لَمَّا خَلَقَ اللهُ جَنَّةَ عَدْنٍ، خلَقَ فِيهَا مَا لاَعَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ. ثُمَّ قَالَ لَهَا: تَكَلَّمِي! فقَالَتْ: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (ثَلاَثًا). ثُمَّ قَالَتْ: أَنَا حَرَامٌ عَلَى كُلِّ بَخِيلٍ وَمُرَاءٍ]. وقال ﷺ: [وُكِلَ بِالْمُؤْمِنِ مِائَةٌ وَسِتُّونَ مَلَكًا يَذُبُّونَ عَنْهُ مَا لاَيَقْدِرُ عَلَيْهِ. فَمِنْ ذٰلِكَ سَبْعَةُ أَمْلاَكٍ يَذُبُّونَ عَنْهُ الشَّيَاطِينُ، كَمَا يُذَبُّ عَنْ قَصْعَةِ العَسَلِ الذُّبَابُ فِي الْيَوْمِ الصَّائِفِ. وَلَوْ بَدَوْا لَكُمْ لَرَأَيْتُمُوهُمْ عَلَى كُلِّ سَهْلٍ وَجَبَلٍ، كُلٌّ بَاسِطٌ يَدَهُ، فَاغِرٌ فَاهُ. وَأَمَّا لَوْ وُكِلَ العَبْدُ إِلَى نَفْسِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ لاَخْتَطَفَتْهُ]. رواه الطَّبرانيُّ وابنُ أبي الدُّنيا، عن أبي أُمامة، ونقلَه الدَّميريُّ في [حياة الحَيوان الكُبرى]، وفي [الدرّ المَنثور].

﴿قال﴾ وأَخْرَجَ ابنُ ماجه عن ابنِ عمر، قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ يطوفُ بالكعبةِ، ويقول: [مَا أَطْيَبَكِ، وَأَطْيَبَ رِيحَكِ! مَاأَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ! وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَحُرْمَةُ الْمُؤْمِنِينَ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ مِنْكِ، مَالُهُ وَدَمُهُ، وَأَنْ يُظَنَّ بِهِ خَيْرٌ].

وقد أَطالَ كثيرًا، فانْظُرْه في قولِه تعالى: [يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ، إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ، وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ، وَاتَّقُوا اللهَ، إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ].

وقال أبو طالبٍ المكيُّ في كتاب [القوت] له، عن بعضِ السَّلَف، أنَّه قال: إنَّ اللهَ

تعالى شَرَّفَ الكَعْبَةَ وعَظَّمَها، ولَوْ أنَّ عَبْدًا هَدَمَها وأَحْرَقَها ما بَلَغَ جُرْمَ مَنِ اسْتَخَفَّ بولِيٍ من أولِياءِ اللهِ تعالى. قيلَ: ومَن أَوْلِياءُ اللهِ تعالى؟ قال: كلُّ مُؤْمِن. أمَا سمِعْتَ اللهَ تعالى يقول: [اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا]. هذه في عُمومِ المؤمِنين، فَما ظَنُّك بالأولياءِ والمُقَرَّبِين.

وقال سيِّدي، يحيى بنُ معاذ الرَّازي، رحِمَه الله: لِيَكُنْ حَظُّ المُؤمنِ مِنك ثلاثَ خِصالٍ: إنْ لم تَنْفَعْه فلا تَضُرَّه، وإنْ لم تَسُرَّه فلا تَغُمَّه، وإنْ لم تَمْدَحْه فلا تَذُمَّه.

قال سيِّدُنا عليٌّ، رضيَ اللهُ عنه: أَعْلَمُ النَّاسِ باللهِ أَشَدُّهم تَعْظِيمًا لأهلِ لا إلٰه إلَّا الله. وقال: رُوِيَ أنَّ موسى، عليه الصلاةُ والسلامُ، قال: يا ربِّ دُلَّني على أَحَبِّ الخَلْقِ إليكَ! فقال: ياموسى! أحبُّ الخلقِ إليَّ مَنْ إذا سَمِعَ بأنَّ أخاه المُؤمنَ شَاكَتْهُ شَوْكَةٌ حَزِنَ له، كأنَّها شاكَتْهُ هو.

وقال الإمام الشافعيُّ، نفَعَ اللهُ به: مَن أَحَبَّ أن يَقْضِيَ اللهُ له بالخَيْر، فلْيُحْسنِ الظَنَّ بالنَّاس.

وقال الإمام داود الشاذلي في كتابه [اللطيفة المرضية] في شَرْحِ دُعاءِ الشاذلي، عن القطب أبي الحسن الشاذلي، قال: لو كُشِفَ عن نورِ المؤمنِ العاصي لَطَبَّقَ مابينَ السماءِ والأرضِ، فما ظَنُّك بنورِ المُؤمنِ المُطيع؟ فما ظَنُّك بنورِ العبدِ الصَّالِح؟ ثمَّ بنورِ الشَّهيد، ثم بنورِ الولي، ثم بنورِ الصِّدِّيق، ثم بنورِ النبيِّ، ثم بنورِ الرَّسولِ؟ قال في [لطائف المِنن]: وما أَكْرَمَ اللهُ العبادَ في الدُّنيا والآخِرةِ كرامةً مثلَ الإيمانِ والمعرفةِ برُبوبيَّتِه، لأنَّ كلَّ خيرٍ مِن خُيورِ الدُّنيا والآخِرَة، فإنَّما هو فَرْعُ الإيمانِ بالله، مِن أحوالٍ ومقامَات، وأورادٍ وإرادَات، وكلِّ علمٍ ونور، وفتحٍ ونُفور، إلى غيبٍ وسماعِ مخاطَبَة، وجرَيانِ كرامَة، وما تضمَّنَتْه الجَنَّةُ من حورٍ وقُصور، وأنهارٍ وثِمار، إذ كان به أهلُها فيها من راضٍ عن الله، وراضٍ من الله، ورؤيتِه، فكلُّ ذلك إنَّما هو نِتاجُ الإيمان، ووجودُ آثارِه، وامتدادُ أنوارِه - انتهى

﴿قلتُ﴾ وفي هذا البابِ أشياءُ كثيرَة، وتَتَفَرَّعُ منها قواعدُ الإسلامِ والإيمَان،

والشَّريعةِ والحقيقَة. وهذا الذِّكرُ عظِيم، وما أَوْرَدْناه هنا كِفايةٌ لِمن أرَادَ الإشارَة. ومَن أرَادَ التَّحْقيقَ والتَّطَلُّعَ في هذه العلُوم، فعلَيه بالكُتبِ المطوَّلَة، واللهُ المُوفِّق، لاربَّ غيرَه، إذْ مُرادُنا تَلْخيصُ الفضائِل لا المعاني.

ونَسْتغفِرُ اللهَ من تَجَرُّئِنا على الإقْدامِ على شرحِ هذا الرَّاتبِ العظِيم، وتأليفِ القُطبِ الكرِيم، وعلى تلخيصِنا مِن كُتب الأئِمَّة، والعلماءِ الأعلَام، نفَعَ اللهُ بهم.

﴿الذكرُ التاسع﴾

قولُ صاحِبِ الرَّاتِب، نفَعَ اللهُ به: «بِسْمِ الله، وَالحَمْدُ لله، اَلْخَيْرُ والشَّرُّ بِمَشِيئَةِ الله» - (ثَلاَثًا). قال في الشَّرْح: فالبَسْملةُ والحمدُ له غيرُ خافٍ فضلُها. قال الإمامُ الرَّمليُّ في [النهاية]: وقد وَرَدَ أنَّ اللهَ تعالى أَنْزَلَ مِائَةَ كتابٍ وأربعةَ كُتُبٍ على سبعةٍ من الأنبيَاء، وأنَّه أَوْدَعَ ما فيها في أربعةٍ: في القرآنِ، والتَّوْراةِ، والإنجيلِ، والزبورِ، وأَوْدَعَ ما فيها في القرآنِ، وأَوْدَعَ ما في القرآنِ في الفاتِحَة، وأَوْدَعَ ما في الفاتحةِ في بِسم اللهِ الرحمٰن الرَّحِيم، بل قيل، أنَّه أَوْدَعَ ما فيها في الباءِ، وما في الباء في النُّقْطَة.

ويُرْوَى عن سيدِنا عليٍّ، كَرَّمَ اللهُ وجهَه، أنَّه قال: لو شِئْتُ لأَوْقَرتُ ثمانِينَ جَمَلاً من معنَى الباءِ. وقال الإمامُ الغِيطِيُّ في كتابِه في فضائِلِ شعبَان، عن بعضِ العُلماء، وبيانُ ذلك أنَّ العبدَ إذا قال: «الحمدُ للهِ ربِّ العالَمِين» يَحْتاجُ إلى تَبْيِينِ معنَى الحَمْد، وما يَتَعلَّقُ به الإِسْمُ الجليل، وهو اللهُ وما يَلِيقُ به التَّنْزيه. ثم يَحْتَاج إلى بيانِ العالَمِ وكَيْفِيَّتِه في جميعِ أَنْواعِه وأَعْدادِه، وهي أَلْفُ «عالَم» أربعُمائة في البرِّ، وستُّمائة في البَحْر - انتهى.

قال وهبُ بنُ مُنَبِّه: ثمانيةَ عشرَ ألفَ عالَمِ الدُّنيا وما فيها عالَمٌ واحِدٌ منها. وقال أبو سعيد الخُدري، رضِيَ اللهُ عنه: أربعون أَلْفَ عالَمِ الدُّنيا وما فيها عالَمٌ واحِد، فيَحْتَاجُ إلى مَعْرفتِه، وتَبْيِينِ ذلك. وهذا بالنِّسْبةِ إلى ماظَهَرَ لهذا القَائِل، فكيفَ بما يَظْهَرُ لِمَعْرفةِ الإمام عليٍّ، كَرَّمَ الله وجهَه، وتَفْسِيرُه وراءَ ذلك بِمَراحِل - انتهى.

وقال سيدي محمد العمري في كتاب [بحر الأنوار]: وأكثرُ أهلِ العلمِ على أنَّ اسمَ اللهِ الأعْظَم «الله». ﴿قال﴾ وقد ذُكِرَ لَفْظُ الجلالَةِ في القرآنِ في أَلْفَيْنِ وثلاثِمائة وستين مَوْضعًا. ﴿قلتُ﴾ فانْظُرْ في الذِّكرِ الثامِنَ عشرَ الآتي قولَ الإمامِ القاشاني أنَّه،

أي لفظُ الجلالةِ في القرآنِ العظيمِ مذكورٌ في ألفينْ وستِّمائةٍ وستَّةٍ وستين موضِعًا - انتهى.

قال العمري أيضًا: ومِن خصائِصِه، أنَّه إذا أَسْقَطْتَ «الألِفَ» تقول «لله»، وإذا أَسْقَطْتَ «الألِفَ واللامَ» الأوَّل تقولُ «لَهُ»، وإذا أَسْقَطْتَ «الألِفَ واللامَين» تقولُ «هُـ»، وهو الاِسْمُ الباطِن، وجميعُ أَسْماءِ اللهِ تُضافُ إليه. قال الغزالي: هو أَعْظَمُ أَسْماءِ الله. وقال العمري: هو أَكْثَرُ أَسْماءِ اللهِ ثوابًا، وأَكْبَرُها تعظِيمًا. والربُّ تعالى مُخْتصٌّ به، فلا يُسمَّى به غيرُه شَرْعًا، وقَبَضَ الألسُنَ والعُقولَ عن التَّسَمِّي به طبعًا. ﴿قال﴾ ومَعْرفةُ هذا الاِسْمِ تعدِلُ مَعْرفةَ معاني جميعِ الأَسْماء، فإنَّ الإلهَ الحَقَّ مَن له الأَسماءُ الحُسنَى، والصِّفاتُ العُلَى، فهو كامِلُ الأُلوهِيَّة، تامُّ الرُّبوبِيَّة.

ثم قال نَفعَ اللهُ به: ويَنْبَغي لَلفقيرِ أنْ يَجْعَلَ له كلَّ يَوْمٍ، ولو ساعَةً، زادًا بِالجلالَةِ على الكَفِّيَّة عند العارِفين، في مَوْضعٍ لايَراهُ فيه مَخْلُوق، ويَتوجَّهُ بقلبِه إلى اللهِ عزَّ وجلَّ، ويَطْرَحُ نفسَه في مقامِ الفَاقَة، ويَرَى مع ذلك أنَّه لايَصْلُحُ للمُناجاة، ولا لِلخِدْمَة، مع مُراقَبةِ نَظَرِ الحقِّ إليه، لَوْلَا أنَّ اللهَ يُفْضِلُ عليه بذلك. ثم قال «الله» اِسْمٌ مُحَرَّف، مَن داوَمَ على ذِكْرِه في خَلْوَةٍ واعْتِكاف، ظَهَرَ له في العالَمِ تَصْريفُه لايُرفَعُ أَمْرُه فيهم.

وفي كتاب الشَّرجي له: مَن كَتَبَ اسْمَ اللهِ في إناءٍ مُكرَّرًا بِحسَبِ مايسَعُ الإناء، ورَشَّ به وجهَ مَصْرُوع، احْتَرَقَ شَيْطانُه، وقد جُرِّب، واللهُ أعلَم.

قال بعضُ العارِفين: بِبِسْمِ اللهِ سَلِمَتْ سفينةُ نُوح، وبِسِرِّ بِسْمِ اللهِ كان مَجْرَاها ومُرْسٰها، بِبِسْمِ اللهِ تَسْلَمُ النَّفْسُ والرُّوح، بِبِسْمِ اللهِ سَلِمَتِ السَّفِينةُ من الطُّوفَان، بِبِسْمِ اللهِ يَسْلَمُ المُؤمنُ من النِّيرَان، بِبِسْمِ اللهِ نَالَتِ الأمَّةُ إنْعامَه، بِبِسْمِ اللهِ دَامَ على المؤمنين إكْرامُه، بِبِسْمِ اللهِ نَطْرُدُ الشَّيْطان، بِبِسْمِ اللهِ تُسْتجابُ الدَّعَوات، بِبِسْمِ اللهِ نُرْضِي الرَّحْمٰن، بِبِسْمِ اللهِ تَفِيضُ العبَرَات، بِبِسْمِ اللهِ تُسْتَرُ العَوْرَات، بِبِسْمِ اللهِ تَتنَزَّلُ البرَكَات، بِبِسْمِ اللهِ نَنْجُو من المُهْلِكَات، بِسْمِ اللهِ نورُ الأرضِ والسمٰوَات. وقال

تعالى: [وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً]. وقال تعالى: [قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى. وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى]. وقال تعالى: [فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ العَظِيمِ]. وقال تعالى: [بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا، إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ]. وقدَّم البَسْملةَ عملاً بالكتابِ العزيزِ والإِجْماع، لأنَّ الابْتِداءَ بِالبَسْملةِ حقيقِيٌّ، وبالحمدِ به إضافِيٌّ.

وفي صحيحِ ابن حبان وغيرِه، عن أبي هريرة، رضيَ اللهُ عنه، أنَّ النبيَّ ﷺ، قال: [كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لاَيُبْدَأُ فِيهِ اسْمُ الله - (وفي روايةٍ) - بِبِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ - (وفي روايةٍ) - بِالحَمْدِ لِلهِ - (وفي روايةٍ) - بِذِكْرِ الله، فَهُوَ أَجْذَمُ]، ومعناه مَقْطوعُ البرَكَة، أي مَنْزوعُها.

وقد ابْتَدَأَ سيدُنا، صاحِبُ الرَّاتِب، بِفاتحةِ الكتابِ في راتبِه الشَّرِيف، وخَتَمَ بِسُورةِ الإخلاصِ والمُعَوِّذتَين، لِتَعرِفَ عُظْمَ هذا الرَّاتِب، وما تَقَدَّمَه وتَوسَّطَه وتأَخَّرَ عنه مِن أَسْماءِ اللهِ تعالى، والسُّورةِ المُعَظَّمَة، والأَذْكارِ النَّافِعةِ عن رسولِ اللهِ ﷺ. قال تلميذُ سيِّدِنا صاحبِ الرَّاتِب، الشيخ العلاَّمة الكبيرُ، عبدالله بن سعيد العَمودي في شَرْحِه على [فتح البصائر] لسيدنا عبدالقادر الجَيلاني، قَدَّسَ اللهُ سِرَّه: قال سيدِي عبدُالقادر الجيلاني: اسمُ اللهِ الأعْظَمُ هو «الله»، وإنَّما يُسْتَجابُ لك، إذا قُلتَ «الله» وليسَ في قلبِك غيرُه. بسم اللهِ من العارفين، لكنَّ من اللهِ عزَّ وجلَّ، هذه كلِمةٌ تُنزِلُ الهَمّ، هذه كلِمةٌ تَكْشِفُ الغَمّ، هذه كلِمةٌ تُبطِلُ السُّمّ، هذه كلِمةٌ تُبرِىءُ السَّقَم، هذه كلمةٌ نورُها يَعُمّ، اللهُ يَغْلِبُ كلَّ غالِب، اللهُ مُظهِرُ العجَائِب، اللهُ سُلطانُه الرَّفِيع، اللهُ جَنابُه مَنِيع، اللهُ مُطَّلِعٌ على العِبَاد، اللهُ رقيبٌ على القلبِ والفُؤاد، اللهُ قاهِرُ الجَبابِرَة، اللهُ قاصِمُ الأكاسِرَة، اللهُ عالِمُ السِّرِ والعلانِيَة، اللهُ لاتَخفَى عليه خافِيَة، مَن كان لِلهِ كانَ في حِفْظِ الله، مَن أَحبَّ اللهَ لايَرَى غيرَ الله، مَن سَلَكَ طريقَ اللهِ وَصَلَ إلى الله، ومَن وَصَلَ إلى اللهِ عَاشَ في كَنَفِ الله، مَن اشْتَاقَ إلى اللهِ أَنِسَ بالله، مَن تَرَكَ الأَغْيارَ صَفَا وقتُه مع الله، اِقْرَعْ بابَ الله، اِلجَأْ إلى جَنابِ الله، تَوَكَّلْ يامُعرِضًا، اِرجِعْ إلى الله، . . . إلى آخرِ ماقال، نَفَعَ اللهُ به.

﴿فائدة﴾ قال الإمامُ عبدالكريم بن هوازن القُشيريُّ، رحِمَه الله، في رِسالتِه بسندِه إلى أبي عمرٍو السَّكَنْدرِي، قال: مرَرْتُ يومًا بِسِكَّةٍ، فرَأَيْتُ قومًا أَرادوا إخْراجَ شابٍّ من المَحِلَّةِ لفسادِه، وامرأَةً تبكِي، قيل إنها أُمُّهُ، فرحِمَها أبو عمرٍو، فتَشَفَّعَ له إليهم، وقال: هَبُوه منِّي هذه المَرَّة، فإنْ عادَ إلى فَسادِه، فشَأْنَكُم. فوَهَبوه منه، فمَضَى أبو عمرٍو. فلمَّا كان بعدَ أيَّامٍ اجْتَازَ بتلك السِّكَّة، فسَمِعَ بُكاءَ العَجوزِ من وراءِ ذلك البَاب، فقال في نفسِه: لعلَّ الشابَّ عادَ إلى فَسادِه، فنُفِيَ عن المحِلَّة، فبكَتْ أمُّه. فدَقَّ عليها البَاب، فسأَلَها عن حالِ الشابِّ، فخَرجَتِ العجُوز، فقالتْ: إنَّه قد مَات. فسَأَلَها عن حالِه؟ فقالَتْ: لَمَّا قَرُبَ أجَلُه، قال لي: لاتُخبِري الجِيرانَ بموتي، فلقد آذَيْتُهم، وأنَّهم يَشمِتون بي، ولا يَحْضُرون جَنازَتي، فإذا دَفَنْتِني، فهذا خاتَمٌ لي مَكْتوبٌ عليه «بسمِ الله» فادْفِنِيه معي، فإذا فَرَغْتِ من دَفْني، فشَفِّعي لي إلى ربِّي. قالتْ: ففَعَلْتُ وصيَّتَه، فلما انْصَرفتُ عن رأسِ قبرِه، سمِعْتُ صوتَه، يقول: اِنصَرِفي ياأُمَّاه، فقد قدِمْتُ على ربٍّ كَرِيم.

قال الشَّارِح، وهو الشيخ زكريا بن محمد الأنصاري: فيه دلالةٌ على أنَّه تَاب توبةً بالِغةً حتى أنه تبرَّكَ باسمِ الله، وتَشفَّعَ به، وبِدُعاءِ أمِّه. والتَّوْبةُ تمحو ماقبلَها، لقولِه تعالى: [وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ، وَعَمِلَ صَالِحًا، ثُمَّ اهْتَدَى].

وفي كتاب [الحقائق الواضحات] للشيخ أحمد بن معد التُّجيبي الأقليشي الأندلسي، قال: أَخْرَجَ أبو نُعيم في [الحلية] عن الضحَّاك، عن ابن عباسٍ، قال: مَن قال «بِسم الله»، فقد ذَكَرَ الله، ومَن قال «الحمدُ لله» فقد شَكَرَ الله، ومَن قال «اللهُ أَكْبَر» فقد عَظَّمَ الله، ومن قال «لا إلَهَ إلا الله» فقد وَحَّدَ الله، ومَن قال «لاحولَ ولا قوَّةَ إلا بالله» فقد أَسْلَمَ واسْتَسْلَم، وكان له بها كنزٌ في الجَنَّة.

﴿قلتُ﴾ فافْهَمْ بأنَّ هذا الذِّكْرَ احْتَوَى على فضلِ هذا الحديثِ، فإنَّ «بسم اللهِ والحمدُ لله» ظاهِرَةٌ فيه، و«لا إله إلاَّ الله، ولا حولَ ولا قُوَّةَ إلا بالله» باطِنَةٌ في قوله: «اَلْخَيْرُ وَالشَّرُّ بِمَشِيئَةِ الله»، كما سيأتي في شرحِها.

وفي سُنن أبي داود، وعن أبي المَليح التابعيّ المشهُور، عن رجُلٍ، قال: كنتُ رديفَ النبيّ ﷺ، فعثَرتْ دابَّتُه، فقلتُ: تَعِسَ الشَّيْطان. فقال: لاتَقُلْ «تَعِسَ الشَّيْطان» فإنَّك إذا قلتَ ذلك، تَعاظَمَ حتى يكونَ مثلَ البَيْت، ولكنْ قُلْ «بسمِ الله» فإنَّك إذا قلتَ ذلك، تَصاغَرَ حتى يكونَ مثلَ الذُّباب - انتهى.

ومِن كتاب [زهر الأكمام] عن رسولِ الله ﷺ، أنه قال: خمسٌ مَن كُنَّ فيه دَخَلَ الجنَّةَ بغيرِ حِسَاب. مَن كان عِصْمتُه بـ«لا إله إلَّا الله»، ومَن إذا بَدَأَ بِعملٍ قال «بِسم الله»، ومَن إذا أَذْنَبَ قال «أَسْتَغْفِرُ الله»، ومَن إذا أَصَابَتْه مُصيبةٌ قال «إنَّا لِلهِ وإنَّا إليه راجِعُون»، ومَن إذا اسْتَقْبَلَ مَكروهًا قال «لاحولَ ولا قُوَّةَ إلا باللهِ العليِّ العظِيم».

وفي كتاب [الأذكار]، قال: روَيْنا في صحيحِ مسلم، وكتاب الترمذي، والنسائي، وابنِ ماجه، بالأسانيد الصحيحة، عن أبي سعيد الخُدري، رضِيَ اللهُ عنه، أنَّ جِبْريلَ أَتَى إلى النبيّ ﷺ، وقال: يامحمَّدُ! اِشْتَكَيْتَ؟ قال: نعَمْ. قال: بِسمِ اللهِ أَرْقِيك، مِن كلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيك، مِن شرِّ كلِّ ذي نَفْسٍ وعَيْنٍ حاسِد. اللهُ يَشْفِيك، بِسم اللهِ أَرْقِيك.

وفيه، عن ابن عباس، رضِيَ اللهُ عنهما، أنَّ رَجُلًا شكا إلى رسولِ اللهِ ﷺ، أنَّه تُصيبُه الآفَات، فقال له رسولُ اللهِ ﷺ: قُلْ إذا أَصْبَحْتَ «بِسم اللهِ على نَفْسي وأَهْلِي ومَالِي»، فإنَّه لَيُذْهِبُ كلَّ شيْء. فقالَهُنَّ الرجُلُ، فذَهَبَتْ عنه الآفَات - رواه ابنُ السُّنِّي. وفيه: مايَمْنَعُ أحدَكم إذا عَزَّ عليه أَمْرُ مَعِيشَةٍ، أنْ يقولَ إذا خَرَجَ من بيتِه: بِسْمِ اللهِ على نَفْسِي ومالِي ودِيني. اللهُمَّ أَرْضِني بِقضَائِك، وبارِكْ لي فيما قدَّرْتَ لي، لاأُحِبُّ تَعْجِيلَ ماأَخَّرْتَ، ولا تَأْخِيرَ ماعَجَّلْتَ.

وفي هذا البابِ مايَعْسُرُ حَصْرُه، وقد جَمَعَ في الجُزء الثاني من [القِرطاس] ما لم يَجْمَعْه غيرُه، فجزَاه اللهُ خيرًا حيثُ اعْتَمَدْنا عليه، في بعضِ مانقَلْنَاه.

ولْنُتَمِّمْ بفَضْلِ «بسمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيم»، قال في كتاب [لب الأخبار عن النبيِّ

المختار]: مَا مِن عبدٍ يقولُ «بِسم اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيمِ» إلَّا يَذُوبُ الشَّيْطانُ، كما يَذُوبُ الرَّصاصُ من النَّار. ووَرَدَ: ما مِن عبدٍ يقولُ بها، إلَّا أَمَرَ اللهُ الكِرامَ الكاتِبِين أنْ يكتُبوا في ديوانِه أربعَمِائةَ ألفَ حسَنَة، وتُرْفَعُ له في الجَنَّةِ أربعُمِائة ألفِ دَرَجَة، وتُمْحَى عنه أربعُمِائة ألفِ سيِّئَة.

ورُوِيَ عن ابنِ مسعود، رضيَ اللهُ عنه، عن النبيِّ ﷺ، أنَّه قال: [مَنْ قَالَ «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم» لَمْ تَبْقَ مِنْ ذُنُوبِهِ ذَرَّةٌ]. ووَرَدَ: مَن قالَها غَفَرَ اللهُ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِه. وقال عليه الصلاةُ والسلام: إذا قُمتُمْ فقولوا «بِسم اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيم»، فإنَّ النَّاسَ يَغْتَابُونكُمْ، وتَمْنَعُكم عن ذلك.

وقد ذَكَرَ الشرجي في فَوائِدِه، أنَّ عيسى عليه السلام، مَرَّ بقَبْرٍ يُعَذَّبُ صاحِبُه، ثم عادَ عليه، فرَأَى أَنْواعَ الكَراماتِ عندَه، فسَأَلَ اللهَ عنه، فأَعْلَمَه بأَنَّه أُخِذَ أوَّلًا بِذَنْبِه، وتَرَكَ زَوْجَته حامِلًا، فوَضَعَتْ ولَدًا، فلمَّا بلَغَ سَبْعَ سِنين، طَلَّعُوه لِلمَكْتَب، فلمَّا عَلَّمَه المُعلِّمُ «بسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيم» رُفِعَ عنه العَذَاب، فقال تعالى: كيفَ أُعَذِّبُه في بَطْنِ الأَرْض، وولَدُه على ظَهْرِها يَذْكُرُ اسْمِي - انتهى بمعناه.

﴿فائدة﴾ نُقِلَ في [الشفاء عن شرَف المصطفى]: دعَا رسولُ اللهِ ﷺ بِكَاتِب، فقال: ياكاتِبُ! اِسْقِ الدَّوَاة، وحرِّفِ القَلَم، وأقِمِ البَاء، وفَرِّجِ السِّين، وافْتَحِ المِيم، وبيِّنِ الجلالَة، وجوِّدِ الرحمٰن، ومُدَّ الرَّحِيم، فإنَّ رَجُلًا مِن بني إسرائيلَ كَتَبَها وأَحْسَنَها، فغَفَرَ اللهُ له بذلِك.

ومِن كتاب آدابِ تلاوةِ القرآنِ من [الإحياء] للغزالي: ورُوِيَ أنَّه ﷺ، قَرَأَ «بِسم اللهِ الـرَّحمٰنِ الرَّحِيم» فـرَدَّدَها عشـرين مرَّة، وإنَّمـا ردَّدَها لِتَـدَبُّرِه في معـانِيها. وفي الإِسْرائيلِيَّات: لما شَبَّ عيسى، عليه السلام، وكَبِرَ، أَسْلَمَتْهُ أمُّه إلى المُعلِّم صغيرًا، فقال له: قُلْ «بسمِ اللهِ الرحمٰنِ الرَّحِيم»، فقال: لاأَدْرِي. فقال عيسى عليه السلام: الباءُ بَهاءُ الله، والسِّينُ سَنَاؤُه، والمِيمُ مَجْدُه، واللهُ إلٰهُ الإلٰهِيَّة، والرحمٰنُ رحمانُ الدُّنيا والآخِرَة، والرَّحِيمُ رحيمُ الآخِرَة - انتهى.

قال بعضُ الأكابرِ من العلماءِ الأحبَار، النُّقَّادِ النُّظَّار، الناصحِين الأخيَار: اِعْلَمْ أنَّ «بسم اللهِ الرَّحْمٰن الرَّحِيم» هو اسْمُ اللهِ الأعْظَم، الَّذي إذا سُئِلَ به أَعْطى، وإذا دُعِيَ به أَجَاب، وهي لِتَوْصيلِ الخيرِ من جميعِ العوَالِم، وفيها أَسْرارُ المُبْتدَأ والمُنْتهى، وفيها جميعُ مَراتبِ التَّوْحيد، لأنَّ بِسم اللهِ قُبالةُ شَهِدَ الله، والملائِكةُ قُبالةُ الرَّحْمٰن، وأولُوا العِلْمِ قُبالةُ الرَّحِيم، فأوَّلُ دائرةِ «بسم اللهِ الرحمن الرحيم» كآخِرِها، وظاهرُها كباطِنِها، وبها أَقَامَ اللهُ تعالى شجرةَ الأكوَان، وأَظْهَرَ بها أَسْرارَ المَكْنونَات. فمَن أَكْثَرَ مِن «بسم اللهِ الرَّحْمٰن الرَّحِيم» رُزِقَ الهَيْبَةَ عندَ العالَمَيْن: العالَمِ العُلويّ والعالَمِ السُّفلِي، ومَن عَلِمَ ماأُودِعَ فيها، وكَتَبَها على شَيْء، لم يَحْتَرِقْ بالنَّار. وأَنَّ فيها سِرَّ اللهِ الأعظَم.

وقال بعضُ العلماء، قال الزهري في قوله تعالى: [وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا]، إنَّها «بسم اللهِ الرَّحْمٰن الرَّحِيم». وقال سائِرُ المُفَسِّرين: هي «لا إله إلاَّ الله».

قال الفقيه بدرُ الدين الأهدلُ، رحِمَه الله: اِفْتَتَح نوحُ عندَ رُكوبِ السَّفِينَة، بِسم اللهِ مَجْراها ومُرْسٰها، ولم يَذْكُرِ الرَّحْمٰنَ الرَّحِيم، لأنَّ الحـالَ حينئذٍ يَقْتَضي الغَضَب، والعُقوبةَ تَقْتَضي الهـلَاك، والعياذُ بـالله. ولهذا عنـدَ بعضِهم، يُسْتَحَبُّ لِلذَّابحِ في الأُضْحِيَةِ وغيرِها أنْ يَقْتَصِرَ على «بسمِ الله» ولا يقولُ «الرَّحْمٰن الرَّحِيم». وسليمانُ، عليه السلام، أُمِرَ أن يَكتُبَ إلى بَلقيس، فكَتَب [بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ. أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ]. فأَفْهَمَ أنَّها تُسْلِمُ باتِّصالِ «بسمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم»، وحَصَلَ لسليمانَ بإسلامِها ثلاثُ فوائِد: عرشُها، وزَواجُ بها، وزِيادةُ في مُلْكِه، وكلُّ ذلك بِبركةِ «بسمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم». وكذلك المؤمِنُ يَحْصُلُ له ببركاتِها خيرٌ كثيرٌ في الدُّنيـا والآخِرَة.

ورُوِيَ أنَّ اللهَ تعالى، أَقسَمَ بِعِزَّتِه، أن لايُسمِّيَ بها رجُلٌ مؤمنٌ على شيءٍ، إلَّا بارَكَتْ عليه، ولا يَقْرَأَها مؤمِنٌ، إلَّا قالتْ له الجَنَّةُ: اللهُمَّ أَدْخِلْ عبدَكَ هذَا فِيَّ بِحَقِّ «بسمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم» وإذا دَعَتِ الجَنَّةُ لِعَبدٍ اسْتَوْجَبَ دخولَها.

وفي الخبَر: لايُردُّ دُعاءٌ، أوَّلُه «بسم اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيم»، وإنَّ مِن أُمَّتي قومًا يُأْتُونَ يـومَ القِيامـة، وهُم مِن القائِلِين «بسمِ اللهِ الـرَّحمٰنِ الرَّحِيم»، فتَثْقُـلُ حسناتُهم في المَوَازِين، فتقولُ الأمَمُ: ما أَثْقَلَ موازينَ أُمَّةِ محمَّدٍ ﷺ! فتقولُ الأنبياءُ والملائِكَة: لأنَّ ابْتِداءَ كلامِهم وأَفْعالِهِم بثلاثةِ أَسْماءٍ من أَسْماءِ اللهِ العِظَام، لو وُضِعَتْ في كِفَّةِ المِيزان، ووُضِعَتْ سَيِّئاتُ الخلقِ كلِّهِمْ في الكِفَّةِ الأُخْرَى لَرَجَحَتْ حسنَاتُهم ببركةِ «بسم اللهِ الرحمٰن الرَّحِيم».

ودَخَلَ وُهَيبُ بن الوردِ على محمد بن المنكدر بذي طُوًى يعودُه، فقال بِيَدَيْهِ يَمسحُ عليه «بسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيم»، لو قَرَأَها أَحدٌ صادِقًا على جَبَلٍ لَزال ما قَطَعَتْ عنهُ الحُمَّى والصُّدَاع. وقيل لابن عطاءٍ: إلى ماذا تَسْكُنُ قلوبُ العارِفِين؟ فقال: إلى «بسمِ اللهِ الرَّحمٰن الرَّحِيم».

ومِن كتاب [شمس المعارف] للإمام البوني، رحِمَه الله، في بعضِ الأخبَار: أنَّ اللهَ تعالى كان وحدَه، ولم يكُنْ معه غيرُه، فخلَقَ نورًا، وخلَقَ من النُّورِ اللَّوْحَ والقَلَم، ثم أمرَ القَلَم، فجَرَى في اللَّوْحِ بما هو كائِنٌ إلى يومِ القيامَة، فأوَّلُ ما كُتِبَ على اللَّوْحِ «بسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيم» فجعَلَ هذه الآيةَ عَلَمًا لِلْخَلِيقَةِ ما دامُوا عليها، وهي قِراءةُ أهلِ السمٰواتِ السَّبْع.

وأوَّلُ مانزلَتْ على آدَمَ، عليه السلام، فقال: أمِنَتْ ذُرِّيتي من العذَاب، مادامُوا على قِراءتِها، ثم رُفِعَتْ بعدَه، وأُنزِلَتْ على نوحٍ، عليه السلام، فأُمِرَ بقراءةِ شَطْرِها عندَ ركوبِ السَّفينَة، فبِها جَرَتْ ورَسَتْ، وبِها سلِمَتْ هي وأهلُها من الغَرَق، ثم رُفِعَتْ وأُنزِلَتْ على إبراهِيم، عليه السلام، فقَرَأَها وهو في كِفَّةِ المَنْجَنِيق، فجَعَلَ اللهُ النَّارَ عليه بَرْدًا وسلامًا، ثم رُفِعَتْ وأُنْزِلَتْ على موسى، عليه السلام، فبِها قَهَرَ فرعونَ وهامانَ وقارُون، ثم رُفِعَتْ بعدَه، وأُنزِلَتْ على سُليمـان، عليه السـلام، ابنِ داود، عليه السلام، فقالتِ الملائِكَة: تَمَّ واللهِ مُلْكُ سُليمانَ، عليه السلام، ولم يَقْرَأْها سليمانُ على

شيْء، إلاَّ خَضَعَ له، وأَمَرَه اللهُ تعالى يومَ أُنْزِلَتْ أنْ يُنادِيَ في بني إسرائيل، ألاَ مَن أَحبَّ منكم أنْ يَسْمَعَ آياتِ الله، فَلْيُحْضِروا لِي مِحرابَ داودَ، عليه السلام، فلم يَبْقَ عابِدٌ حبَس نفسَه في عِبادةِ الله، إلاَّ خَرَجَ إليه، ولا سائحٌ إلاَّ هَرْوَل إليه، فَرَقِيَ في منبرِ داودَ، عليه السلام، وتَلاَ عليهم آياتِه الأمانَ «بسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيم» فلَمْ يَسْمَعْ أحدٌ إلاَّ امْتلأَ فرَحًا، وقالوا نشهدُ أنَّك رسولُ اللهِ حقًّا، فبِها قهرَ سليمانُ ملوكَ الأرض، ثم رُفِعَتْ بعدَه، وأُنْزِلَتْ على عيسى، عليه السلام، فأَوْحى اللهُ تعالى إليه: ياابنَ العَذْراءِ! قد أُنزِلَتْ عليك آيةُ الأمانِ، فأَكثِرْ مِن قِراءَتِها في قيامِك وقعودِك، وذهابِك ومجيئِك، وفي مضجَعِك وصعودِك وهبوطِك، فما مِن مؤمنٍ يموتُ في صحيفتِه «بسم اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيم» ثمانَمِائة مرَّة، إلاَّ أَعْتَقَه اللهُ من النَّار، وأَدْخَلَه الجنَّة، واقْـرَأْها في افْتِتَـاحِ صلواتِك. فمَن افْتَتَح بها صلاتَه، تَقَبَّلَها اللهُ تعالى وهَوَّنَ عليه سَكَراتِ المَوْت، ولم يُزعِجْه منكرٌ ونكيرٌ، وبُعِثَ من قبرِه أبيضَ اللَّوْنِ، يتلأْلَؤُ وجهُه نورًا، ويُحاسَبُ حسابًا يسيرًا، ويَثْقُلُ ميزانُه، ويُعْطَى النُّورَ التَّامَّ على الصِّراطِ والجَوازِ حتى يَدْخُلَ الجنَّة. وقد نُودِيَ له في عَرَصَاتِ القيامةِ بالسَّعادةِ والمَغْفِرَة، ثم رُفِعَتْ بعدَ عيسى، عليه السلام، مِن صُدورِ مَن بَدَّلَ دينَه مِن النَّصارى، وبَقِيَتْ في صُدورِ مَن ثَبَتَ على الإيمان، مثلُ بُحَيْرى وأمثالِه حتى بعثَ اللهُ محمدًا ﷺ، وأمَرَه بِقراءَتِها في أولِ كلِّ سُورَة، وبكتابتِها في صُدورِ الصَّحائفِ والدَّفاترِ والرسائِل، وبها فتَحَ اللهُ مكَّةَ لنبيِّه محمدٍ ﷺ، وأَقْرَأَها ﷺ بالمَدّ، يمُدُّ «بسمِ الله» ويَمُدُّ «الرحمٰن» ويمدُّ «الرَّحِيم»، كما رَواه البخاريُّ ومسلمٌ. وقيلَ إنَّها نَزَلَتْ مرَّةً أخرى بالمدينَة، فكان نُزُولُها فَتْحًا عَظِيمًا.

وروى البيهقيُّ عن ابن عباس، أنَّ عثمانَ بنَ عفَّانٍ، رضِيَ اللهُ عنه، سَأَلَ رسولَ اللهِ ﷺ عن «بسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيم»، فقال: هو اسمٌ من أَسْماءِ اللهِ تعالى، وما بينَه وبينَ اسمِ اللهِ تعالى الأعظَم، إلاَّ كما بينَ سَوَادِ العَينِ وبياضِها من القُرْب.

وعن وهْب بنِ مُنَبِّه، رضِيَ اللهُ عنه، قال: مَن وَضَعَ مَيِّتًا في قَبْرِه، فقال «بسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيم» سَهَّلَ اللهُ على الميِّتِ ضَغْطَةَ القَبْرِ وضِيقَه وظُلْمتَه إلى يومِ يُنفَخُ في

الصُّور. وفي بعضِ الأَخْبَار: إذا كان يومُ القِيامَة، وُزِنَتْ أعمالُ هٰذه الأُمَّة، فوَزَنَتْ ركعةٌ واحِدةٌ من صلاتِهم على ألفِ ركعةٍ من بني إسرَائِيل، فيقولُون: يارَبَّنا! مابالُ أمَّةِ محمدٍ ﷺ، ركعةٌ واحِدةٌ منهم تُوازِن ألفَ ركعةٍ منَّا، فيقولُ اللهُ تعالى: لأنَّ في صلاتِهم «بسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيم».

ورُوِيَ عن النبيِّ ﷺ، أنَّه قال: إذا قال العبدُ «بسمِ الله الرَّحمٰنِ الرَّحِيم» كَتَبَ اللهُ له عَبادةَ سبعِمائة سَنَة، فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ، لَمَّا خلَقَ اللَّوحَ والقَلَم، وكان للقلمِ مائةُ أُنْبوبِ مَاء، بينَ كلِّ أُنبوبٍ مَسيرةُ خمسين سَنَة، فنَضَّرَه اللهُ تعالى بالهَيْبَةِ، فانْشَقَّ القَلَم، فقال اللهُ تعالى له: اكتُبْ ماهو كائِنٌ إلى يومِ القيامَة. فقال: بأَيِّ شيءٍ أَبْدَأُ؟ فقال: اِبْدَأْ بِبسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيم! فكَتَبَ القَلَمُ «بسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيم» في مُدَّةِ سبعِمائة سنَةٍ من سِنِي الدُّنيا. فقال اللهُ عزَّ وجلَّ: وعِزَّتي وجلالي! أَيُّما عبدٍ وأمَةٍ من أمَّةِ محمَّدٍ ﷺ، قال «بسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيم» مرَّةً واحِدَة، كُتِبَ له في دِيوانِه ثوابُ سبعِمائة سَنَة.

ومِن شَرْحِ أربعينَ الحديثِ للفشني، مُلَخَّصا: لَمَّا دَخَلَ النبيُّ ﷺ الجنَّةَ ليلةَ الإسْرَاء، رَأَى نَهْرَ الماءِ يَخْرُجُ مِن مِيم «بسم»، ونَهْرَ اللَّبَنِ يَخْرُجُ مِن هاءِ «الله»، ونَهْرَ الخَمْرِ يَخْرُجُ مِن مِيم «الرَّحمٰن»، ونَهْرَ العَسَلِ يَخْرُجُ من مِيم «الرَّحِيم».

قال عليه الصلاةُ والسلامُ: فعرفْتُ أنَّ أصلَ هذه الأَنْهارِ الأربعَةِ من التَّسْمِيَة. فقال الله: يامحمَّدُ! مَن ذَكَرَني بهذه الأسماءِ مِن أمَّتِك بِقلبٍ خالِص، سَقَيْتُه من هذه الأَنْهارِ الأَرْبَعَة. وفي بعضِ التَّعالِيق: مَن قالَها عندَ النَّومِ إحدى وعشرين مرَّة، أَمِنَ مِن السَّرَقِ والحَرْقِ والغَرَق.

وحُكِيَ أنَّ بعضَ المُتَقدِّمين أَوْصَى إلى ابنِه أنْ يَكْتُبَها في جبينِه وصدرِه بعدَ المَوْت، فكَتَبَها، فرَآه في المَنَام، فقال له: جاءُوني، أيْ ملائِكَةُ العَذَاب، فلَمَّا رَأَوْها مَكْتوبةً على جبينِي وصدرِي، قالوا لي: أَمِنْتَ من العَذَاب. وقد ذَكَرَ الشَّرجي في فَوائِدِه: تُكْتَبُ

بالإِصبَعِ بلا مَدَاد، ويَحْصُلُ الثَّوابُ المُتقدِّم.

ورُوِيَ أنَّ قَيْصرَ، مَلِكَ الرُّوم، شكا إلى سيدِنا عُمَرَ بنِ الخطَّاب، رضِيَ اللهُ عنه، الصُّدَاع، فأَرْسَلَ له قَلَنْسوَة، وفيها رُقْعَةٌ مكتوبٌ عليها «بسم ِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيم»، فلمَّا لَبِسَها سَكَنَ الصُّدَاع، فقالَ: ما أَكْرَمَ هذا الدِّينَ وأَعَزَّه! شَفَاني اللهُ تعالى بِآيةٍ واحِدةٍ منه، فأَسْلَم، وحسُنَ إسلامُه.

وعن عبدالله بن عمر، رضِيَ اللهُ عنه، عن النبيِّ ﷺ، أنَّها أوَّلُ مانَزَلَ عليه من الوَحْي. وعن عِكْرِمَة، أنَّه سَمِعَ عليًّا، يقول: إنَّها أوَّلَ مانزَلَتْ ضَجَّتِ الجبالُ حتَّى كُنَّا نَسْمَعُ دَوِيَّها، فقال النبيُّ ﷺ: ما مِن مؤمنٍ يَقْرَأُها، إلَّا سَبَّحَتْ معه الجَبَال، غيرَ أنَّه لايُسْمَعُ ذلك. وعن عليٍّ، أنَّ تَجْوِيدَها يُحَسِّنُ الوَجْه. وفي الخَبَر: مَن كَتَبَ «بسم ِ اللهِ الرَّحمٰن» فلم يُجَوِّدْها، كُتِبَتْ له ألفُ ألفِ حسَنَة، ومُحِيَتْ عنه ألفُ ألفِ سيِّئَة. ومَن كَتَبَها وَجَوَّدَها تَعْظيمًا للهِ تعالى، غُفِرَ له. ومَن رَفَعَ قِرطاسًا مِن الأرضِ فيه «بسم ِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيم» إجلالًا له تعالى أنْ يُدَاسَ اسمُه، كَتَبَه اللهُ من الصِّدِّيقِين، وخُفِّفَ عن والِدَيْه العَذَاب، وإنْ كانا مُشركَيْن. وما مِن كِتابٍ يُلْقَى بِمَضْيَعَةٍ من الأرضِ فيه اسْمٌ مِن أسماءِ اللهِ تعالى، إلَّا بَعَثَ اللهُ سبعين مَلَكًا يَحُفُّونه بأَجْنِحَتِهم، ويُقَدِّسونه حتى يَبْعَثَ اللهُ وليًّا من الأولياء، فيَرْفَعُه، ومَن رَفَعَه رَفَعَ اللهُ اسمَه في علِّيِّين، وخُفِّف عن والِدَيْه العَذَابُ وإنْ كانا مُشركَيْن.

قال ابنُ عباس، رضيَ اللهُ عنهما: أساسُ الكُتبِ القرآن، وأساسُ القرآنِ الفاتِحَة، وأساسُ الفاتحةِ في «بسم ِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيم»، فإذا اعْتَلَلْتَ، أو إذا اشْتَكَيْتَ، فعليكَ بالأَسَاس. هذا ماذَكَرَه الأستاذُ أبو إسحاقَ الثعلبيُّ، رحِمَه اللهُ تعالى.

ورَوَى الأستاذُ، أحمد بن محمد الثعلبيُّ، في تَفْسيرِه بإسنادِه عن ابن عباس، رضيَ اللهُ عنهما، قال: سمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ، يقول: خَيْرُ الناسِ وخَيْرُ مَن يَمْشي على جدِيدِ الأرضِ المُعَلِّمون، كلَّما خَلَقَ اللهُ الَّذين جَدَّدُوه أَعْطُوْهم، ولا تَسْتَأْجِرُوهم

فتُحْرِجوهم، فإنَّ المُعَلِّمَ إذا قال للصبيِّ: قُل «بسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيم»، فقالَ الصبيُّ: «بسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيم» كَتَبَ اللهُ بَراءةً للصبيِّ، وبراءةً للمُعَلِّم، وبراءةً لأَبوَيْه من النَّار.

وبسندِه عن جابرٍ، رضيَ الله عنه، قال: لمَّا نَزَلَتْ «بسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيم» هَرَبَ الغَيْمُ إلى المَشرِق، وسَكَنَتِ الرِّياح، وهَاجَ البَحْر، وأَصْغَتِ البهائِمُ بآذانِها، ورُجِمتِ الشَّياطينُ مِن السَّماء، وحَلَفَ اللهُ بعزَّتِه، لا يُسمَّى اسمُه على شَيْءٍ، إلَّا شَفاه، ولا يُسمَّى اسمُه على شيْءٍ، إلا بُورِكَ فيه، ومَن قَرَأَها دَخَلَ الجنَّة.

وبإسنادِه عن عبدالله بن مسعود، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: [مَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَجِّيَهُ اللهُ مِنَ الزَّبَانِيَةِ التِسْعَةَ عَشَرَ، فَلْيَقْرَأْ «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم» فَإِنَّهَا تِسْعَةَ عَشَرَ حَرْفًا، لِيَجْعَلَ اللهُ بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهَا نَجاةً لَهُ مِنْ وَاحِدٍ مِنْهُمْ].

وحُكي أنَّ شيطانًا سمينًا اسْتَقْبَلَ شيطانًا مَهْزولاً، فقال السمينُ لِلمهزولِ: أَراكَ في الحالَة؟ فقال: إنِّي مُسَلَّطٌ عليَّ رجُلٌ، إذا دَخَلَ بيتَه، قال «بسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيم»، وإذا خَرَجَ قال «بسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيم»، وإذا قَامَ قال «بسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيم»، وإذا قَعَدَ قال «بسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيم»، وإذا أَكَلَ قال «بسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيم»، وإذا شَرِبَ قال «بسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيم»، فأَكُونُ هارِبًا منه دائِمًا. ثم قال المهزولُ للسمين: أَرَاكَ سمينًا في هذه الحالَة؟ قال: إنِّي مُسَلَّطٌ على رَجُلٍ يَدْخُلُ بالغَفْلَة، ولا يقولُ «بسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيم»، فأُشارِكُه في جميعِ هذا، وأَرْكَبُ على عُنُقِه كالدَّابَّة.

﴿فائدة﴾ قال بعضُ العارفين الأكابر: مَن دَعَا بهذا الدُّعاءِ مائةً وثمانيةَ عشْرةَ مرَّة، قُضِيَتْ حاجتُه، كائنةً ما كانَتْ، وهو دُعاءُ «بسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيم»، وهو هذا: [اَللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِفَضْلِ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، وَبِحَقِّ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، وَبِهَيْبَةِ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، وَبِمَنْزِلَةِ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ: اِرْفَعْ

قَدْرِي، وَيَسِّرْ أَمْرِي، وَاشْرَحْ صَدْرِي، يَامَنْ هُوَ كهيعص حم عسق الم الم الله المص الر الر حم اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ، بِاسْمِ الهَيْبَةِ وَالقُدْرَةِ، بِاسْمِ الجَبَرُوتِ وَالعَظَمَةِ! اِجْعَلْنِي مِنْ عِبَادِكَ المُتَّقِينَ، وَأَهْلِ طَاعَتِكَ المُقَرَّبِينَ المُخْبِتِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنْهُمْ، يَارَبَّ العَالَمِينَ – انتهى.

ورأيتُ بعضَ العارفين كَتَبَ: أنَّ مَن قَرَأَ تسعةَ عَشْرةَ مرَّة، أي «بسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيم»، ثم قَرَأَ هذا الدُّعاءَ المذكُورَ أوَّلاً، حَصَّلَ أَسْرارًا عظِيمَة، وخَيْراتٍ جَسِيمَة. وفي فَضْلِ البَسْملَةِ مايَطُولُ حَصْرُه، ويَعْسُرُ اسْتِقْصاءُ قَدْرِه على الرِّجالِ الفُحُول، فكيفَ على مَن مثلِنا. ومَن أَرادَ الزِّيادةَ على ماذكَرْناه، فلْيَطْلُبْه من الكتُبِ المُطَوَّلَة. وفي الخاطِرِ أَنانِيَّةٌ على معنَى البَسْملَةِ وإِعرابِها، لكنْ خِفْنا المَلَل، ولا مُرادُنا إلَّا الإِتيانُ ببعضِ الفضائِل، لِمَن وفَّقَه اللهُ تعالى.

وعليك، أيُّها النَّاظِرُ بالكتُبِ المُدوَّنةِ في هذا الشَّأْن، وما ذكَرْناه هنا، وفي الأذكارِ المُتقدِّمةِ والمُتأخِّرةِ قليلٌ مِن كَثِير. وقد ذَكَرَ سيدُنا العارفُ بالله، شهابُ الدين أحمد بن زين الحبشي في كتابِهِ الذي على الفاتِحَةِ المُعَظَّمةِ طرَفًا مِن ذلك، وكذلك صاحِبُ [القرطاس] وغيرُهُما، وكذلك الشيخ عبدالله بن سعيد أَطْنَبَ في ذلك في شَرْحِ [فتح البصائر].

وأمَّا فضلُ «الحمدُ لله»، فقد قال سيدُنا القُطب، صاحِبُ الرَّاتِب، في كتابه [اتحاف السائل]: فأمَّا الثَّناءُ، فهو الحمدُ والمدحُ، ومعناه ذِكْرُ مااسْتَحقَّه المَمْدوحُ من صِفاتِ الكمَال، وما هو مُتَّصِفٌ به مِن معاني العِزِّ والشَّرفِ والجلَال، وما يَفِيضُ منه على المُثْني وغيرِه من العَطاءِ والنَّوال، وما يَدْفَعُ على المادِحِ وعمَّن سِواه من ضُروبِ البلاءِ والنَّكَال، مقرونًا بالإعظامِ والإجلَال، ومِن أَجْمَعِ العباراتِ وأشملِها لِمعاني الثناءِ قولُ «الحمدُ لله».

واعْلَمْ أنَّ اللهَ هو المُنَزَّهُ على الإطلَاق، والمُسْتَحِقُّ الثناءِ على كلِّ وَجْهٍ وبكلِّ معناه.

وهو المُنْفَرِدُ بذلك، والمُوَحَّدُ به، لأنَّه المُنَزَّهُ عن كلِّ نَقْص، المُتَّصِفُ بكلِّ كَمال، المُفِيضُ لكلِّ خيرٍ ونوَال. فالتَّنْزيهُ والثَّناءُ له حقيقَة، ولغيره مجَاز، بل لامُنَزَّهَ ولا محْمودَ سِواه حقيقةً ومجَازًا. وكلُّ مَن أُوتِيَ من الخلقِ شيئًا من النَّزاهَة، أو وَصَلَ إلى شيءٍ ممَّا يَقَعُ عليه الثَّناءُ، فما وَصَلَ إلى ذلك بحولِهِ وقُوَّتِه، بل بِقُدرةِ اللهِ ومشيئَتِه وفَضْلِه ورَحْمَتِه، وذلك من الله، وبالله. ومَن نَزَّهَ مَخْلوقًا عمَّا هو مُنَزَّهٌ عنه، فتَنْزِيهُه وثَناؤُه مُباعَدَتُه نقصًا به، بعُثورِ أَبناءِ جنسِه، أو أَثْنَى عليه بِكَمالٍ هو مُتَّصِفٌ به. فتَنْزِيهُه وثَناؤُه لِلهِ تَنْزِيهٌ وثَناءٌ على اللهِ، علِمَه مَن عَلِمَه، وجهِلَه مَن جهِلَه - انتهى.

قال الإمام الغزالي، رضيَ اللهُ عنه: قال رسولُ اللهِ ﷺ: [إِذَا قَالَ العَبْدُ «اَلحَمْدُ لِلهِ» مَرَّةً مَلأَتْ مَا بَيْنَ السَّماءِ وَالأَرْضِ، وَإِذَا قَالَ «اَلحَمْدُ لِلهِ» ثَانِيَةً مَلأَتْ مَا بَيْنَ السَّماءِ السَّابِعَةِ وَإِلَى الأَرْضِ، فَإِذَا قَالَ «اَلحَمْدُ لِلهِ» ثَالِثَةً قَالَ اللهُ سَلْ تُعْطَ]. فافْهَمْ فإنَّ «الحمد لِلهِ» هنا تُقْرَأُ ثلاثًا على مارتَّبَه صاحِبُ الرَّاتِب.

﴿فائدة﴾ أُخْتِيرَتْ صيغةُ الحمدِ على صيغةِ الشُّكرِ لِاشْتِمالِ أَحْرُفِه على «الحاء» الحَلْقِيَّة، و«الميم» الشَّفَهِيَّة، و«الدَّال» اللِّسانِيَّة حتَّى لايَخْلُو مَخْرَجُ كلٍّ مِن الثلاثةِ من نصيبِه من ذلك بالكُلِّيَّة.

قال سيِّدُنا صاحِبُ الرَّاتِب في نصائِحِه، قال النبيُّ ﷺ: [أَفْضَلُ الذِّكْرِ «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ» وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ «اَلحَمْدُ لِلهِ»]. وقال في [إتحاف السائل]: وقال عليه الصلاةُ والسلامُ: [إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ العَبْدِ يَأْكُلُ الأُكْلَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا، وَيَشْرَبُ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا].

وقال الإمامُ الغزالي في [منهاج العابدين]: إنَّ الحمدَ من أشكالِ التَّسبيحِ والتَّهليل، فيكونُ من المَساعِي الظَّاهِرَة، والشُّكْرَ من أَشْكالِ الصَّبرِ والتَّفْوِيض، فيكونُ من المَساعِي الباطِنَة، لأنَّ الشُّكرَ يُقابِلُ الكُفران، والحَمْدَ يُقابِلُ اللَّوْم، ولأنَّ الحمدَ أَعَمُّ وأَكْثَرُ، والشُّكرَ أَخصُّ وأَقلُّ. قال اللهُ تعالى: [وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ]. فثَبَتَ أَنَّهما معنَيانِ متميِّزانِ - انتهى.

وقال ابنُ عبَّاد في [شرح الحكم]: الشُّكرُ على ثلاثةِ أوجُهٍ: شُكْرٌ بالقَلْب، وشُكْرٌ باللِّسَان، وشُكْرٌ بسائِرِ الجوَارِح.

فشُكْرُ القَلْبِ أنْ يَعْلم أنَّ النِّعَمَ كُلَّها من اللهِ تعالى. قال اللهُ تعالى: [وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ الله].

وشُكْرُ اللِّسانِ الثَّناءُ على الله، وكثرةُ الحمدِ والمَدْحِ له، ويَدْخُلُ فيه التَّحدُّثُ بالنِّعَم، وإِظْهارُها ونَشْرُها. قال اللهُ تعالى: [وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ]. وقال عمر بن عبدالعزيز: تذاكَرُوا النِّعم، فإنَّ ذِكْرَها شُكْر. ومِن شُكْرِ اللِّسانِ أيضًا، شُكْرُ الوَسائِطِ بالثَّناءِ عليهِم، والدُّعاءِ لهم، قال اللهُ تعالى: [أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ]. وفي حديثِ النُّعمانِ بن بشِير، رضِيَ اللهُ عنه، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: [مَنْ لَمْ يَشْكُرِ القَلِيلَ لَمْ يَشْكُرِ الكَثِيرَ، وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللهَ تَعَالَى]. وعن أُسامةَ بنِ زيد، رضِيَ اللهُ عنه، قال. قال رسولُ اللهِ ﷺ: [أَشْكَرُ النَّاسِ لِلهِ، أَشْكَرُهُمْ لِلنَّاسِ].

وشُكْرُ الجَوارحِ أنْ تَعْمَلَ بها العملَ الصَّالِح، قال اللهُ تعالى: [إِعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا].

ورُوِيَ عن رسولِ اللهِ ﷺ: أنَّه قامَ من اللَّيلِ حتَّى انْتَفَخَتْ قدمَاه، فقيل له: يارسولَ الله! أَتَفْعَلُ ذلك، وقد غفَرَ اللهُ لك ماتقَدَّمَ من ذنبِك وما تَأَخَّر؟ قال: أَفَلا أكونُ عبدًا شَكورًا.

وسأل رجلٌ أبا حازمٍ، رضِيَ اللهُ عنه، فقال له: ما شُكْرُ العينَيْنِ؟ قال: إذا رَأَيْتَ بهما خَيْرًا أَعْلَنْتَه، وإذا رَأَيْتَ شرًّا سَتَرْتَه. قال: فما شُكْرُ الأُذُنَيْنِ؟ قال: إذا سمِعْتَ بهما خيرًا وعَيْتَه، وإذا سمِعْتَ بهما شرًّا دَفَنْتَه. قال: فما شُكْرُ البَطْنِ؟ قال: أنْ يكونَ أَسْفَلُه صَبْرًا، وأَعْلاه عِلْمًا. قال: فما شُكْرُ الفَرْجِ؟ قال: كما قال اللهُ تعالى: [وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ. إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ]. قال: فما شُكْرُ الرِّجلَيْنِ؟ قال: إذا رَأَيْتَ شيئًا غَبَطْتَه اسْتَعْمَلْتَهما عليه، وإذا رَأَيْتَ شيئًا مَقَتَّهُ

كَفَفْتَهُما مِن عملِه، وأنتَ شاكِرٌ لله - انتهى.

قال سيدُنا صاحِبُ الرَّاتِب في الاتحاف: وسَأَلْتَ عن قولِ بعضِ أهلِ الطريق، يَنْبَغي لِمَن يَأْخُذُ من أيدِي الخلقِ أن يكونَ أَخْذُه من اللهِ كَشْفًا وذَوْقًا، لا إيمانًا وعِلْمًا، فما كَيْفِيَّةُ ذلك من حيثُ العلمُ به؟ فاعْلَمْ أنَّ هذا كلامُ عارفٍ أَخْبَرَ عن حالِه، وعَبَّرَ عن شُهودِه، وهو حالُ الفاني عما سِوى الله، المُسْتَغْرَقِ بمُشاهدةِ جلالِ اللهِ وجمالِه، الَّذي لم يُبْقِ عنده من الخلقِ خبرًا، ولا مِن الوُجودِ وأهلِه حِسًّا ولا أثرًا، قد سَئِمَ التَّدْبيرَ والإِخْتِيار، وغابَ عن مُشاهدةِ الآثَار، وغَرِقَ سِرُّه في لُجَّةِ بحرِ الأَسْرَار، وانْمَحَتْ عنه ظُلْمةُ ليلِ الوُجُود، بإشراقِ نهارِ الشُّهُود، فتَرَاه مع ربِّه كالمَيِّتِ مع غاسِلِه، لايَتَحرَّكُ إلا بتَحْريكِه، قد غابَ عن الأسبابِ بِرُؤيةِ مُسبِّبِ الأسبَاب، وفنِيَ عن الأخبَارِ بمُشاهدةِ فعلِ الفاعِلِ المُختَار، فهو كما قال بعضُ العارفِين الأخيَار، رحِمَه اللهُ تعالى، شِعْرًا:

لِلهِ دَرُّ فتىً حيرانَ ذي ولَهٍ * أَفْنَى مُسمَّاهُ مَوْلاه وأَسْمَاهُ
يَمضي الزَّمانُ و لايدري بِعدَّتهِ * يَسُفُّ من رائقِ العُذرِي حُمَيَّاهُ

إلى أنْ قال: واعْلَمْ أنَّ الفانِيَ يَرَى اللهَ ولا يَرَى الخَلْق، وصاحِبَ البقاءِ - ولا بَقاءَ إلَّا بعدَ التَّحَقُّقِ بالفناءِ - يَرَى الأشياءَ بالله، فيُوفِي كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، ويَضَعُ كلَّ شيءٍ في مَوْضِعِه، ويَقُومُ أتمَّ القيامِ بالحُقوقِ الحقِّيَّة والحقوقِ الخلقِيَّة، ولا يَشْغَلُه ذلك عن ربِّه، ولا يَحْجُبُه عن مقامِه. -انتهى.

﴿قلتُ﴾ وأهلُ مقامِ الفناء، مقامُهم عندَ معنى «إيَّاكَ نَعْبُدُ»، وأهلُ مَقامِ البقَاء، مقامُهم عند معنَى «وإيَّاكَ نَسْتَعينُ».

قال سيدنا الشيخ، صاحِبُ الرَّاتِب: قوله «ذَوْقًا» لما معَنا من التَّشْتِيت، أي في مقامِ البقَاء. وقوله «إنَّا لَنَعْلَمُه»، أي مَقامَ الفنَاءِ ذَوْقًا وتَحَقُّقًا. وقولُه «ولَمْ نَحْظَ به»، أي في مَقامِ البقَاء، وإنْ كان أَعْلَى وأَرْقَى، لأنَّ مقامَ البقاءِ مثلُ مقامِ الوَزِير، عليه تَدْبيرُ أُمورِ المَمْلكَة، وخِدْمةُ المَلِك. وصاحِبُ مقامِ الفناءِ كالعبدِ القائمِ في حضرةِ المَلِك،

مُشاهِدٌ له لا غيرِه. ولِلعارِفِين تَحُنُّ إلى هذا المَقامِ الصَّافِي عن الأغيارِ وعن العبارَات، حتى قال ابنُ الفارِض، رحِمَه الله:

تِلكَ اللَّيالِي الَّتِي تُعْتَدُّ مِن عُمُري * مع الأحِبَّةِ كانتْ كلُّها عُرُسَا
لم يَحْلُ لِلعَينِ شيءٌ بعدَ بُعْدِهِمِ * والقلبُ من أَنَسِ التَّذْكارِ ما أَنِسَا
ياجنَّةً فارَقْتُها النَّفْسُ مُكْرَهَةً * لولا التأَسِّي بِدَارِ الخُلْدِ مُتُّ أَسَا

وقال سيدُنا صاحِبُ الرَّاتِبِ، نفَعَ اللهُ به

يالَيْتَني قد غِبْتُ عن هذا الورَى * ودُعِيتُ بالمستَغْرَقِ المَبْهوتِ
ماذا عليَّ مِن الأنامِ وقولِهِم * إنْ أُدْعَى بالمحبوبِ أو المَمْقُوتِ
حَسْبِي إلٰهِي والَّذي يَخْتَارُهُ * اللهُ أكبَرُ غارَ بحرُ الحوتِ

فقوله «حَسْبِي إلٰهي» هو المَقامُ الإبراهيمِيُّ، حسبِي من سؤالِي علمُه بحالي. وقوله «اللهُ أَكْبَر غارَ بحرُ الحُوت» إشارةٌ تقصرُ عنها العِبارَة، لأنَّ الأَولياءَ علمُهم بينَ المُهْمَلِين علُوًّا وانْخِفاضًا، لاغيرَ إلى ما بينَ العرشِ والحُوت، وما فوقَ العَرْشِ وتحتَ الحُوت، تَفَرَّد بعلمِه البارِي جَلَّ جلالُه، واللهُ أعلَمُ، ونَسْتَغفِرُ اللهَ ونَتُوبُ إلى اللهِ ممَّا جَرَى به القَلَم، ممَّا ليسَ نحن له بأهلٍ ثم به نَتَكلَّم.

قال في [اتحاف السائل] ﴿دقيقة﴾ قال صاحِبُ [قوت القلوب]، رحِمَه اللهُ تعالى، ونفَعَ به: إذا صادَفْتَ لِمعروفِك أحَدًا من أهلِ اليَقِين، الَّذين لايرَوْن إلا الله، فاغْتَنِمْ اصْطِناعَ المَعْروفِ إليه، وإنْ كان حالُه يَقْتَضِي أنْ لايَشْكُرَك، ولا يدعُوَ لك، لكونِه لايَرَاك، فإنَّ يقينَه أَنْفَعُ لك، وأَرْجَحُ في ميزانِك مِن دُعاءِ غيرِه - انتهى بمعناه.

﴿حكاية عجيبة﴾

يُستَدَلُّ بها على دوامِ النِّعمةِ لِلشَّاكِرين، وذهابِها عن الكافِرين، وهو ماحَكاه القاضي ابنُ خَلِّكان في تاريخه، ونقَلَه الدَّميري في [حياة الحيوان]، وهي أنَّ رَجُلاً من الأوَّلِين، كان يَأْكُلُ، وبينَ يدَيْهِ دَجاجَةٌ مَشْوِيَّة، فجاءَه السَّائِل، فرَدَّه خائِبًا، وكان الرجُلُ مُثْرِيًا، فَوقَعَ بينه وبينَ زوجتِه فُرْقَةٌ، وذَهَبَ مالُه، وتزوَّجَتْ امْرَأَتُه. فبَيْنَما الزَّوجُ الثاني يَأْكُلُ، وبينَ يدَيْه دَجاجةٌ مَشْوِيَّة، إذ جاءَه سائِلٌ، فقال لِامْرأتِه: ناوِلِيه الدَّجاجةَ! فناوَلَتْه، ونَظَرَتْ، فإذا هو زَوْجُها الأوَّلُ، فأَخْبَرَتْ زَوْجَها الثانيَ بأمرِه، فقال: وأنا، والله، ذٰلك المِسْكينُ، فخوَّلَني اللهُ نِعَمَهُ، وسَلَبَه إيَّاها بِقِلَّةِ شُكرِه.

وقد قال إبراهيم الخَوَّاصُ، رضِيَ اللهُ عنه: لايصِحُّ الفقرُ للفقيرِ حتَّى تكونَ فيه خَصْلتَانِ: أَحدُهما الثِّقةُ بالله، والأُخْرى الشُّكْرُ لِلهِ فيما زَوَى عنه ممَّا ابتُلِيَ به غيرُه مِن الدُّنيا، ولا يكمُلُ الفقيرُ حتى يكونَ نَظَرُ اللهِ تعالى له في المَنْعِ أَفْضَلَ من نَظَرِه له في العَطاء.

في بعضِ الكُتب: الدَّجاجُ يقولُ في صياحِه: بالشُّكْرِ تَدُومُ النِّعَمُ! ﴿قالوا﴾ وصوتُه مُقَطَّعٌ على عددِ الكلِمات.

وقال تلميذُ سيدِنا صاحبِ الرَّاتِب، الشيخ عبدالله بن سعيد العمودي، في شرح [فتح البصائر]: ورُوِيَ عنه ﷺ أنَّه قال: [يُنَادَى يَوْمَ القِيامَةِ: لِيَقُمِ الحَمَّادُونَ! فَتَقُومُ زُمْرَةٌ فَيُنْصَبُ لَهُمْ لِوَاءٌ، فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ. قِيلَ: وَمَنِ الحَمَّادُونَ؟ قَالَ: الَّذِينَ يَشْكُرُونَ اللهَ عَلَى كُلِّ حَالٍ]. وفي لفظٍ آخر: [الَّذِينَ يَشْكُرُونَ اللهَ عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ]. قال ﷺ: [اَلحَمْدُ لِلهِ رِداءُ الرَّحْمٰنِ]. فلهذا قال ابنُ مسعود: الشُّكْرُ نصفُ الإيمانِ.

وقال ﷺ: [مَنْ قَالَ «اَلحَمْدُ لِله» فَلَهُ ثَلاَثُونَ حَسَنَةً]. وقال: [أَفْضَلُ الذِّكْرِ «لَا إِلَهَ إِلَّا الله»، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ «اَلحَمْدُ لِله»].

﴿قلتُ﴾ ولا يَتِمُّ المقصودُ من كلِّ ذِكْرٍ، إلَّا بحضورِ معناه في القَلْب. والحمدُ مقامٌ من مَقاماتِ الإيمان، وهو دِعامُها وأساسُها، وعليه أُسِّس مقامُها، بل هو أفضلُ أركانِ الإيمانِ وأبهاها، وأَحْسَنُ الطَّاعاتِ وأَزْهَاها. فلهذا قَرَنَ الحقُّ سبحانه وتعالى الشُّكْرَ، الَّذي هو المُرادُ، بالحمدِ بذِكْرِه مع قوله: [وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ]. وقال تعالى: [فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوا لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ]. ولعُلُوِّ رُتبةِ الشُّكْرِ طعَن اللعينُ على الخَلْق، فقال: [وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ]. وقال تعالى: [وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ]. وقد قَطَعَ اللهُ بالمزيدِ مع الشُّكْرِ فقال: [لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ]. وجَعَلَ سُبْحانه الشُّكْرَ مِفتاحَ الجنَّةِ، فقال: [وَقَالُوا الحَمْدُ لِلهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ، وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ]. وقال تعالى: [وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العَالَمِينَ].

وقال العارفُ بِاللهِ أبو العباس المُرْسي، رضيَ اللهُ عنه: لَمَّا علِمَ اللهُ في الأَزَلِ عَجْزَ خَلقِه عن أنْ يَقوموا بحقِّه مِن حَمدِه، حَمِدَ نَفْسَه بِنَفْسِه في أَزَلِه، فقال: «الحمدُ للهِ ربِّ العالَمين»، أو لِيقولوا ذلك. والحمدُ عامُّ الذِّكْرِ، سواءً كان في مُقابلةِ نِعْمَةٍ أم لا. والشُّكْرُ خاصٌّ لايكونُ إلَّا في مُقابلةِ نِعْمَة.

والحمدُ لُغةً يُطْلَقُ على الجَميلِ الاختياريِّ، وشرعًا ذِكْرُ الجميلِ لِفاعِلِه حقِيقَةً، وهو الشُّكْرُ طريقةً، وحقيقتُهُ عُرْفًا في الفقهِ شُكْرٌ حيثُ قابلَتْهُ نعمةٌ في المُسْتقبَلِ، أو ذَكَرَها في الماضي، فهو شكرٌ نفسيٌّ، وحمدٌ حيثُ كان مجرَّدَ ذِكْرٍ، وكلُّ ذلكَ عندَ أربابِ البِرِّ مُجرَّدُ طاعَة، واجبُ التلبُّسِ بها من كلِّ وجه - انتهى.

وقال تعالى: [وَقُلِ الحَمْدُ لِلهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا]. وقال تعالى: [فَقُلِ الحَمْدُ لِلهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ]. وقال تعالى: [وَقُلِ الحَمْدُ لِلهِ وَسَلاَمٌ عَلَى عِبَادِهِ الذِينَ اصْطَفَى]. وقال تعالى: [وَقُلِ الحَمْدُ لِلهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَيَعْلَمُونَ]. فأَفهَمَ أنَّه تعالى

أمرَ بالحمدِ جلَّ وعلا، فلهذا جعَلَها سيدُنا في راتِبه الشَّريف.

قال الإمام زين العابدين بن السِّبطِ الإمام الحسين بن علي في [الفصول]: ورضيَ بالحمدِ شُكْرًا له مِن خَلْقِه. وفي كتاب الترمذي، ونقَلَه النوويُّ، عن أبي موسى الأشعريِّ، رضِيَ اللهُ عنهم، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: [إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْدِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى لِمَلاَئِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: فَمَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ. فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: اِبْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الحَمْدِ]. قال النوويُّ، قال الترمذيُّ: حديثٌ حسنٌ.

وعن عطاءِ بن يسارٍ قال، قال رسولُ الله ﷺ: [إِذَا مَرِضَ العَبْدُ، بَعَثَ اللهُ تَعَالَى لَهُ مَلَكَيْنِ، فَيَقُولُ: اُنْظُرْ، مَاذَا يَقُولُ لِعُوَّادِهِ؟ فَإِنْ هُوَ إِذَا جَاءَهُ حَمِدَ اللهَ تَعَالَى، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، رَفَعَا ذٰلِكَ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِ، فَيَقُولُ: لِعَبْدِي عَلَيَّ إِنْ تَوَفَّيْتُهُ أَنْ أُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، وَإِنْ شَفَيْتُهُ أَنْ أُبَدِّلَهُ لَحْمًا خَيْرًا مِنْ لَحْمِهِ، وَدَمًا خَيْرًا مِنْ دَمِهِ، وَأَنْ أُكَفِّرَ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ] - أَخْرَجَه مالكٌ.

وعن ابنِ مسعودٍ، رضِيَ اللهُ عنه، قال: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: [لَا أَحَدَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ، مِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ حَرَّمَ الفَوَاحِشَ مَاظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ. وَلَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ المَدْحُ مِنَ اللهِ، مِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ حَمِدَ نَفْسَهُ] - أَخْرَجَه الشيخانِ.

وفي كتاب [الأذكار] عن أبي نصر التَّمَّام، وعن محمد بن النضر، قال: قال آدمُ صلَّى اللهُ على نبيِّنا وعليه وسلَّم: يارَبِّ! شغَلْتَني بِكَسْبِ يَدِي، فعلِّمْني شيئًا فيه مجامِعُ الحَمْدِ والتَّسْبيحِ! فَأَوْحَى اللهُ إليه: ياآدمُ! إذا أصبَحْتَ، فقُلْ ثلاثًا، وإذا أمسَيْتَ، فقُلْ ثلاثًا «الحمدُ للهِ ربِّ العالَمين حمدًا يُوافي نِعَمَهُ ويُكافِي مَزِيدَه»، فذٰلك مجامِعُ الحمدِ والتَّسْبيح.

وقال النوويُّ: قال المُتأخِّرون مِن أصحابِنا الخُراسانِيِّين: لو حَلَفَ إنسانٌ لَيَحْمَدَنَّ

اللهَ تعالى بمجامعِ الحمدِ، ومنهم مَن قال بأَجَلِّ التَّحامِيد، فطريقُه في بِرِّ يمينِه، أن يقولَ «الحمدُ للهِ ربِّ العالمين حمدًا يُوافي نِعَمَهُ ويُكافي مزيدَه».

قال الإمامُ النوويُّ أيضا في [الأذكار]: اِعْلَمْ أنَّ الحمدَ مُسْتَحَبٌّ في ابْتِداءِ كلِّ أمرٍ ذي بَال، فيُسْتَحَبُّ بعدَ الفراغِ من الطَّعامِ والشَّرابِ والعُطاس، وعندَ خِطبةِ المرأةِ وهو طَلَبُ زواجِها، وكذا عندَ النِّكاح، وعندَ الخُروجِ من الخَلاء. ويُسْتَحَبُّ عندَ حُصولِ نِعمَة، وانْدِفاعِ مكرُوه، وفي ابْتِداءِ الكُتُبِ المُصنَّفَة، وكذا في درْسِ المُدرِّسين، وقراءةِ الطالِبين، سواءً قَرَأَ حديثًا، أو فِقهًا، أو غيرَهما. قال: وأَحْسَنُ العباراتِ في ذلك «الحمدُ للهِ ربِّ العالَمين» - انتهى كلامُ محيي الدين النوويِّ، رحِمَه اللهُ تعالى.

وخَرَّجَ ابنُ أبي شيبةَ، عن أنسٍ، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: [اَلتَّأَنِّي مِنَ اللهِ، وَالعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ. وَمَا شَيْءٌ أَكْثَرَ مَعَاذِيرَ مِنَ الله، وَمَا شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى اللهِ مِنَ الحَمْدِ].

وأخرج ابنُ وضَّاحٍ عن ابنِ وهْبٍ عن عبدالرحمن بن زيدٍ، أن النبيَّ ﷺ قال: إنَّ اللهَ تعالى اتَّزَرَ العِزَّةَ، وتقمَّصَ الحمدَ لله، وارْتَدَى بالكِبْرِياءِ، فلا تُنازِعُوا اللهَ في لِباسِه! نقلَه والَّذي قبلَه في كتاب [الحقائق].

وقال ﷺ: [مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَى عَبْدِهِ نِعْمَةً، فَقَالَ «اَلْحَمْدُ للهِ» إِلَّا وَقَدْ أَدَّى شُكْرَهَا. فَإِنْ قَالَهَا الثَّانِيَةَ، جَدَّدَ اللهُ لَهُ ثَوَابَهَا، فَإِنْ قَالَهَا الثَّالِثَةَ، غَفَرَ اللهُ لَهُ ذُنُوبَهُ]. وقال ﷺ: [اَلْحَمْدُ للهِ رَأْسُ الشُّكْرِ، مَاشَكَرَ اللهَ عَبْدٌ إِلَّا يَحْمَدُهُ]. وقال ﷺ: [أَوَّلُ مَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ الحَمَّادُونَ اللهَ عَلَى كُلِّ حَالٍ].

ورُوِيَ أنَّ نوحًا، عليه السلام، كان إذا أَكَلَ أو شَرِبَ، قال «الحمدُ لله»، قال: فسمَّاه اللهُ عبدًا شَكورًا.

قال سيدُنا صاحِبُ الرَّاتِب، نفَعَ اللهُ به، في قصيدَتِه العينِيَّة المشهُورَة:

وعليكَ بالصَّبرِ ولا تعدِلْ به * شيئًا وبالشُّكرِ الأتمِّ الأوسعِ

وقال محمودُ الورَّاق، رحِمَه الله، شعرًا:

إذا كـانَ شُـكْـرُ اللهِ لِلّهِ نِـعـمـةً * عـليَّ لـه في مثلِهـا يجبُ الشُّـكْـرُ
فـكيـف بلوغُ الـشُّـكْـرِ إلَّا بـفـضـلِهِ * وإنْ طـالَتِ الأيَّـامُ واتَّصَـلَ العُمُـرُ
إذا مَسَّ بـالـسـرَّاء عـمَّ سـرورُهـا * وإنْ مَسَّ بـالـضـرَّاء أَعْقَبَهـا الأجـرُ
فـما مـنـهـما إلَّا لـه فـيـه نـعـمـةٌ * تَضيقُ بهـا الأوهـامُ والسرُّ والجهـرُ

وقال عبدالحميد الكاتب: لم أَسْمَعْ أَعْجَبَ مِن قولِ عُمرَ بن الخطاب، رضِيَ اللهُ عنه: لو كان الصَّبْرُ والشُّكْرُ مطِيَّتَيْنِ، مَا بالَيْتُ بأيِّهما رَكِبْتُ. وقد قيل: الشُّكْرُ أَتَمُّ الشُّكرِ أنْ تَرَى شُكْرَك بِتَوْفِيقِه، ويكونَ ذلك الشُّكْرُ من أَجْلِ النِّعمَة، فتَشْكُرُه على الشُّكْر، ثم تشكرُه على شُكْرِ الشُّكر.

وقال الإمام عبدالله بنُ أسعَد اليافعيُّ، رحِمَه الله، ونفَعَ به، شِعْرًا:

تبـارك مَن شُكْـرُ الـورى عنـه يقصرُ * لـكـون أيـادِي جُـودِه لـيس تحصرُ
وشـاكـرُهـا يحتـاج شكـرًا لِشُكـرِهـا * كـذلـك شكـرُ الشُّكـرِ يحتـاج يشكـر

ورُوي أنَّ الحسنَ بنَ عليٍّ، رضِيَ اللهُ عنهما، التزَمَ الرُّكْنَ، وقال: إلٰهي! نعَّمْتَني فلم تجِدْني شاكِرًا، وابتلَيْتَني فلم تجِدْني صابِرًا، فلا أنتَ سلَبْتَ النِّعمةَ بِتَرْكي الشُّكر، ولا أنتَ أدَمْتَ الشدَّةَ بِتركي الصَّبْر. إلٰهي مايكونُ من الكريمِ إلَّا الكرَم، ولا من الجاني إلَّا الجَفَاء.

وعن والدِه، عليٍّ، كَرَّمَ اللهُ وجهَه: مَنْ كان فيه أربعُ خصالٍ، أَبْدَلَ اللهُ سيِّئاتِهم حسَنَاتٍ يومَ القيامَة: الصِّدقُ، والحياءُ، والشُّكرُ، وحُسْنُ الخُلُقِ.

وقال سيدي الشيخُ أبو الحسن الشاذليُّ، رضِيَ اللهُ عنه: قلتُ يومًا، وأنا في مَفازةٍ في سِياحَتي: إلٰهي! متى أكونُ لك عبدًا شاكِرًا؟ فإذا عليَّ يُقال لي: إذا لم تَرَ مُنْعَمًا عليهِ غيرَك. قلتُ: إلٰهي! كيفَ لاأَرَى مُنْعَمًا عليهِ غيرِي، وقد أَنْعَمْتَ على الأنبِيَاء، وقد أَنْعَمْتَ على العُلَماء، وقد أَنْعَمْتَ على المُلُوك؟ فإذا عليَّ يُقال لي: لَـوْلَا الأنبياءُ لَمَا

اهْتَدَيْتَ، ولَوْلَا العلماءُ لَما اقْتَدَيْتَ، ولَوْلَا المُلوكُ لَما أَمِنْتَ، فالكُلُّ نِعْمةٌ مني عليكَ.

﴿قلتُ﴾ فانْظُرْ، أيُّها السَّامعُ لهذا الكلامِ بعينِ قلبِك بعدَ أُذُنِ رأسِك، واشكُرِ اللهَ على الدَّوَام. قال تعالى: [وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ].

﴿قال﴾ ورَوَى الطبرانيُّ: مَن قال «الحمدُ لله» مِائةً كان له عِدلُ مِائةِ فرسٍ مُسْرَجةً مُلْجَمةً في سبيلِ الله - انتهى. ﴿قلتُ﴾ فأَفْهَمَ أنَّ مَن قالها ثلاثًا كما في الرَّاتِب، فكأَنَّما جَهَّزَ ثلاثَمِائة فرسٍ في سبيلِ الله.

قال سيدُنا الشيخ صاحِبُ الرَّاتِب، نفعَ اللهُ به: وفَضْلُ الحمدِ ليس يُحْصَر، ومَن جَاهَدَ فإنَّما يُجاهِدُ لنفسِه. ﴿قلتُ﴾ ومَن أرادَ الزيادةَ على هذا، فعليه بالكتُبِ المُطَوَّلَة، ولو أَجْرَيْنا القَلَمَ لَما قَدَرْنا على أنْ نُحصيَ مارأَيْنا في هذا الباب، فكيفَ ما لم نَرَهُ في الكُتُب، ولم نَسْمَعْ به؟!

وأمَّا قولُ سيدِنا صاحبِ الرَّاتِب، نفعَ اللهُ به، آمين: «اَلْخَيْرُ وَالشَّرُّ بِمَشِيئَةِ الله»، فقد تَقَدَّمَ ذِكْرُ ذٰلك مَبسوطًا في الفائدتيْنِ المُتقدِّمتَيْنِ من الكلامِ النَّفيس، الَّذي لاتَجِدُ مثلَه. وها نحنُ نَزيدُ هنا بما تَيَسَّرَ ذِكْرُه تَبَرُّكًا بِشَرْحِ هذه الكلمةِ العظِيمَة، فنقولُ: قال سيدِي الوالِدُ في شَرْحِه، نَفَعَ اللهُ به: فذٰلك في الحقيقةِ معنى «لا إلٰه إلَّا الله»، معنى التَّوْحيدِ الخَاصّ، إذ كلُّ شيءٍ بقضاءِ اللهِ وقدَرِه، ونُطْقٍ بصريحِ الإيمَان، وعقائدِ أهلِ الإيقَان، كما جاء في حديثِ جبرِيل، عليه السلام، الطَّويلِ المذكورِ في الصحِيحَيْن، حين جاءَ النبيَّ ﷺ يَسْأَلُه عن الإسلامِ والإيمانِ والإحسَان. وقولُه ﷺ حينَ يَسْأَلُه عن الإيمانِ، «أنْ تُؤمِنَ باللهِ وملائِكَتِه وكُتُبِه ورُسُلِه وتُؤمِنَ باليومِ الآخِرِ وبالقَدَرِ خيرِه وشرِّه»، ومعلومٌ أنَّ الإيمان، كما قاله العلماء، «تصديقٌ بالجَنان، وإقرارٌ باللِّسان»، زادَ بعضُهم «وعمَلٌ بالأركَان»، وآياتُ الكتابِ العزيزِ طافِحَةٌ بذلك. قال اللهُ تعالى: [قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ الله]، أي الحسَنَةُ والسيِّئة، كما سبق بيانُ ذلك. وقال تعالى: [وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا]. وقال تعالى: [وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى].

وقال تعالى: [وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ]، أي على أديانٍ شتَّى مِن بينِ يهوديٍّ، ونصرانيٍّ، ومجوسيٍّ، ومشركٍ، إلَّا من رحِم ربُّك، فهَدَاهُم إلى الحقِّ، فهم لايَخْتَلِفون، ولذلك خلقَهم.

قال الحسنُ البصريُّ، وعطاءٌ، رحِمَهما اللهُ تعالى: ولِلاخْتِلافِ خَلَقَهم لِيكونَ فريقٌ في الجنَّة، وفريقٌ في السَّعِير، ذَكَرَ ذلك الإمامُ البغويُّ. وقال اللهُ تعالى: [وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ]، أي من خيرٍ وشرٍّ. وقال تعالى: [إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ]. وقال تعالى: [وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكُوا]. وقال تعالى: [وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ]. وقال تعالى: [وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا، وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ].

وذُكِرَ في [تفسير الجلالين] عند تفسير قولِه تعالى: [هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ]، أي في أصلِ الخِلْقَة، ثم يُميتُهم ويُعِيدُهم على ذلك. وذَكَرَ الإمامُ البغويُّ عندَ تفسير قولِه تعالى: [وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا. فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا] ﴿قال﴾ وقال سعيدُ بنُ جُبير: أَلْزَمها فُجُورَها وتَقْواها. وقال ابنُ زيد: جَعَلَ فيها ذلك بِتَوْفيقِه إيَّاها لِلتَّقْوَى، وخِذلانِه إيَّاها لِلفُجور. واخْتَارَ الزَّجَّاجُ هذا، وحَمَل الإلهامَ على التَّوْفيق والخِذْلَان. وهذا يُبيِّن أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ خَلَقَ في المؤمنِ التَّقْوَى، وفي الكافرِ الفُجُور.

ثم رَوَى بإسناده إلى عِمران بن حُصَين، رضِيَ اللهُ عنه، قال: إنَّ رجلاً مِن جُهَيْنَةَ أو مُزَيْنَةَ أتى إلى النبيِّ ﷺ، فقال: يارسولَ الله! رَأَيْتُ مايَعْمَلُ الناسُ، ويَتَكادَحُون فيه، أَشيَءٌ قُضِيَ عليهم مِن قَدَرٍ سَبَق، أو فيما يَسْتَقبِلون بما آتاهُم به نبيُّهم، وأُكِّدَتْ به عليهم الحُجَّةُ؟ قال: في شَيْءٍ قَضَى. ﴿قال﴾ قلتُ: ففِيمَ العملُ إذَنْ؟ قال: مَن كان اللهُ خَلَقَه لإحدى المَنْزِلَتَيْنِ يُهَيِّئُه اللهُ لها، وتَصْدِيقُ ذلك في كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ: [وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا. فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا].

قال الشيخُ العلامة عبدالرحمن بن علي القُرشيُّ في خواصِّ القرآن العزيز، قال ابنُ

مسعود، رضيَ اللهُ عنه، في تفسيرِ قولِه تعالى: [وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ]، يعني طريقَةَ الخَيْر، وطريقةَ الشَّرِّ. قال في [الدر المنثور] عند تفسير قولِه تعالى «وهدَيْناه النَّجدَيْنِ». وأَخْرَجَ عبدالرزاق، والفريابي، وعبدالحميد، وابنُ جرير، وابنُ المنذر، وابنُ أبي حاتم، والطبراني، والحاكم وصحَّحه عن ابن مسعود، في قوله تعالى: [وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ]، قال: سبيلَ الخيرِ والشَّرِ. وقال ابنُ عباسٍ مثلَه. وعن عليّ، كَرَّمَ اللهُ وجهَه مثلَه، وعن أنسٍ عن النبيِّ ﷺ: [هُمَا نَجْدَانِ، فَمَا جَعَلَ نَجْدَ الشَرِّ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ نَجْدِ الخَيْرِ].

وعن أبي هريرة، عن النَّبيِّ ﷺ، أنَّهما نَجْدانِ: نجدُ الخيرِ، ونجدُ الشرّ، فلا يكنْ نجدُ الشّرِ أحبَّ إليكم مِن نجدِ الخَيْر. ﴿قال﴾ وقد أَطالَ السيوطيُّ في ذلك، فانظرْه هناك. وقال في قوله تعالى: [وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالخَيْرِ فِتْنَةً].

وأَخْرَجَ ابنُ جريرٍ، وابنُ المُنذر، وابنُ أبي خاتمٍ، واللالكاني في السنَّةِ عن ابن عباسٍ، رضيَ اللهُ عنهما، في قوله تعالى: [وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالخَيْرِ فِتْنَةً]، قال: نَبْتَليكم بالشِّدَّة والرَّخاء، والصِّحَّةِ والسَّقم، والغِنى والفَقْر، والحلالِ والحَرام، والطَّاعةِ والمعصِيَة، والهُدى والضلالَة - انتهى، فافهَمْ.

قال الإمامُ الغزالي في المقصد، والشيخ محمد بن قاضي عجلون في شرحه على العقيدةِ الشَّيْبانِيَّة: ويُضافُ إليه سبحانه الخيرُ والشرُّ عندَ الجُملَة، فتكونُ صِفةَ مَدْحٍ، لاصفةَ ذَمٍّ. قال تعالى: [قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ فَمَا لِهَؤُلَاءِ القَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا].

﴿قلتُ﴾ قد تَقَدَّمَ في الفائدة المتقدِّمةِ ما هو أَبْسَطُ مِن هنا كلِّه، فانظرْه هناك.

وسيدُنا صاحبُ الرَّاتِب، أَضَافَ ذلك إلى المَشِيئَة، فقال نفَعَ اللهُ به: «اَلْخَيْرُ وَالشَّرُّ بِمَشِيئَةِ اللهِ»، وفي الآيةِ الكريمةِ أَضَافَ ذلك إلى نَفْسِه، فأَفْهَمَ بذلك كَمَالَ أَدَبِه، نَفَعَ اللهُ به، في الدَّارَيْن آمين.

قال الإمامُ حجَّةُ الإسلام، الغزاليُّ في كتاب الخوف من [إحياء علوم الدين]: وإليهِ

يَعني خوفَ السَّابقةِ مِن القضَاءِ الأزلِي، الَّذي جَرَى بتَوْقِيعِه القَلَم، أَشَارَ النبيُّ ﷺ حيثُ كان على المِنْبر، فقَبَضَ كفَّهُ اليُمنى، ثم قال: هذا كِتابُ اللهِ كَتَبَ فيه أهلَ الجَنَّةِ بأَسْمائِهم وأَنْسابِهم وأَسماءِ آبائِهم، لا يَزْدَادُ ولا يَنْقُص. ثم قَبَضَ كفَّهُ اليُسرَى، وقال: هٰذا كِتابُ اللهِ كَتَبَ فيه أهلَ النَّارِ بأَسْمائِهم وأَنْسابِهم وأَسْماءِ آبائِهم، لا يَزْدادُ ولا يَنْقُص . . . إلى أن قالَ: السَّعيدُ مَن سَعِدَ بِقضاءِ الله، والشقِيُّ من شَقِيَ بِقضاءِ الله، والأعمالُ بالخواتِيم.

وذَكَرَ الإمامُ الكلاعي في سيرتِه، عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ، رضيَ اللهُ عنه، أنَّ عمرَ بنَ الخطَّاب، رضِيَ اللهُ عنه، لَمَّا تَوَجَّهَ إلى الشَّامِ لِفَتْحِ بيتِ المَقْدِس، وانْتَهَى إلى الجابِيَة، قامَ في الناسِ خطيبًا، فقال: الحمدُ للهِ الحميدِ المُسْتَحمِد، الدفَّاعِ المجِيد، الغَفورِ الوَدُود، الَّذي مَن أَرادَ أنْ يَهدِيَه مِن عبادِه اهْتَدَى، مَن يَهْدِ اللهُ فهو المُهْتدِي، ومن يُضْلِلْ فلن تجِدَ له ولِيًّا مُرْشدًا. ﴿قال﴾ وإذا رَجُلٌ مِن القِسِّيسِين من النَّصارَى عندَهم، وعليه جُبَّةُ صُوفٍ، فلمَّا قَرَأَ عمرُ، رضِيَ اللهُ عنه: مَن يَهْدِ الله، فهو المُهتدِي، قال النَّصْرانيُّ: «وأنا أَشْهَدُ»، فقال عمرُ: ومَن يُضْلِلْ فلنْ تَجِدَ له ولِيًّا مُرْشِدًا، فنَضَّ النَّصْرانيُّ جُبَّتَهُ عن صدرِه، ثم قال: «مَعاذَ الله، لايُضْلِلُ اللهُ أَحَدًا»، يُريدُ الهُدَى. فقال عمرُ، رضيَ اللهُ عنه: ماذا يَقولُ عَدُوُّ الله، هٰذا النَّصْرانيُّ؟ فأَخبَرُوه، فرَفَعَ عمرُ، رضِيَ اللهُ عنه، صَوْتَه، وعادَ في خُطبتِه بمِثْلِ مَقالتِه الأولى، ففَعَلَ النَّصْرانيُّ كفِعْلِه الأولِ، فغَضِبَ عمرُ، وقال: واللهِ لَئِنْ أعادَها لأَضرِبَنَّ عُنُقَه، ففَهِمَ العِلْجُ، فسَكَتَ، إذْ عادَ عمرُ، رضيَ اللهُ عنه، في خُطبتِه، فقال: مَن يَهْدِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضْلِلْ فلا هادِيَ له - انتهى.

وقال ﷺ: [لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَحَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ]. رواه جابرٌ، وأَخْرَجَه الترمذيُّ، رضيَ اللهُ عنه.

ولهذا الحديث، قدَّم سيدُنا قولَه في الرَّاتِب «اَلْخَيْرُ وَالشَّرُّ بِمَشِيئَةِ الله» على قوله فيه «آمَنَّا بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ»، فاعرِفْ سَعَةَ علومِه، نفعَ اللهُ به، آمين.

وفي [الدر المنثور]: أَخْرَجَ البخاريُّ في تاريخه، والترمذيُّ وحسَّنَه، وابنُ ماجة، وابنُ مَردَوَيه، عن ابن عباس، رضيَ اللهُ عنهما، قال. قال رسولُ اللهِ ﷺ: [صِنفَانِ مِنْ أُمَّتي لَيسَ لَهُمْ فِي الإِسْلَامِ نَصِيبٌ: اَلْمُرْجِئَةُ وَالْقَدَرِيَّةُ، أُنزِلَتْ فِيهِمْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى «إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ. يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ. إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ».

وعن ابن عباسٍ، قال: إنِّي أَجِدُ في كتابِ اللهِ قومًا يُسْحَبُون على وُجُوهِهم في النَّار، يُقال لهم «ذُوقُوا مَسَّ سَقَر»، لأنَّهم كانوا يُكَذِّبون بالقَدَر.

وأَخْرَجَ ابنُ مَردويْه، عن ابن عباس، رضيَ اللهُ عنهما، أنَّه سَمِعَ رسولَ اللهِ ﷺ، يقول: إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ أَمَرَ اللهُ مُنَادِيًا يُنَادِي: أَيْنَ خُصَماءُ الله؟ فَيَقُومُونَ مُسْوَدَّةً وُجُوهُهُمْ مِنْ رِقَّةِ أَعْيُنِهِمْ، مَائِلَةً شِفَاهُهُمْ، يَسِيلُ لُعَابُهُمْ، يَقْذَرُهُمْ مَنْ رَآهُمْ، فَيَقُولُونَ: وَاللهِ، يَارَبَّنَا مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِكَ شَمْسًا وَلَا قَمَرًا، وَلَا حَجَرًا وَلَا وَثَنًا. قال ابنُ عباسٍ: لَقَدْ أَتَاهُمُ الشِّركُ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ، ثُمَّ تَلَا ابنُ عَبَّاسٍ: [يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا، فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ، أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الكَاذِبُونَ]. هُمْ واللهِ، القدَرِيُّون (ثلاثَ مراتٍ).

وقال عند قوله تعالى في هَلْ أَتى: [وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ الله].

أَخْرَجَ ابنُ مَرْدَوَيه، عن ابنِ عبَّاس، قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: [لَعَنَ اللهُ القَدَرِيَّةَ وَقَدْ فَعَلَ، لَعَنَ اللهُ القَدَرِيَّةَ وَقَدْ فَعَلَ، لَعَنَ اللهُ القَدَرِيَّةَ وَقَدْ فَعَلَ بِهِم، وَلَا قَالُوا كَمَا قَالَ اللهُ، وَلَا قَالُوا كَمَا قَالَ المَلَائِكَةُ، وَلَا قَالُوا كَمَا قَالَ الأَنْبِيَاءُ، وَلَا قَالُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الجَنَّةِ، وَلَا قَالُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ النَّارِ، وَلَا قَالُوا كَمَا قَالَ الشَّيْطَانُ. قَالَ اللهُ «وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ»، وَقَالَتِ المَلَائِكَةُ «لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا»، وَقَالَ الأَنْبِيَاءُ فِي قِصَّةِ نُوحٍ «وَلَا

يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ، إِنْ كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ»، وَقَالَ أَهْلُ الجَنَّةِ «وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ»، وَقَالَ أَهْلُ النَّارِ «رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا»، وَقَالَ الشَّيْطَانُ «رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي»

وعن أبي هريرة، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان يقول إذا خَطَبَ: كُلُّ ما هو آتٍ قَرِيب، لابُعـدَ لِما يَأْتِي، ولا يَعْجَلُ اللهُ تعالى لِعَجَلَةِ أَحَد، ما شاءَ الله، لا مايَشَاءُ النَّاس، يُرِيدُ اللهُ أَمْرًا، ويُرِيدُ الناسُ أَمْرًا، ماشَاءَ اللهُ كَان، ولو كَرِهَ النَّاسُ، لا مُباعِدَ لِما قَرَّبَهُ الله، ولا مُقَرِّبَ لِما بَاعَدَه الله، لايكونُ شيءٌ إلَّا بإذنِ الله.

﴿قلتُ﴾ ومَن قال: «اَلْخَيْرُ وَالشَّرُّ بِمَشِيئَةِ الله»، فقد حَازَ فضلًا كثيرًا لإقرارِه أَنَّ الحَوْلَ والقُوَّةَ للهِ وحدَه.

قال سيدُنا صاحِبُ الرَّاتِب في نصائِحه: وقال عليه الصلاةُ والسلامُ في «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيم»، إنَّها كَنْزٌ من كُنوزِ الجنَّة، وإنَّها دواءٌ مِن تسعةٍ وتسعين دَاءً، أدناها الهَمُّ. قال عليه الصلاةُ والسلامُ: [مَنْ كَانَتْ للهِ عَلَيْهِ نِعْمَةٌ وَأَحَبَّ بَقَاءَهَا، فَلْيُكْثِرْ مِنْ قَوْلِ «لَاحَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيم».

وقال سيدُنا الوالد أحمد، نفَعَ اللهُ به، في كتابه [سبيل الهداية والرشاد]: ومَن زَعَمَ أنَّه لا يُضافُ الخيرُ والشَّرُّ إلى مشيئةِ الله، فيَنْبَني على هذا الزَّعمِ الفاسِدِ تحريمُ قراءةِ كثيرٍ من الآياتِ القُرآنيَّةِ والأحاديث، والأَدْعِيةِ النَّبويَّة، والعقائدِ الإيمانيَّة. أَوَما عَلِمَ الغبيُّ أنَّ هٰذه الكلمةَ صِفَةُ مَدْحٍ، لا صِفةُ ذمٍّ؟

فقد قال الإمامُ حجَّةُ الإسلام، الغزالي، نفَعَ اللهُ به، في الفصل الثالث من كتاب [المقصد الأسنى]: ولا نقول للهِ تعالى «يا مُذِلُّ»، ونقول «يا مُعِزُّ يا مُذِلُّ»، فإنَّه إذا جُمِعَ بينَهما، كان صِفَةَ مَدْحٍ يدلُّ على أنَّ طرفَي الأمورِ بيدِه، وأيُّ فَرْقٍ بينَ قولـه تعالى «وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ» وبين قولِ صاحبِ الرَّاتِب «اَلْخَيْرُ وَالشَّرُّ بِمَشِيئَةِ الله»، بل الَّذي

في الآيةِ أَخَصُّ، لأنَّه أَضافَ فيها ذلك إلى نَفْسِه، والَّذي في الرَّاتِب مُضَافٌ إلى مَشِيئَتِه تعالى، فافْهَمْ.

قال اللهُ تعالى: [وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءً، فَلَا مَرَدَّ لَهُ]. وقال تعالى: [يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ]. وقال تعالى: [وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ]. وقال تعالى: [وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ]. قال تعالى: [وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا]، إلى غير ذلك من الآياتِ في هذا المعنى.

وأما الأحاديثُ فكثِيرَة، ونَأْتي بما تَيَسَّر. قال الإمام السيوطيُّ في [الجامع الصغير] عنه ﷺ: [إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ شَرًّا، جَعَلَ صَانِعَهُ فِي غَيْرِ أَهْلِ الحِفْظِ. إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ شَرًّا، جَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ. إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ شَرًّا، أَمْسَكَ عَلَيْهِ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ. إِذَا أَرَادَ اللهُ بِأَهْلِ بَيْتٍ شَرًّا، تَرَكَهُمْ هَمَلًا. إِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ شَرًّا، كَثَّرَ جُهَّالَهُمْ وَأَقَلَّ فُقَهَاءَهُمْ. إِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ شَرًّا، وَلَّى عَلَيْهِمْ سُفَهَاءَهُمْ، وَقَضَى بَيْنَهُمْ جُهَّالُهُمْ، وَجَعَلَ المَالَ فِي بُخَلَائِهِمْ. إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ شَرًّا، رَزَقَهُمُ الخُرْقَ فِي مَعَاشِهِمْ. إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ شَرًّا، خَضَّرَ لَهُ فِي اللَّبِنِ وَالطِّينِ حَتَّى يَبْنِيَ. إِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَزِيغَ عَبْدًا، عَمَّى عَلَيْهِ الحِيَلَ - انتهى ملتقطا من [الجامع الصغير] للإمام السيوطي، رحِمَه اللهُ تعالى. فتَبَيَّنَ بما ذكَرْنَا غَلَطُ مَن يقول: لاتَجُوزُ نِسبةُ الشَّرِّ إلى اللهِ تعالى، لأنَّ الشرَّ في اللُّغةِ يُطلَقُ على معانٍ كثيرَة، منها الضُّرُّ والسَّقَمُ والشِّدَّةُ والفَقْر، وكلُّ ما تَكْرَهُه النَّفْس، كما فَسَّرُوا الشرَّ بذلك في قولِه تعالى: [وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالخَيْرِ فِتْنَةً]. ويُطْلَقُ أيضًا على فِعْلِ مايُخالِفُ الشَّرْع.

وأمَّا القبيحُ والظُّلمُ فلا يُضافانِ إلى اللهِ تعالى، لأنَّهما لايتَصَوَّرانِ في حَقِّه عزَّ وجلَّ، وفَرْقٌ بينَ قولِك «اَلشَّرُّ بمَشِيئَةِ الله»، وقولِك «اَلشَّرُّ مِنَ الله» عندَ مَن له فَهْمٌ وغَوصٌ على المعاني، فإنَّه سُبْحانه وتعالى قال في الآية: «قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ الله»، ولم يقُلْ «مِنَ الله»، وفي الأخرى قال: «قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا». قال محيي الدين ابنُ عربي، رضِيَ اللهُ عنه: ففَصَّلَ بينَ ما كانَ منه وبينَ ما يكونُ مِن عندِه.

وأمَّا احْتِجاجُ القَدَرِيَّة، الَّذين هُم مَجُوسُ هذه الأُمَّة، كما وَرَدَ في الحديثِ في دُعائِهِ ﷺ: «وَالشَّرُّ لَيْسَ إلَيْكَ»، فقد أَجَابَ النوويُّ في [الأذكار]، فقالَ: وأمَّا قولُه ﷺ «والشرُّ ليسَ إليكَ»، فاعْلَمْ أنَّ مَذْهَبَ أهلِ الحقِّ من المُحدِّثين والفُقهاءِ والمُتكلِّمينَ مِن الصَّحابَةِ والتَّابعِين، ومَن بعدَهم من عُلماءِ المسلِمين، أنَّ جميعَ الكائِنَاتِ خيرَها وشَرَّها، ونَفْعَها وضَرَّها، كلُّها من اللهِ سُبْحانه وتعالى، وبإرَادتِه وتَقْديرِه. وإذا ثَبَتَ هذا، فلا بُدَّ مِن تَأْويلِ هذا الحدِيث، فذَكَرَ العُلماءُ فيه أَجْوِبَةً:-

أحدُها: وهو الأَشْهَر، ماقالَه النَّضْرُ بنُ شُمَيل، والأئِمَّةُ بعدَه: «والشَّرُّ لا يُتَقرَّبُ به إلَيك».

الثاني: «لا يَصْعَدُ إلَيك»، إنَّما يَصْعَدُ إليكَ الكلِمُ الطَّيِّب.

الثالث: «لا يُضَافُ إلَيك» أدَبًا، ولا يُقالُ لك «يا خَالِقَ الشَّرِّ»، وإنْ كان خالِقَه، كما لا يُقالُ «يا خالِقَ الخَنازِير»، وإنْ كان خالِقَها.

الرابع: «ليسَ الشَّرُّ بالنِّسْبةِ إلى حِكْمَتِك»، فإنَّك لاتَخْلُقُ شيئًا عبَثًا.

والله أعلَم - انتهى كلامُ النوويِّ، رحِمَه اللهُ تعالى.

فَانْظُر كيفَ اضْطُرَّ أهلُ السُّنَّةِ إلي تَأْويلِ هٰذا الحديث، لِئَلَّا يكونَ فيه حُجَّةٌ لأَهلِ البِدْعَة، وكيفَ صَحَّحَ النوويُّ ماقالَه النَّضْرُ بنُ شُمَيل والأئِمَّة. والثاني والرابعُ في معناه. وأمَّا الثالثُ، فهو ضعِيفٌ بالنِّسْبةِ إلى القَوْلَيْن اللَّذَيْن قَبْلَه والقولِ الَّذي بعدَه، كما أَشَارَ النوويُّ، رحِمَه الله، بقولِه في الأوَّل، لأنَّه الأَشْهَر، وعَزَاه إلى الأئِمَّة. وما قَدَّمْناه مِن الأدِلَّةِ على جوازِ ذلك، وعلى تَقْديرِ صِحَّتِه وأَوْلَوِيَّتِه، فهو مَخْصوصٌ بما إذا أُفْرِدَتِ النِّسْبَة، وليسَ في الرَّاتِب إفْرَادُها، بل هي مَقْرونةٌ بالنِّسبةِ له لِلخيرِ معها. وقد قَدَّمْنا عن الإمامِ الغزالي، رضيَ اللهُ عنه، أنَّ ذلك يكونُ صِفَةَ مَدْحٍ، لاصِفَةَ ذمٍّ.

وانْظُرْ إلى قولِ النوويِّ، «لا يُضافُ إليكَ أدبًا»، ولم يقُلْ «لايجوزُ» تعرِفْ شَطْحَ القَدَرِيَّة. وأيضًا لايُقاسُ قولُك «يا خالِقَ الشرِّ» بقولِك «يا خالِقَ الخَنازِير»، ونحو ذلك

مِمَّا هو سوءُ أَدَب، فإنَّه لم يَرِدْ شيءٌ مِن ذٰلك في كِتابِ اللهِ تَعالى، ولا في أَحاديثِ رسولِ اللهِ ﷺ، ولا في أَوْرادِ الصَّالِحِين - انتهى.

﴿تنبيهٌ﴾ قال الإمام الشيخ أحمد بن حجَر الهيتمي، في شَرْحِه على الهَمزِيَّة عند قولِ النَّاظِم:

وإذا ضـلَّتِ الـعُـقـولُ عـلى * علمٍ فمـاذا يقـولُـه النُّصَحـاءُ

البَيْت مقتَبَسٌ من قوله تعالى: [أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ، وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ، وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ، وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً، فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ، أَفَلَا تَذَكَّرُونَ].

﴿تنبيهٌ﴾ اِجْتَمَعَتِ الأمَّةُ على التَّكْليفِ بالمُحالِ لغيره، كتَكْليفِ أبي جَهْلٍ مَثلاً بالإيمانِ على علمِ الله، بأنَّه لايُؤمنُ ذلك، لأنَّ التَّكْلِيفَ بذلك، إنَّما هو بالنَّظَرِ لِلحالةِ الرَّاهِنةِ المُنْطَوِيَةِ عنَّا عاقِبَتُها، فهم بالنِّسبةِ إليها مُكَلَّفُون بالإيمانِ لِقُدْرتِهم عليه، ظاهِرًا وإن كانوا عاجِزين عنه باطِنًا، لِعلمِ اللهِ بأنَّهم لايُؤْمِنون، لأنَّ هذا لانَظَرَ إليه، وإلَّا لارْتَفَعَ الاخْتِيار، وثَبَتَ القولُ بالجَبْرِ المُنابذِ لما جاءتْ به الشَّرائِع، فاحْذَرْ أنْ تميلَ إليه، فتَزِلَّ قدَمُك، ويَحِقَّ نَدَمُك، واسْتَحضِرْ قولَه تعالى: [لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ].

ومِن شَرْحِ عبد المغطي الشِّبلي، أنَّ إبليسَ تَمَثَّلَ بينَ يدَيِ الإمامِ الشَّافِعيِّ، رضِيَ اللهُ عنه، وقال لِلشَّافعيِّ: يا إمام! ما تقولُ فيمَن خلَقَني كما اخْتَار، واسْتَعْمَلَني فيما اخْتَار، وبعدَ ذلك إنْ شاءَ أَدْخَلَني الجَنَّة، وإنْ شاءَ أَدْخَلَني النَّار، أَعَدَلَ في ذلِك أم جَار؟

قال الشَّافِعيُّ، رضِيَ اللهُ عنه: فنَظَرْتُ في مسأَلتِه، وأَلْهَمَني اللهُ تعالى، إذْ قلتُ: يا هٰذا! إنْ كان خَلَقَك لما تُريدُ أنتَ فقد ظَلَمَك، وإنْ كان خَلَقَك لما يُريدُ هو، فلا يُسْأَلُ عمَّا يَفْعَلُ وهم يُسْأَلون.

﴿قال﴾ فاضْمَحلَّ إبليسُ، لعنَه الله، وتَلاشى، إلى أنْ صارَ لاشيءَ. ثم قال: والله، ياشافِعيُّ، أَخْرَجْتُ بمسأَلتي هذه سبعينَ ألفَ عابدٍ مِن ديوانِ العُبودِيَّةِ إلى ديوانِ الزَّنْدَقَة - انتهى.

وقال الإمامُ الكبير، جلالُ الدين عبدُالرحمن السيوطيُّ، في كتابه [الدر المنثور] عند قولِه تعالى: [لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ] - أَخْرَجَ ابنُ المنذر، وابنُ أبي حاتمٍ، عن قتادةَ في قوله تعالى «لا يُسأَلُ عمَّا يَفعلُ»، قال عبادُه «وهُم يُسأَلون» عن أعمالِهم.

وأَخْرَجَ ابنُ أبي حاتمٍ، عن الضَّحَّاك، في قولِه «لَا يُسأَل عمَّا يَفْعلُ وهم يُسأَلون»، قال: لا يُسأَل الخلَّاقُ عما يَقضي في خلقِه وهُم يُسأَلون عن أعمالِهم.

وأخرج سعيدُ بن منصورٍ، وابنُ المنذر، عن ابن عباسٍ، رضِي اللهُ عنهما، قال: ما في الأرضِ مِن قومٍ أبغضَ إلى اللهِ من القدَرِيَّة، وما ذاك إلَّا لأَنهم لا يعلمون قُدرةَ الله، قال: «لا يُسأَل عما يَفعل وهم يُسأَلون».

وأخرج ابنُ مَردوَيْه، عن جابرِ بن عبدالله، رضِي اللهُ عنهما، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: [إِنَّ فِي بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الكُتُبِ أَنِّي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، قَدَّرْتُ الخَيْرَ وَالشَّرَّ، فَطُوبَى لِمَنْ قَدَّرْتُ عَلَى يَدِهِ الخَيْرَ وَيَسَّرْتُهُ لَهُ، وَوَيْلٌ لِمَنْ قَدَّرْتُ عَلَى يَدِهِ الشَّرَّ وَيَسَّرْتُهُ لَهُ. إِنِّي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا لَا أُسْأَلُ عَمَّا أَفْعَلُ، وَهُمْ يُسْأَلُونَ. فَوَيْلٌ لِمَنْ قَالَ: كَيْفَ وَكَيْفَ].

وأخرج البيهقيُّ عن داود بن أبي هِند، أنَّ عُزيْرًا سأَل ربَّه عن القدَرِ، فقال: سأَلْتني عن علمِي؟ عُقوبَتُك ألَّا أُسَمِّيَك في الأنبياء.

وأَخْرَجَ الطَّبرانيُّ من طريقِ ميمونِ بن مَهران، عن ابن عباسٍ، رضي اللهُ عنهما، قال: لَمَّا بعَث اللهُ موسى، عليه السلام، وأنزلَ عليه التوراةَ، قال: اللَّهُمَّ إنَّك ربٌّ عظيمٌ، ولو شئتَ أن تُطاعَ لأُطِعْتَ، ولو شئتَ ألَّا تُعصَى ما عُصِيتَ، وإنَّك تُحِبُّ أن تُطاعَ، وأنتَ في ذلك تُعْصَى، فكيف هذا ياربِّ؟ فأوحى اللهُ إليه أنِّي لا أُسأَل عما أَفعلُ وهم يُسأَلون، فانتهى موسى.

فلمَّا بعثَ اللهُ عزَّ وجلَّ عُزَيْرًا، وأنزلَ عليه التوراةَ بعد ماكان قد رفَعها عن بني إسرائيلَ، قال: إنَّك ربٌّ عظيمٌ، ولو شئتَ أن تُطاعَ لأُطِعْتَ، ولو شئتَ ألاَّ تُعْصَى ما عُصِيتَ، وأنَّك تحبُّ أن تُطاعَ، وأنتَ في ذلك تُعْصَى، فكيف يارَبِّ؟ فأوحى اللهُ إليه أني لا أُسأَل عما أَفعلُ وهم يُسأَلون. فأبَتْ نفسُه حتى سأل أيضا. فقال: أَتستطيعُ أنْ تصرَّ صُرَّةً من الشمس؟ قال: لاأَستطيع. قال: أفَتستطيعُ أن تجيءَ بمكيالٍ من ريحٍ؟ قال: لاأَستطيع. قال: أَفتستطيع أن تجيءَ بمثقالٍ من نورٍ؟ قال: لا. قال: أَفتستطيع أن تجيءَ بقِيراطٍ من نورٍ؟ قال: لا. قال: فهٰكذا لا تقدِرُ على الذي سألتَ عنه، إني لا أُسأَل عمَّا أفعلُ وهم يُسأَلون. أمَا إني لأجل عُقوبتِك أنْ أمحوَ اسمَك من الأنبياء، فلا تُذكَر فيهم. فمحا اسمَه من الأنبياء، فليس يُذكرُ فيهم، وهو نبيٌّ.

فلما بَعث اللهُ عيسى، ورأى منزِلَته من ربِّه، وعلَّمَه الكتابَ والحكمةَ والتوراةَ والإنجيلَ، ويُبرِىءُ الأكمهَ والأبرصَ، ويُحيي الموتى، قال: اللَّهُمَّ إنَّك ربٌّ عظيمٌ، لو شئتَ أن تُطاعَ لأُطِعْتَ، ولو شئتَ ألاَّ تُعْصَى ما عُصِيتَ، وأنتَ تحبُّ أن تُطاعَ، وأنتَ في ذلك تُعْصَى، فكيفَ هذا يارَبِّ؟ فأَوْحى اللهُ إليه أنِّي لا أُسأَل عمَّا أَفعلُ وهم يُسأَلون، وأنتَ عبدي ورسولي وكلمتي، أَلْقَيْتُك إلى مريمَ ورُوحٌ مني، خلقتُك من ترابٍ، ثم قلتُ لك «كُنْ» فكنتَ. لَئِنْ لم تنتَهِ لأَفْعلَنَّ بك، كما فعلْتُ بصاحبِك بين يديْكَ، إني لا أُسأَل عما أفعلُ وهم يُسأَلون. فجَمع عيسى مَن تَبِعَه، فقال: القدَرُ سرُّ اللهِ فلا تَكَلَّفوه - انتهى من [الدر المنثور].

وقال سيدُنا وبركتُنا الوالد أحمد، نفع اللهُ به، آمين، في كتابه [سفينة الأرباح ونزهة الأرواح]: ورُوي أنَّ هشامَ بن عبدالملك بلغَه، أنَّ رجُلاً يقول بقولِ القدَرِيَّة، فبعَث إليه، وأحضَرَه، فقال له: ماهذا الذي بلغَني عنك؟ قال: وما هو؟ قال: تقولُ بالقدَر، وأنَّ اللهَ تعالى لم يُقدِّرْ على الخلقِ خلقَ الشرِّ؟ قال: بذلك أقولُ، فأحضِرْ لِمناظَرتي مَن شئتَ، فإنْ غلبتُه بالحُجَّةِ والبيانِ علِمْتَ أنِّي على الحقِّ، وإنْ هو غلبَني، فاضرِبْ عُنُقي! ﴿قال﴾ فبعثَ هشامُ إلى الأوزاعيِ، فأحضَرَه لِمُناظرتِه، فقال

الأوزاعيُّ: إنْ شئتَ سألتُك عن واحدةٍ، وإن شئتَ سألتُك عن اثنَتيْن، وإنْ شئتَ سألتُك عن ثلاثٍ، وإنْ شئتَ سألتُك عن أربعٍ. فقال: اسأَلْ ما بدا لَك. فقال الأوزاعيُّ: أخبِرْني عن اللهِ عزَّ وجلَّ، هل تعلَمُ أنه قَضَى على مانهى؟ فقال: ليس عندي في هذا شيءٌ. فقال: ياأميرَ المؤمنين، هذه واحدةٌ. ثم قال: أخبِرْني، هل تعلَمُ أنَّ اللهَ تعالى حالَ دُونَ ماأمرَ؟ قال: هذه أشدُّ من الأولى. قال الأوزاعيُّ: ياأميرَ المؤمنين، هاتانِ اثنتَان. ثم قال: هل تعلم، أنَّ اللهَ تعالى أَعان على ماحرَّم؟ قال: هذه أشدُّ من الأولى والثانيةِ. قال: ياأميرَ المؤمنين، هذه ثلاثٌ قد حلَّ بها ضَرْبُ عُنُقِه، فأمَر به هشامٌ، فضُرِبَ عنُقُه. قال للأوزاعيِّ: فسِّرْ لي هذه المسائلَ! قال: نَعَمْ، ياأميرَ المؤمنين! سألتُه هل يعلم، أنَّ اللهَ قد قضَى على مانهَى؟ نهى آدمَ عن أكلِ الشَّجرةِ، ثم قضى عليه بِأكلِها. وسألتُه، هل يعلم أنَّ اللهَ تعالى حال دُون ماأمَر؟ أمَر إبليسَ، لعنَه اللهُ بالسجودِ، ثم حال بينَه وبين السجودِ. وسألتُه، هل يعلم أنَّ اللهَ تعالى أعان على ماحرَّمَ؟ حرَّم الميتَةَ والدَّمَ، ثم أعانَنا على أَكْلِه في وقتِ الاضْطِرار إليه.

قال هشامٌ: والرابعةُ، ماهي، ياأبا عمرٍو؟ قال: كنتُ أقول: مَشِيئتُك مع الله، أو دونَ اللهِ؟ فإنْ قال: مع الله، فقد اتَّخذ مع الله شريكًا. وإنْ قال: دُون الله، فقد تفرَّدَ بالرُّبوبيَّةِ، فبِأيِّتِهما أجابني، فقد حلَّ ضَرْبُ عُنقِه.

فقال هشامٌ: حياةُ الخلقِ، وقِوامُ الدِّينِ بالعلماءِ - رضِي اللهُ عنهم - انتهى.

﴿قلتُ﴾ فافهمْ، فإنْ قال: مَشيئتي مع الله، فقد أقرَّ بخلقِ الشّرِ.

قال الشيخ الإمامُ، أحمد بن حجر، صاحبُ التحفة، في خاتمة [الفتاوى الحديثيَّة] لَمَّا سُئل: هل القائلُ بِكون العبدِ خالقًا لأفعالِه مُشركٌ أم لا؟ فأجاب: بأنَّ القائلَ بالخلقِ الحقيقيِّ لغير اللهِ في شيءٍ من الأشياء كافرٌ مُرَاقُ الدمِ، كما هو جليٌّ، والقائلَ بخلقِ العبدِ لأفعالِه بالمعنى الذي تَقوله المعتزلةُ مُبتَدِعٌ ضالٌّ فاسقٌ. وأمَّا إسلامُه، ففيه خلافٌ، والأصحُّ أنَّه مسلمٌ - انتهى من خاتمةِ الفتاوى.

قال الإمامُ السيوطيُّ في [الدر المنثور]: وأخرجَ ابنُ أبي الدنيا في القدَريَّة من طريق الكلبيِّ، عن أبي صالح، عن ابن عباسٍ، رضِي اللهُ عنهما، في قوله تعالى: [مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ]. قال: كاتِبُ الحسناتِ عن اليمينِ يكتُبُ حسناتِه، وكاتبُ السيِّئاتِ عن يسارِه. فإذا عمِل حسنةً، كتب صاحبُ اليمينِ عشْرًا، فإذا عمِل سيِّئةً، قال صاحبُ اليمينِ لصاحبِ الشِّمالِ: دَعْهُ، حتى يُسَبِّحَ، أو يَستغفِرَ، فيترُكه ساعةً، فإذا كان يومُ الخميسِ، كَتَبَ ما يجري به الخيرُ والشرُّ، ويُلْقِي ماسوى ذلك، ثم يُعرَضُ على أمِّ الكتاب فيجدُه ثَمَّ بجملتِه فيه - انتهى.

وقال عند قوله تعالى: [وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى]: وأخرج الفريابي عن عبدالحميد، وابنِ جريرٍ، وابنِ المنذرِ، وابنِ أبي حاتمٍ، عن مجاهد «والَّذِي قدَّرَ فهدَى»، قال: هذا الإنسانُ لِلشَّقاوةِ والسَّعادةِ، وهَدَي الأنعامُ لِمَراتعِها. وقالَ عندَ تَفْسيرِه لقولِه تعالى: [إنَّ المُجْرِمِينَ فِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ. يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرٍ. إنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ]. أخرج البزَّار، وابنُ المنذر، وابنُ مردويْه بسند جيِّدٍ من طريق عمرِو بنِ شُعيبٍ عن أبيه عن جدِّه، قال: مانزلتْ هذه الآيةُ «إنَّ المُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُر ... إلى قوله تعالى ... إنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَر» إلاَّ في أهل القدَر.

وورد عنه عليه الصلاة والسلام، أنَّه تلا هذه الآيةَ «ذُوقُوا مَسَّ سَقَر. إنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَر»، وقال: نزلتْ في أُناسٍ مِن أُمَّتي يكونون في آخرِ الزمان، يُكَذِّبون بقدَر الله.

وعن أبي أُمامة، رضي اللهُ عنه، قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ، يقول: إنَّ هذه الآيةَ نزلتْ في القدَرِيَّة، «إنَّ المُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُر».

وعن عطاءِ بن أبي رباحٍ، عن ابن عباسٍ، رضِي اللهُ عنهما، أنَّه قيل له: قد تُكلِّم في القدَر، فقال: أوَ فعلوها؟ واللهِ مانزلتْ هذه الآيةُ إلا فيهم «ذُوقُوا مَسَّ سَقَر. إنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَر» أولَئك شرارُ هذه الأمَّةِ، لاتعودُوا مرضاهم، ولا تُصلُّوا على موتاهم!

وأخرج مسلمٌ عن ابن عمر، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: [كُلُّ شيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى العَجْزُ وَالكَيْسُ]. وأخرج البخاري في تاريخه عن ابن عباس، قال: كلُّ شيءٍ بقدَر حتى وضْعُ يديْكَ على خدِّكَ. وأخرج أحمد وأبو داود والطبراني عن ابن عمر، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: [لِكُلِّ أُمَّةٍ مَجُوسٌ، وَمَجُوسُ هٰذِهِ الأُمَّةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا قَدَرَ، إِنْ مَرِضُوا لَا تَعُودُوهُمْ، وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ!]

وأَخْرجَ ابنُ مَردَوَيهِ عن ابنِ عبَّاس، عن النَّبيِّ ﷺ: [مَا طَنَّ ذُبَابٌ إِلَّا بِقَدَرٍ]، ثمَّ قرأَ: [وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالبَصَرِ].

وأخرج ابنُ مردويه عن عبدالله بن عمر، قال: المُكَذِّبون بالقدَر مُجرِمو هذه الأُمَّة، وفيهم أُنزلتْ «إِنَّ المُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُر ... إلى قوله تعالى ... إِنَّا كُلَّ شيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَر».

وأخرج أحمد عن حذيفة بن اليمان، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: [لِكُلِّ أُمَّةٍ مَجُوسٌ، وَمَجُوسُ هٰذِهِ الأُمَّةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا قَدَرَ. فَمَنْ مَرِضَ مِنْهُمْ فَلَا تَعُودُوهُ، وَمَنْ مَاتَ فَلَا تَشْهَدُوهُ، وَهُمْ شِيعَةُ الدَّجَّالِ، حَقٌّ عَلَى اللهِ أَنْ يُلْحِقَهُمْ بِهِ].

وأخرج ابنُ مردويه، عن عبادة بن الصامتِ، قال: سمعتُ بأُذُنَيَّ هاتَيْنِ رسولَ اللهِ ﷺ، يقول: [إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمُ، فَقَالَ لَهُ: أُكْتُبْ لِأَبَدِّ! فَقَالَ: وَمَا لَا بُدَّ؟ قَالَ: القَدَر. قَالَ: وَمَا القَدَرُ. قَالَ: أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، إِنْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ ذٰلِكَ دَخَلْتَ النَّارَ] - انتهى. وقد أطال هناك في ذلك بما لامزيدَ عليه.

وقال سيدُنا الإمام الحبيب حامد بن عمر بن علوي، رحمه الله، في شرحه على الراتب المذكور: وورد في الحديث: [يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا اللهُ الَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنَا، خَلَقْتُ الخَيْرَ وَالشَّرَّ، فَطُوبَى لِمَنْ خَلَقْتُهُ لِلْخَيْرِ، وَأَجْرَيْتُ الخَيْرَ عَلَى يَدَيْهِ]. أخرجه الشيخ زرُّوق في شرحه على حِكَم ابن عطاء الله - انتهى.

﴿قلتُ﴾ وأمَّا ماورد في أدعيةِ الصالحين وأورادِهم في الأدعيةِ النبويَّة، فمن ذلك ماقال الإمامُ السيوطيُّ في [الدر المنثور] عند قوله تعالى: [وَلَٰكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ ... الآية] - أخرج أحمد والبخاري في الأدب، والنسائي والحاكم وصحَّحه، عن رفاعة بن رافع الزرقي، قال: لَمَّا كان يومُ أُحُد، وانْكسرَ المشركون، قال رسولُ اللهِ ﷺ: استَوُوا حتى أُثنيَ على ربِّي! فصاروا خلفَه صُفوفًا، فقال: اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ كُلُّه، اللَّهُمَّ لاَ قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ، وَلاَ بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ، وَلاَ هَادِيَ لِمَنْ أَضْلَلْتَ، وَلاَ مُضِلَّ لِمَنْ هَدَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلاَ مُقَرِّبَ لِمَا بَاعَدْتَ، وَلاَ مُبَاعِدَ لِمَا قَرَّبْتَ ... إلى أن قال: اللَّهُمَّ إِنِّي عَائِذٌ مِنْ شَرِّ مَا أَعْطَيْتَنَا، وَشَرِّ مَا مَنَعْتَنَا ... إلى آخِرِ الدُّعاء. فانظُرْه فيه.

وقال الإمام النوويُّ، رحمه اللهُ تعالى، في حزبه: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ غَيْرِي، وَمِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ رَبِّي وَذَرَأَ وَبَرَأَ.

وقال الإمام أبو الحسن الشاذليُّ في حزبه المسمى بِحِزبِ البرّ: يَا وَهَّابُ، يَاحَكِيمُ، نَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقْتَ. وفي [إحياء علوم الدين] للإمام الغزالي، عن سيدنا أبي بكر، رضِي اللهُ عنه، قال: يُقرَأ كلَّ يوم، وفيه كذا وكذا مِن الفضل كثيرٌ وأتى فيه بمثلِ ما في حزبِ البرّ - ذكره في كتاب الموت.

وذَكر أيضا في [الإحياء] دعاءَ عليٍّ، كرَّم اللهُ وجهَه، قال: رواه عن النبيِّ ﷺ: أَنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يُمَجِّدُ نفسَه كلَّ يومٍ، ويقول: «إِنِّي أَنَا الله، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا رَبُّ العَالَمِين. إِنِّي أَنَا الله، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا الحَيُّ القَيُّوم. إِنِّي أَنَا الله، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا العَلِيُّ العَظِيم. إِنِّي أَنَا الله، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ. إِنِّي أَنَا الله، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا العَفُوُّ الغَفُور. إِنِّي أَنَا الله، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا مُبْدِىءُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيَّ يَعُود، العَزِيزُ الحَكِيم، الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيم، مَالِكُ يَوْمِ الدِّين، خَالِقُ الخَيْرِ وَالشَّرِّ، خَالِقُ الجَنَّةِ وَالنَّار، الوَاحِدُ الأَحَد، الفَرْدُ الصَّمَد، الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا، الفَرْدُ الوِتْر، عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَة، المَلِكُ القُدُّوس، السَّلَامُ المُؤْمِنُ

المُهَيْمِن، العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّر، الخَالِقُ البَارِىءُ المُصَوِّر، الكَبِيرُ المُتَعَال المُقْتَدِر، القَهَّارُ الحَلِيمُ الكَرِيم، أَهْلُ الثَّنَاءِ وَالمَجْد، أَعْلَمُ السِّرِّ وَأَخْفَى، القَادِرُ الرَّزَّاق، فَوْقَ الخَلْقِ وَالخَلِيقَة. ويقول: في كلِّ كلمةٍ «إنِّي أنا الله، لا إلَهَ إلاَّ أنا»، قال الغزاليُّ: فَمَنْ دعا بهذه الأسماءِ، فليقُلْ «إنَّكَ أنتَ اللهُ لا إلَهَ إلاَّ أنتَ»، كذلك مَن دعا بهذا الدُّعاءِ، كُتِب من السَّاجِدين المُخْبِتين، الَّذين يُجاورون محمدًا وإبراهيمَ وموسى وعيسى، والنبيِّين في دارِ الجَلال، وله ثوابُ العابِدين في السمٰواتِ والأرَضِين.

وقال سيدُنا القُطب الربَّاني، عبدُالقادر الجَيْلاني، نفع اللهُ به، في وِرده المسمى بِتسبيح الكِبرياء: «لَا إلَهَ إلاَّ هُو، خَالِقُ الخَيْرِ وَالشَّرِّ، لَاشَرِيكَ لَهُ وَحْدَه، لَا إلَهَ إلاَّ هُو».

وقال الإمام أحمد بن موسى بن عُجَيل في حزبه الذي يُقرأ كلَّ يومٍ: «اَلْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي أَذْهَبَ بِاللَّيْلِ مُظْلِمًا بِقُدْرَتِه، وَجَاءَ بِالنَّهَارِ مُبْصِرًا بِعِزَّتِه . . . إلى أن قال فيه . . . وَأَنَّ الخَيْرَ مِنَ الله، وَالشَّرَّ بِقَضَاءِ الله. هٰذِهِ عَقِيدَةٌ اعْتَقَدَهَا قَلْبِي، وَنَطَقَ بِهَا لِسَانِي».

وقال سيِّدُنا العلاَّمة الإمامُ الشيخ عمر بن سيِّدِنا الغَوثِ الشيخ أبي بكر بن سالم علويّ، نفع اللهُ به، في حزبه: «اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا رَاضِينَ بِقَضَائِك، خَيْرِهِ وَشَرِّه، وَمُعْتَرِفِينَ أَنْ لَاحَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلاَّ بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ فِي طَاعَةٍ وَلَا مَعْصِيَةٍ إلاَّ بِكَ، مَا شِئْتَهُ كَان، وَمَا لَمْ تَشَأْ لَمْ يَكُنْ».

وقال سيدُنا العلامة أحمد بن عمر الهِنْدُوان علويّ في حزبه: «آمَنْتُ بِاللهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَبِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّه، صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُه، صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُه».

وفي أوراد سادتِنا آلِ أبي علوي وغيرِهم من العلماء الأعلام شيءٌ كثيرٌ، وفي هذا القدْر كفايةٌ. وسببُ هذا الراتب الشريف، أنَّه لمَّا سمِع سيدُنا صاحبُ الراتب بخروج الزَّيديَّة على حَضْرَموت، خافَ على تَغْييرِهم عقائِدَ العامَّة، فورَد عليه هذا الرَّاتبُ في شهر رمضانَ ليلةَ سبعَ عشْرَةَ منه، وكانتْ ليلةَ القدرِ سنةَ ١٠٧١، كما ذكَره تِلميذُه الأَحْسائيُّ فيما سبقَ مِن الكِتاب.

وذكرَ سيدُنا أنَّ الخيرَ والشرَّ بمشيئةِ الله، لأنَّ المُبتدِعةَ وكافَّةَ الزيديَّةِ يقولون بِقول القدَرِيَّة. ولما خرجوا، قال سيدُنا، لمَّا سألَه أحمد بن محمد الغشم الزيدي عمَّا حاصلُه، فأجابَ رضِيَ اللهُ عنه، ونفَعَ به الإسلامَ والمُسلِمين: اعلَمْ، وفَّقَك اللهُ تَعالى، أنَّ مذهبَنا والذي نعتقِدُه ونَدينُ اللهَ به، أنْ لايكونَ كائنٌ مِن خيرٍ وشرٍّ، ونفعٍ وضَرٍّ، إلَّا بِقضاء اللهِ تعالى وبقدَره، وإرادتِه ومشيئتِه، فما شاء كان، وما لم يشأْ لم يكُنْ، وعندنا بذلك من النُّصوصِ السَّمعِيَّةِ الواضحةِ من الكِتابِ والسُّنَّةِ، ومن البَراهِين العقليَّةِ المسلَّمَةِ عندَ كلِّ ذي بصيرةٍ، ما يَجِلُّ عن الحَصْر، وكُتبُ أئمَّتِنا التي ألَّفُوها في علم أصولِ الدِّين طافحةٌ بذلك، وهي في أيديكُم. فمذهبُنا برزخٌ بين مذهبَيْن: أحدُهما مذهبُ الجبريَّةِ القائلِين بأنَّ العبادَ مجبورون على مايَأْتون ويذَرون، مَقهورون ومُضطَرُّون في كلِّ حالٍ تُضاهي أفعالُهم أفعالَ النَّاسي والمُكرَه، بل أَفْعالَ المَجْنونِ والنَّائمِ. وهٰذا المذهبُ يُعرَفُ بُطلانُه بِبديهَةِ العقلِ، لو لم يدُلَّ دليلٌ على كونِه باطلاً.

والثاني مذهبُ المعتزِلةِ القائلين بأنَّ أفعالَ العِباد الاختيارِيَّةَ خُلِقَتْ لهم، وأنَّهم إنْ شاءوا فعَلوا، وإنْ شاءوا ترَكوا. وأمَّا ماهِيَّةُ الكسْبِ الذي نقول به، فهو شيءٌ يعرِفُه الإنسانُ من نفسِه، إذْ لايعزُب عن عاقلٍ الفرقُ بينَ أفعالِه الِاضطراريَّةِ والاختياريَّةِ، وأنَّه في الِاضطراريَّةِ منها مَجبورٌ، وفي الِاختياريَّةِ غيرُ مُستقِلٍ. والذي ذكرْنا من مذهبِنا أوَّلاً واجبٌ علينا اعتقادُه، والإيمانُ به، ولا يصِحُّ الإيمانُ بدونِه، وهو أنَّ كلَّ شيءٍ، أيَّ شيءٍ كان، لايكونُ إلَّا بِقضاءِ اللهِ ومشيئَتِهِ، ومع ذلك فنُحِبُّ المطيعَ ونُثني عليه، ونحضُّه على التَّمَشِّي في الطَّاعة، ونُحذِّرُه عن الوُقوعِ في المَعْصِيةِ، ونقولُ بإثابةِ اللهِ تَعالى له، ونُبغِضُ العَاصيَ ونَنْهاه عَن المَعْصِيةِ، ونَدْعوه إلى الطَّاعاتِ، ونَقول بمُعاقَبةِ اللهِ تَعالى له، ونُقِيمُ الحُدودَ، ونَرفعُ المَظالِمَ، ونَأمرُ بالمَعْروفِ ونَنْهى عَن المُنكرِ، ونعُدُّ قولَ العاصي هٰذا مِنَّا - إذا قالَ عِند ما يُقال له «لِمَ عصَيْتَ؟» هٰذا مَعدودٌ بِقَضاء اللهِ وقدَرِه - مِن أَعْظمِ الذُّنوبِ، والرِّضا بِقَضاءِ اللهِ واجبٌ عِندنا، ومحلُّه أن نَرضى بأَفْعالِه جُملةً، وأنَّها فضلٌ وعَدلٌ. ومِن الرِّضا عِندنا سُكونُ القَلبِ عِند وُرودِ المَصائبِ في الأَنْفُسِ

والأَمْوالِ والثَّمراتِ، وحُصولِ الشَّدائِدِ مِن المَخاوِفِ والفَاقاتِ، والرِّضا بالمَعاصي مَعْدودٌ عِندنا مِن كَبائِرِ الذُّنُوب.

قال نفع اللهُ به، في آخر أجوِبَتِه على الغشم الزيديِّ: ونحن على بصيرةٍ من أمرِنا، وهُدىً من ربِّنا، وكتابُ اللهِ وسنَّةُ رسولِ اللهِ ﷺ بين أظهُرِنا، ولَسْنا جاهلِين بأَمرِ الدِّين، ولا مُبْتدِعين فيه، ولا مُتَّبِعين للأهواءِ المُضِلَّة، ولا مُتَحَكِّمين بعقولنا في دينِ الله، ونقبلُ الحقَّ ممَّا جاء به ونرجِعُ إليه، ولا نُكابِرُ له ونُقلِّدُ الرِّجالَ، فافهمْ ماأَلْقَيْناه إليك، وأَمْلَيْناه عليك من الجوابِ على أسئلتِك، فإنَّه ما مِن كلمةٍ من الكلامِ الذي أَوْردناه، إلَّا وعندنا لها مِن كتابِ اللهِ وسنَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ وكلامِ أئمَّةِ الهُدَى أدلَّةٌ واضحةٌ حذَفْنَاها اختِصارًا، وخيرُ الكلامِ ما قلَّ ودلَّ. [وَمَنْ يَهْدِي اللهُ فَهُوَ المُهْتَدِ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا] . . . إلى أن قال: ولا تعتقِدوا خُلُوَّ هذِه الجِهةِ، يعني حضْرَمَوْتَ ممَّن يعرِفُ الحقَّ ويقدِرُ على التعبيرِ عنه، ويُناضِلُ ويُدافِعُ مَن حادَّ عنه بِلسانه وسِنانِهِ، وأنصارِه وأعوانِه . . . إلى أَنْ قال: وإنَّك أَقَمْتَ بهذه المدينةِ، يعني تريم، مُدَّةً، وتزعُمُ أنَّك تُحبُّها وتُحِبُّ أهلَها، وقد حان حينُ مُفارقتِك لها، فلا ينبغي أن تسيرَ منها مُنطويًا على سوءِ الظنِّ بأهلِها، فهم أهلُ البيتِ الذين طهَّرَهم الله، وفرَض عليكَ وعلى سائرِ المسلمين مودَّتَهم ومُوالاتَهم [وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ] . . . [وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِالله، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ] . . . [اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِهٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا الله. لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ] - سُبحانَك لا عِلْمَ لنا، إلا ماعلَّمْتَنا، إنَّك أنتَ العليمُ الحكيمُ. وصلَّى اللهُ على سيِّدِنا محمدٍ، وآلِه وصحبِه وسلَّم.

ولَمَّا ورد عنه ﷺ كما أخرجَه الترمذيُّ عن جابرٍ: [لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ . . .] إلى آخر الحديث قدَّم سيدُنا صاحبُ الراتب «الخيرُ والشرُّ بمشيئةِ الله» على «آمنَّا باللهِ واليومِ الآخرِ» تعرفُ اطِّلاعَه على الحديث، نفع اللهُ به، ورضي عنه، آمين.

﴿الذكر العاشر﴾

قولُ صاحبِ الراتب، نفع اللهُ به: «آمَنَّا باللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ تُبْنَا إِلَى اللهِ بَاطِنٍ وَظَاهِرٍ»، قال في الشرح، فقولُه «آمنَّا بالله» اقتباسٌ من الكتاب العزيز، وامتثالُ قولِه تعالى في سورةِ البقرة: [قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا]، وقولُه تعالى: [وَلٰكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَالمَلاَئِكَةِ وَالكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ، وَآتَى المَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ، وَأَقَامَ الصَّلاَةَ، وَآتَى الزَّكَاةَ، وَالمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا، وَالصَّابِرِينَ فِي البَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ البَأْسِ، أُولٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا]، وقولُه في سورةِ آلِ عمران: [قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا]، وقال تعالى: [وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا]، وقال تعالى: [يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ]، وقال تعالى: [وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ]، وقال تعالى: [وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الحَقِّ، يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ. وَمَا لَنَا لاَ نُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ القَوْمِ الصَّالِحِينَ. فَأَثَابَهُمُ اللهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا، وَذٰلِكَ جَزَاءُ المُحْسِنِينَ]، وقال تعالى: [آمِنُوا بِاللهِ] - وإفصاحٌ بمنطوقِ جبريلَ، عليه السلام، المشهورِ الذي قال فيه: [وَتُؤْمِنَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَبِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ].

وروى البغويُّ بإسناده إلى سُفيان بن عبدِاللهِ الثقفيِّ، قال: قلتُ يارسولَ الله! قُل لي في الإسلامِ قولاً لاأسألُ عنه أحدًا بعدَك! قال: قُلْ آمنْتُ باللهِ ثُمَّ اسْتقِمْ - رواه مسلم. وفي رواية الترمذيِّ: ثُمَّ قال: قلتُ يارسولَ اللهِ ﷺ! ماأخْوَفُ ما تخافُ عليَّ؟

فأخذَ بلسانِه نفسِه، ثمَّ قال: هٰذا! قال الإمام النوويُّ: قال العلماءُ، هذا الحديثُ مِن جوامعِ كَلِمِه ﷺ، وهو مُطابقٌ لقوله تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ]. ثم قال جمهورُ العلماءِ: ومعنى الآية «آمِنُوا» أي التزِموا طاعةَ اللهِ تعالى!

وعن أنسٍ، رضي اللهُ عنه، أنَّ النبيَّ ﷺ قرأَ: «إنَّ الذين قالُوا ربُّنا الله، ثُمَّ اسْتَقاموا» قال: قد قال الناسُ ثم كفروا أكثرُهم. فمَن ماتَ عليها، فهو ممَّنِ اسْتقامَ - أخرجه الترمذي.

وفي [الرياضِ النضرة]: كان نَقْشُ خاتَمِ عثمان، رضي اللهُ عنه، «آمَنْتُ بِاللهِ مُخْلِصًا». وفي كتاب [الحقائق الواضحات] - عن أبي هريرةَ، رضي اللهُ عنه، عن النبيِّ ﷺ: مَن قرأَ «والمُرسلاتِ» فبلغَ «فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ» فلْيَقُل آمَنَّا بالله. وفي كتابِ ابنِ السُّنِّي عن عائشةَ، رضي اللهُ عنها، قالتْ: قال رسولُ اللهِ ﷺ: مَن وَجد هذا الوَسْواسَ، فَلْيَقُلْ «آمَنْتُ بِاللهِ وَرُسُلِه» ثلاثًا، فإنَّ ذٰلك يَذهَبُ عنه، الحديث. وإيَّاكَ ثُمَّ إيَّاكَ أنْ تقولَ «آمنَّا باللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ» بِلسانِكَ وتغفُلَ عن حقيقةِ ذلك. قال اللهُ تعالى: [وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِاليَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ]. فآمِنْ باللهِ وبِاليومِ الآخِرِ بِالقلبِ واللِّسانِ تَحُزِ الفضلَ العظيمَ. قال تعالى: [وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ، وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٍ].

﴿فائدة﴾ عن وهْبِ بن الوَرِدِ، قال: خرج رجلٌ إلى الجبَّانةِ بعدَ هدوءٍ من الليلِ ﴿قال﴾ فسمعتُ أصواتًا شديدةً وحركةً، فَجِيءَ بسريرٍ، فوُضِعَ. وجاء شخصٌ، فجلَسَ عليه، واجتمَعَ إليه جنودُه، فقال لهم: مَن لي بِعُروةَ بنِ الزُّبَيْر؟ فلم يُجبْه أحدٌ حتى قال ذلك ثلاثَ مراتٍ. فقال واحدٌ منهم: أنا. ﴿قال﴾ فتوجَّهَ نحوَ المدينةِ، ثم رجعَ سريعًا، فقال: لاسبيلَ لنا إلى عُروةَ. فقال: ويْلَكَ؟ ولِمَ ذلك؟ فقال: وجدتُه يقول كلماتٍ إذا أصبحَ وإذا أمسَى، فلا يُخلَصُ إليه معهُنَّ. فقال الرجلُ: فلمَّا أصبحتُ خرجتُ حتى أتيْتُ المدينةَ حتى دخلتُ على عُروةَ، فإذا هو شيخٌ كبيرٌ، فأخبرتُه

بما رأيْتُ وسمِعْتُ، وسألتُه ماذا يقولُ إذا أصبحَ وإذا أمسىَ؟ فقال: أقولُ «آمَنْتُ بِاللهِ العَظِيمِ، وَكَفَرتُ بِالجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ، وَاسْتَمْسَكْتُ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى لَاانْفِصَامَ لَهَا، وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» ثلاثَ مراتٍ.

فأمَّا حقيقةُ الإيمانِ، وعلاماتُ أهلِه، وأخلاقُهم وأعمالُهم في أقوالِهم وأفعالِهم، أمَّا من القُرآن، فقولُه تَعالى: [فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ، وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ، وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ. أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا، لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ]. وقال تعالى: [وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ]. وقال تعالى: [التَّائِبُونَ العَابِدُونَ الحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ]. واسمَعْ حقيقةَ الإيمان، وصِفَةَ المؤمنين في كلامِ أصْدقِ القائلِين، إذْ قال تعالى: [وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ، وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ، أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ، إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ].

وأَمَّا مِن الأخبار، فقد قال رسولُ اللهِ ﷺ: [لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ مِنَ اللهِ، وَحَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَاأَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ] - رواه جابرٌ، وأخرجه الترمذيُّ عنه. ولهذا قدَّم سيدُنا في راتبِه الشريفِ الإيمانَ بالخيرِ والشرِّ على قولِه «آمنَّا باللهِ» إلى آخره.

وقال ﷺ لِمُعاذ بنِ جبَلٍ الأنصاريِّ، رضي اللهُ عنه، حينَ دخلَ عليه، وهو يَبْكِي: كيف أصبحتَ، يامعاذُ؟ فقال: أصبحتُ باللهِ مؤمنًا. فقال ﷺ: إنَّ لِكُلِّ قولٍ مِصْداقًا، ولِكلِّ حقٍّ حقيقةً، فما مِصْداقُ ماتقول؟ فقال: يارسولَ اللهِ ﷺ! ماأصبحتُ صباحًا قطُّ إلاَّ ظننتُ أنِّي لا أُمْسي، وما أَمْسيتُ مساءً قطُّ إلاَّ ظننتُ أنِّي لا أُصبحُ، ولا

خطَوْتُ خُطوةً قطُّ إلا ظننْتُ أنّي لاأُتْبِعُها أخرى، وكأنّي أنظرُ إلى كلِّ أمَّةٍ جاثِيَةً، كلُّ أمَّةٍ تُدعى إلى كتابِها مع نبيِّها وأوثانِها التي كانتْ تَعبُد من دونِ الله، وكأنّي أنظرُ إلى عُقوبةِ أهلِ النارِ، وثوابِ أهلِ الجنةِ. قال النبيُّ ﷺ: عرفْتَ فالزَمْ!

وبلَغَ أنّه ﷺ قال لِحارِثَةَ: كيفَ أَصْبَحْتَ ياحارِثَةُ؟ فقال: أصبَحْتُ مُؤمِنًا حقًّا. فقال ﷺ: إنَّ لِكُلِّ حقٍّ حقيقةً، فما حقيقةُ إيمانِكَ؟ فقال: عزفَتْ نفسي عن الدُّنيَا، فاسْتَوى عندِي ذهَبُها وحَجَرُها، وشِدَّتُها ورَخاؤُها، وكأنّي بِعَرْشِ ربّي بارِزٌ، وكأنَّ أهلَ الجنَّةِ في الجنَّةِ يَتزاورون وَيتنَعَّمون، وكأنَّ أهلَ النَّارِ في النَّارِ يَتعاوَوْنَ ويُعذَّبون. فقال ﷺ: ياحارِثَةُ! عبدٌ نَوَّرَ اللهُ قلبَهُ، عرِفْتَ فَالْزَمْ!

وعن عُبادةَ بنِ الصَّامتِ، رضِيَ اللهُ عنه، أنَّهُ قال لابنِهِ عندَ المَوْتِ: يابُنَيَّ! إنَّكَ لن تجدَ طَعْمَ الإيمانِ حتَّى تعلمَ أنَّ ماأصابَكَ لم يكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وما أَخْطَأَكَ لم يكُنْ لِيُصِيبَكَ، فإنّي سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «إنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمُ، فَقَالَ لَهُ: اُكْتُبْ! قَالَ: يَارَبِّ وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اُكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ القِيَامَةُ». يابُنَيَّ سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هٰذَا فَلَيْسَ مِنِّي» - رواه أبو داودَ، وهذا لفظُه، والترمذيُّ.

وعن أبي أُمامةَ قال، قال رسولُ اللهِ ﷺ: [يُطْبَعُ المُؤْمِنُ عَلَى الخِصَالِ كُلِّهَا إلَّا الخِيَانَةَ وَالكَذِبَ] رواه الإمام أحمد.

وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ، رضي اللهُ عنه، قال، سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: [مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنكرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذٰلِكَ أَضْعَفُ الإيمَانِ] رواه مسلم.

وروى أبو هريرةَ، رضي اللهُ عنه، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: [ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ. مَنْ إِذَا رَضِيَ لَمْ يُدْخِلْهُ رِضَاهُ فِي بَاطِلٍ، وَمَنْ إِذَا غَضِبَ لَمْ يُخْرِجْهُ غَضَبُهُ عَنْ حَقٍّ، وَمَنْ إِذَا قَدَرَ عَفَا].

وعن أبي أُمامة عنه ﷺ: [مَنْ أَحبَّ لِلهِ، وَأَبْغَضَ لِلهِ، وَأَعْطى لِلهِ، وَمَنَعَ لِلهِ، فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ] أخرجه أبو داودَ.

وورد: [اَلْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ] أخرجه الترمذيُّ والنسائيُّ.

وعن صَفوانَ بنِ سُلَيْمٍ، قال: قِيلَ يارسولَ الله! أيكونُ المؤمنُ كذَّابًا؟ قال: «لاَ، إِنَّمَا يَفْتَرِي الكَذِبَ الَّذِينَ لاَيُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ الله، وَأُولَئِكَ هُمُ الكَاذِبُونَ» - رواه الإمام مالكٌ.

وقال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ يومَ الطَّائِف: ماأَنْتُمْ؟ قالوا: مُؤْمِنون! قال: فَما علامَةُ إيمانِكُمْ؟ فقالوا: نَصْبِرُ على البلاَء، ونَشْكُرُ على الرَّخاء، ونَرْضى بِمَواضِعِ القضَاء! فقال: مُؤْمِنون ورَبِّ الكعبَةِ! (وفي روايةٍ) أنه قال: حُكَماء عُلماء، كادوا مِنْ فِقْهِهِمْ أنْ يكونوا أنبياء!

وعن عمرَ، رضي اللهُ عنه، قال: [بَيْنَما نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لاَيُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلاَمِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَحُجَّ البَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً. قَالَ: صَدَقْتَ! فَتَعَجَّبْنَا لَهُ كَيْفَ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ؟ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ! قَالَ: صَدَقْتَ! قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ؟ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: مَاالْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ! قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟ قَالَ: أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَّةَ رُعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي البُنْيَانِ. ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثَ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ: يَا عُمَرُ! أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟

قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: إِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ لِيُعَلِّمَكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ] رواه البخاريُّ ومسلمٌ - انتهى.

وورد: [لَا يَكُونُ الْمُؤْمِنُ مُؤْمِنًا حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَايُحِبُّ لِنَفْسِهِ]. وورد: [مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ].

وعن أبي هريرةَ، رضِي اللهُ عنه، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: [وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ! قِيلَ: مَنْ يَارَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ] - متفق عليه.

ومِنْ أسماءِ اللهِ الحُسنى اسمُهُ «المُؤْمِنُ». قال بعضُ العلماءِ في شرحِ أسماءِ اللهِ الحُسنى اسمُهُ «المُؤْمِنُ» مَنْ قرأَهُ، أو جعلَ معَهُ، بَقِيَ في أمانِ اللهِ تعالى. وكذلِكَ ما معَهُ مِن المالِ لايقدِرُ عليه سُلْطَانٌ ولا غيرُه. قال الشيخُ أحمد زرُّوق، رحمه اللهُ تعالى: اسمُهُ تعالى «المُؤْمِنُ» خاصيَّتُهُ وُجودُ التأمينِ، وحصولُ الصِّدقِ والتَّصْديقِ، وقُوَّةُ الإيمانِ في العمومِ لِذاكرِه. ومِنْ ذلك أنْ يَذْكُرَه الخائِفُ ستًّا وثلاثين مرَّةً، فإنَّهُ يَأْمَنُ على نفسِه ومالِه، ويزدَادُ ذلِكَ بِحَسَبِ القُوَّةِ والضُّعْفِ، واللهُ يقولُ الحقَّ وهو يهدِي السبيلَ.

وقال عليه الصلاةُ والسلامُ: [أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ أَخْلَاقًا]. وقال أيضا ﷺ: [إِذَا رَأَيْتُمُ الْمُؤْمِنَ صَمُوتًا وَقُورًا، فَادْنُوا مِنْهُ فَإِنَّهُ يُلَقَّنُ الحِكْمَةَ]. وقال ﷺ: [لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ].

وعن الحارثِ بنِ سُوَيْدٍ، قال: حدَّثَنا عبدُالله بنُ مسعودٍ، رضي اللهُ عنه، حديثَيْنِ، أحدُهما عن رسولِ اللهِ ﷺ، والآخرُ عن نفسِه، فقال: إنَّ المؤمنَ يرى ذُنوبَه كأنَّه قاعِدٌ تحتَ جبَلٍ يخافُ أنْ يقعَ عليه. وأنَّ الفاجِرَ يَرى ذُنوبَه كذُبابٍ مرَّ على أنْفِه، فقالَ به: - هكذا - بِيدِه، فذَبَّه عنه. ثم قال سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: للهُ تَعالى أفرحُ بتوبةِ عبدِه المؤمنِ مِنْ رجُلٍ نزلَ في أرضٍ دَوِّيَّةٍ مُهلِكَةٍ، معَهُ راحِلَتُه عليها طعامُهُ وشرابُه، فوضَعَ رأسَه، فنامَ نَوْمَةً، فاستَيْقَظَ وقد ذهبَتْ راحِلَتُه، فطلَبَها حتى إذا اشتَدَّ عليهِ الجوعُ والعطَشُ، قال: أَرْجِعُ إلى مكاني الذي كنتُ فيه فأنامُ حتى أموتَ، فوضَعَ

رأسَه على ساعِدِه لِيموتَ، فاستَيْقَظَ فإذا راحِلَتُه عندَه، عليها زادُه وشرابُه. فاللهُ أشدُّ فرحًا بِتوبةِ العبدِ المؤمنِ مِنْ هذا بِراحِلَتِه وزادِه. أخرجه الشيخانِ والترمذيُّ، وزاد في روايةِ مسلمٍ، ثم قال: «اللَّهُمَّ أنتَ عبدِي، وأنا ربُّكَ»، أَخْطَأَ مِن شِدَّةِ الفرَحِ. الدَّوِّيَّة الصَّحْراءُ التي لا نباتَ فيها.

﴿قلت﴾ ولِعُظْمِ هذا الحديثِ الذي رواه الشيخانِ، أنَّ اللهَ يفرَحُ بِتوبةِ عبدِه المؤمنِ، قال سيدُنا صاحبُ الراتبِ «آمَنَّا بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، تُبْنَا إِلَى اللهِ بَاطِنٍ وَظَاهِرِ». وكثيرًا في آياتٍ مِن القرآنِ العظيمِ قَرَنَ الإيمانَ والتوبةَ معًا، وخاطبَ أهلَ الإيمانِ بالتوبةِ، مثلُ قولِه تعالى: [يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا]. فقد أشرْنا على قولِه آمنَّا باللهِ واليومِ الآخِرِ بِشيءٍ قليلٍ مِن كثيرٍ، لأنَّ في هذا البابِ ما لاتُحيطُ به العبارةُ، وقَصْدُنا الإشارةُ.

وأمَّا قولُه نفعَ اللهُ به «تُبْنَا إِلَى اللهِ بَاطِنٍ وَظَاهِرِ»، قال في الشرحِ، قال الإمامُ الغزالي في كتاب التوبةِ مِن الإحياءِ: اعلَمْ أنَّ وُجوبَ التوبةِ ظاهرٌ بالآياتِ والأخبارِ، وهو واضِحٌ بِنورِ البصيرةِ عندَ مَنِ انْفَتَحَتْ بصيرَتُه، وشرَحَ اللهُ بنورِ الإيمانِ صدرَه، وأطال في ذلك . . . إلى أنْ قال: وأمَّا مَن لم يُرَشَّحْ لِمثلِ هذا المقامِ المرتفعِ ذِروَتُهُ عن حدودِ أكثرِ الخَلْقِ، ففي التَّقليدِ والاتِّباعِ له مجالٌ رَحْبٌ يَتَوصَّلُ به إلى النجاةِ من الهلاكِ، فيُلاحِظُ في ذلك قولَ اللهِ تعالى، وقولَ رسوله ﷺ، وقولَ السَّلفِ الصالحِ، رضي اللهُ عنهم أجمعين. فقد قال اللهُ تعالى: [وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ]. وهذا أمرٌ على العمومِ. وقال تعالى: [يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا]. ويدُلُّ على فضلِ التوبةِ قولُه تعالى: [إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ]. وقولُه ﷺ: [التَّائِبُ حَبِيبُ اللهِ، وَالتَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ] - انتهى. وفي ذلك غنيمةٌ للمؤمنِ.

وقال سيدُنا صاحبُ الراتبِ، نفع اللهُ به:

إلٰهي بِحَقِّ القـومِ مُـنَّ بِتَـوْبَـةٍ * مِنَ الذَّنْبِ تَغسِلْنا بها أبلَغَ الغَسْلِ

وقال سيدُنا الوالدُ في كتابه [سفينة الأرباح ونزهة الأرواح] نقلاً عن نَظْمِ الفقيهِ محمد بن حسن النزيلي في شرائط التوبةِ، قال:

نــدَمٌ وإقْــلاعٌ وردُّ ظُــلامــةٍ * وأداءُ مُفتــرضٍ ونُــطقُ لســانِ
والـعــزمُ أنَّــك لاتـعــودُ لِمـثـلِهِ * ولْتُخْـلِصِ الأعـمــالَ لـلرَّحْمٰـنِ
ويكـونَ قبـلَ بلوغِهـا حُلقـومَهــا * وطلوعِ شمسٍ مِن مكــانٍ ثــانِ
هٰــذي شـرائطُ تــوبـةٍ لخَّصْتُهــا * فـاسمَـعْ وتُبْ يـاراكِبَ العِصْيـانِ

وفي [إحياء عُلوم الدين]، وفي [الدَّعوة التامَّة] نقلاً مِن الصحيحَيْن، وكتابِ [الغُرَر]، قالا: ورَوى أبو سعيدٍ، رضي اللهُ عنه، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ، قال: [كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعًا وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ، فقَالَ: إنَّهُ قَتَلَ تِسْعًا وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ، قَالَ: لَا! فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ المِائَة. ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ تَعَالَى، فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سُوءٍ].

فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ الطَّرِيقَ، أَتَاهُ مَلَكُ الْمَوْتِ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ العَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: إِنَّهُ جَاءَ تَائِبًا وَمُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللهِ تَعَالَى. وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ العَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ حَكَمًا بَيْنَهُمْ. فَقَالَ: قِيسُوا مَابَيْنَ الأَرْضَيْنِ فَلِأَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ. فَقَاسُوا فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَرَادَهَا بِشِبْرٍ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ. (أخرجه الشيخانِ. زاد في روايةٍ): فَلَمَّا كَانَ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، أَدْرَكَهُ المَوْتُ، فَجَعَلَ يَنُوءُ بِصَدْرِهِ إِلَى القَرْيَةِ الصَّالِحَةِ، فَجُعِلَ مِنْ أَهْلِهَا. (وفي أخرى): فَأَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَى هٰذِهِ أَنْ تَبَاعِدِي، وَإِلَى هٰذِهِ أَنْ تَقَرَّبِي، وَقَالَ: قِيسُوا مَابَيْنَهُمَا!.

وقال ﷺ: [لَوْ أَخْطَأْتُم حَتَّى تَبْلُغَ خَطَايَاكُمْ عَنَانَ السَّمَاءِ، ثُمَّ تُبْتُمْ لَتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ]. وقال ﷺ: [اَلتَّائِبُ حَبِيبُ الله] ذكره في الإحياء.

ويُروَى عن الحسنِ، قال: لَمَّا تَابَ اللهُ عزَّ وجلَّ على آدمَ عليه السلامُ، هنَّأَتْهُ الملائكةُ، فهَبَطَ جبريلُ وميكائيلُ، عليهما السَّلامُ، فقال: ياآدمُ! قرَّت عينُك بتوبةِ اللهِ عليكَ. فقال آدمُ، عليه السلامُ: وإنْ كان بعدَ هذهِ التوبةِ سؤالٌ، فأينَ مقامِي؟ فأوحى اللهُ تعالى إليه: ياآدمُ! ورَّثْتَ ذُرِّيَّتَك التعبَ والنَّصَبَ، وورَّثْتُهُم التَّوبةَ. فمَنْ دعاني منهم لَبَّيْتُهُ كتَلْبِيَتِكَ، ومَن سأَلَني المغفِرَةَ، لَنْ أَبْخَلَ عليهِ، لأنِّي قريبٌ مُجيبٌ. ياآدمُ! وأَحْشُرُ التَّائِبين من القبورِ مُستَبْشرين ضاحكِين، ودعاؤُهم مُستجَابٌ - انتهى ما أوردَه الغزالي، ومَن أرادَ تحقيقَ أحكامِ التَّوبةِ، فعليهِ بِكتابِ التَّوبةِ من الإحياء، وهو الكتابُ الأوَّلُ بعد الثلاثين.

قال الشيخُ رحمه اللهُ تعالى، وأعلاَ درجتَهُ، وشكَرَ سعيَهُ: قد حرَّرَ مبانِيَها، وقرَّرَ معانِيَها بالعلومِ الجليلةِ والدقيقةِ مِن حيثُ الشريعَةُ والطَّريقَةُ والحقيقةُ. وبالجملةِ، فكِتابُ الإحياءِ أنفَعُ ماقرَأَهُ الأحياءُ بعدَ كتابِ اللهِ وسنَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ.

وقال العلماءُ العاملون العارفونَ باللهِ: أمَّا شروطُ التَّوبةِ، فهِيَ ثلاثَةٌ: النَّدَمُ على مافاتَ، والإقلاَعُ في الحالِ، والنيَّةُ أنْ لايعودَ. وقيلَ: إنَّها أربعَةٌ، وعدَّ منها العلمَ بمَضرَّةِ الذُّنوبِ.

وأمَّا فرائِضُها، فهِيَ أربعَةٌ: ردُّ المظالمِ، واجْتِنَابُ المحارِمِ، وأداءُ الحقوقِ، وتصمِيمُ القصدِ.

وأمَّا كمالاتُها، وهِيَ ستَّةٌ: تَصْحيحُ التقرُّبِ بِالورَعِ، وتحسينُ الخُلُقِ بمُجالسَةِ الخَلْقِ مع مُسامحتِهِمْ، والتَّشمِيرُ وتَحقيقُ الاِسْتِقامةِ بِالصِّدْقِ للعملِ، والإعراضُ عن كلِّ مُعارضٍ وعائقٍ وكاسِلٍ، وتركُ ماسوى اللهِ تعالى جملةً وتفصيلاً.

وأمَّا مايُعينُ عليها، فهُوَ ثلاثَةُ أشياءَ: تَرْكُ الفُضولِ مِن كلِّ شيءٍ، ومراقَبَةُ اللهِ في

كلِّ شيءٍ، وتَرْكُ الحرامِ والشُّبْهةِ من كلِّ شيءٍ. مَن أَكلَ الحلالَ أَطاع اللهَ أَحَبَّ أم كرِهَ، ومَن أَكلَ الحرامَ عصى اللهَ أَحَبَّ أم كرِهَ، والمَرْءُ على دينِ خليلِه، فكُلْ ما شِئْتَ فمِثْلَه تعمَلُ، واصْحَبْ مَن شِئتَ فأَنْتَ على دينِه. والمُؤمِنُ إِلْفٌ مألوفٌ، فَطِنٌ حَذِرٌ، ثُلُثَاهُ تغافُلٌ.

ومِمَّا يُعينُ على التَّوبةِ ويَزيدُ فيها أيضًا كَثرةُ ذِكْرِ الله، والصلاةِ على رسولِ اللهِ ﷺ. وأَقْرَبُ ما يَتَوسَّلُ به المُنْقَطِعون الإستِغْفارُ والصَّلاةُ على رسولِ الله ﷺ حتَّى إذا انْطَبَعَتِ النَّفْسُ بذلك انْتقلَ عنه لِقولِه «سُبْحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إِلَهَ إلَّا الله، واللهُ أكبَر»، ثم إذا انْطبَعَتِ النَّفسُ بذلك انْتقلَ عنه لِقولِه «سُبحانَ اللهِ العظيمِ وبِحَمْدِه»، حتَّى إذا انطبعَتْ حقيقةً، فتَجْمعُ الثلاثَ وهِيَ «سُبحانَ اللهِ وبِحَمْدِه، سُبحانَ اللهِ العظيمِ، أَسْتَغْفِرُ الله»، حتَّى إذا انطبعَتْ به نفسُهُ انْتقلَ لِذِكْرِ الباقياتِ الصالحاتِ «سُبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إِلَهَ إلَّا الله، واللهُ أكبَر، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللهِ العليِّ العظيم» فإنَّها مَطهَرَةٌ للقلوبِ. ومِن معانيها تتَوجَّهُ مَبادي الفتحِ والكمالِ، وتَظهرُ علاماتُ الفلاحِ في أَقربِ مدَّةٍ – انتهى.

وعن أبي موسى الأشعريِّ، رضي اللهُ عنه، قال؛ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: [يَدُ اللهِ بُسْطَانُ لِمُسِيءِ اللَّيْلِ لِيَتُوبَ بِالنَّهَارِ، وَلِمُسِيءِ النَّهَارِ لِيَتُوبَ بِاللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا].

وعن أبي هريرةَ، رضي اللهُ عنه، قال؛ قال رسولُ اللهِ ﷺ: [مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللهُ عَلَيْهِ].

وذكَر صَفْوانُ بنُ عسَّالٍ المُرادِي عن رسولِ اللهِ ﷺ، أَنَّ اللهَ جعلَ بِالغَرْبِ بابًا، مَسيرَةُ عُرضِه سبعون عامًا لِلتَّوبةِ، لايُغْلَقُ ما لم تطلُعِ الشَّمسُ مِن قِبَلِه.

وعن أبي هريرةَ، رضي اللهُ عنه، عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: [ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لَمْ يَنْفَعْ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا: الدَّجَّالُ وَالدَّابَّةُ وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا] – انتهى.

وقد أَجْمَعَ أهلُ السنَّةِ على توبةِ العبدِ مِن القَتْلِ ، ومِن أَخْذِ المالِ بِغيرِ حقٍّ، ومِن شُرْبِ الخمرِ في سائرِ المعاصي. وسُئِلَ مسروقٌ، رحمه اللهُ تعالى: هل لِقاتِلِ المؤمنِ توبةٌ؟ فقال: لا أُغْلِقُ بابًا فتحَهُ اللهُ تعالى.

وكان طَلْقُ بن حبيبٍ، رحمه الله، يقول: إنَّ حقوقَ اللهِ تعالى أعظَمُ مِن أنْ يَقومَ بها العبدُ، وإنَّ نعمةَ اللهِ تعالى أكثرُ مِن أنْ تُحْصُوها، ولكنْ أَصْبِحوا وأَمْسُوا تائبين!

وقد سُئل بعضُ الحُكَماءِ: هل يعرِفُ العبدُ إذا تابَ توبةً قُبِلَتْ أو رُدَّتْ؟ فقال: لا، ولكنْ لِذلك علاماتٌ، مِنها أن يَرى نفسَه مَعصومةً مِن المعاصي، ويَرى الفرَحَ من قِبَلِه غائبًا والهَمَّ شاهدًا، ويقرُبَ مِن أهلِ الخيرِ، ويبعُدَ مِن أهلِ الشّرِ، ويَري القليلَ من الدُّنيا كثيرًا، والكثيرَ مِن عمَلِ الآخرةِ قليلاً، ويَرى قلبَه مُشتغِلاً بما ضمِنَ اللهُ تعالى فارِغًا عمَّا ضمِنَ اللهُ تعالى له به، ويكونَ حافِظًا لِلّسانِ، دائمَ الفِكرِ، مُلازِمَ الغمّ والنَّدامةِ. قالَه بعضُ السَّادةِ العُلماءُ.

﴿قلتُ﴾ وهذا كما قال الإمامُ الغزالي في الإحياء، قال: إنَّ علامةَ الحجّ المبرورِ ثلاثةُ أشياءَ: أَنْ يأتِيَ الحاجُّ بعد قُدُومِه من الحجّ زاهِدًا في الدُّنيا، راغِبًا في الآخرةِ، وأنْ يَستبدِلَ بِإخوانِ الشّرِ والغفلةِ إخوانَ الخيرِ واليَقَظةِ.

وقال لُقمان لابنِه: يابُنَيَّ! لا تُؤَخِّرِ التَّوبةَ، فإنَّ الموتَ يأتي بَغْتَةً. وقال عبدُالله بنُ سلام: لا أُحَدِّثُكم إلاَّ عن نبيٍّ مُرسلٍ، أو كتابٍ مُنزلٍ. إنَّ العبدَ إذا عمِلَ ذنبًا وندِمَ عليه طَرْفَةَ عينٍ، سقطَ عنه أسرعَ مِن طرْفةِ عينٍ.

وقال النبيُّ ﷺ: [إِنَّ العَبْدَ لَيُذْنِبُ الذَّنْبَ فَيَدْخُلُ بِهِ الجَنَّةَ. قِيلَ: كَيْفَ ذٰلِكَ، يَارَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: أَنْ يَكُونَ نُصْبَ عَيْنَيْهِ تَائِبًا مِنْهُ، فَارًّا، حَتَّى يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ]. وقال: [اَلتَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ].

وفي البخاري بِسنَدِه إلى أَنسِ بنِ مالِكٍ، خادمِ النبيِّ ﷺ قال؛ قال رسولُ اللهِ ﷺ: [للهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحدِكُمْ سَقطَ عَلَى بَعِيرِهِ وَقَدْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضٍ فَلاَةٍ]. وعنه

أيضًا بِسندِه إلى الحارثِ بنِ سُوَيْد قال؛ قال رسولُ اللهِ ﷺ: [إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ، فَقَالَ بِهِ هٰكَذَا] ثم قال ابنُ شهابٍ بيدِه فوقَ أنفِه - الحديث بِتمامِه.

وفي الصحيح أيضًا بِسندِه العالي إلى أبي هريرةَ، رضي اللهُ عنه، قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: [وَاللهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَى اللهِ فِي اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً].

﴿قلتُ﴾ وقد بَوَّبَ لهذا الحديثِ الإمامُ البخاري في صحيحه الذي هو أصحُّ الكُتُبِ بعد كتابِ اللهِ بابًا، فانظُرْ ياأخي إلى مَن غفرَ اللهُ ما تقدَّمَ مِن ذنبِه وما تأَخَّرَ، كيْفَ يَستغفِرُ اللهَ ويتوبُ إليه في اليومِ والليلةِ أكثرَ من سبعين مرَّةً، فكيفَ بِنا ونحنُ رهائِنُ الذُّنوبِ والعيوبِ وقَسْوةِ القلوبِ لا نَستغفِرُ اللهَ ونتوبُ إليه؟! فعسى اللهُ بِجاهِ النبيِّ المَوهوبِ، السيدِ المحبوبِ، أنْ يتجاوزَ عنَّا سائرَ الحُوبِ، بالفوزِ العظيمِ الذي صرَفْنا فيه أمثالَ أَطْيانِ الطُّوبِ. ربَّنا اغفِرْ لنا ذُنوبَنا وإسرافَنا في أمرِنا، وثَبِّتْ أقدامَنا، وانصُرْنا على القومِ الكافرين. ربَّنا ظَلَمْنا أنفُسَنا وإنْ لم تغفِرْ لنا وترحَمْنا لَنكونَنَّ مِن الخاسِرين.

﴿قلتُ﴾ وقد سَوَّلتِ النَّفسُ ببعضِ الخَلْقِ «تُبْنَا إِلَى اللهِ بَاطِن وَظَاهِر»، ففكَّرَ في معناها، فيَحيرُ ذهنُه، فيقولُ: ما عندِي مِن حقيقةِ هذا الكلامِ شيءٌ، فحِينئذٍ يُحْرَمُ مِن أشياءَ كثيرةٍ في القرآنِ، مثلُ قولِه تعالى: [رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا . . . . . الآية]، ومثلُ توكَّلْتُ على الله، وَحَسْبِيَ الله، وهو المقامُ الإبراهيمِيُّ، وكثيرٌ في الأحاديثِ النبويَّةِ، والأدعيَةِ المأثورةِ. مثالُ ذلك، فقد قال صاحبُ الراتبِ في نصائحِه، كما يأتي في شرحِ «أَسْتَغْفِر اللهَ رَبَّ البَرَايَا . . . . . الخ» أنَّ الشيطانَ، لعَنَه الله، قد يخدَعُ بعضَ الأغبياءِ من المسلمين، فيقولُ له: كيفَ تتوبُ، وأنتَ لاتعرفُ مِن نفسِكَ الثباتَ على التَّوبةِ، وكَمْ تتوبُ ثم تعودُ إلى الذَّنبِ، ويُلقِي إليه وساوِسَ من هذا الجنسِ. فَلْيحذَرِ

المسلمُ ولا يَغْتَرَّ به، ولا يأخُذْ بتزويرِه وتلبيسِه. فقد قال ﷺ: [مَاأَصرَّ مَنِ اسْتَغْفَرَ، وَإِنْ عَادَ فِي اليومِ سبعينَ مرَّةً]. وعلى العبدِ أنْ يتوبَ، ويسألَ اللهَ الإعانَةَ. ثمَّ إنْ غلبتْهُ نفسُه على العَوْدِ إلى الذَّنبِ، غلَبَها على العوْدِ إلى التوبةِ، واللهُ المُوَفِّقُ والمُعينُ - انتهى من [النصائح الدينية].

وأمَّا محلُّ التوبةِ من العبدِ، فهو مادام الرُّوحُ في الجسدِ، لِقولِه تعالى: [إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ، فَأُولَٓئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ ... الآية].

قيل في التفسير «مِن قريبٍ»، أي قبلَ الموتِ، لِما رُوي عنه ﷺ، أنَّ اللهَ تعالى يقبلُ توبةَ العبدِ ما لم يُغَرْغِرْ - رواه ابنُ عمر. ونقلَه البغويُّ بسندِه في تفسيرِه المشهورِ بالبركةِ والنورِ. وفي كتابِ [الناسخ والمنسوخ] للشيخ المفسر ابنِ سلامة؛ قيلَ للنبيِّ ﷺ: ما حَدُّ التائبِين؟ قال: مَنْ تابَ قبلَ موتِه بَسنَةٍ قَبِلَ اللهُ توبتَه. ثم قال: ألَا وإنَّ ذلك لَكثيرٌ. ومَن تاب قبلَ موتِه بجُمُعةٍ قبِلَ اللهُ توبتَه. ثم قال: ألَا وإنَّ ذلك لَكثيرٌ. ثم قال: ومَن تاب قبلَ موتِه بيومٍ قبِلَ اللهُ توبتَه. ثم قال: ألَا وإنَّ ذلك لَكثيرٌ. ثم قال: ومَن تاب قبلَ أنْ تُغَرْغِرَ نفسُه قبِلَ اللهُ توبتَه. ثم تلا «ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ»، فقال ﷺ: ما كان قبلَ الموتِ فهو قريبٌ.

فينبغي للمؤمنِ أنْ لا يُهمِلَ شأنَ التوبةِ لقولِه تعالى: [وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ]. ولا يقنَطْ مِن المغفِرَةِ لِما يعلَمُ مِن نفسِه وغيرِه من عظائمِ الذُّنوبِ، وفاضِحاتِ العُيوبِ، لِقولِه تعالى: [قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَاتَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، إنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ. وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ ..... الآية].

﴿الذكرُ الحادي عشر﴾

قولُ صاحبِ الراتبِ، نفع اللهُ به، «يَا رَبَّنَا وَاعْفُ عَنَّا وَامْحُ الَّذِي كَانَ مِنَّا» - (ثلاثًا). قال في الشرحِ، فهُوَ داخِلٌ فيما ذكرناه آنِفًا مِن وُجوبِ التَّوبةِ وفضلِها، إلَّا أنَّ طلبَ العفوِ عن الذُّنوبِ، وطلبَ المَحْوِ لها أدلُّ دليلٍ مِن العبدِ على اعْترافِه، ورُؤْيةِ تقصيرِه في جانبِ الرُّبوبيَّةِ، وذلك شأنُ الكُمَّلِ من الرجالِ. فكيفَ بِمَن هُوَ مُلَطَّخٌ بالرَّذائِلِ، غارِقٌ في أَوْحَالِ المعاصي. وطلبُ العَفْوِ أبلَغُ مِن طلَبِ المغفرةِ، لأنَّ المغفِرَةَ معناه السَّترُ، والعفوَ معناه المَحْوُ، والمَحْوَ أبلَغُ مِن السَّترِ، كما قاله الإمامُ الغزالي، نفع اللهُ به، عند شرحِه على اسمِه تعالى «العَفُوُّ».

وقد روى الترمذيُّ بالإسنادِ الصحيحِ إلى أبي بكرٍ، رضي اللهُ عنه، أنَّه قام على المنبرِ، ثم بكى، فقال: قام رسولُ اللهِ ﷺ عامَ أوَّلَ على المنبرِ، ثم بكى، فقال: سَلُوا اللهَ المغفِرَةَ والعافيةَ، فإنَّ أحدًا لم يُعْطَ بعدَ اليقينِ خيرًا من العافيةِ. ورُوي أيضًا بإسنادِه الصحيحِ إلى عائشةَ، رضي اللهُ عنها، قالتْ: قلتُ يارسولَ الله! إنْ وافَقْتُ ليلةَ القَدْرِ، ما أَدْعو به؟ قال: قُولِي «اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ، فَاعْفُ عَنِّي!» فأرشدَها عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ إلى هذا الدُّعاءِ النَّافعِ.

ورُوي عن العبَّاسِ بن عبدِالمطلب، رضي اللهُ عنه، قال؛ قلتُ: يا رسولَ الله! علِّمْني شيئًا أسألُ اللهَ به؟ قال لي: يا عبَّاسُ، يا عَمَّ رسولِ الله! سَلِ اللهَ العفْوَ والعافيةَ في الدُّنيا والآخرةِ!

وفي تفسيرِ القرآنِ العظيمِ للشيخ عبدِالرحمن السُّيوطِي المسمَّى بالدُّرِّ المنثور عندَ تفسيرِ سورةِ الجُمُعةِ، قال: وأخرجَ ابنُ أبي شَيْبَةَ عن هلالِ بنِ يسارٍ قال؛ قال رسولُ

اللهِ ﷺ: [إنَّ فِي الجُمُعَةِ لَسَاعَةً لَايُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللهَ فِيهَا خَيْرًا إلَّا أَعْطَاهُ. فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله! مَاذَا أَسْأَلُ؟ قَالَ: اِسْأَلِ اللهَ العَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ!]. قال الشيخُ العلَّامةُ أحمد بن عبدالكريم الشجَّار في كتابِه [تثبيت الفؤاد بذكر كلام القطب السيد عبدالله بن علوي الحداد]: إنَّه كان عندَ قُعودِه وقيامِه يقولُ هذهِ الكلماتِ «يَا مَنْ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ، أَسْأَلُكَ اللُّطْفَ وَالعَافِيَةَ!» - انتهى.

ومن كتابِ [عيون السرائر] شرح حزب الإمام محيي الدين عبدالقادر الجيلاني، المسمَّى فتحَ البصائر، للشخ عبدالله بن سعيد العَمودي، تلميذِ الحبيب الحـدَّاد، صاحبِ الراتبِ، قال: العفوُ سترُ المثالِبِ، وغَفْرُ المساوي. والعافيةُ تعريفُها أنَّها اسمٌ عامٌّ، جامعٌ للدَّعواتِ، والمُعافاةُ عِبارةٌ عن صفةِ ظُهورِ أثَرِ العافيةِ، وهي الصِّحَّةُ مِن سقَمٍ، ماسأَل منه العافيةَ - انتهى.

وقال سيدُنا الحداد في نصائحِه: ولْيُكثِرِ العبدُ جدًّا مِن سؤالِ العافيةِ في الدُّنيا والآخرةِ. فقد وردَ في الحديثِ أنَّه ما سُئِلَ اللهُ شيئًا أحبَّ إليه من أنْ يُسْأَلَ العافيةَ في الدنيا والآخرةِ، فهي من أجمَعِ الدَّعَواتِ وأَفْضلِها، واللهُ وليُّ التوفيقِ.

وقال صاحبُ [غاية القصد والمراد]؛ قال رضي اللهُ عنه: مَن عُوفِيَ مِن معاصي الله، والمُخالفةِ لأَمرِ الله، ووُفِّقَ لِلجدِّ في طاعةِ اللهِ لِوجه الله، فقد فاز بالعافيةِ من الله. جَعلَنا اللهُ وإيَّاكُمْ كذلك، وتفضَّلَ علَيْنا بما هنالك حتَّى نلقَاهُ وهُوَ عنَّا راضٍ.

وقال رضي اللهُ عنه: العافِيَةُ الحِسِّيَّةُ هي سلامةُ الأجسامِ مِن الوُقوعِ في الآثامِ، ومِن الأمراضِ والأسقامِ. والعافيةُ المَعْنويَّةُ هي سلامةُ القلوبِ من الشكِّ والأوهامِ، ومِن إضْمارِ الشَّرِّ لأحدٍ مِن أهلِ الإسلامِ. فمَنْ أُكْرِمَ بالعافِيتَيْنِ على هذا الوجهِ دامَ إقْبالُه على الله، وعلى طاعتِه. [ذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ] - انتهى.

فانظُرْ معنى العافيَةِ تعرِفْ معنى هذه الدَّعوةِ العَظيمةِ النَّفْعِ والبرَكةِ، والحمدُ لِلهِ ربِّ العالمين.

﴿الذكرُ الثاني عشر﴾

قولُ صاحبِ الراتبِ، نفع اللهُ بـه، «يَا ذَاالجَـلَالِ وَالإِكْرَام، مِتْنَـا عَلَى دِينِ الإِسْلَامِ». قال في الشَّرحِ: فقولُه «يَا ذَاالجَلَالِ وَالإِكْرَام» اقتِباسٌ مِن قولِه تعالى: [تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ]، وامتِثالٌ لِقولِه ﷺ في الحديثِ الصحيحِ: [أَلِظُّوا بِيَا ذَاالجَلَالِ وَالإِكْرَامِ]. قال الإمامُ النوويُّ، نفع اللهُ به، في [الأذكار]: «أَلِظُّوا» بِكَسرِ اللَّامِ وتشديدِ الضادِ المُعْجَمة، معناه: اِلْزَمُوا هٰذهِ الدَّعوةَ، وأَكْثِروا منها!

﴿قلتُ﴾ ولذلِك جعلَ سيدُنا صاحِبُ الراتبِ أذكارَ راتبِه كلَّها ثلاثًا ثلاثًا، إلَّا هذا الذكرَ فإنَّه جعلَه سبعًا، و«أَسْتَغْفِرُ اللهَ . . . إلى آخرِه» جعلَه أربعًا، و«لَا إِلٰهَ إِلَّا الله» جعلَها خمسينَ، ولا حدَّ لِأكثرِها، ولا تَنْقُصُ عن الخمسينَ، تعرِفُ سَعةَ علومِ سيدِنا، نفع الله، واطِّلاعِه على الأحاديثِ الصحيحةِ.

وقال الإمامُ أحمد بن عِماد الأفتهسيُّ الشافعِيُّ في كتابِ [تسهيل المقاصد لزوار المساجد]، قال: السَّبْعُ عندَ العَربِ تُسْتَعْمَلُ لإرادةِ المُبالغةِ. قال الحَليمي عندَ العَربِ، يعني بها الكثرةَ. وقال البغوِيُّ في شرحِ السُّنَّةِ: العـرَبُ تَستعمِلُها لإرادةِ المُبـالغةِ كالسَّبعينَ، تقولُ العربُ: سبَّعَ اللهُ عليكَ الخيرَ، أيْ كَثَّرَهُ - انتهى.

وقد رُوي عنه ﷺ، أنَّه سمِعَ رجلًا يقولُ: «يَا ذَاالجَلَالِ وَالإِكْرَام»، فقال: قد اسْتُجيبَ لك فَاسْأَلْ - رواه الترمذيُّ والقزوينيُّ وابنُ حِبَّان والحاكمُ في المُستَدْرَك. وذكرَ الإمامُ البغويُّ في تفسيرِه عندَ قولِه تعالى: [قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الكِتَابِ: أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ]، عن مُقاتلٍ ومجاهدٍ، أنَّه دعا بِيَا ذَاالجَلَالِ وَالإِكْرَام.

وقد وردَ مِن دُعائِه ﷺ بعدَ السَّلامِ من الصَّلاةِ: «اَللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ . . . إلى أنْ قال فيهِ تَبارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ يَا ذَاالجَلَالِ وَالإِكْرَام»، وهما مِن أسماءِ اللهِ الحُسنى الَّتي وردَ أنَّ من أَحْصاها دخلَ الجنَّةَ، أي حفِظَها. وقد قال عزَّ وجلَّ: [وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا]. ولذلك أَرْدَفَ رضي اللهُ عنه ونفَع به، بعدَ تَوَسُّلِه بهٰذَيْنِ الاِسمَيْنِ الشريفَيْنِ مِن طلَبِ الوفاةِ على الإسلامِ، لِقوله تعالى: [وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُم مُسْلِمُونَ]، وذٰلِك هو الذي قصَمَ ظَهْرَ إبليسَ، لعنَهُ الله، لِقولِه ﷺ: [قَصَمَ ظَهْرِي الَّذِي يَطْلُبُ حُسْنَ الخَاتِمَةِ، أَقُولُ مَتَى يُعْجَبُ هٰذَا بِعَمَلِهِ].

قال بعضُ العارفين: إيثارُ الأسماءِ أَبْدَتْ بدائِع. قال العَمْري، نفع اللهُ به: اِسمُه تعالى «ذُوالجلالِ والإكرامِ»، مَن داوَمَ عليه هابَه كلُّ مَن رآه، وصار له تصريفٌ في الأرواحِ يُنسَبُ إليه، وهو مِن بديعِ الأسماءِ. واسمُه تعالى «الكَرِيم»، مَن داوَمَ على ذِكرِه، رزَقَه اللهُ من غيرِ مَشقَّةٍ – انتهى ذُو الجلالِ والإكرامِ. قال بعضُ العُلماءِ: وبِبَركةِ هذا الاِسمِ، أعطى اللهُ تعالى الأنبياءَ والأولِياءَ الجلالَةَ والهَيْبَةَ والكرامةَ، ومَن كان يرجو أمرًا قرأَه سبعَمِائة مرَّةً، فإنَّ اللهَ يُعطيه ماطلَبَ، وفي روايةٍ أنَّه مِن الاِسمِ الأعظمِ ذُو الجلالِ والإكرامِ عددُ ألفٍ ومائةٍ. وإذا دخلَ عليهِ حرفُ النِّداءِ انْقلَبَ الواوُ أَلِفًا، لأنَّه يكونُ مُنادَى مُضاف، فينقُصُ العددُ خمسةً.

﴿قال﴾ قال سيدُنا القطبُ الغَوْثُ أبو بكر بن عبدالله العيدَروس: لَمَّا حصَلَ مِن بعضِ وُلاةِ الأمورِ أذًى على مَن يلوذُ بِالشيخ، وحصلَ مع الوالي إدبارٌ بعدَ الإقبالِ، شعر:

لاتَــرْجُـفُــون فــإِنَّـني لاأجــزَعُ * مِن رَجْفِكُم كــلَّا ولا أَتــزَعْــزَعُ
عِنـدي مُحقَّقٌ أنَّ كـلَّ رُجــوفِكم * بِي لاتضرُّ ووُدُّكــم لايَــنْــفَــعُ
أنـتُم أقــلُّ أذلُّ مِــن أنْ تَجلِبُــوا * نَفْعًــا ولَسْتُم لِلضَّــرائِــرِ تَــدفَــعُ
النَّــافِــعُ الضــارُّ المُهَيمِنُ ربُّنــا * إن شَــا يُــذِلُّ عَبيــدَه أو يَــرْفَــعُ

مـاإِنْ ذكـرْتُ تقـرُّبًـا منكم مضَى * إلَّا وكِـدْتُ لـذكـرِه أَتـقـطَّعُ
أَسفًـا عـلى بَـذْرِ الجميـلِ بِبُقعـةٍ * بَـطْحـا سِباخًـا بَـذْرُهـا لايَـزْرعُ
فـالآنَ قد عـاهدتُ نفسي يـا فتَى * عهـدًا وثيقًـا لا إليكُم أَرجِـعُ
حَسْبي بِبُعـدي عنكُمُ لي راحـةٌ * مـاشِئْتُمو مِن بَعد هـذا فـأَصنعُ
مـامِثْلُكم في الحُمقِ إلَّا نملـةٌ * قـالَتْ تـراني للشَّـوامِخِ أَصْرَعُ
فإنِ احتمَيْتَ بسيفِك الهنـدِي فلِي * سيفٌ إلى ضَـرْبِ المَفارقِ أسـرَعُ
سَيْفي هو اسمُ اللهِ الأَعْظمُ خَصَّني * إرثًـا بـه جَـدِّي الشجـاعُ الأروَعُ
وإنِ الْتجـأْتَ لِحِصْنِك العـالي أنَا * حِصْني أعـزُّ لـه الخِصـامُ وأَمنَـعُ
حِصْني هو القرآنُ والأسما العِظامُ * فمِنْ هنـا يـاصـاحِ حِصْني أَرفَـعُ
وإنِ اعتـزَيْتَ لنـا بجَـدٍّ ظـالِمٍ * جَـدِّي الذي في العـالَمين يُشَفَّـعُ
الهـاشمِيُّ المُصطفى خـيرُ الـورى * ذُخْري إذا بِالهَوْلِ شابَ الـرُّضَّعُ
وإذا صـرَخْتَ إلى عساكِرِك التي * لا يَبْلُغَنَّـك جمعُها مـاتَـطْمَـعُ
نـاديتُ كلَّ الصَّـالحين فـأبـرَمُـوا * أمـرًا بـه تلقَى الهـلاكَ فـأجمَعُـوا

. . . . . إلى آخرِها في دِيوانِه المشهورِ، فانظُرْها.

قال الشيخُ العلَّامةُ محمد بن سليمان الكُردي المَدنيُّ في كتابِه [الحواشي المدنية على شرح المقدمة الحضرمية]: قولُه «يَا ذَاالجَلَالِ وَالإِكْرَام»، قال الفاسي في شرحِ [دلائل الخيرات] للجزولي: الجلالُ العظَمَةُ، والإكرامُ أي إكرامُه للمؤمنين بإنْعامِه عليهم. قال الحليمي: معنى «يَا ذَاالجَلَالِ وَالإِكْرَام» المستحِقُّ التَّسبيحَ، الَّذي يُهابُ لِسلطانِه، ويُثْنَى عليه بما يَلِيقُ مِن علُوِّ شأنِه - انتهى.

وقد سُئِل الشيخُ الإمامُ، علَمُ الأعلام، مُفتي الشَّام، غِياثُ الأنام، عِزُّ الدين ابنُ عبدالسلام السُّلَمِيُّ الدمشقيُّ، رضي اللهُ عنه وأرضاه، عن المُسبِّحِ يأتي بلفظٍ يجمعُ عددًا كثيرًا، كقولِه «سُبحانَ اللهِ عدَدَ خَلْقِه» مرَّةً واحدةً، أو عدَدَ هذا الحَصى، وهو

أَلْفٌ، هل يستوي أجرُه في ذلك مع أجرِ مَن كرَّرَ لفظَ التَّسبيحِ أَلْفَ مرَّةٍ أم لا؟

فأجابَ نفع اللهُ به: أمَّا مسألةُ الأذكارِ، فقد يكون بعضُها أفضلَ مِن بعضٍ لِعُمومِها واشْتِمالِها على جميعِ الأوصافِ السَّلبيَّة والذاتيَّة العقليَّة. فقد يكونُ القليلُ من هذا النوعِ أفضلَ من الكثيرِ مِن غيرِه، كما جاء في قولِه ﷺ «سُبحانَ اللهِ عددَ خَلْقِه»، ولمثلِ هذا قال ﷺ «أَلِظُّوا بِيا ذاالجلالِ والإِكْرام» لأنَّ الألِفَ واللامَ في «يا ذاالجلالِ والإكرامِ» مستغرَقَةٌ بأَوْصافِ الحُسْنِ في الجلالِ والإكرامِ أو لإلزَامِ اللامِيَّة، وقد اتَّصفَ بِكلِّ جلالٍ وكمالٍ، فانْتَظمتْ جميعُ صِفاتِ السَّلبِ، إذْ يَصِحُّ أنْ يُقالَ جَلَّ عن كلِّ نقصٍ وعَيبٍ، وشَملتْ جميعُ صِفاتِه الإثباتَ بِعِلْمِه وقُدرتِه، وشُمولِ كلِمتِه، ونُفوذِ إرادتِه، ولا شكَّ أنَّ الثناءَ بِالأعَمِّ أبلغُ من الثناءِ بِالأخَصِّ، فإنَّ الثناءَ الخاصَّ مَنُوطٌ في الكثرةِ والتَّكريرِ، ففي قِيامِه مقامَ الأعَمِّ نظرٌ - انتهى كلامُه نفع اللهُ به.

وأمَّا قولُ سيدِنا صاحبِ الراتبِ، نفع اللهُ به، «مِتْنَا عَلَى دِينِ الإِسْلَام»، قال في كتابِ [إحياء علوم الدين] في كتابِ الحجِّ: ذكرَ بعضُ المُكاشَفين من المُقرَّبين أنَّ إبليسَ ظهرَ له في صورةِ شخصٍ يَعرفُه، فإذا هو ناحِلُ الجِسْمِ، مُصَفَّرُ اللونِ، باكي العَيْنَيْنِ، مَقْصومُ الظَّهرِ، فقال له: ما الَّذي أَبْكاكَ؟ قال: خروجُ الحاجِّ إليه بِلاَ تِجارةٍ. أقولُ قد قَصدُوه، أخافُ ألَّا يُخَيِّبَهم فيُحْزِنُني. قال: فما أَنْحَلَ جسمَك؟ قال: صَهِيلُ الخيلِ في سبيلِ اللهِ، ولو كانَتْ في سبيلي، كان أحبَّ إليَّ. قال: فما الَّذي غيَّرَ لونَكَ؟ قال: تَعاوُنُ الجماعةِ على الطَّاعةِ، ولو تعاوَنُوا على المعصيةِ كان أَحبَّ إليَّ. قال: وما الَّذي قصَمَ ظهرَكَ؟ قال: قولُ العبدِ «أَسْأَلُكَ حُسْنَ الخاتمة. أقولُ ياوَيْلَتى متى يُعْجَبُ هذا بِعملِهِ أَخافُ أن يكونَ قد فَطِنَ. فهذا الأثرُ المذكورُ عن هذا العارفِ المُكاشَفِ يُؤكِّدُ ويُرَغِّبُ في كثرةِ السؤالِ عن حُسنِ الخاتمةِ. فينبَغي لِلمُريدِ أنْ يُكثِرَ مِن ذلك. ختَم اللهُ لنا ولِوالدِينا وأولادِنا وأحبابِنا والمسلمين بالحُسنى، آمين - انتهى.

قال سيدُنا صاحبُ الراتبِ، نفع اللهُ به، آمين:

نَــحْــنُ فِي رَوْحٍ وراحَــة * وحُــبــورٍ واسْــتِــراحَــة
نِــعْــمَــةُ الإسْـلامِ أعْـلى * نــعْــمَــةٍ حَــلَّتْ بِـسـاحَــة

وقال الإمامُ الغزالي في [منهاج العابدين]: وسمعتُ أنَّ بعضَ العارفين يقولُ: إنَّ بعضَ الأنبياءِ سأل اللهَ تعالى عن أمرِ بَلْعَام وطَرْدِه بعد تِلك الآياتِ والكراماتِ، فقال اللهُ عزَّ وجلَّ: إنَّه لم يشكُرْني في يومٍ من الأيامِ على ماأَعْطيتُه، ولو شكَرَني على ذلك مرَّةً واحدةً ماسلَبْتُه - انتهى نقلاً مِن كتابِ [سفينة الأرباح ونزهة الأرواح] لسيدِنا الوالدِ، نفع اللهُ به.

﴿**فائدةٌ عظيمة**﴾ قال سيدُنا القُطبُ الغوثُ، صاحبُ الراتبِ الذي كلامُه عن إذنٍ إلْهِيٍّ: مَن واظبَ على هذا الراتبِ رُزِقَ حُسنَ الخاتمةِ، ذكرَ ذلك تلميذُه الشيخُ العلامةُ عبدُالله بن محمد شراحيل في تأليفِه الَّذي جعلَه في مناقبِ شيخِه المذكـورِ صاحبِ الراتِب، الرَّاقي أعلى المراتِب. ولو لم يكُنْ في قِراءةِ الرَّاتِبِ الشريفِ إلَّا هذه الفائدةُ العظيمةُ لَكفَتْ، فكيفَ وقد تبيَّنَ لك من الفضلِ الكثيرُ بِالأدِلَّةِ الصحيحةِ النبَوِيَّةِ.

قال سيدُنا في نصائحِه: واعلَمْ أنَّ الإكْثارَ مِن ذكرِ الموتِ مُستَحَبٌّ ومُرَغَّبٌ فيه، وله منافِعُ وفوائدُ جليلةٌ. منها قُصرُ الأملِ، والزُّهدُ في الدنيا، والقناعَةُ بِاليسيرِ، والرَّغْبةُ في الآخرةِ، والتَّزَوُّدُ لها بِالأعمالِ الصالِحةِ. وقد قال عليه الصلاةُ والسلامُ: [أَكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ]، يعني الموتَ. وكان عليه الصلاةُ والسلامُ يقومُ مِن اللَّيلِ، فيُنادي «جاءَ الموتُ بِما فيه! جاءَتِ الرَّاجِفَة، تَتْبَعُها الرَّادِفَة» - الحديث. ولَمَّا سُئِلَ صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه عن الأَكْياسِ من النـاسِ، مَن هُم؟ قال: أَكْثَـرُهم لِلموتِ ذِكـرًا، وأَحْسَنُهم له استِعْدادًا، أُولَئِك هُمُ الأكياسُ، ذهَبوا بشَرفِ الدنيا ونعيمِ الآخرةِ.

﴿قلتُ﴾ وليس ذكرُ الموتِ هو أنْ يقولَ الإنسانُ بِلسانِه الموتَ فقطْ، فإنَّ ذلك قليلُ المَنفعَةِ وإنْ كثَّرَ منه، بل لابُدَّ مع ذلك مِن تفكُّرِ القلبِ واسْتِحْضارِه عند ذِكرِ الموتِ بِاللِّسانِ، كيف يكونُ حالُه عندَ الموتِ وأَهْوالِه وسكَراتِه، ومُعاينةِ أمورِ الآخرةِ، وما

الَّذي يبقى من أجَلِه، وبِمَ يُخْتَمُ له، وكيف كان حالُ مَن مضى مِن أقْرانِه وأصحابِه عندَ الموتِ، وإلى أيّ مصيرٍ صاروا، وأشباهِ ذلك من الأفكارِ والأذكارِ النافعةِ لِلقلبِ والمُؤثِّرةِ فيهِ. قال بعضُ السلفِ: أُنظُرْ، كلُّ شيءٍ تُحِبُّ أنْ يأتِيَك الموتُ وأنتَ عليه، فالْزَمْه! وكلُّ شيءٍ تَكْرَهُ أنْ يأتِيَك الموتُ وأنتَ عليه، فاجْتَنِبْه! فتأمَّلْ، رحِمَك اللهُ هذه المقالةَ، فإنَّها عظيمةُ النَّفعِ لِمَن عمِلَ بها، واللهُ المُوَفِّقُ لاربَّ غيرُه.

وأمَّا كراهِيَةُ الموتِ، فأمرٌ طبيعِيٌّ، لايكادُ الإنسانُ ينفَكُّ منه، وذلك أنَّ الموتَ مُؤْلِمٌ في نفسِه، ومُفَرِّقٌ بينَ الإنسانِ وبينَ محبوباتِه ومَألوفاتِه مِن دُنْياه. ولما قرأَ رسولُ اللهِ ﷺ: [مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ]، قالتْ عائشةُ، رضي اللهُ عنها: كُلُّنا نكرَهُ الموتَ. فقال عليه الصلاةُ والسلامُ: [إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ يُبَشَّرُ بِرَحْمَةِ اللهِ فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ وَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الكَافِرَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ يُبَشَّرُ بِعَذَابِ اللهِ فَكَرِهَ لِقَاءَ اللهِ وَكَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ].

وفي وَصْفِ المؤمنِ المحبوبِ المذكورِ في قولِه عليه الصَّلاةُ والسلامُ عن اللهِ «مَا تَقَرَّبَ الْمُتَقَرِّبُونَ إِلَيَّ . . . فساقَ الحديثَ عن اللهِ تعالى إلى أنْ قال . . . وَمَا تَرَدَّدْتُ فِي شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ كَتَرَدُّدِي فِي قَبْضِ نَفْسِ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ وَلاَبُدَّ لَهُ مِنْهُ»، فانظُرْ كيفَ وصَفَهُ بِكراهِيَةِ الموتِ مع كمالِ إيمانِه، وعُلُوِّ منزِلَتِه عندهُ تعالى تعرفْ صِحَّةَ ماذكرناه.

وفي أخبارِ موسى أنَّه لطَمَ مَلَكَ الموتِ، عليهما السلامُ، حين جاءَهُ لِيَقْبِضَه، فأخرجَ عَيْنَه. نعَمْ قد تَنْغمِرُ كراهيَةُ الموتِ حتى لاتُحَسَّ في حالِ قوَّةِ إشْراقِ نورِ المعرفةِ واليقينِ، ويكونُ ذلك لأهلِه في وقتٍ دُونَ وقتٍ.

وأمَّا الأمرُ العامُّ في أهلِ الإيمانِ فهو أنَّهم يُحِبُّون الموتَ، لِما فيه مِن لِقاءِ الله، والمصيرِ إلى الدارِ الآخرةِ الباقيةِ، والخروجِ من الدُّنيا محلِّ الفِتَنِ والمِحَنِ، ويكرَهون الموتَ بالنَّفسِ والطَّبعِ، لِما فيه مِن الألَمِ وفِراقِ المحبوباتِ، وكلَّما كان الإيمانُ أقوى كانتِ

الكراهِيَةُ أقَلَّ، ومُقتضى الطَّبْعِ أضعَفَ، والعكْسُ بِالعَكْسِ، فتَفَطَّنْ لذلك، واللهُ يتولَّى هُداكَ.

وأمَّا طُولُ العُمُرِ في طاعةِ اللهِ تعالى، فهُوَ محبوبٌ ومطلوبٌ لِقولِه عليه الصلاةُ والسلامُ: [خَيْرُكُمْ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحسُنَ عَمَلُهُ]. وكلَّما كان العُمُرُ أطولَ في طاعةِ اللهِ تعالى، كانتِ الحسناتُ أكثرَ، والدَّرجاتُ أرفَعَ. وأمَّا طولُه في غيرِ طاعةِ الله، فبلاءٌ وشرٌّ، تكثُرُ السيّئاتُ وتَتضاعفُ عُطَفُ الخطيئاتِ. ومَن زعَمَ مِن الناسِ أنَّه يُحِبُّ طولَ البقاءِ في الدنيا لِيَسْتكثِرَ مِن الأعمالِ الصالحةِ المُقَرِّبةِ إلى اللهِ تعالى، فإنْ كان مع ذلك حريصًا عليها، ومُشَمِّرًا فيها، ومُجانِبًا لِما يشغَلُ عنها مِن أمورِ الدنيا، أعني فهو بالصَّادِقين أشبَه، وإنْ كان مُتكاسِلاً عنها، ومُسوِّفًا فيها، أعني الأعمالَ الصَّالِحَةَ، فهُوَ مِن الكاذِبين المُتَعَلِّلين بما لايُغني عنه، لأنَّ مَن أحَبَّ أنْ يبقى لِأَجْلِ شيءٍ، وُجِدَ في غايةِ الحِرْصِ على ذلك الشيءِ مخافةَ أنْ يفوتَهُ، أو يُحالَ بينَه وبينَه، سِيَما والعملُ الصَّالحُ لايُمْكِنُ إلَّا في الدنيا، ولا يَتَصوَّرُ في غيرِها اَلْبَتَّةَ، لأنَّ الآخرةَ دارُ جزاءٍ، وليسَتْ بِدارِ عمَلٍ، فتفَكَّرْ في ذلك جِدًّا، عسى اللهُ أنْ ينفعَك به، واستعِذْ باللهِ واصبِرْ، واجتَهِدْ وشمِّـرْ، وبادِرْ بِالأعمالِ الصالحةِ مِن قبلِ أنْ لاتجدَ إليها سبيلاً، واغْتَنِمْ فُسْحةَ المَهَلِ مِن قبلِ أنْ يَفْجَأَكَ الأجَلُ، فإنَّك غَرَضٌ لِلآفاتِ، وهدَفٌ منصُوبٌ لِسِهامِ المنِيَّاتِ، وإنَّما رأسُ مالِكَ الَّذي يُمْكِنُك أنْ تشترِيَ به سعادةَ الأبَدِ مِن اللهِ هذا العُمُرُ، فإيَّاكَ أنْ تُنفِقَ أوقاتَه وأيَّامَه وساعاتِه وأَنفاسَه فيما لاخيرَ فيه ولا منفعةَ، فيطولَ تحسُّرُك، ويعظُمَ أَسفُك بعد الموتِ، إذا عرفْتَ قدْرَ الفائِتِ وتحقَّقْتَ.

وقد ورَدَ أنَّها تُعرَضُ على الإنسانِ في الدارِ الآخرةِ ساعاتُ أيَّامِه ولياليه في هيئاتِ الخزائِنِ كلَّ يومٍ وليلةٍ أربعٌ وعشرون خِزانةً بعدَدِ ساعاتِها، فيرى الساعةَ التي عمِلَ فيها بِطاعةِ اللهِ تعالى خِزانةً مملوءةً نورًا، والَّتي عمِلَ فيها لا بِطاعةٍ ولا بمعصيةٍ يجِدُها فارِغةً لا شيءَ فيها، فيعظُمُ تحسُّرُه، إذا نظَر الفارِغةَ أنْ لايكونَ عمِلَ فيها بِطاعةِ الله، فيجِدَها مملوءةً نورًا. وأمَّا الَّتي وجدَها مملوءةً ظُلْمَةً، فلَوْ قُضيَ عليه أنْ يموتَ عِندَ النَّظَرِ إليها مِن

الأسَفِ والحَسْرةِ لَماتَ، غيرَ أنَّه لا موتَ في الآخرةِ. فالعامِلُ فيها بِطاعةِ اللهِ يكونُ فرِحًا مُغتَبِطًا على الدَّوامِ، يزيدُ فرَحُه واغْتِباطُه على ممَرِّ الأيَّامِ. والعامِلُ بمعصيةِ اللهِ يكونُ ترِحًا مغمومًا، لايزالُ يزدادُ ترَحُه وغمُّهُ إلى غيرِ نهايةٍ. فاختَرْ لِنَفْسِك، رحِمَك اللهُ تعالى، مادُمْتَ في دارِ الاختيارِ ماينفَعُها ويرفَعُها، فإنَّك لو قد مُتَّ خرجَ الأمرُ عن اختيارِك، فبادِرْ ولا تُسَوِّفْ، فإنَّ التَّسْويفَ شرٌّ، والإنسانَ متعرِّضٌ لآفاتٍ وشواغِلَ كثيرةٍ. قال ﷺ: [اِغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ].

قال عليه الصَّلاةُ والسلامُ: [بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ قَبْلَ أَنْ تَشْغَلُوا، وَصِلُوا الَّذِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ بِكَثْرَةِ ذِكْرِكُمْ لَهُ]. قال عليه الصَّلاةُ والسلامُ: [نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: اَلصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ]. ﴿قُلْتُ﴾ المَغبونُ فيهِما مَن أُوتِيَهما فعاشَ صحيحًا فارِغًا، يُنْفِقُ صِحَّتَه وفراغَه في الغَفَلاتِ والبَطالاتِ، أو في مُعاناتِ الأشغالِ الدُّنْيويَّاتِ المُلْهِيات عن ذكرِ اللهِ تعالى، وعن الأعمالِ الصالحاتِ. وإنَّما سيَتَبيَّنُ له أنَّه مغبونٌ بعدَ الموتِ حين يُغابَنُ عمَّا فاتَه مِن الدَّرجاتِ العُلَى الَّتي لو أنْفقَ فيها صِحَّتَه وفراغَه لَنالَها.

قال عليٌّ، رضي اللهُ عنه: النَّاسُ نِيامٌ فإذا ماتُوا انْتبَهُوا. قال اللهُ تعالى: [يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الجَمْعِ ذٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ]. وقال عليه الصَّلاةُ والسلامُ: [لَيْسَ يَتَحَسَّرُ أَهْلُ الجَنَّةِ إِلَّا عَلَى سَاعَةٍ مَرَّتْ بِهِمْ لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ تَعَالَى فِيهَا]، وذلِكَ إذا رأَوُا الفائِتَ بِسببِ الغَفْلةِ في تِلك السَّاعةِ مِن القُرْبِ والنَّعيمِ.

فأمَّا مَن يُنفِقُ صِحَّتَه وفراغَه في معاصِي اللهِ ومَساخِطِه، فهو خاسِرٌ مَمْقوتٌ، وليسَ بمَغْبونٍ، إنَّما المَغْبونُ مَن يُنفِقُهما في البَطالاتِ والمُباحاتِ. وقد يكونُ معنَى الغَبْنِ في الصِحَّةِ والفراغِ أنْ لايُعْطاهُما الإنسانُ، فيُبْتلى بالأمراضِ والضُّعفِ، وكثرةِ الأشغالِ، فلا يتَمكَّنُ بِسببِ ذلك مِن الأعمالِ الَّتي يتمكَّنُ منها الأَصِحَّاءُ الفارِغُون، وافهَمْ هاهُنا

قولَه تعالى: [فَضَّلَ اللهُ المُجَاهِدِينَ عَلَى القَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا]. وقولَه عليه الصَّلاةُ والسلامُ: [اَلْمُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ].

اِحرِصْ على ماينفعُك واستعِنْ باللهِ ولا تَعْجزْ، فإنْ غلبَك أمرٌ، فقُلْ «قدَّرَ اللهُ وما شاءَ فعَلَ». وإيَّاكَ و«لَوْ» فإنَّ لَوْ تفتحُ عمَلَ الشَّيطانِ.

﴿قلتُ﴾ لأنَّ «لَوْ» لايقولُها في الأكثرِ إلَّا عاجِزٌ كسلانُ، يُفَوِّتُ الأمورَ الحسَنَةَ عند التمكُّنِ منها مِن عجزِه وكسَلِه، أو مُعتمِدٌ على حولِه وقُوَّتِه، وسعيِه وحيلَتِه، يحسبُ أنه يَنْجو بِاحْتِرازِه وحِرْصِه عمَّا قضى اللهُ تعالى عَليه. وقد قالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: [لَا يُغْنِي حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ]. فتأمَّلْ ذلك، وأَمْعِنِ النَّظَرَ فيه، فإنَّه معنًى جَليلٌ تحتَهُ عِلْمٌ كثيرٌ، وإلى اللهِ عاقِبةُ الأمُورِ.

وأمَّا أماني المغفرةِ ودخولِ الجنَّةِ مِن غيرِ سعيٍ لها بِفِعْلِ المأموراتِ، والمُسارعةِ في الخيراتِ، مع تركِ المحظوراتِ، ومُجانبةِ السيِّئاتِ، فهو حُمْقٌ وغُرورٌ، وموالاةٌ لِلشَّيطانِ، لعنَه الله، بِقَبولِ تَزْويرِه وتلبيسِه، وترويجِهِ الشرَّ في مَعرضِ الخيرِ. [وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللهِ، فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا. يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إلَّا غُرُورًا]. فمَن ظنَّ أنَّه يُذْنِبُ، ثم يتوبُ إلى اللهِ تعالى توبةً صحيحةً، وأنَّه سبحانه وتعالى يغفِرُ له، وكذلِك يتكاسَلُ عن الطَّاعاتِ، ويتشاغَلُ عنها بِأمورِ الدُّنيا، ويَتوَهَّمُ مع ذلك أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى يُكرِمُه ويَرفَعُه في درجاتِ الجنَّةِ مع المُحسِنين - فهو المُتَمَنِّي المَغرورُ، العاجِزُ الأَحْمَقُ، وذلِك لِأنَّ اللهَ تعالى يقولُ له قوَله: [وَلِلهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ، لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا، وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالحُسْنَى] ثم وصَفَ الَّذين أحسَنوا بِقولِه: [اَلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ، إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ المَغْفِرَةِ]. واللَّمَمُ: الصَّغائِرُ من الذُّنوبِ الَّتي لايكادُ العبدُ يَخْلو عنها. وقال تعالى: [أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ، أَمْ نَجْعَلُ المُتَّقِينَ كَالفُجَّارِ]، أيْ لانجعلُهم سواءً عندَنا، لا في الدُّنيا ولا في الآخرةِ، كما قال تعالى: [أَمْ

حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ، سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ]. فأَبْطَلَ حِسابَهم وتوهُّمَهُم، وذمَّ حُكمَهم بِذلك، أَعْني التَّسْوِيَةَ بينَهم، وبينَ أهلِ الحسناتِ عندَ ربِّهِمْ.

وقد وصفَ اللهُ ملائِكَتَهُ وأنبياءَهُ، عليهِمُ السلامُ، وعبادَهُ المؤمنين، في كتابِه بالأعمالِ الصَّالحةِ، وبالمُلازمةِ لها، والمُسارعَةِ فيها، مع الخوفِ والخَشْيَةِ، والإِشْفاقِ والزَّجْرِ. قال تعالى في وَصْفِ الملائكةِ: [بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ. لاَيَسْبِقُونَهُ بِالقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ. يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ]. وقال تعالى في الأنبياءِ: [أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ، إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا]. وقال أيضا فيهم: [إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ]. وقال تعالى في المؤمنين: [وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهْرُونَ الفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ]. وقال تعالى فيهم: [إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لاَ يُشْرِكُونَ. وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ. أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ].

ولَمَّا سأَلَتْ عائشةُ، رضي اللهُ عنها، رسولَ اللهِ ﷺ عن قولِه تعالى: [وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ . .]، أَهُوَ أَنَّ الرَّجُلَ يَزني ويَسرِق، ثم يخافُ؟ قال: لا، بلْ هو الرَّجلُ يُصَلِّي ويصومُ ويتصَدَّقُ ويخافُ أنْ لايُتقَبَّلَ منه . . . الحديث.

ولَمَّا وصفَ اللهُ بعضَ أعدائِه وصفَهُم بِالغُرورِ والتمَنّي، فقال عن واحدٍ منهم: [وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا]، يعني مِن جَنَّتِه الَّتي أُعْجِبَ بها، ونسيَ نِعمَةَ اللهِ تعالى عليه، وتكبَّرَ وافْتَخَرَ على مَن هو خيرٌ منه مِن عبادِ اللهِ تعالى.

فانظُرْ ذلك في جُملةِ القصَّةِ الَّتي حكاها اللهُ عنه وعن العبدِ الصَّالحِ في قولِه:

[وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ . . . . . إلى آخرها]. وقال تعالى عن آخرَ مِن الأعداءِ المَغرورِين: [لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا]، يعني في الآخرةِ. فكذَّبه اللهُ وتوعَّده بالعذابِ، وأَنْزلَه به. وقال عن آخرَ: [وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي أَنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى]. فانظُرْ الآن، رحِمَك الله، بأيِّ وَصْفٍ وصفَ اللهُ أحبابَه وأولياءَه وأعداءَه، فَبِأَيِّ الفريقَيْنِ اقْتَدَيْتَ وتشَبَّهْتَ كنتَ معهم، فإنَّ مَن تشبَّهَ بِقومٍ فهُوَ منهم، كما وردَ.

وقد تبيَّنَ لك عن ملائكةِ اللهِ وأنبيائِه وعبادِه الصَّالحِين، أنَّهم كانوا مُلازِمِين لِصالحِ العمَلِ، ومُجانِبين لِلسَّيِّئاتِ والزَّلَلِ مع الخوفِ من اللهِ والوجَلِ، وأنَّ الأعداءَ كانوا على الضِّدِّ مِن ذلك مِن العِصْيانِ وتركِ الإحسانِ مع الغرورِ والأَمْنِ مِن مَكْرِ الله، والتمنِّي على الله. فاختَرْ لِنفسِك صُحْبَةَ خيرِ الفريقَيْن، وتشبَّهْ بهم في الأعمالِ والأوصافِ تكُنْ معهم إنْ شاء اللهُ تعالى.

واعلَمْ أنَّ أمانيَ المغفِرَةِ مع الكسَلِ والبطالَةِ مِن أضرِّ شيءٍ على الإنسانِ. وقد فشَتْ على أَلْسُنِ المُخَلِّطين مِن أهلِ هذا الزمانِ، ولذلك طوَّلْنا الكلامَ فيها رجاءَ أنْ ينفعَ اللهُ به مَن وَقَفَ عليه مِنهم، فيَتنبَّهَ مِن غفلتِه، ويَستيقِظَ مِن رَقْدتِه عند مايعلَمُ أنَّ أهلَ النبوة وأهلَ الصَّلاحِ، كانوا في نِهايةِ الخوفِ مِن اللهِ تعالى، حتَّى كان نبيُّنا ﷺ يقولُ «لَوْ أَخذَني اللهُ أنَا وابنُ مريمَ بِما جنَتْ هاتانِ، يعني السَّبَّابَةَ والإِبْهامَ، لَعَذَّبَنا، ثم لم يظلِمْنا شيئًا».

ولا شكَّ أنَّ الأنبياءَ والأولياءَ أعرَفُ باللهِ وبِكرَمِه العظيمِ، ورحمَتِه الواسعةِ من غيرِهم، فلم يبْقَ إلَّا أنَّ أهلَ التَّخْليطِ والتَّفْريطِ أولَى بِالخَوْفِ مِن كلِّ وجهٍ وعلى كلِّ حالٍ.

واعلَمْ أنَّ المُتمنِّيَ المغرورَ مقطوعُ الحجَّةِ بأَيْسَرِ مؤُنَةٍ، فإذا قال «إنَّ اللهَ لاتضُرُّه الذُّنوبُ ولا تنفعُه الطَّاعةُ، وهو غنيٌّ عنِّي وعن عملي!» فقُلْ له: ولكِنَّ الذُّنوبَ تضُرُّك والطَّاعةَ تنفعُك، وأنتَ فقيرٌ إلى العملِ الصَّالحِ! ثمَّ قُلْ له أيضا: أُقْعُدْ عن الكسبِ

والحركةِ والسَّعيِ للمعاشِ، فإنَّ اللهَ تعالى قد ضمِنَ لكَ بالرِّزْقِ، وخزائِنُ السمٰواتِ والأرضِ في قَبْضتِه! فسوف يقولُ: صدَقْتَ، ولكنْ لابُدَّ من السعيِ والحركةِ! وقَلَّما رأَيْنا شيئًا يحصُلُ بِدُونِ ذلك. فقُلْ له: الدُّنيَا الَّتي أمرَكَ اللهُ بتركِها، ونَهاكَ عن الرَّغبةِ فيها، وضمِنَ لكَ قدْرَ الكفايةِ منها لاتحصُلُ إلَّا بالسعيِ والطَّلبِ، والآخرةُ الَّتي رغَّبَك اللهُ فيها، وأمرَكَ بِطلبِها، وأَخْبرَ في كتابِه على لسانِ نبيِّه، بأنَّكَ لا تَنجو فيها مِن عذابِه، وتَفوزُ بثوابِه حتَّى تسعى لها، وتَجتهِدَ في طلبِها، نَراكَ مُضَيِّعًا لها، وغيرَ مُكترِثٍ بها، فما أنتَ إلَّا شاكٌّ مُرتابٌ، أو أحمَقُ مغرورٌ، قد عكَسْتَ الأمرَ، ووضعْتَ الأشياءَ في غيرِ مواضِعِها، فبأيِّ حُجَّةٍ، وبأيِّ وجهٍ تلقى اللهَ وتلقى رسولَه الَّذي أرسلَه إليكَ يَدعوكَ من الدنيا إلى الآخرةِ. فعندَ ذلك تنقَطِعُ حُجَّتُه ولا يدري مايقولُ.

واعلَمْ، رحِمَك اللهُ يقينًا، أنَّه كلَّما كان الإيمانُ أقوى، والعملُ أصلَحَ، كان الخوفُ أكثرَ، وكلَّما كان الإيمانُ أضعفَ، والعملُ أسوأَ، كان الخوفُ أقلَّ، والأمنُ والاغْترارُ أغلَبَ. فاعْتبِرْ ذلك في نفْسِكَ وغيرِك تجِدْهُ بيِّنًا.

وعلى الجملةِ، فإنَّ المؤمنَ الصادقَ هو الذي يعملُ بِالصالحاتِ ويُخْلِصُ فيها، ويرجو القبولَ والثَّوابَ عليها مِن فضلِ اللهِ تعالى، ويُجانِبُ السَّيِّئاتِ، ويَبعُدُ عنها، ويخافُ أن يُبْتلى بها، ويخشى العقابَ على ماعمِلَه منها، ويرجو المغفرَةَ مِن اللهِ تعالى بعدَ التَّوبةِ والإنابةِ إلى الله. فمَن كان مِن المؤمنين على غيرِ هذه الأوصافِ، فهو من المُخَلِّطِين، وأمرُه في غايةِ الخطَرِ، فَافهَمْ هٰذه الجملةَ، وطالِبْ نفسَكَ بالعملِ تَنْجُ وتَفُزْ إن شاء اللهُ تعالى.

واعْلَمْ أنَّ عُنوانَ السَّعادةِ أنْ يُوفِّقَ اللهُ العبدَ بِالعملِ الصَّالحِ في حياتِه ويُيَسِّرَه له، وعنوانَ الشَّقاوةِ أنْ يُعَسَّرَ لِلعملِ الصَّالحِ ويُبتلَى بِالعملِ السُّوءِ. قال ﷺ: [اِعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ. مَنْ خُلِقَ لِلْجَنَّةِ يُسِّرَ لِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ خُلِقَ لِلنَّارِ يُسِّرَ لِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ]. ولَمَّا قبضَ اللهُ القَبْضَتَيْنِ، قال لِقَبْضَةِ السُّعداءِ: هؤلاء لِلجنَّةِ

وبِعَملِ أهلِ الجنَّةِ يَعملونَ. وقال لِقَبْضةِ الأَشْقِياءِ: هٰؤلاء لِلنَّارِ وبِعَملِ أهلِ النَّارِ يَعملونَ.

ثم اعلَمْ أنَّ المؤمنَ البصيرَ بِالدِّينِ، الراسِخَ في العلمِ واليقينِ، هو الَّذي يُحْسِنُ العملَ لِلهِ تعالى، ويجتهِدُ في ذلك بِكُلِّيتِه، ويعتمدُ على اللهِ وعلى فضلِه، ولا يعتمِدْ على عملِه وإحسانِه، وعلى هذا الوَصْفِ مضى الأنبياءُ والعلماءُ وصالِحُ السلَفِ والخلَفِ عليهم السلامُ والرَّحْمةُ والرِّضْوانُ. وإلى ذلك أَشارَ ﷺ بقولِهِ: [لَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ أَحَدٌ بِعَمَلِهِ. قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ، يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: وَلاَ أَنَا، إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَني اللهُ بِرَحْمَتِهِ].

ثم كان ﷺ يَجتهِدُ في الأعمالِ الصَّالِحةِ إلى الغايةِ والنِّهايةِ حتى تورَّمَتْ قدَماهُ مِن طُول القيامِ بِاللَّيلِ. وأمَّا الَّذي يجتهِدُ في الأعمالِ ويعتمِدُ عليها، فهو مُعْجَبٌ بِنفْسِهِ على ربِّه، وربَّما يُبْتَلى لِيَتَبيَّنَّ له عجزُه وعدمُ صلاحيَّتِه لشيءٍ مِن الصَّالحاتِ لولا فضلُ اللهِ ورحمتُه. كما قال اللهُ تعالى: [وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا، وَلٰكِنَّ اللهَ يُزَكِّى مَنْ يَشَاءُ، وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ].

وكما بلَغنا أنَّ عابِدًا عبَدَ اللهَ خمسَمِائةِ سنَةٍ، فإذا كان يومُ القيامةِ يقولُ اللهُ تعالى له: يا عبدِي! أُدخلِ الجنَّةِ بِرحمتي! فيقولُ: لا يارَبِّ، بل بِعملِي. فيأْمُرُ اللهُ به، فيُحاسَبُ على نعمةِ البصرِ، فيَسْتَغْرِقُ جميعَ عباداتِه، وتَبقى عنده نِعَمٌ لِلهِ كثيرةٌ، فيُؤْمَرُ به إلى النارِ. فيقولُ: يارَبِّ، أَدْخِلني الجَنَّةَ بِرحمتِك، فيأْمُرُ اللهُ به إليها، ويُثْني عليه ويمدَحُه جلَّ وعلا.

فقد ظهرَ أنَّه لابُدَّ مِن أمرَيْنِ: أحدُهما إِصْلاحُ العملِ، والثاني الِاعْتمادُ على اللهِ دونه. وما أحسنَ ماقاله الشيخُ محيي الدين عبدُالقادر الجيلاني، رضي اللهُ عنه، حيثُ يقولُ: بِكَ لانَصِلُ، ولابدَّ مِنك! يعني إنَّك لاتصِلُ بِالعملِ دونَ فَضْلِ الله، ولابدَّ مِن العملِ امْتثالاً لِأَمرِ اللهِ تعالى.

وقال الشيخُ سعيد الخرَّاز، رضِي اللهُ عنه: مَن ظنَّ أنَّه بِالعملِ يصِلُ، فهو مُتَعَنٍّ،

ومَن ظنَّ أنَّه بِدونِ العملِ يصِلُ، فهو مُتَمَنٍّ، يعني يصِلُ إلى اللهِ تعالى. والمُتَمنِّي هو الذي لايعملُ ويزعُمُ أنَّه مُتَّكِلٌ على فضلِ اللهِ تعالى، وذلك غرورٌ، فإنَّه لايصِحُّ مِنه الاتِّكالُ على اللهِ وعلى فضلِه، إلَّا مع العملِ الصَّالحِ، كما تقدَّم.

وقال الحسنُ البصريُّ، رضِي اللهُ عنه: إنَّ أمانيَ المغفرةِ قد لعِبَتْ بأَقْوامٍ حتى خرجوا مِن الدُّنيا مفاليسَ، أي مِن الأعمالِ الصَّالحةِ. وقال أيضا: إنَّ المؤمنَ جمعَ إحْسانًا وخوفًا، وإنَّ المُنافِقَ جمعَ إساءَةً وأَمنًا. ﴿قلتُ﴾ وذٰلك عجيبٌ جِدًّا، لأنَّ خوفَ صاحبِ الإساءةِ أَلْيَقُ لِتعرُّضِهِ بإِساءتِه لِسَطَواتِ الله. وإنَّما أَمِنَ مع الإساءةِ لِانْتِكاسِ قلبِه، وعمَى عينِ بصيرتِه، ولكنْ [مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ المُهْتَدِي، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا].

اللَّهُمَّ اهْدِنَا، وَكُنْ لَنَا يَارَبَّنَا وَلِيًّا مُرْشِدًا إِلَى مَا تُحِبُّهُ مِنَّا وَتَرْضَى بِهِ عَنَّا. فَقَدْ فَوَّضْنَا إِلَيْكَ أَمْرَنَا، وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ، وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ، آمِين آمِين.

﴿الذكرُ الثالثَ عشر﴾

قولُ صاحبِ الراتبِ، نفع اللهُ به، «يَا قَوِيُّ يَا مَتِين، اِكْفِ شَرَّ الظَّالِمِين»، قال في الشَّرحِ: فهذانِ اسْمانِ أيضًا مِن أسماءِ اللهِ تعالى الحُسنى الَّتي أَمَرَ اللهُ عبادَه المؤمِنين أنْ يدعُوهُ بها في قولِه تعالى: [وَلِلهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى، فَادْعُوهُ بِهَا]. ولِخاصِيَّةِ هذين الِاسمَيْنِ الجليلَيْنِ ومُناسبَتِهما للاِستعاذةِ، طلبَ منه سُبحانه وتعالى كِفايةَ شرِّ الظَّالِمين، كما ناسبَ طلَبَ الوفاةِ على الإسلامِ عند نِدائِه بِـ«يَا ذاالجلالِ والإِكْرام» تعرِفْ بذلك غَوْصَ سيدِنا، نفَع اللهُ به، ورضيَ عنه، على جواهرِ المعارفِ، وتبَحُّرِه في أسرارِ اللَّطائفِ. وقد أمرَ اللهُ عزَّ وجلَّ نبِيَّه ﷺ بالاستعاذةِ في قولِه تعالى: [قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ. مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ].

وورد أنَّه ﷺ اسْتعاذَ مِن شَرِّ كُلِّ دابَّةٍ، ومِن غلَبَةِ الدَّيْنِ وقَهْرِ الرِّجالِ، ومِن شماتَةِ الأعداءِ، ومِن شرِّ كلِّ ذِي شرٍّ، ومِن غضَبِ اللهِ وعِقابِه، ومِن شرِّ عبادِه . . . إلى غيرِ ذلك ممَّا لايُحْصى. وقد قال تعالى: [لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ].

﴿قلتُ﴾ فتفَهَّمْ إليها أَيُّها الناظرُ في قولِه رضي اللهُ عنه «اِكفِ شرَّ الظَّالِمين»، وفي قولِه الآتي «صَرَفَ اللهُ شرَّ المُوذِين»، فإنَّ في هاتَيْنِ الدَّعْوتَيْنِ نفعًا لِلدَّاعي، بأنْ يكفِيَه شرَّ الظَّالِمين، وفي دُعائِه ذلك نفعَ اللهُ به نَفْعٌ لِلمسلِمين كُلِّهِم، بِأن يكفِيَهم شرَّ الموذِين والظَّالمين، لأنَّ دُعاءَه عامٌّ. وأيضًا ففيه نفعٌ لِلظَّالِمين والمُوذِين بأنْ يُسَلِّمَهم من العقابِ، وأَليمِ الخِزْيِ والنَّكالِ، لأنَّ دِيارَ أهلِ الظُّلمِ بَلْقَع. [وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وإِثْمًا مُبِينًا]. أنزَلها اللهُ فيهم، وهدَّدَهم بِعقابِه في الحياةِ وبعدَ المماتِ، بأنْ أَبعدَهُم مِن حَضرتِه ورحمتِه في الدُّنيا والآخرةِ. ولكنَّ مِن

خُصوصِيَّاتِ هذه الأمَّةِ أنَّ مَن عمِلَ سيِّئَةً يُجزَى بمثلِها، ومَن لم يعمَلْ لم يُكْتَبْ عليه شيءٌ. وإذا كَفى اللهُ شرَّهُم وأَذاهُم أَنْعَمَ عليهِمْ، لأنَّ مِن العِصْمةِ أنْ لاتَقدِرَ. ولم يقُلْ سيدُنا في راتبِه «أَهْلِكِ الظَّالِمين!» لأنَّه بَرٌّ رحيمٌ بِالخلائِقِ كلِّهم. اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَايَعْلَمُونَ!.

قال الإمامُ القاشاني، نفع اللهُ به، في شرحِه على أسماءِ اللهِ الحُسنى: وأمَّا اسمُه «القَوِيُّ» فهو الَّذي حملَ على الأكوانِ أعباءَ تجلِّياتِه، وإلَّا لَعُدِمَ العالَمُ الكونيُّ بِأَسْرِه لِشِدَّةِ ظُهورِه. فهو الَّذي يُطيق ظهورَه، فيَظهرُ لنفسِه، كما هو عليه، ولا يُطيقُ ذلك غيرُه، جلَّ وعلا. وهذا الاِسم مِن أسماءِ الصِّفاتِ، وصِفتُه هي القُوَّةُ، وهو عبارةٌ عن تجلٍّ إلٰهِيٍّ حفِظَ بذلك التجَلِّي أعيانَ المُمكناتِ في مراتِبِها من التغَيُّرِ والتحَوُّلِ والتبديلِ والزوالِ.

واعلَمْ أنَّ القوَّةَ الإلٰهيَّةَ هي الظاهرةُ في الأكوانِ الفاعلةِ والمفعولةِ، وظهورُها في الأكوانِ الفاعلةِ بملابسِ العناصرِ الأربعةِ الَّتي هي النَّارُ والهواءُ والماءُ والتُّرابُ. فكُلُّ فعلٍ ينفعِلُ في العالَمِ بِواسطةِ هذه العناصِرِ الأربعةِ، إنَّما هو بِالقوَّةِ الإلٰهيَّةِ المُتَسَتِّرةِ في هذه الأركانِ. وظهورُها في الأكوانِ المفعولةِ بملابسِ الأمورِ المخلوقةِ بِواسطةِ هـذه الأركانِ الأربعةِ من الإنْسِ والجنِّ والحيوانِ والجمادِ. فكلُّ فعلٍ يصدُرُ مِن هذه الأشياءِ الموجودةِ من العناصرِ، إنَّما هو بالقوَّةِ الإلٰهيَّةِ المُتَستِّرة بهذه الملابسِ الكَوْنيَّةِ. فكلُّ فاعِلٍ فعلًا، إنَّما يفعلُه بِقُوَّةِ اللهِ تعالى، وإلى ذلك الإشارةُ بقولِه «لَا حوْلَ ولا قوَّةَ إلَّا باللهِ العليِّ العظِيم».

واعلَمْ أنَّ القوَّةَ الإلٰهيَّةَ لاتظهرُ في كلِّ شيءٍ إلَّا على قدْرِ قابليَّتِه، فتظهرُ في الصغيرِ على قدْرِه، وفي الكبيرِ على قدْرِه، وفي الإنسانِ على قدْرِه. هذا إذا عرَفَ الإنسانُ نفسَهُ بأُلُوهيَّتِه، أي عرفَ نفسَه بِربِّه. وأمَّا إذا عرفَ نفسَه بالحيوانيَّةِ والناطِقيَّةِ، فإنَّما تظهرُ فيه على قدْرِ الحيوانِيَّةِ والناطِقيَّةِ. فاعرِفْ نفسَك، واعرِفْه به، تكُنْ عارِفًا، ولا تعرِفْه بنفسِك تكُنْ جاهِلًا، واللهُ المُوَفِّق.

وأمَّا اسمُه «المَتِينُ» فهو الَّذي لاينقطِعُ كمالُه، ولايَتناهى جمالُه، ولا ينفَدُ مُلكُه الَّذي هو مظهرُه وجمالُه، فلا تُحيطُ به معرفةٌ، ولا تُكَيِّفُه عبارةٌ. وكلُّ تجلٍّ ظهرَ به على الكونِ، فإنَّما هو حجابٌ عليه، والكونُ يزعُمُ أنَّه عرَفَه بذلك التجَلِّي، وهو سبحانه وتعالى منزَّهٌ عن عُرْفِ الكونِ له. ولَمَّا تحقَّقَ الكُمَّلُ بهذا المقامِ، قالوا بالعَجْزِ عن الإدراكِ، وبه قال سيدُ الأوَّلين والآخِرين كِنايةً عن قولِه «لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»، وإليه الإشارةُ بقولِه ﷺ: [إِنَّ حَبْلَ هٰذَا الدِّينِ مَتِينٌ ... الحديث].

وهذا الاِسمُ عند المحَقِّقينَ مِن أسماءِ الصِّفاتِ، وعند العارِفين مِن أسماءِ الأفعالِ وصفتُه المثابةُ الإلٰهيَّةِ. فمِن حيثُ كونُه مِن أسماءِ الصِّفاتِ تكونُ المَثابَةُ الألٰهيَّةُ عبارةً عن عدمِ الغايةِ لِلكُنْهِ الإلٰهِيِّ الَّذي لايُحاطُ به. فلو ظهرَ لِعبدِه بما ظهرَ، فله وراءَ ذٰلك ما لا نِهايةَ له. ولَوْ ظهرَ لِعبدِه بما لا نِهايةَ له، فإنَّ الكُنهَ الإلٰهيَّ من وراءِ ذٰلك. ولو ظهرَ لِعبدِه بالكُنْهِ الإلٰهيِّ كان علمُه تعالى بكُنْهِه مِن وراءِ علمِ العبدِ بالكُنْهِ. وهذا أعلى الدَّرجاتِ، وما وراءَ ذٰلك لايُمكِنُ حصولُه لِمُعَيَّنٍ، وهذا كلامٌ لايَفهمُه إلَّا القُرَباءُ الكُمَّلُ الأُدَباءُ، واللهُ أعلَم.

وأمَّا من حيثُ كونُه مِن أسماءِ الأفعالِ، فالمثابةُ الإلٰهيَّةُ عبارةٌ عن عدمِ لُحوقِ العجزِ به سبحانه وتعالى بِحالٍ من الأحوالِ، فافهَمْ - انتهى والحمدُ للهِ ربِّ العالَمين.

﴿الذكرُ الرابعَ عشر﴾

قولُ صاحبِ الراتبِ، نفع اللهُ به، «أَصْلَحَ اللهُ أُمُورَ المُسْلِمِين، صَرَفَ اللهُ شَرَّ المُوذِين» - (ثلاثًا).

قال في الشَّرحِ: فهو دُعاءٌ عامٌّ لِعامٍّ، مندوبٌ إليه، ومأمورٌ به، ويكفيكَ في فضلِه والاهتمامِ به أنَّه يُتلى على المنابرِ في كلِّ جُمُعةٍ «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ مَنْ في صَلاَحِهِ صَلاَحُ المُسْلِمِينَ، وَأَهْلِكْ مَنْ في هَلاَكِهِ صَلاَحُ المُسْمِلينَ. اللَّهُمَّ أَصْلِحْ أُمُورَ المُسْلِمِينَ! . . . إلى غيرِ ذلك مِن الأَدْعِيةِ العامَّةِ.

وقد عُدَّ الدُّعاءُ لِلمؤمنينَ والمؤمنات شرطًا مِن شروطِ الخُطْبَةِ الَّتي لاتصحُّ الجُمُعةُ بِدونِها. وقد صحَّ عن رسولِ اللهِ ﷺ: [أَنَّ أَسْرَعَ الدُّعَاءِ إِجَابَةً دُعَاءُ غَائِبٍ لِغَائِبٍ]، رواه أبو داودَ والترمذيُّ والبيهقِيُّ. قال اللهُ تعالى: [وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ]. وقال تعالى: [وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ، وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا، رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ].

وفي الحديثِ الصحيحِ: [دَعْوَةُ المَرْءِ المُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ، كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ قَالَ المَلَكُ آمِين وَلَكَ مِثْلُهُ]. أخرجه مسلمٌ في صحيحِه والبيهقِيُّ في كتابِ الدعوات. وقال سيدُنا في شرحِ قولِه «وَاصْلِحِ الكُلَّ وَاهْدِنَا . . . . إلى آخرِ الأبيات. فالصَّلاحُ أيضًا مِن أجمعِ الدَّعواتِ - انتهى.

وقال سيدُنا فيما نقلَ عنه صاحبُ [غاية القصد والمراد]: إذا رضيَ سُبحانه أصلحَ، وبِصلاحه لعبدِه يحصلُ له، ومنه، وبه، جميعُ المطالبِ الدنيويَّةِ والأخرويَّةِ، ويصيرُ مخدومًا منها، وَمُطَاعًا فيهما، ولِلهِ الحمدُ والفضلُ والمنَّةُ، سبحانه وتعالى.

وقال في نصائحِه: وأمَّا الرِّقَّةُ على المؤمِنين، فأَنْ يكونَ رحيمًا بِهِمْ مُشْفِقًا عليهِمْ، وذلك مِن أَشْرفِ الأخلاقِ، وأفضلِ الخِصالِ، وبه وَصَفَ اللهُ رسولَه، فقال: [لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ]. وقال رسولُ اللهِ ﷺ: [اَلرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمٰنُ، وَمَنْ لَايَرْحَمْ لَايُرْحَمْ]. وقال أيضًا: [إِنَّ بُدَلَاءَ أُمَّتِي لَايَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِكَثْرَةِ صَلَاةٍ وَلَا صِيَامٍ، بَلْ بِسَلَامَةِ الصُّدُورِ، وَسَخَاوَةِ النُّفُوسِ، وَالرَّحْمَةِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ]. ﴿قلتُ﴾ ولا يُفهَمُ مِن هٰذا أنَّ الأَبدالَ لَيسوا بِمُكْثِرينَ مِن الصَّلاةِ والصِّيامِ، بل كانوا مُكْثِرينَ مِنها ومِن غيرِهِما مِن الأعمالِ الصَّالِحة، ولكنَّ هٰذهِ الأوصافَ الَّتي وَصَفَهم بها النبيُّ قدَّمَتْهم إلى اللهِ وقرَّبَتْهم إليه لِفضلِها وشرَفِها أكثرَ مِن غيرِها مِن بقِيَّةِ أعمالِهم الصَّالِحةِ، لأنَّها مِن أعمالِ القلوبِ وأَوْصافِ السَّرائِرِ، فافهَمْ.

واعلَمْ أنَّها لاتُوزَنُ أعمالُ القلوبِ بأعمالِ الجَوارحِ زِيادةً إلَّا ورجَحَتْ أعمالُ القلوبِ كثْرَةً. ومِن هٰذه الحَيْثِيَّةِ فَضَلَ أهلُ التَّصوُّفِ المُعْتَنونَ بِتَزْكِيَةِ القلوبِ، والمُهْتَمُّون بما يَخُصُّها مِن الأوصافِ والأعمالِ الصَّالِحةِ غيرَهم مِن طوائفِ المسلِمين مِن العُبَّادِ والعلماءِ الَّذينَ ليس لَهُم مِن العِنايةِ بِأَمرِ الباطنِ ما لأهلِ التَّصوُّفِ، والفضلُ بِيَدِ اللهِ يُؤْتيهِ مَن يشاءُ، واللهُ واسِعٌ عليمٌ.

والرَّحْمةُ بالمسلمين أمرٌ واجِبٌ، وحقٌّ لازِمٌ، وهي بِالضُّعفاءِ والمساكينِ وأهلِ البلايا والمصائِبِ أولَى وأَوْجَبُ. ومَن لم يجِدْ في قلبِه عندَ مُشاهدةِ ضُعفاءِ المسلمِين وأهلِ البلاءِ والمصائبِ مِنهم رِقَّةً ورحمةً، فهو غليظُ القلبِ قد غلَبَتْ عليه القَسْوَةُ، ونُزِعَتْ مِنه الرحمةُ. ولا تُنْزَعُ الرَّحمةُ إلَّا مِن شَقِيٍّ، كما قال عليه الصلاةُ والسلامُ، وإنْ وَجَدَ مع ذٰلك أعني هذا القاسيَ تَكَبُّرًا أو أَنَفَةً أو اسْتِنْكافًا مِن مُخالطةِ أهلِ الضُّعْفِ والمسكنةِ مِن المسلمين، فسُحْقًا له وبُعْدًا أو مَقْتًا مِن اللهِ قد حَلَّ به واسْتَوْجَبَ الطَّردَ عن بابِ اللهِ تعالى، والكونَ في جُملةِ المُتَكبِّرين المُنازِعين لِلهِ تعالى.

وقد قال عليه الصلاةُ والسلامُ: [لَايَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ]. ثم قال رضي اللهُ عنه، ونفعَ به، عند ذكرِهِ المُهْلِكاتِ: ومِن المُهْلِكَاتِ الحسَدُ لِلمسلِمين، ومحبَّةُ الشّرِ لِأحدٍ مِنهم، وإضمارُ العداوةِ، والغِشُّ والحِقْدُ لهم، وقِلَّةُ الرحمةِ بهم والشفقةِ عليهم، وسوءُ الظنّ بهم، فكلُّ ذلك مِن الصِّفاتِ المُهلِكاتِ.

أمَّا الحسدُ، فحَسْبُك ذمًّا وقُبْحًا أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى أمرَ رسولَه بِالاستِعاذَةِ مِن شرِّ الحاسِدِ، كما أمرَهُ بِالاستعاذةِ مِن شرِّ الشَّيطانِ، فقال تعالى: [وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ]. قال عليه الصلاةُ والسلامُ: [إِيَّاكُمْ وَالحَسَدَ! فَإِنَّ الحَسَدَ يَأْكُلُ الحَسَنَاتِ، كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الحَطَبَ]. وقال عليه الصلاةُ والسلامُ: [لَا يَجْتَمِعُ فِي جَوْفِ عَبْدٍ الإِيمَانُ وَالحَسَدُ]. وهذا شديدٌ فتأَمَّلْه. وقال عليه الصلاةُ والسلامُ: [لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا . . . . . الحديث]. ومعنى الحسدِ أنْ يجدَ الإنسانُ في صدرِهِ ضِيقًا وحَرَجًا وكراهِيَةً لِنِعْمةٍ أَنعَمَ اللهُ بها على أحدٍ مِن عبادِه في دِينِه أو دُنياهُ حتّى أنَّه لَيُحِبُّ زوالَها عنه. وربَّما تمنَّى ذلك، وإنْ لم تَصِرْ إليه، وذلك مُنتهى الخُبْثِ. فمَن وَجَدَ في نفسِهِ مِن ذلك، أعني هذا الحسدَ لأحدٍ مِن المسلمين، فعليه أن يَكْرَهَه ويُخْفِيَهُ في نفسِه، ولا يُظْهِرَه، ويقولَ ولا أفعَلُ فِعْلَه فيَنْجو بذلك مِن شرِّه.

وفي الحديث: [ثَلَاثٌ لايَخْلُو مِنْهُنَّ أَحَدٌ: اَلْحَسَدُ وَالظَنُّ وَالطِّيَرَةُ، أَفَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِالمَخْرَجِ مِنْ ذٰلِكَ؟ إِذَا حَسَدْتَ فَلَا تَبْغِ، وَإِذَا ظَنَنْتَ فَلَا تُحَقِّقْ، وَإِذَا تَطَيَّرْتَ فَامْضِ!]، أي لاترجِعْ بِسببِ الطِّيَرَةِ عن الأمرِ الَّذي تُريدُه. وإِن عَمِلَ الحاسِدُ على ضِدِّ مايتقاضاهُ الحسدُ من الثناءِ على المحسودِ والسعيِ في إكْرامِه ومُعاونتِه كان له ذلك أفضلَ، وهذا مِن أَنْفَعِ الأدوِيَةِ في إزالةِ الحسدِ أو تَضْعيفِه. ولا بأْسَ بِالغِبْطةِ، وهي أن تَتمنَّى لِنفسِكَ مثلَ النِّعمةِ الَّتي تراها على أخِيك مِن فضلِ الله.

ثم إنْ كان مِن النِّعَمِ الدِّينِيَّةِ، كالعلمِ والعِبادةِ كان محمودًا، وإنْ كان من النِّعَمِ الدُّنيوِيَّةِ، كالمالِ والجاهِ المباحِ كان جائزًا مُباحًا.

وأما حُبُّ الشَّرِ لأحدٍ مِن المسلِمين، وإضْمارُ الغِشِّ والعداوةِ والحِقْدِ، فحَسْبُك زاجِرًا عنها قولُه عليه الصلاةُ والسلامُ: [لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ]. وقال عليه الصلاةُ والسلامُ: [مَنْ غَشَّ المُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ]. وقال عليه الصلاةُ والسلامُ: [إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ، وَلَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ، فَافْعَلْ وَذٰلِكَ مِنْ سُنَّتِي].

وأمَّا قِلَّةُ الرحمةِ بالمسلِمين والشفقةِ عليهم، فذٰلك يدُلُّ على قساوةِ القلبِ والفَظاظةِ والغِلْظةِ، وكلُّ ذلك مذمومٌ وقبيحٌ. وقد قال عليه الصلاةُ والسلامُ: [إِرْحَمْ مَنْ فِي الأَرْضِ، يَرْحَمْكَ مَنْ فِي السَّمَاءِ. اِرْحَمْ تُرْحَمْ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ]. وقال عليه الصَّلاةُ والسلامُ: [لَا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ]. ومَن لم يجِدْ في قلبِهِ رحمةً وشفقةً على جميعِ المسلِمين، سِيَما على أهلِ المصائبِ والبلايا وأهلِ الضَّعْفِ والمَسْكنةِ، فذٰلك لِقَساوةِ قلبه، وضُعْفِ إيمانِه، وبُعْدِه عن ربِّه.

وأمَّا سوءُ الظنِّ بالمسلِمين فمذمومٌ وقبيحٌ. وقد قال عليه الصلاةُ والسلامُ: [خَصْلَتَانِ لَيْسَ فَوْقَهُمَا شَيْءٌ مِنَ الخَيْرِ: حُسْنُ الظَّنِّ بِاللهِ وَحُسْنُ الظَّنِّ بِعِبَادِهِ. وَخَصْلَتَانِ لَيْسَ فَوْقَهُمَا شَيْءٌ مِنَ الشَّرِّ: سُوءُ الظَّنِّ بِاللهِ وَسُوءُ الظَّنِّ بِعِبَادِهِ].

ومعنَى سُوءِ الظَّنِّ بالمسلِمين أنْ تظُنَّ بهم السُّوءَ في أقوالِهم وأفعالِهم الَّتي ظاهِرُها الخيرُ، فتَظُنَّ بهم خلافَ مايُظْهِرون مِن ذلك، هذا غايَتُه. وأيضًا أنْ تُنزِّلَ أفعالَهم وأقوالَهم الَّتي تَحْتَمِلُ الخيرَ والشرَّ على جانبِ الشَّرِ مع إمْكانِ تنزيلِها على جانبِ الخيرِ، فذٰلك من سوءِ الظنِّ أيضًا، ولكنْ دُونَ الأولِ.

وحُسْنُ الظنِّ بالمسلمين خلافُ ذلك كلِّه، فما كان مِن أقوالِهم وأفعالِهم ظاهِرُها الخيرُ حَمَلْتَه على الخيرِ، وظَنَنْتَ فيهم الخيرَ، وما كان مِن الأقوالِ والأفعالِ الَّتي يَحْتَمِلُ الخيرَ وغيرَه، نزَّلْتَه على الخيرِ. فاعمَلْ على ذلك جُهدَك، واسْتَعِنْ بالله، واللهُ وليُّ التَّوفيق - انتهى مِن [النصائح الدينية].

وما أحسَنَ قولَ سيدِنا في البائيَّةِ العظيمةِ، رضي اللهُ عنه ونفع به:

وخالِقِ الناسَ بالخُلُقِ الكريمِ ولا * تَعْتِبْ عـلى أحـدٍ منهُمُ ولا تَعِبِ
وأَنصِفْ ولا تَنْتَصِف منهمُ وناصِحْهُمُ * وقُمْ عليهِم بِحَقِّ اللهِ وانـتَـدِبِ

وقد أتى سيدُنا الشيخُ شهابُ الدين أحمد بن زين الحبشي في شرحِها بالعَجَبِ العُجابِ، سمَّاه أعني الشرحَ سيدُنا الناظمُ، نفع اللهُ به، [الموارد الهنية في شرح الأبيات المنظومة في الوصية]. وقد كان بعضُ مشائخِ الناظمِ من السَّادةِ آل أبي علَوِي تُعْجِبُه هذه القصيدةُ جدًّا. وقد ذكرَ صاحبُ [غاية القصد والمراد] في مناقبِ سيدِنا أنَّه رأى بعضُ الأكابرِ، كأنَّ هذه القصيدةَ بحرٌ مِن نورٍ، وقولُه فيها «يا ربِّ إنَّك مقصودي ومُعتَمَدي . . .» إلى آخر القصيدةِ كالكرسيِ فوق البحرِ المذكور. ورأى بعضُ الأكابرِ عِيانًا عند قراءتِها عندَ كلِّ بيتٍ منها مَددًا يحصُلُ له بِحسَب ذلك البيتِ حتى قال عند قولِ النَّاظمِ، نفع اللهُ به، «ونزِّهِ الصَّدرَ مِن غِشٍّ ومِن حسَدِ . . . . .» إلى آخر البيتِ أَحْسَسْتُ بشيءٍ خرج مِن صدرِي . . . . . إلى آخرِ كلامِه. ولْنأْتِ هنا بالقصيدةِ تبَرُّكًا بها، ورجاءَ أنْ ينفعَ اللهُ بها مَن وقفَ عليها، إذْ هي مِن أمورِ صلاحِ المسلمين. قال نفع اللهُ به، وأعادَ علينا مِن أسرارِه وأنوارِه في الدَّارَيْنِ، آمين. شعر:

وصِيَّتِي لكَ ياذا الفَضْـلِ والأدبِ * إنْ شِئْتَ أنْ تسكُنَ السَّامِي مِن الرُّتَبِ
وتُـدْرِكَ السَّبقَ والغـايـاتِ تبلُغُهـا * مُهَنَّـًا وتنـالَ القـصْـدَ والأَرَبِ
تَقْوَى الإلهِ الَّـذي تُرجى مـراحِمُهُ * الواحدِ الأحـدِ الكشَّافِ لِلكُـرَبِ
اِلْـزَمْ فـرائِضَـهُ واتْـرُكْ محـارِمَـهُ * وَاقْطَعْ ليالِيـكَ والأيَّامَ في القُـرَبِ
وأَشْعِـرِ القلبَ خـوفًـا لايُفـارِقُـهُ * مِنْ ربِّـهِ معـه مِثْـلٌ مِن الـرَّغَبِ
وزيِّنِ القلبَ بِالإخلاصِ مُجتهِـدًا * واعلَمْ بأنَّ الرِّيَا يُلْقِيك في العَطَبِ
ونَقِّ جَيْبَكَ مِن كُلِّ العُيـوبِ ولَا * تَدخُلْ مَداخِلَ أهلِ الفِسْقِ والرِّيَبِ
واحْفَظْ لِسانَكَ مِن طَعْنٍ على أحدٍ * مِن العبادِ ومِن نَقْلٍ ومِن كَـذِبِ

وكُنْ وَقـورًا خَشوعًـا غيرَ مُنْهمِـكٍ * في اللَّهْوِ والضِّحكِ والأفراحِ واللَّعِبِ
ونَزِّهِ الصَّدرَ مِن غِشٍّ ومِن حسَدٍ * وجانِبِ الكِبْرَ يا مِسكينُ والعُجُبِ
وارْضَ التَّـواضُعَ خُلْقًـا إنَّـه خُلُقُ * الأخيارِ فاقْتَدْ بهم تنجُ مِن الوَصَبِ
واحذَرْ وإيَّاكَ مِن قولِ الجَهولِ أنَا * وأَنتَ دُوني في فضـلٍ وفي حَسَبِ
فقـد تـأَخَّرَ أقـوامٌ ومـا قصَـدُوا * نيـلَ المكارِمِ واستَغْنَـوْا بِكَانَ أبي
وخالِفِ النَّفْسَ واسْتَشْعِرْ عـداوتَهَا * وارْفُضْ هـواهَا و مَا تختـارُهُ تُصِبِ
وإنْ دعَتْـكَ إلى حظٍّ بِشَهْـوتِهـا * فاشْرَحْ لها غِبَّ ما فيه مِن التَّعَبِ
وازْهَدْ بِقلبِك في الدارِ الَّتي فَتَنَتْ * طـوائِفًـا فـرَأَوْهَـا غـايَـةَ الـطَّلَبِ
تنـافَسُـوهَـا وأَعْـطَوْهَـا قَـوالِبَهُم * مـع القلوبِ فيـا للهِ مِن عَجَبِ
وهِي الَّتي صغُرَتْ قدْرًا وما وَزَنَتْ * عِند الإلهِ جناحًا فـالحرِيصُ غَبِي
وخُذْ بلاغَك مِن دُنياك واسْـعَ بهِ * سَعْيَ المُجِـدِّ إلى مولاكَ واحْتَسِبِ
واعلَمْ بـأنَّ الَّـذي يَبْتـاعُ عـاجِلَهُ * بـآجِـلٍ مِن نعِيمٍ دائـمٍ يَخِبِ
وإنْ وجَدْتَ فوَاسِ المُعْوزِينَ تَفِضْ * عليكَ مِن ربِّكَ الأرزاقُ فاسْتَجِبِ
وإنْ بُلِيتَ بِفقْرٍ فـارْضَ مكتَفِيًـا * باللهِ ربِّكَ وارْجُ الفضـلَ وارْتَقِبِ
وإنْ تجرَّدْتَ فاعْمَلْ باليقِـينِ وبِالْـ * ـعِلْمِ إذا كُنْتَ موقوفًا مع السَّبَبِ
واتْلُ القُرانَ بِقلبٍ حـاضرٍ وَجِلٍ * على الدَّوامِ ولا تَـذْهَلْ ولا تَغِبِ
فإنَّ فيها الهَـدْيَ والعلمَ فيها معًـا * والنُّورَ والفتحَ أعني الكَشْفَ لِلحُجُبِ
واذْكُـرْ إلهَـكَ ذكْـرًا لاتُفـارِقُـهُ * فإنَّما الـذِّكْرُ كـالسُّلطانِ في القُرَبِ
وقُمْ إذا هَجَـعَ النُّـوَّامُ مجتهِـدًا * وكُـلْ قَوامًـا ولا تغفُلْ عن الأدَبِ
والــوالِـدَانِ لهم حقٌّ يقـومُ بِـهِ * مَنْ يَتَّقِ اللهَ والمـدلُـولَ بـالنَّسَبِ
والجارَ والصَّحْبَ لاتَنسَ حُقوقَهُمُو * واخْـتَرْ مُصاحبَـةَ الأخيَار وانْتَخِبِ
وخالِقِ الناسَ بالخُلُقِ الكريمِ ولا * تَعْتُبْ عَـلى أحـدٍ منهُم ولا تَعِبِ
وانْصِفْ ولا تَنْتَصِفْ منهم وناصِحْهُم * وقُمْ عليهِم بـحقِّ اللهِ وانْـتَـدِبِ

واحذَرْ مُصاحبةَ الأشرارِ والحَمْقَى * والحاسِدينَ ومن يَلْوِي على الشَّغَبِ
وحالِفِ الصَّبرَ واعلَمْ أنَّ أوَّلَهُ * مُرٌّ وآخِرَه كالشُّهْدِ والضَّرَبِ
يارَبِّ إنَّك مقصودِي ومُعْتَمدي * ومُرتَجايَ لِدُنْيايَ ومُنْقَلَبِ
فاغفِرْ وسامِحْ عبيدًا ما له عمَلٌ * بالصَّالِحاتِ وقد أوْعَى مِن الحُوَبِ
لكنَّه تائِبٌ ممَّا جناه وقَدْ * أتاكَ مُعترِفًا يخشى مِن الغضَبِ
فإنْ عفَوْتَ ففَضْلٌ مِنك ياصمَدُ * فجُدْ علَيَّ إلٰهي وأزِلْ رَهَبِ
ثم الصَّلاةُ على الهادِي وعِتْرَتِهِ * محمَّدٍ ما همَى وَدْقٌ مِن السُّحُبِ
وما ترَنَّمَتِ الورقا على فَنَنٍ * وما تمايَلَتِ الأغصانُ في الكُثُبِ

وقد عدَّدَ الإمامُ الغزالي، رضي اللهُ عنه، في [إحياء علوم الدين] في رُبعِ العبادات الخِصالَ الَّتي للمُسلِم، فعليكَ به، فقد جمَع وأوعَى. وقد ذكرَ أيضًا في الإحياء وغيرِه أنَّ رجُلًا لايقدِرُ إلا على دِرْهمَيْنِ، أرادَ أنْ يشترِيَ بهما مِن السُّوقِ ما يَقْتاتُ بهِ، هو وأولادُه وأهلُ بيتِه. فلحِقَ في طريقِه مُسلمَيْنِ يَتخاصمانِ ويَتنازعانِ، يطلُبُ أحدُهما الآخَرَ دِرهمَيْنِ، فأَصْلَحَ بينَهما بِالدِّرهمَيْنِ اللَّذَيْنِ معه، ورَجَع إلى بيتِه، فسَألوه كيفَ كان خبَرُ الدِّرهمَيْنِ، فأخبرَهُم، فجمَعُوا له من أثاثِ البيتِ ماقيمتُهُ دِرهمانِ، فباعَه بِدِرهمَيْنِ، واشترَى بهما سمَكَتَيْنِ. فلمَّا وصلَ بهما إلى بيتِه، وشقَّهُما، فوجَدَ في بَطْنِ كُلِّ سمكَةٍ جوهَرةً كبيرةً بقِيمةٍ عظيمةٍ، فباعَهُما. فلمَّا أتى بالقِيمةِ كذا كذا بَدْرَةً إلى بيتِه، سألَ سائِلٌ على بيتِه، فأعطاه بَدْرتَيْنِ من البدر. فسار السَّائِلُ ثم رجعَ بهما، وقال: إنَّما أنا ملَكٌ، أرادَ اللهُ أن يَختبِرَكَ بِي، وهذا الَّذي أُعْطِيتَهُ سَهْمٌ مِن كذا وكذا سَهْمًا مُدَّخَرٌ لك في الآخرةِ جزاءَ الدِّرهمينِ اللَّذَيْنِ أَصْلَحْتَ بهما بينَ المسلِمين - انتهى ملخصا.

قال سيدُنا في نصائِحِه: ثم إنَّ للمُسلِم على المسلمِ حُقوقًا كثيرةً، وقد ذكَرْنا منها طرَفًا في [رسالة المعاونة] فانظُرْه إنْ شِئْتَ، وقد قال رسولُ اللهِ ﷺ: [حَقُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ سِتَّةٌ. فقِيلَ: ما هي، يارسولَ اللهِ؟ قال: إذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ

فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتْبَعْهُ].

ومِن آكَدِ حقوقِ المسلِمِ على المسلِمِ النَّصيحَةُ في الدِّينِ، والمُعاونَةُ على البِرِّ والتَّقوَى، والحَثُّ على طاعةِ اللهِ ربِّ العالمين.

ومن أهَمِّ الحقوقِ سترُ العوراتِ، وتَفريجُ الكُرُباتِ، والمُعاونَةُ في المُهِمَّاتِ وقضاءُ الحاجاتِ، وإعانَةُ الملهوفِ، ونُصْرَةُ المظلومِ، وإعانَةُ الضَّعيفِ، والتيسيرُ على المُعْسِرِ، والتَّوقِيرُ للكبيرِ، والرَّحمةُ للصغيرِ، وأنْ لا يُؤْذِيَ أحدًا من المسلمِين، ولا يستخِفَّ به، ولا يحتقِرَهُ، ولا يخذُلَهُ، ولا يَسخَرَ منه، ولا يستَهْزِىءَ بـه، وأنْ لايغُشَّ أحدًا من المسلمين، ولا يحسُدَهُ، ولا يحقِدَ عليه، ولا يظُنَّ به السوءَ، وأنْ يهتَمَّ بأمورِ المسلمِين، ويفرَحَ بمَسارِّهِم، ويغتَمَّ بما يسوءُهم، وأنْ يُحِبَّ لِسائرِهم ما يُحِبُّ لِنفْسِه، ويكرَهَ لهم مايكرَهُ لِنفْسِه. وقد قال عليه الصلاةُ والسلامُ: [لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ].

وقال عليه الصلاةُ والسلامُ: [مَنْ لَمْ يَهْتَمَّ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ]. وقال عليه الصلاةُ والسلامُ: [لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَلَا يُوَقِّرْ كَبِيرَنَا]. وقال عليه الصلاةُ والسلامُ: [مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا]. وقال عليه الصلاةُ والسلامُ: [أُنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا. فَقَالُوا: نَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ فَقَالَ عَلَيْـهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: تَمْنَعُهُ عَنِ الظُّلْمِ فَذٰلِكَ نُصْرَةٌ لَهُ]. وقال عليه الصلاةُ والسلامُ: [لَاتَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا. اَلْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَايَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ وَلَا يَكْذِبُهُ، اَلتَّقْوَى هَاهُنَا، (وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ). بِحَسْبِ الْمَرْءِ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ. كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ]. وقال عليه الصلاةُ والسلامُ: [مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى

مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. وَاللهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ . . . . .] الحديث. وقال عليه الصلاةُ والسلامُ: [مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ]، واللهُ يقولُ الحقَّ، وهو يهدي السَّبيلَ - انتهى.

وقال نفعَ اللهُ به في كتابه المذكور: والغِيبةُ مُحرَّمَةٌ شديدةُ التَّحْريمِ. قال اللهُ تعالى: [وَلاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا. أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ، وَاتَّقُوا اللهَ، إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ].

فشبَّهَ اللهُ المُغْتابَ الظالِمَ بأكلِ لحمِ أخيهِ المسلِمِ مَيْتًا، وَناهيكَ بذلك ذمًّا وزَجْرًا عن الغِيبةِ. وقال عليه الصلاةُ والسلامُ: [الرِّبَا اِثْنَانِ وَسَبْعُونَ بَابًا، أَيْسَرُهَا مِثْلُ أَنْ يَنْكِحَ الرَّجُلُ أُمَّهُ، وَإِنَّ أَرْبَى الرِّبَا اِسْتِطَالَةُ الرَّجُلِ فِي عِرْضِ أَخِيهِ المُسْلِمِ].

ثم قال نفعَ اللهُ به: واعلَمْ أنَّ مِن الواجبِ عليكَ، إذا رأيْتَ مِن أخيكَ المسلِمِ عيبًا أو نقصًا تُمْكِنُ إزالتُه أن تَذْكُرَ له في الخَلْوَةِ على سبيلِ النَّصيحةِ. فإنْ عجزْتَ عنه، أو لم تُوَفَّقْ له، فذلك نَقْصٌ فيك، فلا تجمَعْ فيه نقصًا آخرَ أَقبحَ منه، وهو أنْ تَهْتِكَ سِترَه، وتذكُرَ عيُوبَه للناسِ في غَيْبتِه، فتجمَعَ على نفسِك مُصيبتَيْنِ، وتجُرَّ إليها بلِيَّتَيْنِ.

ثم قال: ومِن آفاتِ اللسانِ النَّميمةُ، وهي نقلُ كلامِ الناسِ، بعضِهِمْ إلى بعضٍ، تقصِدُ بذلك الإفسادَ والفتنةَ بينهم. قال اللهُ تعالى: [وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَهِينٍ. هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ. مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ]. قال عليه الصلاةُ والسلامُ: [شِرَارُ عِبَادِ اللهِ المَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ المُفَرِّقُونَ بَيْنَ الأَحِبَّةِ]. قال عليه الصلاةُ والسلامُ: [لاَيَدْخُلُ الجَنَّةَ قَتَّاتٌ]، وهو النَّمَّامُ. وقال عليهِ الصَّلاةُ والسَّلام: [إِنَّ النَّمِيمَةَ وَالحَسَدَ فِي النَّارِ، لاَيَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ مُسْلِمٍ]. قال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: [لَيْسَ مِنِّي ذُوحَسَدٍ وَلاَنَمِيمَةٍ وَلاَ كَهَانَةٍ وَلاَ أَنَا مِنْهُ . . . ثُمَّ تَلاَ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَااكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا]. قال بعضُ السَّلفِ، رحِمَهم اللهُ: لايكونُ النَّمَّامُ إلاَّ ولَدَ زِنًى.

ومِن أقبحِ أنواعِ النَّميمةِ وأَفْحَشِها ما كان منها إلى السَّلاطينِ والوُلاةِ ونحوِهم، وتُسَمَّى السِّعايَةَ . . . إلى آخِرِ ما قال نفَعَ اللهُ به. ثم قال: مِن آفاتِ اللسانِ شَتْمُ المسلمِ وسَبُّه في الوجهِ. قال عليه الصلاةُ والسلامُ: [سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ وقِتَالُهُ كُفْرٌ]. ثم قال: ومِن آفاتِ اللسانِ السُّخْرِيَّةُ بالمسلِمِ والاِسْتِهْزاءُ به، والضَّحِكُ عليه استِخْفافًا واحْتِقارًا له. قال تعالى: [يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَيَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ، وَلاَ نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ، وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ، بِئْسَ الاِسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ، وَمَنْ لَمْ يَتُبْ، فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ]. وقال عليه الصلاةُ والسلامُ: [بِحَسْبِ امْرِءٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ المُسْلِمَ] - انتهى ما أردْنَا نقلَه، وهو قليلٌ مِن كثيرٍ مِن كلامِ صاحبِ الراتبِ وغيرِهِ. وهذا البابُ يَسْتدعِي بسْطًا وتَأْليفًا مُستقِلًّا، وفيما أشَرْنَا إليه كفايَةٌ لِلَّبيبِ المُوفَّقِ. «اللَّهُمَّ اهْدِنَا فِيمَنْ هَدَيْت. وَعَافِنَا فِيمَنْ عَافَيْت. وَتَوَلَّنَا فِيمَنْ تَوَلَّيْت. وَبَارِكْ لَنَا فِيمَا أَعْطَيْت. وَقِنَا شَرَّ مَا قَضَيْت. رَبِّ إِنَّ الهُدَى هُدَاكَ، وَرَحْمَتَكَ نُورٌ تَهْدِي بِهِ مَنْ تَشَاءُ، رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ، وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ».

وقال سيدُنا الوالدُ في [سفينة الأرباح ونزهة الأرواح]: وممَّا قِيلَ فيما تُرخَّصُ به الغيبةُ، شعرًا شعرًا:

والقولُ ليس بِغِيبةٍ في سِتَّةٍ * مُتَظَلِّمٍ ومُعَرِّفٍ ومُحَذِّرِ
ولِمُظْهِرٍ فِسْقًا ومُستَفْتٍ ومَن * طَلبَ الإعانَةَ في إزالةِ مُنْكَرِ

- انتهى.

﴿الذكرُ الخامسَ عشر﴾

قولُ صاحبِ الراتبِ، نفع اللهُ به، «يَاعَلِيُّ يَاكَبِير، يَاعَلِيمُ يَاقَدِيـر، يَاسَمِيـعُ يَابَصِير، يَالَطِيفُ يَاخَبِير» - (ثلاثا).

قال في الشَّرحِ: فقد جاءَ نصُّ الكتابِ العزيزِ بها في قولِه تعالى: [فَالْحُكْمُ لِلَّهِ العَلِيِّ الكَبِيرِ]، [وَأَنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ]، [وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ]، [وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ].

وقال الإمامُ القُشَيْرِيُّ في شرحِه على أسماءِ اللهِ الحُسنى: علِمَ الحَقُّ سُبحانه وتعالى أنْ ليس لكَ أسماءُ مرضيَّةٌ، فقال اللهُ تعالى: [وَلِلهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا]. لأَنْ تكونَ مِن أسماءِ ربِّكَ داعِيًا أولى لكَ وأَتَمُّ مِن أنْ تكونَ بِأسماءِ نفْسِكَ مَدْعُوًّا . . . إلى أنْ قالَ: والدُّعاءُ قد يجيءُ بمعنى النِّداءِ. قال اللهُ تعالى: [قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمٰنَ . . .] أي نادوني بِقولِكُم إنْ شِئْتُم «ياالله!»، وإنْ شِئْتُم بِقولِكُم «يارحمٰنُ!» أَسْتَجِبْ لكم - انتهى.

وأمَّا خواصُّ هذه الأسماءِ الشريفةِ، فلا يُقْدَرُ قَدْرُها، ولا يُدْرَى كُنْهُها. ﴿قلتُ﴾ حدَّثَني خطيبُ بلدِ رِباط باعشِن مِن وادِي دُوعَن، قال حدَّثَني بعضُ الثِّقاةِ، قال: وقعَتْ علينا انْكِسارةٌ في البحرِ بينَ المُخا وجُدَّة، وتغيَّرَ المركبُ، وكلُّ سُفْرَةٍ منه خرجَتْ وحدَها، فقبَضَ على الدَّقَلِ منَّا ثمانيةُ أنفارٍ، وهو يَسْبَحُ بنا ليلةً تامَّةً، ونحن جميعًا مِن أوَّلِ الليلِ إلى الصباحِ نلهَجُ بقولِ سيدِنا الأكبر، القُطب عبدالله الحداد، «يَاعَلِيُّ يَاكَبِير، يَاعَلِيمُ يَاقَدِير، يَاسَمِيعُ يَابَصِير، يَالَطِيفُ يَاخَبِير» لانُرَدِّدُ غيرَها أبدًا إلى أن وصلْنَا البَرَّ سالِمين بِبركةِ هذا الذِّكرِ العظيمِ.

وفي [مجمع الأحباب] للإمامِ محمد بن الحسن الحُسينيِّ الشافعيِّ في ترجمتِه لِمَناقِب

سيدِنا أميرِ المؤمنين، عمرَ بنِ الخطَّابِ، رضي اللهُ عنه، عندَ ذكرِه لِبعضِ فُتوحاتِه: وأَنَّ أميرَه على النَّاسِ وعلى الجُيوشِ بعضُ العَشَرَةِ من الصَّحابةِ، وأنَّه أي الأميرَ سار بالصحابةِ ودوابِّهِم وما عليها على الماءِ العظيمِ والبحرِ الهائلِ، وعلَّمَهم بعضَ أسماءِ اللهِ يقولونَها عند رُكُوبِهم، فقالُوها فسَلِموا، وعبَرُوا فوقَه حتَّى وصَلُوا الطرَفَ الثانيَ من البَرِّ. وبعضُ الأسماءِ مذكورةٌ في هذا الذِّكرِ الخامسَ عشر.

وقال أهلُ الإشارةِ: كلُّ اسمٍ مِن أسمائِه تعالى يُبَلِّغُكَ مرتبةً مِن المَراتبِ، فـ«الله» يُبَلِّغُكَ الوَلَهَ في حبِّه، و«الرحمٰنُ الرَّحيمُ» يُبَلِّغُكَ إلى رحمتِه، فهو رحمٰنٌ لأهلِ الافتقارِ، رحيمٌ لأهلِ الافتخارِ، و«الملِكُ» يُبَلِّغُكَ التصرُّفَ في الكونِ بحسَبِ إلٰهيَّةِ الإلٰهيَّة، و«القُدُّوسُ» يُبَلِّغُكَ تَطْهيرَك مِن أَوْصافِكَ حتَّى تُمَحِّضَ العُبودِيَّةَ للرُّبوبِيَّةِ - انتهى.

وعلى هذا فَقِسِ الأسماءَ الكِرامَ «ياعَلِيُّ ياكَبِير، ياعَلِيمُ ياقَدِير، ياسَمِيعُ يابَصِير، يالَطِيفُ ياخَبِير»، ولا أَحْسَنَ مِن شرحِ الإمامِ الغزالي على أَسْماءِ اللهِ الحُسْنى المُسَمَّى بالمَقْصِدِ الأَسْنَى لِحديثِ أنَّهُ يدُلُّكَ على التَّخلُّقِ بِكُلِّ اسْمٍ مِنها. نَعَمْ، وكذٰلك شرحُ الإمامِ القُشَيْرِيِّ على أَسْماءِ اللهِ الحُسْنى، وسرْدُهُ لِلحِكاياتِ والاِسْتِشْهادُ بما حصَلَ لِأَهْلِ اللهِ مِن مَدَدٍ. كُلُّ اسْمٍ مِن فضلِ اللهِ عجيبٌ، وإقامةُ عِبادِه في المقاماتِ على حسَبِهِمْ نِعمةٌ كبيرةٌ.

وسمِعْتُ سيدِي ومَلاذي، قُطْبَ الزَّمنِ، الجَدَّ الحسن بن سيدِنا، يقول: إنَّ جُملةً مِن أكابِرِ الأولياءِ، إذا آتاهُمُ المُريدُ، أَدخَلُوهُ الرِّياضةَ، وإذا أَخرَجُوه من الرِّياضةِ يَأمرُه الشيخُ أستاذُه بِقراءةِ أسماءِ اللهِ الحُسنى. فإذا تلوَّن عند اسمٍ مِن أسمائِهِ أمرَهُ بِمُلازمَتِه. وعَلِمَ أنَّ فُتُوحَهُ فيه. وإذا لم يتَأَثَّرْ عند اسمٍ مِن أسماءِ اللهِ الحُسنى، يقولون له: سِرْ إلى السُّوقِ وكُدَّ على نفسِك، ماأنتَ مِن أهلِ هذه المقاماتِ. وينبغِي لكُلِّ أحدٍ أنْ ينظُرَ مايُوافِقُ اسمَه بِالعدَدِ الجُمَّلِ مِن أسماءِ اللهِ الحُسْنى. فإذَا وافَقَهُ شيءٌ مِنها، ولَوْ اثْنَيْنِ أو ثلاثَةً، وَاظَبَ عليهِ صباحًا ومساءً. وفي ذلك سِرٌّ عجيبٌ، وبركةٌ شامِلةٌ جرَّبَه الكُمَّلُ مِن أهلِ اللهِ وأَمَرُوا به - انتهى.

قال الإمامُ الكبيرُ العارفُ باللهِ القاشاني في شرحِه على أسماءِ اللهِ الحُسْنى عندَ شرحِ اسمِه تعالى «العَليّ»، فهو وصفُهُ تعالى مُشْتَقٌّ مِن علُوّ الشَّرَفِ والجلالَةِ، لا مِن علُوّ المكانَةِ والمُساواةِ لاستِحالَةِ الجِهَةِ في حَقِّهِ عزَّ وجلَّ، وهو الَّذي لايُشارِكُه في علُوّ المكانَةِ غيرُه. وعلُوُّ المكانَةِ عبارةٌ عن الكَمالِيَّةِ الَّتي اقتَضَتْها الصفَاتُ الإلٰهِيَّةُ لِذاتِ واجِبِ الوُجودِ مِن حيثُ المَرْتبةُ، لأنَّ الرُّبوبيَّةَ مِن حيثُ هِي هِيَ لها علُوُّ المرتبةِ في الحكمِ على العُبودِيَّةِ مِن حيثُ هِي هِيَ لا مِن حيثُ التَّعيينُ والظُّهورُ فيها. وهٰذا الاِسمُ مِن أسماءِ الصِّفاتِ الإلٰهيَّةِ، وصِفتُه هي العُلُوُّ، وذٰلك نوعانِ:

الأوَّلُ علُوُّ الذَّاتِ.

الثاني علُوُّ المكانَةِ.

. . . إلى أنْ قالَ: وإلى هٰذا أُشِيرَ في تفسيرِ هذا الاِسمِ بأنَّ «العَلِيَّ» هو الَّذي لايُشارِكُه في علُوِّ المكانةِ غيرُه - انتهى.

﴿قلتُ﴾ قولُه علُوُّ الذَّاتِ، هو علمُه لايَعْلَمُ حيثُ هُوَ إلَّا هُوَ، واحتوَى على كُلِّ مكانٍ، وهو الموجودُ قَبْلَ خَلْقِ المَوْجوداتِ والأكوانِ مِن عَرْشٍ وكُرسيٍّ وغيرِ ذلك مِن المخْلوقاتِ كلِّها، [لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ].

وأمَّا اسمُه تعالى «الكَبِيرُ»، فهو ذُو الكِبْرِياءِ. والكِبْرِياءُ عِبارةٌ عن كمالِ الذَّاتِ، ونعني بِكمالِ الذَّاتِ كمالَ الوجودِ، وكمالُ الوجودِ يرجِعُ إلى شيئَيْنِ: أحدُهما وجوبُ الوجودِ، والثاني دوامُهُ أزلًا وأبدًا، إذْ كلُّ موجودٍ، أيْ مِن المخلوقاتِ مقطوعٌ بِعدمٍ سابقٍ أو لاحِقٍ، فهو ناقِصٌ. وبِاعْتِبارٍ آخرَ، هو الَّذي عظُمَتْ ذاتُه، وأحاطَتْ بجميعِ مراتِبِ الوجودِ صفاتُه، فهو نِهايَةُ كلِّ ظاهِرٍ ومظْهَرٍ ووراءَ كلِّ باطِنٍ ومنظَرٍ، لايُدْرَكُ كُنْهُ ذاتِه، ولا يُحَاطُ بشيءٍ مِن صِفاتِهِ. وهذا اسْمٌ مِن أسماءِ الصِّفاتِ الإلٰهِيَّةِ. وصِفتُه الكِبْرياءُ، وهي عِبارةٌ عن تجَلٍّ إلٰهِيٍّ شَمِلَ مالا نِهايَةَ له مِن الكمالاتِ الَّتي ليس في قابِلِيَّةِ الوجودِ إحاطةٌ لشيءٍ مِنها على التَّعيينِ، لاعينًا ولا عِلْمًا مِن العظَمَةِ واللُّطْفِ

والتَّعالِي والتَّداني والقُرْبِ والبُعْدِ والتَّنْزيهِ والتَّبْشيرِ والبُطُونِ والظُّهورِ والجمالِ والجَلالِ والرَّحْمةِ والقَهْرِ والأَوَّلِيَّةِ والآخِريَّةِ إلى غيرِ ذلك مِن النِّسَبِ والإضافاتِ والشُّئونِ والاِعْتباراتِ والمعاني والأحكامِ والتَّعَيُّناتِ كالأَزَليَّةِ والأبديَّةِ والسَّرْمديَّةِ وعدمِ النِّهايةِ والتحقُّقِ بالأوصافِ الَّتي هي مِن وراءِ غايةِ الغاياتِ.

وأمَّا اسمُه «العَليمُ»، فهو الَّذي يعلَمُ ماهِيَةَ الأشياءِ، كما هي عليه جُملةً وتفصيلاً، وتُحيطُ بكلِّ شيءٍ، ظاهرِه وباطِنه، دقيقِهِ وجليلِهِ، أوَّله وآخِره، وفاتِحَته وعاقِبته. وهذا الاِسمُ اسمُ صِفةٍ، وصفتُه العلمُ وهو العلمُ، وهو عِبارةٌ عن تجلٍّ إلهيٍّ إدْراكيٍّ، فيه أوجَدَ اللهُ أعيانَ الحقائِقِ على حسَبِ مااقتضاه ذلك التَّجَلِّي. فعِلمُهُ تعالى بالأشياءِ هو على حسَبِ مااقتضاه شأنُهُ القديمُ، وهو أُمُّ الكتابِ، فتَعَيَّنَتِ المعلوماتُ في العلمِ على حسَبِ مااقتضَتْهُ الشُّئونُ الذاتيَّةُ الأوَّليَّةُ الَّتي هي أُمُّ الكتابِ. والعلمُ الإلهيُّ هو مَظْهَرُ تلك الشُّئونِ، واللهُ أعلم، فافهَمْ.

﴿تنبيهٌ﴾ لِلعبدِ حظٌّ مِن وَصْفِ العلمِ، لايكادُ يَخْفى، ولكنَّ الأشْرفَ ما معلُومُه أشرَفُ. وأشْرَفُ المعلوماتِ هو الله، فلِذلك كانتْ معرِفَتُه أفضَلَ المعارِفِ وأشرَفَها. فالمعرِفَةُ الَّتي تُقَرِّبُ العبدَ مِن اللهِ تعالى معرِفَةُ الأسبابِ المُقَرِّبَةِ لِمعرفَةِ الله، والأمورُ الَّتي يَسْهُلُ بها الوصولُ إلى معرِفَةِ اللهِ تعالى والقُربِ منه أفضَلُ وأشرَفُ، فلا فضْلَ ولا شرَفَ إلَّا في معرِفَةِ اللهِ سبحانه وتعالى، وكلُّ معرِفَةٍ خارِجَةٍ عن ذلك، فليس فيها كثيرُ شرَفٍ - انتهى.

﴿فائدةٌ عظيمةٌ﴾ قال الإمامُ البغَوِيُّ في تفسيرِه العظيمِ الَّذي هو أحسَنُ التَّفاسيرِ عندَ تفسيرِ الآيةِ الكريمةِ: [قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ المُلْكِ تُؤْتِي المُلْكَ مَنْ تَشاءُ، وَتَنْزِعُ المُلْكَ مِمَّنْ تَشاءُ، وَتُعِزُّ مَنْ تَشاءُ، وَتُذِلُّ مَنْ تَشاءُ، بِيَدِكَ الخَيْرُ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ]، أيْ مِن الخَيْرِ والشَّرِّ قديرٌ. وهذه الآيةُ هي تَفسيرٌ لِقولِه تعالى سُبحانه: [كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ]، أيْ شأْنٍ يُبْديهِ لايَبتديه.

وأمَّا اسْمُه «القَادِرُ» فهو يُبرِزُ الأعيَانَ الثَّابتَةَ مِن المحَلِّ العِلمِيِّ إلى المحَلِّ العَيْني مِن غيرِ مُفارَقَةٍ لها عن المحَلِّ العِلمِيِّ إبْرازًا بِحُكمِ الإرادةِ المُطْلَقةِ مِن غيرِ عِلَّةٍ، بل بِحسَبِ مااقتَضَتْه الشُّئُونُ الذاتِيَّةُ والأحكامُ الصِّفاتِيَّةُ. وهذا الإِسمُ مِن أسماءِ الصِّفاتِ النَّفْسيَّةِ، وصفتُه القُدرةُ، وهي عبارةٌ عن الصِّفةِ الَّتي بها تظهَرُ الكمالاتُ الإلٰهيَّةُ. وحقيقةُ القُدرةِ قُوَّةٌ ذاتيَّةٌ عَظَمُوتيَّةٌ لايُعْجِزُها أمرٌ.

وأمَّا اسْمُه «المُقْتَدِرُ» فهو الَّذي يفعَلُ مايُريدُ مِن غيرِ عَجْزٍ ولا تَقييدٍ. وقيلَ معنَى «القَادِرُ وَالمُقْتَدِرُ» واحِدٌ. وقيلَ لابُدَّ مِن الفَرْقِ حتى تَتَعَدَّدَ الأسماءُ، وتبلُغَ العددَ الوارِدَ في السُّنَّةِ. فالقادِرُ هو الَّذي له تِلك القُدرةُ القديمَةُ. وقيل هو الَّذي إنْ شاءَ فعَلَ، وإنْ شاءَ لم يفعَلْ. والقَديرُ هو الَّذي له تِلك القُدرةُ المذكورةُ مع الإِخْتِراعِ، فهو أبلَغُ. والمُقْتَدِرُ هو الَّذي له تِلك القُدرةُ المذكورةُ مع الإِخْتراعِ واسْتِمْزارِه على تَعاقُبِ الدُّهورِ، فهو أبلَغُ منهما، فسُبحانَ مَن لم يزَلْ على كلِّ شيءٍ مُقْتَدِرًا. والمُقْتَدِرُ مِن أَسْماءِ اللهِ الأفعالِ، وصِفتُه الإِقْتِدارُ، وهي عبارةٌ عن فعلِ ما لايَقدِرُ عليه غيرُه - انتهى.

وأمَّا قولُ صاحبِ الرَّاتبِ، نفعَ اللهُ به، «يَاسَمِيعُ يَابَصِير»، قال الإمامُ القاشاني في شرحِه على أسماءِ اللهِ الحُسْنى، فهما من أسماءِ الصِّفاتِ. فهما صِفتانِ له تعالى مِن الصِّفاتِ القَديماتِ مَوْجودتانِ قبلَ وُجودِ المَسْموعاتِ والمُبْصَراتِ، وهو الَّذي لايعزُبُ عن إدْراكِه مَسْموعٌ وإنْ خفِيَ، يَسْمَعُ دَبيبَ النَّملةِ السَّوداءِ على الصَّخْرةِ الصَّمَّاءِ، وخفِيَّ جرَيانِ الماءِ. وقيل «السَّمِيعُ» هو الَّذي أجابَ دَعْوتَك عندَ الإِضْطِرارِ، وكَشَفَ مِحْنَتَك عند الإِفْتِقارِ، وغَفَرَ ذنبَك عند الإِسْتغفارِ، وقبِلَ مَعْذِرتَك عند الإِعْتِذارِ، ورحِمَ ضُعْفَك عند الذِّلَّةِ والإِنْكِسار، ويُبْصِرُ النَّمْلةَ السَّوداءَ في اللَّيْلةِ الظَّلْماءِ مع اسْتِحالةِ الجارِحةِ في جميعِ صِفاتِه جلَّ وعلا لإِسْتِحالةِ الجِسْميَّةِ عليه، والمِثْليَّةِ لِتَعاليهِ عن الشَّبيهِ والنَّظيرِ، [لَيْسَ كَمِثْلِهِ شيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ]، لايَحْجُبُ سمعَه بُعْدٌ، ولا يرفَعُ رُؤْيَته ظلامٌ، يَرى مِن غيرِ حِدْقَةٍ، ويَسمعُ مِن غيرِ صَمْخَةٍ وأُذُنٍ، كما يَعلَمُ بِغيرِ قلبٍ، ويَبطِشُ بِغيرِ جارِحةٍ، ويَخلُقُ بغيرِ آلةٍ.

وكما أنَّه مُتكلِّمٌ بكلامٍ أزليٍ قديمٍ ، ليسَ بِصوتٍ يحدُ مِن انْسِلالِ هواءٍ واصْطِكاكِ أَجْرامٍ ، ولا بِحرفٍ مُقطَّعٍ بإِطْباقِ شَفَةٍ، أو بِتَحْريكِ لِسانٍ، وأنَّ موسى عليه السلامُ سَمِعَ كلامَ اللهِ تعالى بِغيرِ حرفٍ ولا صوتٍ، كما يَرى الأبرارُ ذاتَ اللهِ تعالى مِن غيرِ جَوْهَرٍ ولا عَرَضٍ.

وأنَّه مُسْتَوٍ على العرشِ على الوجهِ الَّذي قالَه، وبِالمعنَى الَّذي أَرادَه اسْتِواءً مُنَزَّهًا عن المَحاسَّةِ والاِسْتقرارِ والتَّمكُّنِ والحُلولِ والاِنْتقالِ، لابِحمَلَةِ العرشِ، بَلِ العرشُ وحَمَلَتُه مَحمولونَ بِلُطفِ قُدرتِه، ومَقْهورونَ في قَبْضَتِه، وهو فوقَ العرشِ والسَّماءِ، وفوقَ كلِّ شيءٍ إلى تُخُومِ الثَّرَى، بل هو رَفيعُ الدَّرجاتِ فَوْقِيَّةً، لاتزيدُه قُربًا إلى العرشِ، كما لاتزيدُه بُعْدًا عن الأرضِ والثَّرَى، بل هو رفيعُ الدَّرجاتِ عن العرشِ.

كما أنَّه رفيعُ الدَّرجاتِ عن الثَّرَى، وهو مع ذلك قريبٌ مِن كلِّ موجودٍ، وهو على كلِّ شيءٍ شهيدٌ. إذْ لايُماثِلُ قُربَهُ قربُ الأجسامِ، كما لاتُماثِلُ ذاتَه ذاتُ الأجسامِ، ولا تُشْبِهُ صفاتِهِ صِفاتٌ، ولا ذاتَه ذاتٌ.

وأنَّه لايَحِلُّ في شيءٍ، ولا يَحِلُّ فيه شيءٌ، تعالى عن أنْ يَحْوِيَه مكانٌ، وتقدَّسَ عن أنْ يَحُدَّهُ زمانٌ، بل كان قبلَ أنْ يَخلُقَ الزَّمانَ والمكانَ، وهو الآنَ على ما عليه كانَ.

وأنَّه بائِنٌ عن خَلْقِه بِصفاتِه، ليس في ذاتِه سِواهُ، ولا في سِواهُ ذاتُه، [لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ]. فمَهْما نَزَّهْتَ «السَّمِيعَ» عن تغيُّرٍ يَعْتَرِيـه عند حُـدوثِ المَسْموعاتِ وقدَّسْتَهُ عن أنْ يسمعَ بِآذانٍ وآلاتٍ وأداواتٍ علِمْتَ أنَّ السمعَ في حقِّهِ عبارةٌ عن صفةٍ يَنكشِفُ بها كمالُ صفةِ المسموعاتِ، ومَن لم يُدَقِّقْ نظرَه فيه وقَعَ بِالضَّرورةِ في مَحْضِ التَّشبيهِ، فخُذْ منه حذَرَك، ودقِّقْ فيه نظرَك!

وبِاعْتبارٍ آخرَ «السَّمِيعُ» هو الَّذي يُدرِكُ الأشياءَ مِن حيثُ منطوقاتُها، فما ثَمَّ شيءٌ مِن المَوجوداتِ إلَّا هو ناطِقٌ بِنُطقٍ ما، والدليلُ على ذلك قولُهُ تعالى: [وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا

يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ]. وما ثَمَّ موجودٌ، أيْ مِن المخلوقاتِ إلَّا ويَنطِقُ عليه اسمُ الشبيهِ، فكلُّ موجودٍ ناطِقٌ، ولكِنْ يَختلِفُ النُّطقُ بِحسَبِ اخْتلافِ ذلك الموجودِ ومقامِه ولَطافَتِه وكثافتِه وحالِه ومُقتضاه، والحقُّ سُبحانَه وتعالى هو الَّذي يسمعُ ذلك بِسمعِه القديمِ المُنزَّهِ، فافْهَمْ.

وهذا الإِسمُ اسمُ صفةٍ نفسيَّةٍ، وصفتُه السَّمعُ، وهو عبارةٌ عن تجلِّي علمِ الحقِّ في الأَشباهِ مِن حيثُ مسموعِيَّتُها، لأنَّه سبحانه وتعالى يعلَمُ الأشياءَ على ما هِي عليه، ويعلَمُ مَنطوقَها قبلَ نُطقِها وبعدَه، فلم يُفِدْهُ سماعُها عِلْمًا لايكونُ عنده، بل سماعُه عبارةٌ عن تجلِّي علمِه في الأشياءِ مِن حيثُ مَسْموعيَّتُها، لأنَّه سبحانه يسمعُ منها مايعلَمُه مِن نفسِه، فافْهَم!

وسماعُ الحقِّ لِلأشياءِ بِسمعٍ إلٰهِيٍّ قديمٍ أزَلِيٍ مُقَدَّسٍ مُنَزَّهٍ، لأنَّه سبحانه يسمعُ بِسمعِه الإلٰهِيِّ، ويُبْصِرُ بِبصَرِه الإلٰهِيِّ، ويعلَمُ بِعلمِه الإلٰهِيِّ الأقدَسِ المُقدَّسِ، وسمعُه وبصرُه وعلمُه صفاتُ ذاتِه، وليس بعضُه آلةً للسَّمعِ، وبعضُه آلةً للبصَرِ، وبعضُه آلةً للعلمِ، ولا بعضُه آلةً لِلْكلامِ، (بل كلُّهُ بِكُليَّةِ ذاتِه مُريدٌ ذاتَه بحسَبِ إرادتِه كما يعلَمُ ويشاءُ) لايشغَلُه شأنٌ عن شأْنٍ، سُبحانه وتعالى لا إلٰهَ إلَّا هو الواحِدُ القهَّارُ، واحِدٌ في ذاتِه، واحِدٌ في صفاتِه. وكلامُه هو إفاضةُ علمِه بإرادتِه، وسائرُ الموجوداتِ نتائِجُ كلِماتِه، وكلماتُه باقِيَةٌ بِبقاءِ علمِه، لامُبَدِّلَ لِكلماتِه، ولا مُغَيِّرَ لِعلمِه، كما قال تعالى: [وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً، لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ].

فإذا كانَ علمُه صِفةَ ذاتِه، فكما لاتفنَى ذاتُه لايَنْتهِي علمُه. فذاتُه ليسَتْ بِفانيَةٍ، وعلمُه ليس بِمُنْتَهٍ، وكلامُه ليس بمُنْقطِعٍ، لأنَّ الكلامَ باقٍ بِبقاءِ الذاتِ، ولا فناءَ لِذاتِه جلَّ وعلا، [كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إلَّا وَجْهَهُ، لَهُ الحُكْمُ وَإلَيْهِ تُرْجَعُونَ].

والبصَرُ هو الَّذي يُشاهِدُ ويَرى حتى لايعزُبَ عنه شيءٌ، وإبْصارُه مُنَزَّهٌ مُقَدَّسٌ. وإنَّما هو في حقِّهِ جلَّ وعلا عِبارةٌ عن الصِّفةِ الَّتي يَنْكشِفُ بها كمالُ نُعوتِ المُبْصَراتِ،

وهو عِبارَةٌ عن تجَلّي علمِ الحقِّ تعالى مِن حيثُ تَنزُّهُ معلوماتِهِ له. فبصرُه سُبحانه وتعالى مُدْرِكٌ لِما أحاطَ به علمُه. وقد تقدَّمَ في تَفسيرِ «السَّمِيعُ».

وأمَّا اسْمُه «اللَّطِيفُ» فهو الَّذي يُسْرِعُ بِكشْفِ الغُمَّةِ عندَ حُلولِ النِّقْمَةِ، ويُسْبِغُ بابْتِداءِ النِّعْمةِ مِن غيرِ أنْ تَتوقَّعَها الهِمَّةُ. وقد وردَ في الحديثِ عن النبيِّ ﷺ: [إنَّ لِلهِ تَعَالَى فِي كُلِّ طَرْفَةٍ سَبْعِينَ أَلْفَ نَظْرَةٍ لُطْفٍ إِلَى خَلْقِهِ]. فبهٰذا الاِعْتبارِ اِسْمُه «اللَّطِيفُ» مِن أَسْماءِ الصِّفاتِ والأفعالِ، وصِفتُه «اللُّطْفُ» وهو هنا عِبارةٌ عن سَرَيَانِ الرَّحْمةِ بأنواعِ الإغاثةِ والنِّعْمةِ مِن غيرِ انْقطاعٍ ولا امْتِناعٍ. وبِاعْتبارٍ آخَرَ «اللَّطِيفُ» هو الذي امْتَنَعَ إدْراكُهُ بالأَبصارِ، وتَنزَّهَ عن المكانِ، فلا يتحَيَّـزُ في الجِهاتِ والأَقْـطارِ، وتعالى عن الحِسِّ، فلا تَعرِفُه العقولُ بالفُهومِ والأَفْكارِ، وهو مع ذلك أَقْرَبُ إلى الأشياءِ من ذَواتِها، وأظهَرُ عليها مِن صِفاتِها غايةَ الإظْهارِ، ومع ذلك [لاتُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ].

واللُّطْفُ جلالُهُ وغُموضُ باطِنِ علمِهِ وخَفاؤُهُ لاِحْتِجابه عن العُيـونِ بِحِجابِ عَظَمَتِهِ، وعن العُقولِ بِحِجابِ كِبْريائِهِ، وعن القلوبِ بِحِجابِ نُورِ جَمالِهِ، وشِدَّةِ نورِ بَهائِهِ. فلِشِدَّةِ نورِ جَمالِه عن الإدْراكِ غابَ، فكانَ ظهورُ نورِ جَمالِه لِجَمالِه حِجابًا. وفي هذا المعنَى كان يُنْشِدُ بعضُ العارفين أولِي الأَلْبابِ، رحِمَه اللهُ، شِعْرًا:

وَمَا احْتَجَبَتْ إلَّا بِرفْـعِ خِمارِهـا * ومِن عَجَبٍ أنَّ الـظُّهـورَ يُسَتِّـرُ

وهذا الاِسمُ صِفةٌ إلٰهِيَّةٌ بهذا الاِعْتبارِ، وصِفتُه «اللُّطْفُ»، وهو عِبارةٌ عن غُموضِ العلمِ به، وعن امْتِناعِ معرفَتِه على الحقيقةِ لِلَطافَتِها عن مَدْرَكِ الفُهومِ، وتَنَزُّهِها عن مَبالِغِ غاياتِ العلومِ.

وأمَّا اسمُه «الخَبِيرُ» فهو الَّذي لاتعزُبُ عنه الأَخْبارُ الباطِنَةُ، فلا يجرِي في المُلْكِ والمَلَكوتِ شيءٌ، ولا تتحَرَّكُ ذَرَّةٌ ولاتسكُنُ، ولا تَضْطَرِبُ نفْسٌ ولا تَطْمَئِنُّ، إلَّا ويكونُ خبرُها عندَه، وهو بِمعنَى العلمِ، إلَّا أنَّ العلمَ، إذا أُضِيفَ إلى الخَفايا الباطِنةِ سُمِيَّ

خِبْرَةً، وصاحبُه خَبيرًا. وقيلَ يجوزُ «الخَبيرُ» بمعنى «المُخْبِرُ»، فيكونُ ذلك راجِعًا إلى معنى كلامِه القديمِ المُشتمِلِ على خبَرِه الصَّادقِ، وبيانِه المُنَزَّلِ على أنبيائِه، عليهم السلامُ. وقيلَ يجوزُ أنْ يكونَ بِمعنى «المُخْتَبِرُ»، تقولُ العربُ خَبرَنا فُلانٌ، وخبَرْتُه بمعنى بَلَوْتُهُ، واللهُ سبحانه وتعالى هو المُخْتَبِرُ لِعبادِه بما شاءَ مِن بلائِه وسرَّائِه وضرَّائِه، كما قال تعالى: [وَنَبْلُوكُمْ بِاالشَّرِ وَالخَيْرِ فِتْنَةً].

وبِاعْتِبارٍ آخَرَ «الخَبيرُ» هو الَّذي أَدْرَكَ علمُه الأَشْياءَ مِن حَيْثِهَا على ما هي عليه، فعِلمُها بما اقْتَضَتْهُ ذواتُها مِن غيرِ جَهْدٍ بها سابِقٍ. وهذا الإسمُ مِن أسماءِ الصِّفاتِ الإلٰهِيَّةِ، وصِفتُه «الخِبْرَةُ» بِكسْرِ الخاءِ، وهي عبارةٌ عن المعرفةِ التَّفْصيلِيَّةِ الإِحَاطِيَّةِ الشُّمولِيَّةِ بِاعْتبارِ عدمِ احْتجابِ المعلومِ عن العالِمِ.

والفرقُ بينَ «العَليمِ والخَبيرِ» أنَّ العلِيمَ هو الَّذي أحاطَ علمُه بِالأشياءِ على ما هي عليه مِن حَيْثِيَّتهِ لا مِن حَيْثِيَّتِهَا. والخبيرُ هو الَّذي أَدْرَكَهُ علمُه الأشياءَ مِن حَيْثِيَّتِها على ماهي عليه.

﴿تنبيهٌ﴾ الخَبيرُ مِن العِبادِ مَن كان عالِمًا بما يَجري في عالَمِه مِن قلبِه وقالَبِه مِن الخفايَا الَّتي يَتَّصِفُ بها القلبُ، مِن الغِشِّ والخِيانةِ والطَّوافِ حولَ العاجِلةِ، وإِضْمارِ الشَّرِ، وإِضْمارِ الخيرِ، والتجمُّلِ بِإِظْهارِ الإخلاصِ مع الإِفْلاسِ منه وغيرِ ذلك، ممَّا لايعرِفُهَا إلَّا ذو خِبْرَةٍ بالِغةٍ. فلَو خبَرَ نفسَه ومارسَها، وعرَفَ مكرَها وتلبيسَها وخُدَعَها، فحاذَرَها وشمَّرَ لِمُعاداتِها، وأخذَ الحِذْرَ منها، فيكونُ ذلك العبدُ خبيرًا.

﴿الذكرُ السادسَ عشرَ﴾

قولُ صاحبِ الراتبِ، نفع اللهُ به، «يَافَارِجَ الهَمّ، وَيَاكَاشِفَ الغَمّ، يَا مَنْ لِعَبْدِهِ يَغْفِرُ وَيَرْحَم» - (ثلاثًا). قال في الشرحِ : ذكرَ الإمامُ السَّيوطِيُّ، رحِمه الله، في [الدر المنثور] عن عائشةَ، رضي اللهُ عنها، قالتْ: قال لي أبي، وأُعَلِّمُكِ دعاءً علَّمَنيهِ رسولُ اللهِ ﷺ، قال: وكان عيسى يُعَلِّمُه الحوارِيِّينَ لو كان عليكِ مِثلُ أُحُدٍ دَيْنًا لَقضاه اللهُ عنكِ. قلتُ: بلى! قال: قُولِي «يَافَارِجَ الهَمّ، يَاكَاشِفَ الغَمّ!» - انتهى.

وذكرَه الإمامُ الرَّدَّادُ في كتاب [موجبات الرحمة]، وزادَ قال أبو بكرٍ رضي اللهُ عنه: وكان عليَّ بقِيَّةٌ مِن دَيْنٍ، وكنتُ لِلدَّيْنِ كارِهًا، فكنتُ أَدعو بذلك حتى قضاه اللهُ عنِّي.

قال الإمامُ حجَّةُ الإسلامِ الغزالي، رضي اللهُ عنه، في الفصلِ الثالثِ مِن كتاب [المقصِد الأسنى]: الأسامِي والصِّفاتُ المُطْلَقةُ على اللهِ تَعالى تَقِف على التَّوقِيفِ أم تجوزُ بطريقِ العقلِ . . . إلى أن قالَ: المختارُ عندنا أنْ نُفَصِّلَ، فنقول: كلُّ مايرجِعُ إلى الإِسمِ ، فذلك موقوفٌ على الإذنِ، وما يرجِعُ إلى الوصفِ، فذلك لايقِفُ على الإذنِ، بل الصَّادِقُ منه مُباحٌ، وأطالَ الكلامَ في ذلك إلى أن قالَ نفعَ اللهُ به: وكذلِك في الدُّعاءِ، ندعو اللهَ بأَسْمائِه الحُسْنى، كما أمرَنا به. وإذا جاوَزْنا الأسامِيَ إلى أنْ ندعُوَه بِصِفاتِه دعَوْناه بِصِفاتِ المَدْحِ والجلالِ، ولا نقولُ «يامَوْجود، يامُحَرِّك، ويامُسَكِّن!»، بل نقول «يامُقِيلَ العَثَرَات! يامُنْزِلَ البَرَكَاتِ! يامُيَسِّرَ كُلِّ عَسِيرٍ!» وما يجري مجراه - انتهى ملخَّصًا.

وإذا علِمْتَ ذلك، فقِسْ عليه قولَ سيدِنا نفعَ اللهُ به: «يَافَارِجَ الهَمّ . . . . إلى آخرِه»، فإنَّه طلبَ منه عزَّ وجلَّ، وتوسَّلَ إليه سُبحانه في أنْ يُفَرِّجَ همَّ الدَّاعي بذلك،

ويَكْشِفَ غمَّهُ، ويغفِرَ ذنبَه ويرحَمَه، فهو دعاءٌ جامِعٌ لِخَيْرَيِ الدُّنيَا والآخِرةِ.

وقد وردَ في دُعائِه ﷺ «اَللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ . . . . إلى أن قالَ في أَثْنائِه . . . أَنْ تَجْعَلَ القُرْآنَ العَظِيمَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ بَصَرِي وَجِلاَءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي وَغَمِّي!».

وورد أيضًا في دُعاءِ الخِضْرِ، عليه السلامُ، المشهورِ الَّذي أولُه «اَللَّهُمَّ كَمَا لَطَفْتَ بِلُطْفِكَ فِي عَظَمَتِكَ دُونَ اللُّطَفَاءِ . . . إلى أنْ قال في أَثْنائِه . . . اِجْعَلْ لِي مِنْ كُلِّ هَمٍّ وَغَمٍّ أَصْبَحْتُ وَأَمْسَيْتُ فِيهِ فَرَجًا وَمَخْرَجًا. . .». والدُّعاءِ المشهورِ أيضًا «أَعْدَدْتُ لِكُلِّ هَوْلٍ أَلْقَاهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لاَ إِلَهَ إِلَّا الله، وَلِكُلِّ هَمٍّ وَغَمٍّ مَاشَاءَ الله».

وأمَّا سُؤالُ المَغْفرةِ والرَّحْمةِ، فقد تقدَّمَ ذِكْرُ شيءٍ مِن ذلك عندَ قولِه «رَبِّ اغْفِرْ لَنَا . . . إلى آخرِه». وقال تعالى: [رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ]. وقال تعالى في ردِّه على الكُفَّارِ: [إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ. فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ. إِنِّي جَزَيْتُهُمُ اليَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الفَائِزُونَ].

وقد ذكرَ الإمامُ الرَّدَّادُ في [موجبات الرحمة] في أذكارِ الوظيفةِ الثالثةِ في الذِّكْرِ التاسعِ والأربعين، بِقولِه قالَ رسولُ اللهِ ﷺ «اَللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا . . . . . إلى آخرِه».

وعن أنسِ بنِ مالكٍ، رضي اللهُ عنه، قال: مرَّ رسولُ اللهِ ﷺ برجلٍ، وهو يقولُ: يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ! فقال له ﷺ: سَلْ فَقَدْ نَظَرَ اللهُ إِلَيْكَ! رواه الحاكِمُ في المُسْتَدْرَكِ.

وقد وردَ في الأمرِ بالدُّعاءِ على العمومِ مِن الآياتِ والأخبارِ شيءٌ كثيرٌ. قال سيدُنا الحداد في نصائحِه: وأمَّا الدُّعاءُ، فقد أمرَ اللهُ تعالى به، وحثَّ عليه، ورغَّبَ فيه، فقال عزَّ مِن قائلٍ كريمٍ: [أُدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً إِنَّهُ لاَيُحِبُّ المُعْتَدِينَ. وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا، وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا، إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ المُحْسِنِينَ]. وقال

تعالى: [وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ]. وقال تعالى: [هُوَ الحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، اَلحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ]. وقال رسولُ اللهِ ﷺ: [الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ]. وقال عليه الصَّلاةُ والسلامُ: [اَلدُّعَاءُ سِلَاحُ المُؤْمِنِ، وَعِمَادُ الدِّينِ، وَنُورُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ]. وقال عليه الصَّلاةُ والسلامُ: [لَايَرُدُّ القَضَاءَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَلَا يَزِيدُ فِي العُمُرِ إِلَّا البِرُّ]. وقال عليه الصَّلاةُ والسلامُ: [اَلدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ]. وقال عليه الصَّلاةُ والسلامُ: [لَا يَهْلِكُ مَعَ الدُّعَاءِ أَحَدٌ]. والدُّعاءُ ينفعُ مِمَّا نزَلَ ومِمَّا لم ينزلْ. وقال عليه الصَّلاةُ والسلامُ: [أُدْعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ]. وورد أيضًا أنَّه لايَدْعُو اللهَ داعٍ إلَّا اسْتجابَ له، فإمَّا أنْ يُعَجِّلَ له ماسألَ، وإمَّا أنْ يدفَعَ عنه مِن البلاءِ ماهو أعظَمُ مِن ذلك، وإمَّا أنْ يدَّخِرَ في الآخرةِ ماهو أفضَلُ وأكمَلُ - انتهى.

ووردَ أنَّه ﷺ قال: [لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللهِ مِنَ الدُّعَاءِ]. ووردَ أنَّه عليه الصَّلاةُ والسلامُ قال: [سَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنَّهُ يُحِبُّ إِنْ سُئِلَ].

ووردَ أنَّ اللهَ يُحِبُّ المُلِحِّينَ في الدُّعاءِ. وكان رسولُ اللهِ ﷺ إذا دعا بدُعاءٍ دعَا ثلاثًا، وإذا سأَلَ سأَلَ ثلاثًا. نعَمْ، فهو جلَّ وعلاَ خلَقَ فسَوَّى، وأَنْعَمَ وأَعْطى، بل هو أَرْحَمُ بِكَ مِن نفسِك، وأَنْفَعُ لك مِن أبيك. وما أحسنَ مِن أَبياتٍ قالها صاحبُ الراتبِ، نفع اللهُ به، على لُغَةِ أهلِ حَضْرَمَوْتَ، فكَمْ نفعَ اللهُ بها العِبادَ، كما نفعَ بِقائِلِها غوثُنا القُطبُ عبدُالله بن علوي الحدَّاد، قال نفعَ اللهُ به مدى الآبادِ، ولقد أرشدَ وأتى بالمُراد، رضي اللهُ عنه رِضًا يَحِلُّ به أعلى منزِلٍ في المَعاد.

أيُّها العَبْد لاتيأس مِن اللهِ مَوْلاك * وارْجُ فَضْلَه ولُطْفَه في مماتِك ومحياك
واذْكُر اسْمَه تعالى في صباحِك ومَمْسَاك * لاتُعَوِّل على غيرِه لِنَفْعك وضَرَّاك
فإنَّهُ الفَرْد ذِي بِيدِه تدابِير لأفْلاك * ما لَحَد شَيء معه حاشَاهُ في ذا ولا ذَاك
واشْكُر آلَاه وأَنْعامَه يَزِيدَك ويرضَاك * واصبِرْ إنِ ابْتلَاك إنه بك أَرْحَم مِن أَبَاك
وادْعُه اسْأَله يكشِفْ عنك ضُرَّك وبَلْوَاك * واحفَظِ امْرَه ولا تعصِيه فالمعصِيَة دَاك

كَيف تعصي الَّذي مِن نُطْفَة جلَّ سَوَّاك * ثم غـذَّاك بـإحْسـانـه ونَمَّى وربَّـاك
أيُّهـا الغـافِـلُ اسْتَيْقِظ ومهِّدْ لِمَثْـوَاك * واذْكُـرِ المَوْت قبـلَ المَوْت يَنـزِل بمَغْنَاك
واجْمَعِ الزَّاد لِلسَّفرِ المَدِي قَبـل يَفْجَاك * آه ياقَلْب ايش أَغْفَلَك عن حَال عُقْبَاك
كَيف تغفُل عن العُقْبى وتركَن لِـدُنْيَاك * فاتْرُكِ الفانيَ المَرْذُول واقبِلْ على أُخْرَاك
وافْعَلِ الخَيْر تظفَرْ في معـادِك ورُجْعَاك * واحْمَـدِ اللهَ إذْ وفَّقـك لِلرُّشْـد واهْـدَاك
واتَّبعْ سُنَّةَ الهادي محمَّد وبُشْرَاك

انتهتْ أبياتُه، نفع اللهُ بها، وبِقائِلِها، وانظُرْ آخِرَ كتابٍ مِن رُبْعِ المُنْجِياتِ مِن [إحياء علوم الدين] لِلإمامِ الغزالِي، وإيرادَه الأحاديثَ والوقائعَ الحسنَةَ مِن رحمةِ اللهِ الواسعةِ، كالحديثِ النبويِّ: [إنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِائَةَ رَحْمَةٍ، أَخْرَجَ وَاحِدَةً مِنْهَا في الدُّنْيَا، وَادَّخَرَ تِسْعًا وَتِسْعِينَ في الآخِرَةِ]. وفي الحديثِ الآخرِ في الغَزوةِ المشهورةِ في وقتِ الحرِّ: [ضَلَّتِ امْرَأَةٌ وَلَدًا لَهَا، وَوَجَدَتْهُ بَعْدَ طَلَبِهَا لَهُ فِي الحَرِّ الشَّدِيدِ. فَلَمَّا رَأَتْهُ وَالنَّبِيُّ ﷺ وَجَمِيعُ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَهُ جَالِسُونَ لَمْ تَسْتَحِ أَنْ أَخَذَتْهُ تَمْسَحُ عَنْهُ التُّرَابَ، وَفَرِحَتْ بِهِ فَرَحًا شَدِيدًا، وَرَحِمَتْهُ رَحْمَةً لَمَّا رَأَتْهُ ذَهَلَ عِنْدَ رُؤْيَتِهِ عَقْلُهَا. قَالَ ﷺ: لَلّهُ أَرْحَمُ بِعَبْدِهِ مِنْ هٰذِهِ بِوَلَدِهَا].

فعليكَ بِحُسْنِ الظنِّ والرَّجاءِ، لأنَّه لايَيْأَسُ مِن رحمةِ اللهِ إلَّا القومُ الكافِرونَ، ولَا يَقْنطُ مِن رحمةِ ربِّه إلَّا الضَّالُّونَ. فكَمْ مِن نِعمةٍ أَنْعَمَ بها، وكَمْ مِن مِحْنَةٍ أَزالَها، وهو أَرْحَمُ بنا مِن آبائِنا وأنفُسِنا. فله الحمدُ كثيرًا. [وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَاتُحْصُوهَا، إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ].

وانظُرْ في الإحياءِ أيضًا عندَ ذِكرِهِ بعضَ الأكابِرِ، أنَّه عدَّ فِعلًا مِن أَفْعالِه ذَنْبًا، فخرَجَ مِن بيتِهِ قاصدًا البَرِّيَةَ هارِبًا، فوجَدَ بعضَ أكابِرِ أهلِ البيتِ في الطَّريقِ، فرَدَّهُ وقال له: إيَّاكَ أن تَيْأَسَ مِن رحمةِ اللهِ، وعفوُهُ أعظَمُ مِن ذنبِك الَّذي أَذْنَبتَه، فرجَعَ. وقال له: [اَللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ] - انتهى.

نَعَمْ، ومع رجائِكَ خَفْهُ، لأَنَّ رحمتَه لاتَغْلِبُ حِكْمَتَه، فخَفْهُ مخافةً تَحْجِزُكَ عن محارِمِه، وتَزيدُكَ طلبًا في مَرْضاتِه بِالاِتِّباعِ لأمرِه، والاِنْتِهاءِ لِنهيِهِ، فلا يأمَنُ مَكْرَ اللهِ إلاَّ القومُ الخاسِرون. وفي الحديثِ النبويِّ: لَوْ وُزِنَ خَوْفُ الْمُؤْمِنِ وَرَجَاؤُهُ لاَعْتَدَلاَ، فالحمدُ للهِ حيثُ سبقَتْ رحمتُهُ غضَبَهُ.

قال الإمامُ ابنُ حجَر في شرحِ الهمزيَّةِ عند قولِ الناظمِ «وتَذَكُّرُه رحمَةٌ» رحمةُ اللهِ أيْ سَعَتُها الَّتي يدُلُّ عليها قولُه تعالى: [وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ]، وأَنَّها سبقَتْ غضبَه، كما دلَّ عليه الحديثُ الصحيحُ: [أَنَّ اللهَ تَعَالَى كَتَبَ كِتَابًا، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ «إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»]، أي أنَّ مظاهِرَ الرَّحمةِ غلبَتْ مظاهِرَ الغضَبِ. وهٰذه العِنديَّةُ عندِيَّةُ الشَّرفِ والمكانَةِ لا المكانِ لِتَعاليه عنه عُلُوًّا كبيرًا - انتهى.

﴿فائدةٌ﴾ مِن كتابِ [النصائح الدينية والوصايا الإيمانية] لسيدنا قال، قال عليه الصَّلاةُ والسلامُ: [إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ لاَتَنْزِلُ عَلَى قَوْمٍ فِيهِمْ قَاطِعُ رَحِمٍ]. فإذا كانتِ الرَّحمةُ لاتنزِلُ على القومِ بِسببِ كونِ قاطِعِ الرَّحِمِ معهم، فكيفَ يكونُ حالُ القاطِعِ نفسِهِ، وكيفَ يكونُ مقتُ اللهِ له، وقطعُه إيَّاهُ مِن كلِّ خيرٍ؟ فعليكُم، رحِمَكم اللهُ بِصِلَةِ الأرحامِ، وإيَّاكُم وقطيعَتَهُم - انتهى.

﴿قلتُ﴾ فإذا كان هذا في الأرحامِ، فكيف بِالأقارِبِ؟ وإذا كان في الأقارِبِ، فكيفَ بِأُصولِك ووالِدَيْك، فافهَمْ!

﴿خاتمة﴾ اعلَمْ أنَّه ليس أحدٌ مِن خلقِ اللهِ تعالى أكثَرَ معرِفَةً باللهِ مِن رسولِ اللهِ، محمَّدِ بنِ عبدالله ﷺ. وقد تقدَّمَ قولُه ﷺ: [لَوْ آخَذَنِي اللهُ أَنَا وَابْنُ مَرْيَمَ بِمَا جَنَتْ هَاتَانِ، (يَعْنِي السَّبَّابَةَ وَالإِبْهَامَ) لَعَذَّبَنَا، ثُمَّ لَمْ يَظْلِمْنَا شَيْئًا] - انتهى.

فما بَقِيَ إلاَّ أَنْ ترجوَ المغفِرَةَ فَضْلاً وكرَمًا. قال تعالى: [وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا، وَلٰكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ، وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ]. وقال تعالى: [إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ]. فَأَفْهَمَ أنَّ المُعْتـدِين والمُخَلِّطِينَ،

والظَّالِمين لايُحِبُّهم، وأنَّ رحمتَهُ بعيدَةٌ عنهم. وفي الحديثِ النبوِيّ: [لَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ أَحَدُ بِعَمَلِهِ. قَالُوا: وَلَا أَنْتَ، يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ بِرَحْمَتِهِ] - الحديث.

اَللَّهُمَّ ياكَرِيمُ! تَغَمَّدْنَا بِرَحْمَتِكَ، وَتَوَفَّنَا عَلَى مِلَّةِ نَبِيِّكَ، فِي عَافِيَةٍ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، آمين.

﴿الذكرُ السابعَ عشر﴾

قولُ صاحبِ الراتبِ، نفعَ اللهُ به، «نَسْتَغْفِرُ اللهَ رَبَّ البَرَايَا، نَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنَ الخَطَايَا» - (أربعًا). قال في الشَّرحِ، فهو مِن الاستغفارِ المطلوبِ المندوبِ إليه، المرغوبِ فيه. وقد وردَ في فضيلةِ الاسْتغفارِ والأمرِ به مِن الكتابِ والسُّنَّةِ مايَعْسُرُ حَصْرُه. قال اللهُ تعالى: [وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ، وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ]. وقال عزَّ مِن قائلٍ كريمٍ: [وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُورًا رَحِيمًا]. وقال تعالى: [وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ]. وقال النبيُّ ﷺ: [طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا]. وقال عليه الصَّلاةُ والسلامُ: [أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِدَائِكُمْ وَدَوَائِكُمْ؟ أَلَا إِنَّ دَاءَكُمُ الذُّنُوبُ، وَدَوَاءَكُمُ الاِسْتِغْفَارُ]. وقال رسولُ اللهِ ﷺ: [مَنْ أَكْثَرَ مِنَ الاِسْتِغْفَارِ جَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَايَحْتَسِبُ]. وقال عليه الصَّلاةُ والسلامُ: [مَا أَصَرَّ مَنِ اسْتَغْفَرَ، وَإِنْ عَادَ فِي اليَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً]. وقال ﷺ: [يَقُولُ اللهُ: يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ مُذْنِبٌ إِلَّا مَنْ عَافَيْتُهُ، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ. وَمَنْ عَلِمَ أَنِّي ذُو قُدْرَةٍ عَلَى أَنْ أَغْفِرَ لَهُ، غَفَرْتُ لَهُ وَلَا أُبَالِي].

قال سيِّدُنا في نصائِحِه، قال تعالى: [وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى]. وقال تعالى فِيما حكاهُ عن نبيِّه نوحٍ، عليه السلامُ: [فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ، إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا. يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا. وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ، وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا]. وقال عليه الصَّلاةُ والسلامُ: [مَنْ قَالَ أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً غَفَرَ اللهُ لَهُ سَبْعِمِائَةِ

ذَنْبٍ]. وقال عليه الصَّلاةُ والسلامُ: [إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً]. وقال عليه الصَّلاةُ والسلامُ: [قَالَ إِبْلِيسُ لَعَنَهُ الله: وَعِزَّتِكَ وَجَلالِكَ يَارَبِّ، لَا أَبْرَحُ أُغْوِي عِبَادَكَ مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ. فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا بَرِحْتُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَااسْتَغْفَرُونِي] - انتهى.

وقال ﷺ: [مَنْ أَحَبَّ أَنْ تَسُرَّهُ صَحِيفَتُهُ، فَلْيُكْثِرْ فِيهَا مِنَ الاِسْتِغْفَارِ]. وروى الطَّبرانيُّ عن مُعاذِ بن جبلٍ: مَن قال «أَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ» ثَبَتَ لَهُ غَرْسٌ فِي الجَنَّةِ. وقال عليه الصَّلاةُ والسلامُ: [يَاأَيُّهَا النَّاسُ! اِسْتَغْفِرُوا اللهَ وَتُوبُوا إِلَيْهِ، فَإِنِّي أَسْتَغْفِرُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ أَوْ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ وَأَكْثَرَ مِنْ مِائَةٍ] رواه أحمدُ والطَّبرانيُّ وغيرُهما. وقال ﷺ: [إِنِّي لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي حَتَّى أَنِّي أَسْتَغْفِرُ اللهَ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ].

ونقلَ الإمامُ محيي الدِّينِ النَّوويُّ مِن كتابَي الصَّحيحَيْنِ البخاريِّ ومسلمٍ عن أبي هُرَيْرَةَ، رضي اللهُ عنه، عن رسولِ اللهِ ﷺ، قال: [يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ. مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ. مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ].

وفي روايةٍ لِمسلمٍ: [يَنْزِلُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَمْضِي ثُلُثُ اللَّيْلِ الأَوَّلُ، فَيَقُولُ: أَنَا المَلِكُ! أَنَا المَلِكُ! مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ. مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ. مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ، فَلَا يَزَالُ كَذٰلِكَ حَتَّى يَضْحَى الفَجْرُ]. وفي روايةٍ: [إِذَا مَضَى ثُلُثُ أَوْ ثُلُثَاهُ]. وقالتْ عائشةُ، رضي اللهُ عنها، قال رسولُ اللهِ ﷺ: [إِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي الله، فَإِنَّ التَّوْبَةَ مِنَ الذَّنْبِ بِالنَّدَمِ وَالاِسْتِغْفَارِ]. ورُوِي أيضًا عنه عليه الصَّلاةُ والسلامُ، قال: [إِنَّ اللهَ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ فِي الجَنَّةِ، فَيَقُولُ: يَارَبِّ! أَنَّى لِي هٰذِهِ؟ فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ].

وعن أبي هريرة، رضي اللهُ عنه، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ، قال: [إِنَّ العَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ، فَإِذَا فَزِعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ صَقَلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى

تَعْلُو قَلْبَهُ، فَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ تَعَالَى]. أخرجه التِّرمذيُّ وصحَّحه. النَّكْتُ: الأثَرُ في الشيءِ. ورَانَ على قلبِه، أيْ غطَّاهُ.

وروى التِّرمذِيُّ مرفوعًا، وقال: حديثٌ حسنٌ: [قَالَ اللهُ تَعَالَى: يَاابْنَ آدَمَ! لَوْ بَلَغتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّماءِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُهُ لَكَ وَلاَ أُبَالِي. يَاابْنَ آدَمَ! لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ أَتَيْتَنِي لاَتُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لأَتَيْتُكَ بِقُرابِهَا مَغْفِرَةً وَلاَ أُبَالِي. يَاابْنَ آدَمَ! إِنَّكَ مَادَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلاَ أُبَالِي ...... الحديث]. والعَنَانُ (بِفتْحِ العَينِ المُهْمَلةِ): السَّحابُ. وقُرابُ الأرضِ (بِضَمِّ القافِ) ما يُقَارِبُ مِلأَها، قاله العلماءُ، رحِمَهم الله، ورضي عنهم، ونفعَنا بهم.

وروى الحاكِمُ، وقال: صحيحُ الإسنادِ مرفوعًا: [مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعْمَلُ ذَنْبًا إِلاَّ وَقَفَ المَلَكُ ثَلاثَ سَاعَاتٍ، فَإِنِ اسْتَغْفَرَ مِنْ ذَنْبِهِ لَمْ يُوقِعْهُ عَلَيْهِ، وَلَمْ يُعَذِّبْهُ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ].

ورَوى البَيْهقِيُّ مَرفوعًا: [إِنَّ لِلْقُلُوبِ صَدَأً كَصَدَإِ النُّحَاسِ وَجِلاَهَا الإِسْتِغْفَارُ]. وقال عليه الصَّلاةُ والسلامُ: [مَا مِنْ عَبْدٍ وَلاَ أَمَةٍ اسْتَغْفَرَ اللهَ فِي يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً إِلاَّ غَفَرَ اللهُ لَهُ سَبْعَمِائَةِ ذَنْبٍ، وَقَدْ خَابَ عَبْدٌ أَوْ أَمَةٌ عَمِلَ فِي يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِمِائَةِ ذَنْبٍ].

وعن أبي هريرةَ، رضي اللهُ عنه، قال: كانَتْ يمينُ رسولِ اللهِ ﷺ إذا حلَفَ: - لاَ - وأَسْتغفِرُ الله - أخرجَه أبو داودَ.

وروى الحاكِمُ عن البراءِ بن عازِبٍ، وقال: صحيحٌ على شَرْطِ الشَّيخَيْنِ في قوله تعالى: [وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ]، هُوَ الرَّجُلُ يُذْنِبُ الذَّنْبَ، فَيَقُولُ: لاَ يَغْفِرُ اللهُ تَعَالَى. وعن خالِد بن مَعْدانَ، رحِمه الله، «قَالَ اللهُ تَعَالَى: إِنَّ أَحَبَّ عِبَادِي إِلَيَّ المُتَحَابُّونَ بِحُبِّي، وَالمُتَعَلِّقَةُ قُلُوبُهُمْ بِالمَسَاجِدِ، وَالمُسْتَغْفِرُونَ بِالأَسْحَارِ، أُولَئِكَ الَّذِينَ إِذَا أَرَدْتُ أَهْلَ الأَرْضِ بِعُقُوبَةٍ ذَكَرْتُهُمْ فَتَرَكْتُهُمْ وَصَرَفْتُ العُقُوبَةَ عَنْهُمْ».

وقال عليٌّ، رضي اللهُ عنه: عَجِبْتُ لِمَن يهلِكُ، ومعَهُ النَّجاةُ! قيل: ماهُوَ؟ قال: الاِسْتغفارُ! وكان سُفيانُ بن عُيَيْنَةَ، رحِمَه اللهُ تعالى، يقولُ: ماتَ أخٌ لي، فرأَيْتُه في المَنامِ بعد موتِهِ، فقلتُ له: مافعلَ اللهُ بك؟ فقال: غفرَ لي كُلَّ ذنبٍ اسْتغفرْتُه مِنه، وما لم أستغفِرْهُ مِنه لم يغفِرْهُ لي - انتهى.

وقال عليه الصَّلاةُ والسلامُ: [إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تُكْثِرُوا مِنَ الاِسْتِغْفَارِ فَافْعَلُوا، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ أَنْجَحَ عِنْدَ اللهِ وَلاَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْهُ] رواه الحاكمُ عن أبي الدَّرْداءِ. وقال ﷺ: [اَلاِسْتِغْفَارُ فِي الصَّحِيفَةِ يَتَلأْلَؤُ نُورًا] رَواه الإمامُ ابنُ عَساكِرَ عن مُعاوِيةَ بن حَيْد. وقال عليه الصَّلاةُ والسلامُ: [حَقِيقٌ بِالمَرْءِ أَنْ تَكُونَ لَهُ مَجَالِسُ يَجْلِسُ فِيهَا، وَيَذْكُرُ ذُنُوبَهُ، فَيَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْهَا] رواه مسروقٌ مُرْسَلاً. وقال ﷺ: [لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، وَدَوَاءُ الذُّنُوبِ الاِسْتِغْفَارُ]. عن ثَوْبانَ رضِيَ اللهُ عنه. وقال ﷺ: [اَلاِسْتِغْفَارُ مَمْحَاةٌ لِلذُّنُوبِ] رواه حذيفةُ.

ورُوِيَ عن سُفيانَ الثَّوْرِيِّ، رحِمه الله، أنَّه دخلَ على جعفرِ بن محمدِ بن عليِّ بن الحُسَيْنِ بن عليِّ بن أبي طالبٍ، فسلَّمَ عليه، ثمَّ جلسَ، فقال: ياسفيانُ! قال: لَبَّيْك! قال: إنَّك رجلٌ يطلُبُكَ السُّلطانُ، وأنا رجلٌ أَتَّقِي السُّلطانَ، فقُمْ غيرَ مَطْرودٍ! فقال سُفيانُ: تَحَدَّثْ وَأَقُومُ! فقال جعفرٌ: أخبرَني أبي عن جدِّي عن رسولِ اللهِ ﷺ، قال: [مَنْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ نِعْمَةً، فَلْيَحْمَدِ الله. وَمَنِ اسْتَبْطَأَ رِزْقَهُ فَلْيَسْتَغْفِرِ الله. وَمَنْ أَحْزَنَهُ أَمْرٌ فَلْيَقُلْ «لاَحَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِالله»]، ثمَّ قام سُفيانُ، فناداه جعفرٌ: ياسُفيانُ! قال: لَبَّيْك! قال: خُذْهُنَّ، ثلاثٌ وأيُّ ثلاثٍ، وأشارَ بيدِه - ذكره البيهقيُّ في [شعب الإيمان]. قال بعضُ الفُصَّاحِ: ثلاثُ خِصالٍ لايُعذِّبُكم اللهُ ماعمِلْتُم بهِنَّ: الشُّكرُ والدُّعاءُ والاِسْتغفارُ. ثم قال: [مَا يَفْعَلُ اللهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ]. وقال: [مَا يَعْبَؤُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلاَ دُعَاؤُكُمْ]. وقال: [وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ].

وقال الحسنُ البِصْريُّ: أَكْثِروا الاستغفارَ في بُيوتِكم، وعلى مَوائِدِكم، وفي طُرُقِكم،

وفي أَسْواقِكم، وفي مجالِسِكُم، وأينما كُنتم، فإنَّكم لاتَدْرُون في أيِّ وقتٍ تنزِلُ البركَةُ.

ومِن أَذْكارِ النوويِّ، عن أنسِ بن مالِكٍ، رضي اللهُ عنه، عن النبيِّ ﷺ، قال: [مَنْ قَالَ صَبِيحَةَ يَوْمِ الجُمُعَةِ قَبْلَ صَلاَةِ الغَدَاةِ «أَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيَّ القَيُّومَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ» غفَرَ اللهُ لَهُ ذُنُوبَهُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ]. ورَوَيْنا في سُنَنِ أبي داود والترمذيِّ عن ابنِ مسعودٍ، رضي اللهُ عنه، قال؛ قال رسولُ الله ﷺ: [مَنْ قَالَ «أَسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيَّ القَيُّومَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ» غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ]. قال الحاكمُ: هذا حديثٌ صحيحٌ على شرطِ البخاريِّ ومسلمٍ.

وقال النوويُّ أيضًا في أذكارِهِ ﴿كتاب الاستغفار﴾ اعلَمْ أنَّ هذا البابَ مِن أهمِّ الأَبْوابِ الَّذي يُعْتَنَى به ويُحافَظُ على العملِ به، وقَصدتُ لِتأْخِيرِه التَّفاؤُلَ أنْ يختِمَ اللهُ الكريمُ لنا بذٰلِك. نسأَلُه ذلك وسائِرَ وُجوهِ الخيرَ. ثم ساقَ الآياتِ والأحاديثَ، وقال: روَيْنا في صحيحِ مسلمٍ عن أبي هريرةَ، رضي اللهُ عنه، قَال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: [وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ وَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ تَعَالَى، فَيُغْفَرُ لَهُمْ].

ثمَّ قال ﴿فصلٌ﴾ ثمَّ ردَّ فيه قولَ الرَّبيعِ بن خَيْثَمٍ، ثم قال: وأمَّا كراهِيَةُ «أَسْتَغْفِرُ الله» وتسمِيَتُهُ كَذِبًا، فلا يُوَافَقُ عليه، لأنَّ معنى «أَسْتَغْفِرُ الله» طلبُ مغفرَتِه، وليس في هذا كَذِبٌ – انتهى.

قال الإمامُ الشَّعراويُّ في كتابِ [مشارق الأنوار]: أُخِذَ علينا العهْدُ العامُّ مِن رسولِ اللهِ ﷺ، أنْ نُكثِرَ مِن الإسْتغفارِ، ليلاً ونهارًا، سواءً استحضَرْنَا ذُنوبَنا أو لم نستَحْضِرْها. ﴿قال﴾ وهذا العهدُ يُخلُّ به كثيرٌ من المُتَصوِّفَةِ حيث لم يُفطَمُوا على يدِ شَيْخٍ، فيُزَيِّنُ لهم الشَّيْطانُ مُراعاةَ أنَّهم صاروا مُوَحِّدينَ لافِعْلَ لهم مع الله، فلا يكادُ أحدُهم يَسْتحضِرُ له ذنبًا يَسْتغفِرُ اللهَ مِنه، وربَّما قال في نفْسِه «بعيدٌ أَنَّ مِثْلي يُعذِّبه اللهُ تعالى»، ولو كشَفَ اللهُ عن بَصيرَتِه، كما كَشَفَ لِلعارِفينَ لَرأَى أنَّه قدِ استحَقَّ به في الدُّنيا

الخَسْفَ، ودُخولَ النَّارِ في العُقْبَى. إذِ العبدُ كلُّهُ ذُنوبٌ وعُيوبٌ، وكَمْ قد وقعَ العبدُ في ذنبٍ ونسِيَهُ، وسيَبْدُو له ذلِكَ يومَ القيامةِ، فأَكْثِرْ ياأخي مِن الاِسْتغفارِ.

وقد كانَ سيدي عليٌّ الخَوَّاصُ يَتفَقَّدُ أعضاءَهُ مِن رأسِه إلى قدَمِه كُلَّ يومٍ صباحًا ومساءً، ويَتوبُ إلى اللهِ مِن جِنَايَةِ ذلكَ العُضْوِ ذلك اليومَ وتلك الليلةَ، لاسِيَما الأُذُنُ والعَينُ واللِّسانُ والقلبُ، ويقولُ: إنَّ الاِسْتغفارَ يُطْفِىءُ غضَبَ الجَبَّارِ. ومَن قالَ «أَسْتَغْفِرُ الله» لم يَبْقَ عليه ذنبٌ، إنْ شاءَ اللهُ تعالى، لاسِيَما إنْ أشرفَ الإنسانُ على مُعْتَرَكِ المَنايا، وضاقَ أمرُهُ عن الأَمرِ الصَّالِحِ، فإنَّ هذا ما بقِيَ شيءٌ أنفَعُ له مِن كثرَةِ الاِستغفارِ. ﴿قال﴾ وسمِعْتُه يَقولُ: ماتُوقَفُ على أحدٍ حاجةٌ مِن حَوائِجِ الدُّنيا والآخِرةِ، إلَّا مِن تَرْكِ الاِستغفارِ. قال اللهُ عزَّ وجلَّ: [فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا. يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا. وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا. مَالَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلهِ وَقَارًا. وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا].

واعلَمْ أنَّه ليسَ لِمَن عُزِلَ عن وظِيفَتِه، أو حُبِسَ على جريمَتِه أو دَيْنِهِ أنفَعُ مِن كَثْرَةِ الاِستغفارِ، وذلك أنَّ العَزْلَ والحَبْسَ خِزْيٌ لِلعَبدِ بينَ الأُنْسِ والنَّكالِ. فإذَا راضَى ربَّه بالاِعْتِرافِ والاِسْتغفارِ، ورضِيَ عنه ربُّهُ أَخْرَجَه لِوَقْتِهِ. فإنِ اسْتغفرَ ولَمْ يُطْلِقْهُ الحَقُّ تعالى، فهو دلِيلٌ على أنَّ الحقَّ لم يَقْبَلْ توبتَه، وأنَّ عندَه بقِيَّةَ تَجَبُّرٍ، أو مَيْلٍ إلى المَعصيةِ، فيُعالِجُ ماعنده بِكثرَةِ الاِستغفارِ، وردِّ المَظالِمِ إلى أهلِها، فإنَّ اللهَ توَّابٌ رحيمٌ. وقال: وقد جُرِّبَ أنَّ كلَّ مَن أَحْكَمَ سدَّ بابِ المَعاصي جُملةً، لاتُرَدُّ له دعـوَةٌ، لأنَّه يَصيرُ كالمَلائِكَةِ.

ثم قال: فَلا تَقَعْ ياأخي في المَعاصي وتَطْلُبْ إجابةَ دُعائِك، فإنَّ ذلك لايكونُ، وإنْ كانَ فهو اسْتِدْراجٌ. فكَما دعاكَ مولاَكَ تعالى إلى طاعَتِهِ فلَمْ تُجِبْهُ، كذلك دعَوْتَهُ فلَم يَسْتَجِبْ لك. وكما أَسْرَعْتَ إلى طاعَتِهِ حينَ دعاكَ، كذلك أَسْرَعَ الحقُّ تعالى بِإجابتِك على الفَوْرِ جزاءًا وِفاقًا.

ومِن وصيَّةِ الشيخِ ابنِ أبي النَّجا سالِمٍ المَدْفونِ بمدينة قُوَى، لأصحابِه وهو مُحتضَرٌ: اِعْلَموا أَنَّ الوجودَ كلَّهُ يُعامِلُكم على حسَبِ مابـرَزَ مِنكم، فانْـظُروا كيفَ تكونونَ. قال سيِّدي عليٌّ الخوَّاصُ: مَن غزَلَ لَبِسَ مِنه الحائكُ.

﴿قال﴾ وبِالجُملةِ، فقد صِرنا في زمنِ علاماتِ السَّاعةِ، وهو النِّصفُ الثَّاني مِن القرنِ العاشِرِ، صاحبِ الفِتَنِ والمِحَنِ، وبرَزَتْ علاماتُ السَّاعةِ على كَواهِلِنا، شئْنا أم أبَيْنا، ولا في أَيْدِينا ردُّ التَّقديرِ عنَّا ولا منْعُ الجَزَعِ مِنَّا، فنقولُ «أَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ» اِمْتِثالاً لِأَمرِ اللهِ تعالى لاغيرَ. ومَن لزِمَ الاِستغفارَ جعَلَ اللهُ له مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، ومِن كلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، ورزَقَهُ مِن حيثُ لايَحْتَسِبُ. واللهِ لَوْ جلَسَ الواحِدُ مِنَّا بقِيَّةَ عُمُرِه كلِّه، يقولُ «أَسْتَغْفِرُ الله» لايغفُلُ ساعةً واحدةً مايَجْبُرُ خَلَلَ معاصيهِ السَّابقةِ، فضـلاً عنِ اللاَّحِقةِ، واللهُ غفورٌ رحيمٌ - انتهى كلامُ الشَّعراوِي.

ومِمَّا روَى الرَّبيعُ بنُ صُبَيْحٍ أنَّ رجلاً أتى إلى الحسَنِ، فشكا إليه الجُدُوبَةَ، فقال الحسنُ: اِسْتَغْفِرِ اللهَ! وأتى إليه آخَرُ، فشكا إليه الفَقْرَ، فقال: اِسْتَغفِرِ اللهَ! وأتى إليه آخَرُ، فشكا إليه جَفَافَ بَساتِينِه، فقال: اِسْتَغْفِرِ اللهَ! فقُلنا: أَتاك رِجالٌ يَشكُونَ الوَباءَ، ويَسأَلُون أَنْواعًا، فأَمَرْتَهم كُلَّهم بِالاِسْتغفارِ، فقال: ما قُلْتُ مِن ذاتِ نفسي مِن ذلك شيئًا، إنَّما اعتبَرْتُ بِقولِ اللهِ تعالى حِكايةً عن نبيِّهِ نوحٍ، أنَّه قال لِقومِهِ «اِسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا. يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا. وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا» - ذكَره الثَّعالبِيُّ، رحِمَه اللهُ تعالى.

ورُوِيَ أَنَّ أَعْرابِيًّا عرَضَ لِلمَنصورِ يَسْتَجْدِيهِ، فقال: لَسْتُ أُعطيكَ مالاً، ولكنِّي أذكرُ لكَ حديثًا أَخْبَرني أبي عن جدِّي عن أبيه عن ابنِ عبَّاسٍ، رضِيَ اللهُ عنهما، عن النبيِّ ﷺ، أنَّه قال: [مَنِ اسْتَغْفَرَ سَنَةً فِي كُلِّ يَوْمٍ أَلْفَ مَرَّةٍ، لَمْ تَنْقَضِ السَّنَةُ حَتَّى يَسْتَغْنِيَ]. ففعَلَ الأعرابِيُّ ذلك. ففي آخِرِ السَّنَةِ وقَعَ غَيْثٌ فيه بَرَدٌ، فنزلَ في كَنِيسةٍ فانْخسَفَ مُقابِلُها مِن الأرضِ فانْحسرتِ الأرضُ عن جَرَّةٍ فيها ستَّةٌ وثلاثُون ألفَ دِرْهَمٍ، فرُفِعَ أمرُه إلى المنصورِ، وكان يأخُذُ مِن الدَّفائنِ الخُمُسَ، فأُطْلِقَ الأعرابِيُّ.

وكذلك رُوي عن بعضِهم أنَّه لم يُولَدْ له إلَّا إناثٌ، فسأَل العلماءَ عن شيءٍ يَتوسَّلُ به إلى اللهِ في أولادِه الذُّكورِ، فأَرْشدوه إلى الاِستغفارِ، فَوُلِدَ له جُملةٌ مِن الذُّكورِ.

وقال الشرجِيُّ فِي كتابِ [الفوائد] له: وجدتُ بِخَطِّ بعضِ العلماءِ أنَّ مَن قال كُلَّ يومٍ وليلةٍ خمسًا وعشرين مرَّةً «أَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ الحَيُّ القَيُّومُ الَّذِي لَايَمُوتُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، رَبِّ اغْفِرْ لِي» لايرى في نفسِه ومالِه وولدِهِ شيئًا يَكرَهُهُ أبدًا - مُجَرَّب مُجَرَّب، بل فيه حديثٌ ورَدَ عن النبيِّ ﷺ، وهو مِن أورادِ سيدِنا صاحبِ الراتبِ، وكان يُوصي بِه، ويَحُثُّ عليه. وكذلك كان ساداتُنا المُتقدِّمونَ يُوصون أولادَهُم وأَتْباعَهُم، كما ذكرَه السيدُ الإمامُ عبدالقادر بن شيخ العَيْدَروس في كتابِهِ [الزهر الباسم شرحِ رسالةِ السيد حاتم].

﴿فائدةٌ﴾ قال سيدُنا في نصائِحه: وحَسْبُكَ في فضلِ الاِستغفارِ ومنافِعه وفوائِده قولُه تعالى: [وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ]. وقولُه تعالى مُخبِرًا عن نبِيِّه نوحٍ، عليه السلامُ: [فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا. يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا. وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا]. فالتَّوْبةُ والاِسْتغفارُ مِن كُنوزِ الخَيْراتِ، ومِن أَعْظَمِ القُرُباتِ والبرَكاتِ، ومِن أَوْصَلِ الوسائلِ إلى جميعِ خَيْراتِ الدُّنيا والآخِرةِ. فعَلَيْكُم، رحِمَكم الله، بِلُزومِ التَّوبةِ والاِستغفارِ آناءَ اللَّيلِ والنَّهارِ. ثمَّ إنَّ الشَّيطانَ، لعَنَه الله، يَخْدَعُ بعضَ الأغبِياءِ مِن المُسلِمين، فيقولُ له: كيفَ تَتوبُ وأنتَ لاتَعرِفُ مِن نفسِك الثَّباتَ على التَّوبةِ؟ وكَم تَتوبُ، ثمَّ تعودُ إلى الذَّنبِ؟ ويُلقِي إليه وَساوِسَ مِن هذا الجِنْسِ، فلْيَحْذَرْهُ المسلمُ، ولا يغتَرَّ به، ولا يأخُذْ بِتزويرِهِ وتَلْبيسِهِ.

وقد قال عليه الصَّلاةُ والسلامُ: [مَا أَصَرَّ مَنِ اسْتَغْفَرَ وَإِنْ عَادَ فِي اليَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً]. وعلى العبدِ أنْ يَتوبَ ويسأَلَ اللهَ الإعانةَ، ثم إنْ غلبَتْه نفسُه على العَوْدِ إلى الذَّنبِ، فلْيَغْلِبْها على العَوْدِ إلى التَّوبةِ، واللهُ المُوَفِّقُ والمُعِينُ - انتهى. والحمدُ لِلهِ ربِّ العالَمِين.

﴿الذكرُ الثامِنَ عشرَ﴾

قولُ صاحبِ الراتبِ نفعَ اللهُ به، «لَا إِلٰهَ إِلَّا الله، لَا إِلٰهَ إِلَّا الله» - (خمسون مرَّة). هكذا تَهْلِيلَتَانِ في نفَسٍ واحدٍ، فأقَلُّه خمسٌ وعشرون، ولا يَنقُصُ لِيَتِمَّ بذلك خمسون تهليلةً بِلا نُقصانٍ، ولا حدَّ لأَكْثرِهِ. ولَوْ أُرِيدَ أُلوفًا، ثم يَختِمُ بِـ«لا إِلٰهَ إِلَّا الله، مُحمَّدٌ رسولُ الله، صَلَّى اللهُ عَليهِ وسلَّم، وشرَّفَ وكرَّم، ومجَّدَ وعظَّم، ورضيَ اللهُ عن أهلِ بيتِهِ الطيِّبين الـطَّاهِرين، وأَصْحـابِه الأَكْـرَمين، وأَزْواجِـهِ الطَّاهِـراتِ أُمَّهاتِ المؤمنين، والتَّابِعين لهم بإِحْسانٍ إلى يومِ الدِّين، وعلَيْنا معَهُم وفيهم بِرحمتِكَ، ياأرحَمَ الرَّاحِمين».

قال في الشَّرحِ، قال الإمامُ القاضي عِياضٌ في كتابِ [الشفاء] عن ابنِ عبَّاسٍ، رضي اللهُ عنهما: على بابِ الجنَّةِ مَكْتوبٌ أَنِّي أنا اللهُ لا إِلٰهَ إِلَّا أنا، مُحمَّدٌ رسولُ الله، لاأُعَذِّبُ مَن قالها - انتهى.

وفي بعضِ الآثارِ عن ابنِ عبَّاسٍ، رضي اللهُ عنهما، قال: اَللَّيْلُ والنَّهارُ أربَعٌ وعشرون ساعَةً، ولا إِلٰهَ إِلَّا الله، مُحمَّدٌ رسولُ اللهِ أربعَةٌ وعشرون حَرْفًا، فمَن قال «لا إِلٰهَ إِلَّا الله، مُحمَّدٌ رسُولُ الله» كَفَّرَ كلُّ حرفٍ ذُنوبَ ساعةٍ، فلا يبقَى عليهِ ذَنْبٌ إِذا قالها كُلَّ يومٍ، أي وَكُلَّ ليلةٍ.

قال سيدُنا في كتابِ [النصائح الدينية] في العقيدة ﴿خاتمة كتابه المذكور﴾ وأنَّه لايُقبلُ إيمانُ عبدٍ، وإنْ آمنَ بِه سبحانه، حتَّى يُؤمِنَ بمحمَّدٍ ﷺ، وبِجميعِ ماجاء بهِ، وأخبر عنه مِن أُمورِ الدُّنيا والآخِرةِ - انتهى.

فأمَّا «لَا إِلٰهَ إِلَّا الله» ففضلُها أشهَرُ مِن أنْ يُذْكَرَ، وأظهَرُ مِن أنْ يُشْهَرَ، ويَكْفيكَ في

عظيمِ فضلِها أنَّها أعظمُ أركانِ الإسلامِ ، ورَأْسُ التَّوحيدِ، وأنَّها مَن كانَتْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ آخِرَ كلامِه عندَ الموتِ دخَلَ الجنَّةَ.

وقال ﷺ: [لَيْسَ عَلَى أَهْلِ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْشَةٌ فِي قُبُورِهِمْ، وَلَا فِي النُّشُورِ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ عِنْدَ الصَّيْحَةِ يَنْفُضُونَ رُؤُوسَهُمْ مِنَ التُّرَابِ، يَقُولُونَ «اَلْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ، إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ»].

وقال ﷺ لِأَبي هريرةَ، رضي اللهُ عنه: ياأبا هريرةَ! إنَّ كُلَّ حسنَةٍ تَعْمَلُها تُوزَنُ يومَ القِيامةِ إلَّا شهادَةَ أنْ لا إلٰهَ إلَّا الله، فإنَّها لاتُوضَعُ في مِيزانٍ، لأنَّها لَوْ وُضِعَتْ في مِيزانِ مَن قالَها صادِقًا، ووُضِعَتِ السَّمٰواتُ السَّبْعُ والأَرَضُونَ السَّبْعُ وما فيهِنَّ، كانَ لا إلٰهَ إلَّا اللهُ أَرْجَحَ مِن ذلك. وقال ﷺ: [لَوْجَاءَ قَائِلُ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ صَادِقًا بِقُرَابِ الأَرْضِ ذُنُوبًا لَغَفَرَ اللهُ لَهُ ذٰلِكَ]. وقال ﷺ: ياأبا هريرةَ! لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلٰهَ إِلَّا الله، فإنَّها تَهْدِمُ الذُّنوبَ هَدْمًا. قيل: يارسولَ الله! هذا في الموتَى، فكيفَ في الأَحياءِ؟ قال: هي أَهْدَمُ وَأَهْدَمُ!

﴿قال﴾ في [الجامع الصغير]: وعن ابنِ عبَّاسٍ، رضي اللهُ عنهما، عن النبيِّ ﷺ، قال: [يَفْتَحُ اللهُ أَبْوَابَ الجَنَّةِ وَيُنَادِي مِنْ تَحْتِ العَرْشِ: أَيُّهَا الجَنَّةُ! وَكُلُّ مَا فِيكِ مِنْ النَّعِيمِ، لِمَنْ أَنْتِ؟ فَتُنَادِي الجَنَّةُ وَمَا فِيهَا: نَحْنُ لِأَهْلِ لَا إِلٰهَ إِلَّا الله، وَلَا عَلَيْنَا إِلَّا أَهْلُ لَا إِلٰهَ إِلَّا الله. وَنَحْنُ مُحَرَّمُونَ عَلَى مَنْ لَمْ يَقُلْ لَا إِلٰهَ إِلَّا الله. وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِلَا إِلٰهَ إِلَّا الله، وَعِنْدَ ذٰلِكَ تَقُولُ النَّارُ وَمَا فِيهَا مِنَ العَذَابِ: لَايَدْخُلُنِي إِلَّا مَنْ كَفَرَ بِلَا إِلٰهَ إِلَّا الله، وَلَا أَطْلُبُ إِلَّا مَنْ كَذَّبَ بِلَا إِلٰهَ إِلَّا الله، وَأَنَا حَرَامٌ عَلَى مَنْ قَالَ لَا إِلٰهَ إِلَّا الله، وَلَيْسَ غَضَبِي إِلَّا عَلَى مَنْ أَنْكَرَ لَا إِلٰهَ إِلَّا الله، وَلَا أَمْتَلِئُ إِلَّا مِمَّنْ جَحَدَ بِلَا إِلٰهَ إِلَّا الله. ﴿قال﴾ فَتَجِيءُ مَغْفِرَةُ اللهِ وَرَحْمَتُهُ فَتَقُولَانِ: إِنَّا لِأَهْلِ لَا إِلٰهَ إِلَّا الله، وَنَاصِرَانِ لِأَهْلِ لَا إِلٰهَ إِلَّا الله، وَمُحِبَّانِ لِمَنْ قَالَ لَا إِلٰهَ إِلَّا الله، وَمُنْعِمَانِ لِأَهْلِ لَا إِلٰهَ إِلَّا الله. وَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَبَحْتُ الجَنَّةَ لِمَنْ قَالَ لَا إِلٰهَ إِلَّا الله، وَحَرَّمْتُ النَّارَ عَلَى مَنْ قَالَ لَا إِلٰهَ إِلَّا الله، وَغَفَرْتُ ذَنْبَ مَنْ قَالَ لَا إِلٰهَ إِلَّا الله، وَلَا أَحْجُبُ مَغْفِرَتِي وَلَا رَحْمَتِي عَلَى مَنْ قَالَ لَا إِلٰهَ إِلَّا الله، وَمَا

خلقتُ الجَنَّةَ إلَّا لأَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا الله ، وَلَا تُخَالِطُوا أَهْلَ لَا إِلَهَ إِلَّا الله ، إِلَّا بِمَا يُوَافِقُ لَا إِلَهَ إِلَّا الله].

وقال ﷺ : [أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا الله ، فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ تَعَالَى].

وقال في [الجامع الصغير]، قال رسولُ اللهِ ﷺ : [إِنَّ اللهَ تَعَالَى حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ الله]. «قلتُ» ويَكْفيكَ في فَضْلِها الشَّفاعَةُ الرَّابعَةُ له ﷺ، وقد أشارَ إليها الفقيهُ عمرُ بامَخْرَمة الحضرميُّ، رحِمَه اللهُ تعالى، في قصيدَتِه:

ولعَلَّ رابِعَةً تكونُ وإنَّما * أَخْفَيْتُها صونًا لها عن قالِ

وقد ذكرَ الحديثَ النبويَّ والشَّفاعةَ الأربعَةَ الإمامُ محمد بن حسن في كتابِه [مجمع الأحباب] في (الجزءِ الثالث) خاتمةِ كتابِه المذكورِ.

قال سيدُنا في نصائِحه: فمِنْ أنواعِ الذِّكرِ، بل هو أشرَفُها وأفضَلُها قولُ «لَا إِلَهَ إِلَّا الله». وقال عليه الصَّلاةُ والسلامُ: [أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ]. وقال عليه الصَّلاةُ والسلامُ فيما يَرْوِيه عن اللهِ تعالى: [لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ حِصْنِي. وَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابِي]. وقال عليه الصَّلاةُ والسلامُ: [جَدِّدُوا إِيمَانَكُمْ! قَالُوا: كَيْفَ نُجَدِّدُ إِيمَانَنَا؟ فَقَالَ: أَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ]. وقال عليهِ الصَّلاةُ والسلامُ: [سُبْحَانَ اللهِ نِصْفُ المِيزَانِ، وَالحَمْدُ للهِ تَمْلَأُهُ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ لَيْسَ لَهَا دُونَ اللهِ حِجَابٌ].

وورَدَ أنَّ العبدَ إذا قالَ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ لَا تَمُرُّ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ على سَيِّئَةٍ في صَحيفَتِه إلَّا مَحَتْهَا حتَّى تَجِدَ حسنَةً فتَسْكُنَ إلى جَنْبِها - انتهى.

وقال السيِّدُ الصَّالِحُ الزَّاهِدُ محمد بن يوسف السَّنوسيُّ الحَسَنيُّ في شرحِ عقيدَتِه: وروَى النَّسائِيُّ أنَّه ﷺ قال: قالَ موسى، عليه السلامُ: يارَبِّ، علِّمْني ما أَذْكُرُك وأَدْعُوك بِه! فقال اللهُ تعالى: ياموسى! قُلْ لا إِلَهَ إِلَّا الله! قال موسى: كُلُّ عبادِكَ يقولونَ

هذا، لا إِلهَ إلاَّ أنتَ، إنّما أُريدُ شيئًا تَخُصُّني به. قال: ياموسى! لو أنَّ السَّمٰواتِ السَّبْعَ والأَرَضِينَ السَّبْعَ في كِفَّةٍ، ولا إِلهَ إلاَّ اللهُ في كِفَّةٍ، مالَتْ بهِنَّ لا إِلهَ إلاَّ الله.

وقال رسولُ اللهِ ﷺ: [يُؤْتَى بِرَجُلٍ إِلَى المِيزَانِ، وَيُؤْتَى بِتِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مِنْهَا مَدَّ البَصَرِ فِيهَا خَطَايَاهُ وَذُنُوبُهُ، فَتُوضَعُ فِي كِفَّةِ المِيزَانِ، ثُمَّ تُخْرَجُ بِطَاقَةٌ قَدْرُ الأَنْمُلَةِ فِيهَا شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ الله، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَتُوضَعُ فِي الكِفَّةِ الأخرى، فَتَرْجَحُ خَطَايَاهُ وَذُنُوبَهُ].

قال ﷺ: [مَا قَالَ أَحَدٌ لَا إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ إِلاَّ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ حَتَّى تُفْضِيَ إِلَى العَرْشِ مَااجْتُنِبَتِ الكَبَائِرُ].

وقال ﷺ: [أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي فَأَخْبَرَنِي أَنَّ مَنْ مَاتَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ. فَقَالَ لَهُ أَبُو ذَرٍّ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ].

وقال ﷺ: [مَنْ دَخَلَ القَبْرَ بِلَا إِلٰهَ إِلاَّ الله، خَلَّصَهُ اللهُ مِنَ النَّارِ]. وقال ﷺ: [أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ]. قال ﷺ: [لَا إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ مِفْتَاحُ الجَنَّةِ].

وروَى أنسٌ، رضي اللهُ عنه، أنَّ لا إِلٰهَ إلاَّ اللهُ ثَمَنُ الجنَّةِ. وقال ﷺ: [مَنْ قَالَ لَا إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ نَفَعَتْهُ يَوْمًا مِنْ دَهْرِهِ فِيمَا أَصَابَهُ قَبْلَ ذٰلِكَ]. وقال ﷺ: [لَتَدْخُلُنَّ الجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ أَبَى وَشَرَدَ عَلَى اللهِ شَرْدَ البَعِيرِ عَنْ أَهْلِهِ. فَقِيلَ: يَارَسُولَ اللهِ! مَنْ الَّذِي يَأْبَى؟ قَالَ: مَنْ لَمْ يَقُلْ لَا إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ].

فأَكْثِروا مِن قولِ لا إِلٰهَ إلاَّ اللهُ مِن قَبْلِ أنْ يُحَالَ بينَكُم وبينَهَا، فإنَّها كلِمَةُ التَّوحيدِ، وهِيَ كلمةُ الإِخْلاصِ، وهِيَ كلمةُ التَّقْوى، وهِيَ الكلمةُ الطيِّبَةُ، وهِيَ دعوةُ الحقِّ، وهِيَ العُرْوَةُ الوُثْقى، وهِيَ ثمنُ الجنَّةِ.

وعن أبي ذَرٍّ قال، قلتُ: يارسولَ الله! أَوْصِنِي! قال: أُوصِيكَ بِتَقْوى الله، فإذا

عمِلْتَ سيّئةً فأتْبِعْها بِحسَنَةٍ تَمْحُهَا. قلتُ: يارسولَ اللهِ! أَمِنَ الحَسَنَةِ لا إِلَهَ إلاَّ الله؟ قال: مِن أَفْضَلِ الحَسَنَاتِ.

وعن كعبٍ، قال: أَوْحَى اللهُ إلى موسى في التَّوْراةِ «لَوْلاَ مَنْ يَقُولُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله» لَسَلَّطْتُ جَهَنَّمَ على أَهْلِ الدُّنيا. وقال رسولُ اللهِ ﷺ: [مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ فِي يَوْمِهِ كَانَتْ كَفَّارَةً لِكُلِّ ذَنْبٍ أَصَابَهُ فِي ذٰلِكَ اليَوْمِ]. وقال ﷺ: [يَهْتَزُّ العَرْشُ لِثلاَثٍ: لِقَوْلِ المُؤْمِنِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، وَلِكَلِمَةِ الكَافِرِ إِذَا قَالَهَا، وَلِلْغَرِيبِ إِذَا مَاتَ فِي أَرْضِ غُرْبَةٍ].

وعن بعضِ الصَّحابةِ، رضي اللهُ عنهم، قال: مَنْ قالَ لا إِلَهَ إلاَّ اللهُ خالِصًا مِن قلبِهِ ومدَّهَا بِالتَّعْظيمِ، غُفِرَ له أربعَةُ آلافِ ذَنْبٍ مِن الكَبائِرِ. قيل: فإِنْ لم يكُنْ له هٰذهِ الذُّنوبُ؟ قال: غُفِرَ له مِن ذُنوبِ أَبِيهِ وأَهْلِه وجِيرانِه.

وذكَر عِياضٌ في المُسْتَدرك عن يونُسَ بن عبدِ الأعلى، أنَّه أصابَهُ شيءٌ فرأَى في المَنامِ قائِلًا يقولُ له: اِسْمُ اللهِ الأَكبرِ لا إِلَهَ إلاَّ الله. فقالَها ومسَحَ بِها وجهَهُ، فأصبحَ مُعافًى. وذكَرَ ابنُ الفاكِهاني، أنَّ مُلازمَةَ ذكرِها عندَ دُخولِ المنزلِ تُغْنِي الفَقْرَ. ورُوِيَ عن النبيِّ ﷺ أنَّ مَن قالَ لا إِلَهَ إلاَّ اللهُ سبعينَ أَلْفَ مرَّةٍ كانَتْ له فِداءً مِن النَّارِ.

وذكَرَ الشيخُ أبو محمد عبدُالله بن أسعَد اليافِعِيُّ اليمانيُّ الشافِعِيُّ في كتابِ [الإرشاد والتطريز] في فضلِ ذِكْرِ الله، وتلاوَةِ كتابِه العزيزِ عن الشيخِ أبي يزيد القُرْطُبِيِّ، أنَّه قالَ، سمِعْتُ في بعضِ الآثارِ، أنَّ مَن قالَ لا إِلَهَ إلاَّ اللهُ سبعينَ أَلْفَ مرَّةٍ كانَتْ له فِداءً مِن النَّارِ، فعمِلْتُ على ذٰلك رَجاءَ برَكَةِ الوعدِ، وأَعْمالٍ ادَّخَرْتُها لِنَفْسي، وعمِلْتُ منها لأَهلي.

وكان يبيتُ عندَنا شابٌّ، يُقالُ إنَّهُ يُكَاشَفُ في بعضِ الأوقاتِ بالجنَّةِ والنَّارِ، وكانَتِ الجماعةُ تَرَى لَه فضْلًا على صِغَرِ سِنِّهِ، وكانَ في قلبِي منه شيءٌ. فاتَّفَقَ أنِ اسْتَدْعانَا بعضُ الإخوانِ إلى منزِلِه، فنحنُ نتناوَلُ الطَّعامَ، والشَّابُّ معنا، إذْ صاحَ

صَيْحَةً مُنْكِرَةً، واجتمَعَ في نفسِهِ، وهو يقولُ: يا عَمّ! هٰذه أُمِّي في النَّارِ، وهو يصِيحُ بِصِياحٍ عظيمٍ، لايشُكُّ مَن يَسْمَعُهُ أنّه عن أَمْرٍ. فلمّا رأيتُ ما بِهِ، قلتُ في نَفْسِي: اليَوْمَ، أُجَرِّبُ صِدْقَهُ! فأَلْهَمَني اللهُ السَّبعِينَ الألْفِ، ولم يَطَّلِعْ على ذٰلك إلّا الله. فَقلتُ: في الأَثر حقٌّ، والَّذين رَوَوْهُ لنا صادِقُون. اللّٰهُمَّ إِنَّ السَّبعينَ الألْفِ فِداءُ هذهِ المرأةِ، أُمّ هذا الشابِّ. فما استَتْمَمْتُ الخاطِرَ الَّذي في نفسي إلَّا أنْ قالَ: يا عَمِّ، هذهِ أُمِّي خرَجَتْ مِن النَّارِ، الحمدُ للهِ! فحَصَلَتْ فائِدتانِ: إِيماني بِصِدْقِ الأَثَرِ، وسلامَتِي مِن الشابِّ وعِلْمِي بِصِدْقِهِ.

وقال في كتابِ [المُسْتَطْرَف]، قال أبو العبَّاسِ، أحمدُ بن القِسْطَلَّاني، رحِمَه اللهُ تعالى، سمِعْتُ أبا عبدِالله القُرَشيَّ يقولُ، سمعتُ أبا يَزيدَ القُرْطُبِيَّ يقولُ في بعضِ الآثارِ عن النَّبيِّ ﷺ، أنَّ مَن قالَ «لا إلٰهَ إلّا الله» سبعِينَ ألفَ مرَّة، كانَتْ فِداءَهُ من النَّار إلى آخرِ ما قالَ، وساقَ الحِكايَةَ المتقدِّمةَ عن الشَّاب.

وقال ﷺ: [لَا تَزَالُ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ تَدْفَعُ عَنِ العِبَادِ سَخطَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا لَمْ يُبَالُوا بِمَا نَقَصَ مِنْ دُنْيَاهُمْ]. وفي لفظٍ آخرَ: [مَا لَمْ يُؤْثِرُوا صَفْقَةَ دُنْيَاهُمْ عَلَى آخِرَتِهِمْ. فَإِذَا فَعَلُوا ذٰلِكَ، ثُمَّ قَالُوا «لَا إِلٰهَ إِلَّا الله»، قَالَ تَعَالَى: كَذَبْتُمْ، لَسْتُمْ بِهَا صَادِقِينَ].

﴿قُلْتُ﴾ وكان سيدِي قُطبُ الأقطابِ، صاحِبُ الراتِبِ، نفعَ اللهُ به، يُكْثِرُ مِن لا إِلٰهَ إلَّا اللهُ جِدًّا حتَّى أنَّه يَأْتِي بها في وَسَطِ ألفاظِه إذا كلَّمَ أحدًا، وفي مدَّةِ مايَرُدُّ عليه الجوابَ لِلمُخاطِبِ له - ذكرَ ذٰلكَ صاحبُ [غايةُ القصد والمراد]. وكان مِن عادتِهِ بعدَ صلاةِ الظُّهرِ أَلْفُ مِن قولِ لَا إِلٰهَ إلَّا اللهُ كلَّ يَوْمٍ. وفي شَهْرِ رمضانَ يَزيدُ أَلْفًا آخرَ، وَيُتِمُّ في ستَّةِ شوَّالٍ تمامَ السَّبعينَ الألْفِ مِن قولِ لا إِلٰهَ إلَّا الله.

قال في [بهجة الفوائد]: وكان، يعني صاحبَ الرَّاتِبِ، يقولُ: الرَّاتِبُ الَّذي وضعناهُ بعدَ العِشاءِ الآخِرَةِ يحرُسُ البَلَدَ الَّذي يُقْرَأُ فيها. ويَنبغِي أنْ يُرَتِّبَهُ كلُّ مُريدٍ صادِقٍ سِيَمَا إِنْ كان صاحِبُ الرَّاتِبِ واسِطَتَهُ إلى اللهِ تعالى. فإِنْ رَتَّبَهُ بعدَ العِشاءِ

والصُّبح ، فهُوَ الأَكْمَلُ. وأَنْ يُحْضِرَ في قلبِهِ ويَسْتَشْعِرَ أَنَّهُ يرى ربَّه تعالى، ويَبْتَدِىءَ بِالفاتِحَةِ، ويَخْتِمَ بِالجلالَةِ، وإنْ بَلَغَهَا إلى أَلْفِ مرَّةٍ كان حسَنًا، ولابُدَّ أَنْ يَظْهَرَ عليه شيءٌ مِن أَنْوارِ المَلَكُوتِ - انتهى كلامُه، نفعَ اللهُ به.

قال سيدُنا شهابُ الدِّين أحمد بن زين الحَبَشيِّ في [شرحِ الوصيَّة]: وقد جرَّبَ بعضُ المُحِبِّين ذلِكَ، فظَهَرَ له وعلَيْهِ أَنْوارُ اللهِ تعالى.

﴿فائدةٌ عظيمةٌ﴾ قال الشيخُ العلاَّمةُ عبد الله بن محمد شَراحيل الأَشْرم في ترجَمَته في مناقِبِ سيدِنا الشيخ عبدالله الحدَّاد، نفع اللهُ به، عند ذِكْرِ الرَّاتِبِ: وبلَغَنِي أنَّ سيدِي صاحبَ الرَّاتِبِ يقولُ: مَنْ واظَبَ على هذا الرَّاتِبِ، رُزِقَ حُسْنَ الخاتِمَةِ.

ولْنَرجِعْ إلى ما نحنُ بِصدَدِهِ. قال الوالِدُ في الشَّرْحِ : وذكَرَ الإمامُ حُجَّةُ الإسلامِ ، القُطْبُ الغَوْثُ، سيدُنا الشيخ عبدُالله بن علوي الحدَّاد باعلَوِيّ، نفعَ اللهُ به، في كتابِه [اتِّحاف السائل]: سأَلتَ أَكرمَكَ اللهُ بِالفهمِ النُّوراني عن معنَى لَا إلَهَ إلاَّ الله، فَاعْلَمْ أَنَّ جميعَ العُلُومِ الدِّينِيَّةِ ووسائِلَها تَرْجِعُ إلى معنَى شرحِ هذهِ الكلِمَةِ الشَّرِيفَةِ، وشرحِ حقِّهَا الَّذي هو الأمرُ والنَّهْيُ، والوَعْدُ والوَعيدُ، وما يَتْبَعُ ذلك، وما كانَ شَرْحًا لِحَقِّهَا كانَ شَرْحًا لها بِحُكْمِ التَّبَعِيَّةِ. والقَصْدُ التَّعريفُ بأنَّه لا سبيلَ إلى الإِحاطَةِ بِشرحِ عُلُومِها فَضْلاً عن إيرادِه.

وأطالَ في ذلك إلى أنْ قالَ: واعْلَمْ أنَّ لهذهِ الكلمَةِ الشَّريفَةِ شَرْطَينِ: أحدُهما نَفْيٌ، وهو قولُك «لا إلَه» والآخَرُ إِثْباتٌ، وهو قولُك «إلاَّ الله». فإذا صَدَرَ النَّفْيُ مُعَقَّبًا بِالإِثْبَاتِ مِمَّن لا يُشْرِكُ مع اللهِ إلهًا آخرَ، فمعناهُ نَفْيُ تَوَهُّمِ مَنْ تَوَهَّمَ أنَّ مع اللهِ إلهًا آخرَ مِن المُشْرِكِينَ وردٌّ عليهِمْ، وتَقْديرُ المعنَى الحاصِلِ في القَلْبِ مِن التَّوحِيدِ، فإنَّه يَتَأَكَّدُ بِتَكْرارِ هذه الكلِمَةِ. قال رسولُ اللهِ ﷺ: [جَدِّدُوا إيمانَكُمْ بِقَوْلِ لَا إلَهَ إلاَّ الله].

وقال أيضًا، رضي اللهُ عنه، في الكتابِ المذكورِ: وحَسْبُكَ مِن شَرْحِ الحِكَمِ والفَضيلَةِ أَنَّ الكافِرَ بهذِهِ حلالُ الدَّمِ والمَالِ، مُخَلَّدٌ في نارِ جهنَّمَ أبدَ الآبادِ، وأَنَّ الإنسانَ

يَعيشُ سبعينَ سنَةً مثلاً، فإذا قالَها مُعْتقِدًا لِمعناهَا، عَصَمَ دمَهُ ومالَهُ، وخَرجَ مِن ذَنْبِه كَيَوْمَ ولَدَتْهُ أمُّهُ، وأنَّه لَوْ لَقِيَ اللهَ تعالى بِذنوبِ الأوَّلِين والآخِرين، وهو مع ذلك لا يُشْرِكُ به شيئًا، لَكَانَ يُغْفَرُ له إنْ شاء الله، وإنْ عاقَبَتْهُ ذُنوبُه كانَتْ عُقوبَتُهُ مُنْقَضِيَةً.

وقال أيضًا، نفعَ اللهُ به: اِعْلَمْ أنَّ هذهِ الكلمَةَ أَجْمَعُ الأذكارِ وأَنْفَعُها، وأَقْرَبُها إلى الفَتْحِ واسْتِنارَتِهِ بِنورِ الله، وأَوْلاَهَا بِكلِّ أحَدٍ، وذلك لِتَضَمُّنِها معانيَ جميعِ الأذكارِ مِن التَّحميدِ والتَّسْبيحِ وغيرِهما. ويَنْبغِي لِكُلِّ مُؤْمِنٍ أنْ يجعلَها وِرْدَهُ اللاَّزِمَ، وذِكْرَهُ الدَّائِمَ، ومع ذلك فيَنْبغي له أنْ لا يَهْجُرَ بَقِيَّةَ الأذكارِ، بلْ يجعَلَ لَهُ مِن كُلٍّ مِنها وِرْدًا.

وقال في كتابِ [تثبيت الفواد بِذِكر كلامِ القُطب الحبيب الحدَّاد]، وقال رضي اللهُ عنه: نُوصِيكُم بِلا إلَهَ إلَّا اللهُ كُلَّ وقتٍ، خُصوصًا عند الهُمومِ والشَّواغِلِ وضِيقِ المَعِيشَةِ، فإنَّها تُوَسِّعُ الرِّزْقَ، وطبعُها الرُّطوبَةُ حتَّى أنَّه يحصُلُ منها النَّوْمُ - انتهى.

ومِن كتابِ [رياض الصالحين] للإمامِ النَّوويِّ، رحِمَه اللهُ ونفع به: وعن أُسامَةَ بن زَيْدٍ، رضي اللهُ عنهما، قال: بعَثَنا رسولُ اللهِ ﷺ إلى الحُرَقَةِ مِن جُهَيْنَةَ فَجِئْنا القومَ على مِيَاهِهم، ولَحِقْتُ أنَا ورَجُلٌ مِن الأنصارِ رجُلاً مِنهم. فلمَّا غَشِيْناه، قال لا إلَهَ إلَّا الله، فكَفَّ عنه الأنصارِيُّ، وطعَنْتُه بِرُمْحِي، حتَّى قتلتُه. فلمَّا قدِمْنا المدينةَ بَلَغَ ذلك النبِيَّ ﷺ، وقال لي: ياأُسامَةُ! أَقَتَلْتَه بعدَ ما قالَ لا إلَهَ إلَّا الله؟! فقُلتُ: يارسولَ الله! إنَّما كان مُتَعَوِّذًا. فقال: أَقَتَلْتَه بعدَ ما قالَ لا إلَهَ إلَّا الله؟! فكرَّرَها عليَّ حتَّى تَمَنَّيْتُ أنِّي لم أكُنْ أَسْلَمْتُ قبل ذلِك اليومِ (متَّفقٌ عليه). وفي روايةٍ: فقال رسولُ الله ﷺ: أَقَالَ لا إلَهَ إلَّا الله، وقَتَلْتَهُ؟! قلتُ: يارسولَ الله! إنَّما قالَهَا خَوْفًا مِن السِّلاحِ. قال: أَفَلا شَقَقْتَ عن قَلْبِهِ حتَّى تعلَمَ أَقَالَهَا أمْ لاَ؟ فما زالَ يُكَرِّرُها حتَّى تَمَنَّيْتُ أنِّي لم أَكُنْ أَسْلَمْتُ يومَئِذٍ. الحُرَقَة (بِضَمِّ الحاءِ المُهْمَلة وفتحِ الرَّاءِ) بَطْنٌ مِن جُهَيْنَةَ القَبيلةِ المعروفَةِ. وقولُهُ: مُتَعَوِّذًا، أيْ مُعْتَصِمًا بها مِن القَتْلِ، لا مُعْتَقِدا لها - انتهى.

وذكرَ الخطيبُ في [تاريخ بغداد] بإسْنادِه إلى ابنِ عبَّاسٍ، رضي اللهُ عنهما، في قولِه

تعالى: [هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلَّا الإِحْسَانُ]، قال: إنَّ للهِ تعالى عَمُودًا أحمَرَ، رأسُهُ مَلْويٌّ على قائِمَةٍ من قوائِمِ العَرْشِ، وأَسْفلُه تحتَ الأرضِ السابعةِ على ظَهْرِ الحُوتِ، فإِذَا قال العبدُ لا إلهَ إلَّا الله، تَحرَّكَ الحُوتُ وَتَحرَّكَ العَمُودُ وَتَحرَّكَ العَرْشُ، فيقُولُ اللهُ تَبارك وتعالى لِلْعَرْشِ: أُسْكُنْ! فيقولُ: لَا وَعِزَّتِكَ وجلالِكَ حتَّى تَغْفِرَ لِقائِلِها ما أَصابَ قبلَها مِن ذَنْبٍ، فيَغْفِرَ اللهُ لَه - انتهى.

وذكَر سيدُنا هذا الحدِيثَ في نصائِحِه، وسيدُنا الشيخُ أحمد بن زين في شرحِ الوصيَّةِ مُلَخَّصًا، والأحاديثُ في ذلك مُنْتَشِرَةٌ وفي هذا تَنْبِيهٌ لِلمُوَفَّق النَّبِيه.

﴿قلتُ﴾ وكيفِيَّةُ الراتِبِ الشَّريفِ، أنْ يبدَأَ بِالفاتِحَةِ المُعَظَّمَةِ، ثمَّ آيةِ الكرسيِ، ثمَّ آمَنَ الرَّسولُ ... إلى آخِرِها، ثمَّ الأذكارِ الثَّمانِيَةَ عشَرَ على التَّرتيبِ المذكورِ المُقدَّمِ، ثمَّ بعدَ «لا إلهَ إلَّا الله، محمَّدٌ رسولُ الله» يقرَأُ سورةَ الإخلاصِ (ثلاثًا)، والمُعَوِّذتَيْنِ (مرَّةً مرَّةً)، ثمَّ يقولُ الفاتِحَةَ لسيِّدِنا الفقِيهِ المُقَدَّمِ، وجميعِ السَّادةِ آلِ أبي علَوِيّ، ثمَّ الفاتحة الثانِيَةَ لِلسَّادةِ الصُّوفِيَّةِ مِن مَشارِقِ الأرضِ ومغارِبِها، ثمَّ الفاتحَةَ الثالثةَ لِصاحِبِ الراتبِ أنَّ اللهَ يُعْلِي دَرَجاتِه في الجَنَّةِ، ثمَّ الفاتحةَ الرابعةَ للوالِدَيْنِ والمسلِمين، وإلى حَضْرَةِ النبيِّ ﷺ، ثمَّ الدُّعاءَ بِرَفْعِ اليدَيْنِ، ثمَّ بعدَ أنْ يَمْسَحَ بِهِما وجهَهُ، يقولُ:

﴿الذكرُ التّاسعَ عشَر﴾

«اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ رِضَاكَ وَالجَنَّة، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ سَخَطِكَ وَالنَّار» - (ثلاثًا)، كما يأتي. وقد أشارَ إلى ترتيبِ الرَّاتبِ الشَّريفِ نَظْمًا بلَغَ بِالإشارَةِ بِسيِّدِنا الكبيرِ العلَّامةِ المُزْهِرِ عبدالله بن جعفر مُدْهِر، فقال رضي اللهُ عنه:

هلِّل وسبِّحْ ثَنا قل ربِّ صلِّ به * وعُذْ وَبَسْمِلْ رضينَا كذا بَسْمِل وآمِنْ به
يارَبِّ يا ذا قَوِي أصلِحْ وقُل ياعلي * يافارِج استغفِرْ ثلاثا وهلِّل به
سبعٌ ليا ذا الجلالِ أربعًا آخِرًا * ولْتقرَأَنْ قبله ما هو مِن حزبِه
فاتِحة وآية الكرسي وآمَن وقُل * مُثَلّثًا سورةَ الإخلاصِ من بعدِه
وقُل وقُل والفواتِح وادعُ بِنَيل الرضى * لآخَرِ وهو ختْمٌ غيرُ مُشتَبِه
فاتحةً للمقدَّم ثم صُوفيهم * وصاحبِ الحزب فآل مُختارِ فانْتَبِه

﴿قال﴾ وإنْ شِئْتَ قُلْ بِما هو أَظْهَرُ وأَبْيَنُ، وهو هٰذانِ:

فَواتِحًا أربعًا قبل الدُّعا فاقْرَأَنْ * فاتحةً للمقدَّمِ مُبتدَأ حزبِه
صُوفيةِ صاحبِ الرَّاتِب وآخرُها * للمصطفى أحمدَ الهادي إلى ربِّه

وكان سبَبُ نَظْمِها، لأنَّ الناظِمَ قال: إنِّي سمعتُ مَن يَزِيدُ ويُقَدّمُ ويُؤَخِّرُ في الرَّاتِبِ والفَواتِح، وغيرِ ذلك ممَّا هو ليسَ أُسلوبَ صاحبِ الرَّاتِبِ - انتهى.

﴿فائدةٌ﴾ قال الإمامُ القاشاني، نفَعَ اللهُ به، وجزاهُ أفضلَ الجَزاءِ في شرحِهِ على أسماءِ اللهِ الحُسْنى عندَ شَرْحِهِ لِلجلالَةِ. قيل: لا يَلِيقُ بِأَحَدٍ مِن السَّالِكينَ أنْ يَذْكُرَ هذا الاِسْمَ، إلَّا بزيادَةِ لا إلَهَ إلَّا الله. وأَكْثَرُهم اخْتارُوا مُلازمةَ لا إلَهَ إلَّا اللهُ بِالنَّفْيِ

والإثْباتِ إلى أنْ قال: ﴿فائدة﴾ قولُه تعالى: [كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ]، ثمَّ فسَّرَ أَحْكامَها بِالتَّوحيدِ في قولِه تعالى: [أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ]، وفسَّرَ تَفْصيلَها بِالاِسْتغفارِ والتَّوبةِ في قولِه تعالى: [وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ]، ونبَّه على أنَّ آياتِهِ المُحْكَمَةَ يَرْجِعُ تَعْدادُها إلى آيةٍ واحِدةٍ مُحْكَمَةٍ، وهِيَ لا إلٰهَ إلَّا الله. فما مِنْ عِلْمٍ مِنَ العُلومِ في الغَيْبِ والشَّهادَةِ، إلَّا وهُوَ مُنْتَظِمٌ في سِلْكِ لا إلٰهَ إلَّا الله، مُسْتَثْمَرٌ مِن أَثْمارِ أَسْرارِها. وبهٰذا اكْتَفى بِعِلمِها لِلنَّبِيِّ ﷺ أَحْكامًا وتَفْصيلاً في قولِه تعالى: [فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ، وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ].

وقَد جمَعَ اللهُ سُبحانَه وتعالى مَعَانِيَ آياتِهِ وصِفاتِهِ وجَواهِرَ حِكَمِهِ وكَلماتِهِ في صَدَفِ كلمةِ الإِخلاصِ، واسْمُ الجَلالةِ هو المَقْصودُ مِن كلمةِ الإِخلاصِ. وإنَّما جاءَتْ كلمةُ «لَا إِلٰهَ» دالَّةً عليهِ، وكَالحاجِبِ بينَ يدَيْهِ، واللهُ أَعْلَم.

ثُمَّ قال بعدَ كلامٍ طويلٍ: وَانْظُرْ إلى جَمالِ المُسَمَّى الَّذي وراءَ جِلْبَابِ الاِسْمِ الأَخصِّ الَّذي إليه الإشارةُ بِقولِه: [أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ . . .] شغَلَ اللهُ مَنْ سِوَى محمَّدٍ ﷺ بما سِواهُ، وتَجلَّى له دُونَ الأَنَامِ، فقالَ لِمُوسى عليه السلام: [وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسَى؟]، وقال لإبراهيمَ عليه السلامُ: [أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ؟ قَالَ: بَلَى]. سترَ أَعْيُنَ الأَغْيارِ عن الوُصولِ المَحْصُولِ مِن الحَقيقةِ والأَسرارِ الَّتي كاشَفَ اللهُ تعالى بها محمَّدًا ﷺ حتَّى وَلِهَ بِاسْمِه على جِبالِ مكَّةَ، وقالَتِ العربُ فيه «إنَّ مُحمَّدًا يَعْشَقُ ربَّهُ مِن شِدَّةِ وَلَهِهِ باسْمِهِ»، فقالَ اللهُ تعالى: [سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى]، أَيْ نَزِّهْ مَنْ أَنْتَ الوَالِهُ بِاسْمِهِ، وَبِعِيَانِ ذَاتِهِ، كما قِيل:

بَان الخَليطُ فأَمْسى القلبُ حَيـرانًا * ولَـوْ أَطـاعَ لَمـا وَلَّى ولا بَـانَـا

أَوْدَعَ تَسْمِيَةَ الجلالَةِ في كتابِه العزيزِ بِأَلْفَيْنِ وسِتِّمِائَةٍ وستَّةٍ وستِّينَ مَوْضِعًا، وقال: [فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ]، أيْ تَسْمِيَةُ اسْمِ الجلالَةِ المُوجِبَةِ تَعْظِيمَ الكتابِ الَّذي لَايَمَسُّهُ إِلَّا المُطَهَّرُونَ - انتهى كلامُهُ نفعَ اللهُ به، وجَزاه عنَّا خيرًا.

وهٰذا الذِّكْرُ مِنْ أَعْظَمِ أَذْكارِ الرَّاتبِ الشَّريفِ الَّذي به صار المسلمُ مسلمًا، وأَعْطاهُ اللهُ السَّيْفَ القاطِعَ. ولذٰلك قالَ بعضُ الأَكابِرِ: ما رَأَيْتُ مسلِمًا، ولَوْ عاصِيًا، إلاَّ هِبْتُهُ، لأنَّ معه السَّيْفَ القاطِعَ، وهو «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ». قال اللهُ تعالى: [إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ، وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا].

وقَد أَجْمعَ أهلُ العَقيدَةِ الأَشْعَرِيَّةِ، أهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ، أنَّ ابْنَ آدَمَ إذا ماتَ مسلمًا، وإن كانَ عاصِيًا وقاتِلاً لِلنَّفْسِ المُحَرَّمَةِ لا يُخَلَّدُ في النَّارِ، لأَنَّ في الحديثِ النَّبوِيِّ «لَا يُخَلَّدُ فِي النَّارِ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ»، والحمدُ للهِ ربِّ العالَمين.

قولُ صاحِبِ الرَّاتبِ، نفعَ اللهُ به، «اَللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ رِضَاكَ وَالجَنَّة، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ سَخَطِكَ وَالنَّار» - (ثلاثًا).

قال في الشَّرحِ: وقد أَخْرجَ الترمذيُّ والنَّسائِيُّ عن أَنسٍ، رضي اللهُ عنه، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: [مَنْ سَأَلَ اللهَ الجَنَّةَ، قَالَتِ الجَنَّةُ «اللَّهُمَّ أَدْخِلْهُ الجَنَّةَ!»، وَمَنْ اسْتَجَارَ بِاللهِ مِنَ النَّارِ، قَالَتِ النَّارُ «اللَّهُمَّ أَجِرْهُ مِنَ النَّارِ»]. وقد ورَدَ عنه ﷺ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ».

قال الإمامُ الرَّدَّاد، رحِمه الله، في كتابِه [موجبات الرحمة]، قال رسولُ اللهِ ﷺ «اَللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا، وَارْضَ عَنَّا وَتَقَبَّلْ مِنَّا، وَأَدْخِلْنَا الجَنَّةَ، وَنَجِّنا مِنَ النَّارِ، وَأَصْلِحْ لَنا شَأْنَنا كُلَّهُ». وفي حديثِ الأعْرابي في الدُّعاءِ الذَّي قال لِلنَّبيِّ ﷺ «لَا أَعْرِفُ دَنْدَنَتَكَ ولا دَنْدَنَةَ مُعَاذٍ». فقال له ﷺ: ما تَقولُ أنتَ، أيْ في دعائِكَ؟ قال: أَقولُ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الجَنَّةَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ»، فقال له ﷺ: حَوْلَها نُدَنْدِنُ، أيْ نَدعو أنا ومُعاذٌ بِمثلِ أو نحوِ ذٰلك، واللهُ أَعلم. - انتهى ماأَرَدْنا التَّنبيهَ عليه مِن أَلْفاظِ هٰذا الرَّاتِبِ الشَّريفِ بِما أَوْمَأْنا إلى طَرَفٍ يسيرٍ مِن الدَّلائلِ على ذٰلك مِن الكتابِ والسُّنَّةِ، وإِجْماعِ الأُمَّة وعقائِدِ الأئِمَّةِ.

﴿قلتُ﴾ قال الشيخ أحمد بن عبدالكريم الشجَّار الأَحْسائِيُّ: عندَ ذِكْرِ الصَّالِحين تَنْزِلُ الرَّحمةُ، لاسِيَما ذِكْرُه عندَ راتبِهِ، ولابُدَّ مِن غيرِ ذلك مِن فوائِدَ أيضًا. وقولُ الملائِكَةِ في حديثِ البخاريِّ ومسلمٍ لَّما قال اللهُ تعالى لَهم «مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ» هو ما في الرَّاتِبِ مِن قَوْلِ «سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَر»، فإنَّه مُؤَسَّسٌ ومَبْنِيٌّ على هذا الحديثِ وأَمْثالِه ممَّا هو في معناه. قولُهُمْ «وَيَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ، وَيَسْتَعِيذُونَ بِكَ مِنَ النَّارِ» فهو ما خُتِمَ بِه الرَّاتِبُ مِنْ سُؤالِ الجنَّةِ والِاسْتِعاذةِ مِن النَّارِ، كما هو أيضًا خاتِمَةُ الحديثِ، فافهَمْ ذلك!

﴿قلتُ﴾ وجميعُ مانقَلْناه، وما بلَغَ فيه مِن الفضائِلِ، فهو لِمَن قرأَهُ مع الجماعةِ ووحْدَه، ويحصُلُ بالِانْفِرادِ جميعُ الفضائِلِ الَّتي في الشَّرحِ. وأمَّا فضائِلُ الِاجْتِماعِ على الذِّكْرِ، المُتَقَدِّمَةُ وغيرُها، فهيَ زائدةٌ يُحَصِّلُها عندَ الِاجْتماعِ على الذِّكرِ، ولا يُحَصِّلُها عندَ الِانْفِرادِ. وأمَّا فضائِلُ الذِّكرِ، وما جاءَ في شيءٍ مِن الأذكارِ مِن الفَضْلِ الوارِدِ، فهو يُحَصَّلُ بالِاجْتماعِ والِانْفِرادِ. فتَبَيَّنَ لك ما في راتِبِ سَيِّدِي مِن الخيرِ العميمِ الوافِرِ.

وأُوصيك بِأَوْرادِه كُلِّها، فهي على المِنوالِ مِن الكتابِ والسُّنَّةِ، وخُصوصًا الوِردُ الكبير [مفتاح السعادة والفلاح]، والوِردُ الصغيرُ، فإنَّ لهما مِن الفضائِلِ الواردةِ مِن الكتابِ والسُّنةِ مايَحْتاجُ عندَ البَسْطِ إلى مُؤَلَّفاتٍ، وعندَ الِاخْتصارِ مالا يُطيقُه الذِّهنُ، لأنَّ جميعَ مافيهما وارِدٌ في الكُتُبِ المُعْتَمَدَةِ.

وقد وَعَدْنا أنْ نَجْعَلَ فائدةً مِن تلك الفوائِدِ في جملةٍ مِن أَوْرادِ سيِّدِنا وكراماتِه، فسيَأْتي إنْ شاءَ الله. وفي كتابِ [غاية القصد والمراد] أكثَرُ وأتَمُّ وأعَمُّ، والحمدُ لِلهِ حمدًا يُوافِي نِعَمَهُ ويُكافِئُ مَزِيدَه. سُبحانَك لا نُحصي ثَناءً عليكَ، أنتَ كما أَثْنَيْتَ على نفسِكَ، ولا عِلْمَ لنا إلَّا ماعَلَّمْتَنا، إنَّكَ أنتَ العليمُ الحكيمُ. ربَّنا تَقَبَّلْ مِنَّا، إنَّكَ أنتَ السَّميعُ العليمُ، وتُبْ علينا، إنَّكَ أنتَ التَّوَّابُ الرَّحيمُ.

قال سيِّدُنا الوالد، نفعَ اللهُ به، في كتابِ [سبيل الهداية والرشاد]: يسَّرَ اللهُ علَيْنا

شَرْحَهُ في أيَّامٍ قلائِلَ، وإنَّما ذلك كرامةٌ لِسيِّدِنا صاحبِ الرَّاتبِ - انتهى.

﴿قلتُ﴾ ومِن كراماتِ سيِّدِنا صاحبِ الرَّاتِبِ، أَنِّي حضَرْتُ عندَ سيدِنا العلاَّمةِ الجدّ قُطْبِ الزَّمنِ، الحسن بن سيدِنا الأكبرِ عبدالله بن علوي الحدَّاد، نفَعَ اللهُ بهم، وحضَرَتْ والِدةُ والِدي أحمد، وذلك بعدَ وفاةِ قاضي تَريم العلاَّمة السيِّد الشَّريف علوي بن أحمد بن سُمَيط بأيَّام، فقالَتْ لِوالِدِه سيِّدِنا الحسَن: لَمَّا حَمَلْتُ بِابْني أحمد، جِئتُ وأنا حامِلٌ بِه إلى جدِّه سيِّدِي القُطْبِ الغَوْثِ عبدالله بن علوي الحداد، نفَعَ اللهُ به، وقُلْتُ له: إنِّي خائِفَةٌ مِن الحَمْلِ هذا، لأنَّ معي تَعبًا منه وثِقَلاً. فقالَ لي نفَعَ اللهُ به: لا تَخافي! في بَطْنِكِ عالِمُ تَريم! في بَطْنِكِ عالِمُ تريم! قالَتْ: وأَنا خائِفَةٌ أنَّهُ يَتولَّى القضاءَ؟ قال لها سيدُنا الحسَن: جَدُّهُ عبدُالله الحدَّاد عالِمُ تَريم وخَيِّرُها، ولم يتَولَّ القضاءَ.

ومِن كراماتِ سيِّدي صاحبِ الرَّاتبِ، ماأَخْبَرَني كثيرٌ مِن السَّادةِ، وكثيرٌ مِن الثِّقاتِ، وسَمِعْتُ العابِدَةَ سَلْمَى بنتَ سيدِنا الحبيبِ عبدالله، تقولُ وسَمِعْتُ صاحِبَةَ الواقِعةِ فاطمةَ بنتَ زوجَةِ الحبيب الحُسَيْنِ بن سيدِنا عبدِالله الحدَّاد، قالَتْ: لَمَّا تَشاجَرْتُ أَنا وزوجِي الحبيب الحُسين، ﴿قلتُ﴾ وذلِك لأنَّه تزوَّجَ عليها غيرَها من النِّساءِ ولا تُنكَرُ غيرةُ النسَاء، وكان قبلَ المُشاجَرةِ أَوْلَدَها بِنْتًا ووَلَدَها علِيًّا، والبِنْتُ تُوُفِّيَتْ وقتَ المُشاجَرةِ، قالَتْ: زُرْتُ سيدِي القُطب عبدالله الحداد، وذلك بعدَ الدَّرْسِ قُبَيْلَ غُروبِ الشَّمسِ شَرْقِيَّ بيتِهِ، فلمَّا صافَحْتُه، قالَ نفَعَ اللهُ به: اِصْطَلِحِي أنتِ وحُسين، وهذا الزَّواجُ مكتوبٌ عليهِ، وخَلِّيه يُنْهِي ما عَلَيْه مَكتوبٌ. وإذا اصْطَلَحْتِ أنتِ وحُسين، تَحْمِلِينَ بِبِنْتٍ وسَمِّيها بِاسْمِ البِنْتِ الَّتي تُوُفِّيَتْ لكِ قبلَها، وهِيَ عِمامةٌ برأسي، ويَطولُ عُمُرُها، وتَجيءُ بِأولادٍ يَكونونَ في مَحَلِّي هذا، وضرَبَ بِيَدِه على المَحَلِّ الَّذي هو جالِسٌ عليه مِن حُوطَتِه الحاوِي. فَاصْطَلَحَتْ هِيَ والحبيبُ الحُسين، وحمَلَتْ بِبِنْتٍ، وسَمَّتْها بِاسْمِ مَن قبلَها. ولما كبِرَتْ، تزَوَّجَها سيدُنا ووالِدُنا أحمد، وأَوْلَدَها أولادَه الجميعَ مِنها، والحمدُ لله. فهٰذه الكرامَةُ والمُتَقَدِّمةُ نِعْمَةٌ علينا، يجِبُ علينا بِهِما الشُّكْرُ الكثيرُ لله، المُتَفَضِّلِ المُنْعِمِ حيثُ أنَّ سيدَنا الحبيب بَشَّرَ بِوالِدِنا وبِوالِدَتِنا، أمتَعَ

اللهُ بِحياتِهما في عافِيةٍ، وجَزاهُما اللهُ عنَّا خيرًا.

وكراماتُ سيدِنا عبدِالله، وخوارِقُ عاداتِه كثيرَةٌ جدًّا لايُمْكِنُ حَصْرُها، لكنْ نأتي بِبعضِ ما سَمِعْنَا بما يَتَعَلَّقُ بمنافِعِ هذا الرَّاتبِ. قال سيِّدي الوالِد أحمد في شرحِه على الرَّاتِبِ نَقْلًا عن الشيخ أحمد بن عبدالكريم الشجَّارِ الأحسائِيِّ مِن كتابِه [تثبيت الفؤاد]، قال الشجَّارُ: لَمَّا حَجَجْنا، وزُرْنا النبيَّ ﷺ، ورجَعْنا مِن المدينةِ، عَلِمْنا أنَّ قُطَّاعَ الطَّرِيقِ واقِفونَ على الدَّربِ، فلمَّا قَرُبْنا مِنهم، قَرَأْنَا راتِبَ سيدِنا عبدالله الحدَّاد بالجَهْرِ، ومَرَرْنا عليهِمْ، وما بَيْنَنَا وبَيْنَهم إلَّا نحوُ سبعَةَ عشَرَ ذِراعًا، ولَا قامُوا مِن مَجْلَسِهم، وعافانا اللهُ مِنهم بِبَركةِ هذا الرَّاتبِ الشَّريفِ - انتهى مُلَخَّصًا مِن الكتابَيْنِ.

ومِنها ماأَخْبَرَني به الشيخ محمد بن رُومي الحِجازي، ساكنُ الباطِنةِ مِن أرضِ عُمان، قال: وقَعَتْ ضَرْبَةٌ في البحرِ على بَني زَراف، وكانَتْ أربعينَ مَرْكَبًا سِنْجارًا، مابَقِيَ مِنها إلَّا البَرْشَةُ الَّتي يُقْرَأُ فيها الرَّاتِبُ كلَّ ليلةٍ.

ومِنها ماسَمِعْتُ الشيخ محمد بن رومي المذكورَ أيضًا، قال: اِجْتَمَعَتْ قبائِلُ مِن البَدْوِ، ولا تَقْدِرُ على دَفْعِها حُكَّامُ جِهَتِنا بِباطنَةِ عُمان، فَاجْتَمَعْنا والطَّلَبَةُ على قِراءةِ راتبِ سيِّدِنا القُطبِ عبدالله الحدَّاد، نفَعَ اللهُ به، صباحًا ومساءً، لأنَّـه الأكملُ كـما قالَ صاحِبُه، وكُنَّا نحنُ بِبلدِ لِوَا فرَأَى بعضُ المُحِبِّينَ كأَنَّ سيدَنا صاحِبَ الراتِبِ مُحَوِّطٌ على بلدِ لِوَا بِسَلاسِلَ وغيرِها دائِرًا ما دارَ على البلدِ وزُروعِها، فَمَسَكَ اللهُ عنَّا البَدْوَ بِبركَةِ الرَّاتِبِ وصاحبِه، نفَعَ اللهُ به، فلم يَدخلُوا البلَدَ أَصْلًا، ثمَّ رأَى في المَنامِ ثانِيًا كأَنَّ سيدَنا يَطْوِي ذلك الَّذي حَوَّطَ بِه البلَدَ الَّذي نَقْرَأُه فيها، فقُلْتُ لهم: إنَّ البَدْوَ تَفرَّقوا ورجَعوا إلى بُلدانِهم، فكان الأمرُ كذلك، جاء مَن يُخْبِرُنا بِمسيرِهم عن باطنةِ عُمان تلك الليلةَ.

ومِنها ما حَدَّثَني به الشيخُ العلَّامةُ مُحسِن بن عبدالله باقيس، قال: غَلَبَتْني عيني بِالنَّومِ ليلةً مِن اللَّيالي قبلَ أنْ أقرَأَ الرَّاتِبَ، فرَأَيْتُ رَجُلًا طويلًا جدًّا في المَنامِ يُنَبِّهُني، وقالَ: قُمْ، اِقْرَأِ الرَّاتِبَ! فَانْتَبَهْتُ وقرَأْتُه.

ومِنها ما أَخْبَرَنِي السيدُ الفاضلُ أبوبكر بن عبدالله الجُفري، ساكِنُ بلدِ سِيوُن، قالَ: لَمَّا سِرْنَا لِلْحَجِّ بحرًا، وقَرُبْنا مِن مَرْسَى إبراهيمَ، لم يَجِئْنَا ريحٌ، فلمَّا خِفْنَا فَواتَ الحجِّ، أَخَذْنا قِرَبًا وَنَقَّعْنَاهُنَّ في البحرِ حتَّى نَطْرَحَ فيها ماءً حُلْوًا، وخَرَجْنا قَرِيبَ غُروبِ الشَّمسِ، وبَقِينا ليلَتَنا نَسيرُ، فنِمْنا وأَصْبَحْنا نَسِيرُ، وفَتَحْنا القِرَبَ نُريدُ الشُّربَ مِن الماءِ، فإذا هو مُرٌّ ومالِحٌ بِسببِ تَنْقِيعِ القِرَبِ في البحرِ، فلم نَشْرَبْ منه وَأَهْرَقْنَاه، وتَعِبْنا كثيرًا، فقلتُ: اِجْتَمِعوا جميعُكُم ونَقْرَأُ راتبَ سيدِنا عبدالله الحَدَّاد! فاجتَمَعْنا وقرَأْنَاه على نيَّةِ الفَرَجِ. فَما أَتْمَمْناه إلاَّ وظَهَرَ جُملةُ رَكْبٍ على جِمالٍ، ففَرِحْنا فرحًا شديدًا. فلمَّا وَصَلوا إذا هُمْ حَرامِيَّةٌ، فسَخَّرَ اللهُ لنا قُلوبَهم بِالمَوَدَّةِ، فسَقَوْنا وأَرْكَبُونا الجميعَ حتَّى أَوْصَلُونا جماعةَ الشَّريفِ، وسِرْنا مِن عِندِهم جماعة الشريف، وبلَغْنا الحَجَّ. فلِلَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ.

ومِنها ما سَمِعْتُ مِن بعضِ المُحِبِّين، أنَّه خرَجَ مِن المَبْرَز مِن بلدِ الأَحسائِي يُريدُ الهُفوفَ، فخَرَجَ عليه بَدْوٌ يُريدونَ نهبَهُ، فخَطَّ على نفسِه في الأرضِ كالحَلْقَةِ، وجلسَ في وَسَطِه، وقرَأَ راتبَ سيدِنا، فعُمِّيَ عليهِم، فلم يَرَوْهُ، وسارُوا عنه، وهو ينظُرُ إليهِم. وكذلك وقَعَ لِلسيِّد العلاَّمةِ حسن بن هارون السَّاكنِ جَوّ عُمان حالَ مَسيرِهِ من الجَوِّ إلى حَضْرَمَوْتَ بَرًّا، بأنَّه رأَى قُطَّاعَ الطَّريقِ، فأمرَ مَن معَه بِقراءَةِ الرَّاتبِ، فمَرُّوا علَيْهم ولم يُؤْذُوهُم، كما أخبَرَني بذلك بعضُ السَّادةِ ممَّن سمِعَ مِن قولِ السيد حسن المذكورِ.

ومِنها ماأخبَرَني به الشيخُ العارِفُ عبدُالواحد بن علي بن سُبَيْت الزَّرافي، قال: لَمَّا كان طُهْماس المُسَمَّى نادِر شاه، والِي العَجَم الَّذي مَلَكَ البِلاد والعِباد في وقتِهِ قَصَدَ الأوغان وأَحْربَهم، فقالَ سُلطانُ الأوغان سُليمان: نحنُ مايَقْدِرُ علينا بإِذنِ الله، وإن قَدَرَ على باقي البُلدانِ، لأنَّ معَنا حِرْزًا حَصِينًا، وهو راتبُ سيدِنا عبدِالله بن علوي الحدَّاد، وأمَرَ كلَّ عَساكِره، وأهلِ بُلدانِه بِقراءَةِ الرَّاتبِ الشَّريفِ، فلمْ يُسَلِّطِ اللهُ طُهْماس عليهِ ولا على بُلدانِه ولا عَساكِره بِبركَةِ هذا الرَّاتبِ الشَّريفِ، لأنَّه، أي سُليمان، كانَ يَعِيشُ في حياةِ سيدِنا صاحبِ الرَّاتب. وقد كتَبَ لسيِّدِنا وأَعْلَمَه

بِطُهْماس وما جرَى مِنه، فأَرْسَلَ إليه بِالرَّاتِبِ الشَّرِيفِ، فأَمَرَهُم بِقراءَتِه، وقال لهم: هُو يَحْفَظُكم وأَبْدانَكُم مِنه - انتهى.

ومِنها ماأخبَرَني به الأخُ الأديبُ عبدُالله بن سيدِنا الوالِد أحمد، قال: لَمَّا سِرْنَا مِن الشِّحْر بحرًا إلى بَندَر شُقْرَه سَكَنَ عنَّا الرِّيحُ، فتعِبْنا فقرَأْنا راتِبَ سيدِنا عبدِالله الحداد بِالنَّهارِ، فجاءَ اللهُ بِرِيحٍ طيِّبةٍ أَوْصَلَتْنا البَنْدَر بِبركَةِ قِراءَتِنا لِلرَّاتبِ الشَّرِيفِ.

ومِنها ماأخبَرَني به السيد عوض بَرَكَات الشَّاطِريّ باعَلَوي، قال: لَمَّا سافَرْتُ في مَرْكبٍ لي، وأَخْطَأْنا الطَّرِيقَ في البحرِ، وجاءَ بنا المَركبُ على جَبلٍ، ولم تكُنْ حِينَئِذٍ عندنا ريحٌ في ذلك الوقتِ. فحِينَ ضرَبَ المركَبُ الجبلَ، قرَأْنا راتبَ سيدِنا الحبيبِ عبدِالله بن علوي الحدَّاد جهرًا، فجاءَ اللهُ بريحٍ طيِّبةٍ رَفَعَتْنا عن الجبلِ إلى محلِّ السَّلامةِ بِبركَةِ الرَّاتبِ المُباركِ. وقالَ السيد عوض المذكورُ: نِمْتُ ليلةً مِن اللَّيالي في البحرِ، ولم أَقْرَأْ راتِبَ سيدِنا عبدِالله الحدَّاد، فرأَيْتُ في المَنامِ سيِّدِي عبدالله أَذْهَنَني مِن النَّومِ، فانْتَبَهْتُ وقرَأْتُه، نفَعَ اللهُ به وبِصاحبِه.

ومِنها ماأخبَرَ به الشيخُ العلاَّمةُ الصُّوفِيُّ، تِلميذُ أحمد الشجَّار، محمد بن رُومي الحِجازِيُّ، قال: رَأَيْتُ كأَنِّي بينَ يَدَيْ سيدِنا عبدِالله، صاحبِ الرَّاتبِ، ورَجُلٌ مِن خَلفي يَتوسَّلُ في أَمْرٍ عندَ الحبيبِ عبدِالله، فأَعْطاني سِلْسِلَةً بِيدي، وأَعْطيتُها الرَّجُلَ. فلمَّا أَصْبَحْتُ، وكانتِ الرُّؤْيا ليلاً، جاءَ عِندي رَجُلٌ وطلَبَ مِنِّي إجازةً في قراءةِ الرَّاتبِ، كما أَجازَني به شيخي الشجَّار، فأَخبرْتُه وقُلْتُ له: إنِّي رأيتُ الحبيبَ البارِحَةَ، وأنتَ الرَّجُلُ. ومِن عادةِ الشيخ محمد الحِجازي المذكورِ يُرَتِّبُ الرَّاتبَ عندَ المَخاوِفِ ليلاً ونهارًا، إذ هُو الأكملُ، كما قالَهُ صاحِبُ الرَّاتبِ. وحدَّثَني بعضُ الفُقهاءِ مِن دُوعَن، قال حدَّثَني بعضُ الأخيارِ، وهو بِمَكَّةَ المُشَرَّفَةِ، أنَّ رَجُلاً مِن أهلِ بلدِ القُدْسِ رأَى مِن بَركاتِ راتبِ سيدِنا الحدَّاد ما لاتُحِيطُ به الطُّروسُ حتَّى أنَّه في القُدْسِ فعَلَ زاويَةً بِاسْم الرَّاتبِ، وأَقامَ فيها جُمْلةً مِن الخَلْقِ وأَمَرَهم بإقامةِ الرَّاتبِ ليلاً ونهارًا.

ومِنها ماأخبَرَ به السيدُ العلاَّمةُ القاضي بِتَريم، سيدُنا علوي بن أحمد بن سُمَيط، قال: سمِعْتُ أنَّ بعضَ العرَبِ قبَضَ عليهِمُ النَّصارَى وأَوْصَلُوهُم مَلِكَهُم. فلمَّا دَخلوا عليه ورآهُم، أَمَرَ بِضَرْبِ رِقابِهم. فقالَ له تَرْجُمانُه: هٰؤلاء مِن جماعةِ صاحبِ الرَّاتبِ. قال مَلِكُهم: إذَنْ أَوْصِلوهم إلى أوَّلِ بُلدانِ الإسلامِ! وتَركُوهم لأجلِ صاحبِ الرَّاتبِ، وذلك لأنَّهُم، أَعْني بعضَ النَّصارَى، مُعْتَقِدون في الرَّاتبِ بأنَّه يَحْفَظُ مَراكِبَهم، وإنْ كانوا كُفَّارًا. يُقالُ إنَّهم في كلِّ مَرْكَبٍ لهم يَأْخُذون مسلمًا حتَّى يَقْرَأَ لهم الرَّاتبَ، ويُعْطُونه أُجْرةً على ذلك، واللهُ أعلَم.

ومِنها أنَّ بعضَ الحُكَّام أَراد أنْ يُغَرِّمَ أهلَ بلدِه، ويأخُذَ مِنهم مالاً. وكان يَجْتمِعُ هو وجماعتُه وأهلُ مَشُورتِه على ذلك ليلاً. فإذا أَرادوا أنْ يَفْعَلوا ذلك نهارًا، لابُدَّ أنْ يُبْطِلَ اللهُ أَمْرَهُم بِسببٍ مِن الأَسبابِ، وبَقُوْا على ذٰلك مُدَّةً. فقال بعضُهم: إنَّا إذا اجْتَمعنا على هذا الأَمْرِ، اِجْتَمعَ الأَخْيارُ في المساجدِ، وقرَأُوا راتبَ سيدِنا الحدَّاد، وفيه «أَصْلَحَ اللهُ أُمُورَ المُسْلِمين، صَرَفَ اللهُ شرَّ المُؤذِين»، ونحنُ مُؤْذُون، فصَرَفَ اللهُ أَمْرَنا. فإنْ أَرَدْتُم أنْ يَتِمَّ أَمْرُكم، فامْنَعُوهُم عن قِراءَتِه حتَّى تَقْضُوا غَرَضَكُم، ففَعَلُوا ذلك، فقَضَوْا مِن أَمْرِهم ماشاءوا.

﴿قلتُ﴾ لٰكنْ مَن منَعَ مِن قراءةِ راتبِ سيدِنا، وكذا أورادُ الصَّالِحين، لابُدَّ أَنْ تُصيبَه عُقوبةٌ ظاهرةٌ، وقد جُرِّبَ ذلك. قال سيدُنا العارفُ بالله، محمد بن زين بن سميط باعَلَوي، في كتابِه [غاية القصد والمراد]، قال سيدُنا صاحِبُ الرَّاتبِ: مَن أَعْرَضَ أَوْ أَرادَ بِظاهرِه أَو باطنِه أنْ لا يُقَامَ راتبُنا بعد صلاةِ العِشاءِ، لاَقَى لغائِلة عملِه، ويَنالُه ما يَنالُ المُعْرِضين عن الذِّكرِ، الَّذين أَغْفَلَ اللهُ قُلوبَهم عن ذِكْرِه – انتهى. قال تعالى: [وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي، فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا]. وقوله: [وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا، فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ]. وقوله: [وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ نَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا].

ومِنها ما ذُكِرَ في [غاية القصد والمراد] مِن أنَّ رَجُلاً مُسافرًا أَنْكَرَ بعضُ المُسافِرين في قِراءَةِ الرَّاتبِ، وكانَ معهم، فماتَتْ ناقَتُهُ الَّتي هو راكِبٌ عليها، وانْكَسرتْ رِجْلُه، فالعِياذُ باللهِ مِن غَضَبِ الله، وإيذاءِ أولياءِ اللهِ تعالى.

ومِنها ماأخبَرَني به السيد محمد بن حامد بن علي الحداد، ساكِنُ الصَّير، قال السيد العلَّامة علوي بن علي العَيْدَروس، ساكِنُ بلدِ الأَحساء: لَمَّا سِرْنَا لِلحجِّ بَرًّا مِن بلدِ الأحساء، والطريقُ الَّذي سَلَكْناها مَخُوفَةٌ. فيومًا مِن الأيَّامِ، خرجَ قُطَّاعُ الطريقِ، وكانوا كثيرِين. فلمَّا رَأَيْناهم، شَرَعْنا في الرَّاتبِ، فنَجَّانـا اللهُ وَخلَّصَنا مِنهم، وهم يَنْظُروننا ونحنُ نَنْظُرُهم، ونحنُ ومَن معَنا عندنا أربعون جَمَلاً، تَقَدَّمْنا القافِلَةَ، وتخَلَّفَتِ القافِلَةُ وأهلُها بعدَنا بِقليلٍ، فأَدْرَكُوهم وأَخَذُوهم، ولم يَقْدِروا على أَخْذِنا بِبركة هذا الرَّاتِبِ.

ومِنها ما سمِعْتُ مِن سيدِي الإمامِ العلاَّمةِ حامد بن عمر بن حامد باعلَوِي، إمامِ مسجدِ باعلَوِي بِتَرِيم، قال: أخبَرَني بعضُ فُضلَاءِ زَبِيد سنَةَ حَجِّنا، أنَّه أَنْكَرَ على الرَّاتبِ الشَّريفِ، فعُوقِبَ في الحالِ حالَ إنْكارِه عُقوبةً شديدةً، فتابَ في مَجْلِسه ذلك، فعافاه الله.

ومِنها ماأخبَرَني بعضُ السَّادةِ، قال: سِرْنَا مِن تَرِيم إلى الشِّحْر في قافلةٍ كبيرةٍ، وكنتُ ومَن معي نَقْرَأُ الرَّاتِبَ بِالجهرِ، وكان في القافلةِ رَجُلٌ يَعْتَقِدُ البَدْوُ فيه وفي أهلِه، وكانَ مُعَظَّمًا بينَهم. فإذَا قرَأْنا الرَّاتبَ، يَرْمِينا بِحِجارةٍ صِغارٍ، ففَزِعَ مَن عندنا أنْ يُكَلِّموه في ذلك، فقلتُ لهم: صاحِبُ الرَّاتبِ يَكْفيهِ، فكفاهُ اللهُ قرِيبًا، وذلك إنَّه بَقِي يَسْتهزِىءُ على بعضِ البَدْوِ والَّذين معه ويَضْحَكُ، فأرادَ البَدْوِيُّ أنْ يقتُلَه، فخافَ خَوْفًا شديدًا، وأَنالَه أمرًا عظيمًا، فما عادَ يفعَلُ ذلك معَنا، والحمدُ للهِ ربِّ العالَمين.

ومِنْها أنَّ بعضَ المُحِبِّين مِن أهلِ تَريم قال: حبَسني بعضُ المُسَلَّطين عليَّ مِن يافِع، وقلَدَ عليَّ في مَنزِله، فلمَّا ضاقَ خاطِري مِن حَبْسِه، وذلِكَ قرِيبَ وقتِ العَصْرِ، قَرَأْتُ

الرَّاتِب لِسيِّدي عبدِالله بِنِيَّةِ الفرَج. فلمَّا توَسَّطتُ في قِراءتِه خرَجَتْ أمُّ الحابِس إليَّ وأَخرجَتْني، ولا أتْمَمتُ الرَّاتِب إلَّا وأنَا في الطَّرِيق خارِجًا مِن الحَبْس إلى بيتِ أهلِي، فالحمدُ لله.

ومِنها ماأخبرَني به السيد علي بن الحسَن، صاحِب مَرْباط، قال: نِمتُ ليلةً ولَمْ أقرَأِ الرَّاتِب، فرَأَيْتُ في المَنامِ ملَكًا يقولُ «كُل ليلَة نَخْدُم لَك كذَا وكذَا»، وعدَّ مِن الخَيْراتِ أَشْيَاء كَثِيرَة، واللَّيلَة لَم نَخْدُم شيئًا لَك، لأنَّك لم تَقْرَأِ الرَّاتِب. ﴿قال﴾ فَانْتبَهْتُ وقَرَأْتُه في الحالِ.

وأَخْبرَني بعضُ السَّادات، قال: إذا غَلَبَني النَّوم وأنَا في الرَّاتِب، فإذا نِمْتُ ولَم أُتِمَّها، رأَيْتُ في مَنامِي أَهْوالاً عَظيمَة. وإذا لَم أَنَمْ حالَ قِراءَتِي لِلرَّاتِب لَم أَرَ في مَنامِي مِن ذٰلِك شيئًا.

قالَ بعضُ السَّادات: قَرَأْتُ الرَّاتِب في جَمْع، وإذا بِعَقْرَب جاءَتْ إليَّ قاصِدَة، فأَرَدْتُ أَن أُجَرِّبَ الرَّاتِب. فلمَّا جاءَ إلى قَرِيبٍ مِن رِجْلي وكنتُ جالِسًا ناصِبًا رُكْبتِي، وباطِنُ رِجْلي على الأرضِ، وقَفَتْ ساعَةً، ثمَّ رجعَتْ ولَم تَقْدِرْ عليَّ.

ومِنْها، وهي أَعْظَمُ مايُنْتَفَعُ بها، أَنَّ روحَ سيدِنا صاحبِ الرَّاتِب تَحْضُرُ قِراءَةَ راتِبِه، كما ذكَرَ بعضَ ذٰلِك سيِّدِي محمد بن زين بن سُميط في بابِ الحِكايات مِن كِتاب [غاية القَصْد والمُراد]، وفي غير ذٰلِك مُجرَّب . . . مُجرَّب . . . مُجرَّب.

ومِنها ماأخبَرَني به المُحِبُّ محمد بن إبراهيم بن محمد مُغيربان، ساكِنُ بلدِ الصَّيْعَر، قال: مِن عادَةِ الحبيب سيدِنا زينِ العابدين بن علي بن سيدِنا القُطب عبدالله الحدَّاد دائِمًا مُدَّةَ ما أنَا عِندَه أَخدُمُه، مايَتْرُكُ الرَّاتِب. فلمَّا أَرادَ اللهُ إنْفاذَ قُدرَتِه غلَبَ علينا النَّومُ أوَّلَ صلاةِ العِشاء، فلَمْ نُصَلِّ جماعةً، ولا قرَأْنا الرَّاتِب، لَا سيدُنا زينُ العابدين ولا مَن كان عندَه. فلمَّا أصبَحْنا احترَقَ البيتُ الذِي كُنَّا فيه، فعرَفْنا أنَّ ذٰلِك بِتَرْكِ قِراءَتِنا لِلرَّاتِب تِلكَ اللَّيْلَة، فلَمْ نَترُكْهُ بعدَ ذٰلِك. فإذا قرَأْناه اطْمَأَنَّتْ قلوبُنا، ولَم نَخَفْ على بُيوتِنا وإنْ كانَتْ مِن جريدِ النَّخْل، وإذا لَم نَقرَأْه لم نَطْمَئِنَّ حتَّى نقْرَأَه.

مِنها ماأخبَرَني بعضُ المُحِبّين مِن أهلِ - لِوا - مِن الباطِنَة، قـال: إنَّ قُضاةَ الأَباضِيَّة إذا قرَأْنا خبرَ مَوْلدِ النَّبيِّ ﷺ بالتَّسْجيعِ يأْذُونَنا عندَ قِراءَتِنا له، ويَقولون «هو بِدْعَة»، وإذا توَسَّطْنا في قِراءَتِه بطَّلُوا علَينا. فلمَّا رأَيْناهم على هٰذه الحالَة اِبتدَأْنا بِقراءَةِ راتِبِ سيدِنا عبدِالله الحدَّاد قبلَ أنْ نَبْتدِىءَ في قِراءَةِ المَولِدِ الشَّريفِ، فسلَّمَنا اللهُ مِنهم، فلَم يَقْدِروا على إيذائِنا. وإذا لَم نَقرَأْه قبلَ المَولِدِ آذَوْنا، فواظَبْنا على قِراءَةِ الرَّاتِب قبلَ المَولِدِ الشَّريفِ.

ومِنْها ماأَخْبرَني به الشيخ فضل بن عبدالله بن محمد باسهل، قال: كُنَّا في مكَّةَ المُشَرَّفة، فأَرادَ بعضُ النَّاسِ قِراءَةَ راتِبِ سيِّدِنا عمر بن عبدالرحمن العطاس، خُذْ راتِبَ سيدِنا القُطب عبدالله بن علوي الحدَّاد في الحَرَمِ الشَّريف، فَليلَةٌ مِن اللَّيالي حصَلَ بينَ الفَريقَيْن، أَعْني قُرَّاءَ راتِبِ سيدِنا الحدَّاد وَقُرَّاءَ راتِبِ سيدِنا العطَّاس تَنازُعٌ، وارْتَفعَتِ الأصواتُ حتَّى ظنَّ الأشرافُ أَنَّ هٰؤلاء عَسْكَر، فَقُلِّدَتِ الأَبْوابُ، فبلَغَ الأمـرُ إلى الشَّريفِ مُساعِد، فأَمرَ بِتَرْكِ الرَّاتِبَيْن ولا يَقْرَأْهما أحدٌ في المسجدِ الحَرام، وأَخذَ على ذلك أُسْبوعًا، فرَأَى مِن سيدِنا الحدَّاد أمرًا يصُدُّهُ عن فِعْلِه، فطلَبَ قارِىءَ راتِبِ سيدِنا الحدَّاد، وقال: اِقْرأْهُ وحدَكَ، أنتَ ومَن معَك! فتَشَفَّعُوا، أَعْني قُرَّاءَ راتِبِ سيدِنـا العطَّاس بِأهلِ الشَّفاعةِ عندَه، فلَم يُجِبْهم إلاَّ بعدَ مُدَّةٍ، وشفاعاتٍ كثيرَة، لٰكنْ أَمَرَهم بِالبُعْدِ عن قُرَّاءِ راتِبِ قُطبِ زمانِه سيدِنا الحدَّاد، وبحيثُ لايَسْمَعون قِراءَتَهم إذا قَرأُوه.

ومِنْها أنَّ سيِّدَنا وعُمدَتَنا الوالِد أحمد، نفَعَ اللهُ به، آمين، لَمَّا حجَّ حجَّةَ الإسلامِ سُنةَ ١١٥٧ (سبعٍ وخمسين ومِائة وأَلْف) مِن الهِجْرة الشَّريفَة، قال في تاريخِها شِعرًا:

حَجَّتُنـا تُنادي جميـع مَن في النَّـاد * إنْ شِئت وَقْفَةَ عامٍ عامِ رِضا الجَوادِ

وكانَ نفَعَ اللهُ به ركِبَ بَحْرًا مِن عدَن في مَركَب برميص، فلمَّا أرادَ اللهُ ماأرادَ ضَحْوَةَ النَّهارِ، أَخْطأُوا المَجرى المُعتادَ نحوَ جزيرةِ كتنبل، وضرَبَ المركبُ الجبلَ ثلاثَ مرَّاتٍ، فتغَيَّرَ المركَبُ، وماتَ جميعُ مَن فيه إلاَّ قليلاً. قال سيدِي الوالِد: فَأَخْذتُ شَال ترُمَّة

أخضرَ كان يَتَرَدَّى به سيدُنا الشيخ عبدُالله بن علوي الحدَّاد، وتعَمَّمْتُ به، وامْتلأَ المركَبُ ماءً من البَحْرِ، طَرفُهُ بِأَيْـدينا وأَبْـدانُنا في البَحْـر، وإذا تعِبَتْ أَيْدينـا ركِبْنا عليه كما يَركَبُ الناسُ على الجمَلِ، وبَقِينا على ذٰلك خمسةَ أيّامٍ على هٰذهِ الحالَةِ بِلا أَكْلٍ ولا شُربٍ، فرَأَى والِي القُنفدة قُبَّةً خَضْراءَ في البَحْرِ، فقالَ لِمَن عندَه: تَرَوْنَ قُبَّة؟ فقالوا: كُلُّنا نَراها! فأَرْسلَ مِن عندِه مركَبَيْنِ ينظُر أهلُها خبرَ القُبَّة، وكان مركَب قبلَهُم سائِرًا إلى المَخا نَظر القُبَّة أيضًا فَقصَدَ نحوَها فسبَقَ قبلَ المركَبَيْنِ، فلمَّا جاءَ وجَدَنا، فعرَفَ ذلك كرامَةً لِمَن رَآهم. فلمَّا أرادَ أنْ يأخُذَنا ومَن معنا إلى مركَبِه، قلتُ: اِحْمِلوا كافَّةَ مَن كان هنا قَبْلي، وطلَعْتُ آخِرَهم. فلمَّا أَطْلَقْتُ المركبَ مِن يدي غاصَ في الحالِ، ولا رأَيْناه. ﴿قال﴾ وكُنَّا نقرَأُ راتِبَ سيدِنا عبدالله الحدَّاد كُلَّ ليلَة، فعلِمْنا أنَّه بِبركَتِهِ سلَّمَنا اللهُ - انتهى.

وعن السيِّد العلَّامة علوي الكاف، ساكِن وادِي عَمد، أَنَّه طلبَ ماءً مِن سيِّدِي الوالِد أحمد، لَمَّا عطِشَ عطشًا شديدًا وكان معَهم، فأَخذَ الوالِد ماءً مِن البَحْر، وسَقاه مِنه، فوجَدَهُ حُلوًا.

ومِنْها أنَّ جميعَ المراكِبِ الإسلاميَّةِ كلِّها أو غالِبِها مِن كلِّ الجهاتِ، إذا ركِبُوا البحرَ لَم يَتْرُكوا قِراءَةَ الرَّاتِبِ الشَّريفِ بعدَ صلاةِ العِشاءِ، لأَنَّ لهم اعْتِقادًا عظيمًا بأَنَّ قِراءَتَه في المراكِبِ يحفَظُها. وكذٰلِك أَصْحابُ المُدُنِ والقُرى وجميعُ الجِهاتِ مِن الشَّرقِ والغَربِ مِن حَضْرَموت واليمنِ والشَّامِ وفي بُلدانِ الرُّومِ والهندِ والعراقِ، حتَّى أَتانا لَمَّا وصَلْنا إلى أوَّلِ بُلدانِ فارِس الَّتي افْتَتَحَها سيدُنا عمر بن عبدالعزيز بندَر عبَّاس ومَن فوقَها مِن البُلدانِ، وما قَرُبَ مِنها، مثلُ الجزيرَةِ الطَّويلةِ الَّتي أهلُها عَجَم، لا يَتْرُكون قِراءَةَ الرَّاتِبِ كلَّ ليلَةٍ بعدَ صلاةِ العِشاء.

وأَخْبَرني بعضُ السَّادةِ، قال: حضَرْنا مَدْرَس بعضِ العُلَماءِ في البَصرة فجَرَتْ مُذاكَرةٌ في أَوْرادِ المشائِخ. ﴿قال﴾ مااشْتَهَرَتْ في الجهاتِ عندَ كلِّ النَّاسِ إلَّا ثلاثة

أَوْراد: دلائِلُ الخَيْراتِ للجَزولي، وحِزْبُ البحرِ لِلشَّاذِلي، وراتِبُ القُطب الغَوْثِ السيد عبدالله الحدَّاد الحَضْرمِيّ، وهو أَشْهَرُها لِحيْثُ أنَّ غالِبَ النَّاسِ حتَّى العَوامّ يَقْرأُونَه.

قال بعضُ المُحِبِّين في قصيدَةٍ امْتدَحَ بها سيدَنا نفعَ اللهُ به، عِند ذِكرِ راتبِهِ:

وراتِب شــاعَ في كـلِّ الأمــاكِنِ * كنـور الشمسِ في كـلِّ الجِهـات

ومِنْها ما حدَّثني به الأخُ الفاضِلُ علوي بن عبدالله بن زين الحبشي، ساكِن بلدِ مليبار، قال: حدَّثَني السيِّدُ الفاضِلُ محمد حامد بن علي حامد المُنَفِّر باعلوي، قال: سافَرْتُ في جِهاتِ جاوَهْ مِن بلَدٍ إلى بلَدٍ، وركِبْنا في ساعِيَةٍ في البحرِ، فلمَّا توَسَّطْنا في البحر في جِهَةِ جاوَهْ، هاجَ البحرُ وكَثُرَتِ الرِّياحُ الشَّديدَةُ والأمطارُ الغزيـرَةُ علَيْنا، وضَيَّعْنا الطَّريقَ وبَقِينا مُتَحَيِّرين بينَ جُزُرٍ كثيرةِ العدَدِ كثيرَةِ الأشجارِ، عددُ الجُزُرِ مِقدارُ أربعةِ أمداد فِلفِل، كلُّ حبَّة أحسِبُها جزيرَةً. فلمَّا جنَّ الليلُ علينا زادَ التَّعَب، فلمَّا دخلَ وقتُ العِشاء سمِعْنا الأذانَ لِلصَّلاةِ، فلمَّا سمِعْنا الأذانَ أَذَّنَّا، وفينا الخَوْفُ لأنَّ الحرامِيَّة كثيرَة، ونهَّابَةُ الأموالِ في ذٰلك المكانِ. فلمَّا صلَّى أهلُ الجزيرةِ الَّتي نحنُ قريبٌ مِنها ومَن فيها مِن أهلِ المركَبِ صلاةَ العِشاءِ، شرَعُوا في قِراءَةِ راتِبِ سيدِنا عبدالله الحدَّاد، وشرَعْنا نحنُ أيضًا في قِراءَةِ الرَّاتِبِ على عادتِنا. فلمَّا سمِعُوا أصواتَنا، أَصْواتَ عرَب عَرَفوا أنَّا غُرَباءُ، فوَصَلوا إلى عندِنا وفرِحْنا بهِم، فلمَّا أَصْبَحْنا عرَّفُونا الطَّريقَ - كلُّ ذلك لأجلِ الرَّاتِب. ﴿قالوا﴾ وجميعُ أهلِ هذهِ الجزيرَةِ يقرَأُونَ الرَّاتِبَ الشَّريف.

﴿قلتُ﴾ وقد ذكَرَ هذه الحِكايَةَ السيدُ الشريفُ أبو بكر بن عبدالله خِرِد باعلوي، بأنَّه قد تغَيَّرَ عليهم المركَبُ في آخِرِ النَّهارِ بِبَنادِر جاوَهْ، وخافوا مِن أهلِ البَنْدَر أنَّهم كُفَّار، وجنَّ اللَّيلُ والمركَب مُغَيَّر. فلمَّا جنَّ الليلُ سمِعُوا قِراءَةَ الرَّاتِبِ لِسيدِنا عبدالله الحدَّاد في الجزيرَة، فعَرَفوا أنَّ أهلَها مسلِمُون، فصاحُوا بِرَفْعِ الصَّوتِ، فخَرَجوا إلى عندِهم وسلَّمُوهم ومركَبَهم ومَن فيه وما فيه - وكلُّ ذلك بِبركَةِ الرَّاتِبِ الشَّريفِ.

ومِنْها أنَّ مَن واظَبَ على قِراءَتِه رُزِقَ حُسْنَ الخاتِمة. قال الشيخ عبدالله بن محمد

شَراحيل الأَشْرَم في تَرْجمتِه في مَناقِبِ سيِّدِنا عبدالله الحدَّاد عندَ ذِكْرِه لِلرَّاتِبِ: وبلَغني أنَّ سيدِي صاحِبَ الرَّاتِبِ يقول: مَن واظَبَ على قِراءَةِ هذا الرَّاتِبِ رُزِقَ حُسنَ الخاتِمةِ. وقال سيدُنا الكبيرُ أحمد بن زين الحبشي علوي في شرحِ الوصِيَّة بعدَ ذِكْرِه لِلرَّاتِب: وقد سمِعْتُ بعضَ أهلِ الصَّلاحِ يقولُ إنَّ سيدَنا عبدالله الحدَّاد يقولُ: مَن قرَأَ الرَّاتِبَ سِيما الجلالَة بِأدَبٍ وخُضوعٍ ويقينٍ ونيَّةٍ صادِقةٍ، ويُتِمُّ الجلالَةَ أَلْفًا، لا بُدَّ وأَنْ يَظْهَرَ عليه شيءٌ مِن الأنوارِ والفُتوحِ. ﴿قال الرَّاوي﴾ وقد عمِلَ بذلك أخٌ لي، فظَهَرَ له وعليه شيءٌ مِن أنوارِ اللهِ تعالى. قال العلاَّمةُ أحمد بن عبدالكريم الأحسائِيُّ: قد كان ورَدَ هذا الرَّاتِبُ على مُؤَلِّفِه في بعضِ لَيالي رمضانَ، وكان ليلةَ القَدْر سنةَ ١٠٧١ (إحدى وسبعين وألف).

﴿قلتُ﴾ ورأيتُ الرَّاتِبَ بِخطِّ بعضِ الفُضلاءِ ﴿قال﴾ يُقالُ إنَّه كان وُرودُه ليلةَ القَدْرِ، ليلةَ سبعَ عَشْرَةَ، أي سبعةَ عشرَ مِن رمضانَ المُعَظَّم سنةَ إحدى وسبعين وألف.

﴿فائدةٌ﴾ في تَأْييدِ وتَأْكِيد ما تقدَّمَ ممَّا كتبَه الشيخُ العلاَّمةُ محمد بن سليمان الكُردي المَدني للشيخِ العلاَّمةِ عبدِالواحد بن علي، ساكِن الصِّير، عن مولانا السيد عبدالله بن علوي الحدَّاد ممَّا يُوجِب حُسنَ الخاتِمة، أنْ تقولَ بعدَ المغرب أَرْبَعَ مرَّاتٍ «أَسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ الحَيُّ القَيُّومُ الَّذِي لَايَمُوتُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، رَبِّ اغْفِرْ لِي» - انتهى.

﴿قلتُ﴾ وذكَرَ ذلك السيدُ الإمامُ العارِفُ باللهِ الكبيرِ، صاحِبُ الطَّائِف، عبدالله ميرغني في كِتابِه فيما يُوجِبُ حُسنَ الخاتِمةِ وعن بعضِهم. مَن قالَ بعدَ صلاةِ المغربِ قبلَ أنْ يتكلَّمَ «اَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ بِعَدَدِ كُلِّ حَرْفٍ جَرَى بِهِ القَلَمُ» عَشْرَ مرَّاتٍ، ماتَ على الإيمانِ.

ونقلَ المَلَوِي المُصَيْرِي عن الإمامِ السُّيوطِي، رحِمَه اللهُ تعالى، إلى أَنَّ مَن ذكَرَ هٰذه الصَّلاَةَ ليلةَ الجُمُعةِ، ولَوْ مرَّةً، ولازَمَ عليها، لم يُلَحِّدْه في قبرِه إلاَّ النبيُّ محمَّدٌ ﷺ، وهي

هذه «اَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الحَبِيبِ العَالِي القَدْرِ العَظِيمِ الجَاهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ». ورَأَيْتُ نقلاً عن الشيخ عبدِالوهَّاب الشَّعْراوي: مَن أَرادَ أَنْ يَفوزَ بِحِفْظِ الإيمانِ وحُسنِ الخاتِمَةِ، فَلْيقرَأْ هٰذَيْنِ البَيْتَيْنِ كلَّ يوم جُمُعَةٍ سبعَ مرَّاتٍ، وهي هذا الأَبْيَات:

إِلٰهِي لَسْتُ لِلْفِرْدَوْسِ أَهْلاً * وَلاَ أَقْوَى عَلَى نَارِ الجَحِيمِ
فَهَبْ لِي زَلَّتِي وَاغْفِرْ ذُنُوبِي * فَإِنَّكَ غَافِرُ الذَّنْبِ العَظِيمِ

ونُقِلَ عن الشيخِ العارفِ البَكْرِيِّ، أنَّهُ قال: مَن قالَ في عُمُرِه، ولَوْ مرَّةً واحِدةً، «اَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِق، وَالخَاتِمِ لِمَا سَبَق، وَالمُعْلِنِ الحَقَّ بِالحَقِّ، الهَادِي إِلَى صِرَاطِكَ المُسْتَقِيم، وَصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ حَقَّ قَدْرِهِ وَمِقْدَارِهِ العَظِيم» فإنْ دخلَ النَّارَ فَلْيَقْبِضْني بينَ يَدَيِ اللهِ عزَّ وجلَّ - انتهى مِن خطِّ الشيخ محمد بن سليمان الكُردي المَدَني.

﴿قلتُ﴾ وكذٰلك ثبَتَ في مَناقِبِ سيدِنا السيدِ العارفِ باللهِ، عبدِالله بن الشيخ الأكبرِ علي باحسين السقَّاف باعلوي، أنَّه لمَّا تمَّ تأليفُ صلاتِهِ الَّتي أوَّلُها «اَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى ..... صاحب (الأسرَار الإلٰهيَّة) إلى آخرِ الصَّلاةِ» رَأى النبيَّ محمَّدًا ﷺ. وقالَ له: حُسنُ الخاتِمَةِ لِمَن قرأَها، أو وقَعَ نظَرُه عليها.

وقالَ في كتابِ [القِرْطاس]: ورأيتُ في بعضِ الآثارِ: مَن قرَأَ الفاتِحَةَ، وآيَةَ الكُرسيِّ، وآمَنَ الرَّسولُ، مرَّةً مرَّةً، وقُلْ هو اللهُ أحَد إحدى عَشْرَةَ مرَّةً، والمُعوِّذَتَيْنِ مرَّةً مرَّةً، أَوْرَثَه اللهُ حُسنَ الخاتِمَة. قال الإمامُ النوويُّ، رحِمَه اللهُ، في [الأذكار]: مَن بلَغَه شيءٌ مِن فَضائِلِ الأعمالِ، فَلْيَعْمَلْ به، ولَوْ مرَّةً في العُمُر - انتهى.

إذا فهِمْتَ ما في هٰذه الفائِدَةِ وما في معْنَاها، فافْهَمْ قولَ سيدِنا صاحبِ الرَّاتِبِ: مَن واظَبَ على هٰذا الرَّاتبِ رُزِقَ حُسْنَ الخاتِمَة.

﴿تتِمَّة﴾ لهٰذه الفائِدَةِ كالخاتِمَةِ زِدْناها بِمكَّةَ المُشرَّفَةِ سنَةَ ١٢٠١ (إحدى ومِائتَيْنِ

وأَلْفٍ) مِن الهِجْرةِ النَّبويَّةِ لِلإمام والصِّنو الأخ حامد بن أحمد الحدَّاد، حجَجْنا معه حَجَّةَ الإسلَام، وزُرْنا بِفَضل اللهِ سيِّدَ الأنَام، وأَصْحابَه الكِرام، وذٰلك بإشارةِ سيِّدِنا وشيخِنا وأُستاذِنا الوالِد العلَّامة أحمد بن القُطْب عبدالله الحدَّاد، وكان خَتْمُ شرحِ الرَّاتِبِ هذا سنَةَ ثلاثٍ وتِسْعين (بِتقديمِ التَّاءِ المُثنَّاةِ فَوْقُ) والمِائَة والأَلْف، ثمَّ زِدْنا فيه سنَةَ ستٍّ وتِسْعين حينَ كُنَّا بِدُوعَن في زِيارةِ الشيخ سعيد بن عيسى العَمُودي، نفَعَ اللهُ به، وفي ذٰلك إشارةٌ سابِقةٌ، وذٰلك أَنِّي رأَيْتُ في المَنامِ سنةَ ١١٩٣ كأَنِّي والأخ السيد حامد بِن الخال عليّ بن الجدّ الحُسين بن القُطْب عبدالله الحدَّاد في فاضِلَةِ آل الشيخ محمد بن سعيد العَمودي بِدُوعَن ببلَدِ بِضَهْ، وكأَنِّي أَرَدْتُ أنْ أَخْتِمَ الشَّرحَ المذكورَ على الرَّاتِبِ الشَّريفِ، وكأَنَّ الشَّرحَ المذكورَ تَأْليفُ سيدِنا القُطْبِ عبدالله الحدَّاد، صاحِبِ الرَّاتِبِ الشَّريفِ، ورأَيْتُ كأَنِّي أُريدُ أَنْ أَختِمَ الشَّرحَ المذكورَ، وطلَبَ مِنِّي السيد حامد بن الخال عليّ أَنْ أُمْلِيَ عليه ختمَ الشَّرحِ المذكورِ، وهو يكتُبُه، فساعَدْتُه على ماطلَبَ، وكأَنِّي أُمْلِيءُ عليه. فلمَّا انْتَبهتُ من هٰذا المَنامِ المُبارَك، لم أُعْلِمْ أحدًا بالرُّؤيا، وعزَمْتُ أنْ أَختِمَ الشَّرحَ المُبارَكَ إنْ شاءَ الله، وأَمَرْناهم يَفْعلون قَهْوَةً لِلخَتْمِ، وأَمَرْنا بِالبَخُورِ والطِّيبِ، وحضَرَ الصِّنْوُ الحامد بن الخال عليّ بن حُسين، وطلَبَ منِّي حينَ أَرَدْتُ أنْ أكتُبَ «خَتم الشَّرح» أنْ أُملِيَ عليه وهو يكتُبُ تبَرُّكًا منه واسْتِمدادًا، فساعَدْتُه على نيَّتِهِ، رحِمَهُ الله، ولأنَّه تقدَّمَ في تِلك الرُّؤيا، فكانَتْ رُؤيا حقٍّ. وأَعْجَبُ مِن ذلك لَمَّا زُرنا دُوعَن سنةَ ستٍّ وتِسْعين ومِائةٍ وأَلْفٍ لَمَّا كُنَّا ببلدِ بِضَهْ في فاضِلةِ آل محمد بن سعيد المُتقدِّم، الرُّؤيا كان فيها لَمَّا كُنَّا بها في اليَقَظَةِ، أَعْطانا رجُلٌ الجزءَ الأخيرَ مِن كتاب [القِرطاس] شرح راتِب الحبيبِ العارفِ باللهِ القُطْب عمر العطَّاس، فرَأَيْتُ فيها أشياءَ قد ذكرتُها في الشَّرحِ، وأَشْياءَ لم أَذْكُرْها، فزِدْتُ فيه ما لم أَذْكُرْه. وأَعْجَبُ مِن ذلك مِن تَسْهيلِ اللهِ لِهذا الشَّرحِ المُبارَكِ، أَنَّ بعضَ ما أَنْقُلُه أَراهُ فِي المَنامِ قبلَ نَقْلِهِ والاِطِّلاعِ عليه، فعَرَفْتُ أَنَّ ذلك مَعُونةٌ مِن اللهِ عزَّ وجلَّ واعْتِناءٌ مِن صاحبِ الرَّاتِبِ بِالشَّرحِ.

هٰذا والحمدُ للهِ ربِّ العالَمين حمدًا يُوافِي نِعَمَهُ ويُكافِي مَزيدَه.

وقد طُفْنا بِالشَّرحِ هٰذا أُسْبوعًا بِالبَيْتِ العَتيقِ رَجاءَ القَبولِ مِن الله. ونَذكُرُ هنا بعضَ شرحِ العمِّ العارفِ بالله حامد بن عمر بن حامد حيثُ اتَّفقَ معناه مقدَّمًا قبلَه بعضُ ماسمِعْناه مِن الكراماتِ. فمِنْها ما أَخْبرَني به سنةَ حجَجْنا بيتَ الله الحَرام، يعني سنةَ إحْدى ومِائتَيْنْ وألفٍ مِن الهِجْرةِ النَّبويَّةِ، على مُشرِّفِها أفضَلُ الصَّلاةِ والسَّلامِ، القائِمُ براتِبِ سيدِنا القُطْب عبدالله الحَدَّاد مُواجِهَ الحجَرِ الأسْعَدِ مِن الرُّوَاقِ الأوَّلِ والمسجدِ الحرامِ، وهو الشيخُ الفاضِلُ نورُ الدين بن عبدالله، قال: إنَّا خَرَجْنا جماعةً مِن مكَّةَ، مُرادُنا العُمْرةَ نُحْرِمُ بها من الجِعرانةِ، ﴿قال﴾ وكان خُروجُنا ليلاً فضَلَلْنَا الطريقَ، وتَحَيَّرْنا كثيرًا، وطلَبْناها فلَمْ نقَعْ عليها، فقُلْتُ لهم: قِفُوا بِنا نَرْقُدْ ونَنَمْ. فنِمْنا، ثم انْتَبَهْنا واجْتَمَعْنا على قِراءَةِ راتبِ سيدِنا القُطْبِ عبدالله الحَدَّاد بِنِيَّةِ الفَرَجِ، فقرَأْناه. فعِندَ تَمامِهِ سمِعْنا نَبيحَ الكلبِ، فأَتْمَمْنا الرَّاتِبَ الشَّريفَ على الوجهِ الأكمَلِ، وسعَيْنا إلى حيثُ نَسْمعُ الصَّوتَ، فإذا بِهم بَدْوٌ شَدُّوا لِلرَّحيلِ، ومعَهُم كلبُهُم، فأَعْطَوْنا واحِدًا مِنهم يدُلُّنا على الطريقِ، فوَصَلْنا الجِعرانةِ وأَحْرَمنا بها بِعُمْرَةٍ، فلِلّهِ الحمدُ والمِنَّة.

وكذٰلِك ما أَخْبرَني به الشيخُ الأنوَر نورُالدين المذكورُ ﴿قال﴾ قال الشيخُ الفقيهُ أبو بكر بن العلَّامة إبراهيم الزَّمْزَمِي، والمُبَلِّغُ على المكانِ الشَّريفِ فوقَ سَقْفِ زَمْزَمَ، قال: إنَّ مَصروعًا مِن الجَانِّ قُرِئَ عليه راتِبُ سيدِنا القُطْبِ عبدالله الحَدَّاد، فخَرَجَ منه الجَانُّ، وأَفاقَ مِن صَرْعَتِه ببركَةِ الرَّاتِبِ الشَّريفِ، وكَمْ لِهٰذا الرَّاتِبِ مِن بَركاتٍ لاحَصْرَ لِعَدِّها.

ومِنْها ما أَخْبَرني به السيدُ الشَّريفُ الفقيهُ عفيفُ الدين، الأخ عبدالله بن مَوْلانا وشيخِنا الوالِد أحمد بن الجدّ الأستاذ الحَسَن بن القُطب الغَوْث الحبيب عبدالله الحَدَّاد، قال: أَخْبَرني رجُلٌ مِن أهلِ بِيحان ﴿قال﴾ سافَرْنا إلى الحجِّ في سنةٍ مِن السِّنِين، وكان معَنا رجُلٌ مُواظِبٌ على قِراءَةِ الرَّاتبِ الشَّريفِ الَّذي جَمَعَهُ سيدُنا القُطْبُ عبدالله الحَدَّاد، فلَيْلَةً مِن اللَّيالِي مِن بعدِ قِراءَةِ الرَّاتِبِ، نامَ ثُمَّ انْتبَهَ، فرَأَى مَتاعَهُ قد سُرِقَ، فحَصَلَ رَفْعُ الأَصْواتِ والتَّقَصِّي على السَّارِقِ والمَسْروقِ، فلَمْ يَعْتَرِفْ لِلنَّاسِ شيْءٌ، فقالَ الرَّجُلُ

الَّذي سُرِقَ مالُه: ما أَعْرِف مَتاعي وجميعُ ماأُخِذَ عليَّ، إلاَّ عندَ سيِّدي عبدالله الحدَّاد، لأنِّي قرأْتُ الرَّاتِب الليلَةَ. فتعَجَّبَ مَن حضَرَ مِن كلامِه ويَئِسوا، وهو متحَقِّقٌ أنَّ مَتاعَهُ سيَرْجِع. فناموا بِأجْمعِهم آخِرَ اللَّيْل، فلمَّا انْتَبَهُوا رَأَوا جميعَ المَتاعِ الَّذي سُرِقَ عندَ رَأْسِ صاحبِه، فأَخَذَه وتعَجَّبَ الحاضِرون، وعرَفُوا أنَّ ذلك من بَركاتِ الرَّاتِبِ وحُسْنِ عَقيدَةِ ذلك الرجُل.

﴿قلتُ﴾ فافهَمْ وفكِّرْ، فإنْ جرَى عليك شيءٌ بعدَ أنْ تقرَأَ الرَّاتِبَ الشَّريفَ، فاعْلَمْ أنَّ ماجرَى عليك شيءٌ قليلٌ مِن كثيرٍ، لأنَّكَ لو ترَكْتَه لكَانَ أَعْظَمَ مِمَّا جرَى، بل رُبَّما يَكونُ الهَلاكُ، لِأَنَّا جَرَّبْنا ذٰلك، وذٰلك لَيلَةَ آخِرِ أَربِعاءَ مِن صَفرِ الخَيْر، وقد تَعَدَّيْنا مَصيرَه في البحرِ سنةَ سبعٍ وتِسْعين ومِائةٍ وأَلْفٍ، ونحن راكِبُون في بعضِ المراكِبِ رأَيْنا في المَنامِ ليلةَ الثُّلاثاءِ، لمَّا كنَّا أخَذْنا مَصيرهُ كلٌّ مِن ساداتٍ ومُحِبِّين، رُؤْيا تدُلُّ أنَّ المركبَ يَرتَبِك، لأنَّ النَّخُودا (يعني قَبْطان المركَب) غلَب أن يُطَلِّع دَراويش مُنْقَطِعِين في مَرْباط، حتَّى رأَى بعضُ السَّاداتِ مايدُلُّ على غضَبِ سيدِنا محمد بن علي، صاحبِ مَرْباط على ذلك النَّخُودا لأجل الدَّراويش. فليلةَ الأرْبِعاء سلَخ صفَر الخَير، صلَّيْنا العِشاءَ جماعةً، وقرَأْنا الرَّاتِبَ الشَّريفَ وغيرَه مِن أَوْرادِ الصَّالحِين، نفَعَ اللهُ بهم أجمعين، وقرَأْنا المُنْجياتِ مِن القُرآنِ العظيمِ، وغيرَ ذلك مِن الحِزْبِ المُعتادِ، لأَنَّنا مُتَحذِّرُون الأمرَ مِن جِهتَيْن: آخِر أَرْبعاء مِن صفَر، ودُعاءِ الدَّراويش. فعِندَ الفَجْرِ الصَّادقِ أوالكاذِبِ أَخْطَأَ صاحِبُ السُّكَّان والنَّخُودا نائِمٌ، وساقَ المركَب على البرّ قريب بِطِين جيش، فَجَحَّبَ المركَبُ على الأرضِ، وخرَجُوا جميعُ الرَّكَبَة سالِمِين ومالَهم، ولا راح إلاَّ جُملَة مال الَّذين غَلَبوا مِن طلوعِ الدَّراويش، النَّخُودا مركَبُه فات وتكَسَّر ولا سَلِم، والذين غلَبوا ومعَهم مال، فهو سَلِمَ لهم بالجاه، فلمَّا حفِظُوه عندَهم ضَرَبَهُ المطر أيَّامًا حتى فاتَ وتغَيَّر، ولم يُحَصِّلوا منه إلا التَّافِه، ورُبَّما ينزِل أَعْظَم مِن الهلاك في الغُبَّة، فسَلَّم اللهُ الأرواحَ والأَشْبَاح، ومالَ مَن لا تعَرَّضَ لِلدَّراويشِ بما يرُدُّهم عند الطُّلوعِ، وسلِمَ أرواحُ وأشباحُ الذين تعَرَّضوا بالمنعِ على الدَّراويش، وذهَبَ غالِبُ أموالِهم، فَاقْضِ العَجَب.

﴿قلتُ﴾ وسمِعَ رجلُ المأمُونَ بنَ هارون الرَّشِيد، يَقول: إنَّ مِن لَدْغ الزَّنابيرِ مَا ينفَعُ الذُّبابُ إذا دُلِكَ به مَوضِعُ اللَّدْغَة. فلُدِغَ السَّامِعُ، فأخَذَ ذُبابًا ودَلَكَ به موضِعَ لَدْغَةِ الزُّنْبورِ، فبَقِيَ معَه وجَعٌ، فقالَ لِلمَأْمونِ: لم ينفَعْنِي الذُّبابُ. فقالَ: لو لَمْ تفعَلْهُ لَكان أمرًا عظيمًا، ووجَعًا مُتعِبًا، لٰكن خفَّفَ عنكَ ذلك الذُّباب.

وأَخْبَرني بعضُ الدَّواعِنَةِ مِن أهلِ المَعرفَةِ، أنَّ رجُلًا بِاللَّيلِ حضرَ عندَ السيدِ الفاضلِ العلَّامةِ علي بن حسن العطَّاس، فقالَ لذلك الرَّجُلِ: أُخْرُجْ من المكانِ الفُلاني، هاتِ لِلنِّشْرةِ مِن قَصَبِ الذُّرَة شيئًا، فقال: إنَّ في موضعِ القَصَب حيَّات. فقالَ له: هلْ قرَأْتَ راتِب السيِّدِ الحدَّاد؟ قال: نعَم. قال: أُخْرُجْ ولا تخَفْ مِن الحيَّات! قال: فخرَجْتُ، فلمَّا حرَّكْتُ القَصَب، خرَجَتْ حيَّةٌ مِن حيثُ لا أَشْعُر، فلَدَغَتْنِي، فأَحْسَسْتُ بها فلَم تُتْعِبْني كثيرًا، وذٰلك بِسبَبِ قِراءَتِي لِلرَّاتِبِ الشَّريفِ، والفَوائِد بِالعَقائِد.

وأَخْبَرَني الشيخُ الأنوَر القائِم في زاوِيَة سيدِنا القُطْب عبدالله الحدَّاد، الَّتي في شِعب جِياد بمكَّةَ المُشَرَّفَة، وهو الشيخُ أحمد بن محمد بامَرْعي باعَشِنْ، قال: فلَيْلَة مِن اللَّيالي عندَ اجْتِماعِنا لِقراءَةِ راتِبِ سيدِنا الحبيبِ عبدالله الحدَّاد، قرَأْتُه وأنا مُواجِهٌ لِلقِبلَة، مُسْتَنِدٌ بِالجِدار في الزَّاوِيَةِ المُبارَكَة، وأَحْسَسْتُ بِحرارَةٍ في رَأْسي، فأَخْرَجْتُ العِمامَة والكُوفِيَّة، وبقِيتُ مَكْشوفَ الرَّأس، فعندَ الذِّكرِ العظيمِ التَّهْلولَة آخِرَ الرَّاتِب، طَرَحْتُ رَأسي على الجدار، مُتَّكِئًا عليه، فإذا بِعَقْربٍ في الجِدار كبيرةٍ ضرَبَتْني في مُؤَخَّر رأسي، فأَخذَها بعضُ مَن حضَر، وقتَلَها. ﴿قال﴾ وأَحْسَستُ بِرأسي فَترةً قليلةً، ثمَّ زالَتْ ولم يَشُقَّ عليَّ مِن لَدْغِها وجَعٌ كالعادةِ ببركَةِ هذا الرَّاتِب الشَّريف. ﴿قال﴾ ومرَّةً لَدَغَتْني عقرَبٌ في رُكْبتي، وأنا أَقْرَأُ الوِردَ الكبيرَ «مِفتاح السَّعادَة والفلاَح»، فلَم تُتْعِبْني - انتهى.

ومِنْها ما أَخْبَرَني به سنَةَ إحدى ومِائتَيْن وألف القاضي الفقيهُ الشيخُ علي بن الشيخ الفاضل محمد بن عبدالملك بانافِع، قال: سنَةَ وصَلْنا إلى مكَّةَ المشرَّفَة، كان رجُلٌ معنا

مِن عُلماءِ المَغْرب في بيتٍ واحِد، وكُنَّا نَقرأُ الرَّاتِب ولَم يَحْضُرْنا، فرَأَى في مَنامِهِ مِن سيدِنا صاحِبِ الرَّاتِب ما كانَ سبَبًا في حُضورِهِ للرَّاتِب معنا، وسأَلَنا «هل شيْء معكم مِن كُتُب صاحِبِ الرَّاتب؟»، وكان معنا بعضُها، فلمَّا قرَأَها انْتَفَعَ كثيرًا بها، وصار يَحْضُرُ معنا عندَ قِراءَتِنا لِلرَّاتِبِ الشَّريف، وواظَبَ عليه من ساعتِه حيثُ ذكَّره صاحِبُ الرَّاتِبِ «والذِّكْرى تَنْفَعُ المُؤمِنين».

ومِنْها ما أَخْبَرَني به بعضُ الفُضلاءِ أيَّام كُنَّا بمَكَّةَ المُشرَّفَة سنَةَ اثْنَتَيْنِ ومِائتَيْنِ وأَلف، أنَّه كان مُلازِمًا لِقراءَةِ هذا الرَّاتِبِ الشَّريفِ، وأنَّه قد رَأى النبيَّ محمد ﷺ مرَّاتٍ، وأنَّه في بعضِ السِّنِين سارِيًا بِأهلِ بَيْتِه، وكان مع رُجوعِه مِن الزِّيارَةِ المُباركَةِ خائِفًا مِن قُطَّاعِ الطَّريقِ. ﴿قال﴾ ومعِي الأمانُ مِنْهم بِالرَّاتِبِ الشَّريفِ، إذا قرَأْتُه لا أَخاف، لأنِّي وغيري قد جرَّبَ نَفْعه، فلم أَزَلْ أَقْرَأُه حتَّى قطَعْنا دائِرةَ «حَرْبٍ» - القبيلَةِ المَعْروفَة، لأنَّ أكثرَ قُطَّاعِ طريقِ المَدينَةِ مِنْهم. فلَيْلَةً مِن اللَّيالي، لمَّا أرادَ اللهُ إمْضاءَ قَدَرِه، إذ أَرَدْتُ أنْ أَقْرَأَه، فابْتَدَأْتُ فغلَبَني النَّوْمُ، فلَم أَقْرَأْهُ حتَّى أَصْبَحْتُ، فأَخَذُوا مِنَّا الحرامِيَّةُ جُملةَ مالِنا في سحَّارتَيْنِ، فعَرَفْتُ أنَّ ذٰلك لمَّا أَنِّي لَم أَقْرَأْه تلكَ اللَّيْلَةَ.

﴿قلتُ﴾ وقال السيدُ العلامةُ القاضي سقَّاف بن محمد بن طه السقَّاف باعلوي، رحمةُ اللهِ عليه، يَقولُ: إنَّ مَن قرَأَ راتِبَ سيدِنا الحدَّاد كلَّ ليلَةٍ كفَاهُ عَن أَوْرادِ اللَّيلِ، لأنَّه جامِع نافِع مُجرَّب. قال السيدُ العلاَّمةُ مفتي زَبيد سليمان بن يحيى الأَهْدَلي: إنِّي لم يَحْصُلْ لي ذَوْقٌ في راتِبٍ غيرِ راتِبِ سيدِنا القُطْبِ عبدالله الحدَّاد. وكان الشيخُ الوليُّ العلامةُ أحمد بن حسن المَوْقِري، صاحِبُ زَبيد، المُتوَفَّى لِثمانٍ خلَتْ مِن شوَّالٍ سنَةَ إحْدى ومِائتَيْنِ وأَلف كثيرَ الإعْتِناء بهذا الرَّاتِبِ الشَّريفِ، ولا يُجيزُ مَن طلَبَ الإجازَةَ مِنه غالِبًا إلاَّ في الرَّاتِبِ، خُصوصًا أهلُ جِبال اليَمَن حتَّى تعَلَّقَ به الخاصُّ والعامُّ، وتعَلَّقُ الشيخُ بالرَّاتِبِ هذا، وبِصاحِبِ الرَّاتِبِ، مشهُورٌ عندَ أهلِ زَبيد، لأنَّه أخَذَ أخذًا تامًّا عن الشيخ الكبيرِ محمد بن يَس باقَيْس، وهو أَخَذَ عن شيخِه صاحبِ الرَّاتِبِ المُبارَك، نفَعَ اللهُ بالجميعِ، وأَلْحَقَنا بهم في خيرٍ وعافيَةٍ، آمين.

ومِنْها ما أَخْبَرَني به بعضُ السَّاداتِ العَلَوِيّين بمكَّةَ، قال: إنّي غلَبَني النَّومُ في بعضِ اللَّيالِي ولَم أَقْرَأْ راتِبَ سيدِنا الحدَّاد، وكنتُ مُواظِبًا عليه، فلمَّا توَسَّطَ اللَّيلُ، قد دهاني مرضٌ شديدٌ أَتْعَبَني، فعَلِمْتُ أنَّه مِن تَرْكِي تلك اللَّيْلةَ مِن قِراءَةِ الرَّاتِبِ الشَّريفِ. وأَهلُ مكَّةَ المُشرَّفةِ وأهلُ المدينةِ المُنوَّرةِ وأهلُ الطائِفِ وجُدَّة لهم تعلُّقٌ تامٌّ بهٰذا الرَّاتِبِ الشَّريفِ.

﴿قلتُ﴾ وسمِعْتُ عن سيدِي الحبيبِ الإمامِ العارِفِ باللهِ، عمر بن زين بن سُميط باعلوي، يقول: إنَّ سيدَنا القُطْبَ عبدالله الحدَّاد، لَمَّا سمِعَ قولَ سيدِنا الإمامِ عمر بن عبدالرحمن العطَّاس راتِبُه كالحِصْنِ المانِعِ في البلادِ، قال سيدُنا الحبيبُ عبدُالله الحدَّاد: راتِبُنا كالسُّورِ الحديدِي على كافَّةِ البلدِ الذي يُقْرَأُ فيها.

﴿قلتُ﴾ يُسْتَخْرَجُ كلامُه، نفَعَ اللهُ به، من الأحاديثِ المُتقدِّمَةِ في الآياتِ والسُّورِ والأَذْكار، فتَفَهَّمُوا ياأُولِي الأبصَار!

وكيفَ وفي الحديثِ القُدْسيِ: [مَا زَالَ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ...... إلى أنْ قالَ جلَّ وعلاَ ... فَكُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ... إلى قولِه ... وَلِسَانَهُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهَا]، كما شَرَحَ ابنُ حجَرٍ على الأَرْبَعينَ النَّوَوِيَّة، لأنَّه ذكَرَ صاحِبُ [غاية القصد والمراد] أنَّ صاحِبَ الرَّاتِبِ رُبَّما تكلَّمَ بِكلامٍ، فإذا سأَلُوه، قال: العُمْدَة على النَّاقِلِ، ولا يتَكلَّمُ بما تكلَّمَ به أوَّلاً، لأنَّ الأوَّلَ عن إذْنٍ ربَّانِيٍ، وفي بعضِ المرَّاتِ، يقولُ: هذا مِن برَكاتِ المُتابَعَةِ لِلنَّبيّ ﷺ.

وأَخْبَرَني بعضُ العُلماءِ أنَّ الشيخَ العلَّامةَ العارِفَ باللهِ، محمد بن يّس باقَيْس، يقولُ: إنَّا كنَّا نَسيرُ مع شيخِنا القُطْب عبدالله الحدَّاد، فيَرِدُ عليه الوارِدُ، وهو راكِبٌ على فرَسِه، فتقومُ وتعتَمِدُ على أَرْبعِها مِن ثُقْلِه، ماتَسْتَطيعُ المشيَ، ثمَّ إذا سُرِّيَ عنه، نفَعَ اللهُ به، سارَتْ، وذٰلك مع كُبْرِها وقُوَّتِها يَكوُونَها مرَّاتٍ مِن البَهر، فافهَمْ فإنَّ ذلك وارِثَةٌ له كجدِّهِ المُصطفى، وإنْ كان كلُّ شيءٍ له مَعْنًى، لأنَّ الأولياءَ لهم أحوالٌ وتَطوُّراتٌ، أَحَد

مِنْهم إذا غلَبَهُ الوارِد يَصيرُ بدَنُه كالماءِ، إذا لَمَسْتَه انْخَرَقَ، مثلُ ماجاءَ عن سيدِنا محمد بن علي مَوْلَى الدَّوِيلَة، وغيرِه مِن ساداتِنا آلِ أبي علوِي وغيرِهم، نفَعَ اللهُ بِالجميعِ ولا حَرَمَنا بركاتِهم، وأَلْحَقَنا بهم في خيرٍ وعافيَةٍ، آمين.

وقال سيدُنا الإمامُ العارِفُ بالله، حامد بن عمر حامد علَوِي المُنفِّر في شرحِهِ على هذا الرَّاتِبِ الشَّريفِ: إنَّ سيِّدَنا الإمامَ القُطْبَ الغَوْثَ عبد الله بن علوي الحدَّاد مِن الأئمَّةِ المُجْمَعِ على كمالِهم وحِفْظِهم واسْتِقامَتِهم، ومِمَّن أَطْبَقَ أهلُ عَصْرِه فمَنْ بعدَهُم مِن العُلماءِ والصُّلحاءِ على الاِقْتِداءِ به، والاِهْتداءِ بِهَدْيِه. وقد قال الشيخُ الإمامُ أحمد المعروفُ بِزَرُّوق في شرحِه على حِزْبِ البحرِ، للشيخ أبي الحسَن الشَّاذِلّي.

وبِالجُملة، فقد توَفَّرَتِ الشُّروطُ في الشيخِ أبي الحسن، رضِيَ اللهُ عنه، وأَحْزابه، فلا وجهَ لإِنْكارِها، ولا لِعَدَمِ الاِقْتِداءِ به، وشواهِدُ ذلك فيما يَتَنَقَّلُ مِن أحوالِه، وما يُتْلَى مِن عُلومِه، وما اشْتَهَرَ مِن كراماتِه، مع اعْتِناءِ عُلماءِ وقتِه فمَنْ بعدَهم بِشأنِه، بل تَمَّتْ كلِمَةُ الإجْماعِ على اسْتِحْسانِ طريقَتِه، وشُكرِ حالِه، فهو مِمَّن يُقْتَدَى به، ويُهْتَدَى بِهَدْيِه لِثُبوتِ دِيانَتِه، وكمالِ عقلِه، وصِحَّةِ عمَلِه، واسْتِواءِ طريقَتِه، وما أَشْكَلَ مِن كلامِه تعَيَّنَ تَأْويلُه كغيرِه مِن أئِمَّةِ الدِّينِ، وقادَةِ الدِّينِ، فإنْ لَم يُوجَدْ وجهُ سُلِّمَ له، ولا يُعْتَرَضْ عليه بِمُجرَّدِ الإشْكال - انتهى.

وقال في موضِعٍ آخرَ مِن الشَّرحِ على الحِزْبِ المذكورِ: ويتعَيَّنُ توْجيهُ ما وَرَدَ مِن المُوهِمِ والمُبْهَمِ في حُزُوبِ المشائِخ بوجهِ الحقِّ، وإقامَةِ الحُجَجِ والأَعْذارِ، فالحَقُّ أَبْلَج، والباطِلُ لَجْلَج، ومَن عَرَفَ فَلْيَتْبَعْ، ومَن لَم يَعْرِفْ فَلْيُسَلِّمْ، فإنَّ الإِنْكارَ ليس بِشيءٍ، والمُبادرَةُ لِلإِنْكارِ كالمُبادرَةِ لِلاغْتِرارِ، وأَوْلَى الناسِ بالحَقِّ مَن وَقَفَ على بيانِ التَّحْقيقِ، وتوَقَّفَ في مَوْقِفِ الضَّرَرِ والضِّيقِ - انتهى.

وهٰذا الرَّاتِبُ، أي راتِبُ سيدِنا القُطْبِ عبدالله الحدَّاد مُسْتَفِيضٌ مَشْهور، شائِعٌ ذائِع، مِن عُصورٍ ودُهور، مُلْهَجٌ بِكلماتِه في البُرورِ والبُحور، والمساجِدِ والمَشاهِدِ

والدُّور، مُجَرَّبُ لجَلْبِ المَنافِعِ ودَفْعِ الآفاتِ والشُّرور، لأنَّ هذا الرَّاتِب كلَّه كلماتُ حقٍّ وصِدْقٍ وعَدْل، ودُعاءٌ ودَعْوةٌ إلى اللهِ تعالى. ولا شَكَّ ولا رَيْبَ في نِسْبتِه إلى سيدِنا الشيخ عبدالله بن علوي الحدَّاد، فهو مَعْروفٌ ومَذْكور، ومُسْتَفِيضٌ ومَشهُور، كالشَّمسِ وقتَ الظَّهيرَة، وكِتاب على عِلْم.

وليسَ يصِحُّ في الأذهانِ شيءٌ * إذا احْتاجَ النَّهارُ إلى دليلِ

وقد شاعَ وذاعَ في تَريم وغيرِها مِن مُدَّةٍ مديدَة، وسِنينَ عديدَة. وقد قُرِىءَ به ولُهِجَ به في حَضرةِ مُؤلِّفِه وجامِعِه الشيخ الإمامِ عبدالله بن علوي الحدَّاد أيَّامَ حياتِه، وفي مجالِسِ ومحافِلِ وحضرَاتِ العُلماءِ العارفِين باللهِ بتَريم وما سِواها مِن البُلدانِ شرقًا وغربًا، وشامًا ويَمنًا، وفيها من الشَّافِعِيَّةِ والحنَفِيَّةِ والمالِكِيَّةِ والحَنْبلِيَّةِ مع قَبولِهم له وتَقْريرِهم له، وتَعْظيمِهم لِمُؤلِّفِه، ولا سُمِعَ مِنهم قطُّ اعْتِراضٌ ولا انْتِقادٌ على كلمةٍ مِن كلماتِه، ولا معنىً مِن معانِيه. ولو كان هذا الرَّاتِبُ ماعُرِفَ جامِعُه ومُؤلِّفُه لَكان حُجَّتُه وحقيقتُه لائِحَةً وبَيِّنَةً في ألْفاظِه ومَعانِيه، إذ كلُّه ذِكْرُ اللهِ ودُعاءٌ إليه. فافْتِتاحُهُ بأُمِّ القُرآنِ وآيةِ الكُرسيِّ وخَاتِمةِ سُورةِ البَقرة، واخْتِتَامُهُ بِكلمةِ التَّوحِيد «لا إلٰهَ إلاَّ الله»، والصَّلاةِ على النبيِّ ﷺ، فهو كلامُ حِكْمةٍ وحقٍّ مقبولٌ مُطلقًا. وإنْ لم يُعْرَفْ واضِعُه، فكيفَ والمَوْرِدُ له هذا القُطْبُ المشهورُ بِالوِلايةِ والصَّلاحِ والعِلْمِ والفلاحِ بلا شكٍّ ولا ارْتِيابٍ في نِسْبتِه إليه كما سبَق. وإذ قد صحَّ ووضَحَ أنَّ هذا الرَّاتِبَ قُرآنٌ وذِكرٌ ودُعاءٌ ودَعْوةٌ إلى اللهِ تعالى، فلا يَصوغُ ولا يجوزُ التَّهْجينُ والتَّنْكيتُ في كلمةٍ منه ولا الطَّردُ لِمُرَتِّبيه وقارِئيه. وقد قال اللهُ تعالى: [وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، مَاعَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ، وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ]. و[رُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ] - الحديث.

فقد شيَّعَه وأَشارَ إليهِ وأَرْشَدَ إلى مُلازَمتِهِ في مُكاتَباتِه وفي الوصِيَّةِ لأبي الوَفاءِ وغيرِه واضِعُه نفسُه، نفَعَ اللهُ بِه، وغيرُه مِن العُلماءِ المُتمكِّنين الجامِعين بينَ عِلمَيِ الظَّاهِر

والباطِن، وأَجازَ تلامِذَتَه في قِراءَتِه، وذكَرُوه في مُؤَلَّفاتِهم، كالسيدِ الكبيرِ أحمد بن زين الحبشي، ذكرَهُ في شرحِ الوصِيَّة [الموارِد الهنية]، وقُرِيءَ في حَضَراتِهم بمَرْآى ومَسْمَعٍ مِنهُم سابِقًا ولاحِقًا، كما تقدَّم. وقد ذكَرْنا خاتِمَةَ الرَّاتِب وفاتِحَتَهُ وما بينَهُما أنَّهُ آياتٌ وأَذْكارٌ وتَسْبيحاتٌ، وأكثَرُها ورَدَ عن النبيِّ ﷺ باللَّفْظ. والأَقلُّ منها المُنْدَرِج فيما ذُكِرَ بالنبيِّ ﷺ بالمعنَى والمبنَى مِمَّا فتحَ اللهُ بها، وأَلْهَمَه واضِعَ الرَّاتِب، نفعَ اللهُ به، فإنَّك إذا تدَبَّرْتَ الرَّاتِبَ المَشهُور، لم تجِدْ كلِمَةً مِن كلِماته خالِيَةً عمَّا أَوْرَدَه النَّبيُّ هو لَفْظًا، فكيفَ معنًى.

قال الشيخُ الإمام أحمد زَرُّوق في شرحِه على حِزْبِ البَحْر: فإن قُلتَ فما دليلُكم على اسْتِعْمالِ مايجري به الإلهامُ من الأذْكارِ والأدْعِيَةِ وإثباتِ خاصِّيَتِها بِالاستِنْباطِ؟ قُلنا: الدَّليلُ على ذٰلك صريحُ السُّنَّةِ والأحاديثِ النَّبوِيَّةِ بِتَقْريره عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ الأدْعِيَةَ والأذْكارَ الَّتي سمِعَها مِن كثيرِينَ، وثَنائِه عليها وعليهِم مع أنَّه لم يتَقَدَّمْ لهم تَعْليمٌ ولا تعَلُّمٌ منه في أَلْفاظِها.

فمِن ذٰلك حديثُ عبدِالله بن بَريرَة، رضي اللهُ عنه، [أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: «اَللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ الأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُؤًا أَحَد»، فَقَالَ: لَقَدْ سَأَلَ اللهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى]. رواه أبو داودَ والتِّرْمذي.

وفي حديثِ مُعاذِ بنِ جبَلٍ، رضِيَ اللهُ عنه، أَنَّهُ يَقُولُ «يَاذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ»، فقال النَّبِيُّ ﷺ: [قَدِ اسْتُجِيبَ لَكَ، فَاسْأَلْ تُعْطَ]. أخرجَه التِّرمذيُّ، وقال حديثٌ حسَنٌ صحِيح.

وفي حديثِ أنسٍ أنَّه ﷺ مَرَّ بِأبي عيَّاشٍ الزُّرَقِيِّ، وهو يُصلِّي ويقولُ «اَللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الحَمْدَ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ، يَاحَنَّانُ يَامَنَّانُ يَابَدِيعَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ، يَاحَيُّ يَاقَيُّومُ، يَاذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَام»، فقالَ: [لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى]. أَخْرجه أبو داودَ والتِّرمذيُّ والنسائِيُّ وابنُ حِبَّان.

نعَمْ، وقد أَدْخلَ مالِكٌ في [المُوطَّأ] في بابِ دُعاءِ النبيِّ ﷺ قولَ أبي الدَّرْداءِ عندَ قِيامِه من اللَّيلِ «نَامَتِ العُيُونُ، وَهَدَأَتِ الجُفُونُ، وَلَمْ يَبْقَ إلاَّ أَنْتَ، يَاحَيُّ يَاقَيُّومُ». فإنْ قيل: هذا مَحْمولٌ على الرَّفْعِ. قُلنا: الأصلُ خِلافُ ذلك، فلا مُعارِضَ في الأصلِ الَّذي هو المَبْنَى، ولا في الفَرْعِ الَّذي هو المَعْنَى، فهو مِن جُملةِ مايَتَرَجَّحُ به المقامُ الَّذي نحنُ فيه، واللهُ أعلم - انتهى كلامُه وهو الغَايَة.

وقد ثبَتَ أيضًا في صحيحِ مُسلمٍ أنَّ رَجُلًا دخَلَ، وقد حَفَزَهُ النَّفسُ، والنَّبيُّ ﷺ قد أَحْرَمَ بِالصَّلاةِ، فقالَ «اَلْحَمْدُ لِلهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبارَكًا فِيهِ». فلمَّا سلَّمَ النبيُّ ﷺ، قالَ: مَنِ المُتَكَلِّمُ آنِفًا، فَإِنَّهُ لَمْ يَقُلْ إِلاَّ خَيْرًا. فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا يَارَسُولَ الله. فَقَالَ: لَقَدِ ابْتَدَرَهَا ثَلاثَةَ عَشَرَ مَلَكًا كُلُّهُمْ يُرِيدُ أَنْ يَكْتُبَهَا». وأَطالَ، ثُمَّ قالَ: وقد تقَرَّرَ أَنَّ هٰذا الرَّاتِبَ الشَّريفَ ذِكْرٌ ودُعاءٌ وحَمْدٌ وثَناءٌ لِلهِ تعالى، مُنْدَرِجٌ فيما ورَدَ عن النَّبيِّ ﷺ والسَّلفِ الصَّالِحِ، فلا يُعْتَرَضُ على مُقَدِّمِيه أو مُؤْثِريه على نحوِ راتِبٍ مُتَقَدِّمٍ يُعْرَفُ لِأحدٍ مِن الأَكابِرِ أَو لا يُعْرَفُ، وهُو حقٌّ في نَفْسِه، إذ الأصلُ سُنَّةٌ في الجملة.

قالَ الإمامُ النوويُّ، رحِمَه الله، في أَذْكارِه في بحثِ المُصافحَة، والمُصافحَةُ سُنَّةٌ عندَ كُلِّ لِقاء. وأمَّا مااعْتادَهُ النَّاسُ بعدَ صلاتَيِ الصُّبحِ والعصرِ، فلا أَصْلَ له على هذا الوَجْه، ولٰكِن لا بأسَ به، فإنَّ أَصْلَ المُصافحَةِ سُنَّةٌ. وكَوْنُهم حافَظُوا عليها في بعضِ الأَحوالِ وفرَّطُوا فيها في كثيرٍ مِن الأَحْوالِ أو أكثَرِها لايُخْرِجُ ذٰلك البعضَ عن كَوْنِه مِن المُصافحَة الَّتي ورَدَ الشَّرعُ بِأَصْلِها - انتهى.

فهذا دليلٌ في الجملةِ، بل هذا الرَّاتِبُ حوَى ماحوَتْه رواتِبُ السَّلفِ مِن الخَيْرِ والبركَةِ وجَمْعيَّةِ اللَّفظِ والمعنَى كما لايَخْفى، وكَمْ ترَكَ الأوَّلُ لِلآخِرِ كما ورَدَ في المَثَل، فهو إذَنْ مِن جُملةِ رواتِبِ السَّلَف ومَعْدودٌ منها في الجُملةِ. وقد ذكَرْنا أَنَّ الرَّاتِبَ دُعاءٌ وذِكْرٌ لله، فلا وجهَ لِلمَنْعِ منه بِحالٍ مِن الأَحْوالِ. وجملةٌ مِن حُذَّاقِ العُلماءِ وجَهابِذَتِهم قُرِئَ في حَضْرتِهم هذا الرَّاتِبُ الشَّريفُ، وفَهِموا مِن أَلْفاظِه بديعَ المَعاني والأَسْرارِ، ووَصفُوه

بِالبَرَكاتِ والأَنْوارِ، فالمَرَدُّ والمَرْجِعُ إليه، إذْ هُو الحقُّ الواضِحُ بِالدَّليل، فمَن عرَفَهُ فَلْيَعْمَلْ به، ومَن جهِلَهُ فَلْيَسْأَلْ.

قالَ الشيخُ زَرُّوق في شرحِه على حِزبِ البَحْرِ: فَأَحْزابُ المَشائِخِ أَهْلِ الكَمالِ، كالشَّيخِ أبي الحسَن مَمْزُوجَةٌ بِأَحْوالِهِم، مُسَدَّدَةٌ بِإِلْهامِهِم، مَصْحوبَةٌ بِكَراماتِهِم.

﴿قلتُ﴾ إلى ماتقَدَّم عندَ ابْتِداءِ شرْحِ أَلْفاظِ الرَّاتِب، لأنَّا شرَحْنا شرحًا مَبسوطًا، لأنَّ شرحَ أَلْفاظِ الرَّاتِبِ بُحورٌ دافِقةٌ، فلِذَا قَدَّمنا فوائِدَ كالفائِدةِ العاشِرَة، وهِي عظيمةٌ، لأنَّ فيها دليلَ الاِجْتِماعِ على أَوْرادِ الصُّوفِيَّةِ وحَلَقِ الذِّكرِ وفائِدَةِ الاِجْتِماع، فعليكَ بها لأنَّها كادَتْ تُلْحَقُ بهذه الفائِدَةِ. وكذلك الفائِدَةُ الَّتي فيها المَسائِلُ، خُصوصًا بِأَكْثَرِ سُؤالِ النَّاسِ عن قولِهِ، نفَعَ اللهُ به، «يَاذَا الجَلاَلِ وَالإِكْرَام، مِتْنَا عَلَى دِينِ الإِسْلَام»، فهَلْ همزةُ القَطْعِ في قولِهِ «أَمِتْنَا» لابُدَّ منها أم لا؟ فإنَّه لم يصِحَّ عن سيدِنا صاحِبِ الرَّاتِب، أنَّه لم يَأْتِ بها، وعَمَلُ أهلِ جِهتِهِ على تَرْكِها، فاللهُ أعلَمُ أَهُو بِأَمْرِه أم بِغيرِ ذلك. وقد أتَى بِوجهٍ لهم في لُغةِ العرَب قولُ بعضِهِم «لِقِ الدَّوَاةَ» في «أَلِقْهَا» و «قِلِهِ البَيْعَ» في «أَقِلْهُ»، كما ذكرَه الإمامُ السُّيوطِيُّ، كما نقلَه السيدُ العلَّامةُ سُليمان بن يحيى الأهدَل، مُفتي زَبيد، في سؤالٍ سُئِلَ عنه، عن قولِ سيِّدِنا، فأَجابَ بما تقَدَّمَ، وأنَّ المُوَلَّدَ يُعْذَرُ في لُغتِه المُوَلَّدة، فانْظُره هُناك.

وأمَّا قولُ سيدِنا صاحِبِ الرَّاتِب «تُبْنَا إِلَى اللهِ بَاطِن وَظَاهِر»، فالوُقوفُ بِالسُّكونِ على المُنوَّنِ بِالفَتْحِ لُغةُ رَبيعَةَ. ومِنها قولُه في دِيوانِه «يَارَبِّ هَبْ لِي مِنْكَ حُسْنَ اليَقِين» إلى قولِه نفَعَ اللهُ به «وَصَبْرًا جَمِيل». وكلُّ ما جاءَ في الدِّيوانِ مِن ذلك يُحْمَلُ عليه. قالَ الفاكِهِيُّ في بابِ الوَقْفِ على شرحِه في التَّتِمَّة على الأُجْرومِيَّة في قولِ شاعِرِ رَبيعة:

أَلا حبَّذا غُنْمٌ وحُسْنُ حديثِها * لقد تركَتْ قَلْبي هائِم دَنِف

لأنَّ أصلَه هَائِمًا دَنِفًا. وقد قدَّمْنا أنَّ هذا الرَّاتِبَ وارِدٌ على سيدِنا القُطْبِ الغَوْثِ عبدِالله بن علوي الحدَّاد في بعضِ لَيالي رَمضانَ سنَةَ إحْدى وسبعين وأَلْف، وكانَتْ ليلة

القَدْر. وقد قدَّمْنا عن نَقْلِ سيدِنا العلاَّمةِ حامد بن عمر حامد عن الإمامِ زَرُّوق، أنَّه يَتعيَّنُ تَوْجيهُ ماورَدَ مِن المُوهِم والمُبْهَم في حُزُوبِ المَشائخِ بوجهِ الحقِّ، وإقامَةِ الحُجَجِ والاِعْتِذار . . . . الخ ماتقدَّمَ، وسيدُنا الحبيب حامد بن عمر لم يشرَحْ مِن الرَّاتبِ الأَلْفاظَ النبوِيَّةَ الصَّريحَةَ، لأنَّ الكُتُبَ مَشْحونةٌ بِشَرحِها، وتكَلَّمَ على الأَلْفاظِ الَّتي لها أصلٌ في السُّنَّة، لأنها بَيِّنَةٌ مَفهومةٌ لِلْخاصِّ والعامِّ ولا فيها إيهام.

فمِن ذٰلك قولُه نفَعَ اللهُ به، عندَ قولِ صاحبِ الرَّاتِبِ، رضي اللهُ عنه، «بِسْمِ اللهِ وَالحَمْدُ لِله»، قال: قد ورَدَ إِفْرادُهما في الحديثِ عندَ القِيامِ مِن النَّومِ وغيرِه، وفي تَفْسيرِهما إشارَةٌ إلى أنَّ الأُمورَ كُلَّها مِن الله، وأَنَّه المَشْكورُ على الرَّخاءِ والشِّدَّة.

وكذٰلك أَضافَ إليهِما نفَعَ اللهُ به، «اَلْخَيْرُ وَالشَّرُّ بِمَشِيئَةِ الله»، أيْ بإرادَةِ اللهِ تَصْديقًا لِقولِ اللهِ تعالى: [وَنَبْلُوكُم بِالْخَيْرِ وَالشَّرِ فِتْنَةً]، وأَنَّ هذه الكلمةَ مِن تَمامِ الاِعْتِقادِ والإيمانِ، ولهٰذا أَتْبَعَها صاحِبُ الرَّاتِبِ بعده «رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا»، وأَتْبَعَها بِقولِ «آمَنَّا بِالله . . . . . الخ»، وأَطالَ إلى أنْ قالَ: أَمَّا المَخْلوقُ فيَغْضَبُ ويَسْتَنْكِفُ مِن إضافَةِ الشَّرِّ والظُّلمِ إليه لِكَوْنِ صِفَةِ النَّقصِ تَلْحقُه وتَقومُ به، إذ هُو يُسَمَّى ظالِمًا وجاهِلاً وشِرِّيرًا، فلهٰذا يَغْضَبُ. وأَمَّا اللهُ تعالى فلا يَتَصَوَّرُ أنْ يكونَ ظالِمًا أو شِرِّيرًا إذِ الخلقُ خَلْقُه، والأمرُ أَمْرُه. فإذا أُضِيفَ إلى مَشيئَةِ الخَيرِ والشَّرِ كهٰذه الكلِمةِ، فالشَّرُّ حقٌّ وعَدْلٌ بالإضافَةِ إليه إلى خَلقِهِ وإيجادِه، وشرٌّ وظُلمٌ بِالنِّسبةِ إلى عمَلِنا وكَسْبِنا، ولا يُقالُ قَضاءُ اللهِ شرٌّ، ولا فِعْلُه قبيحٌ، إذْ أَفْعالُه جلَّ وعلا كُلُّها حِكمَةٌ وعدلٌ، فقد نقَلَ العُلماءُ ذلك.

فإنْ قلتَ: إنَّ الشَّرَّ لايُنْسَبُ إلى اللهِ مُطلَقًا. قلتُ: كيفَ، وقد ورَدَ في الحديثِ: [يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا، خَلَقْتُ الخَيْرَ وَالشَّرَّ، فَطُوبَى لِمَنْ خَلَقْتُهُ لِلخَيرِ وَأَجْرَيْتُ الخَيْرَ عَلَى يَدَيْهِ. وَوَيْلٌ لِمَنْ خَلَقْتُهُ لِلشَّرِّ وَأَجْرَيْتُ الشَّرَّ عَلَى يَدَيْهِ]. أَخْرجه الشيخ رَزُّوق في شرحِهِ على الحِكَم عندَ قولِهِ «إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ قَدْرَكَ عِنْدَهُ فَانْظُرْهُ فِيمَا

يُقيمُكَ» إلى أنْ قال: والمُتبادَرُ على فهمِ العامَّةِ في إطْلاقِ الشَّرِ أنَّه المَصائِبُ والمِحَنُ ونَقْصُ الأموالِ والأَنْفُسِ والثَّمراتِ، فترَى هذه الكلِمةَ، أَعْني الخَيرَ والشرَّ بمَشيئةِ الله وإرادَتِهِ على أَلْسِنتِهم لِشُهْرتِها في الرَّاتبِ يتَصبَّرون ويتَسلَّوْنَ بها عندَ طُروءِ الشُّرورِ والبلِيَّاتِ، فيقولُ أحدُهم عندَ ذلك «اَلْحَمْدُ لِله، الأَمْرُ كُلُّهُ مِنَ اللهِ وَإلَى الله، وَالخَيْرُ وَالشَّرُّ بِمَشِيئَةِ الله»، فيَميلُ قلبُهُ إلى الصَّبرِ، ويَسْلَم مِن السُّخطِ والضَّجَرِ. هذا الَّذي ظَهَرَ وشُوهِدَ [وَمَا شَهِدْنَا إلاَّ بِمَا عَلِمْنَا، وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ]، واللهُ أعلَم.

فإنْ قلتَ: فإنْ تَكَلَّمَ عامِيٌّ بِهذهِ الكلِمَةِ مُحْتَجًّا بها على مَعْصِيتِه، فنَقول: هٰذا العامِيُّ خَبيثُ الباطِنِ، سيِّءُ الفَهمِ، قبيحُ الظَّنِّ، حيثُ احْتَجَّ بِهذه الكلِمَةِ على العملِ بِالفَواحِشِ على دَلالتِها على الفَواحِشِ، ونِسْبتِها إلى اللهِ تعالى. فاللائِقُ بِالدِّينِ أنْ يُعرَّفَ ويُعَلَّمَ ويُنْهى عن قولِهِ هذا الباطِلَ الفاسِدَ، لا أنْ يُؤْمَرَ قارِىءُ هذه الكلِمَةِ بِالسُّكوتِ عنها أو عنِ الرَّاتبِ جميعِه، إذْ هِي كلِمَةُ حقٍّ كما سبقَ، والرَّاتِبُ كذلك، وهذا الاِحْتِجاجُ باطِلٌ أَرادَ صاحِبُه به الباطِل.

وقَد ذَكَرَ الإمامُ الغزاليُّ، رحِمَه الله، في [البِداية] وغيرِها احْتِجاجَ بعضِ العوَامِّ على فعلِهِ المَعاصيَ بمَغْفِرَةِ اللهِ ورَحْمتِه، بأنَّه يُنْهى عن ذلِك ويُجادَلُ بِالَّتي هي أَحْسَنُ. وقد ذكَرَه الشيخُ محمد بن أحمد العَدْنيُّ بافضل في شرحِ تراجُمِ البُخاري، أنَّ الإمامَيْنِ الحسَنَ البِصْرِيَّ ومحمد بن سِيرين كانا في جَنازةٍ، فسمِعَا نَوْحًا، فرجَعَ ابنُ سيرين. فلمَّا أُخْبِرَ الحسَنُ بِرُجوعِهِ، قال: لَوْ أنَّا إذا رأَيْنا بِدعَةً تركْنا حقًّا، لَضاعَ علينا إذَنْ دِينُنا. وقال الإمامُ النووِيُّ، رحِمَه الله، في [الأذكار] في بابِ السَّلام: إنَّ المَأْموراتِ الشَّرْعِيَّةَ لاتَسْقُطُ عن المَأْمورِ بها عندَ هذه الخَيالاتِ - انتهى. فكَيْفَ وهذِهِ الكلِمَةُ الَّتي في الرَّاتِبِ من الكَلِماتِ الواضِحاتِ البَيِّناتِ لفظًا ومعنًى، وأَوْرَدَهُ صاحِبُ الرَّاتِبِ لِخُصوصِ حِفْظِ عَقيدَةِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ مِن زَيْغِ أهلِ البِدعَةِ في هذه المسألَةِ، وتلَقَّاه عنه مُريدُه وخاصُّه المَقْصودُ بِهِ في الأَصْلِ. ثُمَّ وضَعَ اللهُ على هٰذا الرَّاتِبِ القَبولَ في قُلوبِ الخَلْقِ، لأنَّ ماخرَجَ مِن القلبِ دخَلَ القَلْبَ، وما قَصُرَ على اللِّسانِ لم يُجاوِزِ الآذانَ، كما

في الأثَر، فحَفِظَه وتلَقَّاه الكِبارُ والصِّغارُ، والعبيدُ والأَحْرارُ، وشاعَ وذاعَ في غالِبِ الجِهاتِ والأَقْطارِ، حتَّى بلَغَ إلى القُرى البَعيدَة.

﴿قلتُ﴾ ولَمَّا جاء في الحديثِ النبوِيِّ: [لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ]، قدَّمَ سيدُنا «الخَيْرِ والشَّرّ» على قولِهِ «آمَنَّا بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ».

قال سيدُنا الحبيبُ حامِد، نفَعَ اللهُ به: ومِن جُملةِ كلِماتِ الرَّاتِبِ الشَّريفِ «آمَنَّا بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، تُبْنَا إلَى اللهِ بَاطِنًا وَظَاهِر»، فهي دُعاءٌ ودَعوةٌ إلى الإيمانِ باللهِ واليومِ الآخِرِ اللَّذَيْنِ هما أصلُ الدِّين، وإقْرارٌ واعْتِرافٌ بهما وبِالتَّوْبةِ ظاهِرًا وباطِنًا مِن الذُّنوبِ ماظهَرَ منها وما بطَن. ولما كانتِ التَّوْبةُ ورَدَتْ كثيرًا في القُرآنِ العزيزِ مَقْرونَةً بِالإيمانِ، ومُرَتَّبَةً عليه، قرَنَ ذِكرَها صاحِبُ الرَّاتِبِ، نفَعَ اللهُ به، بِذِكرِ الإيمانِ. ولَمَّا كانتِ غايَةُ التَّوبَةِ وثَمرتُها العَفْوَ والمَحْوَ لِلسَّيِّئاتِ، ذكَرها صاحِبُ الرَّاتِب، نَفَعَ اللهُ بـه، بعد طلبِها ودُعاءٌ وتَوَسُّلٌ بِحَضْرةِ الرُّبوبِيَّة، فقالَ رضِيَ اللهُ عنه «يَارَبَّنَا وَاعْفُ عَنَّا . . . . .» اِنْتزاعًا مِن قولِهِ ﷺ: [اَللَّهُمَّ إنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنَّا]. وقولُهُ «وَامْحُ»، أي أَذْهِبْ واغْفِرِ الَّذي كان مِنَّا. وسكَتَ رضِيَ اللهُ عنه، ولم يقُلْ «مِنَ الذُّنوبِ ولا مِن التَّقْصير»، لأنَّ الغَفْرَ والمَحْوَ لايُطلَبُ إلَّا مِن الذُّنوبِ والعُيوبِ، كقولِ القائِلِ «رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا» مُطلَقًا لايَنْصَرِف إلَّا إلى الحَسناتِ، هذا الظاهِـرُ مِن الاِكْتِفاءِ بـالإِطْلاق ولِيُسَاوِيَ ويَتَقابَلَ عنَّا ومِنَّا في السَّجْع، ولِلزِّيادةِ في الاِعْتِرافِ بِالاِقْتِرافِ بِنِسْبَةِ السَّيِّئاتِ إليه بِفِعْلِه مِنَّا على ماأوَّلَ وفسَّرَ به عُلماءُ السُّنَّةِ مِن كونِه سببًا لِحُصولِ السَّيِّئاتِ في النِّيَّةِ عندَ الإِطْلاقِ تَوْجِيزًا لِلعُبودِيَّة. ولهذا يُقال «لَا إِلَهَ إلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ»، ولا يُقال «إنِّي كُنْتُ مِنَ المُحْسِنِينَ»، لأنَّ أُولِي الكَمالِ والمَعرِفَةِ باللهِ لايَنْسِبون الأعمالَ الصَّالِحَةَ إليهم، بل يَفْنَون ويَغِيبون عنها، ويُضِيفونها إلى فضلِ اللهِ ورَحْمتِه، ويَشْهدون السَّيِّئاتِ ويُثْبِتونها لأنفسِهم وعليها. ولهذا أكَّدَ بِقولِه «مِنَّا» زِيادَةً في الاِعْتِراف بِالاِقْتِراف.

وقولُه رضِيَ اللهُ عنه «يَاذَا الجَلَالِ وَالإكْرَام، مِتْنَا عَلَى دِينِ الإِسْلَام»، وتَرْتيبُه هذه

الكلِمةَ سبعًا اتِّباعًا لِقولِه ﷺ: [أَلِظُّوا بِيَاذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَام]، وتَعْليقُه في التَّوسُّلِ بهٰذَيْنِ الوَصْفَيْنِ الجَليلَيْنِ حُسنَ الخَواتِم، وهُو الموْتُ على دِينِ الإسلامِ، إشْعارًا لِعَظَمةِ الكلِمةِ المُتوسَّلِ بها بِإعْظامِ المَسألَةِ له، لأنَّ الموتَ على الإسلامِ هو الغايَةُ في الطَّوْلِ والإنْعام. ولِهٰذا ورَدَ في الحديثِ: [يَقُولُ الشَّيْطَانُ: قَصَمَ ظَهْرِي الَّذِي يَسْأَلُ حُسْنَ الخَاتِمَةِ، أَخَافُ أَنَّهُ قَدْ فَطِنَ . . . (الحديث)]، ورَجاءً لِلقَبولِ بامْتِثالِ أَمْرِ الرَّسولِ.

ومِن أَلْفاظِ الرَّاتِبِ الشَّريفِ المُبارَكِ «يَا قَوِي يَا مَتِين»، أَسْماءٌ مِن أسماءِ اللهِ تعالى، يرجِعُ مَعناهُما إلى القُدْرَةِ وشِدَّةِ بَطْشِها - ولِهٰذا توَسَّلَ إلى اللهِ بِهما، وقال «اِكْفِ شَرَّ الظَّالِمين». وفي ذٰلك إنْذارٌ لِلظَّالمِ مِن سَطْوَةِ اللهِ ونِقْمتِه، لأنَّه القَوِيُّ المَتِينُ - واللُّطْفُ والرِّفْقُ في الدَّعوةِ إلى الله، ورَدُّ الأمورِ إليه، أنْ يَكْفِيَ شرَّ الظَّالِمين بما شاء، وكيفَ شاء بقوله، ولَم يقُلْ «اِنْتَقِمْ واهْلِكْ»، ونحوَ ذلك.

وأكَّدَ رضِيَ اللهُ عنه، وكمَّلَ ماهنالِك بِقَولِه «أَصْلَحَ اللهُ أُمُورَ المُسْلِمِين»، والصَّلاحُ ضِدُّ الفَسادِ. وقولُه «أُمُور» مُطلَقًا يَشْمَلُ أُمورَ الدُّنيا والدِّين، وأَتْبَعَ وأَكَّد بِقولِه «صَرَفَ اللهُ شرَّ المُوذِين»، وكرَّرَ الدَّعْوتَيْنِ ثلاثًا ثلاثًا لِلاتِّباعِ وعملاً بِقولِه ﷺ: [أَلِحُّوا، فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُلِحِّينَ]. ولِهٰذا أَتْبَعَهما ثلاثًا قولَه «يَا عَلِيُّ يَا كَبِير، يَا عَلِيمُ يَا قَدِير، يَا سَمِيعُ يَا بَصِير، يَا لَطِيفُ يَا خَبِير»، نادَى وتوَسَّلَ إلى اللهِ بهٰذه الأَسْماءِ الثَّمانِيَةِ مِن أَسْمائه تعالى العِظامِ الدَّالَّةِ على العُلُوِّ والكِبْرِياءِ والعِلمِ واللُّطفِ بِعِبادِه لِيَقْبَلَه ويَتَقَبَّلَ منه الدَّعَواتِ الَّتي تقَدَّمَتْ قبلَها، والمُتأخِّرَةَ عنها، زِيادَةً في الِالْتِجاءِ والِاضْطِرارِ إلى اللهِ تعالى، ولِيَتَضَمَّنَ الرَّاتِبُ برَكَةَ الدُّعاءِ بِالأسماءِ الحُسنَى، كما أَمَرَ تعالى بِقولِه: [وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا].

ثُمَّ بِقولِهِ رضِيَ اللهُ عنه ثَلاثًا «يَا فَارِجَ الهَمّ، يَا كَاشِفَ الغَمّ، يَا مَنْ لِعَبْدِهِ يَغْفِرُ وَيَرْحَم»، نِداءٌ ودُعاءٌ وثَناءٌ ورَجاءٌ في الإلٰهِ الغَفورِ الرَّحيمِ جلَّ وعلاَ. أَثْنَى على اللهِ ووَصَفَه بأنَّه القادِرُ على تَفْرِيجِ الهَمِّ وكَشْفِ الغَمِّ، وتوَسَّلَ إلى اللهِ، ودَعا بِالثَّناءِ عليه في تَفْرِيجِ مُهِمَّةٍ وكَشفِ مُلِمَّةٍ، ونعَتَه بِقولِ «يَا مَنْ لِعَبْدِهِ يَغْفِرُ وَيَرْحَم». وذكَرَ العُبودِيَّةَ

وأَضافَها إليه في النِّداءِ إظْهارًا لِلفاقَةِ والاِضْطِرارِ، وأنَّه ليس مع العبدِ إلَّا ربُّه، ولا يرتَجي إلَّا إِحسانَه وفضلَه، وعلَّقَ وأَضافَ إليها وَصْفَ المَوْلى بِالمَغفِرَةِ والرَّحْمَةِ تأَوُّلًا لِقولِه: [يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ الله، إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، إِنَّهُ هُوَ الغفُورُ الرَّحِيمُ]. ولِذلك خَتَمَ الكلماتِ بِقولِه «أَسْتَغْفِرُ اللهَ رَبَّ البَرَايَا»، يعني ربَّ الخَلائِقِ في إضافَتِه البَرايا إلى بارِيها، وربَّما مع تَقديمِه الاِسْتغفارَ إشارةٌ إلى أنَّ سُبحانه المُدَبِّرُ لهم، المُتصَرِّفُ فيهم، فلا يُسأَلُ المَغْفِرَةَ إلَّا هو، ولا تُرجَى الرَّحمةُ إلَّا مِنه، وهو أهلُ التَّقوى وأهلُ المَغفِرَةِ.

ثم قولُه رضيَ اللهُ عنه «أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنَ الخَطَايَا»، أي الذُّنوبِ، وجعلَ هذه الكلمةَ أَرْبعًا، لأنَّه قد ورَدَ في السُّنَّةِ تَكريرُ بعضِ الدَّعواتِ أربعًا في الجُملةِ، ولعلَّ في ذلك إشارَةً إلى أنَّ الذُّنوبَ تَنْقَسِمُ إلى مايَتعلَّقُ بِالخالِقِ والخَلْقِ، وكلُّ قِسمٍ يَنقسِمُ إلى ظاهِرٍ وباطِنٍ، واللهُ أعلَم.

ومِن كلماتِ الرَّاتِبِ المُبارَكِ الفاتِحةُ، وآيةُ الكُرسي، وآمَنَ الرَّسولُ إلى آخِرِ السُّورةِ. ثم أَتى بِالأَذْكارِ النَّوويَّةِ الَّتي في الرَّاتبِ الشَّريفِ. ثمَّ قال: ولم نذكُرْ ماورَدَ من الثَّوابِ والفَضلِ في قِراءَةِ هذه الآياتِ والأَذْكارِ اِكْتِفاءً بِكثرَةِ تَكرارِها في كُتُبِ الحديثِ، فلْيَنظُرْ مَن أَرادَ ذلك.

﴿قلتُ﴾ قد جمَعْنا ما لايَتْرُكُ الاِطِّلاعَ عليه مَن أَرادَ التَّطَلُّعَ على الأصلِ والدَّليلِ والفَضائِلِ الجَمَّةِ مِن الحقِّ الواضِح.

ثمَّ قال العَمُّ العلاَّمةُ الصُّوفيُّ الصَّفْوةُ، حامد بن عمر حامد: وقد ورَدَ عن النَّبيِّ ﷺ: [مَنْ سَأَلَ الجَنَّةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَتِ الجَنَّةُ: اَللَّهُمَّ أَدْخِلْهُ الجَنَّةَ! وَمَنِ اسْتَجَارَ مِنَ النَّارِ، قَالَتِ النَّارُ: اَللَّهُمَّ أَجِرْهُ مِنَ النَّارِ!] رواه التِّرمِذيُّ والنَّسائي.

وعن مُعاذِ بنِ جبَلٍ، قال: [سَمِعَ النبيُّ ﷺ رَجُلًا يَدعو، يَقولُ: اَللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ تَمَامَ النِّعْمَةِ! فَقالَ: أَيُّ شيْءٍ تَمَامُ النِّعْمَةِ؟ قالَ: دَعْوَةٌ أَرْجُو بِهَا خَيْرًا! فَقالَ: إِنَّ

مِنْ تَمامِ النِّعْمَةِ دُخُولَ الجَنَّةِ والنَّجاةَ مِنَ النَّارِ]. رَواه التِّرمذِيُّ.

اَللَّهُمَّ إنَّا نَسْأَلُكَ دَوامَ العَافِيَةِ وَتَمَامَ النِّعْمَةِ وَحُسْنَ الخَاتِمَةِ والعَاقِبَةِ! اَللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِصَالِحِ الأَعْمَالِ وَالنِّيَّاتِ. اَللَّهُمَّ افْتَحْ أَقْفَالَ قُلوبِنَا بِذِكْرِكَ، وَأَتْمِمْ نِعْمَتَكَ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلِكَ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ - انتهى ماأَرَدْنا نَقْلَه مِن الشَّرحِ المَذكورِ، ولَم أُوخِّرْ مانَقَلْتُه هنا بِالعمَلِ، بل بَتَوْفِيقِ الله، لم تَكُنِ النُّسْخَةُ معي حتَّى يَسَّرَها اللهُ بعدَ ماشرَحْنا الرَّاتِبَ. فلمَّا رأَيْته رأَيْتُ مايُسْتَحْسَنُ ذِكرُهُ، فَلَخَّصْتُ المَقصودَ بِإذْنِ الإلٰهِ المَعْبودِ. وقد وصلَتْ إليَّ إجازاتُ صاحبِ الرَّاتِبِ بإذْنٍ مُطلَقٍ مِن ابْنِهِ الحسَنِ، جدِّي، فإنَّه قالَ لي: أَجَزْتُك في جميعِ ماأَجَازَني، وكذٰلِكَ أَجازَني الوالِدُ العلاَّمةُ شَهابُ الدِّين أحمد إجازَةً مُطْلَقَةً، ولَقَّنَني الذِّكرَ كجدِّي القُطبِ الحسَنِ، نفَعَ اللهُ بهما. وكذا لَبِسْتُ الخِرقَةَ مِنهُما، ومِن العمِّ صاحبِ شَرحِ الرَّاتِب، حامد بن عمر المذكور، والحبيب عمر بن سُميط، ولقَّنَني الذِّكرَ عندَ ضَريحِ صاحبِ الرَّاتِب هذا، و أَخَذْتُ عن غيرِهم مِن السَّادةِ الفُضلاءِ والمَشائخ، وجُلُّ انْتِفاعي بِجَدِّي الحسَن بن سيدِنا عبدالله الحدَّاد، ثمَّ بالوالِد أحمد. وكان سيدُنا وشيخُنا قُطْبُ الزَّمَنِ العلاَّمةُ العارِفُ بالله، الحسَن بن سيدِنا عبدِالله الحدَّاد على عادَةِ والدِه، نفَعَ اللهُ بهما، إذا أَرادَ القِيامَ مِن المَجْلِسِ بعدَ قِراءَةِ الرَّاتِبِ، وبعدَ أنْ يُنْشِدَ بعضُ الحاضِرين بِقصيدَةٍ مِن كلامِ سيدِنا أو مِن كلامِ بعضِ الأكابِر، يَقْرَأُ هذهِ الفاتِحَةَ، بل كان سيدُنا الحسَن يَخْتِمُ بها جميعَ مجالِسِه أينَما كَان.

قالَ سيدُنا الحسَن: أَصْلُ هذه الدَّعَواتِ لسيدِنا، وذلك أنَّ الوالِد أخَذَ في مَرَضِ المَوْتِ أَربعينَ يومًا، وكنتُ أُقَدِّمُ له القَهوةَ الَّتي يَعْتادُ شُربَها آخِرَ اللَّيلِ عندَ تَهَجُّدِه. فإذا طلَبَ القَهوةَ وأَمَرَ بِصَبِّها في الفِنْجانِ، قال: الفاتِحَةَ أنَّ اللهَ يَغفِرُ الذُّنوب، ويَسْتُرُ العُيوب، ويُصْلِحُ أُمورَ المُسلمين، ويَكْفِينا وإيَّاكُم شَرَّ الطَّاغين، وشرَّ الباغِين، وشرَّ الحاسِدين، وشرَّ المُعْتَدِين، وشرَّ المُسْتَكبِرين، وشرَّ الغاصِبين، ويَرْحَمُ المُسلمين، ويُوَفِّقُنا لِما يُحِبُّ ويَرْضَى، ويَخْتِمُ لنا بِالحُسنى، ويَجْمَعُنا وإيَّاكُم في مُسْتَقَرِّ رحمتِه، مع اللُّطْفِ والعافِيَة، وإلى حَضْرَةِ النبيِّ محمدٍ صَلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّم. ثم يَقْرَأُ الفاتِحَة

المُعَظَّمَة. فإذا أَتَمَّها، قال: ياحسَن، حسَّنَ اللهُ عاقِبَتَك! ياحسَن، حسَّنَ اللهُ عاقِبَتَك! ياحسَن، حسَّنَ اللهُ عاقِبَتَك! ياحسَن! فإذا شرِبَ بعضَ القَهوَةِ الَّتي في الفِنْجانِ، أَعْطاني مابَقِيَ أَشْرَبُه. ﴿قلتُ﴾ وقد أَشارَ إلىَ هذه الحِكايَةِ الَّتي مَنَّ اللهُ بها علىَ سيدِنا وشيخِنا السيد الحسَنِ بعضُ تلامِذتِه في قَصيدَةٍ اِمْتَدَحَه بها:

وبِحُسنِ عـاقِبَـةٍ دعـا لـه والِـدُه * خُصَّ بهـا في نَسْلِهِ المُتفَـرِّعِ

قال سيدُنا الحبيبُ الحسَن: كانَ الوالِدُ، إذا صافَحْتُه وأَنا صَغيرٌ، وهُو في المِحْرابِ بعدَ الصَّلاةِ يَأْخُذُ بِيَدي ويُجْلِسُني عندَه في المِحْراب. وكان الأخُ زَين أَصْغَرَ مِنّي سِنًّا، والبَقِيَّةُ مِن الأَصْناءِ أَكْبَرُ مِنّي سِنًّا، فتَعَجَّبْتُ مِن ذلك. فلَمّا بلَغْتُ نحوَ العِشْرين السَّنةِ أَمَرني أَجْلِسُ مكانَهُ أُدرِّسُ في كُتُبِ الفِقْهِ يومَ السَّبْتِ والأَرْبعاء إلى سنَة حجَجْنا سنَةَ أَرْبَعين ومِائَةٍ وأَلْفٍ دَرَّسَ الولدُ أحمد مكانَنَا، والتَّدْريسُ وقتَ العَصْرِ في المُصَلَّى أَيَّامَ حَياةِ الوالِد، وهو يُدَرِّسُ إلى أنْ تُوُفِّيَ هو، ثُمَّ بعدَه الأخُ علوي عِشْرين سنَةً حتَّى تُوُفِّيَ، ثمَّ دَرَّسْتُ أنا ولنا نحوُ ثَلاثين سنَةً، فعَمِلْتُ حينَئِذٍ كما كانَ يَأْخُذُ بِيَدي ويُدْخِلُني المِحْرابَ معه، أَنّي أَقومُ مقامَه في تَدْريسِ العُلومِ النَّافِعَةِ أَيَّامَ حَياتِه وبعدَ وفاتِه. وُلِدَ سيدُنا الحسَنُ سنَةَ تِسْعٍ وتِسْعين وأَلْفٍ، وتُوُفِّيَ ليلَةَ سَبْعٍ وعِشْرين خلَتْ مِن شَهرِ رَمضانَ المُعظَّمِ سنَةَ ١١٨٨.

وكان سيدُنا الحسَن، نفَعَ اللهُ به، صاحِبَ اسْتِقامَةٍ تامَّةٍ، واتِّباعِ الكِتابِ والسُّنَّةِ، وجميعُ ما كان يُواظِبُ عليه ويُرَتِّبُهُ والِدُه مِن عاداتِهِ وعِباداتِهِ كانَ يَعْمَلُ عليه. ﴿قال﴾ أَعْني سيدَنا الحسَنَ، نفَعَ اللهُ به، في جَميعِ ما كان يَعْمَلُ والِدُنا مِن العَملِ عِبادَةً أو عادَةً، عمِلْنا بِذلك ولا ترَكْنا مِن ذلك شيئًا إلاَّ أَنّي أَزيدُ بعدَ الأَلْفِ التَّهْليلَةِ بعدَ الظُّهرِ أَلْفًا آخر رَجاءَ أنْ يَبلُغا أَلْفَ الوالِد. وكان يَقولُ ما ترَكْتُ صلاةَ التَّسْبيحِ كلَّ ليلَةٍ عندَ التَّهَجُّدِ لِقِيامِ اللَّيلِ، ولا نِمْتُ أصلاً على جَنابَةٍ، ولا صَلَّيْتُ صلاةً مَفْروضَةً مُنفَرِدًا أبدًا ولا مُسْتعجِلاً، ولا ترَكْتُ غُسلَ الجُمْعةِ ولا صلاةَ الاِسْتِخارَةِ إذا أَرَدْتُ أمرًا أَفْعَلُه، ولَو

أَرَدْتُ إلى تحتَ البلَد. وكانَتْ أَعْمالُهُ كُلُّها على القَولِ المُفْتَى به والأَرْجَحِ من الأَقْوالِ. وكان أَمَّارًا بِالمَعْروفِ نَهَّاءً عن المُنكَرِ حتَّى كان يُضْرَبُ به المَثَلُ، ولايَخافُ في الحقِّ لَوْمَةَ لائِمٍ ولا جَوْرَ ظالِمٍ. وكان كَثيرَ الكَراماتِ العِظامِ والمُكاشَفاتِ الكَثيرَةِ حتَّى أَنِّي أَحْفَظُ له ثَمانين كَرامةً، الواحِدَةُ مِنها لايَسَعُها الذِّهْنُ بل الإيمانُ حتَّى أنَّ بعدَ موتِهِ زارَهُ بعضُ المُحِبِّين مِن أهلِ دُوعَن، وأَخْرَجَ له قُرَصَ بُرٍّ مِن قَبرِهِ. والكَرامَةُ هِيَ الاِسْتِقامَةُ، فهُو رضِيَ اللهُ عنه كنارٍ على عَلَمٍ في اتِّباعِهِ لجدِّه المُصطفى المُكَرَّمِ ﷺ، وجُلُّ انْتِفاعي عليه، فجَزاهُ اللهُ عنِّي وعن سائِرِ تَلامِذتِه خيرًا، وأَلْحَقَه بِوالِدِه الأكبَرِ الأُستاذِ المُعَظَّمِ عبدِالله بن علوي الحدَّاد، صاحِبِ الرَّاتِبِ الأَفْخَمِ، نفَعَ اللهُ بهما في الدَّارَيْنِ، آمين.

﴿الفائِدَةُ الرَّابعةُ والعِشْرون﴾

في تبيين عدد الذِّكر

اِعلَمْ أنَّ ذِكرَ اللهِ جلَّ جلالُه، وكذا ذِكرُ أَنْبيائِهِ وأَوْليائِهِ ومَنِ انْتَسَبَ إليه، كلَّ ذلك يُعَدُّ مِن الذِّكرِ. قالَ الإمامُ الكَبيرُ أحمد بن محمد بن عَطاءِ اللهِ الشَّاذلي الإسكندَرِيّ، رحِمَه اللهُ ونفَعَ به، في كتابِه [مِفتاح الفلاَح ومِصْباح الأرواح بِفَضل اللهِ الكريم الفتَّاح] المُقَدِّمة في ماهِيَّة الذِّكرِ وبَيانِه: الذِّكرُ هو التَّخلُّصُ مِن الغَفلَةِ والنِّسْيانِ بدوامِ حُضورِ القَلبِ مع الحقِّ. ﴿قيلَ﴾ تَرْديدُ اسْمِ المَذكورِ بالقَلبِ واللِّسانِ، وسواءٌ في ذلك ذِكرُ الله، أو صِفَةٍ مِن صِفاتِه، أو حُكمٍ مِن أَحْكامِه، أو فِعلٍ مِن أَفْعالِه، أو اسْتِدلالٌ على شيءٍ مِن ذلك، أو دُعاءٌ، أو ذِكرُ رُسُلِه، أو أَنْبيائِه، أو مَنِ انْتَسبَ إليه إذا تقَرَّبَ إليه بِوجهٍ مِن الوُجوهِ، أو سبَبٍ مِن الأَسْبابِ، أو فِعلٍ مِن الأَفْعالِ، نحوُ قِراءَةٍ، أو ذِكرٍ، أو شِعرٍ، أو غِناءٍ، أو مُحاضَرةٍ، أو حِكايَةٍ. فالمُتكَلِّمُ ذاكِرٌ، والمُدرِّسُ ذاكِرٌ، والمُتدَرِّسُ ذاكِرٌ، والمُغَنِّي ذاكِرٌ، والواعِظُ ذاكِرٌ، والمُتَفكِّرُ في عَظَمَةِ اللهِ تعالى وجَلالِه وجَبَروتِه وآياتِه في أَرْضِهِ وسَمٰواتِهِ ذاكِرٌ، والمُمْتثِلُ لِما أَمَرَ اللهُ تعالى به، وعمَّا عنه نَهى اللهُ ذاكِرٌ.

والذِّكرُ قد يكونُ بِاللِّسان، وقد يكونُ بِالجَنان، وقد يكونُ بِأَعْضاءِ الإنسان، وقد يكونُ بِالجَهر، وقد يكونُ بِالإعلان. والجامِعُ لذلك كلِّه ذاكِرٌ كامِلٌ. وذِكرُ اللِّسانِ هو ذِكرُ الحُروفِ بلا حُضورٍ وهو ذِكرُ الظَّاهِر، وله فَضلٌ عَظيمٌ شَهِدَتْ به الآياتُ والأخبارُ والآثار.

فمِنه المُقيَّدُ بِالزَّمانِ أو بالمكانِ، ومِنه المُطلَقُ. فالمُقَيَّدُ، كالذِّكرِ في الصَّلاةِ وعَقِبِها، والحجِّ، وقَبل النَّومِ، وبعدَ اليَقَظَةِ، وقبلَ الأكلِ، وعندَ رُكوبِ الدَّابَّةِ، وطرَفَي النَّهارِ،

وغيرِ ذلك. والمُطلَقُ مالا يَتَقَيَّدُ بزمانٍ ولا مكانٍ، ولا وَقتٍ ولا حالٍ.

فمِنه ما هُو ثَناءٌ على اللهِ تعالى، كما في واحِدَةٍ من هذه الكلماتِ، وهو «سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ لِلهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَر، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيم».

ومِنه ما هو ذِكرٌ في دُعاءٍ، مثلُ «رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا». ومُناجَاةٌ، وكذلك «اَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ»، وهو أَشدُّ تأْثيرًا في قَلبِ المُبْتدِىءِ مِن الذِّكرِ الَّذي لايَتَضَمَّنُ المُناجاةَ، لأنَّ المُناجِيَ يَشْعُرُ قلبُه قُرْبَ مَن يُناجِيه، وهو ممَّا يُؤَثِّرُ في قَلبِه وتَلْبَسُه الخَشيَة.

ومِنه ما فِيه ذِكرُ رِعايَةٍ، أو طلَبِ دُنياوِيٍ وأُخْراوِيٍ. فالرِّعايَةُ، مثلُ قولِك «اللهُ مَعِي! اللهُ نَاظِرٌ إِلَيَّ! اللهُ يَرَانِي!»، فإنَّ فِيه رِعايَةً لِمَصلحَةِ القَلبِ، فَإنَّهُ ذِكرٌ يُستَعْمَلُ لِتَقْوِيَةِ الحُضورِ معَ اللهِ وحِفْظِ الأَدبِ معَه، والتَّحَرُّزِ من الغَفلةِ والاِعْتِصامِ مِن الشَّيطانِ الرَّجيم، وحُضورِ القَلبِ مع العِبادات.

ثمَّ قال: وما مِن ذِكرٍ إلَّا وله نَتيجَةٌ تَخُصُّهُ وتَحُفُّهُ، فأيُّ ذِكرٍ اشْتَغَلْتَ به أَعْطاكَ ما في قُوَّتِه. ثمَّ قال ﴿قال﴾ الجريري: كان مِن أَصْحابِنا رَجُلٌ يُكثِرُ مِن أنْ يَقولَ: اللهُ! اللهُ! فوقَعَ يومًا على رَأْسِهِ جِذْعٌ، فشَجَّ رأسَهُ، وسقَطَ الدَّمُ فتَكَتَّبَ على الأرضِ «اللهُ! اللهُ!». ثم قال: الذِّكرُ نارٌ لاتُبْقِي ولا تَذَر، فإذا دَخلَ بيتَنا يَقولُ «أنَا لا غَيْري»، وهُو مِن مَعاني لا إلَهَ إلَّا الله، فإذا وَجَدَ فيه حطَبًا أَحْرَقَه وصار نارًا، وإنْ كانتْ فيه ظُلْمَةٌ كانتْ نُورًا فَنَوَّرَه، وإنْ كان فيه نورٌ صار نُورًا على نُور.

والذِّكرُ مُذهِبٌ مِن الجسَدِ الأجزاءَ الرَّديئَةَ الحاصِلةَ مِن الإِسْرافِ في الأَكْل، ومَن تَناوَلَ لُقَمَ الحرامِ الرديئَةَ الحاصِلةَ مِن الحَلال، فلا يَدَ له عليها. فإذا احْترقَتِ الأجزاءُ الرَّديئَةُ الخَبيثَةُ، وبَقِيَتِ الأجزاءُ الطَّيِّبَةُ، سَمِعْتَ مِن كلِّ جُزءٍ ذِكرًا.

ثم قال: ورُبَّما صار العبدُ إلى حالَةٍ إذا سكَتَ عنِ الذِّكرِ تَحرَّكَ القَلبُ في الصَّدرِ، مثلُ حرَكَةِ الولَدِ في بطنِ أُمِّه يَطلُبُ الذِّكرَ.

ثم قال: والكَمالُ يَفنَى عن نَفْسِه وعن الفَناءِ. والفَناءُ أَوَّلُ طريقٍ، وهُو الذَّهابُ إلى الله، وإنَّما بعدُ أَعْني بِالهُدَى هُدَى الله، كما قالَ إبراهيمُ، عليه السَّلامُ: [إنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ]. وهذا الاِسْتِغراقُ قلَّما يَثْبُتُ ويَدومُ، فإن دامَ صارَتْ عادَةً راسِخَةً وهَيْئَةً ثابِتةً، وعُرِّجَ به إلى العالَمِ الأعلى وطالَعَ الوُجودَ الحقيقيَّ الأَصْفى، وانْطَبَعَ له نَقْشُ المَلَكوتِ وتجَلَّى له قُدْسُ اللاَّهوتِ، فأوَّلُ مايتَمَثَّلُ له مِن ذلك العالَمِ جواهِرُ الملائِكَةِ وأَرْواحُ الأَنْبياءِ والأَوْلياءِ في صُورةٍ جَميلَةٍ يُفاضُ عليها بواسطتِها بعضُ الحقائِقِ، وذلك في البِدايَةِ إلى أنْ تَعْلُوَ درَجَتُه عن المِثالِ، ويُكافَحَ بِصريحِ الحقّ في كلِّ شيْءٍ.

فهذِه ثَمراتُ لُبابِ الذِّكرِ، وإنَّما مَبدَأُها ذِكرُ اللِّسانِ، ثمَّ ذِكرُ القَلبِ تَكَلُّفًا، ثمَّ ذِكرُه طبعًا، ثمَّ اسْتيلاءُ المَذكورِ دائِمًا لِلذِّكر. وهذا سرُّ قولِه ﷺ: [مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَرْتَعَ في رِيَاضِ الجَنَّةِ، فَلْيُكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ الله]. بل سِرُّ قولِه ﷺ: [يَفْضُلُ الذِّكْرُ الخَفِيُّ عَلَى الَّذِي يَسْمَعُهُ الحَفَظَةُ سَبْعِينَ ضِعْفًا]. وعَلامَةُ وُقوعِ الذِّكرِ إلى السِّرِّ غَيْبَةُ الذَّاكِرِ عن الذِّكرِ بِالمَذكورِ. فذِكرُ السِّرِّ الهَيمانُ والفَرقُ فيه. ومِن عَلامتِهِ أنَّك إذا ترَكْتَ الذِّكرَ لم يَتْرُكْ . . . إلى أنْ قالَ: وإذا وقَعَ الذِّكرُ إلى السِّرِ يكونُ الذِّكرُ عندَ سُكوتِ الذَّاكِرِ كأنَّهُ غَرْزُ الإِبْرِ في لِسانِه، وإنَّ وجهَهُ كلَّهُ لِسانٌ يَذكُرُ بِنُورٍ فائِضٍ عنه.

﴿دقيقةٌ﴾ إعلَمْ أنَّ كلَّ ذِكرٍ يَشْعُرُ به قلبُك تَسْمَعُهُ الحَفَظَةُ، فإنَّ شُعورَهم يُقارِبُ شُعورَك، وفيه سِرٌّ حتَّى إذا غابَ ذكرُك عن شُعورِك بِذَهابِك في المَذكورِ بِالكُلِّيَّةِ يَغيبُ ذِكرُك عن شُعورِ الحَفَظَة.

﴿تنبيهٌ﴾ ذِكرُ الحُروفِ بلا حُضورٍ ذِكرُ اللِّسانِ، وذِكرُ الحُضورِ في القَلبِ ذِكرُ القَلبِ، وذِكرُ الغَيْبَةِ عن الحُضورِ في المَذكورِ ذِكرُ السِّرِّ، وهُو الذِّكرُ الخَفِيُّ . . . إلى أنْ قالَ: ورِزْقُ الظَّاهِرِ بِحَركاتِ الأَجْسامِ، ورِزْقُ الباطِنِ بِحَركاتِ القُلوبِ، ورِزْقُ الإِسْرارِ بِالسُّكونِ، ورِزْقُ العُقولِ بِالفَناءِ عن السُّكوتِ حتَّى يكونَ العبدُ ساكِنًا لِلهِ مع الله، وليس في الأَغْذِيَةِ قُوتٌ لِلأَرْواحِ، وإنَّما هي غِذاءُ الأَشْباحِ، وقُوتُ الأَرْواحِ

والقُلوبِ ذِكرُ اللهِ عالِمِ الغُيوبِ. قالَ اللهُ تعالى: [اَلَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ الله. أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ].

فإذا ذكَرْتَ اللهَ تعالى ذَكَرَ معَك كلُّ مَن سَمِعَك، بأنَّك تَذْكُرُ بِلسانِك، ثمَّ بِقَلبِك، ثمَّ بِنَفسِك، ثمَّ بِرُوحِك، ثمَّ بِعَقلِك، ثمَّ بِسِرِّك، ذلك في الذِّكرِ الواحِد. فإذا ذَكَرْتَ اللهَ بِلسانِك ذَكَرَ مع لِسانِك الجَماداتُ كُلُّها. وإذا ذَكَرْتَ بِقَلبِك ذَكَرَ مع قَلبِك الكَوْنُ ومَن فيه مِن عَوالِمِ اللهِ تعالى. وإذا ذَكَرْتَ بِنَفسِك ذَكَرَ معك السَّمٰواتُ ومَن فِيهِنَّ. وإذا ذَكَرْتَ بِرُوحِك ذَكَرَ معَك الكُرْسِيُّ ومَن فيه مِن عَوالِمِه. وإذا ذَكَرْتَ بِعَقلِك ذَكَرَ معَك حَمَلَةُ العَرْشِ ومَن طافَ به مِن الملائِكَةِ الكَرُوبِيِّين وأَرْواحُ المُقَرَّبِين. وإذا ذَكَرْتَ بِسِرِّك ذَكَرَ معَك العَرْشُ بِجميعِ عَوالِمِه إلى أنْ يَتَّصِلَ الذِّكرُ بالذَّات.

ثمَّ قالَ نفَعَ اللهُ به: مَن أَرادَ فَوائِدَ الذِّكرِ فلْيَتَتَبَّعِ النُّصُوصَ الوارِدَة. ففَوائِدُه ليسَتْ بِالقَليل، وليسَ إلى حَصْرِها مِن سَبيل، يَقْطَعُ الشَّيطَان، ويُرضي الرَّحْمٰن، ويُزيلُ الهَمَّ والغَمَّ، ويَجلِبُ الفَرَحَ والسُّرور، ويُقَوِّي القَلبَ والبَدَن، ويُهَيِّجُ القَلْبَ والوَجْد، ويَجْلِبُ الرِّزق ويُيَسِّرُه، ويَكْسُو الذَّاكِرَ مَهابَة، ويُلهِمُهُ في كلِّ أَمْرٍ صَوابَه، ويُورِثُ المُراقَبَة والإِنابَة، ويُورِثُ القُربَ مِن الرَّبّ، ويَفْتَحُ بابَ المَعرِفَة، ويُحْبِطُ الذُّنوبَ والخَطيئَات، [إِنَّ الحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَات]. ومَن تَعَرَّفَ إلى اللهِ في الرَّخاءِ بِذِكْرِه، تَعَرَّفَ إليه في الشِّدَّةِ بِبِرِّه، وهو سَبَبٌ لِنُزولِ السَّكينَة، وحُفوفِ المَلائِكَةِ بِه، وغِشْيَانِ الرَّحْمَة.

والذَّاكِرُ لا يَشْقَى بِه جَليسُه، وهو سَبَبُ العِتْقِ مِن النِّيران، وَالأَمانِ مِن النِّسْيانِ في الدُّنْيا، وهو نورٌ لِلعَبدِ في دُنياه وقَبْرِهِ وحَشرِهِ ونَشرِه، وهو رَأْسُ الوُصول، وبابُ الوُصول، ومَنْشورُ الوِلايَة، واللهُ مع الذَّاكِرِ بِالقُربِ والوِلايَةِ، والمَحبَّةِ والتَّوْفيقِ والحِمايَة - انتهى مُلخَّصًا. وإنْ أَرَدْتَ أنْ تَرى العَجَبَ، فانْظُرْ كِتابَه المَذكورَ، جزاهُ اللهُ خيرًا.

﴿الفائدةُ الخامِسةُ والعشرون﴾
في جمع سُؤالات وجوابات من كتاب
[النفائس العُلوية والمسائل الصُّوفية]

وهي مَطلَبُ أَسْئِلَةٍ وأَجْوِبَة، أجابَ عليها نفَعَ اللهُ به، في كِتابِهِ [النَّفائس العُلوية والمَسائل الصُّوفية] مِن فَتاوَى شيخِنا القُطبِ عبدِالله بن علوي الحدَّاد. جَمْعُ السيِّد العلَّامة سيدنا الكبير أحمد بن زين الحَبشي باعلوي، قالَ نفَعَ اللهُ به:

وسأَلَهُ بعضُ المُنوَّرين بما حاصِلُه، أيُّهما أَفْضَـلُ لِلعَبدِ: إخْفـاءُ العِبادات، أو إظْهارُها؟ وأَيُّهما أَفضَلُ له: الخَوفُ أو الرَّجاءُ؟ وعمَّن أَرادَ أن يَجعَلَ لِنَفْسهِ وِردًا: هل الأَحبُّ أَن يَجعَلَهُ قُرآنًا، أَو تَسْبيحًا، أَو تَهْليلًا؟ وأَيُّهما أفضلُ: طُولُ القِيامِ والرُّكوعِ والسُّجودِ أَو قُصرُ ذلك لِيَكثُرَ عددُ الرَّكعاتِ في النَّوافِل . . . إلى آخِرِ السُّؤال؟

فأَجاب رضيَ اللهُ عنه، وأَعادَ علينا مِن بَركاتِه: اِعلَمْ أَنَّ الإِظْهارَ أَفْضَلُ لِمَن لا يَخْشَى على نَفْسِهِ الرِّياء، ويَرجو أنْ يَقْتَدِيَ به فيما يُظهِرُ أَحَدٌ مِن إخْوانِهِ المُؤمِنـين. والإِخْفاءُ أَفضَلُ لِمَن يَخشَى الرِّياء، ولا يَرجُو الاِقْتِداء، فَإِنْ أَمِنَ الرِّياءَ ولم يَرجُ الاقتِداءَ أَو عَكْسَه، فَالإِخْفاءُ أفضلُ أَيضًا.

وأَمَّا الأَفضلُ في الخَوفِ والرَّجاء، فَاعْلم أَنَّ الخَوفَ أَفضلُ لِمَن قَوِيَتْ نَفْسُه، وعظُم مَيلُها إلى المَعاصي حتَّى تَسْتَقيمَ. والرَّجاءُ أَفضلُ لِمَن أَشْرفَ على المَوتِ حتَّى يموتَ على حُسنِ الظَنِّ بِاللهِ تعالى. وأَمَّا الصَّحيحُ في جِسمِه، المُستقيمُ في دينِه، فَالأَفْضلُ له استِواءُ الخَوفِ والرَّجاء، حتَّى يكونَ كَجَناحَيِ الطَّائِر.

وأمَّا سُؤالُك عمَّن يُريد أنْ يَجْعَلَ له وِردًا، هل الأَحَبُّ أنْ يَجْعَلَهُ قُرآنًا، أو تَسبِيحًا، أو تَهْليلاً؟

فاعْلَمْ أنْ لا شيْءَ أَفْضَلُ مِن قِراءَةِ القُرآنِ مَعَ الحُضورِ والتَّدَبُّرِ والتَّرتِيل، ولٰكِنْ في طَبْعِ الإنسانِ السَّآمَةُ والمَلالَةُ. فيَنْبغي له أنْ يَتَنَقَّلَ في الأَوْراد، فَتارَةً يَقْرَأُ، وتارَةً يُصلِّي، وتارَةً يَذْكُرُ، وتارَةً يَتَفَكَّرُ في المَوْتِ وما بعدَه - مِن وَظائِفِ العِبادات.

وأمَّا الأَفْضلُ مِن طُولِ القِيامِ والرُّكوعِ والسُّجودِ، أَو قُصرِ ذٰلك لِيكثُرَ عددُ الرَّكعاتِ في النَّوافِل، فاعلَمْ أنَّ المَنقولَ مِن فِعلِ رَسولِ اللهِ ﷺ في قِيامِهِ مِن اللَّيلِ طُولُ القِيامِ وطُولُ الرُّكوعِ والسُّجودِ جِدًّا، وكانَ لَايزيدُ في قِيامِهِ على إحْدى عَشْرةَ أَو ثلاثَ عَشْرةَ رَكعَةً.

ووَقَعَ الخِلافُ بَين العُلماءِ رَحْمَةُ اللهِ عَليهِم في أَنَّ الأَفضلَ طُولُ القِيامِ، أَو طُولُ الرُّكوعِ والسُّجود؟ فبَعْضُهم قالَ بِالأَوَّلِ، وبعضُهم قالَ بِالثَّاني. واخْتارَ الإمامُ الغزالِي وغيرُه أنَّ الَّذي يَتَّفِقُ فيه الخُشوعُ والحُضورُ أَكْثَرَ هو الأَفْضَل، وهٰذا يَخْتَلِفُ بِاخْتِلافِ الأَحْوال.

وسأَلَهُ بعضُ العُلماءِ عن وقتِ أَذْكارِ الصَّباحِ والمَساءِ، متى يَدخُلُ، ومتَى يَحسُنُ العَمَلُ بما ورَدَ في ذلك، هذا حاصِلُ المَقْصودِ مِن السُّؤالِ؟

فأَجابَ رضيَ اللهُ عنه: أَوْقاتُ الصَّباحِ تَدخُلُ بعدَ نِصْفِ اللَّيلِ، أَو الثُّلُثِ الأخيرِ مِنه. وأمَّا أَوْقَاتُ الأَذْكارِ الوارِدَةِ في الوَقْتَيْنِ، فكلَّما كان في المَساءِ إلى اللَّيلِ أَقْربَ، مثلُ وقتِ الإِصْفِرارِ ومِن أوَّلِ اللَّيلِ، كان الإتْيانُ فيه بِالوارِدِ أَحَبَّ وأَقْربَ إلى مُطابَقَةِ الحالِ. وكذلك الصَّباحُ مِن قبلِ الفَجرِ فَما بعدَه إلى الإِشْراقِ. وعلى هذا السَّبيلِ يَعْمَلُ في إِقامَةِ مايَأْتي به مِن هذا الوِردِ الشَّريفِ.

وسُئِلَ نفَعَ اللهُ به عن الذِّكرِ والدُّعاءِ بالأَسْماءِ العَجَمِيَّةِ لِمَن لا يَعرِفُ معناها، والذِّكرِ بِـ «ياهُو ياهُو» إلى آخِرِ ما هذا حاصِلُه؟

فأَجابَ رضيَ اللهُ عنه: إنَّا قد ذكَرْنا لكم شِفاهًا أنَّ مِثلَ ذلك ماوقَعَ في خِلالِ أَدْعِيةِ المُحقِّقين مِن العارِفين الجامِعين بينَ العِلمِ واليَقينِ، مثلُ الإمامِ الغزالي، والشَّيخِ السُّهْرَوَرْدِي، والشَّيخِ أبي الحسَن الشَّاذِلي وأَضْرابِهِم، نفَعَنا اللهُ بهم ورضيَ عنهم، فما على الذَّاكِرِ والدَّاعِي بذلك بَأْسٌ، وهم مُقلَّدون فيه، وهم أهلُ التَّقليدِ والأمانَة.

وأمَّا إذا وقَعَ في كلامِ مَن ليسَ بِهٰذه المَثابَةِ، فلا يَنْبَغي أنْ يَذْكُرَ به حتَّى يَعْرِفَ معناه، وأنَّه رُبَّما كان كُفرًا أو قَريبًا مِنه، كَما قالَهُ بعضُ المُحَقِّقين. وأمَّا الذِّكرُ بِـ «ياهُو ياهُو» فلا يَنْبَغي إلَّا لِلمُسْتَغرَقين، كما قالهُ الشَّيخُ زَرُّوق، رحِمَه اللهُ، إلَّا إذا وقَعَ في كلامِ أَهلِ التَّحْقيق، والإِنْسانُ فِيه مُتبِعٌ غيرُ مُبْدِعٍ ولا مُبْتَدِع.

وسُئِلَ نفَعَنا اللهُ به عن حُكْمِ مَن يَعمَلُ على رَجاءِ الثَّوابِ؟

فأَجابَ رضيَ اللهُ عنه، أنَّ ذلك رَجاءٌ مَحمودٌ، وسَعْيٌ مُبارَكٌ مَشهورٌ، وعلَيْهِ يَعمَلُ السَّلفُ والخَلَفُ مِن صالِحِي المُؤمنين، فإنَّ العبدَ خُلِقَ ضَعيفًا فَقيرًا، لاغِنًى لَهُ عن فَضلِ ربِّهِ الغَني الكَريمِ. هذا جُملَةُ الجَوابِ، والكَلامُ يَطولُ في تَفْصيلِهِ، ولكِنَّا نَذكُرُ مِن ذلِكَ طَرَفًا يَسيرًا، فنقولُ: العامِلُون للهِ على ثَلاثةِ أَقْسامٍ. فمِنْهُم مَن يَعمَلُ خَشْيَةَ العِقابِ، وهم الخائِفُون. ومِنْهم مَن يَعمَلُ رَجاءَ الثَّوابِ، وهم الرَّاجون. ومِنْهم مَن يَعمَلُ امْتِثالَ أَمْرِه، وهم العارِفُون. ولابُدَّ لِلعارِفين مِن الرَّجاءِ والخَوْفِ، ولِلخائِفِين مِن الرَّجاءِ والمَعْرِفةِ، ولٰكِن يُنْسَبُ العبدُ إلى ماهو الغالِبُ عليه مِن المَقاماتِ والأحوالِ، وما وقَعَ في كلامِ بعضِ أَهْلِ التَّصوُّفِ مِمَّا يُوهِمُ نَقصًا وخطَأً في حالِ مَن يَعملُ على رَجاءِ الثَّوابِ أو خَوفِ العِقابِ، فذلك مَحْمولٌ على قَصْدِ التَّشْديدِ به على أنَّ الَّذي يَعملُ لِمُجرَّدِ امْتِثالِ الأمرِ أَفْضَلُ مِن الرَّاجي والخائِفِ. والأمرُ كذلِك، ولٰكِنَّها مَقاماتٌ بعضُها فوقَ

بعضٍ ، وليسَ لِلعَبدِ أنْ يُقيمَ نفسَه في الَّذي يَختارُهُ مِنها، بلِ الأمرُ للهِ تعالى يُقيمُ مَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ حيثُ يَشاءُ. ولابُدَّ أنْ يُقيمَ الحَقُّ تعالى في كُلِّ مَقامٍ مِن المَقاماتِ الثَّلاثِ طائِفَةً مِن المُؤمِنين، لاتَصِحُّ أحوالُهم ولا تَسْتَقيمُ قُلوبُهم إلاَّ بِالعَمَلِ على وَفْقِ ماأُقيموا فيه، ورُبَّما أَشارَ بعضُ أهلِ المَعرِفَةِ في تَنْزيلِ مَن يَعمَلُ على الرَّجاءِ والثَّوابِ على حالِ مَن لَو لَمْ يُرَغَّبْ في الثَّوابِ أو يُخَوَّفْ بِالعِقابِ لَكان لايَعمَلُ أصلاً، وليسَ في قَلبِهِ مِن تَعْظيمِ الحَقِّ وجَلالِهِ مايَحمِلُهُ على امْتِثالِ أَمْرِه، واجْتِناب نَهْيِه. والمَسْأَلَةُ بِنَفْسِها غامِضَةٌ، وقد رأَيْتُ فيها مايُشبِهُ الغَلَطَ وشَطَحَ بعضُ أهلِ الطَّريق.

ثم أَقولُ: العَمَلُ على امْتِثالِ الأمرِ وابْتِغاءِ الرِّضَا والقُربِ حسَنٌ جميلٌ، والعمَلُ على الرَّجاءِ والثَّوابِ والعِقابِ حسَنٌ جميلٌ، والجامِعُ مِن أَهْلِ اللهِ تعالى هو الَّذي يَعمَلُ على المَقاماتِ الثَّلاثِ بِالتَّمامِ والكَمالِ، ولٰكِنَّه عَزيزٌ، فلْيَعرِفِ الإنسانُ مايُقيمُهُ فيه ويَعمَلُ عليه، ولا يَكُنْ كالأجيرِ السُّوءِ، إنْ لَم يُعْطَ الأجرَ لَم يَعمَلْ، ولا كالعَبدِ السُّوءِ لَوْلَا خَشْيَةُ الضَّربِ لَما تَأَدَّبَ، ولٰكِن يَعمَلُ للهِ تعالى، لأَنَّه سيِّدُهُ ومَولاهُ، ولأَنَّه أَمَرَهُ ونَهاهُ، ويَرجُو الثَّوابَ مِن بابِ الفَضْلِ والمِنَّةِ، ويَخافُ العِقابَ لِسُوءِ فِعْلِهِ وتَقْصيرِهِ في عِبادَةِ ربِّهِ، ويَرْجُو العافِيَةَ مِنه عَفْوًا مِن اللهِ وفَضْلاً.

فهٰذه هِي الطَّريقَةُ السَّمْحاءُ والمَحَجَّةُ البَيضاءُ، وعلَيها مَضَى الصَّالِحون والعُلَماءُ، ومَن تَأَمَّلَ كلامَهُم وسِيَرَهُم وكانَ ذا بَصيرَةٍ عَلِمَ ماذكَرْتُهُ وعَرَفَهُ تَحْقِيقًا، ونَسْتَغفِرُ اللهَ ونَحْمَدُهُ كَثيرًا.

وسُئِلَ أيضًا عن شَخْصٍ يَذكُرُ كَثيرًا، ولا يَجِدُ شيئًا مِن مَواجِيدِ الذِّكرِ الَّذي يَجِدُهَا الذَّاكِرون الذَّائِقون، ما سَبَبُه؟

فأَجابَ رضيَ اللهُ عنه ونفَعَنا به: سبَبُه عدَمُ صَلاحِ قَلبِهِ وطَهارَتِهِ مِن الأَخْلاقِ المَذْمومَةِ، وعدَمُ عِمارَتِهِ بِالأخلاقِ المَحْمودَةِ، وعدَمُ تَنْقِيَةِ الخَواطِرِ والوَساوِسِ الَّتي تَكونُ في نَفْسِهِ حالَ الذِّكرِ، وعدَمُ قَطْعِهِ العَلائِقَ الظَّاهِرَةَ الشَّاغِلَةَ عَن التَّجَرُّدِ لِذِكرِ الله،

وعدَمُ سُلوكِهِ على يَدِ شَيْخٍ عارِفٍ باللهِ وبالباطِنِ والظَّاهِرِ إلى غيرِ ذلك. فمَن عَجَزَ عن الإتْيانِ بهذا الأمرِ على وَجْهِهِ كأَمْثالِنا، فلْيُكثِرْ مِن ذِكرِ اللهِ باللِّسانِ مع تكَلُّفِ الحُضورِ بالقَلبِ، ويَتعَرَّضْ بذلك لِنَفَحاتِ الله، ولا يُستَبْعَدُ أنْ يأْتِيَه اللهُ تعالى بِفَرَجٍ مِن حيثُ لايَحتَسِب، ولا يَتَعجَّبْ مِن عدَمِ حُصولِهِ على شيءٍ مِن مَواجيدِ أهلِ الطَّريقِ الَّتي يَجِدونَها في الذِّكرِ، فإنَّه لم يَسْتَوْفِ شَرائِطَ ذلك.

وسُئِلَ أيضًا عن شخصٍ يَجِدُ عندَ الذِّكرِ ماذكَرَهُ اللِّسانُ والقَلبُ، ثم ذَكَرَ القَلبُ وعَجزَ اللِّسانُ عن الذِّكرِ، ثم عَجزَ القَلبُ عن الذِّكرِ مع بَقاءِ معناهُ فيه وسَرَيانِهِ في جميعِ باطِنِه وظاهِرِه، وإنَّما اسْتَوْحَشَ مِن هذهِ الحالَةِ الثَّالِثَةِ الَّتي عَجزَ اللِّسانُ والقَلبُ عن الذِّكر؟

فأَجابَ رضِيَ اللهُ عنه: هذا شخصٌ مَعْدودٌ مِن الذَّاكِرين الواجِدين، والحالَةُ الثَّالِثَةُ الَّتي اسْتَوْحَشَ مِنها هي أَشْرَفُ حالاتِهِ الثَّلاثِ وأَعْلاها قَدْرًا، ولَم يَبْقَ على هذا الشَّخصِ إلَّا الحالَةُ الرَّابِعةُ، وهي لُبُّ اللُّبابِ بِشُهودِ المَذكورِ والفَناءِ به عن نَفْسِهِ، أَعْني الذِّكرَ وعن غيرِهِ مِن الكائِناتِ حتَّى عن فَنائِهِ، وتِلكَ الغايَةُ القُصْوى، والمَنْزِلَةُ العُليا. وهذا الشَّخصُ على خيرٍ كثيرٍ، وهو في طريقِ الذَّاكِرين الذَّائِقين يَمضي ويَسير.

حقَّقَنا اللهُ وإيَّاكُم بِحَقائِقِ الإيقانِ، ورفَعَنا إلى مَقامِ الإحْسان، بعدَ التَّحْقيقِ بِمَقامِ الإسلامِ والإيمان.

وسأَلَهُ عبدُالله الزُّبَيْديُّ أيضًا عن الغَيْبَةِ الَّتي تَحْصُلُ لِلذَّاكِر؟

فأَجابَ رضيَ اللهُ عنه ونفَعَ به: هِي غَيْبَةٌ عمَّا سِوى اللهِ حتَّى يَغيبَ الإنسانُ عن نَفْسِهِ وعن ذِكْرِه اسْتِغْراقًا بِمُشاهدَةِ المَذكور، وهذه الغَيْبَةُ غايَةُ الحُضورِ ومُنْتهاهُ وحُصولُها نادِرٌ، ودَوامُها أَعَزُّ مِن حُصولِها.

وسُئِلَ أيضًا عمَّن حصَلَ له مرَضٌ في قَلبِهِ ولَم يَدْرِ ماسَبَبُه؟

فأَجابَ رضيَ اللهُ عنه: إنْ عَرَفَ المَرضَ ماهُو، فلْيُداوِ قَلبَهُ بِالأَدْوِيَةِ العامَّةِ النَّافِعَةِ

مِن جميعِ أَمْراضِ القُلوبِ، مثلُ قِراءَةِ القُرآنِ بِالتَّدبُّر، ومُلازَمَةِ الذِّكرِ للهِ بِالحُضور، والإكْثارِ مِن ذِكرِ المَوت، ومُجالَسَةِ الصَّالِحين، ومُطالَعَةِ كُتُبِ القومِ النَّافِعَة.

وسُئِلَ أيضًا عمَّن وَجدَ شيئًا مِن ثَمراتِ أَعْمالِهِ الصَّالِحاتِ في الدُّنيَا، كالحَلاوَةِ وطِيبِ المُناجاةِ للهِ تعالى، فرَغِبَ في العَملِ لذلك، فهل يكونُ ذلك عِلَّةً قادِحَةً في كَمالِ عَملِهِ؟

فأجابَ رضِيَ اللهُ عنه: نَعَم، هي مِن العِلَلِ الَّتي يَنْبَغي لِلإنْسانِ أنْ يَحْترِزَ مِنها بأَنْ لايعمَلَ لِأجلِها، ولا يَغْتَرَّ بِها، ولا يَسْكُنَ إليها مَخافَةَ الإسْتِدراجِ، بلْ عليهِ أنْ يَحْمَدَ اللهَ على مافَتَحَ له مِن ذٰلك، ويَشْتَغِلَ باللهِ عمَّا سِواه كائنًا ذٰلك الشَّيءُ ما كَان.

وسُئِلَ عن حَرارَةٍ يَجِدُها بعضُ الذَّاكِرين المُتوجِّهين في باطِنِه، ثم تَنْتَشِرُ في أَعْضَائِهِ الظَّاهِرةِ وتَعْقُبُها فَتْرَة؟

فأَجابَ رضِيَ اللهُ عنه وأَرْضاهُ: هٰذه حَرارَةٌ مِن وارِداتِ الذِّكرِ، وهي تَحْرِقُ القَلبَ تكونُ على باطِنِ العَبدِ وعلى ظاهِرِه، وفيها خَيْرٌ ولها نَفْع، ولٰكِن إنْ خَشِيَ الذَّاكِرُ مِن غَلَبَتِها، فَلْيَنْتَقِلْ مِن الذِّكرِ الَّذي يَذْكُرُ به إلى الصَّلاةِ على رَسولِ اللهِ ﷺ، وإلى «لاحَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا بالله».

وسُئِلَ أيضًا عن تَقْييدِه، عليهِ الصَّلاةُ والسَّلام، بعضَ المَنافِعِ المُرَتَّبَةِ على قَولِ «لا إلٰه إلَّا الله»، يَقولُها مُخلِصًا صادِقًا ونحوِ ذلك، ومِن المَعروفِ أنَّ المُسلِمَ صادِقٌ مُخلِصٌ بها؟

فأَجابَ رضِيَ اللهُ عنه ونفَعَ به: الأَمْرُ كذٰلِك، ولٰكِن قد وَرَدَ تَفْسيرُ إخلاصِها بِالصِّدقِ فيها المُشارِ إليه في بعضِ الأحاديثِ، وهو أنْ تَحْجُزَ قائِلَها عن المَعاصي. وفي بعضِ الآثارِ أَنْ لايكونَ لِمَن يُؤْثِرُ الدُّنيا على الآخِرَةِ، وكأَنَّ المُرادَ بِالصِّدقِ والإخْلاصِ فيها لازِمُها وغايَتُها اللَّذانِ لايَصِحَّانِ إلَّا مِن أَهلِ اليقينِ الكامِلِ والإيمانِ البالِغِ الصَّادِق، فيَنْبغي لِلمُؤمِنِ أنْ يكونَ قويَّ الرَّجاءِ، قويَّ الخَوْفِ، مُتطَهِّرًا مِن دَنَسِ الغُرور.

وأمَّا حديثُ صاحِبِ السِّجلَّاتِ والبِطاقَةِ، والَّتي في البِطاقَةِ شَهادَةٌ مَخصوصَةٌ مَقْبولَة، وإلَّا فلا بُدَّ أنْ يكونَ لِلمُسلمِ مِن لَفظِ هذه الشَّهادَةِ شيءٌ كثِير. وقد قالوا في قولِهِ تعالى [مَنْ جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا]، إنْ شَرطَهُ المَجيءُ بها دُونَ مُجَرَّدِ العَمَل، أيْ أنَّه رُبَّ عامِلٍ لايَأتي بِالحَسنةِ إلى آخِرِه، بِمعنى أنَّه لم يَعمَلْها كما أُمِر، فَلْيُوافِقِ القَبولَ والرِّضا، ولا بُدَّ مِن بَقاءِ الخَوفِ ووُجودِ الرَّجاء، وهما دواءَانِ، إن غلَبَ أحَدُهما عُولِجَ بالآخَر. وما ورَدَ في الشَّريعَةِ يَعُمُّ ويَخُصُّ، فهِي مَوْرِدٌ عامٌّ لِخَلْقٍ كثيرٍ، كلٌّ يَأْخُذُ على قَدْرِهِ وعلى حَسَبِ حالِهِ، ولهم فيها مَقاماتٌ شتَّى، وكلٌّ مُرادٌ لِشيءٍ، والتَّفْصيلُ يَطول، [قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ، كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللهِ . . .] - [وَاشْكُرُوا لَهُ إنْ كُنْتُمْ إيَّاهُ تَعْبُدُونَ].

وسُئِلَ نفَعَ اللهُ به عن حُكْمِ المُحِبِّ مع مَن أَحَبَّ، إذا لَم يَعمَلْ بِعَملِهِم، هل يكونُ معَهُم على الإطْلاق، كما يُفْهَمُ مِن ظاهِرِ الحديثِ [ٱلْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ]؟

فأجابَ رضِيَ اللهُ عنه: يَظْهَرُ لنا مِمَّا تَقْتَضيهِ أَقْوالُ المُحقِّقينَ مِن المُتَكَلِّمين على معنَى هذا الحديثِ أَنَّ هٰذه المَعِيَّةَ تكونُ مِن بعضِ الوُجوهِ لا مِن جَميعِها، ولا بُدَّ أنْ يكونَ المُحِبُّ مُوافِقًا لِمَن أَحبَّهُ في كُلِّيَّاتِ الأُمورِ، مثلُ التَّوْحيدِ وحِفْظِ الفَرائِضِ اللَّازِمَةِ واجْتِنابِ المُحرَّماتِ المُوبِقَةِ وفِعلِ مايَتيَسَّرُ مِن الخَيْراتِ، فإنَّ مَن أَحبَّ أحدًا أَحبَّ مُشابَهَتَهُ والاقْتِداءَ بِهِ حَسْبَ مايَقدِرُ عليه، ولا تَصِحُّ المَحبَّةُ بِدونِ ذلك، وهي بِدونِهِ لُغَوِيَّةٌ لاحَقيقَةَ لها. وقد قالَ الحَسَنُ البِصْرِيُّ، رحِمَه الله: لايَغُرَّنَّكَ حديثُ [ٱلْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ] مع الغَفلَةِ والاغْتِرارِ وتَرْكِ صالِحِ الأعمالِ، فإنَّ اليَهودَ والنَّصارَى يُحِبُّون أَنْبياءَهُم ولَيْسوا معَهم يَقينًا، لأنَّهم خالَفوا طَريقَهُم وهَدْيَهم بِبُغْضِهم غيرَ مَن تَولَّوْهُ مِن الصَّحابَةِ وتَبرِّيهِم مِنه، وبِغَيرِ ذٰلك مِن بِدَعِهِم في الدِّين، وهٰذا مِمَّا لا خِلافَ فيه. وإذا لَزِمَ هٰذا في البِدعَةِ فيَلْزَمُ هٰذا أو قريبٌ مِنه في الفِسْقِ، ثم يلزَمُ مثلُه في التَّخْليطِ وكَثْرَةِ العِصْيان، وعلى ذٰلك فَلْتُقَسِ المَراتِبُ في الخيرِ والشَّرِ، فأَقْبَحُ القَبائِحِ وأَشَرُّ الشُّرورِ الكُفْرُ، وهُو على مَراتِبِه، ثمَّ البِدَعُ مُتَفاوِتَةٌ، ثمَّ الفِسقُ كذٰلك، ثمَّ التَّخْليطُ وهو كذٰلك

على الضِّدِّ مِن ذلك الخَيرِ بغالِبٍ، فافْهَمْ ماأَشَرْنا إليه، وتَأَمَّلْ ماأَوْرَدناه، فإنَّه نَفيسٌ والحاجَةُ داعِيَةٌ إليه، وبِالتَّأَمُّلِ يَظْهَرُ المَقصودُ ويَتَّضِحُ المعنَى، [وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ].

وسُئِلَ نفَعَ اللهُ به وبِعُلومِهِ: هَل يجوزُ لِلإنْسانِ أنْ يَسْتَجْلِبَ المَقاماتِ والأحوالَ الشَّريفَةَ بِالفِكْرِ فيها المُحَصِّلِ لها مِن بعضِ الوُجوهِ؟

فأَجابَ رضِيَ اللهُ عنه: نعَم لَه ذلك، والتَّفَكُّرُ فيها طَريقٌ إليها، ولٰكِن معَ العَملِ بما يَقْتَضيهِ الفِكْرُ أو يَفْتَقِرُ إلى مُقارَنَتِه لَه. مِثالُ ذلك، أنَّ الرَّجاءَ مِن المَقاماتِ، ويُمكِنُ العَبدَ تَحْصيلُهُ بِالفِكْرِ في الآياتِ والأخبارِ والآثارِ الوارِداتِ فيها، والعَملِ بالطَّاعاتِ الَّتي جَعلَهَا اللهُ شَرطًا لِحُصولِ المَقْصودِ هُنا، مِثالُهُ في المَقاماتِ، فَقِسْ عليه.

وأَمَّا الأحوالُ، فالتَّفَكُّرُ فيها وما يُقارِبُه طَريقٌ إلى الاِسْتِطْراقِ لها، لأَنَّها مَواهِبُ قد تَحْصُلُ مع الاِسْتِعدادِ وقد لَا تَحْصُل، وقد تَرِدُ على مَن لايَسْتَعِدُّ مِن بابِ الفَضلِ فضلاً.

وسُئِلَ نفَعَ اللهُ به: قد يَكونُ لِلمُريدِ شيخٌ يُرَبِّيهِ مِن حيثُ لايَشْعُرُ المُريدُ؟

فأَجابَ رضِيَ اللهُ عنه: هُو كذلك، والمُرادُ هنا هو شَيْخُ الفَتْحِ الَّذي يُرَقِّي المُريدَ بِحُسنِ عِنايَتِه وسَديدِ نَظَرِهِ، ثمَّ شَيْخانِ غيرُهُ، شَيْخُ الرِّياضَةِ والتَّهذِيبِ، والثَّاني دُونَهُ شَيْخُ التَّعلِيمِ والإفادَة، ولا بُدَّ في هٰذَيْنِ مِن المَعرِفَةِ مع اعْتِقادِ التَّعظِيمِ والأَهْلِيَّةِ في الشَّيخِ المُعَيَّنِ.

وأمَّا شَيْخُ الفتحِ، قد يَكونُ على المعنَى الَّذي ذكَرْناه. فمِن ذلك، قَوْلُ أبي الحَسَنِ الشَّاذِلي لِتِلْميذِه الشَّيخِ أبي العبَّاسِ المرْسِي: أوَّلَ ماأَتاهُ قد رُفِعْتَ إِلَيَّ مُنذُ عَشَرةٍ أو تِسعةِ أَعْوام. ومِن ذلك ماوقَعَ لِلسيِّد يوسفِ الفاسي مِن المُتأَخِّرين مع سيدِنا الشَّيخ أبي بكر بن سالم علوي، رضيَ اللهُ عنهم وأَمَدَّنا بِمَدَدِهم مِن طوافِهِ عليه وهو في بَلَدِ المَغرِب، ووَصْفِهِ ومَعْرِفتِه له قبلَ أنْ يَقْدَمَ عليه إلى حَضرَموت حتَّى أنَّ السيِّد يوسف، رحِمَه الله، كان يَطوفُ على مَشائخِ المَغْرِب مِن عدَمِ تَمَيُّزِه لِشَيْخِه، لايَدري مَن هُو، إلى أنْ حَلَفَ

له بعضُهم أنَّ شَيْخَكَ ليس في غَرْبِنا هذا، وحِكاياتُهم كثيرَةٌ.

وقد تَجْتَمِعُ المَراتِبُ الثَّلاثُ في المَشيخَةِ لِبعضِ الشُّيوخِ على النُّدور، وذلك هو الشَّيخُ المُطلَق، بَل هُوَ الإكْسيرُ العزيزُ، والكِبْريتُ الأحمَرُ الَّذي يُتَحَدَّثُ به وقلَّما يُوجَد، ولٰكِن فضلُ اللهِ واسِعٌ، وجُودُه شامِلٌ، وإنِ انْدرَسَتِ الطَّريقُ، وغابَتْ نُجومُها، والقُدرَةُ صالِحَةٌ، والإمكانُ واسِعٌ وغيرُ مُسْتحيلٍ أنْ يُوجَدَ في هذا الزَّمانِ المُبارَكِ مَن يَجْمَعُ اللهُ له هذه المَراتِبَ، ويُرشِدُ اللهُ بِهِ مَن يُريدُ بهِ السَّعادَةَ مِن عِبادِهِ، ويُوقِفُ عليه مَن يُريدُ إيصالَه إلى مَراتِبِ الوِلايةِ، و[ذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ]، فعلَيْكَ، وفَّقَك الله، بإمْعانِ النَّظرِ في هذا الكِتابِ، فإنَّه نَفيسٌ، وَلْتَكُن في حال إشْرافِك مُمتلِئًا بالتَّعظِيمِ، ومُتَحقِّقًا بالتَّسليمِ، وخالِيًا مِن دَعْوَى العِلْمِ، ومُتَحَلِّيًا بالاعْتِرافِ بالإفْلاسِ عن ثاقِبِ الفهمِ، فبِذٰلك يَيْأَسُ الشَّيطانُ مِنك.

وسُئِلَ نفَعَ اللهُ به عن قَولِ المُحاسِبِيِّ، نفَعَ اللهُ به: لِكُلِّ عابِدٍ فَتْرَة، إمَّا إلى سُنَّةٍ، وإمَّا إلى بِدْعَة؟

فأجابَ رضِيَ اللهُ عنه، وأَمَدَّنا بمَدَدِهِ: اِعْلَمْ أنِّي أَحْسِبُ أنِّي قد سمِعْتُ هذا الكلامَ ممَّا يُروَى عن رسولِ اللهِ ﷺ، ومعناهُ أنَّ العابِدَ يَكونُ له في ابْتِداءِ أَمْرِهِ جِدٌّ في العِبادَةِ يَتَجاوَزُ حدَّ الاِقْتِصادِ والوَسَطِ المَشروعِ لِعامَّةِ المُسلِمين، وذٰلك كَمالٌ في حقِّهِ، إنْ ثبَتَ عليه ولم يَخْرُجْ به إلى ما يَضُرُّ بعقلِهِ، أو يَضُرُّه ضَررًا يُنكِرُه الشَّرعُ، ثمَّ يكونُ لِلعابِدِ فَترَةٌ يَفْتُرُ بها عن ذٰلك الجِدِّ. فإنْ رجَعَ مِنها إلى الاِقْتِصادِ المَشروعِ، فقد رجَعَ إلى السُّنَّةِ، وإنْ رجَعَ مِنها إلى التَّفْريطِ والتَّضْييعِ والإهْمالِ والإعْراضِ عن العِبادَةِ، فقد رجَعَ إلى البِدْعَةِ. ولْنَضْرِبْ لِذلك مَثَلاً لِيُعْرَف، فنَقولُ: إذا جَدَّ بالإنسانِ باعِثُ العِبادَةِ والتَّبَتُّلِ إلى اللهِ تعالى، فقد يَقومُ اللَّيلَ كُلَّه، ثمَّ إنَّه لا بُدَّ أنْ يَفْتُرَ مِن حيثُ البَشرِيَّةُ الَّتي خُلِقَ علَيْها، فإنْ رجَعَ مِن قِيامِ كُلِّ اللَّيلِ إلى قِيامِ نِصْفِ اللَّيلِ، أو الثُّلُثِ، فقد أَصابَ السُّنَّة، وإنْ تَرَكَ القِيامَ، فقد وقَعَ في البِدْعَة، ومعنَى البِدْعَةِ هنا مُخالَفَةُ هَدْيِ

السَّلَفِ الصَّالِح . فالَّذي يَظْهَرُ أَنَّ الفَتْرَةَ تكونُ لِكُلِّ عابِدٍ، لٰكِن ذٰلك هو الأكثَر. ولا يَنْبَغي لِلإنْسانِ أنْ يَتْرُكَ الدُّخولَ في الأَوْرادِ مَخافَةَ الفُتورِ، فإنَّ ذٰلك مِن الحُمْقِ والغُرور.

وسُئِلَ نفَعَ اللهُ به: هَلِ الأحسَنُ والأتَمُّ لِلمُريدِ أنْ يُلازِمَ الشَّيخَ ويَقِفَ عندَه، أو يَبْقَى يَتَرَدَّدُ عليه وقتًا بعدَ وقتٍ؟

فأَجابَ رضِيَ اللهُ عنه: اِعْلَمْ أنَّه يجِبُ عليه إنْ أَشارَ عليه الشَّيخُ بِأحدِ الأَمْرَين، أنْ يَلْتَزِمَه ويَثْبُتَ عليه، فإنْ وجَدَ بِسبَبِ ما أَشارَ عليهِ مِن الوُقوفِ عنه، أو البُعْدِ عنه، شيئًا في نفسِهِ أَطْلَعَهُ عليه، فإنْ كَتَمَهُ إيَّاهُ فقد خانَ ونَكَثَ. وكذٰلك يُطْلِعُه على جَميعِ أُمورِهِ، خُصوصًا مايَتَعَلَّقُ مِنها بالطَّريقِ وأَحْوالِ القُلوبِ، ولا تَمْنَعُه الهَيبَةُ ولا الحياءُ مِن ذٰلك. فإنْ لم يُشِرْ عليه شيخُه بالإقامَةِ عندَه ولا بِتَركِها، فَلْيَسْكُنْ عندَه بما هو الأَصْلَحُ لِقَلبِهِ والأَتَمُّ في حُسْنِ الظَنِّ بِشَيخِهِ وبِتَعْظيمِه. ومَن رجَعَ إلى اخْتِيارِ الشُّيوخِ وآثَرَهُ على هَوَى نَفْسِهِ مِن غيرِ اعْتِراضٍ أَفْلَحَ وأَنْجَحَ، فإنْ ظَهَرَ لِلمُريدِ مِن شيخِهِ مايَقْدَحُ في الاِعْتِقادِ وجَبَ عليه أنْ يَسْأَلَهُ عنه، فإنْ عَلِمَ مِن حالِه أنَّه لايَسْتَحسِنُ السُّؤالَ عن مِثْلِ ذلك، أَوَّلَه تَأْويلًا مُسْتقيمًا يَليقُ بِأَحْوالِ أَهْلِ الله.

وأمَّا مَن ظهَرَ عليه مِن المَنْسوبِين إلى طريقِ اللهِ تعالى ممَّا لايَحْتَمِلُ التَّأويلَ، كالزِّنا، وأَخْذِ أموالِ النَّاسِ بِالباطِلِ، فيُجْرَى عليه الأَحْكامُ الَّتي تَجْري على سائِرِ المُسلِمين ظاهِرًا وباطِنًا. وإنْ تَصوَّرَ لِهٰذا المُنْتَسِبِ مُريدٌ قد أَخَذَ عنه على بَصيرَةٍ، فَلْيَعْتَقِدْ أنَّ ذلك مِمَّا جَرَى به القَلَمُ على هذا العَبدِ، وأَنَّه يرجِعُ إلى اللهِ تعالى بِالتَّوْبَةِ النَّصوحِ، والنَّدَمِ الخالِصِ الَّذي يَمْحَقُ آثارَ المَعاصي ويَغْسِلُ أَدْناسَها. فإنْ ظَهَرَ له مِن غيرِ شَكٍّ ولا رَيْبٍ إِصْرارُهُ على الذُّنوبِ وجُرأَتُه على الله، فقد تَبيَّنَ سلْبُه وطَرْدُه عن بابِهِ، فَلْيُفارِقْه ويُبْغِضْه في الله. فليسَ بِقليلٍ مَن طُرِدَ عنْ بابِ اللهِ تعالى بعدَ التَّقْريبِ، وسُلِبَ بعدَ العَطاءِ، وحُجِبَ بعدَ الكَشْفِ، ويَفْعَلُ اللهُ مايَشاءُ.

ولٰكِن لايَنْبَغي لأحدٍ أنْ يُقَدِّرَ صُدورَ هذهِ الأمورِ القَبيحَةِ عن أَهْلِ هذهِ الطَّريقِ

المَنسوبينَ إلى اللهِ تعالى الَّذين ظهَرُوا واشْتَهَروا بتَوْلِيَةِ اللهِ تعالى لَهُم ومُوالاتِهِ وتَقْريبِه واصْطِفائِه، فإنَّ اللهَ يَحْفظُهم عن مِثْلِ ذلك، ويَحولُ بينَهُم وبينَهُ فَضْلاً مِنه وكَرَمًا. بل يَنْبَغي لِلمُعْتقِدِ فيهم أنْ يَعْتَقِدَ أنَّ في قُلوبِهم وسَرائِرِهم مِن الخَيرِ والنُّورِ والكَشْفِ والعُلومِ والحِكَمِ ما لايُقَدَّرُ قدرًا ولا يُتَناوَلُ حَصرًا، وأنَّ الَّذي يَظْهَرُ على ظاهِرِه مِن ذلك ذَرَّةٌ مِن رَمْلٍ، أو قَطْرَةٌ مِن بَحْرٍ، فبِذلك يَعْظُمُ نَفْعُهُ بِهِم، ويَتَّسِعُ له المَدَدُ مِنهم.

وفَّقَنا اللهُ وإيَّاكُم لإصابَةِ الصَّوابِ في النِّيَّاتِ والأعمالِ، وعَصَمَنا وإيَّاكُم مِن الشَّكِّ والارْتِيابِ في جَميعِ الأَحْوالِ، ووفَّقَنا وإيَّاكُم لِمُتابَعَةِ رسولِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وعلى آلِه وصَحبِهِ بِالغُدُوِّ والآصالِ.

وسَأَلَه الفقيرُ محمد بن عبدالرحمن مَزروع على خَواطِرَ تَعرِضُ له، وذَكَرَ أنَّه يَخْشى على نَفْسِه مِنها؟

فأجابَ رضِيَ اللهُ عنه: اِعْلَمْ أنَّك لن تُداوِيَها بِشيءٍ أَنْفَعَ مِن الإعْراضِ عنها والتَّناسي لها، وبأنْ تَقولَ كثيرًا عندَ وُرودِها «سُبْحَانَ المَلِكِ الخَلَّاقِ! إنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ، وَمَا ذٰلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ».

واعْلَمْ أنَّ الخَواطِرَ القَهْرِيَّةَ مِن أَنْواعِ البَلاءِ الَّذي يُثَابُ عليها المُؤمِنُ إذا قامَ بِالحَقِّ الواجِبِ لِلهِ تعالى فيه، وقد سلَّطَها اللهُ تعالى على العَبدِ لِيَرْجِعَ إليه فارًّا بِانْكِسارِهِ واضْطِرارِه فيُجِيبُهُ إذنْ لِذاكَ. [أَمَّنْ يُجِيبُ المُضْطَرَّ إذَا دَعاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ].

وقد تَكُونُ الخَواطِرُ مِن أَثَرِ أُمورٍ يَتَعاطَاها الإنسانُ مِن أَكْلِ طَعامٍ غيرِ طيِّبٍ، أو مُخالَطَةِ أَحَدٍ مِن أَهْلِ الشَّرِ، فَيَجِبُ عليهِ أَيْضًا أَن يُفَتِّشَ نفسَهُ وَيَتُوبَ عَمَّا يَطَّلِعُ عليهِ مِن ذٰلك، وإنْ كان يَتَّهِمُ به نَفسَه ولَم يَقِفْ على عَيْنِه، فَلْيَتُبْ مِن الذُّنوبِ كُلِّها ما عَلِمَ مِنها وما لَمْ يَعْلَمْ. فإنْ تَصَوَّرَ انْفِكاكُ الخَواطِرِ عن الأَسْبابِ، فهِيَ مِن البَلاءِ المُجَرَّد، فَيَصبِرُ عليها الإنسانُ حتَّى يَنقضيَ زمانُ وُجودِها بِتَثْبِيتِ اللهِ تعالَى على ذٰلِك.

وسُئِلَ أيضًا نفَعَ اللهُ به عن قَولِهِ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ عن اللهِ [مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي . . . . الحديث؟

فأَجابَ رضيَ اللهُ عنه: أنَّ المُرادَ حالُ المُسْتغرِقِ في الذِّكرِ، الذَّائِقِ فيه، المُشْتَهِرِ به، الَّذي صارَ شُغْلَهُ وَدَيْدَنَهُ، فإنْ لم يُكْثِرِ الدُّعاءَ في خِلالِ ذلِكَ لم يَفُتْهُ بِذلك شيءٌ ممَّا حصَلَ لِلدَّاعِينَ المُكْثِرينَ مِن الدُّعاءِ، بل يُعْطَى أَكثَرَ ممَّا يُعطَاهُ السَّائِلون، لأنَّه مَشغُولٌ بِاللهِ وبِذِكْرِه، ليسَ مَشغُولاً بِالأَغيارِ ولا بِالحُظوظ.

وأمَّا الإنسانُ في حالِ دُعائِهِ يَعدِلُ عن الدُّعاءِ إلى الذِّكرِ، ويَترُكُ الدُّعاءَ، لا أَرى لِذلك وجهًا أَستحسِنُهُ ولا أَقولُ إنَّه المُرادُ مِن الحديثِ، لأنَّ الدُّعاءَ مِن الأَذْكارِ، وفيهِ مِن الافْتِقارِ إلى اللهِ تعالى والخُضوعِ له والتَّذَلُّلِ بينَ يدَيْهِ مالَيس في غيرِه مِن العِباداتِ. وكذلِك ورَدَ [الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ].

وسُئِلَ أيضًا عن القُعودِ بعدَ صلاةِ الفَجرِ في المُصَلَّى إلى الطُّلوعِ، هلِ الثَّوابُ الوارِدُ مَوْقُوفٌ عليه، أم يَحصُلُ لِمَن قام مِن مُصَلَّاه، وخرَجَ إلى بَيتِهِ، أو غيرِهِ مع المُحافَظَةِ على الذِّكرِ والتَّسْبيح؟

فأَجابَ رضيَ اللهُ: اعلَمْ أنَّ الثَّوابَ الوارِدَ في الذِّكرِ للهِ تعالى مِن بعدِ صلاةِ الفَجرِ إلى الطُّلوعِ، ورَدَ في بعضِ الأحاديثِ مُقَيَّدًا بِالقُعودِ في المُصَلَّى وفي بعضِها مُطلَقًا. فإنْ كان عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ذَكَرَ القُعودَ في المُصَلَّى، لأنَّه أَجْدَرُ لِلمُحافَظَةِ، وأَبْعَدُ عن التَّفَرُّقِ، فيَحصُلُ الثَّوابُ لامَحالَةَ لِمَن حافَظَ واجْتَمَعَ، سواءً كان في مُصلَّاهُ أو قائِمًا عنه، لاسِيَما إنْ كان الدَّاعِي له على القِيامِ مِن الحِرْصِ على زِيادَةِ الاجْتِماعِ على الذِّكرِ لِعارِضٍ يَعرِضُ في محَلِّ القُعودِ، ومِن خَوْفِ رِياءٍ، أو ارْتِفاعِ أَصْواتٍ. وكذلِك إذا كانَ المُخرِجُ له أَمْرًا فيه زِيادَةُ خيرٍ وبِرٍّ وهو باقٍ على محافَظتِهِ ومُواظَبَتِه.

فأمَّا إن كان المُخرِجُ له مِن المُصلَّى شَهْوةً أو أَمرًا دُنيَوِيًّا، أو تَناوُلَ شَهوَةٍ كالقَهوَةِ، فالظَّاهِرُ أنَّ الثَّوابَ لايَحصُلُ له. وكذلك إذا كانَ القُعودُ المَنْصُوصُ جاءَ ذِكرُهُ لِخاصِيةٍ في

عَيْنِهِ، وأَسْرارُ النُّبُوَّةِ ولَطائِفُ مَعانِيها، وخَواصُّ مَدارِكِها يَعْسُرُ إدْراكُها مِن كلِّ وجهٍ إلَّا مَن أُقِيمَ فيها، وقد أُغلِقَ بابُها بموتِ رَسولِ اللهِ ﷺ، والفَهمُ بحرٌ واسِعٌ، وكلٌّ يَسْبَحُ فيه على قَدرِ نَصيبِهِ، وما قُسِمَ له مِن ربِّهِ.

وفَّقَنا اللهُ وإيَّاكُم لإصابَةِ الصَّوابِ في جميعِ الأحوال.

وسُئِلَ أيضًا عن أذْكارِ النَّومِ، هل تَحصُلُ لِمَن أَتى بها عندَ إرادَتِهِ النَّومَ والتَّهْيئَة؟

فأجابَ رضِيَ اللهُ عنه: أمَّا جَميعُ أَذْكارِ النَّومِ، مِن تَسبيحٍ وغيرِه، فتَحصُلُ لِمَن أَتى بها عندَ إرادَةِ النَّومِ والتَّهيُّىءِ له. ومِنها ما لايَحصُلُ إلَّا عندَ الاِضْطِجاعِ ووَضْعِ الجَنْبِ حَسبَ المَنصُوصِ في الأَحاديثِ الوارِدَةِ في ذلك.

وسُئِلَ عن المُسَبَّعاتِ، هل تُقضَى؟

فأجابَ رضِيَ اللهُ عنه: نعَمْ تُقضَى وتُتَمُّ بينَ الطُّلوعِ والغُروبِ كغَيْرِها مِن الأورادِ المُؤَقَّتة.

وسُئِلَ نفَعَ اللهُ به عن حُضورِ شيءٍ مِن المَجالِسِ الَّتي يَكونُ فيها السَّماعُ بِالدُّفُوفِ والعُود؟

فأَجابَ رضِيَ اللهُ عنه: الحُضورُ فيها مِن الخَطَرِ إلَّا مع الرِّجالِ الكُمَّلِ مِن العارِفين بِإذْنِهم، فمِيلُوا عن ذلِك ماوَجَدْتُم إليه سَبيلًا، وفي السَّماعِ تَفصِيلٌ يَطولُ. وقد أَشْبَعَ القَولَ فيه سيدُنا الإمامُ الغَزاليُّ في [الإحياء]، فأَفرَدَ له كِتابًا.

وسُئِلَ عمَّن يَجِدُ الميلَ إلى العِلمِ الظَّاهِرِ أكثرَ من الباطِن؟

فأَجابَ رضي الله عنه: أمَّا المَيلُ إلى العِلمِ الظَّاهِرِ أَكثَرَ من الباطِنِ، فهُو تَسْويلاتُ النُّفوسِ وَوَسْوَسَةُ العَدُوِّ، والاِحْتِجاجُ لذلِكَ بِحاجَةِ النَّاسِ إلى العِلمِ الظَّاهِرِ غَلَطٌ، فإنَّهم مُحْتاجُون إلى العِلْمِ الباطِنِ كذلِك وأَشَدَّ، وإنَّ خُلُوَّ الباطِنِ من مَعرِفَةِ العِلمِ الباطِنِ يَقْدَحُ في الإيمانِ، وخُلُوَّه مِن مَعرِفَةِ العِلمِ الظَّاهِرِ يَقْدَحُ في الإسلامِ، وهُما

مُتلازمانِ، فالأوَّلُ أَشْرَفُ. فارْغَبُوا في العِلمَيْنِ، وشَمِّروا في تَحْصِيلِهما، واجْتَهِدُوا في الجَمْعِ بينَهُما، وكونُوا بِالأتَمّ مِنهما والأَنْفَعِ أَشَدَّ اهْتِمامًا، وعليهِ أَبْلَغَ حِرصًا. والكَلامُ على هٰذه المَسائِلِ يَسْتَدعِي بَسطًا كثيرًا، ولَو أَفْرَدْتُ كلَّ واحدٍ مِنهما بِالتَّصْنِيفِ لَكانت جَدِيرَةً به. وقَد أَسْكَتَ العُلماءَ بالله وبِدِينِه، وأَلْزَمَهم الصَّمتَ الإعْراضُ عن الله وعن سُلوكِ طَريقِهِ، وقِلَّةُ الرَّغبَةِ في العِلمِ وقِلَّةُ الصَّبرِ على طلَبِ الحَقّ وطلَبِ أَهْلِهِ وعدَمُ الانْقِيادِ لهم والأَخْذُ بما لَدَيْهِم عندَ العُثورِ عليهِم. وهٰذا قد غلَبَ واسْتَوْلى على أَهلِ الزَّمانِ إلَّا مَن عَصَمَه الله، وقَليلٌ ما هُمْ.

وسُئِلَ عن تَرتِيبِ أَحْزابِ الشَّيخِ أبي الحَسَنِ الشَّاذلِي المُبارَكَةِ الجَلِيَّةِ؟

فأَجابَ رضِيَ اللهُ عنه: رَتِّبوا مِنها حِزبَ البَرّ في أَذْكارِ الصَّباحِ، وحِزبَ البَحرِ بعدَ العَصرِ. وأمَّا قولُ الشَّيخِ الفَقيهِ حُسين بافضَل فيها، فهو ظاهِرٌ، ولٰكِن يَنْبَغي أنْ يُقَدَّمَ ما ورَدَ عن رَسولِ اللهِ ﷺ في ذلِك الوَقتِ عليها. وإذا أَرَدْتَ أنْ تَقرَأَ حِزبَ البَحرِ بعدَ العَصرِ، قَدِّمِ التَّسبِيحَ والتَّحْميدَ والتَّكْبيرَ على الحِزبِ، وذلك عندَ اتِّساعِ الوَقتِ بَعْدَ تَقديمِ الدُّعاءِ النَّبوِيِّ، وباقِي الكَلامِ واضِحٌ، والزِّياداتُ الَّتي رَأَيْتُموها في أَذْكارِ الصَّباحِ والمَساءِ الَّتي جَمَعناها اجْعَلوها بعدَها، ولا بَأْسَ بها. وطالِعْ كُتُبَ القَومِ ماأسْتَطَعْتَ بِفَهمٍ وبِدُونِ فَهمٍ، فإنَّ فيها البَركَةَ والخَيرَ، وتَكْفيكَ مِن أَحْزابِ الشَّاذِلِّي هذانِ الحِزبانِ، والإسْتِكثارُ مِن حِفْظِ الأَذْكارِ والأَدْعِيَةِ النَّبوِيَّةِ أَكْمَلُ وأَتَمُّ.

والأُمورُ المُوهِمَةُ الَّتي في الأَحْزابِ يَنْبَغي لِلإِنْسانِ أنْ لايَتَفَكَّرَ فيها ولا يَعْتَرِضَ عليها، وأَنْ يَتَدَبَّرَ الأُمورَ الواضِحَةَ ويَتَفَهَّمَها. والواضِحُ ماظَهَرَ معناهُ وعُرِفَ وَجهُه، والمُوهِمُ والمُشكِلُ ما بَعُدَ عن الفَهْمِ.

وقولُك «إنَّك زِدْتَ في رَضِيتُ بِالله» بِالصَّلاةِ على رَسولِ اللهِ ﷺ رسولاً بعدَ نَبِيًّا، لابَأْسَ به. وقد ورَدَتِ الرِّاويَةُ بِرَسولاً غيرَ أنَّ الأُخْرى أَصَحُّ، والجَمعُ مَطلوبٌ.

وسُئِلَ نفَعَ اللهُ به عمَّن أَخَذَ عنه مِن الأَشْياخِ؟

فقالَ رضِيَ اللهُ عنه: اِعْلَمْ أنَّا قد لَقِينا وأَخَذْنا عن خَلْقٍ كثيرٍ وجَماعَةٍ يَطولُ عدَدُهُم مِن السَّادَةِ آلِ باعلَوي وغيرِهم مِمَّن أَدْرَكناهم بِتَرِيم وجِهةِ حَضْرَموت ونَواحِيها، ومِمَّن لَقِينا في حالِ سفَرِنا إلى الحجّ بِالحَرَمَيْنِ الشَّريفَين وبِاليَمَن. والظَّاهِرُ أنَّا لَو عَدَّدْناهم رُبَّما يَزيدُ عدَدُهم على المِائةِ والأَرْبعِين ما بينَ عالِمٍ وعارِفٍ وأخٍ صالِحٍ، وقد سُئِلْنا مرَّاتٍ في أنْ نَعُدَّهم ونَذكُرَ شيئًا مِن مَناقِبِهم، فمَنَعَنا مِن ذلِك عَوارِضُ الزَّمانِ وقِلَّةُ رَغبَةِ أَهلِهِ في هذا الشَّأنِ، ومَوانِعُ أُخَر، وما كُلُّ عُذرٍ يَتَهَيَّأُ ذِكرُهُ، كما قالَ الإمامُ مالِك بنُ أنسٍ، رضِيَ اللهُ عنه، ولكِنَّا نَذكُرُ لكَ مِن ذلِك يَسيرًا على سبيلِ الإِجْمال.

فاعْلَمْ أنَّا قد أَخَذْنا العِلمَ الظَّاهِرَ عن جَماعَةٍ مِن أَهْلِه، واشْتَغَلْنا عليهِم اشْتِغالًا مُعْتَبَرًا في أَوْقاتٍ صالِحَةٍ لذلك. ثمَّ أَخَذْنا عِلمَ الطَّريقَةِ عن جَماعَةٍ مِن أَهْلِها مِن ظاهِرٍ وخامِلٍ، وكانوا مِن البَقايا في ذلِك الزَّمانِ، وقَدْ صارُوا إلى اللهِ والدَّارِ الآخِرةِ. فمِن أَجَلِّهم أَعْني أَهلَ الطَّريقِ الصُّوفِيِ المُلامَتِي عقيل بن عبدالرحمن بن محمد بن عقيل السَّقاف باعلَوي. تردَّدْنا عليه وأَخَذْنا عنه، ولَبِسْنا منه الخِرقَةَ، وذكَرَ لنا عِندَ الإِلْباسِ أنَّه لم يُلْبِسْ أحدًا غيرَنا، ولَقِينا السَّيدَ القُدوةَ عبدالرحمن بن شهاب، والسيِّدَ الصُّوفِيَّ عبدالرحمن بن شيخ مَوْلى عَيْدِيد باعلَوي، وولَدَه السيِّدَ المَجْذوبَ العارِفَ شيخ بن عبدالرحمن، والشَّيخَ المَجْذوبَ العارِفَ عمر بن أحمد الهادِي بن شهاب باعلَوي، والسيِّدَ المَجْذوبَ المُلامِتِي سهل بن محمد الحُديلي باعلَوي، والسيِّدَ الفاضِلَ العارِفَ المُحَقِّقَ الشَّيخ عمر بن عبدالرحمن العطَّاس، صاحِب حُرَيْضَة، اِجْتَمَعْنا به وأَخَذْنا عنه أَخْذًا تامًّا طَريقَةَ الذِّكرِ والمُصافَحَةِ وإِلْباسِ الخِرقَةِ، وأَخَذْنا عن السيِّدِ المَشْهور، والعارِفِ المَذكور، الشَّيخ محمد بن علوي نَزيلِ مكَّةَ المُشرَّفَةِ، وذلك بالمُكاتَبَةِ والمُراسَلَةِ، ولم نَجْتَمِعْ به ظاهِرًا. وقد لَبِسْنا منه بِالمُكاتَبَةِ أيضًا، رحِمَهُم اللهُ الجميعَ ونفَعَنا بهم، وأَعادَ علينا مِن بَركاتِهِم وأَسْرارِهِم، وعلى كافَّةِ المُسلِمين.

وأمَّا الإِسْنادُ، فنَذْكُرُ منه طَرَفًا قريبًا، ونَبدَأُ بإِسْنادِ السيِّدِ محمد بن علَوي، فنَقولُ: أَخَذْنا لِباسَ الخِرْقَةِ عن السيِّدِ محمد بن علَوي وأَجازَ بها، وهو عن السيِّدِ العارِفِ الشَّيخ

عبدالله بن علي، صاحِبِ الوَهْطِ، وهو عن الشَّيْخَينِ الجَليلَيْنِ المُحَقِّقَينِ الشَّيخ شيخ بن عبدالله العَيْدَروس، صاحِبِ [العِقد النَّبوي]، والشَّيخ عمر بن عبدالله العَيْدَروس المَدفونِ بِعَدن.

فأمَّا السيِّدُ شيخ فلَبِسَ مِن والِدِه السيِّدِ العارِفِ الشَّيخ عبدالله بن شيخ، وأَخَذَ السيِّد عبدالله عن الشَّيخ القُطْبِ الشَّهير أبي بكر بن الشَّيخ عبدالله العَيْدَروس، وأَخَذَ السيِّد عمر عن والِدِه السيِّد عبدالله، وأَخَذَ السيِّد عبدالله عن والِدِه السيِّد علوي بن الشَّيخ عبدالله العَيْدَروس، وأَخَذَ السيِّد علَوي عن أخيه السيِّد الشَّيخ القُطب أبي بكر بن عبدالله، صاحِبِ عَدن، فاجْتَمَعَ إِسْنادُ السيِّد شيخ والسيِّد عمر إلى الشَّيخ أبي بكر بن عبدالله على حسَبِ ماتَرى في هذا السِّياقِ إلى الشَّيخ أبي بكر، رضيَ اللهُ عنه.

وأمَّا السيِّد العارِفُ الشَّيخ عمر بن عبدالرحمن العطَّاس، فأَخَذَ عن السيِّد الحُسَين، وأَخَذَ السيِّد حُسين عن والِدِه الشَّيخ أبي بكر بن سالم، وأَخَذَ الشَّيخ أبو بكر عن السيِّد الشَّيخ عمر بن محمد باشَيْبان فيما سمِعْنا، وأَخَذَ الشَّيخ عمر باشَيْبان عن القُدوَةِ السيِّد عبدالرحمن بن الشَّيخ الجامِع علي بن أبي بكر، وأَخَذَ الشَّيخ عبدالرحمن عن والِدِه الشيخ علي بن أبي بكر المَذكور.

وأمَّا السيِّد الصُّوفيُّ عقيل بن عبدالرحمن المُتَقَدِّمُ ذِكرُه، فأَخْذُهُ عن والِدِه السيِّد العارِف عبدالرحمن بن محمد بن عقيل، وأَخَذَ السيد عبدالرحمن عن السيِّد العارِف أَوْحَدِ زمانِه الشَّيخ أحمد باجَحْدَب، وأَخَذَ الشَّيخ أحمد باجحدب عن السيِّد عمر بن محمد باشَيْبان المُتقَدِّم ذِكرُه.

فأمَّا سيِّدُنا الشَّيخ أبو بكر بن عبدالله العَيْدَروس، صاحِبُ عَدن، فأَخَذَ عن والِدِه قُطْبِ العارِفين عبدالله بن أبي بكر، وعن عمِّهِ الشَّيخ المُحَقِّقِ علي بن أبي بكر، وأَخَذَ الشَّيْخانِ المَذْكورانِ عن والِدِهما السَّكْرانِ أبي بكر، عن ابنِ شَيْخِ الإِسْنادِ عبدِالرحمن السَّقَّاف.

وأمَّا الشَّيخ عمر بن محمد باشَيْبان، فقد قدَّمْنا أنَّه أَخَذَ عن الشَّيخ عبدِالرحمن، والشَّيخ عبدُالرحمن أَخَذَ عن والِدِه الشَّيخ علي، وعن عمِّهِ الشيخ عبدالله بن أبي بكر العَيْدَروس المُتَقدِّم ذِكرُ مَن أَخَذَ عنه.

وإذا أَرَدْتَ تمامَ هذه الأَسانِيدِ، فانْظُرْ في كتابِ [البَرقة] لِسيِّدِنا الشَّيخ علي بن أبي بكر، وهو كتابٌ أَلَّفه في إِلْباسِ الخِرقةِ، وفي ذِكرِ مَن أَخذَ عنه هذه الطَّريقَة. وانْظُرْ أيضًا في [الجُزء الشريف] الَّذي أَلَّفه سيدُنا القُطبُ الغَوْثُ أبو بكر بن عبدالله العَيْدَروس فيمَن أَخَذَ عنه، وفي ذِكْرِ أسانيدِهم، وأَلْحِقْ ذلك بما ذكَرْناه، واخْتَصِرْ إنْ شِئتَ أو ابْسُطْ، فإنَّ لِلبَسْطِ مجالاً هُنالك إنْ أَرَدْتَه، لأنَّها خِرَقٌ عديدَةٌ، وهُنالِك أَسانِيدُ كثيرَةٌ تَرجِعُ إلى سيِّدِنا الأُستاذِ الأَكبرِ الفقيهِ المُقَدَّمِ محمد بن علي باعلَوي، وإلى سيدِنا الأُستاذِ المُعَظَّمِ الشَّيخ مُحيي الدِّين عبدِالقادِرِ أبي صالِح الجَيلاني، وإلى مشائِخَ آخَرين مَذكورِين في التَّأْليفَين اللَّذَيْنِ سَمَّيْناهما [كتاب البَرقة] لِلشَّيخ علي بن أبي بكر، و[الجزء الشَّريف] لِسيدِنا أبي بكر بن عبدالله العَيْدَروس. فإنْ أَرَدْتَ الكتابَيْنِ المَذكورَيْنِ، فاطْلُبْهما فإنْ وجَدْتَهما عندكم بِدُوعَن، وإلاَّ كَتَبْتَ إلينا نُرْسِلْهما إليكم. واللهُ تعالى يَأْخُذُ بِنواصينا إلى كلِّ خَيرٍ، ويُصْلِحُ منَّا النِّيَّاتِ والمَقاصِدَ، والسَّرائِرَ والظَّواهِر، ويَخْتِمُ لنا بالحُسنى والإحسانِ، ولَكُم ولأَحْبابِنا والمُسلِمِين.

وسُئِلَ نفَعَ اللهُ به عن قَولِ الشَّيخ حُسين بن عبدالله بافضَل: وعليكَ بِوِرْدٍ مُختصَرٍ تَقْتَصِرُ عليه عندَ الضَّرورَة، ووَسَطٍ في وَقتِ الحاجَة، وبَسِيطٍ عندَ انْشِراحِ الصُّدور. وأقَلُّ المُخْتصَرِ الوَجيزِ إِمْرارُهُ على البالِ إلى آخِرِ ماذَكَره السَّائِلُ عنه، وأَشياءَ أُخَر تَظْهَرُ في الجوابِ؟

فأَجابَ نفَعَنا اللهُ به بِقولِه: اَلْحَمْدُ لله، سأَلْتَ عن قولِ الشَّيخِ الصُّوفِي حسين بن الفقيهِ الإمامِ عبدالله بَالْحاج بافضَل، رحِمَه الله، في الأَوْراد . . . إلى آخِرِه، فمَقْصودُه وحاصِلُه أنَّه يَنْبَغي لِلإنسانِ المُداوَمَةُ على الأَوْرادِ والمُحافظَةُ عليها حَسْبَ الإمْكانِ، وفي كلِّ وقتٍ، كلٌّ على حَسَب مايَليقُ بِذلك الوَقتِ.

وقولُه ويكون لكَ وِردٌ مُخْتَصر، ووِردٌ مُتَوسِّط، ووِردٌ بَسيط، فذلك ظاهِرٌ. ويَخْتَلِفُ بِاخْتِلافِ الأَوْقاتِ مِن الشُّغلِ والفَراغِ والمَرضِ والصِّحَّة. ومِثالُهُ ماذكَره الإمامُ الغزالي في [البِداية] فيما يُقال قبلَ الطُّلوعِ، فإنَّه ذكَرَ أنَّه يَنْبَغي مِن الأَوْرادِ عَشَرَةُ أَذْكارٍ فذَكَرَها. ثمَّ قال: يَقولُ كلَّ واحِدٍ مِنهما مِائةً، أو سَبعين، أو عَشْرَ مرَّاتٍ، وهو أَقَلُّه. ولَمَّا ذكَرَها في [الإحياء] ﴿قال﴾ ويَقولُها ثلاثًا، فما ذلك إلَّا بِاخْتِلافِ الوَقتِ والنَّشاطِ والفَراغِ. وكذلِك مِن الأَذْكارِ الوارِدَةِ في السُّنَّةِ بعدَ الصَّلاةِ، وعندَ الصَّباحِ والمَساءِ، وعندَ النَّومِ وغيرِها، يُمكِنُ الإنسانَ أن يَجعَلَ مِن ذلك بَسيطًا ووَسيطًا ووَجيزًا، إذا كانَ مُتَّسِعًا بِالعِلمِ الوارِدِ في السُّنَّةِ. وأَقَلُّ الأَوْرادِ إِمْرارُها على البالِ عندَ الأَشْغالِ المُهِمَّةِ والأَمْراضِ الغالِبَة كما ذُكِر، ومِثلُ ذلِك في صَلاةِ المَغلوبِ بِالمَرَضِ. وما قَصْدُ الشَّيخِ مِن كَلامِهِ هٰذا إلَّا حَثُّ المُريدِ على الاِعْتِناءِ بِالأَوْرادِ على أيِّ وَجهٍ كانَ وأَمْكَن.

وسُئِلَ عن إِهْداءِ ثَوابِ الأَعْمالِ إلى المَوْتى مِن الوالِدِين والأَقارِبِ وغيرِهم؟

فقالَ: اِعْلَمْ أنَّ إِهْداءَ ثَوابِ الصَّدقاتِ المالِيَّةِ إليهِمْ مِن ماءٍ وطَعامٍ ونَحوِ ذلِك مِمَّا ورَدَتْ وصَحَّتْ فيه الأَخبارُ، وكذلك الاِسْتِغفارُ والدُّعاءُ لَهم، فإنَّ اللهَ يَنْفَعُهم بذلك ويَصِلُ إليهم بِفَضْلِ اللهِ مِن نُورٍ وسُرورٍ وغيرِ ذلك مِن أَنواعِ الثَّواب.

وأمَّا قِراءَةُ القُرآنِ الكريمِ، وإِهْداءُ ثَوابِ ذلك إليهم، فقَدِ اخْتَلَفَ العُلَماءُ في وُصولِ ثَوابِه، ورَجَّحَ كثيرونَ مِنهُم وُصولَ ثَوابِ ذلِك إليهِم، وحُصولَ الاِنْتِفاعِ لهم بذلك. ونَقَلُوا فيه آثارًا كثيرًا ومَقالاتٍ صَحيحَة.

وأمَّا الأَخْبارُ الوارِدَةُ فيهِ فكُلُّها ضَعيفَةٌ، فإذا كَان هٰذا في قِراءَةِ القُرآنِ فَيكونُ في مِثلِ الصَّلاةِ والصِّيامِ وإهداءِ ثَوابِ ذلك إليهِم، فيَنْبَغي التَّصَدُّقُ عن المَوْتى والإِكْثارُ مِن الاِسْتِغفارِ لهم، والدُّعاءُ والتَّرَحُّمُ عليهِم، وأَنْ يَجْعَلَ الإِنْسانُ بعضَ صَدقاتِه لِوالِدَيْه ونحوِهم، ويَسْتَبْقِيَ الكثيرَ والأكثرَ لِنَفْسِه. ولِلعُلَماءِ في هذه المَسأَلَةِ كَلامٌ كثيرٌ، وتَتَشَعَّبُ مِنها مَسائِلُ. وهٰذا حاصِلُ القَولِ فيها.

فأمَّا ماسَأَلْتَ عنه مِن كَلامِ الخَطيبِ الأَجَلِّ ابنِ نُباتَة مِن قَولِهِ «أَعْظَمَ اللهُ عَلَى المُصيبَةِ بِطُولِ الغَفْلَةِ أَجْرَنَا» فأَظُنُّه ممَّا لا وَجْهَ له، لأنَّ الإِنْسانَ بشَرٌ، يُخْطِىءُ ويُصِيب.

وسُئِلَ نفَعَ اللهُ به عن طاعَةِ الوالِدَيْنِ فيما يَأْمُرانِ به، هل يَجْرِي ذلِك فيما إذا أَمَرَا بِمُباشَرَةِ أَسْبابِ الدُّنيَا، والتَّوَسُّعِ على الوالِدِ مِن الطَّاعَةِ لِلوالِدَيْن، فذلك كذلك، لَو أنَّهما أَمَرَاه بِالتَّوَسُّعِ في المُباحاتِ الدُّنيوِيَّةِ، والتَّلَذُّذِ بِأَسْبابِ الدُّنيا الَّتي رُبَّما تَضُرُّ الإنسانَ في دِينِه، وتُعَرِّضُه لِلوُقوعِ في مَعْصِيةِ ربِّه؟

فأَجابَ رَضِيَ اللهُ عنه: الَّذي نَراهُ ونَقولُ به لايُطِيعُهما في ذلِك، ولٰكِنَّه لايُشافِهُهُما بِوَجْهِ صَريحِ الردِّ والمُخالَفَةِ، ولٰكِنَّه يُدارِيهما ويَتَلَطَّفُ معَهما لِما يَجِبُ لَهما عليه مِن الحُرمَةِ، ويَتَعَيَّنُ عليه مِن البِرِّ لَهما والرِّفْقِ بهما. فإذَنْ لايُطِيعُهما في مَعْصِيةِ الله، إذْ لا طاعَةَ لِمَخلوقٍ في مَعْصِيةِ الخالِق. فتِلكَ الأَشْياءُ المَذكورَةُ مِن مُقَدِّماتِ المَعاصي والوَسائِلِ إليهما. ولِلْوَسائِلِ حُكْمُ المَقاصِد، ومَن حامَ حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أنْ يقَعَ فيه. على أنَّ المُباحاتِ هذا الزَّمانَ، وأَسْبابَ الدُّنيَا الَّتي يَقولُ فيها مَن لا رُسوخَ له في عِلمِ الكِتابِ والسُّنَّةِ، إنَّها مُباحاتٌ قد صارَتْ مُحَرَّماتٍ وشُبُهاتٍ يُحكَمُ عليها بِالتَّخْليطِ، وأَضْرارُ الدُّنيا على أهلِ هذا الزَّمانِ لايَمْتري فيه مَن له في الدِّينِ قَدَمٌ راسِخٌ في عِلمِ الكِتابِ والسُّنَّةِ مِن أَهْلِ اليَقينِ والتَّقوى.

فاعْلَمْ ذلك وتَأَمَّلْهُ تُسْعَدْ وتُرْشَدْ إنْ شاءَ اللهُ تعالى، والأَمْرُ كُلُّه لِلهِ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا بِالله، وهو حَسْبُنا ونِعْمَ الوَكيل.

وسأَلَه الشَّيخُ الصُّوفيُّ عبدالله بن سعيد االعَموديُّ عمَّا إذا فَعَلَ الوَلِيُّ مايُبطِلُ الوِلايَةَ إلى آخرِ مَاسأَلَه ممَّا يَتَّضِحُ في الجَواب؟

فأَجابَ رَضِيَ اللهُ عنه: ماسأَلْتُم عنه مِن أَنَّه إذا فَعَلَ الوَلِيُّ مايُبطِلُ العَدالَةَ، أيْ مِن الذُّنوبِ الكبيرَةِ، ولَم يُصِرَّ على ذلِك، أيْ أنَّه تابَ تَوبَةً مُعتَبَرَةً بِشرائِطِها الباطِنَةِ والظَّاهِرَةِ، فهَل يَبقَى على مَقامِهِ وحالِه مِن الوِلايَة؟

فاعْلَمْ أَنَّك إن كُنتَ تُريدُ الوِلايَةَ العامَّةَ الحاصِلَةَ لِعامَّةِ المُسلمِين، فإنَّه قد يكونُ ذٰلك يَدُلُّ عليه أَدِلَّةٌ كثيرَةٌ مُسْتَغنًى عن ذِكْرِها لِشُهرَتِها وظُهورِها. وإنْ كُنتَ تُريدُ الوِلايَةَ الخاصَّةَ الَّتي يُقالُ في صاحِبِها أَنَّه محفوظٌ من المُخالَفاتِ، فَاعْلَم أَنَّ الوِلايَةَ على هٰذا الوَجْهِ أَمرٌ عظيمٌ لايُمكِنُ صاحِبَها أنْ يَنْهَمِكَ في المُباحاتِ والشَّهَواتِ مِن الحلالِ، فَضْلاً عن الوُقوعِ في صَغائِرِ الذُّنوبِ، وإنَّما قالُوا بِجَوازِ صُدورِ أَمْثالِ ذٰلِك من الوَلِيِّ احْتِرَازًا عن مُشارَكَةِ الأَوْلِياءِ لِلأَنْبِياءِ في العِصْمَةِ الَّتي لايَجوزُ معها صُدورُ الذُّنوبِ بِحالٍ.

واعْلَمْ أنَّ الجائِزَ غيرُ الواقِعِ، وليسَ كلُّ جائِزٍ بِواقِعٍ. ولَو فُرِضَ وُقوعُ مِثلِ ذٰلك على الوليِّ الخاصِّ انْحَطَّ انْحِطاطًا عظيمًا، ورُبَّما سُلِبَ حالَه ومَقامَه، يَدُلُّ على ذٰلِك أنَّ بَعضَ أَهْلِ هذهِ المَقاماتِ وَقَعَتْ مِنهم أَشْياءُ مِن المُباحاتِ، فحُجِبُوا بها عن مَقاماتِهم، وانْحَطُّوا بها عن دَرجاتِهم، كما يَعرِفُ ذٰلك مَن سَبَرَ سِيَرَهم. وقد أَوْضَحنا هذه المَسأَلَةَ بِسؤالِ بعضِ الصَّالِحين عن قريبٍ مِن سُؤالِكُم هٰذا، وذلك في أَوائِلِ الفَتاوَى المَجموعَةِ ممَّا سُئِلْنا عنه بِجَمْعِ السيدِ الجليلِ أحمد بن زين الحَبَشي، فإنْ كانَتْ عِندَكم فانْظُروا فيها، وإلَّا فما ذكَرْناه لَكم في هٰذا الجوابِ المُجْمَلِ يَكفِي ويُغني.

والذُّنوبُ والمَعاصي، صَغائِرُها وكَبائِرُها أَقْذارٌ وأَدْناسٌ وأَوْساخٌ قد طَهَّرَ اللهُ بها أَوْلِياءَه، وحجَزَهم عنها، ورفَعَ أَقْدارَهم عن أنْ تَخْطُرَ لهم، وتَميلَ إليها نُفُوسُهم فضلاً عن مُلابَسَتِها والوُقوعِ فيها. وإنَّما الذُّنوبُ الَّتي تقَعُ في كَلامِ بعضِهِم، أَنَّه يقَعُ في شيءٍ مِنها ذُنوبٌ في الطَّاعاتِ والمَقاماتِ الَّتي تَعْرِضُ لهم فيُسَمُّونها ذُنوبًا على حَسَبِ دَرجاتِهم الرَّفيعَةِ وأَقْدارِهم المُنيفَةِ مِن حيثُ إنَّ حَسَنَاتِ الأَبْرَارِ سَيِّئَاتُ المُقَرَّبِينَ، فلَعَلَّكَ وقَفْتَ على شيءٍ مِن ذلك في كَلامِ بعضِهِم عندَ اعْتِرافِهم بِتَقْصيرِهم وتَواضُعِهم لِربِّهم وسُقوطِ أَقْدارِهم عن مُشاهَداتِهم، فاعْرِفْ هذه الجُملَةَ، فإنَّها مُهِمَّةٌ. وقد يَغْلَطُ مَن لَم يُحَقِّقْ هذه العُلومَ ويَرْسَخْ قدَمُه في مَقاماتِ أَهْلِ التَّحْقيقِ، وأَيْنَ الثُّرَيَّا مِن الثَّرَى، وأَيْنَ المَزابِلُ مِن مَجالِسِ المُلوكِ، كما قال بعضُهم:

خُذْ ما تَراهُ ودَعْ شيئًا سمِعْتَ بهِ * في طَلْعَةِ الشَّمسِ مايُغْنيكَ عن زُحَلِ

واللهُ يَتولّانا وإيَّاكم بِحُسنِ وِلايتِه، ويُلاحِظُنا دائِمًا بِعَينِ عِنايَتِه.

ومِن أَثْناءِ سُؤالٍ له، نفَعَ اللهُ به، في إلْباسِ الخِرقَةِ: يَجوزُ لِمَن أَذِنَ له الشَّيخُ المُعْتَبَرُ، أنْ يُلبِسَ الخِرقَةَ وإنْ لم يَرَ نَفْسَه أَهْلاً لِذلك، وعدَمُ رُؤيَةِ الأَهْلِيَّةِ في نَفْسِه زِيادَةٌ في كَمالِه، ويَجْبُرُ مايَكونُ فيه مِن نَقْصٍ إنْ كانَ. وعليه مُراعاةُ الشُّروطِ الَّتي اشْتَرطَها عَليه شيخُه في الإلْباسِ فيمَن يَلتَمِسُ مِنه إنِ اشْتَرطَ عليه شيئًا. وله أنْ يُقيمَ من رأى أَهْلِيَّتَه إلْباسَ الغَيرِ، ويَتأَكَّدُ عليه ذٰلك، أَعْني الإلْباسَ والإقامَةَ جِدًّا، مَهْما خافَ انْدِراسَ ذٰلك الطَّريقِ مِن تِلك السِّلْسِلَةِ. وله أنْ يُحَكِّمَ لِشيخِهِ تَأَدُّبًا معَه، فيكونُ هو الواسِطَةَ بينَ الشَّيخِ وبينَ اللَّابِسِينَ مِن يدِهِ.

وأمَّا الَّذي يَظْهَرُ لنا مِن كَلامِ سيِّدِنا القُطبِ العارِفِ أبي بكر بن عبدالله العَيْدَروس علَوي «لَهُ تَحْكِيمُنا» يعنِي والِدَه، أي شَيْخُنا المُطلَقُ المُحَقِّقُ الَّذي تَحَكَّمْنا مِنه، وبِه اقْتَدَيْنا في سُلوكِ طَريقِه، ولَيْسَ كما ظَهَرَ لِلشَّيخ بَحْرَق.

وأمَّا لُبسُ سيدِنا الفقيهِ المُقَدَّمِ مِن الشَّيخ أبي مَدْيَن، فهو لَبِسَ مِن يَدِهِ، والشَّيخ عبدالله الصَّالِح وعبدالرَّحمن المَغْرِبِي واسِطَتانِ بينَهما، كذلِك ذكَرَ الأَشْياخ.

وأمَّا قولُكم: هَل يَجوزُ أَنْ يُعلِمَ المُعلِّمُ لِمَن يَخشى على نَفْسِه الرِّياءَ في التَّعليم؟ نعَمْ، لَهُ ورُبَّما تَعيَّنَ عليه في العِلمِ المُتَعَيِّنِ عندَ فَقْدِ مَن يَقومُ به، وعليهِ مع ذلِك أنْ يُجاهِدَ نَفْسَه في تَرْكِ الرِّياءِ والاِتِّصافِ بالإخْلاصِ، ويَتوبَ ويَسْتغفِرَ مِن العَوارِضِ والخَواطِرِ الَّتي تَخْطُرُ له في ذٰلِك، ويُريدُ الشَّيطانُ اللَّعينُ، لَعَنَهُ الله، أنْ يَترُكَ المُسلِمون العِلمَ والعَملَ والأَمْرَ والنَّهْيَ بِهٰذا التَّلبِيسِ. والغالِبُ أنَّ مَن يَخشى الرِّياءَ لايَكونُ مُرائِيًا.

وأمَّا المُرائِي المُصِرُّ على الرِّياءِ، فلا ثَوابَ له، ورُبَّما أَثِمَ مع فَواتِ الثَّوابِ، ولا يُؤجَرُ على التَّعليمِ، ولا على الدَّلالَةِ على الهُدَى والدَّعوَةِ إلى الخَيرِ، إذْ كُلُّ ذلك مِن التَّعلِيمِ. نعَمْ أَرجُو أنْ يَنْفَعَه اللهُ بِدُعاءِ المُتَعَلِّمِ واسْتِغفارِهِ، إنْ دَعا لَهُ واسْتَغفَر.

وقد أَشْبَعَ الكَلامَ في أَحْكامِ الرِّياءِ إمامُنا وإمامُ أهلِ الإسلامِ سيِّدُنا الغَزاليُّ في [الإحياء] في الكِتابِ الثَّاني مِن المُهْلِكاتِ، فتَأَمَّلوه، وضُمُّوا إليه النَّظرَ في كتابِ الإِخْلاصِ، السَّابع مِن المُنْجيات، فهُنالِك الشِّفاءُ مِن كُلِّ داءٍ.

وقال نفَعَ اللهُ به في أَثْناءِ سُؤالٍ له: ثَوابُ أَعْمالِ أَطْفالِ المُسلِمين في صَحائِفِ آبائِهِم وهم في دَرجاتِهم، وحيثُ لم يَتَأَهَّلِ الآباءُ لِذلك بِسبَبِ كُفرٍ أَو نحوِه، فيَكونُ لِمَن فَوْقَهم مِن الآباءِ، كالجدِّ وإنْ عَلا، أو القائِمِ في تَربِيَةِ الطِّفلِ وتَأْديبِهِ مِن قَيِّمٍ وسُلطانٍ عادل.

إذ مُوجِبُ الاِسْتِحقاقِ في جَعْلِ الثَّوابِ لِلآباءِ أَمْرانِ: أَحَدُهما أَمْرُ الوِلادَةِ. والثَّاني القِيامُ في التَّربِيَةِ والتَّأْديبِ.

وإذا أُهْدِيَ لِلطِّفلِ شيءٌ مِن قِراءَةٍ ونحوِها لَحِقَه، فأمَّا أنْ يَكونَ زِيادَةً له في حُسنِ الوَجهِ ونُورِه ونحوِ ذلك، أو يَكونَ لِمَن ثَوابُ أَعْمالِه له مِمَّن تَقَدَّمَ ذِكرُه، وعائِدة ذلك إلى الطِّفلِ.

وإذا أُهْدِيَ ثَوابُ شيءٍ لإِنْسانٍ، وهو حَيٌّ، صارَ في صَحائِفِ حَسَناتِه، فإنْ لم يَتَأَهَّلْ المُهْدَى له، حيًّا أو ميِّتًا للإِهْداءِ، بِسببِ شِركٍ أو نحوِه، فيَعودُ إلى المُهْدِي كأَنَّه لم يُهْدِ. وهذهِ الأُمورُ الَّتي ذكَرْناها مَنْزِعُها الاِجْتِهادُ والرَّدُّ إلى الأُصولِ والقَواعِدِ، وقَلَّ أنْ تَجِدَ في أَمْثالِ هذه الأَشْياءِ نَصًّا واضِحًا مِن كتابٍ أو سُنَّةٍ. وغايَةُ ماتَجِدُ إنْ وجَدْتَ مَقالٌ لأَحَدٍ مِن العُلَماءِ يَكونُ مُسْتَنَدُه ماذكَرْناه مِن الاِجْتِهادِ.

ومِن المُكاتَباتِ لِسيِّدِنا نفَعَ اللهُ به ورضِيَ عنه وعَنى به، آمين: مِن أَثْناءِ مُكاتَبَتِه لِلشَّيخِ الأديبِ أحمد بن محمد سَندوب: وطلَبْتُم شيئًا مِن الأَوْرادِ المُبارَكَةِ تُرَتِّبونَه بعدَ الصَّلواتِ الخَمسِ، فرَتِّبوا على بَركاتِ اللهِ تَعالى ما هُو عَظيمُ البَرَكَةِ، وكَثيرُ النَّفعِ، وسَريعُ الأَثَر، أَسْماءَ اللهِ الحُسنَى بعدَ صلاةِ الصُّبحِ وَالفَراغِ، واقْرأُوا مِن الأَوْرادِ النَّبويَّةِ

الوارِدَةِ بعدَها. وكذلك بعدَ العصرِ مع الاجْتِماعِ والحُضورِ والخَلْوَةِ مَهْمَا أَمْكَنَتْ. وربُّنا الفتَّاحُ العَليمُ، والسَّلام.

وهذه أَسْماءُ اللهِ الحُسنى نَقلتُها مِن [المقصد الأسنى] للإمامِ الغزالي، رضيَ اللهُ عنه ونفَعَ به، عن أبي هُريرةَ، رضِيَ اللهُ عنه، قال: قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: [إِنَّ للهِ عزَّ وَجلَّ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، فَإِنَّهُ وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْرَ، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ]، وهي هذه:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، وَبِهِ نَسْتَعِينُ: هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمٰنُ، الرَّحِيمُ، المَلِكُ، القُدُّوسُ، السَّلَامُ، المُؤْمِنُ، المُهَيْمِنُ، العَزِيزُ، الجَبَّارُ، المُتَكَبِّرُ، الخَالِقُ، البَارِيءُ، المُصَوِّرُ، الغَفَّارُ، القَهَّارُ، الوَهَّابُ، الرَّزَّاقُ، الفَتَّاحُ، العَلِيمُ، القَابِضُ، البَاسِطُ، الخَافِضُ، الرَّافِعُ، المُعِزُّ، المُذِلُّ، السَّمِيعُ، البَصِيرُ، الحَكَمُ، العَدْلُ، اللَّطِيفُ، الخَبِيرُ، الحَلِيمُ، العَظِيمُ، الغَفُورُ، الشَّكُورُ، العَلِيُّ، الكَبِيرُ، الحَفِيظُ، المُقِيتُ، الحَسِيبُ، الجَلِيلُ، الكَرِيمُ، الرَّقِيبُ، المُجِيبُ، الوَاسِعُ، الحَكِيمُ، الوَدُودُ، المَجِيدُ، البَاعِثُ، الشَّهِيدُ، الحَقُّ، الوَكِيلُ، القَوِيُّ، المَتِينُ، الوَلِيُّ، الحَمِيدُ، المُحْصِي، المُبْدِيءُ، المُعِيدُ، المُحْيِي، المُمِيتُ، الحَيُّ، القَيُّومُ، الوَاجِدُ، المَاجِدُ، الأَحَدُ، الصَّمَدُ، القَادِرُ، المُقْتَدِرُ، المُقَدِّمُ، المُؤَخِّرُ، الأَوَّلُ، الآخِرُ، الظَّاهِرُ، البَاطِنُ، الوَالِي، المُتَعَالِي، البَرُّ، التَّوَّابُ، المُنْتَقِمُ، العَفُوُّ، الرَّءُوفُ، مَالِكُ المُلْكِ، ذُوالجَلَالِ وَالإِكْرَامِ، المُقْسِطُ، الجَامِعُ، الغَنِيُّ، المُغْنِي، المَانِعُ، الضَّارُّ، النَّافِعُ، النُّورُ، الهَادِي، البَدِيعُ، البَاقِي، الوَارِثُ، الرَّشِيدُ، الصَّبُورُ - [لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ].

انتهَتِ الأسماءُ الحُسنى، رَزَقَنَا اللهُ حِفظَها وبَركتَها في الدَّارَيْنِ، آمين.

ومِن خَطِّ الشَّيخ أحمد بن عبدالكريم الأحسائِيِّ، قال: هذه صِفةُ تَلْقِينِ الذِّكرِ مَنْقولَةٌ مِن بعضِ مُكاتباتِ سيِّدِنا الحبيب القُطْب الغَوْث عبدالله بن علوي الحدَّاد باعلوي، نَفع اللهُ به: قال رضيَ اللهُ عنه: إذا اجْتمعَ جَماعةٌ لِقَصدِ التَّلْقِينِ، فيَنْبَغي أَنْ

يُبدَأ بقراءةِ الفَاتِحةِ المُعَظَّمَةِ المُتبرَّكِ بها، ولأنها لِمَا قُرِئَتْ لَهُ. ثمَّ يقولُ المُلَقِّنُ لِلحاضِرِينَ مِن الرَّاغِبِينَ قولُوا: نَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا الله، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله. لَا إِلَهَ إِلَّا الله، لَا إِلَهَ إِلَّا الله، لَا إِلَهَ إِلَّا الله». ثم يقولُ المُلَقِّنُ المُتقدِّمُ «اَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الصَّادِقِ الأَمِين. اَللَّهُمَّ اسلُكْ بِنَا طَرِيقَهَا، وَحَقِّقْنَا بِحَقَائِقِهَا، وَاجْعَلْنَا مِنْ صَالِحِي أَهْلِهَا، وَأَحْيِنَا وَأَمِتْنَا وَابْعَثْنَا عَلَى ذٰلِكَ مِنَ الآمِنِـينَ المُطْمَئِنِّينَ، الَّذِينَ لَاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. اَللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ اليَقِينَ وَالعَافِيَةَ وَالوَفَاةَ عَلَى الإِسْلَامِ. اَللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ. رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ. وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِمَشَائِخِنَا فِي الدِّينِ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ، وَالمُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَاتِ، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ، وَالحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العَالَمِينَ».

﴿تتمَّةٌ﴾ حَسَنةٌ مِن كَلامِ سيدِنا القُطبِ الرَّبَّاني الغَوْث الأكبَر عبدِالرحمن بن محمد السقاف الحُسينيّ التَّرِيميّ. اِجْتَهَدْنَا فلَم يُفْتَحْ لنا بِالفتحِ العَظيمِ، إلَّا بعدَ مارجَعْنا إلى مَعْرِفةِ النَّفْسِ. وقال رضِيَ اللهُ عنه ونَفَع به: مَنْ لَا لَهُ وِرْدٌ فَهُوَ قِرْدٌ، ومَن لا له أَذْكارٌ فليسَ يُذكَرُ. وفي رواية مَن لَم يَقرَأْ كتابَ [الأذكار] للنوَوِي، فليسَ يُذْكَرُ، ومَن لَم يُطالِعْ في كتابِ [الإحياء] ما فيه حَيَاةٌ.

﴿قلتُ﴾ وقولُه: «ما فيه حَيَاةٌ»، أي في قلبِهِ. ومَن أَحْيَى اللهُ قلبَه بِالإيمانِ طَلَبَ مايُنَوِّرُهُ وَيَسْقِيهِ بماءِ المُطالعَةِ في [الإحياء] لِيدومَ حياتُه، لأنَّه لَمْ يُؤَلَّفْ مثلُه، كما قال سيِّدُنا في [العَينيَّة]، وكمِثلِه لَمْ يوضَعِ، أو ما فيه حَيَاءٌ (بِالمَدِّ) وهو الحياءُ المَحمودُ الدَّالُّ على الطَّاعةِ الخالِصَةِ لِله. وَيمنعُه، أي الحياءُ مِن اللهِ تعالى أنْ يُشرِكَ معه أحدًا مِن خلقِهِ، ودليلُ هذا الحياءِ مُطالعةُ كتابِ [الإحياء] لِيَدُلَّه على العملِ بالتَّحَلِّي بما هو الأَحْسنُ، وبالتَّخَلِّي عن المَذْمُوم، لأنَّ مثلَه، أي [الإحياء] لم يُؤَلَّفْ. وأَسْتَغفِرُ اللهَ عَن شرحِي على كلامِ هذا الإمامِ، ولستُ أقولُ «هذا معناهُ»، بل هذا الذي عرَفْناه.

وقال سيدُنا السقَّافُ، رضِيَ اللهُ عنه، أيضًا، دواءُ القلبِ قَطعُ العَلائِقِ. وقال رضِيَ اللهُ عنه: صوفِيَّة الزَّمانِ وفُقَهاؤُهُ وَقَعُوا في الطَّحْسِ، أي الـزَّلَقِ، أي لَيسُوا كصُوفِيَّة الزَّمانِ المُتقدِّمِ ولٰكن وَقَعُوا فيما فِيهِ يَطِيحونَ وَيزْلَقُونَ، إذْ ليس أعْمـالُهُم كأعْمالِ المُتقَدِّمِينَ، ولا أقوالُهُم كأقْواِلهِم مِنَ التَّحرّي وَالتَّحرُّزِ البَالِغِ لِأنَّ الجَائزَ في الشَّرعِ هو الذي يَسَعُ عامَّةَ الناسِ. والورعُ في الأَعْمالِ والأَقْوالِ هو الَّذي عليه المَدَارُ عندَ الأوَّلِين. وهذا كلامُهُ رضِيَ اللهُ عنه في أهلِ وقتِهِ، وهو في القَرْنِ الثَّامِن، فكيفَ اليَومَ آخرَ القرنِ الثَّانِي عَشَرَ. وقد مضَتْ تِسعُ وتسعُون سنةً منه.

وقال رضِيَ اللهُ عنه: كُنِ ابْنَ زمانِك إنْ رأيتَ النَّاسَ في طبعِ الذِّياب، فلا تكُن ضَانَةً فيَأْكُلوكَ. وإنْ رأيتَ النَّاسَ بالعكسِ، فلا تكُنْ ذِئبًا فتأْكلَهم.

وقال رضِيَ اللهُ عنه: كلُّ علمٍ بِلا عَملٍ باطِلٌ، وكلُّ علمٍ وعملٍ بِلا نِيَّةٍ هَباءٌ، وَكلُّ علمٍ وعملٍ وَنِيَّةٍ بِلا سُنَّةٍ مَردُودٌ، وكلُّ علمٍ وعملٍ وَنِيَّةٍ وسُنَّةٍ بِلا وَرَعٍ خُسْرَانٌ يُخَافُ على صاحبِهِ عندَ المُوازَنةِ والقضاءِ ذَهَابُه.

وَمِن أَثْنَاءِ وصِيَّتِه لِسيدِنا القُطْبِ الشيخ عبدالله الحداد، قال: واحْذَرِ الاِهْتِمامَ بِأَمْرِ الرِّزقِ، فليس له مُسْتَنَدٌ إلاَّ الشَّكَّ في المَقْدورِ، وما قُدِّرَ لك وعليك، فلا بُدَّ وأنْ يَصِلَ إليك بِسَعْيٍ وبِدونِ سَعْيٍ حَسْبَما جرَى به القَلَمُ في أُمِّ الكِتابِ، فما وَجهُ الاِهْتِمامِ بِأَمْرٍ قد فُرِغَ منه وسَلَّمَك الحَقُّ عنه حينَ أَخْبَرَك في كِتابِه أنَّه ضَمِنَ لَك بِه، وأَقْسَمَ على ذلك بِرُبوبِيَّتِه. فاصْرِفْ هَمَّك إلى الاِهْتِمامِ بما فَرَضَ عليكَ مِن حقِّهِ، فإنَّ ماابْتُلِيَ أَهْلُ هذا الزَّمانِ مِنْ بَلِيَّةِ الاِهْتِمامِ بِالرِّزقِ عُقوبَةً لهم على تَضْييعِ الأَوامِرِ وارْتِكابِ المَحارِمِ - انتهى.

وقالَ سيدُنا القُطب الغَوْثُ أبو بكر بن سالم باعلَوي: مانِلْنا الَّذي نِلْناه بِبَذْلِ المَجْهودِ، بل مِن عَينِ الجُود. وقالَ بعضُ ساداتِنا: مانِلْنا الَّذي نِلْناه بِالعِباداتِ، بل بِالعِناياتِ.

وقالَ سيّدُنا القُطبُ الغَوْثُ عبدُالقادر الجَيلاني يُخاطِبُ العَملَ الصَّالِح : بِـكَ نَصِـلُ ولا بُدَّ مِنك، يَعني بِالعَملِ لانَصِلُ إلى اللهِ تعالى، بل بِفَضْلِه. قال تعالى: [وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَازَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا]، ولا بُدَّ مِنه حيثُ أَمَرَنا به، وبِالسَّعيِ . قال تعالى: [وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَاسَعَى]. وقالَ تعالى: [أُدْخُلُوا الجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ].

وقالَ سيدُنا الأكبرُ أبو بكر السَّكْرانُ بن عبدالرحمن السَّقَّاف علَوي، رضيَ اللهُ عنه، ونفَعَ به: مانِلْتُ الَّذي نِلْتُهُ إلَّا بِحُسنِ الظنِّ في المُسلِمين. وقال ﷺ: [خَصْلَتَانِ لَيْسَ فَوْقَهُمَا شيَءٌ مِنَ الخَيْرِ: حُسْنُ الظَّنِّ بِاللهِ وَحُسْنُ الظَّنِّ بِعِبَادِ اللهِ. وَخَصْلَتَانِ لَيْسَ فَوْقَهُمَا شيَءٌ مِنَ الشَّرِّ: سُوءُ الظَّنِّ بِاللهِ وَسُوءُ الظَّنِّ بِعِبَادِ اللهِ] – انتهى.

﴿الفائدة السادسة والعشرون﴾
في جمع بعض أوراد صاحب الراتب من نقل الشيخ الأحسائي

قالَ الشيخ أحمد الشَّجَّار الأَحْسائيُّ، تلميذُ الشيخ عبدالله بن علوي الحدَّاد في ذِكرِ بَعضِ أَوْرادِه:

هٰذا كتابُ [مِفْتاح السَّعادة والفَلاح في أَذْكار المَساءِ والصَّباح]، وهو الوِردُ الكبيرُ لِسَيِّدِنا القُطبِ الرَّبَّاني، حُجَّةِ الإسلام الشيخ الإمام الغَوثِ الهُمام، عبدالله بن علوي الحدَّاد باعَلَوي، نفع اللهُ به وبِعُلومِه في الدَّارَيْن، آمين.

﴿قلتُ﴾ فَلْنُقَدِّمْ لك أَحاديثَ عَظيمَةَ النَّفعِ لِمَن عَمِلَ بها. قال الدَّميري في [حياة الحيوان الصُّغرى] عندَ ذِكرِه «الجَواد: الفرَسُ الجيِّد» رَوى جعفرُ القُرباني في فضلِ الذِّكرِ عن سهلِ بنِ سعدٍ السَّاعِدِيِّ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: [لأَنْ أُصَلِّيَ الصُّبْحَ وَأَجْلِسَ فِي مَجْلِسٍ فَأَذْكُرَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ شَدٍّ عَلَى جَوادٍ مِنْ جِيادِ الخَيْلِ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى] - انتهى.

قالَ أبو الدَّرْداءِ، سمِعْتُ عن النبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: [مَنْ صَلَّى صَلَاةَ الفَجْرِ وَجَلَسَ فِي مَكَانِهِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ أَعْطَاهُ اللهُ تَعَالَى عَشْرَ خِصالٍ: أَوَّلُهَا تَوْبَةٌ قَبْلَ المَوْتِ، وَثَانِيهَا بَرَكَةٌ فِي رِزْقِهِ، وَثَالِثُهَا سَلَامَةٌ فِي بَدَنِهِ، وَرَابِعُهَا مَحَبَّةٌ فِي قُلُوبِ الخَلْقِ، وَخَامِسُهَا يُرْفَعُ عَنْهُ ضِيقُ العَيْشِ، وَسَادِسُهَا يَخْرُجُ مِنَ الدُّنْيَا بِكَلِمَةِ الإِخْلَاصِ، وَسَابِعُهَا يُوَسَّعُ قَبْرُهُ، وَثَامِنُهَا يُعْطَى كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَتَاسِعُهَا يَمُرُّ عَلَى الصِّرَاطِ كَالبَرْقِ اللَّامِعِ، وَعَاشِرُهَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

قالَ الإمامُ محمد بن سليمان الكُردي، لَمَّا سُئِلَ عن «لا إلهَ إلاّ اللهُ وَحدَهُ لاشَريكَ له، له المُلكُ وله الحمدُ وهو على كلِّ شيءٍ قدير» عَشْرًا بعدَ صلاةِ الصُّبحِ والعَصرِ والمَغرِبِ، يَقولُها وهو ثَانٍ رِجْلَيْهِ، قالَ: ولَمَّا سُئِلَ الحافِظُ ابنُ حجَر في تَخْريجِ أحاديثِ الأَذْكارِ عن حديثِ عائِشةَ رضي اللهُ عنها، قالَ: ظاهِرُ حديثِ عائِشةَ رضي اللهُ عنها هٰذا أَنَّه لايَقولُ الأَذْكارَ الوارِدةَ في هٰذا المَحلِّ إلاَّ بعد قِيامِه مِن مَجلِسه، لٰكِن يُعارِضُه حديث جابرِ بنِ سَمُرَة أنَّه ﷺ كان إذا صَلَّى الفجرَ جلَسَ في مُصَلاَّه حتَّى تَطْلُعَ الشَّمسُ - أَخْرَجَه مُسلمٌ.

ويُمكِنُ الجمعُ بِتَخْصيصِ الصُّبحِ، وأَوْلى مِنه أنْ يَحمَدَ اللهَ على الهَيْئَةِ المَخْصوصَةِ بأَنْ يَترُكَ التَّورُّكَ والاِسْتِقبالَ، ويُقْبِلَ على أَصْحابِه، كما ثَبَتَ في حديثٍ آخَرَ، واللهُ أعلَم - انتهى.

ومِن كتابَي [عُدَّة الحصنِ الحصين] و[الأذكار] قال ﷺ: [مَنْ صَلَّى الفَجْرَ في جَماعَةٍ ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، كَانَ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ تامَّةٍ تَامَّةٍ تامَّةٍ]. رَواه التِّرمذِيُّ، وقال حديثٌ حسَن.

ومِن كتاب [الدُّر المنثور]: وأَخْرَجَ حُمَيد بنُ زَنْجويه في [فَضائِلِ الأَعْمالِ]، والبَيْهَقي في [شُعَب الإيمان]، عن الحسَن بن علي، قال: قالَ رَسُول اللهِ ﷺ: [مَنْ صَلَّى الفَجْرَ، ثُمَّ جَلَسَ في مُصَلاَّهُ يَذْكُرُ اللهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى مِنَ الضُّحَى رَكْعَتَيْنِ، حَرَّمَ اللهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَلْفَحَهُ وَتَلطِمَه].

وأَخْرَجَ حُمَيد بنُ زَنْجويه أيضًا، والطَّبرانيُّ، والبَيْهَقِيُّ عن عُتْبَةَ بنِ عبدٍ السُّلَمِيِّ وأبي أُمامةَ الباهِلي، رضيَ اللهُ عنهم، أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: [مَنْ صَلَّى الصُّبحَ في مَسْجِدِ جَماعَةٍ، ثُمَّ تَثَبَّتَ فِيهِ حَتَّى يُسَبِّحَ تَسْبِيحَةَ الضُّحَى، كَانَ لَهُ كَأَجْرِ حَاجٍّ وَمُعْتَمِرٍ تَامٍّ لَهُ حَجَّتُهُ وَعُمْرَتُه].

وأَخْرَجَ أبو داودَ، والطَّبرانيُّ، والبَيْهَقِيُّ عن مُعاذِ بنِ أنسٍ الجُهَني، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: [مَنْ قَعَدَ في مُصَلَّاهُ حِينَ يَنْصَرِفُ مِنْ صَلاةِ الصُّبْحِ حَتَّى سَبَّحَ رَكْعَةَ الضُّحى لايَقُولُ إلاَّ خَيْرًا، غُفِرَتْ لَهُ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ أَكْثَرَمِنْ زَبَدِ البَحْرِ] - انتهى. وقد بَسَطَ في ذٰلِك وفي ذِكْرِ الضُّحَى عندَ قَولِه تعالى: [وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّاب].

وقالَ الشَّيخ محمد بن سُليمان الكُردي في اثْنَيْ عشرَ جوابًا له، وذكَرَ الجَمالُ الرَّملي في نِهايَتِه مانَصُّه: اِسْتَثْنى بعضُ المُتَأَخِّرين بحثًا مِن انْتِقالِهِ ما إذا قَعَدَ مَكانَهُ يذكرُ اللهَ تعالى بعدَ صلاةِ الصُّبحِ إلى أنْ تَطْلُعَ الشَّمسُ، لأنَّ ذلك كَحَجَّةٍ وعُمرَةٍ تامَّةٍ تامَّةٍ - رواه التِّرمذيُّ عن أَنَس - انتهى.

وقد أَقَرَّ الفَضْلَ الَّذي ذَكَرَه وَأَنَّهُ لايَتَوَقَّفُ حَمْلُه عَلى المُكْثِ في مَحَلِّ صلاتِهِ، وَعِبارَةُ البِهَنسي في شَرحِه على صحيحِ البُخاري في شَرحِ الحديثِ السَّابِقِ ذِكرُه، نَصُّها «في مُصَلَّاه»، أي المكانِ الَّذي صَلَّى فيه، وهو المَسجِدُ حتَّى لو انْتَقَلَ مِن المكانِ الَّذي أَوْقَعَ فيه الصَّلاةَ مِن المَسجِدِ إلى مكانٍ آخَرَ مِنه كان كالماكِثِ في مَحَلِّ صَلاتِهِ مِنه - انتهى.

وقد رَأَيْتُ بِخَطِّ شيخِنا المَرحومِ الشَّيخ محمد طاهر على هامِشِ نُسخَتِه مِن [شَرح العُباب] لِلشَّهاب ابنِ حجَر مانَصُّه في صحيحِ البُخاري، في فَضْلِ صَلاةِ الجَماعَةِ صَدر الحديث، وذلك أنَّه إذا تَوضَّأ وأَحْسَنَ الوُضوءَ، ثمَّ خرَجَ إلى المَسجِدِ لاتُخْرِجُه إلاَّ الصَّلاة، لم يَخْطُ خُطوَةً إلاَّ رُفِعَتْ له بها دَرَجَةٌ وحُطَّ عنه بها خَطيئَةٌ. فإذا صلَّى لم تَزَلْ المَلائكةُ تُصلِّي عليه مادامَ في مُصَلَّاه. قالَ في شرحِ الفَتحِ، قولُه «في مُصَلَّاه»، أي في المكانِ الَّذي أَوْقَعَ فيه الصَّلاةَ مِن المَسجِدِ، وكأَنَّه خرَجَ مَخرَجَ الغالِبِ. وإلاَّ فلَو قامَ إلى بُقْعَةٍ أُخرى مِن المَسجِدِ مُسْتَمِرًّا على نِيَّةِ انْتِظارِ الصَّلاةِ كانَ كذلِك - انتهى.

فانْظُرْ هَل يُؤْخَذُ مِنه أنَّ مَن قامَ مِن مُصَلَّاه بعدَ صلاةِ الصُّبحِ إلى مكانٍ آخر مِن المَسجِدِ، واسْتَمَرَّ ذاكِرًا إلى طُلوعِ الشَّمسِ بِنِيَّةِ تَحْصيلِ ثَوابِ حَجَّةٍ وعُمرَةٍ يَكونُ له

ذلِك أم لا؟ ثمَّ رَأيْتُ المُلَّا علي في شَرحِ المِشكَاةِ في آخِرِ الفَصلِ الثَّاني مِن بابِ الذِّكرِ بعدَ الصَّلاةِ، قالَ في شرحِ قولِه ﷺ في هذا الحديثِ: فقد يَذكُر اللهَ مانصَّه، أي اسْتَمرَّ في مكانِه ومَسجِدِه الَّذي صلَّى فيه، فلا يُنافِيه القِيامُ لِطوافٍ، أو طلَبِ علمٍ، أو مَجلِسِ وَعْظٍ، بل وكذا لَو رَجَعَ إلى بيتِه، واسْتَمرَّ على الذِّكر - انتهى المَقصودُ مِنه، وفيه تَوْسِعَةٌ على العُبَّادِ في تَحْصيلِ هذا الثَّوابِ، ورَحمَةُ اللهِ أَوْسَع - انتهى مارَأَيْتُهُ في الهامِش.

﴿قلتُ﴾ وتَقَدَّم هنا فيه جوابٌ في ذٰلك لِسيِّدِنا الحبيبِ القُطب عبدالله، فانظُرْهُ هنا في الكِتابِ. وقد صَرَّحَ بِحُصولِ الثَّوابِ مع الاِنْتِقال ولو إلى غيرِ المَسجِدِ الإمامُ السُّهْرَوَرْدِي في كتابِه [عوارف المعارف] - انتهى. وقالَ الإمامُ الغَزاليُّ في [البِداية]: ولا تَتَكَلَّمْ قبلَ طُلوعِ الشَّمسِ! ففي الخَبرِ أنَّ ذلك أَفْضَلُ مِن إعْتَاقِ ثَماني رِقابٍ مِن وَلَدِ إسمٰعيل، عليه السَّلام، أَعْني الاِشْتِغالَ بِالذِّكرِ إلى طُلوعِ الشَّمسِ مِن غيرِ أنْ يَتَخَلَّلَهُ كلَام - انتهى. ﴿قلتُ﴾ هذا الفَضلُ لِمَن ذَكَرَ اللهَ تعالى، ولَو بِذِكْرٍ غيرِ وارِدٍ. وأمَّا فضلُ الوارِدَةِ وما جاءَ فيه، فهو له مع هذا الفضلِ إنْ جاءَ بِالوارِد.

[الورد الكبير]

والآن نَشْرَعُ في [الوِرد الكبير] لِسيِّدِنا، فنَقولُ: قال مُؤَلِّفُه، رضِيَ اللهُ عنه، ونفَعَ به: جَمَعْنَا قبلَ ذلك نُبذَةً مُخْتَصرَةً في أَذْكارِ الصَّباحِ والمَساءِ، وهذا الوِردُ أَوْسَعُ وأَجْمَعُ مِنها، وقد جَمَعْناهما مِن الكُتُبِ المُعْتَمَدةِ، كما يَعْرِفُ ذلك مَن له مَعرِفَةٌ بها. ويَنْبَغي أنْ يَجعَلَ القارِئُ بَدَلَ الصَّباحِ المَساءَ، وبَدَلَ النُّشُورِ المَصيرَ، وبَدَلَ اليومِ اللَّيلَةَ، ويُؤَنِّث الضَّميرَ، ولا حَرَجَ أنْ يَبدَأَ فيه بِالآياتِ القُرآنِيَّةِ أَوَّلًا، بِقولِه «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ - وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ»، وبِقَولِه «بِسْمِ اللهِ عَلَى نَفْسي»، وكُلُّ ذٰلِك واسِعٌ. ومَهْمَا خافَ مِن طُلوعِ الشَّمسِ أو غُروبِها قبلَ بُلوغِه فيه إلى المُسَبِّعـاتِ، فَلْيَقرَأْها أَوَّلًا، لأنَّها تَفوتُ بِالطُّلوعِ والغُروبِ عندَ بعضِ العُلماءِ، ومَحلُّها آخِرُ هذا

الورد. فإنْ أَمْكَنَهُ المُواظَبَةُ على هذا الورِدِ صَباحًا ومَساءً، وإلَّا فَلْيَجعَلْ هذا صباحًا، والنُّبذَةَ المُخْتَصرة مَساءً، وفيه أَذْكارٌ لم تَرِدْ صَباحًا ومَساءً، وهي اليَسيرُ، وحَسْبُنَا اللهُ ونِعْمَ الوَكِيل - انتهى.

وكانَ الفَراغُ مِن إمْلائِهِ يومَ الأحدِ، الثالِثَ والعِشرين مِن شهرِ شَوَّالٍ، سنَةَ ١١١٧ (سبعَ عَشْرَةَ ومِائَةٍ وأَلْفٍ).

قالَ رضيَ اللهُ عنه:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم

قُلْ هُوَ اللهُ أَحَد. اللهُ الصَّمَد. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَد. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُؤًا أَحَد. - (ثلاثًا)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَق. مِنْ شَرِّ مَاخَلَق. وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَب. وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي العُقَد. وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَد. - (ثلاثًا)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاس. مَلِكِ النَّاس. إِلٰهِ النَّاس. مِنْ شَرِّ الوَسْوَاسِ الخَنَّاس. الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاس. مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاس. - (ثلاثًا)

رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِين، وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُون - (ثلاثًا)

أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَاتُرْجَعُون. فَتَعَالَى اللهُ المَلِكُ الحَقُّ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ العَرْشِ الكَرِيم. وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ، فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ، إِنَّهُ لَايُفْلِحُ الكَافِرُون. وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِين. فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُون. وَلَهُ الحَمْدُ فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُون. يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ، وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ، وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذٰلِكَ تُخْرَجُون.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم

وَالصَّافَّاتِ صَفًّا. فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا. فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا. إِنَّ إِلٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ، رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ المَشَارِق. إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الكَوَاكِب. وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِد. لاَيَسَّمَّعُونَ إِلَى المَلإِ الأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِب. دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِب. إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِب. فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا، أَمْ مَنْ خَلَقْنَا، إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لاَزِب.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم

حٓم. تَنْزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللهِ العَزِيزِ العَلِيم. غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ العِقَابِ ذِي الطَّوْلِ، لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ المَصِير. اَللهُ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ، لاَتَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ، لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ، مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِه، يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ، وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُدُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيم.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم

سَبَّحَ لِلهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيم. لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير. هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ، وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم. هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ، يَعْلَمُ مَايَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ، وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِير. لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُور. يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ، وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ، وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور.

أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ العَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم. - (ثلاثًا)

ثُمَّ يَسْكُتُ قَلِيلاً، وَيَنْبَغِي أَنْ يَقْرَأَ فِي هذه السَّكْتَةِ:

لَوْ أَنْزَلْنَا هٰذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُون. هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيم. هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلَامُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ، سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُون. هُوَ اللهُ الخَالِقُ البَارِيءُ المُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى، يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ، وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيم. سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي العَالَمِين. إِنَّا كَذٰلِكَ نَجْزِي المُحْسِنِين. إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا المُؤْمِنِين.

قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا، هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنُون. وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُو، وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ، يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم. وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِين. إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ، مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم. وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا، اللهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ، وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيم. وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ، قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّه، أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِه، قُلْ حَسْبِيَ اللهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ المُتَوَكِّلُون. وَلَا يَؤُدُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيم. فَاللهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِين. لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ الله. إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون. وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيم. وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِد. وَحِفْظًا ذٰلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيم. إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيد. إِنَّهُ هُوَ يُبْدِيءُ وَيُعِيد. وَهُوَ الغَفُورُ الوَدُود. ذُو العَرْشِ المَجِيد. فَعَّالٌ لِمَا يُرِيد. هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الجُنُود. فِرْعَوْنَ وَثَمُود. بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيب. وَاللهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيط. بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيد. فِي لَوْحٍ مَحْفُوظ.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم

اَلْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ، ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُون. هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ، ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ، ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُون. وَهُوَ اللهُ فِي السَّمٰوَاتِ وَفِي الأَرْضِ، يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَاتَكْسِبُون. لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيم. فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيم. ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الحَقِّ ظَنَّ الجَاهِلِيَّةِ، يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ، قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلهِ، يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَايُبْدُونَ لَكَ، يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَاقُتِلْنَا هٰهُنَا، قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ القِتَالُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ، وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور.

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ، تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا، سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ، ذٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ، كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ، وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا. يَامَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ فَانْفُذُوا، لَاتَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَان. فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان. يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَان. فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان.

اللهُ نُورُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ، مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ، المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ، الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ، يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ، نُورٌ عَلَى نُورٍ، يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ، وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ، وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم.

وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَايَحْتَسِبُ، وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ، إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ، قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا. - (سبعًا)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم. لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيم. حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيل، إِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون. وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُون. مَاشَاءَ اللهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله. آمَنْتُ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّه. أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَاشَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُه.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِنِّي أَصْبَحْتُ أُشْهِدُكَ وَأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ وَمَلَائِكَتَكَ وَجَمِيعَ خَلْقِكَ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَه، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُك. أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الإِسْلَام، وَكَلِمَةِ الإِخْلَاص، وَعَلَى دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وَعَلَى مِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِين.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَى، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ النُّشُور. أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِله، وَالحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العَالَمِين.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ هٰذَا اليَوْمِ فَتْحَهُ وَنَصْرَهُ وَنُورَهُ وَبَرَكَتَهُ وَهُدَاه. نَسْأَلُكَ خَيْرَهُ وَخَيْرَ مَا قَبْلَهُ، وَخَيْرَ مَا فِيهِ وَخَيْرَ مَا بَعْدَه. وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا فِيه، وَشَرِّ مَا قَبْلَهُ وَشَرِّ مَا بَعْدَه. أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلهِ الوَاحِدِ القَهَّار. وَالحَمْدُ لِلهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَاشَرِيكَ لَه، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير. نَسْأَلُكَ خَيْرَ هٰذَا اليَوْمِ وَخَيْرَ مَا بَعْدَه، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا بَعْدَه. رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الكَسَلِ وَسُوءِ الكِبَر. رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ وَمِنْ عَذَابِ القَبْر.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ مَاأَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ، فَمِنْكَ وَحْدَكَ لَاشَرِيكَ لَكَ، فَلَكَ الحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْر. أَسْأَلُكَ أَنْ تَبْعَثَنِي فِي هٰذَا اليَوْمِ إِلَى كُلِّ خَيْر، أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَجْتَرِحَ فِيهِ سُوءًا، أَوْ أَجُرَّهُ إِلَى مُسْلِم. أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلهِ عَزَّ وَجَلَّ.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ اجْعَلْ أَوَّلَ يَوْمِنَا هٰذَا صَلَاحًا، وَأَوْسَطَهُ نَجَاحًا، وَآخِرَهُ فَلَاحًا.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ اجْعَلْ أَوَّلَهُ رَحْمَةً، وَأَوْسَطَهُ نِعْمَةً، وَآخِرَهُ تَكْرِمَةً.

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِي تَوَاضَعَ كُلُّ شَيْءٍ لِعَظَمَتِه، وَذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لِعِزَّتِه، وَخَضَعَ كُلُّ شَيْءٍ لِمُلْكِه، وَاسْتَسْلَمَ كُلُّ شَيْءٍ لِقُدْرَتِه. الحَمْدُ للهِ الَّذِي سَكَنَ كُلُّ شَيْءٍ لِهَيْبَتِه، وَأَظْهَرَ كُلَّ شَيْءٍ بِحِكْمَتِه، وَتَصَاغَرَ كُلُّ شَيْءٍ لِكِبْرِيَائِه.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ أَعِنِّي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرِ الهُدَى لِي، وَاجْعَلْنِي لَكَ شَكَّارًا ذَكَّارًا لَكَ، مِطْوَاعًا إِلَيْكَ، مُخْبِتًا مُنِيبًا.

رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِك، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِك، وَجَمِيعِ سَخَطِك، وَمِنْ مُنْكَرَاتِ الأَخْلَاقِ وَالأَعْمَالِ وَالأَهْوَالِ وَالأَدْوَاءِ وَالأَسْوَاءِ، مِنَ الشِّقَاقِ وَالنِّفَاق، وَسُوءِ الأَخْلَاق، وَضِيقِ الأَرْزَاق، وَمِنَ السُّمْعَةِ وَالرِّيَاء، وَالجُنُونِ وَالجُذَام، وَالبَرَصِ وَسَيِّءِ الأَسْقَام.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ ارْفَعْنِي وَلَا تَضَعْنِي، وَادْفَعْ عَنِّي وَلَا تَدْفَعْنِي، وَأَعْطِنِي وَلَا تَحْرِمْنِي، وَزِدْنِي وَلَا تَنْقُصْنِي، وَأَكْرِمْنِي وَلَا تُهِنِّي، وَارْحَمْنِي وَلَا تُعَذِّبْنِي، وَانْصُرْنِي وَلَا تَخْذُلْنِي، وَاسْتُرْنِي وَلَا تَفْضَحْنِي، وَآثِرْنِي وَلَا تُؤْثِرْ عَلَيَّ، وَاحْفَظْنِي وَلَا تُضَيِّعْنِي، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ مَاقَدَّرْتَ لِي مِنْ أَمْرٍ، وَشَرَعْتُ فِيهِ بِتَوْفِيقِكَ وَتَيْسِيرِكَ، فَأَتِمَّهُ لِي بِأَحْسَنِ الوُجُوهِ كُلِّهَا وَأَصْلَحِهَا وَأَجْمَلِهَا وَأَصْوَبِهَا، إِنَّكَ عَلَى مَاتَشَاءُ قَدِير، وَبِالإِجَابَةِ جَدِير، يَا مَنْ قَامَتِ السَّمٰوَاتُ وَالأَرضُونَ بِأَمْرِه، يَا مَنْ يُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِه، يَا مَنْ أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُون، فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ

شيْءٍ وَإِلَيهِ تُرْجَعُون، لَبَّيكَ لَبَّيك رَبِّي وَسَعْدَيك، وَالخَيْرُ كُلُّه بِيَدَيك، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيك، إِنَّا بِكَ وَإِلَيك، تَبارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيك.

﴿اللَّهُمَّ﴾ مَا قُلْتُ مِنْ قَوْلٍ، أَوْ حَلَفْتُ مِنْ حَلِفٍ، أَوْ نَذَرْتُ مِنْ نَذْرٍ، فَمَشِيئَتُكَ بَيْنَ يَدَيَّ ذٰلِكَ كُلِّهِ مَاشِئْتَ كَانَ وَمَا لَمْ تَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير.

﴿اللَّهُمَّ﴾ مَاصَلَّيتُ مِنْ صَلَاةٍ فَعَلَى مَنْ صَلَّيْتَ، وَمَا لَعَنْتُ مِنْ لَعْنٍ فَعَلَى مَنْ لَعَنْتَ، أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة، تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِين.

﴿اللَّهُمَّ﴾ إِنِّي أَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ القَضَاء، وَبَرْدَ العَيْشِ بَعْدَ المَوْت، وَلَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِك، وَشَوْقًا إِلَى لِقَائِك، فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّة، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّة، أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَم، أَوْ أَكْسِبَ خَطِيئَةً مُخْطِئَة، أَوْ ذَنْبًا لَاتَغْفِرُه.

﴿اللَّهُمَّ﴾ فَاطِرَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْض، عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَة، يَاذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَام، فَإِنِّي أَعْهَدُ إِلَيكَ فِي هٰذِهِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَأُشْهِدُكَ وَكَفَى بِكَ شَهِيدًا، أَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَاشَرِيكَ لَك، لَكَ المُلْكُ وَلَكَ الحَمْد، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُك، وَأَنَّ وَعْدَكَ حَقّ، وَلِقَاءَكَ حَقّ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، وَأَنَّكَ تَبْعَثُ مَنْ فِي القُبُور، وَأَنَّكَ إِنْ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي تَكِلْنِي إِلَى ضُعْفٍ وَعَوْرَة، وَذَنْبٍ وَخَطِيئَة، وَأَنِّي لَاأُوثِقُ إِلَّا بِرَحْمَتِك، فَاغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيم.

﴿اللَّهُمَّ﴾ أَنْتَ أَحَقُّ مَنْ ذُكِر، وَأَحَقُّ مَنْ عُبِد، وَأَعْظَمُ مَنِ ابْتُغِيَ، وَأَرْأَفُ مَنْ مَلَكَ، وَأَجْوَدُ مَنْ سُئِل، وَأَوْسَعُ مَنْ أَعْطَى، أَنْتَ المَلِكُ لَاشَرِيكَ لَك، وَالفَرْدُ لَانِدَّ لَك، كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَك، لَنْ تُطَاعَ إِلَّا بِإِذْنِك، وَلَا تُعْصَى إِلَّا بِعِلْمِك، تُطَاعُ فَتَشْكُر، وَتُعْصَى فَتَغْفِر، أَقْرَبُ شَهِيد، وَأَدْنَى حَفِيظ، حُلْتَ دُونَ النُّفُوس، وَأَخَذْتَ بِالنَّوَاصِي، وَكَتَبْتَ الآثَار، وَنَسَخْتَ الآجَال، القُلُوبُ لَكَ مُفْضِيَة، وَالسِّرُّ عِنْدَكَ عَلَانِيَة،

الحَلالُ ماأَحْلَلْتَ، وَالحَرَامُ مَاحَرَّمْتَ، وَالدِّينُ مَاشَرَعْتَ، وَالأَمْرُ مَاقَضَيتَ، وَالخَلْقُ خَلْقُكَ، وَالعَبْدُ عَبْدُكَ، وَأَنْتَ اللهُ الرَّءُوفُ الرَّحِيم، أَسْأَلُكَ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ بِهِ السَّمٰوَاتُ وَالأَرْض، وَبِكُلِّ حَقٍّ هُوَ لَك، وَبِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيك، أَنْ تَقْبَلَنِي فِي هٰذِهِ الغَدَاة، وَأَنْ تُجِيرَنِي مِنَ النَّار.

﴿فاتحة فتح البصائر﴾

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

[الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين]، حَمْدًا يَفُوقُ وَيَفْضُلُ وَيَعْلُو، حَمْدَ الحَامِدِين، حَمْدًا يَكُونُ لَنَا رِضًا وَذُخْرًا عِنْدَ رَبِّ العَالَمِين.

[الرَّحْمَنِ الرَّحِيم]، الَّذِي دَحَا الأَقَالِيم، وَاخْتَصَّ مُوْسَى كَلِيم، وَأَحْيَى العِظَامَ وَهِيَ رَمِيم، وَسَمَّى نَفْسَهُ الرَّحْمَنَ الرَّحِيم، وَهُمَا اسْمَانِ كَرِيمَانِ عَظِيمَانِ شِفَاءٌ لِكُلِّ سَقِيم، وَغنَاءٌ لِكُلِّ عَدِيم.

[مَالِكِ يَوْمِ الدِّين]، لَيْسَ لَكَ فِي مُلْكِكَ مُنَازِعٌ وَلاَ قَرِين، وَلاَ نَصِيرٌ وَلاَ مُعِين، بَلْ كُنْتَ قَبْلَ وُجُودِ العَالَمِين أَجْمَعِين، أَنْتَ إِحَاطَتُنَا مِنْ جَمِيعِ الشَّيَاطِين، وَسَطَوَاتِ السَّلاَطِين، وَعَوْنُنَا عَلَى الأَقْرَبِينَ وَالأَبْعَدِين، وَوِجْهَتُنَا إِلَى الأَجْنَاسِ المُخْتَلِفِين.

[إِيَّاكَ نَعْبُدُ]، نَعْبُدُكَ بِالإِقْرَار، وَنَعْتَرِفُ بِالتَّقْصِير، وَنَخْجَلُ مِنَ الذُّنُوب، وَنَسْتَغْفِرُكَ، وَنَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ يَاذَا الجَلاَلِ وَالإِكْرَام.

[وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ]، نَسْتَعِينُ بِاللهِ عَلَى كُلِّ حَاجَةٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالدِّين، اَللَّهُمَّ يَا هَادِيَ المُضِلِّين، لاَهَادِيَ لَهُمْ غَيْرُك.

[اِهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ. صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيهِمْ]، مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِين، وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِين، وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا، ذَلِكَ الفَضْلُ مِنَ اللهِ وَكَفَى بِاللهِ عَلِيمًا.

[غَيْر المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ - آمِين]، سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِه، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيم، لاَ إِلَهَ إِلَّا الله.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ ثَبِّتْ عِلْمَهَا فِي قَلْبِي، وَاغْفِرْ لِي ذَنْبِي، وَاغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَات، وَقُلِ الحَمْدُ للهِ وَسَلاَمٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ كُنْ بِنَا رَءُوفًا، وَعَلَيْنَا عَطُوفًا، وَخُذْ بِأَيْدِينَا إِلَيكَ أَخْذَ الكِرَامِ عَلَيك، قَوِّمْنَا إِذَا اعْوَجَجْنَا، وَأَعِنَّا إِذَا اسْتَقَمْنَا، وَخُذْ بِأَيْدِينَا إِذَا عَثَرْنَا، وَكُنْ لَنَا حَيْثُ مَاكُنَّا.

بِسْمِ اللهِ عَلَى نَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي. بِسْمِ اللهِ عَلَى دِينِي وَنَفْسِي وَأَهْلِي وَوَلَدِي وَمَالِي. رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا وَرَسُولاً.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فُجَاءَةِ الخَيْر، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فُجَاءَةِ الشَّرّ.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَأَسْأَلُكَ رِزْقًا طَيِّبًا، وَأَسْأَلُكَ عَمَلاً مُتَقَبَّلاً.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِنِّي أَسْتَوْدِعُكَ دِينِي وَأَهْلِي وَأَولاَدِي وَجَمِيعَ مَاأَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيَّ. أَسْتَوْدِعُ اللهَ دِينِي وَأَمَانَتِي وَخَوَاتِمَ عَمَلِي.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي، وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَااسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَاصَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَيَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِنِّي أَعُوذُ بِوَجْهِكَ الكَرِيم، وَبِكَلِمَاتِكَ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِه.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ أَنْتَ تَكْشِفُ المَأْثَمَ وَالمَغْرَم.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ لاَيُهْزَمُ جُنْدُك، وَلاَ يُخْلَفُ وَعْدُك، وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدّ، سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِك.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَن، وَأَعُوذُ بِكَ مِن العَجْزِ وَالكَسَل، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُبْنِ وَالبُخْل، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّينِ وَقَهْرِ الرِّجَال. - (ثلاثًا)

أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَق. - (ثلاثًا)

بِسْمِ اللهِ الَّذِي لَايَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَمِيعُ العَلِيم. - (ثلاثًا)

﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الكُفْرِ وَالفَقْرِ وَعَذَابِ القَبْرِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ. - (ثلاثًا)

﴿اَللَّهُمَّ﴾ عَافِنِي فِي بَدَنِي. اَللَّهُمَّ عَافِنِي فِي سَمْعِي. اَللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَصَرِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ. - (ثلاثًا)

﴿اَللَّهُمَّ﴾ أَنْتَ رَبِّي لَا شَرِيكَ لَكَ. - (ثلاثًا)

أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ المُلْكُ لِلهِ وَحْدَهُ لَاشَرِيكَ لَه. - (ثلاثًا)

﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِنِّي أَصْبَحْتُ مِنْكَ فِي نِعْمَةٍ وَعَافِيَةٍ وَسِتْرٍ، فَأَتِمَّ نِعْمَتَكَ عَلَيَّ وَعَافِيَتَكَ وَسِتْرَكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة. - (ثلاثًا)

﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِنِّي أَصْبَحْتُ أُشْهِدُكَ وَأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ وَمَلَائِكَتَكَ وَجَمِيعَ خَلْقِكَ، أَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَاشَرِيكَ لَكَ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ. - (أَرْبعًا)

رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا. - (ثلاثًا)

الحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العَالَمِين، حَمْدًا يُوَافِي نِعَمَهُ وَيُكَافِيءُ مَزِيدَه. - (ثلاثًا)

آمَنْتُ بِاللهِ العَظِيم، وَكَفَرْتُ بِالجِبْتِ وَالطَّاغُوت، وَاسْتَمْسَكْتُ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى لَاانْفِصَامَ لَهَا، وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيم. - (ثلاثًا)

﴿اَللَّهُمَّ﴾ أَنْتَ خَلقْتَنِي وَأَنْتَ تَهْدِينِي، وَأَنْتَ تُطْعِمُنِي وَأَنْتَ تَسْقِينِي، وَأَنْتَ تُمِيتُنِي وَأَنْتَ تُحْيِينِي. - (سَبْعًا)

حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيم. - (سَبْعًا)

يَاحَيُّ يَاقَيُّوم، بِكَ أَسْتَغِيث، لَاتَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ. - (ثَلَاثًا)

حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيل. - (ثَلَاثًا)

مَاشَاءَ اللهُ لَاقُوَّةَ إِلَّا بِالله. - (ثَلَاثًا)

﴿اَللَّهُمَّ﴾ أَصْلِحْ أُمَّةَ أَحْمَد. اَللَّهُمَّ ارْحَمْ أُمَّةَ أَحْمَد. اَللَّهُمَّ فَرِّجْ عَنْ أُمَّةِ أَحْمَد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم. - (ثَلَاثًا)

﴿اَللَّهُمَّ﴾ أَكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاك. - (ثَلَاثًا)

يَالَطِيفًا بِخَلْقِه، يَاعَلِيمًا بِخَلْقِه، يَاخَبِيرًا بِخَلْقِه، أُلْطُفْ بِنَا يَالَطِيف يَاعَلِيم يَاقَدِير. (ثَلَاثًا)

﴿اَللَّهُمَّ﴾ خَلِّصْنِي مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ نَزَلَتْ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْض. - (ثَلَاثًا)

﴿اَللَّهُمَّ﴾ اجْعَلْ لِي سَهْمًا فِي كُلِّ حَسَنَةٍ نَزَلَتْ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْض. - (ثَلَاثًا)

يَالَطِيفًا لَمْ تَزَلْ، أُلْطُفْ بِنَا فِيمَا نَزَل، إِنَّكَ لَطِيفٌ لَمْ تَزَلْ، أُلْطُفْ بِنَا وَالْمُسْلِمِين. - (ثَلَاثًا)

سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِه، مَا شَاءَ اللهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بَالله، أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير، وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ، عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَأَنْتَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيم، مَاشَاءَ اللهُ كَان، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيم. أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير، وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم. لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَه، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ أَلْهِمْنِي رُشْدِي، وَأَعِذْنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي، حَسْبِيَ اللهُ وَكَفَى، سَمِعَ اللهُ لِمَنْ دَعَا، لَيْسَ وَرَاءَ اللهِ مُنْتَهَى، وَلَا دُونَ اللهِ مَلْجَأً، كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي، إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيز.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ الصَّبَاحِ وَخَيْرَ الْمَسَاء، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ الْمَسَاءِ وَشَرِّ الْقَضَاءِ وَشَرِّ الْقَدَر.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ فَاطِرَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَة، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَه، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِه، وَأَنْ نَقْتَرِفَ سُوءًا عَلَى أَنْفُسِنَا أَوْ نَجُرَّهُ إِلَى مُسْلِم.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ وَالْمُعَافَاةَ الدَّائِمَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي وَمِنْ فَوْقِي وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ لَا تُأْمِنِّي مَكْرَك، وَلَا تُوَلِّنِي غَيْرَك، وَلَا تَرْفَعْ عَنِّي سِتْرَك، وَلَا تُنْسِنِي ذِكْرَك، وَلَا تَجْعَلْنِي مِنَ الْغَافِلِين.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِنِّي أَسْأَلُكَ صِحَّةً فِي إِيمَان، وَإِيمَانًا فِي حُسْنِ خُلُق، وَنَجَاحًا يَتْبَعُهُ فَلَاح، وَرَحْمَةً مِنْكَ وَعَافِيَة، وَمَغْفِرَةً مِنْكَ وَرِضْوَانًا. أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّة، مِنْ كُلِّ

شَيْطَانٍ وَهَامَّة، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّة. أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِه، وَشَرِّ عِبَادِه، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَحْضُرُون.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ رَبَّ السَّمٰوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَلْنَ، وَرَبَّ الأَرَضِينَ السَّبْعِ وَمَا أَقْلَلْنَ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَاأَضَلَّتْ، كُنْ لِي وَلِكَافَّةِ أَهْلِ بَيْتِي وَأَوْلَادِي جارًا مِنْ شَرِّ خَلْقِكَ كُلِّهِمْ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَحَدٌ مِنْهُمْ وَأَنْ يَبْغِيَ، عَزَّ جَارُك، وَجَلَّ ثَنَاؤُك، وَلَا إِلَهَ غَيْرُك.

حَصَّنْتُ نَفْسِي وَإِيَّاهُمْ أَجْمَعِينَ بِالحَيِّ القَيُّومِ الَّذِي لَايَمُوت، وَدَفَعْتُ عَنِّي وَعَنْهُمُ السُّوءَ بِلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيم.

يَاكهيعص، نَعُوذُ بِكَ مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي تُوجِبُ النِّقَم، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي تُغَيِّرُ النِّعَم، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي تَهْتِكُ العِصَم، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي تَمْنَعُ غَيْثَ السَّمَاء، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي تُذِلُّ الأَعِزَّاء، وَتُدِيلُ الأَعْدَاء.

بِسْمِ اللهِ مَا شَاءَ اللهُ لَاقُوَّةَ إِلَّا بِالله، بِسْمِ اللهِ وَبِاللهِ لَاحَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله، بِسْمِ اللهِ مَاشَاءَ اللهُ لَاقُوَّةَ إِلَّا بِالله. مَاشَاءَ اللهُ كُلُّ نِعْمَةٍ مِنَ الله، مَاشَاءَ اللهُ الْخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدِ الله، مَاشَاءَ اللهُ لَايَصْرِفُ السُّوءَ إِلَّا الله. – (ثَلَاثًا)

﴿اَللَّهُمَّ﴾ احْرُسْنِي بِعَيْنِكَ الَّتِي لَاتَنَام، وَاحْفَظْنِي بِرُكْنِكَ الَّذِي لَايُرَام، وَارْحَمْنِي بِقُدْرَتِكِ عَلَيَّ، فَلَا تُهْلِكْنِي وَأَنْتَ ثِقَتِي وَرَجَائِي.

حَسْبِيَ اللهُ تَبَارَكَ لِدِينِي، حَسْبِيَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِدُنْيَايَ، حَسْبِيَ اللهُ الكَرِيمُ العَظِيمُ لِمَا أَهَمَّنِي، حَسْبِيَ اللهُ الحَلِيمُ القَوِيُّ لِمَنْ بَغَى عَلَيَّ، حَسْبِيَ اللهُ الشَّدِيدُ لِمَنْ كَادَنِي بِسُوء، حَسْبِيَ اللهُ الرَّحِيمُ عِنْدَ المَوْت، حَسْبِيَ اللهُ الرَّءُوفُ عِنْدَ المَسْأَلَة، حَسْبِيَ اللهُ الكَرِيمُ عِنْدَ الحِسَاب، حَسْبِيَ اللهُ اللَّطِيفُ عِنْدَ المِيزَان، حَسْبِيَ اللهُ القَدِيرُ عِنْدَ الصِّرَاط، حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيم. (وفِي رِوَايَةٍ مَرَّةً، وفي بَعضِ النُّسَخِ يَأْتِي بِهَا سَبْعَ مَرَّات)

﴿اَللَّهُمَّ﴾ اغْفِرْ لِأُمَّةِ مُحَمَّد. اَللَّهُمَّ ارْحَمْ أُمَّةَ مُحَمَّد. اَللَّهُمَّ اسْتُرْ أُمَّةَ مُحَمَّد. اَللَّهُمَّ اجْبُرْ أُمَّةَ مُحَمَّد.

سُبْحَانَ ذِي المُلْكِ وَالمَلَكُوت، سُبْحَانَ ذِي العِزَّةِ وَالجَبَرُوت، سُبْحَانَ الحَيِّ الَّذِي لَايَمُوت، سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ المَلَائِكَةِ وَالرُّوح.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ قَبْلَ كُلِّ شَيْء، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ بَعْدَ كُلِّ شَيْء، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبْقَى رَبُّنَا وَيَفْنَى كُلُّ شَيْء.

اللهُ أَكْبَرُ قَبْلَ كُلِّ شَيْء، اللهُ أَكْبَرُ بَعْدَ كُلِّ شَيْء، اللهُ أَكْبَرُ يَبْقَى رَبُّنَا وَيَفْنَى كُلُّ شَيْء.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَر، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَاشَرِيكَ لَه، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْد، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ اِبْنُ أَمَتِكَ فِي قَبْضَتِك، نَاصِيَتِي بِيَدِك، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُك، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُك، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَك، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِك، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِك، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَك، أَنْ تَجْعَلَ القُرْآنَ العَظِيمَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ بَصَرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي وَغَمِّي. يَارَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلَالِ وَجْهِك، وَعَظِيمِ سُلْطَانِك.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ اجْعَلْ لِي مِنْ كُلِّ هَمٍّ وَغَمٍّ، أَصْبَحْتُ (أَوْ أَمْسَيْتُ) فِيهِ فَرَجًا وَمَخْرَجًا، وَارْزُقْنِي مِنْ حَيْثُ لَا أَحْتَسِب. - (ثلاثًا)

﴿اَللَّهُمَّ﴾ لَكَ الحَمْدُ عَدَدَ عَفْوِكَ عَنْ خَلْقِك.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ كَمَا لَطَفْتَ بِلُطْفِكَ وَعَظَمَتِكَ دُونَ اللُّطَفَاء، وَعَلَوْتَ بِعَظَمَتِكَ عَلَى العُظَمَاء، وَعَلِمْتَ مَا تَحْتَ أَرْضِكَ كَعِلْمِكَ بِمَا فَوْقَ عَرْشِك، وَكَانَتْ وَسَاوِسُ الصَّدْرِ كَالعَلَانِيَةِ عِنْدَك، وَعَلَانِيَةُ القَوْلِ كَالسِّرِّ فِي عِلْمِك، وَانْقَادَ كُلُّ شَيْءٍ لِعَظَمَتِك، وَخَضَعَ

كُلُّ ذِي سُلْطَانٍ لِسُلْطَانِك، وَصارَ أَمْرُ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ كُلُّهُ بِيَدِك، فَاجْعَلْ لِي مِنْ كُلِّ هَمٍّ وَغَمٍّ أَصْبَحْتُ وَأَمْسَيْتُ فِيهِ فَرَجًا وَمَخْرَجًا.

اَللّٰهُمَّ إنَّ عَفْوَكَ عَنْ ذُنُوبِي، وَتَجَاوُزَكَ عَنْ خَطِيئَتِي، وَسِتْرَكَ عَلَى قَبِيحِ عَمَلِي، أَطْمَعَنِي أَنْ أَسْأَلَكَ مَالاَ أَسْتَوْجِبُهُ مِمَّا قَصَّرْتُ فِيه. أَدْعُوكَ آمِنًا، وَأَسْأَلُكَ مُسْتَأْنِسًا، فَإِنَّكَ الْمُحْسِنُ إلَيَّ وَإِنِّي المُسِيءُ إلَى نَفْسِي فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَك، تَتَوَدَّدُ إلَيَّ بِالنِّعَم، وَأَتَبَغَّضُ إلَيْكَ بِالمَعَاصِي، وَلٰكِنِ الثِّقَةُ بِكَ حَمَلَتْنِي عَلَى الجُرْأَةِ عَلَيْك، فَعُدْ بِفَضْلِكَ وَإِحْسَانِكَ عَلَيَّ، إنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيم.

﴿اَللّٰهُمَّ﴾ اقْذِفْ فِي قَلْبِي رَجَاءَك، وَاقْطَعْ رَجَائِي عَمَّنْ سِوَاكَ حَتَّى لاَ أَرْجُوَ أَحَدًا غَيْرَك.

﴿اَللّٰهُمَّ﴾ مَا ضَعُفَتْ عَنْهُ قُوَّتِي، وَقَصُرَ عَنْهُ عَمَلِي، وَلَمْ تَنْتَهِ إلَيْهِ رَغْبَتِي، وَلَمْ تَبْلُغْهُ مَسْأَلَتِي، وَلَمْ يَجْرِ عَلَى لِسَانِي مِمَّا أَعْطَيْتَهُ أَحَدًا مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ مِنَ اليَقِينِ، فَخُصَّنِي بِهِ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِين.

﴿اَللّٰهُمَّ﴾ أَصْلِحِ الإِمَامَ وَالأُمَّة، وَالرَّاعِيَ وَالرَّعِيَّة، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ فِي الخَيْر، وَادْفَعْ شَرَّ بَعْضِهِمْ عَنْ بَعْض.

﴿اَللّٰهُمَّ﴾ أَنْتَ العَالِمُ بِسَرَائِرِنَا فَأَصْلِحْهَا، وَأَنْتَ العَالِمُ بِذُنُوبِنَا فَاغْفِرْهَا، وَأَنْتَ العَالِمُ بِعُيُوبِنَا فَاسْتُرْهَا، وَأَنْتَ العَالِمُ بِحَوَائِجِنَا فَاقْضِهَا، لاَ تَرَانَا حَيْثُ نَهَيْتَنَا، وَلاَ تَفْقِدُنَا حَيْثُ أَمَرْتَنَا، أَعِزَّنَا بِالطَّاعَة، وَلاَتُذِلَّنَا بِالْمَعْصِيَة، وَأَشْغِلْنَا بِكَ عَمَّنْ سِوَاك، وَاقْطَعْ عَنَّا كُلَّ قَاطِعٍ يَقْطَعُنَا عَنْك، لاَ إلٰهَ إلاَّ الله، مَا شَاءَ اللهُ لاَقُوَّةَ إلاَّ بِالله، لاَ تُحْيِنَا عَلَى غَفْلَة، وَلاَ تَأْخُذْنَا عَلَى غِرَّة، رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا، رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا، رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَطَاقَةَ لَنَا بِه، وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلاَنَا فَانْصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الكَافِرِين.

﴿اَللّٰهُمَّ﴾ أَطْلِقْ أَلْسِنَتَنَا بِذِكْرِك، وَطَهِّرْ قُلُوبَنَا عَمَّنْ سِوَاك، وَرَوِّحْ أَرْوَاحَنَا بِنَسِيمِ

قُرْبِك، وَامْلأْ أَسْرَارَنَا بِمَحَبَّتِك، وَاطْوِ ضَمَائِرَنَا بِنِيَّةِ الخَيْرِ لِلْعِبَادَة، وَاكْفِ أَنْفُسَنَا بِعِلْمِك، وَامْلأْ صُدُورَنَا بِتَعْظِيمِك، وَصَيِّرْ كُلِّيَتَنَا إِلَى جَنَابِك، وَحَسِّنْ أَسْرَارَنَا مَعَك، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَأْخُذُ مَا صَفَا وَيَدَعُ الكَدَر، وَيَعْرِفُ قَدْرَ العَافِيَةِ وَيَشْكُرُ عَلَيْهَا، وَيَرْضَى بِكَ رَبًّا وَكِيلاً، لِتَكُونَ لَهُ كَفِيلاً، وَوَفِّقْنَا لِتَعْظِيمِ عَظَمَتِك، وَارْزُقْنَا لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الكَرِيم، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ يَاذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَام.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِنَّ العِلْمَ عِنْدَكَ وَهُوَ مَحْجُوبٌ عَنِّي، وَلاَ أَعْلَمُ أَمْرًا فَأَخْتَارَهُ لِنَفْسِي، وَقَدْ فَوَّضْتُ إِلَيْكَ أَمْرِي، وَرَجَوْتُكَ لِفَاقَتِي وَفَقْرِي، فَأَرْشِدْنِي اللَّهُمَّ إِلَى أَحَبِّ الأُمُورِ إِلَيْك، وَأَرْضَاهَا عِنْدَك، وَأَحْمَدِهَا عَاقِبَةً لَدَيْكَ فِي خَيْرٍ وَعَافِيَة، إِنَّكَ تَفْعَلُ مَا تَشَاء، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ أَسْمِعْنَا خَيْرًا، وَأَطْلِعْنَا خَيْرًا، وَارْزُقْنَا اللَّهُمَّ العَافِيَة، وَاجْمَعْ قُلُوبَنَا عَلَى التَّقْوَى، وَوَفِّقْنَا لِمَنْ تُحِبُّ وَتَرْضَى. أَعْدَدْتُ لِكُلِّ هَوْلٍ أَلْقَاهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَلِكُلِّ هَمٍّ وَغَمٍّ مَا شَاءَ الله، وَلِكُلِّ نِعْمَةٍ اَلْحَمْدُ لله، وَلِكُلِّ رَخَاءٍ وَشِدَّةٍ اَلشُّكْرُ لِله، وَلِكُلِّ أُعْجُوبَةٍ سُبْحَانَ الله، وَلِكُلِّ ذَنْبٍ أَسْتَغْفِرُ الله، وَلِكُلِّ مُصِيبَةٍ إِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون، وَلِكُلِّ ضِيقٍ حَسْبِيَ الله، وَلِكُلِّ قَضَاءٍ وَقَدَرٍ تَوَكَّلْتُ عَلَى الله، وَلِكُلِّ طَاعَةٍ وَمَعْصِيَةٍ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله، وَلِكُلِّ حَرَكَةٍ وَسُكُونٍ بِسْمِ الله، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَاشَرِيكَ لَه، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوت، بِيَدِهِ الخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ المَلِكُ الحَقُّ المُبِين. – (عَشْرًا)

لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الوَاحِدُ القَهَّار، رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا العَزِيزُ الغَفَّار. – (عَشْرًا)

سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ لِلهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَر، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيم. – (عَشْرًا)

سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّنَا وَرَبُّ المَلاَئِكَةِ وَالرُّوح . - (عَشْرًا)

سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ وَبِحَمْدِه . - (عَشْرًا)

أَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ وَأَسْأَلُهُ التَّوْبَةَ وَالمَغْفِرَة . - (عَشْرًا)

﴿اللَّهُمَّ﴾ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدّ . (عَشْرًا)

بِسْمِ اللهِ الَّذِي لَايَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيم . - (عَشْرًا)

﴿اللَّهُمَّ﴾ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ . - (عَشْرًا)

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم﴾

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين . الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم . مَالِكِ يَوْمِ الدِّين . إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ . اِهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ . صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيهِمْ، غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ - آمِين . - (سَبْعًا)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم

قُلْ هُوَ اللهُ أَحَد . اللهُ الصَّمَد . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَد . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَد . - (سَبْعًا)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَق . مِنْ شَرِّ مَاخَلَق . وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَب . وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي العُقَد . وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَد . - (سَبْعًا)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاس . مَلِكِ النَّاس . إِلَهِ النَّاس . مِنْ شَرِّ الوَسْوَاسِ الخَنَّاس . الَّذِي

يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاس . مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاس . -　(سَبْعًا)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم

قُلْ يَاأَيُّهَا الكَافِرُون . لاَأَعْبُدُ مَاتَعْبُدُون . وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُد . وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُم . وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ . لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِين . -　(سَبْعًا)

اَللهُ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ ، لاَتَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ ، لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْض ، مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِه ، يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ ، وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُدُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيم . -　(سَبْعًا)

سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ لِلّٰهِ وَلاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَاللهُ أَكْبَر ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيم . -　(سَبْعًا)

﴿اَللّٰهُمَّ﴾ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ . -(سَبْعًا)

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ وَالمُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَات ، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَات ، إِنَّكَ مُجِيبُ الدَّعَوَات . -　(سَبْعًا)

﴿اَللّٰهُمَّ﴾ افْعَلْ بِي وَبِهِمْ عَاجِلاً وَآجِلاً فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَالآخِرَةِ مَاأَنْتَ لَهُ أَهْلٌ ، وَلاَ تَفْعَلْ بِنَا يَامَوْلاَنَا مَانَحْنُ لَهُ أَهْلٌ ، إِنَّكَ غَفُورٌ حَلِيم ، جَوَادٌ كَرِيم ، رَءُوفٌ رَحِيم . -
(سَبْعًا)

سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِه . -　(مِائَةَ مَرَّةٍ)

سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ وَبِحَمْدِه . -　(مِائَةَ مَرَّةٍ)

سُبْحَانَ اللهِ . -　(مِائَةَ مَرَّةٍ)

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ . -　(مِائَةَ مَرَّةٍ)

لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ . -　(مِائَةَ مَرَّةٍ)

اللهُ أكبَر. - (مِائَةَ مرَّةٍ)

لَا إلَهَ إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَاشَرِيكَ لَه، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير. - (فِي الصَّباحِ فقَطْ).

اِنْتَهى [الورد المُبارَك] بِحَمْدِه وعَوْنِه، وصلَّى اللهُ عَلَى سيِّدِنا مُحَمَّدٍ وعلَى آلِه وصَحْبِه وسلَّمَ علَيْهِم أَجْمَعِين، وعلَيْنا مَعَهم إلى يومِ الدِّين، وَالحَمْدُ للهِ ربِّ العالَمِين.

وهٰذه القَصِيدةُ لِبَعضِ السَّاداتِ بَني علَوِي، كانَ اللهُ لَه، قال: وقُلْتُ في مَدْحِ هذا الوِردِ الشَّرِيفِ على مَطلَعِ الزَّجَل:

بِسمِ الإلٰهِ أَبْتَدِي أوَّلًا * وَأَسْأَلُ اللهَ يَكْفِي الكَدَر
وأَسَلْ مِن اللهِ بِجاهِ الرَّسُول * تَفرِيجَ كُلِّ الكُرَبِ وَالعَسَر
ويُصلِح لِأَحْوال كُلِّ العَبِيد * باطِن وظاهِر عَظِيمَ القَدر
ومَن قد سَأَل فهُوَ يَسمَعُهُ * يَبْشِر بِخَيرٍ يُقِرُّ البَصَر
وبَعد حَمْدٍ لِربٍّ عَظِيم * واللهُ يَجْزِي لِمَن له شَكَر
رَفِيقَنا حَدَّادَنا المُرتَضَى * بِتَألِيف أَوْرادٍ هُنَّ الدُّرَر
ومَنَّ علَينا بِوِردٍ حَوَى * أَسْرار لِوِردٍ نَفْعُه ظَهَر
عن المُصطَفَى كِلْه يافِقَ * إلَّا اليَسِيرَ ارْتَضَتْهُ الفِكَر
لِفَتحِ البَصائِر فصَدْرًا أَخَذ * وسَيفِيْ غِرارٌ ونِعْمَ الغُرَر
واطْلَق أَلسِنَتَنا فهُوَ * دُعاءُ الرِّفاعِي إمامِ البَشَر
والعِلْمُ عندَك دُعاءُ الشَّعِث * وغيرُه قَلِيلًا وتَمَّ الخَبَر
وذِكرُ البِدايَة مَع غَيرِها * وسَبْعٍ لأُخرى ونِعْمَ الأُخَر
رواهُ ثِقاتٌ عن المُصْطَفَى * إبراهِيم تَيْمِي فعَنْهُ صَدَر
وغالِبُ ذا الوِردِ مَع فَضْلِهِ * لإِحْيا عُلومِ الدِّينِ انْتَشَر
فَهاكَ فَضائِل عن المُصْطَفَى * نَبِيٍّ رَسولٍ وخيرِ البَشَر

فَيا مَن قَراه بِصُبحٍ أو مساء * ومات ففِي عَدن له مُسْتَقَرّ
ولا يَدخلُ النَّار قارِئُ لَهُ * فهو حاجِي لَهُ مِن كُلِّ شرّ
ومالُهُ مُحَصَّنُ مِن سَرقَةٍ * ومِن كُلِّ سُو في الوَطَن والسَّفَر
والدَّينُ يُقضَى بلا مِحْنَةٍ * بِوَجْهِهِ إن غاب أو قد حَضَرَ
والرِّزقُ يَكثُرُ مِن حِلِّهِ * والدِّينُ يُحفَظ بِتِلك السُّوَر
ولا بَيت يُحْرِقْ ولا مَرْكَبٌ * يَغْرِق بِبَحرٍ يُكفِي الضَّرَر
ولا ضُرّ يَلْحَقُهُ مِن حَيَّةٍ * ولا عَقْرَبٍ أو أَذى مَن بَطِر
ويُمسي ويُصبِحُ في نِعْمَةٍ * تَدومُ دوامًا ومَن له نَظَر
ومِنه عليهِم كأَولادِهِ * حَضَرَوْا وغابُوا بِبَحرٍ وبَرّ
إذا رَادَ سُوءً عَدُوٌّ عَنيدٌ * كسُلطان شَيطان عنهُمُ قصر
وسَبعون ألفًا ملائِكَةً * تَحفَظُ قارِيهِ شرَّ القَدَر
والهَمّ والغَمّ هُو مُنتَزِح * وخَيرات تَتْرى ومِنها يُسَرّ
وجِسمٌ وسَمْعٌ معًا بَصَرٍ * في عافِيَة والبَدَن يَعتَمِر
وبالنُّور في القَلبِ مع وِجهَةٍ * لِقاريه سُبحانَ مُنشي الصُّوَر
فكَم مَنَّ بِالخَير في عاجِلٍ * وفي آجِلٍ والصُّحفُ تُنتَشَر
وكَم حَسناتٍ لِمَن قد قَراه * آلاف كَثْرَه فلا حَد حَصَر
ما كانَ في الوِردِ مِن بَركَةٍ * ولو كانَ عِلمُه عليهِ زَخَر
وكِتاب أَذكارٍ مَع غَيرِهِ * فَضائِل لِذا الوِرد مِثلُ القَمَر
أَتَيْنا بِبَعضٍ وأمَّا الكَثير * فَفِي الكُتبِ تُروَى مَع أَهلِ الفِكَر
فإنْ شِئتَ تَحظَى بِنَيلِ المُنَى * فَرَتِّب لِأَورادِ قُطبٍ ظَهَر
وفي حاوي القَرنِ جَدَّد لَنا * جاءَ بِهِ الجَدّ خيرُ البَشَر
وطالَتْ حياتُهُ مَع بَركَةٍ * فالعُمرُ فشَمَّ ح ياعُمَر
يَعني سِنينًا وح لا شَهَر * ومِن حينِ مَولِدِهِ مُشتَهَر

ونَـيْـفًـا وسِـتِّـينَ مِـن عُـمـرِهِ * سِنـينَ فهُـو قُـطْبٌ غَـوْثٌ حَضر
ولَـمَّـا مضَـتْ لـه ثـلاثُ سِـنِـينَ * مِـن عُـمـرِهِ ذاكَ كُـفَّ الـبَصَر
فـعَـوَّضَـهُ الله نِـعْـمَ الـعَـطَا * بِنُـورِ الـبَـصِيـرةِ خـيرِ الـبَصَر
ويَـنـظُر أمـامَـه ومَـن خَـلْفَـهُ * كـمُـعـجِـزَةِ الجَـدِّ خِيـرَة مُضَر
وإنْ شِئـتَ تَـنـظُر مَـنـاقِـبَـهُ * فخُذ غـايَـةَ القَصْدِ فيـهِ الـظَّفَـر
كِـتـابٌ عَـظيـمٌ مـعًـا كُـبرِهِ * مُـؤَلِّـفُـهُ بِـالـقُـصـورِ اعْـتَـذَر
ونَـسـأَل مِـن الله بِـجـاهِ الإمَـام * حَـدَّادِنـا سِـرُّه قـد غَـمَـر
نُـواظِـب عـلى كُـلِّ أورادِهِ * بِـليـلٍ وصُبـحٍ ووَقتِ الـسَّحَـر
وبعـدَ الفَـرائِضِ لِكُـلِّ الصَّـلاَة * وفي كُـلِّ حـالٍ بِـهِ قـد أَمَـر
وسَهِّـلْ علَـينـا قِـراةَ الجَمِـيـع * بِجـاهِ النَّبـيِّ الـرَّسـولِ الأَبَـر
صـلاةٌ مِـن الله وألـفَـا سَـلاَم * عـلَـيـه وآلِـه عَـدَّ المَـطَر
والـصَّـحـبِ جمـعًـا وأتـبـاعِـهِ * مَـع قـارِئٍ قـام يجلُو الـفِـكَـر
يُـرَتِّـبُ مِـفـتـاحَ سُـعـدٍ لَـهُ * ويُفلِح ويَـنجَـح بمـا قـد ضَمَـر
فـافْـهَم لِـذَا الاِسمِ في شَيخِنـا * واشْكُـر لَـهُ مِثـلَ مَن قـد شَكَـر
فـالله يجْـزِيـهِ خـيرَ الجَـزَا * بِجـاهِ النَّبِي والـصَّحـابِ الـغُـرَر
عسى الله يُـبـارِك في نَـسْـلِهِ * كـذلِـكَ نـاظِـمُ هـذِي الـدُّرَر
ومَـن رَتَّـبَ الـوِرد حقِّ الحَـبِـيب * ومَـن لَـهُ كَـتَـب أو مَـدَّ الأُجَـر
والحَـمـدُ لله خَـتْـمُ الـكَـلاَم * وأَسـتَـغْـفِـرُ الله عـسـاهُ غَـفَـر
كُـلَّ الـذُّنـوبِ عـلى عَـبـدِهِ * وأَصـلِهِ وفَـرعِـهِ ومَـن قـد حَضَر

وهذا الدُّعاءُ المَشهورُ بِدُعاءِ «يا باسِط» لِسيِّدِنا الشَّيخ عبدالله بن علَوي الحدَّاد، نفَعَ اللهُ به وبِعُلومِهِ، آمين، يُقالُ بعدَ صَلاةِ الصُّبحِ، إمَّا في كلِّ يَوم، وإمَّا يومَ الجُمعَةِ والإثنَين. وقد جَمعَهُ سيّدُنا مِن جُملَةِ كُتبِ: الإحياء وغيرِه، وبِشَيءٍ مِمَّا فتحَ اللهُ بِهِ عليه، وسَمَّاه هو «حِزب الفتح والنَّصر»، فأَوَّلُه:

يا الله، يا واحِدُ يا أَحَد، يا واجِدُ يا جَواد، إِنْفَحْنا مِنكَ بِنفحَةِ خَير. – (ثلاثًا)

ثُمَّ يقولُ وهو رافِعٌ يَدَيْهِ كهَيئَةِ الدَّاعِي حتَّى يُرَى بياضُ إبْطَيْهِ: يا بَاسِط . . . . . !
(عَشْرًا)

ثمَّ يَمسَحُ بِهما وَجْهَهُ ويَقولُ:

أَبْسُطْ عَلَيْنَا الخَيْرَ وَالرِّزْقَ وَوفِّقْنَا لإِصَابَةِ الصَّوابِ وَالحَقّ، وَزَيِّنَّا بِزِينَةِ الإِخْلَاصِ وَالصِّدْقِ، وَأَعِذْنَا مِنْ شِرَارِ الخَلْقِ، وَاخْتِمْ لَنَا بِالحُسْنَى فِي لُطْفٍ وَعَافِيَة.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ جَمِّلْنَا بِسِتْرِك، وَاسْتُرْنَا بِعَافِيَتِك، وَعَافِنَا مِنْ مُخَالَفَتِك. نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالتُّقَى وَالعَفَافَ وَالغِنَى، وَالعَافِيَةَ وَاليَقِين، وَالثَّبَاتَ عَلَى الحَقّ، وَالوَفَاةَ عَلَى الإِسْلَام، وَالمَصِيرَ إِلَى الجَنَّة.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِنَّا نَسْأَلُكَ دَوَامَ العَافِيَة، وَتَمَامَ النِّعْمَة، وَحُسْنَ الخَاتِمَةِ وَالعَافِيَة.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ نَوِّرْ قُلُوبَنَا، وَاشْرَحْ صُدُورَنَا، وَيَسِّرْ أُمُورَنَا، وَأَحْسِنْ مُنْقَلَبَنَا، وَأَيِّدْنَا بِرُوحٍ مِنْكَ، وَوَفِّقْنَا لِمَا تُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ، وَثَبِّتْنَا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَة.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ اغْفِرْ ذُنُوبَنَا، وَاسْتُرْ عُيُوبَنَا، وَاكْشِفْ كُرُوبَنَا، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ فِي طَاعَتِكَ وَطَاعَةِ رَسُولِكَ بَيْنَ قُلُوبِنَا.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ جَمِّلْ أَحْوَالَنَا، وَسَدِّدْ أَقْوَالَنَا، وَأَصْلِحْ أَعْمَالَنَا، وَطَهِّرْ قُلُوبَنَا، وَحَسِّنْ أَخْلَاقَنَا، وَطَيِّبْ أَوْقَاتَنَا، وَوَسِّعْ أَرْزَاقَنَا، وَاقْضِ بِفَضْلِكَ دُيُونَنَا، وَأَصْلِحْ بِكَرَمِكَ شُئُونَنَا، وَاجْعَلْ إِلَى رَحْمَتِكَ وَرِضَاكَ وَمُجَاوَرَتِكَ فِي دَارِ كَرَامَتِكَ مُنْقَلَبَنَا وَمَصِيرَنَا وَرُجُوعَنَا.

هٰذا ماأَمْلَاه رضِيَ اللهُ عنه سابِقًا، والَّذِي أَمْلاه بعدَهُ هو هٰذا:

﴿اَللَّهُمَّ﴾ بَارِكْ لَنَا فِي قُلُوبِنَا وَأَدْيَانِنَا وَأَبْدَانِنَا وَجَوَارِحِنَا وَعُلُومِنَا وَأَعْمَالِنَا وَأَخْلَاقِنَا وَأَرْزَاقِنَا وَأَهْلِينَا وَأَوْلَادِنَا وَقَرَابَاتِنَا وَأَصْحَابِنَا وَجَمِيعِ مَنْ مَعَنَا وَمَا مَعَنَا.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ اجْعَلْنَا وَإِيَّاهُمْ أَجْمَعِينَ فِي عَافِيَتِكَ وَسَلاَمَتِكَ وَعِزِّكَ وَغِنَاكَ وَيُسْرِكَ وَسَعَتِكَ وَخَفِيِّ لُطْفِكَ وَجَمِيلِ سِتْرِكَ.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ اجْعَلْنَا وَإِيَّاهُمْ أَجْمَعِينَ فِي حِفْظِكَ وَكَنَفِكَ وَعَهْدِكَ وَذِمَّتِكَ وَجِوَارِكَ وَعِيَاذِكَ وَأَمَانِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ مِنْ خَلْقِكَ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْطَانٍ وَسُلْطَانٍ، مِنْ إِنْسٍ وَجَانٍّ، وَطَاغٍ وَبَاغٍ، وَحَاسِدٍ وَخَائِنٍ، وَسَاحِرٍ وَمَاكِرٍ وَعَائِنٍ.

بِسْمِ اللهِ تَحَصَّنَّا بِاللهِ، بِسْمِ اللهِ اسْتَجَرْنَا بِاللهِ، بِسْمِ اللهِ أَدْخَلْنَا أَنْفُسَنَا وَأَهْلِينَا وَأَوْلاَدَنَا، وَجَمِيعَ مَنْ مَعَنَا وَمَا مَعَنَا، فِي حِفْظِ اللهِ، وَفِي كَنَفِ اللهِ، وَفِي أَمَانِ اللهِ، مِنْ شَرِّ جَمِيعِ الْبَلِيَّاتِ وَالأَذِيَّاتِ، وَمِنْ شَرِّ الْمُؤْذِينَ وَالأَشْرَارِ مِنْ خَلْقِ اللهِ، وَمِنْ فُجَاءَةِ الأَقْدَارِ وَبَغَتَاتِ الأُمُورِ بِالسُّوءِ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ هَدْمٍ وَحَرْقٍ وَغَرَقٍ.

بِسْمِ اللهِ بَابُنَا، تَبَارَكَ حِيطَانُنَا، يٰسٓ سَقْفُنَا، كٓهيٰعٓصٓ كِفَايَتُنَا، حمٓعٓسٓقٓ حِمَايَتُنَا، فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. سِتْرُ الْعَرْشِ مَسْبُولٌ عَلَيْنَا، وَعَيْنُ اللهِ نَاظِرَةٌ إِلَيْنَا، بِحَوْلِ اللهِ لاَيُقْدَرُ عَلَيْنَا، وَاللهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيط، بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيد، فِي لَوْحٍ مَحْفُوظ. فَاللهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِين.

إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِين. - (ثَلاَثًا)

حَسْبِيَ اللهُ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيم. - (سَبْعًا)

بِسْمِ اللهِ الَّذِي لاَيَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيم. - (ثَلاَثًا)

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾

قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ. اَللهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَد. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ. - (ثَلاَثًا)

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ﴾

قُلْ أَعُوْذُ بِرَبِّ الفَلَق. مِنْ شَرِّ مَاخَلَق. وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَب. وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي العُقَد. وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَد. - (ثَلاَثًا)

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ﴾

قُلْ أَعُوْذُ بِرَبِّ النَّاسِ. مَلِكِ النَّاسِ. إِلٰهِ النَّاسِ. مِنْ شَرِّ الوَسْوَاسِ الخَنَّاسِ. الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ. مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ. - (ثَلاَثًا)

وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا، وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا، وَاكْفِنَا كُلَّ هَوْلٍ دُونَ الجَنَّة.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّد وَسَلِّم.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ الحَيَاةِ وَخَيْرَ الوَفَاةِ وَخَيْرَ مَا بَيْنَهُمَا، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ الحَيَاةِ وَشَرِّ الوَفَاةِ وَشَرِّ مَا بَيْنَهُمَا.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ أَحْيِنِي حَيَاةَ السُّعَدَاء، حَيَاةَ مَنْ تُحِبُّ بَقَاءَه، وَتَوَفَّنِي وَفَاةَ الشُّهَدَاء، وَفَاةَ مَنْ تُحِبُّ لِقَاءَه.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ قَنِّعْنِي بِمَا رَزَقْتَنِي وَبَارِكْ لِي فِيه، وَاخْلُفْ عَلَيَّ كُلَّ غَائِبَةٍ لِي بِخَيْر.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَهْدِ البَلَاء، وَدَرَكِ الشَّقَاء، وَسُوءِ القَضَاء، وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاء.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ لَا تُقَدِّمْنِي لِعَذَاب، وَلَا تُؤَخِّرْنِي لِفِتْنَة، وَخُذْ رِضَاكَ مِنِّي فِي عَافِيَة.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ ارْحَمْنِي بِتَرْكِ المَعَاصِي أَبَدًا مَا أَبْقَيْتَنِي، وَارْحَمْنِي أَنْ أَتَكَلَّفَ مَالاَ يَعْنِينِي، وَارْزُقْنِي حُسْنَ النَّظَرِ فِيمَا يُرْضِيكَ عَنِّي، أَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الغَيْبِ وَالشَّهَادَة، وَكَلِمَةَ العَدْلِ فِي الرِضَا وَالغَضَب، وَالصِّدْقَ فِي الجِـدِّ وَالهَزْلِ، وَالقَصْدَ فِي الغِنَى وَالفَقْر.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ كَمَا حَسَّنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ اجْعَلْ سَرِيرَتِي خَيْرًا مِنْ عَلاَنِيَتِي، وَاجْعَلْ عَلاَنِيَتِي صَالِحَة.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ صَالِحِ مَاتُؤْتِي النَّاسَ مِنَ الأَهْلِ وَالمَالِ وَالوَلَدِ غَيْرَ الضَّالِّ وَالمُضِلِّ.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ وَفِّقْنِي لِمَحَابِّكَ مِنَ الأَعْمَالِ، وَارْزُقْنِي حُسْنَ الظَّنِّ بِك، وَصِدْقَ التَّوَكُّلِ عَلَيْك.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ زَيِّنِّي بِزِينَةِ الإِيمَان، وَاجْعَلْنِي هَادِيًا مَهْدِيًّا.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ احْفَظْنِي عَمَّا نَهَيْتَنِي، وَاحْفَظْ عَلَيَّ مَا أَعْطَيْتَنِي.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّد، وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّد.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ اجْعَلْنِي مِنْ أَوْلِيَائِكَ المُتَّقِين، وَحِزْبِكَ المُفْلِحِين، وَعِبَادِكَ الصَّالِحِين.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ وَاسْتَعْمِلْنِي بِمَا يُرْضِيكَ عَنِّي، وَوَفِّقْنِي لِمَحَابِّكَ مِنِّي، وَصَرِّفْنِي بِحُسْنِ اخْتِيَارِكَ لِي، أَسْأَلُكَ جَوَامِعَ الخَيْرِ وَفَوَاتِحَهُ وَخَوَاتِمَه، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ جَوَامِعِ الشَّرِّ وَفَوَاتِحِهِ وَخَوَاتِمِه. أَسْتَغْفِرُكَ اللَّهُمَّ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ تُبْتُ إِلَيْكَ مِنْهُ ثُمَّ عُدْتُ فِيه، وَأَسْتَغْفِرُكَ مِنْ كُلِّ وَعْدٍ وَعَدْتُكَ بِهِ مِنْ نَفْسِي ثُمَّ لَمْ أُوفِ لَكَ بِه، وَأَسْتَغْفِرُكَ مِنْ كُلِّ نِعْمَةٍ أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ فَتَقَوَّيْتُ بِهَا عَلَى مَعَاصِيك، وَأَسْتَغْفِرُكَ مِنْ كُلِّ عَمَلٍ عَمِلْتُهُ لِوَجْهِكَ فَخَالَطَهُ مَالَيْسَ لَكَ فِيهِ رِضًا، وَأَسْتَغْفِرُكَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ أَذْنَبْتُهُ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ وَبَيَاضِ النَّهَارِ فِي خَلاٍ وَمَلاٍ وَسِرٍّ وَعَلاَنِيَةٍ، يَاكَرِيم.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ يَا رَبَّ كُلِّ شَيْء، بِقُدْرَتِكَ عَلَى كُلِّ شَيْء، اِغْفِرْ لِي كُلَّ شَيْء، وَلاَ تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْء.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ ارْحَمْ مَا خَلَقْتَ، وَاغْفِرْ مَا قَدَّرْتَ، وَطَيِّبْ مَا رَزَقْتَ، وَتَمِّمْ مَا أَنْعَمْتَ، وَتَقَبَّلْ مَا اسْتَعْمَلْتَ، وَاحْفَظْ مَا اسْتَحْفَظْتَ، وَلاَ تَهْتِكْ مَا سَتَرْتَ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ حِدَّةِ الحِرْص، وَشِدَّةِ الطَّمَع، وَسَوْرَةِ الغَضَب، وَسِنَةِ الغَفْلَة، وَتَعَاطِي الكَنَفَة، وَمِنْ مُبَاهَاتِ المُكْثِرِين، وَالازْدِرَاءِ بِالمُقِلِّين، وَأَنْ أَخْذُلَ مَظْلُومًا، أَوْ أَنْصُرَ ظَالِمًا، أَوْ أَقُولَ فِي العِلْمِ بِغَيْرِ عِلْم، أَوْ أَعْمَلَ فِي الدِّينِ بِغَيْرِ يَقِين، يَا مَنْ لَايَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْن، وَلَا سَمْعٌ عَنْ سَمْع، وَلَا تُغَلِّطُهُ المَسَائِل، وَلَا يُبْرِمُهُ إِلْحَاحُ المُلِحِّين، أَذِقْنِي بُرْدَ عَفْوِك، وَحَلَاوَةَ مَغْفِرَتِك.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ ارْزُقْنِي حُزْنَ خَوْفِ الوَعِيد، وَلَذَّةَ رَجَاءِ المَوْعُودِ حَتَّى أَجِدَ لَذَّةَ مَا لَهُ أَطْلُب، وَخَوْفَ مَا عَنْهُ أَهْرُب.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ دُنْيَا تَمْنَعُ خَيْرَ الآخِرَة، وَمِنْ حَيَاةٍ تَمْنَعُ خَيْرَ المَمَات، وَمِنْ أَمَلٍ يَقْطَعُ خَيْرَ العَمَل، وَأَسْتَغْفِرُكَ اللَّهُمَّ مِنْ كُلِّ لَذَّةٍ بِغَيْرِ ذِكْرِك، وَرَاحَةٍ بِغَيْرِ خِدْمَتِك، وَسُرُورٍ بِغَيْرِ قُرْبِك، وَفَرَحٍ بِغَيْرِ مُجَالَسَتِك، وَشُغْلٍ بِغَيْرِ مُعَامَلَتِك.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِذَا أَقْرَرْتَ عَيْنَ أَهْلِ الدُّنْيَا بِالدُّنْيَا، فَأَقْرِرْ عَيْنِي بِعِبَادَتِك.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ اجْعَلْ طَاعَتَكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنِّي، أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يَنْفَعُنِي حُبُّهُ عِنْدَك.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ وَمَا رَزَقْتَنِي مِمَّا أُحِبّ، فَاجْعَلْهُ قُوَّةً لِي فِيمَا تُحِبّ، وَمَا زَوَيْتَ عَنِّي مِمَّا أُحِبّ، فَاجْعَلْهُ فَرَاغًا لِي فِيمَا تُحِبّ.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ لَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْن، وَلَا تَنْزِعْ مِنِّي مَاأَعْطَيْتَنِي.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِنَّكَ سَأَلْتَنِي مِنْ نَفْسِي مَالَا أَمْلِكُهُ إِلَّا بِكَ فَأَعْطِنِي مِنْهَا مَا يُرْضِيكَ عَنِّي، أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَحُبَّ كُلِّ عَمَلٍ يُقَرِّبُنِي إِلَى حُبِّك.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ اجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي وَمِنَ المَاءِ البَارِد.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ بِعِلْمِكَ الغَيْب، وَقُدْرَتِكَ عَلَى كُلِّ شَيْء، أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي مَا كَانَتِ الوَفَاةُ خَيْرًا لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيم.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ إنّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّكِّ في الحَقِّ بَعْدَ اليَقِين، وَمِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم، وَمِنْ شَدَائِدِ يَوْمِ الدِّين، وَمِنَ الوَعْثِ عِنْدَ البَعْث، وَأَسْأَلُكَ رِضَاكَ وَالجَنَّة، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ سَخَطِكَ وَالنَّار، وَاخْتِمْ لَنَا بِالحُسْنَى فِي لُطْفٍ وَعَافِيَة، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِين.

قالَ الشَّيخُ الأَحْسائِي أحمد بن عبدالكريم الشَّجَّار: وهذا الآتي هو الوِردُ الصَّغيرُ لِسيِّدِنا الأكبَر عبدالله بن علوي الحدَّاد، رحِمَه الله. ﴿قال﴾ نفَعَ اللهُ به: وقد جَمَعْنا لِأصحابِنا مِن أَذْكارِ الصَّباحِ والمَساءِ خاصَّةً نُبْذَةً مُخْتَصَرةً مُبارَكَةً إنْ شاءَ اللهُ تعالى، [وَاللهُ يَقُولُ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيل] ورَأَيْتُ بِخطِّ ابنِ زينِ العابدِين، أنَّ اسمَ النُّبْذَةِ «مِفتاحُ الرِّزق»، وهي هذه تُقْرَأُ صباحًا ومساءً. قالَ رضيَ اللهُ عنه، وأَعادَ علينا مِن بَركاتِهِ وعُلومِهِ، آمين.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم

قُلْ هُوَ اللهُ أَحَد. اَللهُ الصَّمَد. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَد. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُؤًا أَحَد. (ثلاثًا)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَق. مِنْ شَرِّ مَا خَلَق. وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَب. وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي العُقَد. وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَد. - (ثَلاثًا)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاس. مَلِكِ النَّاس. إِلٰهِ النَّاس. مِنْ شَرِّ الوَسْوَاسِ الخَنَّاس. الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاس. مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاس. - (ثَلاثًا)

أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَاتُرْجَعُون. فَتَعَالَى اللهُ المَلِكُ الحَقُّ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ العَرْشِ الكَرِيم. وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ، فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ، إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الكَافِرُون. وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِين. فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُون، وَلَهُ الحَمْدُ فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُون.

يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ، وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ، وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا، وَكَذٰلِكَ تُخْرَجُون . . . . .

أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ العَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم . . . . . – (ثَلاثًا)

لَوْ أَنْزَلْنَا هٰذَا القُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ الله، وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُون. هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيم. هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلَامُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ، سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُون. هُوَ اللهُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى، يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ، وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيم. سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي العَالَمِين. إِنَّا كَذٰلِكَ نَجْزِي المُحْسِنِين. إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا المُؤْمِنِين . . .

أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَق. – (ثَلاثًا)

بِسْمِ اللهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيم. – (ثَلاثًا)

﴿اللَّهُمَّ﴾ إِنِّي أَصْبَحْتُ مِنْكَ فِي نِعْمَةٍ وَعَافِيَةٍ وَسِتْرٍ فَأَتْمِمْ نِعْمَتَكَ عَلَيَّ وَعَافِيَتَكَ وَسِتْرَكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة. – (ثَلاثًا)

﴿اللَّهُمَّ﴾ إِنِّي أَصْبَحْتُ أُشْهِدُكَ وَأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ وَمَلَائِكَتَكَ وَجَمِيعَ خَلْقِك، وَإِنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَك، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُك. – (أَرْبَعًا)

اَلْحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين، حَمْدًا يُوَافِي نِعَمَهُ وَيُكَافِي مَزِيدَه. – (ثَلاثًا)

آمَنْتُ بِاللهِ العَظِيم، وَكَفَرْتُ بِالجِبْتِ وَالطَّاغُوت، وَاسْتَمْسَكْتُ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا، وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيم. – (ثَلاثًا)

رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّا. – (ثَلاثًا)

حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ. - (سَبْعًا)

﴿اَللَّهُمَّ﴾ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّم. - (عَشْرًا)

﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فُجَاءَةِ الخَيْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فُجَاءَةِ الشَّرِّ. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَأَنْتَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ. مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ. أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير، وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم. يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيث، وَمِنْ عَذَابِكَ أَسْتَجِيرُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَين. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَن، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ وَالكَسَل، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُبْنِ وَالبُخْل، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجَال. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِنِّي أَسْأَلُكَ العَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِنِّي أَسْأَلُكَ العَفْوَ وَالعَافِيَةَ وَالمُعَافَاةَ الدَّائِمَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ اسْتُرْ عَوْرَاتِي وَآمِنْ رَوْعَاتِي. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنْتَ تَهْدِينِي، وَأَنْتَ تُطْعِمُنِي وَأَنْتَ تَسْقِينِي، وَأَنْتَ تُمِيتُنِي وَأَنْتَ تُحْيِينِي، أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الإِسْلَام، وَكَلِمَةِ الإِخْلَاص، وَعَلَى دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وَعَلَى مِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ المُشْرِكِين. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ بِكَ أَصْبَحْنَا وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَى وَبِكَ نَمُوت، وَإِلَيْكَ النُّشُور. أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ المُلْكُ لِلهِ، وَالحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العَالَمِين. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذَا اليَوْمِ فَتْحَهُ وَنَصْرَهُ وَنُورَهُ وَبَرَكَتَهُ وَهُدَاه. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهُ وَخَيْرَ مَا فِيه، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا فِيه. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ وَمَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ فَمِنْكَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَك، فَلَكَ الحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ عَلَى ذَلِكَ.

سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِه، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيم. - (مِائَة مَرَّة)

سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ لِلهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَر. - (مِائَة مَرَّة) - صَبَاحًا وَمَسَاءً

لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَه، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير. - صَبَاحًا وَمَسَاءً فقط.

ويقولُ بدلَ «أَصْبَحْنَا» أَمْسَيْنَا، وبدَلَ «النُّشُور» المَصير، وبدَلَ «اليَوْم» اللَّيْلَة، ويُؤَنِّثُ الضَّميرَ في «اللَّيْلَة»، ويُذَكِّرُ في «اليَوْم» - انتهى.

قالَ الشَّيخ الأَحْسائِي أيضًا، رحِمَه الله: سأُبَيِّن راتِب سيِّدِنا القُطب عبدالله بن علوي الحدَّاد وكيفِيَّةَ ترتيبه، أنْ يَجْتمِعَ الجماعَةُ صفًّا مُسْتقبِلينَ القِبلةَ، والَّذِي يَقرَأُ لهم يَقعُدُ مُقابِلَهم، ولَو اسْتَدبرَ القِبلَةَ كما يَفعَلُه الإمامُ بعدَ السَّلام جازَ. فيَشرَعُ ويَقرَأُ الفاتِحَة وآيَةَ الكُرسيِّ وآخِرَ سورةِ البقرَةِ مِن «آمَنَ الرَّسُولُ ..... إلى آخِرِ السُّورة جَهرًا، وهم يَقرَأُون ذلك سِرًّا، ثم يَقولُ معهم بِرفْعِ الصَّوتِ إمَّا معًا وإمَّا تَعقِيبًا، أَوَّلُه:

لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَه، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير. - (ثَلاثًا)

سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ لِلهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَر. - (ثَلاثًا)

سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيم. - (ثَلاثًا)

رَبِّ اغْفِرْ لَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيم. - (ثَلاثًا)

اَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد، اَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ وَسَلِّم. - (ثَلاثًا)

أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَق. - (ثَلاثًا)

بِسْمِ اللهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيم. - (ثَلاثًا)

رَضِينَا بِالله رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا. - (ثَلاثًا)

بِسْمِ اللهِ وَالحَمْدُ لِلهِ، اَلخَيْرُ وَالشَّرُّ بِمَشِيئَةِ اللهِ. - (ثَلاثًا)

آمَنَّا بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِر، تُبْنَا إِلَى اللهِ بَاطِنًا وَظَاهِر. - (ثلاثًا)

يَا رَبَّنَا واعْفُ عَنَّا، وَامْحُ الَّذِي كَانَ مِنَّا. - (ثلاثًا)

يَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَام، مِتْنَا عَلَى دِينِ الإِسْلَام. - (سَبْعًا)

يَا قَوِيُّ يَا مَتِين، اِكْفِ شَرَّ الظَّالِمِين. - (ثلاثًا)

أَصْلَحَ اللهُ أُمُورَ الْمُسْلِمِين، صَرَفَ اللهُ شَرَّ الْمُؤذِين. - (ثلاثًا)

يَا عَلِيُّ يَا كَبِير، يَا عَلِيمُ يَا قَدِير، يَا سَمِيعُ يَا بَصِير، يَا لَطِيفُ يَا خَبِير. - (ثلاثًا)

يَا فَارِجَ الهَمّ، وَيَا كَاشِفَ الغَمّ، يَا مَنْ لِعَبْدِهِ يَغْفِرُ وَيَرْحَم. - (ثلاثًا)

أَسْتَغْفِرُ اللهَ رَبَّ البَرَايَا، أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنَ الخَطَايَا. - (أَرْبَعًا)

لَا إِلَهَ إِلَّا الله، لَا إِلَهَ إِلَّا الله . . . هٰكذا تَهْلِيلَاتَان في نَفَسٍ واحِد، أَقَلُّه خَمسٌ وعِشرون لَا يَنْقُص لِيَتِمَّ بذلك خمسون تَهْلِيلاتٍ بلا نُقصانٍ، ولا حَدَّ لأَكْثَرِه، ولو رَأَى أُلوفًا، ثمَّ يَخْتِمون بِـ «لَا إِلَهَ إِلَّا الله، مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وَشَرَّفَ وَكَرَّم، وَمَجَّدَ وَعَظَّم، وَرَضِيَ اللهُ عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ أَجْمَعِين، وَعَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ الطَّيِّبِين الطَّاهِرِين، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّين، وَعَلَيْنَا مَعَهُمْ وَفِيهِمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِين.

ثمَّ يَقرَأُ ويَقرَأُون سورةَ الإِخْلاص (ثلاثًا)، هو جَهْرًا وهُم سِرًّا، والمُعَوِّذَتَيْنِ (مرَّةً مرَّة) كذٰلِك. ثمَّ يقولُ:

الفاتِحَة لِسيِّدِنا الفَقيهِ المُقَدَّم محمد بن علي باعلوي وأُصولِه وفُروعِهِمْ وجَميعِ ساداتِنا آلِ باعلَوِي، أنَّ الله يُقَدِّسُ أَرْواحَهُم في الجَنَّة، ويُنَوِّرُ ضَرائِحَهُم، ويُعيدُ علَيْنَا مِن بَرَكاتِهِم وأَنْوارِهِم في الدُّنيا والآخِرَة.

ثمَّ الفاتِحَة لِجميعِ ساداتِنا الصُّوفيَّةِ، أنَّ اللهَ يُقَدِّسُ أَرْواحَهُم في الجَنَّةِ، ويُنَوِّرُ ضَرائِحَهُم، ويُعيدُ عَلَيْنا مِن بَرَكاتِهِم وأَسْرارِهِم وأَنْوارِهِم في الدُّنيا والآخِرَة، ويُلحِقُنا

بِهِم في خَيرٍ وعافِيَة.

ثمَّ الفاتِحَة لِسيِّدِنا صاحِبِ الرَّاتِب الشَّيخ عبدالله بن علوي الحدَّاد باعَلَوي، أنَّ اللهَ يُقَدِّسُ رُوحَه في الجنَّة، ويُنَوِّرُ ضَريحَهُ، ويُعيدُ علَيْنا مِن بَركاتِه وأَسْرارِه وأَنْوارِه في الدُّنيا والآخِرَة.

ثمَّ الفاتِحَة لِوالِدِينا ووالِدِيكُم وأَمْواتِنا وأَمْواتِكُم وأَمْواتِ المُسلِمِين أَجْمَعِين، أَنَّ اللهَ يَغْفِرُ لَهم ويَرْحَمُهم ويُسْكِنُهُمُ الجنَّة، ويُصْلِحُ أُمورَ المُسلِمين، ويَكْفِيهِم شَرَّ المُؤْذِين، ويَتَقَبَّلُ مِنَّا ومِنهم، ويَرْزُقُنا وإيَّاكُم حُسنَ الخاتِمَة عند المَوت في خَيرٍ ولُطْفٍ وعافِيَة، وإلى حَضْرَةِ النَّبيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَليه وسَلَّم.

ثمَّ يَرْفَعُ يدَيْهِ بالدُّعاء، وإنْ حَضَرَ أَحَدٌ مِن السَّادَة، فهُوَ أَوْلَى أنْ يَدْعُوَ، وإلاَّ فالَّذي يَقْرَأُ الرَّاتِب، ويَدْعُو لِنَفْسِه ولِوالِدَيْهِ ولِلمُؤْمِنين عُمومًا وخُصوصًا. ولا بَأْسَ بأَنْ يَدْعُوَ بهذا الدُّعاء، وهو لِصاحِبِ الرَّاتِب. وأَصْلُ وَضْعِهِ أيْ: الدُّعاءِ - له بعدَ قِراءَةِ الفاتِحَة المُرَتَّبَةِ بعدَ الصَّلاة، ويَشْتَمِلُ أيضًا ما إذا قرأَ في كلِّ وقتٍ ومَوضِعٍ كان، وهو:

اَلْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العَالَمِين، حَمْدًا يُوافِي نِعَمَهُ وَيُكَافِي مَزِيدَه. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّم. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ إنَّا نَسْأَلُكَ بِحَقِّ الفَاتِحَةِ المُعَظَّمَةِ وَالسَّبْعِ المَثَانِي، أَنْ تَفْتَحَ لَنَا بِكُلِّ خَيْر، وَأَنْ تَتَفَضَّلَ عَلَيْنَا بِكُلِّ خَيْر، وَأَنْ تُعَامِلَنَا يَا مَوْلاَنَا مُعَامَلَتَكَ لأَهْلِ الخَيْر، وَأَنْ تَحْفَظَنَا فِي أَدْيَانِنَا وَأَنْفُسِنَا وَأَهْلِينَا وَأَصْحَابِنَا وَأَحْبَابِنَا مِنْ كُلِّ مِحْنَةٍ وَبُؤْسٍ وَضَيْر، إنَّكَ وَلِيُّ كُلِّ خَيْر، وَمُتَفَضِّلٌ بِكُلِّ خَيْر، وَمُعْطٍ لِكُلِّ خَيْرٍ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِين.

ثمَّ يَخْتِمُ الدُّعاء، ويَقولونَ معًا بِرَفْعِ الصَّوتِ أكثرَ مِن الأَوَّل:

﴿اَللَّهُمَّ﴾ إنَّا نَسْأَلُكَ رِضَاكَ وَالجَنَّة، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ سَخَطِكَ وَالنَّار. - (ثَلاثًا)

ثمَّ يقولُ الَّذي يَجمَعُ بِهم الدُّعاء بِحيثُ يُسمِعُ الحاضِرين:

تَقبَّلَ اللهُ مِنَّا الجَميع، وَجَعلَهُ خَالِصًا لِوَجْهِهِ الكَرِيم، لَنَا وَلِمُحِبِّينَا وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِين – انتهى.

* * * * *

قالَ الأَحْسائِي أيضًا، رحِمَه اللهُ: وكانَ رضِيَ اللهُ عنه يُرَتِّبُ بعدَ قِراءَةِ يّس حينَ تُقرَأُ بعدَ الصَّلاةِ هذا الدُّعاء. هذا أَصْلُ تَرتيبِ قِراءَتِها، ويُقرَأُ الدُّعاءُ بعدَ قِراءَتِها مُطلَقًا، أي كُلَّما قُرِئَتْ، وهو:

﴿اَللَّهُمَّ﴾ إنَّا نَسْتَحْفِظُكَ وَنَسْتَوْدِعُكَ أَدْيَانَنَا وَأَنْفُسَنَا وَأَوْلَادَنَا وَأَمْوَالَنَا وَكُلَّ شيْءٍ أَعْطَيْتَنَا. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ اجْعَلْنَا فِي كَنَفِكَ وَأَمْنِكَ وَعِيَاذِكَ وَجِوَارِكَ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَرِيد، وَجَبَّارٍ عَنِيد، وَذِي عَيْنٍ وَذِي بَغْيٍ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرّ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ جَمِّلْنَا بِالعَافِيَةِ وَالسَّلَامَة، وَحَقِّقْنَا بِالتَّقْوَى وَالاِسْتِقَامَة، وَأَعِذْنَا مِنْ مُوجِبَاتِ النَّدَامَة، إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَأَوْلَادِنَا وَمَشَائِخِنَا وَإِخْوَانِنَا فِي الدِّين، وَأَصْحَابِنَا وَأَحْبَابِنَا، وَلِمَنْ أَحَبَّنَا فِيكَ وَلِمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْنَا، وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَات، وَالمُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَات، يَا رَبَّ العَالَمِين. وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّم. وَارْزُقْنَا كَمَالَ المُتَابَعَةِ لَهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا فِي عَافِيَةٍ وَسَلَامَةٍ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِين.

* * * * *

قالَ الأَحْسائِي، رحِمَه اللهُ تعالى أيضًا: ومِمَّا سمِعْنا مِن دُعائِه رضِيَ اللهُ عنه إذ ذاك بعدَ كُلِّ صلاةٍ، وحفِظْنا منه ماحفِظْنا لِكَثرةِ تَكَرُّرِ سماعِنا له، وإنْ غابَ عنَّا مِنه شيءٌ فيُمكِنُ، أو حَصلَ مِنَّا فيه زِيادَة، فلا يَبعُد كما أَسْلَفْنا العُذر، وهو أن يقولَ:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم. اَلْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العَالَمِين. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّم. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِنَّا نَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِك، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِك، وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْم، وَالغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرّ، وَالفَوْزَ بِالجَنَّةِ وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّار.

﴿اَللّٰهُمَّ﴾ لَا تَدَعْ لَنَا ذَنْبًا إِلَّا غَفَرْتَه، وَلَا هَمًّا إِلَّا فَرَّجْتَه، وَلَا دَيْنًا إِلَّا قَضَيْتَه، وَلَا حَاجَةً هِيَ لَكَ فِيهَا رِضًا وَلَنَا فِيهَا صَلَاح إِلَّا قَضَيْتَهَا. ﴿اَللّٰهُمَّ﴾ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِك، يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِك. ﴿اَللّٰهُمَّ﴾ اجْعَلْ خَيْرَ عُمْرِي آخِرَه، وَخَيْرَ عَمَلِي خَوَاتِمَه، وَخَيْرَ أَيَّامِي يَوْمَ لِقَائِك. ﴿اَللّٰهُمَّ﴾ إِنَّا نَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَأَسْأَلُكَ رِزْقًا طَيِّبًا، وَأَسْأَلُكَ عَمَلًا مُتَقَبَّلًا. ﴿اَللّٰهُمَّ﴾ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَات، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَات، وَاتِّبَاعَ الطَّيِّبَات، وَحُبَّ الْمَسَاكِين، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي، وَإِذَا أَرَدْتَ بِقَوْمٍ فِتْنَةً فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُون. ﴿اَللّٰهُمَّ﴾ ارْزُقْنِي طَيِّبًا، وَاسْتَعْمِلْنِي صَالِحًا، وَتَوَفَّنِي مُسْلِمًا، وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِين. ﴿اَللّٰهُمَّ﴾ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْل، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُر، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْر، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَمَلٍ يُلْهِينِي، وَصَاحِبٍ يُؤْذِينِي، وَغِنًى يُطْغِينِي، وَفَقْرٍ يُنْسِينِي، وَأَسْأَلُكَ كَمَالَ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَان. ﴿اَللّٰهُمَّ﴾ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِأَوْلَادِي وَلِأَحْبَابِي وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَات، وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَات، وَاخْتِمْ لَنَا وَلَهُمْ بِخَيْرٍ وَبِالْحُسْنَى وَالْإِحْسَان، فِي يُسْرٍ وَلُطْفٍ وَعَافِيَة. . . . .

ورُبَّما زادَ في بعضِ الأوقاتِ بعدَ «وَأَسْأَلُكَ كَمَالَ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَان»:

﴿اَللّٰهُمَّ﴾ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، وَأَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا. ﴿اَللّٰهُمَّ﴾ اهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاق، لَا يَهْدِينِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ. وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا، لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ. ﴿اَللّٰهُمَّ﴾ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِأَوْلَادِي وَلِأَحْبَابِي وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَات، وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَات، وَاخْتِمْ لَنَا وَلَهُمْ بِخَيْرٍ وَبِالْحُسْنَى وَالْإِحْسَان، فِي يُسْرٍ وَلُطْفٍ وَعَافِيَة. وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم، وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِين.

ولايُعْتاد هُنا تَهْليلةَ المِائةِ والدُّعاء ثانيًا، ثمَّ يَقرأُ الفاتِحَة و«اَللّٰهُمَّ إِنِّي أُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ كُلِّ نَفَسٍ وَلَمْحَةٍ وَخَطْرَةٍ وَطَرْفَةٍ يَطْرِفُ بِهَا أَهْلُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَكُلِّ شَيْءٍ

هُوَ فِي عِلْمِكَ كَائِنٍ أَوْ قَدْ كَانَ أُقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيْ ذٰلِكَ كُلِّهِ». اللهُ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ، لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ، لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ، مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ، يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ، وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُدُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ. شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ وَالمَلاَئِكَةُ وَأُولُوا العِلْمِ قَائِمًا بِالقِسْطِ، لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ. إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلاَمُ. قُلِ اللّٰهُمَّ مَالِكَ المُلْكِ، تُؤْتِي المُلْكَ مَنْ تَشَاءُ، وَتَنْزِعُ المُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ، وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ، وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ، بِيَدِكَ الخَيْرُ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ، وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ، وَتُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ، وَتُخْرِجُ المَيِّتَ مِن الحَيِّ، وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ. سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ. وَسَلاَمٌ عَلَى المُرْسَلِينَ، وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ» - بعدَ كُلِّ الصَّلَواتِ، ويَزيدُ بعدَ الصُّبحِ والعَصرِ والمَغْربِ:

لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَه، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير. - (عَشْرًا)

يَقولُ ذٰلك بعدَ أَنْ يَنْفتِلَ مِن سلامِه، وقبلَ قِيامِه، ولا يَرى أَنَّ شَرطَهُ الاِسْتِقبالُ كَحينَ سَلَّم، بل في مَجْلِسِه قبلَ أَنْ يَتكَلَّم، وبعدَ الصُّبحِ والمَغْرِب:

اَللّٰهُمَّ أَجِرْنِي مِنَ النَّار. - (سَبْعًا)

لِحديثٍ وَرَدَ فيه، وبعدَ العَصرِ في الأَشْهُرِ الحُرُمِ خاصَّةً:

أَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ الَّذِي لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ الحَيَّ القَيُّومَ وَأَتُوبُ إِلَيْه، وَأَسْأَلُهُ التَّوْبَة، تَوْبَةَ عَبْدٍ ظَالِمٍ لاَ يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا، وَلاَ مَوْتًا وَلاَ حَيَاةً وَلاَ نُشُورًا. - (سَبْعًا)

لِحديثٍ وَرَدَ فيه أيضًا.

ومِن جُملةِ أَوْرادِهِ بعدَ العَصرِ كُلَّ يومٍ «حِزْبُ البحر»، ومِمَّا أَوْلاه بِالقاف والواو بعدَ كُلِّ الصَّلواتِ:

* * * * *

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَات . - (٢٧ مرَّة)

قالَ أخَذْناها عن الشيخ أحمد القُشاشي .

لَا إِلٰهَ إِلَّا الله . - (٤٠ مرَّة)

أَسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الحَيَّ القَيُّومَ وَأَتُوبُ إِلَيْه . - (٢٥ مرَّة)

سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ لِلهِ وَلَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَر ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيم . - (٢٥ مرَّة)

اَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَسَلِّم . - (٢٥ مرَّة)

وبعدَ الصُّبحِ والعَصرِ :

أَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ الَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الحَيَّ القَيُّومَ الرَّحْمٰنَ الرَّحِيمَ وَأَتُوبُ إِلَيْه . - (٢٥ مرَّة)

وبعدَ كُلِّ صَلاةٍ :

سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ لِلهِ وَلَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَر ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ عَدَدَ خَلْقِه ، وَرِضَا نَفْسِه ، وَزِنَةَ عَرْشِه ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِه . - (ثَلاثًا)

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيك ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ وَتُسَلِّمَ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ وَأَصْحَابِه ، أَفْضَلَ وَأَدْوَمَ مَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ مَلَائِكَتِكَ المُقَرَّبِين ، وَأَنْبِيَائِكَ المُرْسَلِين ، وَعِبَادِكَ الصَّالِحِين . - (ثَلاثًا)

أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَه ، إِلٰهٌ وَاحِدٌ وَرَبٌّ شَاهِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُون . - (أَرْبَعًا)

يَا لَطِيف . - (١٢٩ مرَّة)

وبعدَ صلاةِ الصُّبحِ والعَصر :

حَسْبِيَ اللهُ وَكَفَى، سَمِعَ اللهُ لِمَنْ دَعَا، لَيْسَ وَرَاءَ اللهِ مُنْتَهَى، سُبْحَانَ مَنْ لَمْ يَزَلْ بِي رَحِيمًا.

وبعدَ كُلِّ مَكْتوبَةٍ سُورةَ الإخْلاص. - (عَشْرًا)

الأدعية الشريفة بعد الصلوات المفروضة

وهٰذهِ الأدْعِيةُ الشَّـريفَةُ لـه بعدَ الصَّلواتِ المَفْـروضاتِ، وهي كَثيـرَةُ النَّفعِ والبَرَكاتِ:

﴿الأوَّلُ﴾ مِنها، وهو المُسَمَّى بِدُعاءِ الحِفظِ، وهو:

يَا الله، يَا لَطِيفُ يَا لَطِيف، يَا كَافِي يَا حَفِيظُ يَا مُعِين - (ثَلاثًا). نَسْأَلُكَ لُطْفًا شَامِلاً لِجَمِيعِ الحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ وَالتَّقلُّبات، وَكِفَايَةً لِجَمِيعِ المُهِمَّاتِ وَالمُلِمَّاتِ وَالأَذِيَّات، وَحِفْظًا مِنْ جَمِيعِ البَلِيَّاتِ وَالعَاهَاتِ وَالآفَات، وَإِعَانَةً عَلَى جَمِيعِ الطَّاعَاتِ المَفْرُوضَاتِ وَالمَنْدُوبَات، وَمُسَارَعَةً إِلَى الخَيْرَاتِ وجِدًّا فِي الأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ المُقَرِّبَاتِ إِلَيْك، يَا عَالِمَ الخَفِيَّات، وَبَارِيءَ النَّسَمات، وَإِلَهَ مَنْ فِي الأَرْضِ وَالسَّمٰوَات، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِين.

﴿الثَّاني﴾ وهو المُسَمَّى بِدُعاءِ اللُّطف. قال سيِّدُنا الشيخ صاحِبُ الدُّعاء في وصيَّتِه لأَبِي الوفاءِ المِصرِيِّ تِلميذِه، نفَعَ اللهُ به، هذا الدُّعاء يُقالُ بعدَ كُلِّ صلاةٍ مرَّة، وهو:

يَا اللهُ، يَا لَطِيفُ يَا رَزَّاق، يَا قَوِيُّ يَا عَزِيز - (ثَلاثًا). أَسْأَلُكَ تَأَلُّهًا إِلَيْك، وَاسْتِغْرَاقًا فِيك. وَفَنَاءً بِكَ عَمَّنْ سِوَاك، وَلُطْفًا مِنْ لَدُنْكَ شَامِلاً، جَلِيًّا وَخَفِيًّا، وَرِزْقًا وَاسِعًا طَيِّبًا هَنِيًّا وَمَرِيًّا، وَقُوَّةً فِي الإِيمَانِ وَاليَقِين، وَصَلَابَةً فِي الحَقِّ وَالدِّين، وَعِزًّا بِكَ يَدُومُ وَيَتَخَلَّد، وَشَرَفًا يَبْقَى وَيَتَأَبَّد، لَا يَشُوبُهُ تَكَبُّرٌ وَلَا عُتُوٌّ، وَلَا إِرَادَةُ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ وَلَا عُلُوٌّ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيب.

﴿والثَّالث﴾ قال سيِّدُنا الشيخ نفَعَ اللهُ به في وصِيَّتِه للسيد أبي الوَفا، يُقال بعدَ صلاةِ الصُّبحِ مرَّةً، وبعدَ صلاةِ العَصرِ كذلِك، وهو دعاءُ الإمْدادِ بِالقُوَّةِ، أوَّلُه:

يَا اللهُ، يَا رَبُّ يَا قُدُّوس، يَا قَوِيُّ يَا مَتِين، أَسْأَلُكَ بِقُدْرَتِكَ وَبِقُوَّتِك، أَنْ تُمِدَّنِي فِي جَمِيعِ قُوَايَ وَجَوَارِحِي الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَة، بِقُدْرَةٍ مِنْ قُدْرَتِك، وَبِقُوَّةٍ مِنْ قُوَّتِكَ أَقْدِرُ بِهَا وَأَقْوَى عَلَى القِيَامِ بِمَا كَلَّفْتَنِي مِنْ حُقُوقِ رُبُوبِيَّتِك، وَنَدَبْتَنِي إِلَيْهِ مِنْهَا فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَفِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ خَلْقِك، وَعَلَى التَمَتُّعِ بِكُلِّ مَاخَوَّلْتَنِي مِنْ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَبَحْتَهَا لِي فِي دُنْيَايَ، وَيَكُونُ كُلُّ ذٰلِكَ عَلَى أَصْلَحِ الوُجُوهِ وَأَكْمَلِهَا وَأَعْدَلِهَا وَأَحْسَنِهَا وَأَفْضَلِهَا، مَصْحُوبًا بِالعَافِيَةِ وَالقَبُولِ وَالرِّضَا مِنْكَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِين.

﴿والرَّابع﴾ ﴿اَللَّهُمَّ﴾ وَفِّقْنِي لِطَاعَتِك، وَاسْلُكْ بِي سَبِيلَ مَرْضَاتِك، وَاجْعَلْنِي مِمَّنْ يَتَّقِيكَ وَيَخْشَاك، وَيَخَافُكَ وَيَرْجُوك، وَيَسْتَعِينُ بِكَ وَيَتَوَكَّلُ عَلَيْك. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ احْفَظْنِي فِي دِينِي وَنَفْسِي وَأَهْلِي وَأَوْلَادِي وَمَالِي وَجَمِيعِ مَا أَعْطَيْتَنِي، وَوَفِّقْنِي لِشُكْرِك، وَاجْعَلْنِي فِي خَفِيِّ لُطْفِك، وَأَسْبِلْ عَلَيَّ جَمِيلَ سِتْرِك، وَارْزُقْنِي العَافِيَةَ الكَامِلَةَ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَالآخِرَة، وَتَوَفَّنِي عَلَى الإِسْلَامِ فِي يُسْرٍ وَلُطْفٍ كَمَا تُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ، آمِين يَا رَبَّ العَالَمِين.

تَمَّتِ الأَذْكارُ والأَدْعِية لِسيِّدِنا، المُرَتَّبةُ بعدَ الصَّلاة. قالَ الأَحْسائِي، رحِمَه الله: وقد نُقِلَ لي عن سيِّدي علوي بن سيِّدِنا عبدالله أنَّ هذا الدُّعاءَ يُقرأُ بعدَ الاِسْتغفارِ لِلمُؤْمنين والمُؤْمنات (٢٧ مرَّة) المَذكور آنِفًا، وأَنَّه يَرْويهِ عن والِده، وهو أنْ يَقولَ بعدَه:

وَأَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ بِحَقِّ صَالِحِيهِمْ وَخَوَاصِّهِمْ وَأَهْلِ الوِلَايَةِ البَاطِنَةِ مِنْهُمْ، أَنْ تُصْلِحَ جَمِيعَ حَالَاتِي، وَتَسْتُرَ جَمِيعَ تَبِعَاتِي وَعَوْرَاتِي، وَتَجْمَعَ لِي بَيْنَ نَعِيمِ الدَّارَيْنِ وَعَافِيَتِهِمَا وَكَلَاءَتِهِمَا وَحِيَاطَتِهِمَا فِي ذَاتِي وَصِفَاتِي، وَحَرَكَاتِي وَسَكَنَاتِي، وَسَائِرِ حَالَاتِي، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِين.

ومِمَّا يُرَتِّبُه أيضًا بعدَ صلاةِ الوِتر:

لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِين - (٤٠ مرَّة)

وبعدَ سُنَّةِ الفَجر والدُّعاءِ الوارِدِ فيه:

يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ - (٤٠ مرَّة)

وبعدَ صلاةِ الضُّحَى :

رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيم - (٤٠ مرَّة)

وبعدَ صلاةِ الظُّهرِ والجُمُعةِ :

لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ المَلِكُ الحَقُّ المُبِين - (١٠٠ مرَّة)

وكذلك مِن الوارِد بعدَ صلاةِ الظُّهرِ كُلَّ يوم ٍ أَلْفُ تَهْلِيلَةٍ، وفي رَمضانَ وسِتِّ شوَّالٍ أَلْفَانِ، وبعدَ صلاةِ الجُمُعَةِ: سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ - (١٠٠ مرَّة)، وقالَ إنَّها تَجلِبُ الرِّزق، وفي صباحِ كُلِّ يومٍ مِائَةُ (١٠٠ مرَّة). وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيم - (١٠٠ مرَّة) أيضًا. وهٰذا دُعاؤُه نفَعَ اللهُ به يَدعو به بعدَ قِراءَةِ آيَةِ الكُرسيِ المُعَظَّمة، يَقرَأُ الآيَةَ الشَّريفةَ المَذْكورَةَ أوَّلاً بِحُضورٍ وخُشوعٍ وتَدَبُّرٍ وتَرتِيل - ثَلاثًا أو سَبْعًا أو أحَدَ عشَرَ ﴿قال﴾ على قَدرِ فَراغِه وحُضورِه وخُشوعِه وتَوَجُّهِه، إلَّا أَنَّ هٰذا إنَّما هو بِالمَقاصِد. ثمَّ يَقولُ الدَّاعِي بَعد القِراءَةِ وَالحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العَالَمِين، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى رَسُولِ اللهِ وَعَلَى آلِهِ: يَا الله، يَا حَيُّ يَا قَيُّوم، يَا مَلِكُ يَا قُدُّوس، يَا لَطِيفُ يَا قَاهِر، يَا عَلِيمُ يَا مُحِيط، يَا وَاسِعُ يَا حَفِيظ، يَا عَلِيُّ يَا عَظِيم، أَسْأَلُكَ يَا اللهُ يَا رَبُّ أَنْ تُحْيِيَ قَلْبِي وَرُوحِي بِنُورِ مَعْرِفَتِك وَمَحَبَّتِك، وَتُحْيِيَ جِسْمِي وَجَوارِحِي بِنُورِ عِبَادَتِك وَلُزُومِ طَاعَتِكَ وَدَوَامِ خِدْمَتِك، وَأَنْ تَرْزُقَنِي حُسْنَ القِيَامِ بِحَقِّك، وَتَمْلَأَ يَدَيَّ مِنْ طَيِّبِ رِزْقِك، وَتَشْمَلَنِي بِخَفِيِّ لُطْفِكَ وَرِفْقِك، وَتُمَلِّكَنِي زِمَامَ نَفْسِي حَتَّى أَقُودَهَا إِلَى مَا فِيهِ رِضَاكَ وَنَيْلُ القُرْبِ مِنْك، وَطَهِّرْنِي مِنْ دَنَسِ المُخَالَفَاتِ وَالغَفَلَاتِ وَالشَّهَوَات، وَآتِنِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِك، وَعَلِّمْنِي مِنْ لَدُنْكَ عِلْمًا، وَهَبْ لِي حِكْمَةً وَحُكْمًا، وَعَافِنِي مِنْ سَخَطِكَ وَغَضَبِكَ وَجَمِيعِ بَلَائِك، وَاحْفَظْنِي مِنْ شِرَارِ خَلْقِكَ وَشُرُورِهِمْ، وَمِنَ الشُّرُورِ كُلِّهَا، وَمِنْ جَمِيعِ البَلِيَّاتِ وَالمِحَن، وَأَعِذْنِي مِنْ مُضِلَّاتِ الفِتَن، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَن، وَاجْعَلْنَا مِنَ الَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلَا فَسَادًا، وَلَا بَغْيًا وَلَا عِنَادًا، وَهَبْ لِي فَضْلًا عَظِيمًا، وَكَفِّرْ عَنِّي سَيِّئَاتِي، وَأَدْخِلْنِي مُدْخَلًا كَرِيمًا، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِين، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِين، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِين. وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم،

وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين.

ومِن الأَدْعيةِ المُطْلَقة لَه، رضيَ اللهُ عنه:

﴿اَللَّهُمَّ﴾ اجْعَلْني مِنْ عِبادِكَ المُخْلَصِين، وَحِزْبِكَ المُفْلِحِين، وَتوفَّني مُسْلِمًا وَأَلحِقْني بِالصَّالِحِين. وَاغْفِرْ لِي وَلِوالِدَيَّ وَلِجَمِيعِ المُؤْمِنِينَ وَالمُسْلِمِين، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِين.

وهذا الدُّعاءُ الَّذي ذَكَره في [النَّصائح الدينيَّة]، قال رضيَ اللهُ عنه، ونفَعَ به: ومِن الدَّعواتِ النَّبويَّاتِ الجامِعات:

﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِنِّي أَسْأَلُكَ العَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ أَحْسِنْ عَاقِبَتِي فِي الأُمُورِ كُلِّهَا وَأَجِرْنِي مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَة. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ ارْزُقْنِي طَيِّبًا وَاسْتَعْمِلْنِي صَالِحًا. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ أَلْهِمْني رُشْدِي وَأَعِذْنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِنِّي أَسْأَلُكَ الهُدَى وَالتُّقَى وَالعَفَافَ وَالغِنَى. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ كَمَا حَسَّنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ اجْعَلْ سَرِيرَتِي خَيْرًا مِنْ عَلاَنِيَتِي، وَاجْعَلْ عَلاَنِيَتِي صَالِحَة. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَأَسْأَلُكَ رِزْقًا طَيِّبًا، وَأَسْأَلُكَ عَمَلاً مُتَقَبَّلاً. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ اجْعَلْ خَيْرَ عُمْرِي آخِرَه، وَخَيْرَ عَمَلِي خَوَاتِمَه، وَخَيْرَ أَيَّامِي يَوْمَ لِقَائِك. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ أَرِنِي الحَقَّ حَقًّا وَارْزُقْنِي اتِّبَاعَه، وَأَرِنِي البَاطِلَ بَاطِلاً وَارْزُقْنِي اجْتِنَابَه. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّار.

ثمَّ قال: ولْيَستَفْتِحِ الدُّعاءَ بِالحمدِ للهِ والثَّناءِ عليه، ثمَّ بِالصَّلاةِ والسَّلامِ على النَّبيِّ ﷺ وعلى آلِه، وَلْيَخْتِمْ دُعاءَه بِمِثْلِ ذلك، ثمَّ لْيَقُلْ بعدَه «آمين». وأَمْلى أيضًا لِبعضِ السَّاداتِ بني علَوي يومَ الأربعاء آخِرَ المُحرَّم، أو فاتِحَةَ صفَر سنة ١١٣١، وقد شَكا له مرَضًا مُضِرًّا به، وهو الباسور، وقال له «وَاظِبْ عَلَيْهِ مُدَّة»، فزالَ عنه، وعافَاه اللهُ مِنه، حتَّى كأنَّه لم يُصِبْه قطُّ، وهو هذا «بِسْمِ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم».

ومِن الأَوْرادِ المَأْثورةِ قِراءَةُ «قُلْ هُوَ اللهُ أَحَد»، يعني سورةَ الإخلاص عَشْرَ مرَّات بعدَ كُلِّ مَكْتوبةٍ. «أَعُوذُ باللهِ السَّمِيعِ العَلِيم، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم» عَشْرَ مرَّات صباحًا ومساءً. «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيم»، كذٰلِك «جَزَى اللهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا هُوَ أَهْلُه»، كذٰلك «أَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ الَّذِي لَا إلَهَ إلَّا هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ الحَيُّ القَيُّومُ الَّذِي لَايَمُوتُ وَأَتُوبُ إِلَيْه، رَبِّ اغْفِرْ لِي - (٢٥ مرَّة) صباحًا ومساءً. وإنْ قرَأْتَ سورةَ الإِخْلاصِ بعدَ كُلِّ مَكْتوبَةٍ (٢٥ مرَّة)، فذٰلك حَسَنٌ مُبارَكٌ، فيه الخَيرُ الكثيرُ والبَرَكات، وذلك سِوى العَشْرِ المُتقدِّمِ ذِكرُها، وتَرتِيب اسمِه اللَّطيف (بأن يقول «يَا لَطِيف» - ١٢٩ مرَّة) إنْ تَيسَّر بعدَ كُلِّ فريضَةٍ، وإلَّا صباحًا، ثم يقول: «يَا لَطِيفًا بِخَلْقِه، يَا عَلِيمًا بِخَلْقِه، يَا خَبِيرًا بِخَلْقِه، اُلْطُفْ بِنا يا لَطِيفُ يَا عَلِيمُ يَا خَبِير».

ومِن المَأْثور الصَّلاةُ على رَسولِ اللهِ ﷺ (٥٠ مرَّة) بعدَ كُلِّ مَكْتوبةٍ إنْ تَيسَّر، وإلَّا صباحًا ومساءً، وإنْ زادَ على هذا العددِ في يومِ الجُمُعةِ إلى نحوِ الثَّلاثِمائة، وفي لَيلتِها كذلِك، كانَ له في ذلِك الفَضْلُ الكبير، والفَوائِدُ والعَوائِدُ الحَسنَة، والحِفظُ مِن الآفاتِ والطَّوارِقِ والبَلِيَّات. وكذا تَرتيبُ آيةِ الكُرسيِّ صباحًا ومساءً (٢١ مرَّة)، وإنْ تَيسَّر لِلإنسانِ المُتَفرِّغِ أنْ يُرتِّبَها بعدَ كُلِّ مَكْتوبَةٍ كانَ فيها مِن الجَلْبِ لِلخَيرات، والدَّفعِ لِلمَضرَّات مِن فضلِ اللهِ أكثَرُ مِن أنْ يَخْطُرَ على بال، وذٰلك مع التَّرتيلِ وتَركِ العَجَلَة، وتَدَبُّرِ المعنى والإِخْلاصِ لِله، ويُسِرُّ بِذلك إنْ شاءَ، أو يَجْهَرُ جهرًا لَطيفًا. والسِّرُّ في حُسنِ النِّيَّة، وإرادَةِ وجهِ اللهِ تعالى والدَّارِ الآخِرة، دُونَ التَّصَنُّعِ والمُراءاةِ لِلمَخلوقِين، فإنَّ الأَمرَ كُلَّه لِله، ونَواصي العِباد بيدِه، وخَزائِنُ السَّمٰواتِ والأَرضِ كُلُّها له، كما قالَ تعالى: [وَلِلهِ خَزَائِنُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَلٰكِنَّ المُنَافِقِينَ لَايَفْقَهُون . . . . . وَلِلهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلٰكِنَّ المُنَافِقِينَ لَايَعْلَمُون].

فأمَّا كَثرةُ الأَوْرادِ مع العَجَلَةِ والغَفْلَة، وقِلَّةِ الحُضورِ مع اللهِ فِيها، فنَفْعُها قَليلٌ، ولَيسَتْ تَخلو عن نَفعٍ ودَفعٍ إنْ شاءَ اللهُ تعالى، وذلِك مَرْجُوٌّ مِن فَضلِ الرَّبِّ العَظيمِ،

وبَرَكَةِ رَسولِه الكَريم، عليهِ أَفضلُ الصَّلاةِ والتَّسليم.

والوِردُ الَّذي يَنْبَغي لِلإنسانِ أنْ يُلازِمَه، وهو قولُ «لَا إِلٰهَ إلَّا أَنْتَ»، والإِسْتِغفارُ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رَسولِ اللهِ ﷺ، وصلَّى اللهُ على سيِّدِنا محمَّدٍ وعلى آلِه وصَحبِه وسلَّم.

وقالَ الأَحْسائِي، رحِمَه الله: وَأَملَى عليَّ سيِّدي، نفَعَ اللهُ به، هٰذه الكَيفِيَّاتِ مِن الصَّلاةِ على النبيِّ ﷺ، وهي قولُه:

بِسمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحيم. الحمدُ للهِ وحدَه، وصلَّى اللهُ وسلَّم على سيِّدِنا ومَوْلانا محمَّدٍ وعلى آلِه بعدَه.

وبعدُ، فهذه كَيْفِيَّات مِن الصلاةِ على رسولِ اللهِ ﷺ يَنْبَغي أنْ يُواظَبَ علَيه في كُلِّ يومِ اثنَيْنِ وخَميسٍ، أو في كُلِّ يومٍ فحَسَنٌ جَميل، وهي مَأْثورةٌ ومَنْقولَةٌ عن السَّلفِ، وليسَ لجامِعِها سِوى الجَمعِ والإِسْتِحسانِ لِلتَّكرار، لكلِّ واحِدةٍ مِنها العددُ المذكور، وهي سبعُ كيفِيَّات:-

﴿الأولى﴾ اَللَّهُمَّ يا رَبَّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَاجْزِ مُحَمَّدًا مَا هُوَ أَهْلُه - (١١ مرَّة)

﴿الثانية﴾ اَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ عَدَدَ مَا عَلِمْتَ وَزِنَةَ مَا عَلِمْتَ وَمِلْءَ مَا عَلِمْتَ - (١١ مرَّة)

﴿الثالثة﴾ اَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ عَدَدَ الشَّفْعِ وَالوَتْرِ عَدَدَ كَلِمَاتِ رَبِّنَا الطَّيِّبَاتِ المُبارَكَات - (١١ مرَّة)

﴿الرابعة﴾ اَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ عَدَدَ كُلِّ ذَرَّة - (١١ مرَّة)

﴿الخامسة﴾ اَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ فِي الأَوَّلِين، وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ فِي الآخِرِين، وَصلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ فِي المَلَإِ الأَعْلَى إِلَى يَوْمِ الدِّين - (١١ مرَّة)

﴿السادسة﴾ اَللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبارِكْ وَكَرِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ السَّابِقِ لِلْخَلْقِ نُورُه، وَالرَّحْمَةِ لِلعَالَمِينَ ظُهُورُه، عَدَدَ مَنْ مَضى مِنْ خَلْقِك، وَمَنْ بَقِيَ وَمَنْ شَقِيَ مِنْهُمْ وَمَنْ سَعِد، صَلاَةً لاَ غَايَةَ لَهَا وَلاَ انْتِهَاء، وَلاَ أَمَدَ لَهَا وَلاَ انْقِضَاء، صَلاَتَكَ الَّتِي صَلَّيْتَ عَلَيْه، صَلاَةً دَائِمَةً بِدَوَامِك، بَاقِيَةً بِبَقَائِك، لاَ مُنْتَهى لَهَا دُونَ عِلْمِك، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ كَذٰلِك، وَالحَمْدُ لِلهِ عَلَى ذٰلِك - (١١ مرَّة)

﴿السَّابعة﴾ اَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، صَلاَةً تَكُونُ لَكَ رِضًا وَلِحَقِّهِ أَدَاءً - (٣٣ مرَّة)

فتَتِمُّ الكيفِيَّاتُ بِهٰذه التِّسْعِ والتِّسْعِين مرَّة. والحمدُ لِلهِ ربِّ العالَمين.

أملَاه السيِّدُ الشَّريف الشيخ عبدالله بن علوي الحدَّاد علوي، بِتاريخ بَكرة يومِ الجُمعة السابعَ عشرَ مِن رجَبِ الأصَبِّ مِن سنة ١١١٦ (سِتَّ عشرَةَ ومِائةٍ وألفٍ). وقال الشيخ أحمد الأحسائِي المَذْكور، رحِمَه الله، وأَمْلى عليَّ رضِيَ اللهُ عنه هذا لِبعضِ السَّادَة، وأَرْسَلَني بِهِ إِلَيْه، وهو السيِّد الفاضل عبدالرحمن بن عبدالله بَلْفقيه، وكذٰلك الكيفِيَّاتُ السَّبعُ مِن الصلاةِ على النبيِّ ﷺ، وهو هذا: الحمدُ لِلهِ وحدَه، الإِلٰهِ المُعَظَّم، [وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَيَحْتَسِبُ، وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ، إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ، قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا] يعني عندَ كُلِّ مُهِمٍّ مِن جَلْبٍ أو دَفْعٍ يَنْكَشِفُ بِإذنِ الله. وأَقلُّ مَا يَنْبَغي أنْ تُقرَأَ عندَ المُهِمَّاتِ والمُلِمَّات (١٢ مرَّة إلى ٤٠ مرَّة). ودُعاءُ الكُروبِ الَّذي رَواه البُخاري ومسلِم: «لاَإِلٰهَ إِلَّا اللهُ العَظِيمُ الحَلِيم، لاَ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيم»، هذا كذلك. وكلمةُ ذي النُّون، عليه الصَّلاةُ والسَّلام: «لاَ إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِين» كذلك، ويُقالُ إنَّ فيها الإِسمَ الأَعْظم، «وَلإِيلاَفِ قُرَيْشٍ .....» أَربعًا أو سَبعًا أو إِحدى عَشْرَةَ مرَّة. وحِزبُ البحرِ بعدَ العَصرِ في البَرِّ والبَحرِ، خُصوصًا إنْ حصَلَ شيءٌ مِن الحركاتِ المُخَوِّفَة، والسُّكونِ المَخْشيِ مِنه الإِنْقطاع، وليسَ يَتَقَيَّدُ عندَ شَدائِده، يعني البحرَ بعدَ

العصرِ مُجَرَّب، ويُقالُ إنَّ فيه الاِسمَ الأَعْظمَ - ثَلاث مرَّات، وأنَّه أُلْقِيَ على الشيخ أبي الحسَن الشَّاذِلي وهو في البَحر، وقد حصَلَتْ عليه شِدَّةٌ، وحصَلَتْ له سِنَةٌ في شِبْهِ الغَيْبَةِ أَلْقاهُ فيها رسولُ اللهِ ﷺ.

والرَّاتِبُ الَّذي رَتَّبناه لنا ولأَصْحابِنا بعدَ العِشاء، وهو مَعْروف، يَنْبَغي أنْ يُقرَأَ في الاِجْتِماعِ وفي الاِنْفِراد على حسَبِ التَّيْسير، وخُصوصًا لِلمُتَسَبِّبين بِشيءٍ مِن الرَّوابِطِ المَعْروفةِ بينَ أهلِ الطَّريق، واللهُ المُسْتعانُ وعلَيْهِ البلاغ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ العليّ العظِيم، سُبْحانَهُ وتعالَى لا إلَهَ إلَّا هو الحَيُّ القَيُّوم العليُّ العَظِيم - انتهى مِن إملاءِ السيدِ الشَّريفِ عبدالله بن علوي الحَدَّاد علوي الحُسَيْنِيّ، بِتاريخ عَشِيَّةِ الخَميس ٢٣ رجب ١١١٩ (سنةَ تسعَ عشرةَ ومِائةٍ وألفٍ)، والَّذي اسْتَملاهُ مِنه الشيخ أحمد الأحسائِي، رحِمَه الله.

قالَ الأحسائِيُّ: وذكَرَ سيِّدُنا الحبيب الشَّيخ في بعضِ مُكاتَباتِه إلى الشَّيخ عبدالله بن عمر شراحيل، أَخْرَجَ اللهُ مِن قَلبِهِ قدرَ الدُّنيا، وكُلَّ محلٍّ لِلخَلقِ يَميلُ إلى مَعْصِيته، أو يَشْغَلُه عن طاعَتِه، أو يَحولُ بينَهُ وبينَ التَّحقُّقِ بمَعْرفتِه الخاصَّة، ومَحبَّتِهِ الخالِصَة. وهذه الدَّعَواتُ مِمَّا فتَحَ اللهُ بها على عبدِه، وبها نَدعُو كثيرًا، فواظِبوا عليهَا، فإنَّ الحاجَةَ داعِيَةٌ إليها في حقّ مَن ابْتُلِيَ بِمَعرفةِ الخلقِ والظُّهورِ لهم، وهو مع ذلك مُتلَهِّفٌ إلى التَّخلُّصِ لِيَخلُصَ إلى فَضاءِ المَلَكُوت، وقُدسِ اللاَّهُوت، أي فيقولُ «اَللَّهُمَّ أَخْرِجْ مِنْ قَلْبِي كُلَّ قَدْرٍ لِلدُّنْيَا وَكُلَّ مَحَلٍّ لِلخَلْق» مع كافِ الخِطابِ في الأَرْبَعةِ المَواضِع - انتهى.

قالَ الأحسائِي: ومِن قُنوتِ سيِّدِنا في النَّازِلَة: ﴿اَللَّهُمَّ﴾ ارْفَعْ عَنَّا القَحْطَ وَالغَلاَءَ وَالجَوْرَ وَالفِتَنَ وَالوَبَاءَ وَسَائِرَ أَنْوَاعِ البَلاَءِ مِنْ بِلاَدِنَا خَاصَّةً وَمِنْ سَائِرِ بُلْدَانِ المُسْلِمِينَ عَامَّة. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ ادْفَعْ عَنَّا شَرَّ الطَّاغِينَ وَالبَاغِينَ وَالظَّالِمِينَ بِمَا شِئْتَ وَكَيْفَ شِئْتَ عَاجِلاً غَيْرَ آجِلٍ فِي لُطْفٍ وَعَافِيَة. وَصَلَّى اللهُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم.

قنتَ به يومَ الخَميس مُبتَدِئًا بِعصرِ الجُمُعةِ ١٣ ربيع الثاني إلَّا في الصُّبحِ، اِستَمَرَّ

حتَّى ختمَ بِصُبحِ الجُمُعةِ ٢ جُمادى آخِر.

ومِن دُعائِه لِلاسْتِسقاءِ، أَملاه ضَحْوةَ يومِ الخَميس ٢٣ محرَّم ١١٢٣ (سنةَ ثلاثٍ وعشرين ومِائةٍ وألفٍ):

﴿اَللَّهُمَّ﴾ يَا سَمِيعَ دُعَاءِ الدَّاعِين، وَيَا مُجِيبَ الْمُضْطَرِّين، وَيَا مُغِيثَ الْمُسْتَغِيثِين، وَيَا مُعْطِيَ السَّائِلِين، نَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ وَتُسَلِّمَ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ وَحَبِيبِكَ وَخَلِيلِكَ مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْمُرْسَلِين، وَخَاتَمِ النَّبِيِّين، الَّذِي أَرْسَلْتَهُ رَحْمَةً لِلعَالَمِين. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ اسْقِنَا الغَيْثَ وَالرَّحْمَة، وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِين. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ اسْقِنَا الغَيْثَ وَالرَّحْمَة، وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِين. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ اسْقِنَا الغَيْثَ وَالرَّحْمَة، وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِين. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ اسْقِنَا وَأَغِثْنَا! ﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِنَّا نَسْتَغْفِرُكَ إِنَّكَ كُنْتَ غَفَّارًا، فَأَرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْنَا مِدْرَارًا. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ ارْفَعْ عَنَّا القَحْطَ وَالغَلَاءَ وَالجَوْرَ وَالفِتَنَ وَالوَبَاءَ وَجَمِيعَ أَنْوَاعِ البَلَاءِ مِنْ بَلَدِنَا وَجِهَاتِنَا خَاصَّة، وَمِنْ بُلْدَانِ الْمُسْلِمِينَ وَجِهَاتِهِمْ عَامَّة، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِين، آمِين. وَصَلَّى اللهُ عَلَى رَسُولِهِ الأَمِين، مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّين، وَالحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العَالَمِين.

وقَنَتَ بذلك القُنوتِ المذكورِ في الصُّبحِ ابتِداءً نحوَ ١٠ أو ١١ ربيع الأول ١١٢٧ (سنةَ سبعٍ وعشرين ومِائةٍ وألفٍ)، وَاستَمَرَّ إلى صُبحِ السَّبتِ ١٠ أو ١١ مِن ذي الحِجَّة، فقَنَتَ في صُبحِ ذلك اليومِ، ثم لم يَقْنُتْ بعدَه.

قال الأَحسائِي ﴿وقال﴾ سيِّدُنا رضيَ اللهُ عنه ونفَعَ به: هذا الدُّعاءُ في مجلِسِ عَشِيَّةِ يومِ الاِثنَيْنِ حَفِظَه مَن حَفِظَه، ونَسِيَه مَن نَسِيَه، وهو للإمام عبدالله بن مسعود، رضيَ اللهُ عنه، وكانَ يَدعو به كثيرًا، وهو:

﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيمَانًا لَا يَرْتَد، وَنَعِيمًا لَا يَنْفَد، وَقُرَّةَ عَيْنِ الأَبَد، وَمُوَافَقَةَ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فِي أَعْلَى جَنَّةِ الخُلْد.

وكذلك الدُّعاءُ المذكورُ أوَّلًا، ووَعَدَ أنْ يَكتُبَه لِلسيد أحمد بن زين الحبشي، فكَتَبَ

له، وهذا مِن نُسختِه - انتهى مِن إملاءِ السيدِ الشَّريف عبدالله بن علوي الحدَّاد علوي الحُسَينِي، نَفَعَني اللهُ به والمُسلِمين في الدَّارَيْنِ، آمين.

وكان ذلك بِتاريخ وقتِ العصرِ يومَ الثُّلاثاء ٧ محرَّم ١١٣١ (سنةَ إحدى وثلاثين ومائةٍ وألفٍ). قال الأَحْسائي: وهذا الدُّعاءُ لسيدِنا الشيخ عبدالله بن علوي الحدَّاد أيضًا، نفعَ اللهُ به. قالَ نفعَ اللهُ به: يُستَحبُّ أنْ يبدَأَ المُصلِّي على النبيِّ ﷺ بهذا الدُّعاءِ، فإنَّ له فضلاً عظيمًا، وهو:

﴿اَللَّهُمَّ﴾ إنِّي نَوَيْتُ بِصَلاَتِي هٰذِهِ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، اِمْتِثَالًا لِأَمْـرِك، وَتَصْدِيقًا بِكِتَابِك، وَاتِّبَاعًا لِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وَمَحَبَّةً فِيهِ وَشَوْقًا إِلَيْه، وَتَعْظِيمًا لِحَقِّهِ وَتَشْرِيفًا لَه، وَلِكَوْنِهِ أَهْلاً لِذٰلِك، فَتقَبَّلْهَا اللَّهُمَّ بِفَضْلِكَ وَجُودِكَ وَكَرَمِكَ وَإِحْسَانِك، وَأَزِلْ حِجَابَ الغَفْلَةِ عَنْ قَلْبِي، وَاجْعَلْنِي مِنْ عِبَادِكَ الصَّالِحِين. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ زِدْهُ شَرَفًا عَلَى شَرَفِهِ الَّذِي أَوْلَيْتَه، وَعِزًّا عَلَى عِزِّهِ الَّذِي أَعْطَيْتَه، وَنُورًا عَلَى نُورِهِ الَّذِي مِنْهُ خَلَقْتَه، وَأَعْلِ مَقَامَهُ فِي مَقَامَاتِ المُرْسَلِين، وَدَرَجَتَهُ فِي دَرَجَاتِ النَّبِيِّين، وَأَسْأَلُكَ رِضَاكَ وَالجَنَّةَ وَرِضَاهُ يَا رَبَّ العَالَمِين، مَعَ العَافِيَةِ الدَّائِمَةِ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَالآخِرَة، وَالمَوْتَ عَلَى الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالجَمَاعَة، وَكَلِمَةِ الشَّهَادَةِ عَلَى تَحْقِيقِهَا مِنْ غَيْرِ تَبْدِيلٍ وَتَغْيِير، وَاغْفِرْ لِي مَاارْتَكَبْتُهُ بِفَضْلِكَ وَإِحْسَانِكَ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيم، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِين، أَجْمَعِين، وَالحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العَالَمِين.

وهذه المُضَرِيَّةُ لِلبُوصيرِي، وتَخْمِيسُها يُقالُ لِسيِّدِنا الشيخ عبدالله الحدَّاد، ولعَلَّ التَّخمِيسَ كانَ سنَةَ حَجَّ رضِيَ اللهُ عنه عامَ ١٠٧٩ (تسعٍ وسبعين وألفٍ). ولعَلَّ السائِلَ للتَّخميسِ مِن سيِّدِنا رَجُلٌ مِن جِهةِ عُمان، لأنَّ التَّخميسَ مشهورٌ له عندَهم، وهو هذا:

بِسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيم

لَمَّـا غـدَوْتُ أُراعي النَّجمَ في سَهَـرٍ * مِمَّـا اعْتَـرانيَ مِن هـمٍّ ومِـن ضَـرَرِ
نـاديتُ مُعتمِـدًا مـاصـحَّ في خَـبَرٍ * يـا ربِّ صـلِّ عـلى المُختـارِ مِن مُضَرِ
والأَنْبيا وجميعِ الرُّسلِ ماذُكِرُوا

والحِقْ بكـلِّ نـبيٍّ خـيرَ عِتْـرَتِـهِ * مَن كـانَ مُندرِجًـا في طَيِّ طـاعَتِـهِ
ومَـن أعـانَ نبيًّـا قَصـدَ نُـصْـرَتِـهِ * وصـلِّ ربِّ عـلى الهـادي وشِيعَتِـهِ
وصحبِهِ مَن لِطَيِّ الدِّينِ قد نَشَرُوا

طُوبَى لهم سـادَةً بِـالمصطفى سَعِـدُوا * فَسـاعَـدُوه فَنـالـوا كُـلَّ مَـا قَصَـدُوا
وآثَـرُوه مِـن الـدُّنيـا بِمـا وَجَـدُوا * وجـاهَـدُوا معَـهُ في اللهِ واجْتَـهَـدُوا
وهاجَرُوا ولَهُ آوَوْا وقد نَصَرُوا

مِن حُسنِ مـاأَخْلَصـوا للهِ واحْتَسَبُـوا * مَـا قَـابَـلوا فِئَـةً إلَّا وقـد غَـلَبُـوا
نَعَمْ ولا فَـتَـروا يـومًـا ولا هَـرَبُـوا * وبَيَّنُـوا الفَـرضَ والمَسْنـونَ واصْـطَبَـرُوا
لِلَّهِ واعْتَصَموا باللهِ فَانْتَصَرُوا

فـازُوا بِمَن حـازَ في الأَخْـلاقِ أَلْـطَفَهَـا * يـا ربِّ زِدْهُ صـلاةً أنـتَ تَعْـرِفُـهَـا
وقـد سـأَلْتُـكَ ربِّي أنْ تُضـاعِفَهَـا * أَزْكَـى صـلاةً وأَنْمـاهـا وأَشْـرَفَـهَـا
يُعَطِّرُ الكونَ رَيًّا نَشْرِها العَطِرُ

تكـونُ في سـائِـرِ الأَوْقـاتِ لازِمَـةً مَـقْـرونَـةً بِـدوامِ المُـلكِ دائِـمَـةً
ولم تـزَلْ بِـبَـقـاءِ اللهِ بـاقِـيَـةً * مَـفْتـوقَـةً بِـعَبـيرِ المِسـكِ زاكِيَـةً
مِن طيبِها أَرَجُ الرِّضوانِ يَنْتَشِرُ

مِن حيثُ لايُمكِـن الأفكـارَ تَجْمَعُـهَـا * كـلَّا ولا قـاطِـعٌ في الدَّهـرِ يَقْـطَعُهَـا
واجعَـلْ صـلاتَـكَ يـاقـوتًـا تُـرَصِّعُهَـا * عـدَّ الحصَى والثَّرى والـرَّمـلُ يَتْبَعُهَـا
نجمُ السَّما ونباتُ الأَرضِ والمَدَرُ

تُهـدَى لِحضـرتِـهِ الفَيْحَـا عـلى نَسَقٍ * أعـدادُ مـا جَمَعَتْـهُ النـاسُ في طُـرُقٍ

وما تحرقُ أَجفانٌ على حَدَقٍ * وعدَّ ما حَوَتِ الأَشْجارُ مِن وَرَقٍ
وكلَّ حرفٍ غدًا يُتْلى ويُسْتَطَرُ

وعدَّ ما وَهَبَ الرَّحْمنُ أو أَخذَا * وعدَّ أَصْنافِ رزقٍ قطُّ ما نَفذَا
وعدَّ أَنْفاسِ خلقٍ يَطلبونَ غِذَا * وعدَّ وزنِ مَثاقيلِ الجِبالِ كَذَا
يَتلُوهُ قَطرُ جميعِ الماءِ والمَطَرُ

وعدَّ ساعاتِ ما في الكونِ مِن قِدَمٍ * وما مشَى فوقَ وجهِ الأَرضِ مِن قَدَمٍ
وعدَّ ما خَلَقَ الرَّحمنُ مِن أُمَمٍ * والطَّيرِ والوَحشِ والأَسماكِ مِن نِعَمِ
تَتْلُوهُم الجِنُّ والأَملاكُ والبَشَرُ

مَقْرونَةً بِسلامٍ دائِمًا فإِذا * يُتْلَى يَقومُ لها بينَ الأنامِ شَذَا
أَعدادُ ما في نُجومِ الأَرضِ قدْ نَبذَا * والذَّرُّ والنَّملُ مَع جمعِ الحُبوبِ كذَا
والشَّعرُ والصُّوفُ والأَرْياشُ والوَبَرُ

وعدَّ ما كان مَوْجودًا بِكلِّ سَمَا * وكلِّ شيءٍ به الرَّحْمنُ قد عَلِمَا
وكلِّ رِزقٍ لِخَلْقِ اللهِ قد قَسَمَا * وما أَحاطَ به العِلمُ المُحيطُ وما
جرَى به القَلَمُ المأْمورُ والقدَرُ

وما حَوَتْ كلُّ أرضٍ مِن عَجائِبِهَا * وكلُّ مَن كان يَسْعى في مَناكِبِهَا
وما تَصاعَدَ في أَعلَى جَوانِبِهَا * وعدَّ نَعْمائِكَ اللَّاتِي مَنَنْتَ بِهَا
على الخَلائِقِ مُذْ كانُوا ومُذْ حُشِرُوا

وعدَّ ماغمَضَتْ عينٌ وما طَرَفَتْ * وعدَّ ماحرَّكَتْهُ الرِّيحُ مُذْ عَصَفَتْ
مِن ابْتِداءِ المَواقيتِ الَّتي سلَفَتْ * وعدَّ مِقدارِهِ السَّامِي الَّذي شرُفَتْ
به النُّبُوَّةُ والأَمْلاكُ وافْتخَرُوا

وزِدْه أَضعافَها ياواسِعَ المَددِ * يامالِكَ المُلكِ وابْقِيها إلى الأبَدِ
مَضروبةَ الجَمعِ فيمَا مرَّ مِن عددٍ * وعدَّ ما كانَ في الأَكْوانِ ياسَنَدِي
وما يكونُ إلى أنْ تُبعَثَ الصُّوَرُ

يـارَبِّ واشمَـلْ صـلاةً قـد مننْتَ بهـا * فـذاكَ لِلـنَّـفسِ مِـن أقْصى مـآرِبهَـا
واهْـدِ السَّـلامَ إلى أَعْضـاءِ صـاحِبِهَـا * في كـلِّ طَـرفَـةِ عـينٍ يَـطـرِفـونَ بِهَـا
أهلُ السَّمٰواتِ والأَرْضِين أو بَذَرُوا

وصَفِّهـا ربِّ مِن نقصٍ ومِن عـطَلٍ * ومِـن رِيـاءٍ ومِن عُـجْبٍ ومِـن زَلَـلِ
وكـلِّ مـا يُفسِـدُ الأعمـالَ مِن عمَـلٍ * مِـلْءَ السَّمٰواتِ والأرضِـين مَـع جَبَـلٍ
والفَرشِ والعَرشِ والكُرسيِ وما حَصَرُوا

ياربِّ ذَا العبدُ في جَمعِ الثَّوابِ طمَع * وكـرِّرَ الجَمعَ في أيَّـامِ كـلِّ جُمَـع
يـاربِّ واغفِـرْ لَـه وامنُنْ عليـه وَسَـع * مـا أَعْـدمَ اللهُ مَـوجـودًا وأَوْجـدَ مَـع
دومًا صلاةً دوامًا ليسَ تَنحصِرُ

واثْبِتْ رجـائِي بهـا يـاأَعـظَمَ العُـظَمَا * يـاواسِـعَ الجُـودِ بـك يـاأَكْرَمَ الكُـرَمـا
واجعَـلْ لهـا كـلَّ وقتٍ ثَمـرَةً ونَمَـا * تَستغْـرِقُ العدَّ مَـع جمعِ الـدُّهـورِ كَـمَا
تُحيطُ بالحَدِّ لاتُبقِي ولا تَذَرُ

واجعَـلْ بِـدايـةَ بَـدْءِ الخلقِ أَوَّلَهَـا * وتَـسـتـمِـرُّ مِـن الأزمـانِ أَطْـولَهَـا
أَزْكـى صـلاةً وأَنْمـاهـا وأَجْـزَلَهَـا * لاغـايَـةٌ وانْـتِهـاءٌ يـاعـظِيمُ لَهَـا
ولا لَها أمَلٌ يُقضَى ويُعْتَبَرُ

تَـبـقَـى بـأَمـرِ إلـهٍ واحـدٍ أحَـدٍ * دَأْبًـا بـلا أَجَـلٍ يُـقضَى ولا أَمَـدِ
أَعْـدادَ أَصْنـافِ أَوبـارٍ عـلى جَسَـدٍ * مـعَ السَّـلامِ كـمـا قـدْ مَـرَّ مِن عـدَدٍ
ربِّ وضاعِفْها فالأجرُ مُنْتَشِرُ

وَالْهِـمْ تِـلاوتَهـا أَمْـلاكَ كـلِّ سـمَا * والْهِمْ لِسـاني وقلبِي طِيبَ ذِكْـرِهِمَـا
وكـلَّ جـنٍّ وإنسٍ آمـنُـوا بِهِـمَا * كـمـا تُحِـبُّ وتَـرضَى سيِّـدِي وكَـمَا
أَمَرْتَنا أنْ نُصلِّيَ أنتَ مُقْتَدِرُ

والحِقْ بمـا مـرَّ مجمـوعًـا مِن التُّحَفِ * أَعْـدادَ مـاخـطَّتِ الأقـلامُ في الصُّحُفِ

تُهدَى لِذاكَ الجَنابِ العَالِي الشَّرَفِ * وكلُّ ذلك مَضروبٌ بِحَقِّك في
أَنفاسِ خلقِكَ إنْ قلُّوا وإنْ كَثُرُوا

وَهَبْ لنا خيرَ قِسْمٍ مِن مَنافِعِهَا * واجْزِلْ لنا مِنكَ نورًا مِن لَوامِعِهَا
واقْطَعْ بِمن رامَ سعيًا في قَواطِعِهَا * يارَبِّ واغفِرْ لِقائِلِها وسامِعِهَا
والمُسْلمين جميعًا أيْنما حَضَرُوا

وَهَبْ لنا كلَّ خيرٍ مَع أَحِبَّتِنَا * وكُن لنا كافِياً في كلِّ حالَتِنَا
واغفِرْ جَميعَ ذُنوبٍ في صَحيفَتِنَا * ووالِدينَا وأَهْلِينَا وجِيرَتِنَا
وكلُّنا سيِّدِي لِلْعفوِ مُفْتَقِرُ

واغفِرْ لِمن قَبلَنَا بِالنَّظْمِ جَمَّلَها * ومَن إلينا بِفضْلٍ مِنك أَوْصَلَهَا
وارْحَمْ عُبَيْدًا بِذَا التَّخميسِ ذَيَّلَهَا * وقد أَتَيْنا ذُنوبًا لا عِدَادَ لَهَا
لٰكِنَّ عفوَكَ لا يُبقِي ولا يَذَرُ

يارَبِّ أنتَ الرَّجَا في كلِّ نازِلَةٍ * يا مَن تنَزَّهَ عن نومٍ وعن سِنَةٍ
اخْتِم لنا بِمَتابٍ حُسنَ خاتِمَةٍ * وكُن لَطيفًا بِنا في كلِّ نازِلَةٍ
لُطفًا جميلًا بِهِ الأهوالُ تَنْحَصِرُ

وصلِّ ربِّ على المُختارِ ماهَمَعَتْ * سُحبُ الغَمامِ بِوَبْلِ الغَيثِ واجْتَمَعَتْ
وكانَتِ الغر لِلخَيْراتِ قد جَمَعَتْ * وصلِّ دأْبًا على المُخْتارِ ما طَلَعَتْ
شمسُ النَّهارِ وما قَدْ شَعْشَعَ القَمَرُ

تَمَّ النَّظمُ والتَّخميسُ إلى هنا مِن المُضَرِيَّة بعونِ اللهِ تعالى، خالِقِ البرِيَّة، فالحمدُ للهِ على التَّمامِ. قيل لَمَّا انتهى النَّاظِمُ إلى قولِه «وما قد شَعْشَعَ القَمرُ» وهو على ساحِلِ البَحرِ أَتَى نَحوَه رَجُلٌ يَمْشي على الماءِ، وقال له: قِفْ إلى هُنا، فقد أَتْعَبْتَ الملائِكَةَ بِكِتابَةِ فَضائِلِها. ويَكفي في ذلِك فَخْرًا بِأَنَّ سيِّدَنا الحدَّاد، نفعَ اللهُ به، خَمَّسَها. وقد رأَيْتُ مِن بعضِ فَضائِلِها أنَّ مَن وَاظَبَ على قِراءَتِها بعدَ كلِّ صلاةٍ مَفروضَةٍ دَخَلَ الجنَّة، كذا سمِعْنا مِن الشيخِ العلَّامةِ الصُّوفِي عبدالواحد بن علي الزَّارِفي، وسمِعْتُها يُرَتِّبُها بعد

الصلاةِ رَجاءَ حُسنِ الخاتِمَة، رحِمَه اللهُ ونفعَنا به، آمين، واللهُ أعلَم. وصلَّى اللهُ على سيِّدِنا محمَّدٍ وآلِه وصحبِه وسلَّم.

وهذا الدُّعاءُ يُذكَرُ لسيدِنا صاحِبِ التَّخمِيس، نفَعَ اللهُ به، وهو هذا:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم

﴿اَللَّهُمَّ﴾ اشْرَحْ بِالصَّلاَةِ عَلَيْهِ صُدُورَنَا، وَيَسِّرْ بِهَا أُمُورَنَا، وَفَرِّجْ بِهَا هُمُومَنَا، وَاكْشِفْ بِهَا غُمُومَنَا، وَاغْفِرْ بِهَا ذُنُوبَنَا، وَاقْضِ بِهَا دُيُونَنَا، وَأَصْلِحْ بِهَا أَحْوالَنَا، وَبَلِّغْ بِهَا آمَالَنَا، وَتَقَبَّلْ بِهَا تَوْبَتَنَا، وَاغْسِلْ بِهَا حَوْبَتَنَا، وَانْصُرْ بِهَا حُجَّتَنَا، وَطَهِّرْ بِهَا أَلْسِنَتَنَا، وَآنِسْ بِهَا وَحْشَتَنَا، وَارْحَمْ بِهَا غُرْبَتَنَا، وَاجْعَلْهَا نُورًا مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا وَمِنْ خَلْفِنَا، وَعَنْ أَيْمَانِنَا وَعَنْ شَمَائِلِنَا، وَفِي حَيَاتِنَا وَمَوْتِنَا، وَفِي قُبُورِنَا وَحَشْرِنَا وَنَشْرِنَا، وَظِلًّا فِي القِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِنَا، وَثَقِّلْ بِهَا يَا رَبِّ مَوَازِينَ حَسَنَاتِنَا، وَأَدِمْ بَرَكَاتِهَا عَلَيْنَا حَتَّى نَلْقَى نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَنَحْنُ آمِنُونَ مُطْمَئِنُّونَ فَرِحُونَ مُسْتَبْشِرُون، وَلاَ تُفَرِّقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ حَتَّى تُدْخِلَنَا مَدْخَلَهُ، وَتُؤْوِيَنَا إِلَى جِوَارِهِ الكَرِيمِ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِين.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِنَّا آمَنَّا بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ نَرَهُ فَمَتِّعْنَا اللَّهُمَّ فِي الدَّارَيْنِ بِرُؤْيَتِه، وَثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى مَحَبَّتِه، وَاسْتَعْمِلْنَا عَلَى سُنَّتِه، وَتَوَفَّنَا عَلَى مِلَّتِه، وَاحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ النَّاجِيَة، وَحِزْبِهِ المُفْلِحِين، وَانْفَعْنَا بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُنَا مِنْ مَحَبَّتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَوْمَ لاَ جَدَّ وَلاَ مَالَ وَلاَ بَنِين، وَأَوْرِدْنَا حَوْضَهُ الأَصْفَى، وَاسْقِنَا بِكَأْسِهِ الأَوْفَى، وَأَدِمْ عَلَيْنَا الإِقَامَةَ بِحَرَمِكَ وَحَرَمِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِنَّا نَتَشَفَّعُ بِهِ إِلَيْكَ إِذْ هُوَ أَوْجَهُ الشُّفَعَاءِ إِلَيْك، وَنُقْسِمُ بِهِ عَلَيْكَ إِذْ هُوَ أَعْظَمُ مَنْ هُوَ أُقْسِمَ بِحَقِّهِ عَلَيْك، وَنَتَوَسَّلُ بِهِ عَلَيْكَ إِذْ هُوَ أَقْرَبُ الوَسَائِلِ إِلَيْك. نَشْكُو إِلَيْكَ يَا رَبِّ قَسْوَةَ قُلُوبِنَا، وَكَثْرَةَ ذُنُوبِنَا، وَطُولَ آمَالِنَا، وَفَسَادَ أَعْمَالِنَا، وَتَكَاسُلَنَا عَنِ الطَّاعَات، وَهُجُومَنَا عَلَى المُخَالَفَات، فَنِعْمَ المُشْتَكَى إِلَيْك، بِكَ نَسْتَنْصِرُ عَلَى أَعْدَائِنَا

وَأَنْفُسِنَا، وَعَلَى فَضْلِكَ نَتَوَكَّلُ فِي صَلاحِنَا، فَلاَ تَكِلْنَا إِلَى غَيْرِكَ يَارَبَّنَا، وَإِلَى جَنَابِ رَسُولِكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَنْتَسِبُ فَلاَ تُبْعِدْنَا، وَبِبَابِكَ نَقِفُ فَلاَ تَطْرُدْنَا، وَإِيَّاكَ نَسْأَلُ فَلاَ تُخَيِّبْنَا.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ ارْحَمْ تَضَرُّعَنَا، وَآمِنْ خَوْفَنَا، وَتَقَبَّلْ أَعْمَالَنَا، وَاجْعَلْ بِطَاعَتِكَ اشْتِغَالَنَا، وَإِلَى الخَيْرِ مَآلَنَا، وَحَقِّقْ بِالزِّيَادَةِ آمَالَنَا، وَاخْتِمْ بِالسَّعَادَةِ آجَالَنَا، هٰذَا أَمَلُنَا ظَاهِرٌ بَيْنَ يَدَيْكَ، وَحَالُنَا لاَيَخْفَى عَلَيْكَ، أَمَرْتَنَا فَتَرَكْنَا، وَنَهَيْتَنَا فَارْتَكَبْنَا، وَلاَ يَسَعُنَا إِلاَّ عَفْوُكَ، فَاعْفُ عَنَّا يَاخَيْرَ مَأْمُولٍ، وَأَكْرَمَ مَسْئُولٍ. وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

﴿فائِدَة﴾ ومِمَّا يُذكَرُ عن سيِّدِنا الشَّيخ عبدالله الحدَّاد، أنَّهُ يَقرأُ قبلَ الصُّبحِ ثلاثًا، وبَعدَها ثلاثًا، نَقَلتُها عن بعضِ المُتعلِّقِين بِسيِّدِنا مِن أهلِ دُوعَن ﴿قال﴾ وقد أجازَ فيها أخي، وهُو هٰذا الدُّعاء:-

﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِنَّكَ تَعْلَمُ حَوائِجِي كَرَّة، فَاقْضِهَا مَرَّة، وَأَصْلِحْ أُمُورِي فِي جَمِيعِ الأُمُورِ مَرَّة، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ أَلْفَ مَرَّة، عَدَدَ كُلِّ ذَرَّة - انتهى.

ومِن دُعائِهِ نفَعَ الله:-

﴿اَللَّهُمَّ﴾ بَارِكْ فِي ذُرِّيَّتِي وَلاَ تَضُرَّهُمْ، وَوَفِّقْهُمْ لِطَاعَتِكَ وَارْزُقْنِي بِرَّهُمْ.

ومِن دُعائِهِ نفَعَ اللهُ به:-

يَاسَاتِرَ الأَحْوَال، لاَتَكْشِفْ لَنَا حَال، وَارْزُقْنِي مِنْ رِزْقِكَ الحَلاَل، وَبَارِكْ لَنَا فِي الأَهْلِ وَالمَالِ وَالعِيَال، وَاكْفِنَا شَرَّ مَاتَأْتِي بِهِ الأَيَّامُ وَاللَّيَال. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ دُنْيَا تُلْهِينِي، وَمَالٍ يُطْغِينِي، وَصَاحِبٍ يُرْدِينِي، وَعَدُوٍّ يَحْسُدُنِي وَيُؤْذِينِي، وَفَقْرٍ يُنْسِينِي، بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِين.

ومِن دُعائِهِ شِعْرًا، نَفَعَنا اللهُ به:-

يَا رَبَّنَا يَا رَبَّنَا * يَارَبُّ يَا أَهلَ الثَّنَا
يَاذا الجَلَالِ وذا العُلَا * يَاذا البَهاءِ وذا السَّنَا
أَحَطْتَ عِلمًا سيِّدِي * بِمَا تَقَاصَى ودَنَا
ولكَ المَشِيَّةُ ماتَشا * كَانَ ذَلِيلًا مُذعِنَا
وعَلَوتَ عن إدْراكِنا * وإنْ أَطَلْنا الاِعْتِنا
فنِهَايَةُ المُتَعَمِّقِيـ * ـنَ تَحَيُّرٌ يامُمْعِنا
ما عَنهُ حِرْنَا إنَّمَا * نَحيرُ فيهِ لِعَجزِنا
إنَّ الوُجودَ بِأَسرِهِ * بِالأَحَدِيَّةِ مُعلِنَا
بَهَرَتْ بَدائِعُهُ العُقو * لَ فغَدَا المُوَفَّقُ مُوقِنا
وتَشَبَّطَ المُتَشَكِّكُو * نَ وكأَنَّهُم لَيسُوا هُنَا
سُحْقًا لِمَن يَشُكُّ في الـ * ـحَقِّ وقَد تَبَيَّنَا
يا أَوَّلًا يا آخِرًا * يا ظَاهِرًا يا بَاطِنَا
لَكَ القِدَم ولَنا الحُدو * ث لكَ البَقا ولَنا الفَنا
ياحيُّ ياقَيُّوم إنْ * وكَلْتَنا فمَن لنا
حاشَاكَ أَنْ تُهمِلنا * حاشَاكَ أَنَّ تُخَلِّنا
يا أَملَ المُؤَمِّليـ * ـنَ ويا مَلاذًا كُن لَنا
فمِنكَ كُلُّ خِيرَةٍ * وكُلُّ نِعمَةٍ بِنا
أَحْسنتَ فيها قَد مَضَى * أَبِّدْ وزِدْ يا مُحسِنَا
هَا أَنا ذا عُبَيْدُكَ الـ * ـجَاني المُقَصِّرُ بِالفِنا
مُستَغفِرًا لِذُنُوبِهِ * مُعتَرِفًا بِمَا جَنى
يَرى افْتِقارَه إليـ * ـك عَلى الدَّوامِ هُو الغِنَى
ولِعِزِّ قَهرِكَ خاضِعٌ * مُتَواضِعٌ مُتَمَسْكِنَا
ولَقد سَبَتْهُ حُظوظُهُ * حتَّى لَقِي مِنها العَنا

مَـلكَـتْـهُ أُمْـنِـيَّـاتُ نَـفْـ * ـسٍ هَمُّـهـا عَـرَضُ الـدُّنَـا
ولَـقَـد أَتَـاكَ بِـيَـأْسِـهِ * عـمَّـن سِـواكَ ولا انْـثَـنَى
صِـفْـرَ الـيَـدَيْـنِ يَمُـدُّهـا * فـأَنِـلْهُ غـايـاتِ الْمُنى
وأَذِقْـهُ بَـردَ رِضَـاكَ عَـنْـ * ـهُ يَـدُمْ لَـهُ مِـنـكَ الهَـنـا
وأَحْـيِـهِ لَـكَ مُـسـلِمًا * وتَـوَفَّـهُ بِـكَ مُـؤمِـنًا
واجْـعَـلهُ يـومَ نُـشـورِهِ * مِـن كُـلِّ خـوفٍ آمِـنَـا

﴿ومِن أخرى﴾

إلٰهي بِحَقِّ الـقـومِ مُـنَّ بِـتـوبَـةٍ * مِن الـذَّنبِ تَغسِلُنا بها أَبلَغَ الغُسـلِ
أَغِثْ يـا غِيـاثَ المُستَغِيـثِ قُلوبَنـا * بِغَيْثِ هُـدًى يُحيِي القُلوبَ مِن المَحلِ
وصلِّ عـلى الهـادِي البَشيرِ شَفيعِنَـا * نبيِّ الهُدى بَحرِ النَّدى خاتِمِ الـرُّسلِ

﴿ومِن أُخرى﴾

إلـهٍ واحِـدٍ مـلِكٍ قَـديـرٍ * عَـظيمِ الشَّأنِ وهَّـابِ النَّـوالِ
تَـعـالَى عَن مُـشـاكَلَةِ البَـرايَـا * وجَـلَّ عـن الكَـمِّيَّـةِ والمِثـالِ
نُـوَحِّـدُهُ ونَـشـكُـرُهُ ونُـثـني * ونَـسـأَلُـهُ دَوامًـا بِـابْـتِـهـالِ
يُـوَفِّقُنـا لِمـا يُـرضِـيـهِ عنَّـا * ويُثْبِتُـنـا بِـديـوانِ الـرِّجـالِ
ويُـصلِحُـنـا ويَمنَـحُـنـا نَـعـيـمًا * ورَوْحًـا في الحَـيـاةِ وفي المَـآلِ
ويَجعـلُ أَفْضـلَ الصَّلواتِ مِـنَّـا * عـلَى خـيرِ الـوَرَى في كُـلِّ حـالِ
مـعَ الـتَّسـليمِ يَـغشـاهُ ويَـغْشَى * صحـابَـتَـهُ الـكِـرامَ وخـيرَ آلِ

﴿ومِن آخَر أُخرَى له، رضِيَ اللهُ عنه﴾

وهي مَشهورَةُ البَركَةِ كما تقدَّمَ ذِكرُها عندَ قَولِهِ «أَصْلَحَ اللهُ أُمُورَ المُسْلِمِين»: -

يـا رَبِّ إنَّـكَ مَقصـودِي ومُعتَمَـدِي * ومُـرتَجـايَ لِـدُنـيـايَ ومُـنـقَـلَبِي

فـاغْفِرْ وسـامِحْ عُبَيْدًا ما لَـه عمَـلٌ * بـالصَّالِحـاتِ وقَد أَوْعى مِن الحُـوَبِ
لٰـكِنَّـه تَـائِبٌ مِمَّـا جَنـاهُ وقَـد * أَتـاكَ مُعتَـرِفًـا يَخشى مِن الغَـضَبِ
فـإنْ عَفَوْتَ فَفَضْـلٌ مِنكَ يـا صَمَـدٌ * فَـجُـدْ عـليَّ إلٰهي وأَزِلْ رَهَـبي
ثمَّ الصَّلاةُ عـلى الهـادِي وعِترَتِـهِ * مُحَمَّـدٍ مـاهَمَى وَدقٌ مِـن السُّحُبِ
ومـا تَـرَنَّمَتِ الـوَرقـا عـلى فَنَـنٍ * ومـا تَمـايَلَتِ الأَغْصـانُ في الكُثُبِ

﴿ومِن أُخرى﴾

يـا ربِّ فَـأَدخِلْنـا بِفَضلِكَ فيـ * ـمَن تَـرتَضِي والصَّـحبِ والآلِ
وصـلِّ يـا ربِّ عـلى أَحمَـدٍ * نـبِيِّـكَ الهـادِي بِـإجـلالِ

وهٰذه القَصيدَةُ الآتيةُ تُسمَّى بـ[النَّفحة العَنبريَّة في الساعةِ السَّحرِيَّة]، قالَ النَّاظِمُ نفَعَ اللهُ به: ومَقامُنا على التَّوكُّلِ وإلاَّ لجَعلْناها في أَكْفانِنا، كالإمامِ اليافِعِي، لٰكِن مُرادُنا لِقاءُ اللهِ تَعالى بِالافْتِقارِ المَحضِ، وكُلُّ بَيتٍ مُستَقِلٌّ بِنَفسِهِ مُنفَرِدٌ عَن الآخَر. ﴿قلتُ﴾ وشَرَحَها صاحِبُ [غاية القَصد والمُراد] شَرحًا عَجيبًا، ولَها مَنافِعُ وأَسْرارٌ. وقَد كانَ سيِّدُنا يَقُومُ قائِمًا عندَ قِراءَتِها في حَضرَتِهِ الذِّكْرِيَّةِ لَيلةَ الجُمُعةِ، ثُمَّ عِندَ الكِبَرِ يَقُومُ عند قَولِهِ:

قَـدِ اسْـتَـعَـنْـتُـكَ رَبِّـي * عَـلَى مُـدَاوَاةِ قَـلْبِـي
وَحَـلِّ عُـقْـدَةِ كَـرْبِي * فَـانْـظُرْ إلَى الـغَـمِّ يَـنْـجَـال

وذاكَ أنَّ بعضَ الأكابِرِ المُتعلِّقِينَ بِسيِّدِي كانَ مُقْعَدًا، فلمَّا دخَلَ علَيهِ سيِّدُنا عبدُالله إلى بَيتِهِ بِبلَدِ مَرِيمَة سبَقَ علَيهِ دُخولُ سيِّدِنا وهُو قاعِدٌ ولَم يَقُمْ له، فنَظَمَ هٰذا البيتَ فقامَ قائِمًا، وسارَ مُهَرْوِلاً وعارَضَ سيِّدَنا ونَقَأَ عن هٰذا الدَّاءِ بِفَضلِ اللهِ تعالى، فجعَلَ سيِّدُنا النَّاظِمُ هٰذا البيتَ وَسْطَ القَصيدَةِ المُبارَكَةِ، فانْظُر ياأخي في [غاية القصد والمُراد] معَ ما فيها من الخَيراتِ والفَوائِدِ تُسعَدْ وتُرشَدْ، إنْ شاءَ اللهُ تَعالى، وهِيَ هٰذهِ، نفَعَ اللهُ بها وبِقائِلِها، آمين:–

يـا ربِّ يـا عـالِمَ الحَـال * إلَـيـك وَجَّـهـتُ الآمَـال
فَـامنُنْ علَينـا بِـالإقْبَـال * وكُـن لَـنـا واصْـلِحِ الـبَـال

يـا ربِّ يـا ربَّ الاربَـاب * عَبـدُك فَقيـرُك عـلَى البَـاب
أَتى وقَـد بَـتَّ الاسـبَـاب * مُستَـدرِكًـا بعـدَ مـا مَـال

يـا واسِـعَ الجُـود جُـودَك * اَلخَيْر خِـيـرُك وعِـنـدَك
فـوقَ الَّـذِي رَام عَـبـدَك * فـادْرِك بِـرحمَـتِـك في الحَـال

يـا مُـوجِـدَ الخَـلقِ طُـرًّا * ومُـوسِـعَ الـكُـلِّ بِـرًّا
أَسـأَلُـك إسـبَـالَ سِـترٍ * عـلَى الـقَـبـائِـح والاَخْـطَال

يـا مَـن يَـرى سِرَّ قَـلـبِـي * حَسْبي اطِّـلاعُـكَ حَسْبي
فَـامْـحُ بِـعـفـوِكَ ذَنـبِـي * وَاصْلِح قُصـودي والأعْـمَـال

ربِّ عـلـيـكَ اعْـتِـمـادِي * كـما إلـيـكَ اسْـتِـنـادِي
صِـدقًـا وأَقْصى مُـرادِي * رِضـاؤُكَ الـدَّائِـمُ الحَـال

يـا ربِّ يـا ربِّ إنِّـي * أَسـأَلُـكَ الـعـفـوَ عَـنِّـي
ولَـنْ يَخِيـبْ فِـيـكَ ظَـنِّي * يـا مـالِـكَ المُـلك يـاوَال

أَشْـكـو إلَـيـكَ وأَبْـكِـي * مِـن شُـومِ ظُـلمِي وإفْـكِـي
وسُـوءِ فِـعْـلي وتَـرْكِـي * وشَـهْـوَةِ القِـيـلْ والـقَـال

وحُـبِّ دُنـيـا ذَمـيـمَـة * مِـن كـلِّ خـيرٍ عَـقـيـمَـة
فِـيهـا البَـلايـا مُـقـيـمَـة * وحَـشْـوُهـا فَـات وَاشْـغَـال

يـا وَيْـحَ نَـفْسي الـغَـوِيَّـة * عَـن الـسَّـبـيـلِ الـسَّـوِيَّـة
أَضْـحَـتْ تُـرَوِّج عـلَيَّ * وقَـصْـدُهـا الجَـاه والمَـال

يـا ربِّ قـد غَـلَـبَـتْـنِي * وبِـالأمـاني سَـبَـتْـنِي
وفي الحُـظوظِ كَـبَـتْـنِي * وقَـيَّـدَتْـنِي بِـالأكْـبَـال

قـدِ اسْـتَـعَـنْـتُـكَ ربِّـي * عـلى مُـداواةِ قَـلْبِـي
وحَـلِّ عُـقْـدَةِ كَـربِي * فـانْـظُر إلى الغَـمِّ يَـنْجَـال

يـا ربِّ يـا خَـيْرَ كـافِي * أُحْـلُلْ عـلـيـنَـا الـعَـوافِي
فـلَيْسَ شيَء ثَـمَّ خـافِي * عَـليـك تَـفْـصِيـل واجْمَـال

يـا ربِّ عَـبـدُكْ بِـبـابِـك * يَخْشى أَلـيـمَ عَـذابِـك
ويَـرْتَجِـي لِـثَـوابِـك * وغَـيْـث رَحمـتِـك هَـطَّال

وَقـد آتـاكَ بِـعُـذرِه * وبِـانْـكِـسـارِه وفَـقْـرِه
فَـاهْـزِمْ بِـيُـسـرِكَ عُـسـرِه * بِمَـحْضِ جـودِك والإفْـضَـال

وامْـنُـن عـلَيـه بِـتَـوْبَـة * تَـغْـسِـلُهُ مِن كـلِّ حَـوْبَـة
واعْـصِـمْـهُ مِـن شرِّ أَوْبَـة * لـكُـلِّ مـا عَـنهُ قـد حَـال

فـأَنْـتَ مَـوْلى المَـوالي * المُـنْـفَـرِد بِـالـكَـمـالِ
وبِـالـعُـلا والـتَّـعـالِي * عَـلَوْتَ عن ضَـربِ الأمْـثَـال

جُــودُك وفَــضــلُك وبِــرُّك * يُــرْجى وبَــطْشُــك وقَــهْــرُك
يُخْشى وذِكــرُك وشُــكــرُك * لازِم وحَــمْــدُك والإِجْــلاَل

يــا ربِّ أنــتَ نَــصــيــرِي * فــلَقِّــنِي كــلَّ خَــيــرِ
واجْعَــل جِنــانَــك مَصيــرِي * واخْــتِــم بــالإِيمَــان الآجَــال

وصــلِّ في كــلِّ حــالَــة * عــلى مُــزيــلِ الــضَّــلالَــة
مَــن كــلَّمَــتْــهُ الــغَــزالَــة * مُحَــمَّــدِ الهــادِي الــدَّال

والحــمــدُ للهِ شُــكْــرًا * عــلى نِــعَــم مِــنــهُ تَــتْــرَى
نَــحــمَــدُه سِــرًّا وجَــهــرًا * وبِــالــغَــدايــا والآصَــال

﴿ومن أخرى﴾

عَسى المُفضِــل المَــولَى الكَــريم بمَنِّــه * يجُود عــلى ذَنبِ المُسيئِــينَ بِــالغَفْــرِ
فــإِحْــســانُــهُ عــمَّ الأنــامَ وجُــودُه * عــلى كُــلِّ مَــوجــودٍ وإِفْضــالُــهُ يجْــري
وصــلِّ عــلى خــيرِ البَــرِيَّــةِ كلِّهــا * محُمَّــدِ المَبعــوثِ بِــالعُــذرِ والنُّــذرِ
نبِيِّ الهُــدى مَن عــظَّمَ اللهُ شَــأنَــهُ * وأيَّــدَهُ بِــالــفَتــحِ مِــنــه وبِــالنَّصْرِ
عــلَيــهِ صــلاةُ الله ثُــمَّ ســلامُــهُ * صــلاةً وتَسْليــمًا إلى آخِــرِ الــدَّهْــرِ
مــعَ الآلِ والأَصْحابِ مــاهَبَّتِ الصَّبَــا * ومــا زَمْــزَمَ الحــادِي ومــا غــرَّدَ القُمْري

وذكَرَ سيِّدُنا الحبيب محمد بن زين بن سُمَيط في كتابِه [غاية القصد والمراد] بِقولِه ﴿قالَ﴾ سيِّدُنا عبدُالله الحدَّاد: ماواظَبَ صادِقٌ على قِراءَةِ «قَدْ كَفَانِي عِلْمُ رَبِّي مِنْ سُؤَالِي

وَاخْتِيَارِي . . . إلى آخِرِها»، وما في الوُجودِ ولا في الكَونِ مِن أحَد، إلَّا فقِيرٌ لِفَضلِ الواحدِ الأَحَد إلى آخرِها، عندَ وُقوعِهِ في الشِدَّةِ إلَّا ويُدْرِكُه اللهُ تعالى بإغاثَة . ﴿قالَ﴾ وخطَرَ على قَلبِ بعضِ السَّادةِ في حَضرَةِ سيِّدِي أنْ يُوصِيَهُ بِدُعاءٍ يَدعُو بِهِ عندَ الشَّدائِدِ والكُرَب، ﴿قالَ﴾ فحالَ ماخَطَرَ له . ﴿قالَ﴾ سيِّدِي عبدُالله نفَعَ اللهُ بِهِ: إنَّ بعضَ السَّادةِ طلَبَ مِنَّا أنْ نُوصِيَهُ بِدُعاءٍ يَدعُو بهِ عندَ الشَّدائِد، وإنَّا قَد أَوْصَيناه بِقِراءَةِ قَصيدَتِنا «قَد كَفانِي عِلمُ ربِّي مِن سُؤالِي وَاخْتِيارِي . . . إلى آخرِها» . وقالَ نفَعَ اللهُ به : نظَمْناها في حاجَةٍ، فانْقَضَتْ على أحسَنِ الوُجُوه. فَقِيل له نفَعَ اللهُ به : إذا أَرادَ أحَدٌ تَرتِيبَها في وَقتٍ، فأَيُّ الأَوقاتِ أَحْسنُ؟ قالَ: في الوَقتِ الَّذي نظَمْناها فيه، وهُو وَقتُ السَّحَر - انتهى .

﴿قلتُ﴾ وعِندَ قولِهِ الآتي فيهَا «حَاجَةٌ فِي النَّفْسِ يَا رَبِّ * فَاقْضِهَا يَا خَيْرَ قَاضي» أُذْكُر حاجَتَك أَيُّها القارِئُ لها تُقضَ إنْ شاءَ اللهُ تَعالى .

قالَ نفَعَ اللهُ بِه، آمين :-

قَــد كَــفَــانِي عِــلمُ رَبِّــي * مِــن سُــؤالِي وَاخْــتِــيــارِي
فَــدُعــائِــي وَابْـتِـهـالِي * شـاهِـدٌ لي بِـافْـتِـقـاري
فَـلِهٰـذا الـسِّـرِّ أَدْعـو * فِي يَـسـارِي وَعَـسـارِي
أَنـا عَـبـدٌ صـارَ فَـخْـرِي * ضِـمـنَ فَـقـرِي وَاضْـطِرارِي
قَــد كَــفــانِي عِــلمُ ربِّــي * مِــن سُــؤالِي وَاخْــتِــيــارِي

يــا إلٰهِــي وَمَــلِيــكِــي * أنــتَ تَــعــلَمُ كَــيــفَ حــالِي
وبِمــا قَــد حــلَّ قَــلبِــي * مِــن هُــمــومٍ وَاشْــتِــغــالِ
فَــتَــدارَكْــنِي بِــلُطفٍ * مِــنــكَ يــا مَــوْلى المَــوالِي
يــا كَــرِيــمَ الــوَجــهِ غِــثْــنِي * قــبــلَ أنْ يَــفــنَى اصْــطِبَــارِي
قَــد كَــفــانِي عِــلمُ ربِّــي * مِــن سُــؤالِي وَاخْــتِــيــارِي

يـا سَريـعَ الغَـوثِ غَـوْثًـا * مِـنـكَ يُـدْرِكـنِي سَـريـعًـا
يَهـزِمُ الـعُسرَ وَيَـأتِي * بِـالَّـذي أَرجُـو جَمـيـعًـا
يـا قَـريـبًـا يـا مُجـيـبًـا * يـا عَـليـمًا يـا سَـمـيـعًـا
قَـد تَحَـقَّـقـتُ بِـعَـجـزِي * وخُـضـوعِـي وَانْـكِـسـارِي
قَـد كَـفـانِي عِـلـمُ ربِّـي * مِـن سُـؤالِي وَاخْـتِـيـارِي

لم أَزَلْ بِـالـبـابِ وَاقِـف * فَـارْحَمَـنْ ربِّـي وُقـوفِي
وبِـوادِي الـفَـضـلِ عـاكِـف * فَـأَدِمْ ربِّـي عُـكـوفِي
وَلِحُـسـنِ الـظَّنِّ لازِمْ * وهُـوَ خِـلِّي وحَـليـفِـي
وأَنِيسِـي وجَـلِيسِـي * طُـولَ لَـيْـلِي ونَهارِي
قَـد كَـفـانِي عِـلـمُ ربِّـي * مِـن سُـؤالِي وَاخْـتِـيـارِي

حـاجَـةً فِي الـنَّـفْسِ يـا ربِّ * فَـاقْـضِهـا يـا خَـيرَ قـاضِي
وأَرِحْ سِـرِّي وقَـلـبِـي * مِـن لَـظَاهـا والـشُّـواظِ
فِي سُـرورٍ وحُـبـورٍ * وإذا مـا كُـنـتَ راضِي
فـالهَـنـا والـبَـسْـطُ حـالِي * ودِثَـارِي وشِـعـارِي
قَـد كَـفـانِي عِـلـمُ ربِّـي * مِـن سُـؤالِي وَاخْـتِـيـارِي

وقالَ رضيَ اللهُ عنه وأَرْضاه، ونفَعَ بِعُلومِه، آمين:-

مَا فِي الوُجودِ ولا فِي الكَونِ مِن أَحَدٍ * إلَّا فَقيرٌ لِفَضلِ الواحِدِ الأَحَدِ
مُعَوِّلُونَ على إحْسانِهِ فُقَرَا * لِفَيضِ إفْضالِهِ يا نِعْمَ مِن صَمَدِ
سُبْحانَ مَن خلَقَ الأَكْوانَ مِن عَدَمٍ * وعَمَّها مِنهُ بِالإِفْضالِ والمَدَدِ
تَبارَكَ اللهُ لاتُحْصَى مَحامِدُهُ * ولَيسَ تُحصَرُ في حَدٍّ ولا عَدَدِ
اللهُ اللهُ ربِّي لا شَريكَ لَهُ * اللهُ اللهُ مَعبودِي ومُلْتَحَدِي

اللهُ اللهُ لا أَبْـغـي بـهِ بَـدَلاً * اللهُ اللهُ مَـقْـصـودي ومُـعْـتَـمَـدِي
اللهُ اللهُ لا أُحْصي ثَـنَـاهُ ولاَ * أَرجُـو سِـواهُ لِكَشفِ الضرِّ والشِّـدَدِ
اللهُ اللهُ أَدْعـوهُ وأَسْـأَلُـهُ * اللهُ اللهُ مَـأْمُـولِي ومُـسْـتَـنَـدِي
يـا فَـردُ يـا حَيُّ يا قَيُّـومُ يا مَلِكًـا * يـا أَوَّلاً أَزَلِي يـا آخِـرًا أَبَـدِي
أنتَ الغنيُّ عن الأَمْـثـالِ والشُّـركَـا * أنـتَ المُقَـدَّسُ عـن زَوْجٍ وعن وَلَـدِ
أنتَ الغِيـاثُ لِمَن ضـاقَتْ مَـذاهِبُـهُ * ومَـن أَلَمَّ بـهِ خَـطْبٌ مِن الـنَّـكَـدِ
أنتَ القَـريبُ المُجيبُ المُستغـاثُ بِـهِ * وأنتَ يـا ربِّ لِلرَّاجِـينَ بِـالـرَّصَـدِ
أَرجـوكَ تَغفِـرُ لي أَرجـوكَ تَـرْحَمُـنِي * أَرجـوكَ تُـذهِـبُ مـا عِندِي مِن الأَوَدِ
أَرجـوكَ تَهدِيني أَرجـوكَ تُـرشِـدُني * لِمـا هُـو الحقُّ في فِعـلِي ومُعتَـقَـدِي
أَرجـوكَ تُـغنِيـني أَرجـوكَ تَـكـفِيـني * بِفَضـلِكَ اللهُ يـا رُكني ويـا سَـنَـدِي
أَرجـوكَ تَنْـظُرُني أَرجـوكَ تَنْصُـرُني * أَرجـوكَ تُصلِحُ لي قَلبِي مـعَ جَسَـدِي
أَرجـوكَ تَعصِـمُني أَرجـوكَ تَحفَـظُني * يـا ربِّ مِن شَرِّ ذي بَغْيٍ وذِي حَسَدِ
أَرجـوكَ تُحيِيـني أَرجـوكَ تَـقـبِضُـني * عـلى البَصيرَةِ والإِحْسـانِ والـرَّشَـدِ
أَرجـوكَ تُـكـرِمُني أَرجـوكَ تَـرفَـعُني * أَرجـوكَ تُـسكِـنُني في جَنَّـةِ الخُـلْدِ
مـعَ القَـرابَـةِ والأَحْبـابِ وَاشْمَلْنـا * بِـالفَضلِ والجُـودِ في الدُّنيـا ويومَ غَـدِ
وجَّـهتُ وَجـهِي إِليـكَ اللهُ مُفتَقِـرًا * لِنَيـلِ مَعـروفِـكَ الجارِي بِـلا أَمَـدِ
ولا بَـرِحْـتُ أَمُـدُّ الكَـفَّ مُـبتَـهِـلاً * إِليـكَ في حـالَـةِ الإِمْـلاقِ والـرَّغَـدِ
وقـائِـلاً بِـافْـتِـقـارٍ لايُـفـارِقُـني * يـا سيِّدِي يـا كَرِيمَ الـوجهِ خُذْ بِيَدِي

﴿ومِن أُخرى نفَعَ اللهُ به﴾

فيَـا ربِّ عـامِلْنـا بِلُطفِـكَ واكْفِنَـا * بِجُـودِكَ واعْصِمنَـا مِن الـزَّيـغِ والفِتَنِ
ووَفِّقْ وسَدِّدْ واصْلِحِ الكُـلَّ واهـدِنَـا * لِسُنَّـةِ خـيرِ الخَلقِ والسَّـيِّـدِ الحَسَنِ
عـلَيـهِ صـلاةُ اللهِ ثُـمَّ سـلامُـهُ * صـلاةً وتَسـلِيـمًا إِلى آخِـرِ الـزَّمَـنِ

﴿وله أيضًا نفعَ اللهُ به وبِعُلومِه﴾

يـا مَـن أُرَجِّـي فَـيضَ فَـضـلِهِ * وأَخـافُ مِـن سَـطَواتِ عَـدلِـهِ
مـا لِي سِـواكَ فَـلا تَـكِـلْنِي * يـا مَـن لَـه الخَلقُ والأمـرُ كُـلِّهِ

﴿ومِن أُخرى﴾

يـا ربِّ هَب لِي مِنكَ حُسنَ اليَقِـين * وعِـصمَـةَ الـصِّـدقِ وقلبًـا سَـليم
وهِمَّـةً تَـعـلو وصـبـرًا جَمـيـل * وحُـسـنَ تَـوفيـقٍ بِـه أَستَقِـيـم
وحُـسـنَ تَـأيِيـدٍ وعـونًـا يَـدُوم * فـإنَّـكَ الـدَّائِمُ وجُـودُك عَمِيم
أَرجـوكَ تُـعـطِيَنِي الَّـذي أَبـتَغِـي * بِمَحضِ جُـودِك لابِجُهـدِي الـذَّمِيم

﴿ومِن أثناء أُخرى نفعَ اللهُ به﴾

أَرجـو إلٰهي ذَا الكَـرَمِ والإفضَـال * يَفتَـح عـلى قَـلبي سِنِيَ الأَحـوَال
مِمَّـا مَـنَـح أَوْتـادَهـا والأَبـدَال * وأَغْـوَاثَـهـا وأَفـرادَهـا والأَقْطَـاب

﴿ومِنها أيضا﴾

يـاالله بَـذْرَة مِـن مَحَـبَّـةِ الله * أَفنَى بِهـا عن كُـلِّ مَن سِـوَى الله
ولا أَرَى مِن بَـعـدِهـا سِـوَى الله * الـواحِـدِ المَعبـودِ ربِّ الأَربَـاب

﴿ومِن أُخرى﴾

إنِّـي لَأرجُـو عَـواطِـفَ الله * المُـحسِـنِ المُفْـضِـلِ الجَـوادِ
سُـبحـانَـهُ جَـلَّ مِن كَـرِيـمٍ * قَـد عمَّ بِـالفَضـلِ والأَيـادِي

﴿ومِن أُخرى﴾

عَسى الله يَـشـفِي غَـليـلَ الـصُّـدود * بِـوَصـلِ الحَـبـائِب وفَـكِّ القُيُـود
فـرَبِّـي كَـريـمٌ رَحـيـمٌ وَدُود * يَجُـودُ عـلى مَـن يَـشـا بِـالمَرَام

﴿ومِن أُخرى﴾

أُرَجِّي ولي ظَنٌّ جَميلٌ بِخالِقِي * تَعالى عَظيمِ المَنِّ مُستَوجِبِ الحَمْدِ
إلٰهِ البَرايا كُلِّها ومَليكِها * تَنَزَّهَ عن شِبهٍ ومِثلٍ وعَن وُلْدِ

﴿وله أيضًا﴾

يا مُنتَهى الآمالِ ومَقصِدَ الطُّلَّاب * عَبدُك ضَعيفُ الحَال الخائِفُ المُرتَاب
أَتاك خالِيْ البَال عَن جُملَةِ الأَحبَاب * ضاقَتْ بهِ الأَحوال وخانَتِ الاَسبَاب
لم يَدْرِ ما يَصنَع مِن شِدَّةِ الحَيرَة * عُمرُه مضَى اجْمَع في السَّعيِ والدَّورَة
والوَقْت قَد ضَيَّع في خِدمَةِ الصُّورَة * والآن قَلبُه مَال إلى لُزومِ البَاب
وصَرَف هَمَّ السِّر عن خِدمَةِ الأَجسَام * مَعَ اعْتِناقِ البِرّ والتَّرك لِلآثَام
يا ربَّنَا يَسِّر له الَّذي قَد رَام * يا دائِمَ الإِفْضالِ يا بَرُّ يا تَوَّاب

﴿ومِن آخِر التَّائِيَّة﴾

فيَا نَفَحَاتِ اللهِ يا عَطَفاتِهِ * ويا جَذَباتِ الحَقّ جُودِي بِزَوْرَةِ
ويا نَظَرَاتِ اللهِ يا لَحَظاتِهِ * ويا نَسَماتِ القُرْب أَمِّي بهَبَّةِ
ويا غارَةَ الرَّحمٰنِ جُدِّي بِسُرعَةٍ * إلَينا وحُلِّي عَقدَ كُلِّ مُلِمَّةِ
ويا رَحمَةَ الرَّبِّ الرَّحيمِ تَوَجَّهِي * وأَحْيِي بِرَوحِ الفَضلِ كُلَّ رَميمَةِ
ويا كُلَّ أَبوابِ القَبولِ تَفَتَّحِي * فإِنَّ مَطايَا القَصدِ نَحوَكِ أَمَّتِ
ويا سُحبَ الجُودِ الإِلٰهِيِّ أَمْطِرِي * فإِنَّ أَكُفَّ المَحَلِّ تِلقَاكِ مُدَّتِ
بِحُرمَةِ هادِينَا ومُحيِي قُلوبِنا * ومُرشِدِنا نَهجَ الطَّريقِ القَويمَةِ
دَعانا إلى حَقٍّ بِحَقٍّ مُنَزَّلٍ * عليهِ مِن الرَّحمٰنِ أَفضلَ دَعْوَةِ
أَجَبْنا قَبِلْنا مُذْعِنينَ لِأَمرِهِ * سَمِعْنا أَطَعْنا عَن هُدًى وبَصيرَةِ
فيا ربِّ ثَبِّتْنا على الحَقِّ والهُدَى * ويا ربِّ اِقْبِضْنا على خيرِ مِلَّةِ
وعُمَّ أُصولاً والفُروعَ بِرحمَةٍ * وأَهلاً وأَصحابًا وكُلَّ قَرابَةِ

وسائِرَ أَهلِ الدِّينِ مِن كُلِّ مُسلِمٍ * أَقامَ لكَ التَّوحيدَ مِن غيرِ رِيبَةِ
وصلِّ وسلِّمْ دائِمَ الدَّهرِ سَرْمَدًا * على خيرِ مَبعُوثٍ إلى خيرِ أُمَّةِ
مُحمَّدٍ المَبعوثِ مِنكَ بِفَضلِكَ * العَظيمِ وإِنْزالِ الكِتابِ وحِكمَةِ

﴿ومِن أثناء الرَّائيَّةِ الكُبرى﴾

فأَسْتغفِرُ اللهَ العَظيمَ لِزَلَّتي * وعَجزِي وتَقْصيرِي وعُظْمِ جَرائِرِي
وأَسْأَلُه تَوْفيقًا وعَوْنًا ورَحمَةً * ولُطفًا ويُسرًا كاشِفًا لِلمَعاسِرِ
ولِلعَفوِ والغُفْرانِ والصَّفحِ أَرتَجِي * مِن اللهِ غَفَّارِ الذُّنوبِ الكَبائِرِ
فظَنِّي جَميلٌ في إِلٰهي وسيِّدِي * وحَسبِي بِهِ في قابِلِ التَّوبِ غافِرِي
نُوَحِّدُهُ سُبحانَهُ وهُو واحِدٌ * تَقَدَّسَ عن مِثْلٍ لَه ومُناظِرِ

﴿ومِن أُخرى له أيضًا﴾

يا ربِّ وَفِّقْنا وسدِّدْنا وكُن * عَوْنًا لَنا في السِّرِّ والجَهرِ
واغفِرْ لنا والطُفْ بِنا دائِمًا * واخْتِمْ لَنا بِالخَيرِ والبِرِّ

﴿ومِن أثناء أُخرى﴾

ربِّ لاطِفْنا بِجاهِ المُصطفَى * واسْقِنا الغَيثَ فإِنَّا ضُعَفا
قَد عَصَيْنا ثمَّ تُبْنَا فأَقِلْ * وتَقَبَّلْ مَن جَنَى واعْتَرَفا
وارْفَعِ القَحطَ مِن الأرضِ معَ * الظُّلمِ والجَورِ الَّذِي قد كَثُفا
وانْصُرِ الدِّينَ وأَرشِدْ أَهلَهُ * ووُلاةَ الأمرِ وَفِّقْ لِلوَفا
يا كَريمًا يا جَوادًا ماجِدًا * يا رحِيمًا يا لَطيفَ اللُّطَفا
يا عَليمًا يا حَليمًا مُحسِنًا * يا عَطوفًا عَطْفُهُ قد أُلِفا
يا عَظيمَ المَنِّ والإِفْضالِ وَالْـ * جُودِ والعُرْفِ الَّذِي قد وُصِفا
وصلاةُ اللهِ تَغشَى أَحمَدًا * مَن لِنارِ الكُفرِ والشِّركِ طَفا
وسلامُ اللهِ مَع بَركاتِهِ * وعلى الآلِ الكِرامِ الشُّرَفا

وَعلى الأَصحابِ معَ أَتْباعِهِمْ * دائِماً ما بَرْقُ نَجْدٍ رَفْرَفا
وسَرَى مِنها نَسيمٌ طَيِّبٌ * لِعَليلِ القَلبِ أَبْرَا وشَفَا

﴿ومِن أُخرى﴾

فالظَّنُّ بِاللهِ مَولانا وسيِّدِنا * ظَنٌّ جَميلٌ معَ الأَنفاسِ يَزْدَادُ
نَرجُوهُ يَرحَمُنَا نَرجُوهُ يَجْبُرُنَا * فهُو الجَوادُ الَّذي بِالجُودِ عَوَّادُ
نَرجُوهُ يَنظُرُنا نَرجُوهُ يَستُرُنا * فمِنهُ لِلكُلِّ إمدادٌ وإيجَادُ
نَدعُوهُ نَسأَلُهُ عفوًا ومَغْفِرَةً * مع حُسنِ خاتِمَةٍ فالعُمرُ نَفَّادُ
وقَد رَضِينا قَضاءَ اللهِ كيفَ قَضى * واللُّطفَ نَرجُو وحُسنُ الصَّبرِ إرشَادُ
ثمَّ الصَّلاةُ عَلى الهادِي وعِترَتِهِ * مُحَمَّدٍ ماانْثَنَتْ بِالرِّيحِ أَعوَادُ
وما سَرَتْ نَسَماتُ الحَيِّ في سَحَرٍ * وكانَ مِنها لِحَرِّ الشَّجوِ إبرَادُ

﴿ومِن أُخرى﴾

يا إلٰهي وسيِّدِي إنَّني لكَ أَضرَعُ * وإلى بابِكَ أَلتَجي وهُو لِلكُلِّ مَفزَعُ
أَحْيني لكَ مُسلِمًا مِنكَ أَخشى وأَخْشَعُ * وعلَيَّ بِزَلَّتي سيِّدِي لاتُشَنِّعُ
وأَمِتْني علَى الهُدَى دِينِ مَن هو مَنْبَعُ * لِلفَضائِلِ كُلِّها وهُو لِلخَلقِ يَشْفَعُ
أَحمَدَ الهادِي الَّذي كانَ بِالحَقِّ يَصْدَعُ * صلِّ ربِّي علَيهِ ما باتَتِ الوُرقُ تَسْجَعُ

﴿ومِن أُخرى﴾

قُل يا سَميعَ الدُّعا يا عالِمَ الأَسرَارِ * يا كاشِفَ الضرِّ يا غَفَّارُ يا قَهَّار
يا جابِرَ الكَسْرِ يا جَبَّارُ يا سَتَّار * إليكَ فَوَّضْتُ أَمرِي وانْتهى نَظَرِي

واسأَلْ مِن اللهِ كَشْفَ البُؤسِ والضَّرَرِ

يا عُدَّتي يا رَجائِي في المُهِمَّاتِ * ومَفْزَعِي ومَلاذِي في المُلِمَّاتِ
ضاقَتْ بِما حَلَّ حالاتِي وأَوْقاتِي * فاكْشِفْهُ في عَجَلٍ يا بارِيَ الصُّوَرِ

واسأَلْ مِن الله كَشْفَ البُؤسِ والضَّرَرِ

إليـكَ وَجَّهْتُ وجهِي وانْتهى سَيْـرِي * ولَم أُرَجِّ لِكَشْـفِ الـبُـؤْسِ والـضَّـيْرِ
سِـواكَ يـا ربِّ يـا فَتَّـاحُ بِـالخَـيرِ * سُبحـانَـك الله يـارُكْنِي ويـا وَزَرِي

واسأَلْ مِن الله كَشْفَ البُؤسِ والضَّرَرِ

يـاذا الجَـلالِ وذا الإكْـرامِ والإعْظَام * يـا مالِـكَ المُلكِ ياذَا الـطَّولِ والإنْعـام
يـا ربِّ يـا ربِّ ثَبِّتنـا عـلى الإسـلَام * والحَقِّ والصِّدقِ وَاحْفَـظْنَـا مِن الغِـيَرِ

واسأَلْ مِن الله كَشْفَ البُؤسِ والضَّرَرِ

إنِّي سَـأَلْتُكَ بِـالهـادِي النَبِيِّ الـطَّاهِـر * مُحَمَّـدٍ المُصطفَى الصَّـابِرِ الشَّـاكِـر
خَـيرِ البَـريَّـةِ مِن بـادٍ ومِن حـاضِرِ * أَنْ تَكْشِفَ الضُّرَّ واجْمَعني عـلَى وَطَـرِ

واسأَلْ مِن الله كَشْفَ البُؤسِ والضَّرَرِ

يـا خـاتَمَ الـرُّسـلِ يَـا يَس يـا طَـه * يـا خِيـرَةَ الله في الـدُّنَيـا وأُخـرَاهـا
يـا أَكْرَمَ الخَلقِ يـا أَعلَى الـوَرَى جاهًـا * نـادَاكَ ذُو كُـربَـةٍ مِن لُجَّـةِ الكَـدَرِ

واسأَلْ مِن الله كَشْفَ البُؤسِ والضَّرَرِ

يـا مَن هـو العُـروَةُ الـوُثقَى لِمُعتَصِمٍ * ومَن هـو النِّعمَـةُ العُـظمَى لِمُغتَنِمٍ
صـلَّى وسـلَّمَ ربُّ العَـرشِ والأُمَـمِ * علَـيـهِ دَأْبًـا وبِـالآصـالِ والـبُـكَـرِ

واسأَلْ مِن الله كَشْفَ البُؤسِ والضَّرَرِ

﴿ومِن أُخرى﴾

والمُـتَّـقُـون رِجـالُـهُ وحـضُـورُهُ * يـا ربِّ فَـالْحِقْنـا بِهِـم يـا ربَّنـا

﴿ومِن أَثناء أُخرَى له﴾

فـأَسْتغفِـرُ اللهَ العَـظيـمَ جـلالُـهُ * وقُـدرَتُـهُ في شَـرقِـهَـا والمَغـارِبِ
إليـهِ مَـآبِي وهُـو حَسبِي ومَـلْجَئِي * ولِي أمَـلٌ في عَـطفِـهِ غـيرُ خـائِبِ

وأسـأَلُـهُ التَّـوفِيقَ فِيـما بَقِي لِـما * يُحِبُّ ويَـرضَى وهُـو أَسنَى المَـطالِبِ
وأَنْ يَـتغَشَّـانـا بِـعَـفـوٍ ورَحْـمَـةٍ * وفَضـلٍ وإِحْسانٍ وسَـتْرِ المَعـائِبِ
وأَنْ يَـتَـولَّانـا بِـلُطفٍ ورأفَـةٍ * وحِفظٍ يَقِينَـا شَرَّ كُـلِّ المَعـاطِبِ
وأَنْ يَـتَـوَفَّـانـا عـلى خَـيرِ مِـلَّةٍ * عـلَى مِلَّةِ الإِسلَامِ خـيرِ المَواهِبِ
مُـقيمِـينَ لِلقُـرآنِ والـسُّنَّـةِ الَّتِي * أَتانـا بِهـا عـالِي الـذُّرَى والمَراتِبِ
مُحمَّـدُ الهـادِي الـبَشـيرُ نَبِيُّنَـا * وسيِّـدُنـا بَحـرُ الهُـدى والمَنـاقِبِ
عـلَيـهِ صـلَاةُ اللهِ ثُـمَّ سـلامُـهُ * وآلٍ وأَصْحـابٍ لَـهُ كـالكَـواكِبِ

﴿ومِن أُخرى﴾

إنَّ لي في اللهِ آمَـالاً طـويـلَة * وظُنـونًـا حَسنَـة فيـهِ جَمـيلَة
لَيس لي في نَيـلِ مـاأَرجُـو وَسيلَة * غـيرُ طَه المُصـطفَى زَينِ الـوُجـودِ

﴿ومِن أُخرى﴾

تَـتَمَنَّى الـنُّـفـوسُ والـرَبُّ يَقضِي * مـا يَـشَـا مُـدبِّـرُ الأَحـكَـامِ
الإِلٰـهُ الـعَـظيـمُ ربُّ الـبَـرايَـا * ذو الجَـلالِ الـرَّفـيـعُ والإِكـرَامِ
الجَـوادُ الـكَـريـمُ ذُو المَنِّ والـطَّو * لِ والفَضـلِ والأَيـادِي الجِسـامِ
فلَه الحَـمـدُ ولَـه الـشُّكـرُ دأْبًـا * دائِـمًا سَـرمَـدًا بِـغَـيرِ انْـصِـرامِ
وصـلَاةٌ مِـن ربِّـنـا وسـلَامٌ * كـلَّ حـينٍ عـلَى شَفيـعِ الأَنـامِ
أَحمَـدَ المُـصـطفَى وآلٍ وصَـحبٍ * وعـلَى التَّـابِعـينَ طُـولَ الـدَّوامِ
مـا تَغَنَّتْ حَـمـامَـةُ الأَيـكِ وَهْنًـا * وسَـرَتْ نَسْمَـةٌ بِـعَـرفِ الخُـزَامِ
وخَـتَـمْـنَـا بِمـا بَـدَأْنـا ادِّكـارًا * قُـل لأَحْـبـابِنـا بِسُـوحِ المَقـامِ

﴿ومِن أُخرى﴾

ورَسِـيسٌ عـلَى الـفُـؤادِ مُـقِـيـمٌ * مِـن قَـديـمٍ يَـلُوحُ لي في المِثـالِ
علَّ يَبدُو في الحُسنِ في خـير حـالٍ * وكَـفـانِي عِـلمُ الإِلٰـهِ بِـحـالِي

غَيرَ أَنَّا إلى الدُّعاءِ نُدِبْنا * وأُمِرنا بِه وبِالإبْتِهالِ
وصَلاةُ المَليكِ تَغْشى نَبِيًّا * قَد أَتانا بِالفَتحِ والأَنْفالِ
أحمدَ المُصطفى وآلاً وصَحبًا * هُم على الحَقِّ خيرُ صَحبٍ وآلِ
ما سَرَتْ نَسَمَةٌ سُحَيرًا فأَشْجَتْ * وأَثارَتْ كَوامِنًا بِالبالِ

﴿ومِن أُخرى﴾

نَرى شَوْقَ الفُؤادِ لِخَيرِ عَيشٍ * مع الأَحْبابِ في الغُرَفِ العَلِيَّة
عَسى الرَّبُّ الكَريمُ بِمَحضِ فَضلٍ * يُبَلِّغُنا أَقاصي الأُمْنِيَّة

﴿ومِن أُخرى﴾

والأَمْرُ للهِ جلَّ اللهُ خالِقُنَا * مُنشي البَرايا ومُحيي المَيِّتِ الفاني
ذُو الجُودِ والفَضلِ والإحْسانِ نَحْمَدُهُ * على تَواصُلِ إنْعامٍ وإحْسانِ
نَسأَلُهُ يَجبُرُنَا نَسأَلُهُ يَرحَمُنَا * ويَعْفُو عنَّا ويَلْقانا بِغُفرانِ
والأَقرَبِينَ وأَهلِ الدِّينِ قاطِبَةً * يا ربِّ واخْتِمْ بِتَوْحيدٍ وإيمانِ
ثمَّ الصَّلاةُ على المُختارِ سيِّدِنا * مُحمَّدٍ ما هَمَتْ سُحبٌ بِهَتَّانِ
وما تَغَنَّتْ حَمامُ الأَيكِ في سَحَرٍ * وما صَبَتْ عَذَباتُ الأَثْلِ والبانِ

﴿ومِن أُخرى﴾

أَهلُ بَيتِ المُصطَفى الطُّهرِ * هُم أَمانُ الأرضِ فَادَّكِرِ
شُبِّهُوا بِالأَنْجُمِ الزُّهرِ * مِثلُ ما قَد جاءَ في السُّنَنِ
وسَفِينٌ لِلنَّجاةِ إذا * خِفتَ مِن طُوفانِ كلِّ أَذى
فَانجُ فِيها لاتَكُونُ كَذا * وَاعْتَصِمْ باللهِ وَاسْتَعِنِ
ربِّ فَانْفَعنا بِبَركَتِهِمْ * وَاهدِنَا الحُسنَى لِحُرمَتِهِمْ
وأَمِتْنا في طَريقَتِهِمْ * ومُعافَاةٍ مِن الفِتَنِ

﴿ومن أخرى﴾

فَالعَفْوُ أَوسَعُ مُنتَظَرٍ * مِن ربِّنا خَيرِ غَفَّارٍ ومُقتَدِرِ
سُبحانَهُ جَلَّ لانُحصِي ثَناهُ ولاَ * نَرجُو سِواهُ لِنَيلِ السُّولِ والوَطَرِ

﴿ومِن أُخرى﴾

والله يَرْحَم جَمْعَنا بِفَضْلِه * ولا يُعامِلنَا بِقِسْط عَدْلِه
بِبَركَةِ الهادِي خِتَام رُسلِه * أَحمَد إمامِ المُتَّقِينَ الأَبْرَار

﴿ومِن أُخرى﴾

وظَنُّنا فِيه سُبحانَه أَمَلنا طَوِيل * نَرجُوه يَرْحَم ويَغْفِر كلَّ ذَنبٍ ثَقِيل
ويَجْبُرُ الكَسْر فهُو المُرتَجَى والكَفِيل * والمُحسِنُ المُنعِمُ المُفْضِل ومُعْطِي الجَزِيل
تَمَّتْ وصَلُّوا على المُختَار هادِي السَّبِيل * والآل والصَّحْب في غُدواتِها والأَصِيل

﴿ومِن أُخرى﴾

وفِي الإلٰهِ مَلِيكِ العالَمِين غِنىً * عن كُلِّ شَيء فلازِمْ بابَهُ وَسَلِ
هُو القَرِيبُ المُجِيبُ المُستَغاثُ بِهِ * قُل حَسْبِيَ اللهُ مَعبُودِي ومُتَّكَلِي
واسْأَلْهُ مَغفِرَةً واسأَلْهُ خاتِمَةً * حُسْنَى وعافِيَةً والجَبرَ لِلخَلَلِ
وأَنْ يُوَفِّقَنا لِلصَّالِحاتِ ومَا * يُرضِيهِ عنَّا ويَحفَظْنا مِن الخَطَلِ
وأَنْ يُصلِّيَ على المُختَارِ سيِّدِنا * مُحمَّدٍ ما هَمَتْ سُحبٌ بِمُنهَمِلِ
والآلِ والصَّحبِ ما غَنَّتْ مُطَوَّقَةٌ * علَى الغُصونِ فَأَشْجَتْ واجِدًا وخَلِي
والحَمدُ لِلهِ ربِّ العالَمِينَ علَى * إحْسانِهِ وتعالَى اللهُ خيرُ وَلِي

﴿ومِن أُخرى﴾

أُمنُنْ عليَّ بِعَودَةٍ أو زَورَةٍ * أُشفَى بها يا عائِدِي يا زائِرِي
أَشكُو إلَيكَ وأَشتَكِيكَ إلى الَّذِي * فَطَرَ السَّمواتِ العَزِيزِ الغَافِرِ

الـواحِـدِ الملِكِ العَـظيـمِ جـلالُـهُ * ذِي العِـزِّ والمَجـدِ الـرَّفيـعِ البـاهِـرِ
يـا ربِّ يـا ربَّـاه يـا أَمَـلاَه يَـا * ذُخـرِي إذا ضَنَّ السَّحـابُ بمـاطِـرِ
غِثْني بِغَيْثٍ إنَّني لَـك خـاضِـعٌ * عـبـدٌ ذَلـيـلٌ لا أَقُـومُ لِـضَـائِـرِ
يـا مَـطلَبِي يـا مَـأْرَبِي يـا مَهْـرَبِي * يـا مَفـزَعِي في يُسـرَتِي ومَعـاسِـري
يـا عُـدَّتي في شِـدَّتي يـا عُـمـدَتِي * في مُـدَّتي ومَـوارِدِي ومَـصَـادِرِي
أُنـظُرْ إليَّ بِـنَـظْرَةٍ مِـن رَحْمَـةٍ * كَي يَحيَى مِنِّي كـلُّ مَيْتٍ دَاثِـرِ

﴿ومِن آخِرِ العَيْنِيَّة المَشهُورَة بِالبَرَكَة﴾

يـا ربَّنَـا يـا رَبَّنـا أُلْـطُف بِـنـا * وَاغْـفِـر لَنـا وَارْحَـم وَأَلِّـف وَاجْمَـعِ
يـا رَبِّ واجْـبُـرنَـا ووَفِّـقـنَـا لِمـا * يُـرضِيـكَ عنَّـا أنتَ أَسمَـعُ مَن دُعِي
يـا رَبِّ وَاخْتِم بِـاليَقـيـنِ وبِـالهُـدَى * أَعْمـارَنَـا والـزَّيـغَ عنَّـا فـادْفَـعِ
يـا رَبِّ وَاجْمَـعنـا وأَحْـبـابًـا لَـنـا * في دارِكَ الفِـردَوْسِ أَطيَبِ مَـوضِـعِ
فضـلاً وإِحْسـانًـا ومَنًّـا مِنـكَ يـا * ذَا الجُـودِ والفَضلِ العَـظيمِ الأَوْسَعِ
وَاجعَـلْ صَـلاتَـكَ والسَّـلامَ مُضـاعَفًـا * لِـنـبِـيِّـكَ المُـخـتـارِ خَـيرِ مُشَـفَّـعِ
المُـصـطَفَـى الهـادِي إلـيـكَ مُحـمَّـدٍ * والآلِ والأَصْـحـابِ ثُـمَّ الـتَّـابِـعِ
وَالحَـمـدُ للهِ الـكَـريـمِ خِـتـامُـهَـا * وقَـدِ انْتَهَـتْ فَـاقْبَـلْ إلٰهِي وَانْفَـعِ

﴿ومِن أُخرى﴾

وللهِ رَبِّـي الحَمـدُ والـشُّكـرُ والـثَّـنـا * عَـلى نِـعَـمٍ مَـشـكُـورَةٍ بِـدَوامِ
ونَـسـأَلُ مَـوْلانَـا تَـبـارَكَ اسْـمُـهُ * ثَـبـاتًـا وتَـأْيِـيـدًا وحُـسنَ خِتَـامِ
وتَمَّـتْ وصـلَّى اللهُ أزكَـى صَـلاتِـهِ * عَـلى أَحْمَـدٍ مـا انْهَلَّ وَدْقُ غَـمـامِ
ومـا غَـرَّدَتْ وُرقٌ عـلَى غُصنِ دَوحَـةٍ * ومـا لاَحَ بَـرقُ النَّجـدِ جُنْحَ ظَـلامِ
وآلٍ وأَصْحـابٍ ومَن كـانَ تـابِـعًـا * عـلَى الـبِرِّ والتَّقـوَى وحِـفظِ ذِمَـامِ

﴿ومِن أُخرى﴾

وحَسُنَ أنْ يُبدَأَ مِن أوَّلِها، وهِي قَصيدَتُهُ رضيَ اللهُ عنهُ المَشهُورَةُ الجَاذِبَةُ لِلرَّحمَةِ العاجِلَةِ الَّتي قالَ نفعَ اللهُ بهِ في أوَّلِها:-

يـا رَحمَـةَ الله زُورِي * وَانْـعِـمِـي بِـحُـضُـورِي

﴿وفي آخِرِها﴾

يـا رَبِّ يـا رَبِّ أَجِـرنَـا * فـأَنْـتَ خَـيرُ مُجِـيرِ
يـا رَبِّ يـا رَبِّ عَـطفًـا * عَـلى الـضَّعِـيفِ الـفَـقِـيرِ
يـا رَبِّ يـا رَبِّ صَـفـحًـا * عَـن الـذَّلِـيـلِ الحَـقِـيرِ
يـا رَبِّ يـا رَبِّ عَـفـوًا * عَـن الـذَّمِـيـمِ الـصَّـغِـيرِ
يـا رَبِّ وَاخْـتِـم بِـخَـيرٍ * إنْ حـانَ حِـينُ المَـسِـيرِ
إلى الـقُـبـورِ سـلَامٌ * مِـنَّـا عـلَى أَهـلِ القُـبـورِ
ثُـمَّ الـصَّـلاةُ عـلَى أحْـمَـدْ * عـلَى الـسِّـراجِ الْمُـنـيرِ
عـلَى الـصَّـفِـيِّ المُصـفَّـى * عـلَى الـبَـشِـيرِ الـنَّـذِيـرِ
مَـن جَـاءَنَـا بِـكِـتـابٍ * يُـتْـلى وَذِكـرٍ وَنُـورِ
وَخَـصَّـهُ الـرَّبُّ الأَعـلى * مِـنـهُ بِـفَـضـلٍ كَـبِـيرِ
صَـلاةُ ذِي الـعَـرشِ تَـتـرَى * عَـلـيـهِ طُـولَ الـدُّهُـورِ
مـا سَـارَتِ الـرِّيـحُ تَجـرِي * أَمـامَ غَـيْـثٍ مَـطِـيرِ

﴿ومِن أُخرى لَه نفعَ اللهُ بِه﴾

فـيـا ربِّ يـا رَحمنُ شَـفِّـعْ نَـبِـيَّـنَـا * رَسـولَكَ فِينا وَاكفِ مَن جارَ وَاجْـتَـرَا
ولا تُـبـقِـنَـا يـا رَبَّنـا عُـرضَـةً لَهُـم * وهَـدْفَ مَرامِي كـلِّ مَن خانَ وَامْـتَـرَى
وخُـذ بِنَـواصِيـنَـا إلَى الحَقِّ والهُـدَى * وَاختِمْ لَنا بِـالخَـيرِ إنْ أَزْمَـعَ السُّـرَى

فـإنَّـكَ مَـولانَـا وإنَّـكَ ربُّـنَـا * وسيِّـدُنا والقَصـدُ في كُـلِّ مـا عَـرَا
وصـلِّ عـلَى رُوحِ الحَبيبِ مُحَمَّـدٍ * وسـلِّمْ وبـارِكْ كُـلَّما بـارِقٌ سَرَى
مَـع الآلِ والأَصْحابِ والتَّابعينَ مـا * جَرَى السَّيلُ في الوادِي وما المُزْنُ أَمْطَرَا
وَتَمَّتْ وَفـاحَ الحَمـدُ للهِ خَتْمُـهَـا * عَبيـرًا ومِسكًـا لِلوُجـودِ مُعَـطِّرًا

وقالَ نفعَ اللهُ بهِ على وَزنِ المُنفرِجَةِ، وهِي المُفرِجَةُ أيضًا:-

الـنَّـاسُ في ضِـيـقٍ وفي حَـرَجٍ * يَشكُـونَ مِـن كَسرٍ ومِن عَـرَجِ
يـا رَبِّ يـا رَحْمـنُ يـاذا الـعُـلَا * الـغَـوْثَ بِـالفَتـحِ وبِـالـفَـرَجِ
يـا رَبِّ يـا مـنَّـانُ يـا رَبَّـنَـا * أُلـطُفْ بِـنـا وَاهـدِ إلى النَّهَـجِ
يـا رَبِّ يـا حَنَّـانُ يـا ذُخـرَنَـا * عـافِ مِـن الإخْـلالِ والـعِـوَجِ
يـا رَبِّ يـا دَيَّـانُ يـا كَـهْـفَـنَـا * في سـاعَـةِ الإرجَـافِ والـرَّهَـجِ
يـا رَبِّ يـاذَا العَـرشِ والكِبْرِيَـا * والمَجـدِ إحْـفَـظنـا مِـن الهَـرَجِ
ومِـن فَـريـقٍ لَا خَـلاَقَ لَهُـم * قَـد أَمْعَنُـوا في الخُلفِ والمَـرَجِ
ورُبَّمـا رامُـوا بِـأَفْـواهِـهِـم * أَنْ يُلبِسُـوا الإِصبَـاحَ بِـالـدَّلَـجِ
ويَـتـرُكـونَـا كـالـبَـهـائِـمِ والـ * أَنْـعـامِ لانُـصغِـي إلى الحُـجَـجِ
كـلَّا لَـعَـمْـرُ اللهِ لَـن يَـقـدِرُوا * ولَـن يُـطِيـقُـوا ذَاك أَو نَـعُـجِ
إنَّـا بِـحَـبـلِ اللهِ مُعتَـصِمـون * وسُنَّـةِ المُسـتَـخـلَصِ الـبَـهِـجِ
نَـسـأَلُـكَ اللَّهُـمَّ بِـالمُـصـطفَـى * وبِـالخَـلـيـلِ الـطَّيِّـبِ الأَرِجِ
وصـاحِـبِ الـطُّورِ المُـنـاجَـى بـهِ * والـرُّوحِ والـنـاجِي عـلَى اللُّجَـجِ
وبِـالأَبِ الأَوَّلِ آدَمِـهـا * وشِـيـثٍ والمَـرفـوعِ في الـدَّرَجِ
وجُمْـلَةِ الأَمـلاكِ والـكُـتـبِ والـ * ـرُّسـلِ الكِـرامِ القـادَةِ السُّـرُجِ
جِـبـريـلَ مِـيـكـائِـيـلَ ووَاوٍ ورَا * وصـاحِـبِ الـرُّوحِ وإذْ يَـهِـجِ
بِـالـنَّفـخِ والـقـابِـضِ لأَرْواحِـنَـا * مِـن ساكِـنٍ مِـنـهـا ومُـنـزَعِـجِ

يـا رَبِّ تِـلكَ مَسـائِـلٌ نُـظِمَـتْ * لِـعَـبـدِ سُـوءٍ بَمـنـطِقٍ لهِـجِ
جمٍّ الـذُّنـوبِ كَثيـرِهـا قَعَـدَتْ * بِـه الأَمـانِي عـن العُـلاَ الـفُـرَجِ
والقَـوم قَـد تَعِبـوا وقَـد كَـرَبـوا * وقِيـلَ عَنهـم يـا أَزْمَـةُ انفَـرِجي
وقَـد أَقَـرَّ الـكُـلُّ واعـتَـرَفـوا * بِـأَنَّهُم مُخـطُونَ كـالهَـمَـجِ
فَـاغْفِـر وسـامِحْ وَاعفُ عنَّـا فقَدْ * تُبنَـا مِـن المَـذمـومِ والـسَّمِـجِ
وانْـزِل لَـنـا غَيْـثًـا وأَنْبِتْ لَـنَـا * ونَـجِّ مِـن حَـرٍّ وَمِـن وَهَـجِ
بِسِرِّ يَس شَـفـيـعِ الـوَرَى * وأَحمـدِ الحـامِـديـنَ ذِي الـبَـلَجِ
نَبِيِّـك الهـادي الـرَّسـولِ إلى الـ * خَلقِ جَميعًـا بَـأَوْضَـحِ الحُجَـجِ
عـلَيـهِ أَزْكَـى الـصَّـلاةِ دائِـمَـةً * تَـكُـرُّ كَـرَّ الـشُّـهـورِ والحِـجَـجِ
والآلِ والـصَّحـبِ مـا هَمَتْ مُـزنٌ * وسـارَتِ الجـارِيـاتُ في الـثَّـبَـجِ

﴿ومِن أُخرى﴾

يـا رَبِّ وَاحفَظْ دِينَنـا ومَعـاشَنَـا * وَاخـتِـمْ بِـخَـيرٍ إن أَلَمَّ حِمـامُ
ثُـمَّ الصَّـلاةُ عـلى الـنَّـبِيِّ وآلِـهِ * مـا غَـرَّدَتْ فـوقَ الأَراكِ حَمَـامُ

﴿ومِن أُخرى لَه نفَعَ اللهُ بِهِ﴾

يـا رَبِّ وَاختِمْ بِـاليَقـينِ وتَـوبَـةٍ * مَـقـبـولَـةٍ لأَصـاغِـرٍ وأَكـابِـرِ
ثُـمَّ الصَّـلاةُ عـلى النَّـبِيِّ مُحَمَّـدٍ * مـا لاَحَ بَـرقٌ في سَحـابٍ مَـاطِـرِ
والآلِ والصَّحبِ الكِـرامِ وتَـابِـعٍ * مِـن كُـلِّ صَبَّـارٍ مُـنيـبٍ شـاكِـرِ

﴿ومِن أُخرى﴾

فـيـا رَبِّ يـا رَبَّـنـا كُـن لَـنـا * فـإِنَّـكَ خـيرُ ولِيٍ وهَـادْ
وَاختِـمْ بِـخـيرٍ وحُـسـنِ الـيَـقـيـنِ * وحُـبِّ اللِّقَـاءِ خـيرِ مـا يُـستَـفَـادْ
وصـلِّ وسـلِّمْ عـلى أَحمَـدٍ * نَـبِـيِّ الهُـدى كُـلَّما غُـصُـنْ مَـادْ
ودَرَّ الـغَـمـام وهَـبَّ الـنَّـسِـيـم * وغَـنَّى الحـمَـام وزَمـزَمَ حَـادْ

﴿ومِن أُخرى﴾

يـا رَبِّ أنـتَ المُـبـتَـغَـى * والمُـــرتَجَـــى والمُـــدَّخَـــر
يـا رَبِّ فـاسْـتُـر واسْـمَـحَـنْ * أنـتَ أكـرَمُ مَـن سَـتَـر
يـا رَبَّـنـا وَاخـتِـمْ لَـنـا * بِـالخَـيرِ إنْ حـانَ الـسَّـفَـر
يـا رَبَّـنـا وَانـظُر إلَـيْـ * ـنَـا أنـتَ أحـسَـنُ مَـن نَـظَر
ثُـمَّ الـصَّـلاةُ عـلَى الـرَّسُـول * خَـيرِ الـبَـرِيَّـةِ مِـن مُـضَر
خَـتـمِ الـنَّـبِـيِّـينَ الـكِـرَام * نِـعمَ المَـصـابـيـحِ الـغُـرَر
والآلِ والأَصـحـابِ ثُـ * ـمَّ الـتَّـابِـعـينَ عـلَى الأَثَـر
مـا هَـبَّـتِ الـنَّـسَـمَـاتُ بِـالـ * ـعَـرفِ المُـعَـنـبَرِ في الـسَّـحَـر
أَو غَـرَّدَتْ وُرْقُ الحَـمَـامِ * عـلَى الـغُـصـونِ مِـن الـشَّـجَـر

﴿ومِن أُخرى﴾

عَسَى عَسَى يَحْـصُـلُ المَـتَـاب * والعَفـوُ مِـن بـارِيءِ الـنُّـفُـوسِ
ونَـحْـظَى بِـالأَمـنِ والمِـنَـن * والـفَـوزِ في جَـنَّـةِ الخُـلودِ

﴿ومِن أُخرى﴾

مَـتَى مَـتَى يـاصَـاح * تُـقْضَى لَـنـا الأَوْطَـار
مِـن رَاحَـةِ الأَرْوَاح * أُنسِ الحِـمـى والجَـار
وتَـكـمُـلُ الأَفـرَاح * وتَـنْـجَـلي الأَكْـدَار
يـا ربَّ يـا رَحمَـنُ * فَـرِّج عـلَى المَـكـرُوب
وَاجـبُر لَـه كَـسـرَه * واصْـلِح لَـه أَمْـرَه
وَاطـلِقْ لَـه أَسْـرَه * وَاشـرَحْ لَـه صَـدرَه
وَاشـدُد لَـه أَزْرَه * وَاغـفِـر لَـه وِزرَه
يـا دائِـمَ الإِحْـسَـان * شُـكـرُك عَـلـيـنـا دُوب

﴿ومِن أُخرى﴾

سُبحانَ مَن عَنَتِ الوُجوهُ لِوَجهِهِ * بِتَذَلُّلٍ وتَخَشُّعٍ وتَصاغُرِ
الواحِدِ المَلِكِ الجليلِ تَقَدَّسَتْ * أَوْصافُهُ عَن قولِ كُلِّ مُدابِرِ
عَن مُشرِكٍ أو شاكِكٍ مُتَرَدِّدٍ * في اللهِ واليومِ المَعادِ الآخِرِ
آمَنْتُ باللهِ العَظيمِ وكُتبِهِ * ورَسولِهِ الهادِي الأَمينِ الطَّاهِرِ
خَتمِ النَّبِيِّينَ الكِرامِ جَميعِهِم * صلَّى عليهِ اللهُ عدَّ الماطِرِ
والآلِ والصَّحبِ الكِرامِ وتابِعٍ * مِن كُلِّ أَوَّابٍ مُنيبٍ شاكِرِ

﴿ومِن أُخرى﴾

فنَسأَلُ اللهَ تَوفِيقًا لِطاعَتِهِ * وشُكرِهِ فهُو أَهلُ الفَضلِ والكَرَمِ
والخَتمَ عِندَ حُضورِ المَوتِ قابِضِنا * بالخَيرِ والبِرِّ والغُفرانِ لِلَّمَمِ
ثُمَّ الصَّلاةُ على الهادِي وعِترَتِهِ * مُحمَّدٍ ما سَرَى بَرقٌ على الخِيَمِ
وما تَغَنَّت حَمامُ الأَيكِ في سَحَرٍ * وانْهَلَّتِ السُّحبُ بالأَمْطارِ والدِّيَمِ

وقالَ رضيَ اللهُ عنه وأَرْضاه وأَعادَ علينَا مِن بَركاتِه، آمين:-

يا قَريبَ الفَرَج سالَك تُجَلِّي لِيَ الاَكْدار * يا خَفِيَّ اللَّطائِف بِيَدِك النَّفْع والضَّار
عافِنَا وَاعفُ عنَّا وَاكفِنَا شرَّ الأَشْرَار * وَالبَلِيَّات وَالعاهَات وَالذَّم وَالعَار
وَاغْفِرِ الذَّنبَ وَارْحَمنا وعِذْنَا من النَّار * سَلَك بِك سَلَك بِك يا رَبِّ يا نُورَ الأَنْوَار
سَلَك بِك سَلَك بِك يا رَبِّ يا خَيْر غَفَّار * سَلَك بِك سَلَك بِك يا رَبِّ يا خَيْر سَتَّار
سَلَك بِالمُصطَفَى الهادِي لَنا خَيْر مُختَار * وَابْن عَمِّه عَلِيِّ الحَبْر قَيْدُوم الاَبْرَار
وَابْنَةِ المُصْطفَى الزَّهْرَا البَتُول أُمِّ الأَطْهَار * وَالحَسَن وَالحُسَين أَهْلِ الكِسا خَيْر الاَخْيَار
سَلَك يَاالله بِهِم تَحْفَظ لَنا الرَّبْع والدَّار * وَالقَرابَات وَالاَصْحَاب وَالاَهْل وَالجَار
وَارْشُدِ الوالِي إِنَّه يا إِلَهَ السَّما حَار * لَم يَزَل في عَنَا دَايِر مَع كُلِّ مَن دَار
في شَبَه مَن وَقَع في بَحْر عَجَّاج تَيَّار * فَاصْلِح الكُلَّ يا عالِم بِمَكنونِ الأَسْرَار

وَاخْتِمُ القَول صَلَّى اللهُ عَلَى نُورِ الأَبْصَار * أَحْمَدَ المُصطَفَى وآلِه مَصابِيح الأَقْطَار وَالصَّحابَة مُهاجِرُهُم لِوَجهِك وَالأَنْصَار * كُلَّما غَرَّدَ القُمْرِي عَلى أَغْصانِ الأَشْجَار أَوْ سَرَتْ نَسَمَاتُ الحَيِّ فِي وَقتِ الأَسْحَار

﴿ومِن أُخرى﴾

بِلُطفِ اللهِ كَشَّافِ البَلَايَا * تَعالَى لا يُخَيِّب فِيه رَاجِي
نُؤَمِّلُه ونَرجُوهُ دَوامًا * يُقَوِّمُ ما هُناكَ مِن اعْوِجَاجِ
ويَشمَلُنا بِعافِيَةٍ وعَفوٍ * فَنُضحِي فِي سُرورٍ وَابْتِهاجِ
بِبَركَةِ أَحمَدٍ خَيرِ البَرايَا * شَفيعِ الكُلِّ يومَ الاِرتِجَاجِ
عَليه اللهُ صَلَّى كُلَّ حِينٍ * وسَلَّمَ ما لَجَا لِلهِ لاجِي

﴿وقالَ في أُخرى لما ذَكَرَ الكَعبةَ المُشَرَّفَة نفعَ اللهُ بِه، آمين﴾

غَرِيتُ بِها وَالحَمدُ لِلهِ وحدَه * عَلى كُلِّ إِحْسانٍ عَلى كُلِّ نِعمَةِ
ونَسأَلُهُ التَّوفِيقَ والعَفوَ والرِّضا * وأَنْ يَتَوَفَّانا عَلى خَيرِ مِلَّةِ
عَلَى مِلَّةِ الإِسلامِ دِينِ مُحَمَّدٍ * نَبِيِّ الهُدى المُختارِ خَتمِ النُّبُوَّةِ
علَيهِ صلاةُ اللهِ ما هَبَّتِ الصَّبَا * وما غَرَّدَتْ وُرقٌ عَلَى غُصنِ دَوحَةِ

﴿ومِن أُخرى﴾

فَنُحشَرُ جَمعًا لِلحِسابِ ولِلجَزا * ونَرجو سَماحًا والكَريمُ سَمُوحُ
فنَسأَلُهُ سِتْرًا وعَفوًا ورَحمَةً * وصَفحًا فخَيرُ الرَّاحِمينَ صَفُوحُ
فَيُدخِلُنا الجَنَّاتِ فَضلًا ومِنَّةً * ويُنجِي مِن النِّيرانِ وهِي تَفُوحُ
ويَشفَعُ فِينا أَحمَدٌ سَيِّدُ الوَرَى * نَبِيُّ الهُدى فالجاهُ ثَمَّ فَسِيحُ
عَلَيهِ صَلاةُ اللهِ ثُمَّ سَلامُهُ * مَتى لاحَ بَرقٌ أو تَنَسَّمَ رِيحُ

﴿وقالَ رضيَ الله عنه ونفعَ به﴾

خُـذْ يَمِيـنًـا خُـذ يَمِيـنًـا * عَـن سَبيـلِ النَّـاكِبِيـنَـا
وَاتَّـــــقِ اللهَ تـعــالَى * عَـن مَقـالِ المُـلْحِـدِيـنَـا
الإلَـهَ الحـقَّ رَبَّ الْـ * ـعَـرشِ ربَّ الـعـالَمِيـنَـا
هُـو ربُّ الأوَّلِـيـنَـا * هُـو ربُّ الآخـرِيـنَـا
هُـو ربِّـي هُـو حَـسْـبِـي * هُـو خَـيرُ الـرَّازِقِـيـنَـا
هُـو غَـفَّـارُ الخَـطَايَا * هُـو خَـيرُ الـرَّاحِمِـيـنَـا
ربِّ أَدْخِـلنَـا جَمِـيـعًـا * في الـعِـبـادِ الـصَّـالِحِيـنَـا
وَارْضَ عـنَّـا واعْـفُ عـنَّـا * وأَجِـــــرْنَـا أَجْمَـعِـيـنَـا
مِـن عَـذابٍ في جَـحِـيـمٍ * أُرْصِـدَتْ لِـلمُـجـرِمِـيـنَـا
مِـن عُـصـاةٍ فـاسِـقِـيـنَـا * وعُـتَـــاةٍ كـافِـرِيـنَـا
ربِّ أَدخِـلْنـا جِـنـانًـا * أُزْلِـفَـتْ لِـلمُـتَّـقِـيـنَـا
إذْ يُـنـادَوْنَ ادْخُـلوهَـا * بِـسَـــــلامٍ آمِـنِـيـنَـا
وصَـلاةُ اللهِ تَـغْـشَـى * أَحمَـدَ الهـادي الأَمِـيـنَـا
وعـلى آلٍ وصَـحْـبٍ * وَجَمِـيـعِ الـتَّـابِـعِـيـنَـا
مـا تَـلاَ تَـالٍ قُـرآنًـا * جـاءَ بِـالحَـقِّ مُـبِـيـنَـا

- اِنتَهى.

﴿الفائِدةُ السَّابعةُ والعشرون﴾

في فضل قيام الليل

وكيفية ترتيب صاحب الراتب العبادات

﴿الفصل الأول﴾

في الحث على قيام الليل

قالَ الشَّيخُ الإمامُ العلاَّمَةُ عَفيفُ الدِّين، وبَرَكَةُ المُسلِمين، أبو محمَّد عبدُالله بن عبدالرَّحمٰن بن أبي بَكر بَلْحَاج بافَضل في [كِتابِ الأنوار وهدايَا الأسرَار في فَضلِ القائِمِ بِالأَسحَار]:

قالَ اللهُ تعالَى: [وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا].

وقالَ تعالَى: [كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ].

وقالَتْ عائِشَةُ رضيَ اللهُ عَنها، ﴿قالَتْ﴾ كانَ النَّبيُّ ﷺ يَقومُ مِن اللَّيْلِ حتَّى تَفَطَّرَتْ قدَمَاهُ. فقُلتُ: لِمَ تَصْنَعُ هٰذا، يا رَسولَ الله، وقَد غفَرَ اللهُ لَكَ ما تَقَدَّمَ مِن ذَنبِك ومَا تَأَخَّر. قالَ: أَفلا أَكونُ عَبدًا شَكورًا. ﴿مُتَّفق عليه﴾.

وعنِ ابنِ مَسعودٍ، رضيَ اللهُ عنهُ، قالَ: ذُكِرَ عندَ النَّبيِّ ﷺ رَجُلٌ نامَ ليلةً حتَّى أَصبَحَ ﴿قالَ﴾ ذاكَ رَجُلٌ بالَ الشَّيطانُ في أُذُنَيْهِ، أو قالَ في أُذُنِهِ. ﴿مُتَّفق عليه﴾.

وعَن أَبي هُريرَةَ، رضيَ اللهُ عنه، أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قالَ: [يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذا هُوَ نَامَ ثَلاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ عَلَى كُلِّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ،

فَإنِ اسْتَيْقَظَ وَذَكَرَ اللهَ وَصَلَّى اِنْحَلَّتْ عُقَدُهُ كُلُّهَا، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإلاَّ أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلاَنَ. ﴿مُتَّفق عليه﴾. قافِيَةُ الرَّأسِ آخِرُه.

وعَن عبدِالله بنِ سَلَام، رضيَ اللهُ عَنه، أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: [أَيُّهَا النَّاسُ! أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الأَرْحَام، وَقُومُوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيام، تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِسَلَام]. رواهُ التِّرمِذي، وقالَ حَديثٌ حسَنٌ صَحِيح.

وعَن أبي هُريرَةَ، رضيَ اللهُ عَنه، قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: [أَفْضَلُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الفَرِيضَةِ صَلاَةُ اللَّيْلِ]. رواه مُسلم.

وعَن جابِرٍ، رضيَ اللهُ عَنه، قالَ: سَمِعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يَقولُ: [إنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً لاَيُوافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ إلاَّ أَعْطَاهُ إيَّاهُ وَذٰلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ]. رواه مُسلم.

وعَن أبي هُريرَةَ، رضيَ اللهُ عَنه، قالَ: قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: [رَحِمَ اللهُ رَجُلاً قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ، فَإنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا المَاءَ. وَرَحِمَ اللهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَصَلَّى، فَإنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ المَاءَ]. رواهُ أبو داودَ بإسْنادٍ صَحيح.

وعَنه عَن أبي سَعيدٍ، رضيَ اللهُ عَنهما، قالاَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: [إذَا أَيْقَظَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ فَصَلَّيَا، أَوْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ جَمِيعًا، كُتِبَا فِي الذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ]. رَواهُ أبو داودَ بإسْنادٍ صَحيح.

وعَن عبدِالله بنِ عُمَر، رضيَ اللهُ عَنه، عَن النَّبيِّ ﷺ قالَ: [إنَّ فِي الجَنَّةِ غُرْفَةً يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا. فَقَالَ أَبُو مَالِكٍ الأَشْعَرِيُّ، رَضيَ اللهُ عَنْهُ: لِمَنْ هِيَ، يَارَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: لِمَنْ أَطَابَ الكَلَام، وَأَطْعَمَ الطَّعَام، وَبَاتَ قَائِمًا وَالنَّاسُ نِيَام]. رَواهُ الطَّبَراني في [الكبير] بإسْنادٍ حَسَن.

وعَن أَسْماءَ بنتِ يَزيدَ، رضيَ اللهُ عَنها، عَن النَّبيِّ ﷺ قالَ: [يُحْشَرُ النَّاسُ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: أَيْنَ الَّذِينَ كَانَتْ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ ؟ فَيَقُومُونَ وَهُمْ قَلِيلٌ، فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيرِ حِسَابٍ]. رواهُ البَيْهَقِي.

وعَن أبي أُمامَةَ الباهِلِي، رضيَ اللهُ عنه، عَن رسولِ اللهِ ﷺ قالَ: [عَلَيْكُم بِقِيَامِ اللَّيْلِ، فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَقُرْبَةٌ لَكُم إِلَى رَبِّكُمْ، وَمَكْفَرَةٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَنْهَاةٌ عَنِ الإِثْمِ]. رواهُ التِّرمِذِي.

وعَن ابنِ عبَّاسٍ، رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: أَمَرَ رسولُ اللهِ ﷺ بِصلاَةِ اللَّيلِ ولَوْ ركعَة. رَواهُ الطَّبَراني في [الكبير والأوسط].

وعَن سَهلِ بنِ سَعدٍ، رضيَ اللهُ عَنه، قالَ: جاءَ جِبريلُ إلى النبيِّ ﷺ، فقالَ: يا مُحمَّدُ! عِشْ مَا شِئْتَ فإنَّكَ مَيّتٌ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فإنَّكَ مجْزِيٌّ عليه، وَأَحْبِبْ ما شِئْتَ فإنَّكَ مُفارِقُه. وَاعْلَمْ أنَّ شَرَفَ المُؤْمنِ قِيامُ اللَّيل، وعِزَّهُ اسْتِغْناؤُهُ عن النَّاس. رواهُ الطَّبَراني في [الأَوسط] وإسناده حسن.

وعَن عُمَر بن عَبْسةَ، رضيَ اللهُ عَنه، أَنَّه سمِعَ النبيَّ ﷺ قالَ: [أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ العَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ]. رواهُ التِرمِذي.

وعَن عبدِالله بنِ مَسعودٍ، رضيَ اللهُ عَنهُما، قالَ: قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: [مَا خُيِّبَ امْرُؤٌ قَامَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ فَافْتَتَحَ سُورَةَ البَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ]. رواهُ الطَّبَراني في [الأوسط] وفي إسْنادِهِ نَضَّة.

وعَن ابنِ مَسعودٍ، رضيَ اللهُ عَنه، عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: [عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ رَجُلَيْنِ: رَجُلٍ ثَارَ عَنْ وِطَائِهِ وَلِحَافِهِ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ وَحِبِّهِ إِلَى صَلَاتِهِ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْمَلَائِكَةِ: أُنْظُرُوا إِلَى عَبْدِي ثَارَ عَنْ فِرَاشِهِ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ وَحِبِّهِ إِلَى صَلَاتِهِ رَغْبَةً فِيمَا

عِنْدِي وشَغَفًا بِمَا عِنْدِي. وَرَجُلٍ غَزَا فِي سَبِيلِ اللهِ وَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ فَعَلِمَ مَا عَلَيْهِ فِي الإِنْهِزَامِ وَمَا لَهُ فِي الرُّجُوعِ حَتَّى يُهْرِيقَ دَمَهُ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْمَلائِكَةِ: أُنْظُرُوا إِلَى عَبْدِي رَجَعَ رَجَاءً فِيمَا عِنْدِي وشَغَفًا بِمَا عِنْدِي فَرَجَعَ حَتَّى يُهْرِيقَ دَمَهُ]. رواهُ أحمدُ عن ابنِ حِبَّان في صَحيحِه.

وذكَرَ ابنُ خَليل في كِتابِهِ [تُحفة المُتعَبِّد] أنَّه قيلَ في تَفسيرِ قَولِهِ تعالَى «تُؤْتِي المُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ المُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ» هُو قِيامُ اللَّيل. مَن طُرِدَ عَن البَاب، وحُرِمَ لَذيذَ الخِطَاب، فبالَ الشَّيطَانُ في أُذُنِه فأَصْبحَ خَبيثَ النَّفسِ كَسْلَان.

﴿الفصلُ الثَّاني﴾

في التَّحذِيرِ عن نَومِ الإنسانِ إلى الصَّباحِ، وتَرْكِ قِيامِ شيءٍ مِن اللَّيلِ

فيهِ حَديثُ ابنِ مَسعودٍ، رضيَ اللهُ عَنه، المُتقَدِّمُ في الرَّجُلِ الَّذي نامَ ليلَةً حتَّى أَصبَحَ، وقالَ فيه «ذٰلِك رجُلٌ بالَ الشَّيطانُ في أُذُنَيْهِ، أَو قالَ في أُذُنِه». قالَ الحَسَنُ: إِنَّ بَولَهُ واللهِ لَثَقِيل.

روَى الطَّبَرانيُّ في [الأوسط] حَديثَ ابنِ مَسعودٍ، رضيَ اللهُ عَنه، ولَفظُهُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: [إذَا أَرَادَ العَبْدُ الصَّلاةَ مِنَ اللَّيْلِ أَتَـاهُ مَلَكٌ، فَقَالَ لَـهُ: قُمْ فَقَدْ أَصْبَحْتَ، فَصَلِّ وَاذْكُرْ رَبَّكَ! فَيَأْتِيهِ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ «عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ وَسَوْفَ تَقُومُ». فَإِنْ قَامَ وَصَلَّى أَصْبَحَ نَشِيطًا، خَفِيفَ الجِسْمِ، قَرِيرَ العَيْنِ. وَإِنْ هُوَ أَطَاعَ الشَّيْطَانَ حَتَّى أَصْبَحَ، بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ].

ورَوَى جابِرُ بنُ عبدِالله، رضيَ اللهُ عَنهُما، قالَ. قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: قَالَتْ أُمُّ سُلَيْمَان بن دَاوُد، عليهِما الصَّلاةُ والسَّلام لِسُليمان: يابُنَيَّ! لاتُكثِرِ النَّومَ بِاللَّيلِ، فإِنَّ كَثرَةَ النَّومِ بِاللَّيلِ تَترُكُ الرَّجلَ فَقيرًا يومَ القِيامَة. رواهُ ابنُ ماجَة.

وعَن أبي هُريرَةَ، رضيَ اللهُ عَنه، قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: [إنَّ اللهَ يُبْغِضُ كُلَّ جَعْضَرِيٍّ جَوَّاضٍ صَخَّابٍ في الأَسْوَاقِ، جِيفَةٍ بِاللَّيْلِ، حِمَارٍ بِالنَّهَارِ، عَالِمٍ بِأَمْرِ الدُّنْيَا، جَاهِلٍ بِأَمْرِ الآخِرَةِ]. رواهُ ابنُ حِبَّان في صَحيحِه والأَصْبهانيُّ. قالَ أهلُ اللُّغةِ «الجَعْضَرِيُّ» الشَّديدُ الغليظ، و«الجَوَّاض» الأَكُول، و«الصَّخَّاب» الصَّيَّاح. قال صاحِبُ التُّحفَة: اِحْذرُوا أيُّها الإخوانُ مِن التَّكاسُلِ وَترْكِ قِيامِ اللَّيلِ تهاوُنًا وفُتورًا في العزيمَةِ. فمَن حُرِمَ بَركَةَ قِيامِ اللَّيلِ فَلْيَبْكِ علَى نَفسِه وَلْيُبْكَ عليْه، فقَدِ انْقطَعَ في الطَّرِيقِ، وسُدَّ علَيه كثيرٌ مِن أَبوابِ الخَيرِ، ويُخْشَى علَيه أنْ يُحرَمَ الخَيرَ كُلَّه. نعوذُ باللهِ مِن الحِرمَانِ والخُسرَان.

﴿الفصلُ الثالِث﴾

في كيفيَّة قيامِ اللَّيل وتلاوته وذكره

عَن عبدِالله بن عَمرِو بنِ العاصِ، رضيَ اللهُ عنهُما، قالَ؛ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: [مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ القَانِتِينَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ المُقَنْطِرِينَ]. رواهُ أبو داودَ وابنُ خُزَيْمَةَ في صَحيحِه. قالَ المُنذِري: مِن سُورَةِ «تَبارَكَ الَّذي بِيَدِهِ المُلْك» . . . . . إلى آخرِ القُرآنِ أَلفُ آيَة، واللهُ أَعلم.

وعَن أبي هُريرَةَ، رضيَ اللهُ عَنه، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: [القِنْطَارُ اِثْنَا عَشَرَ أَلْفِ أُوقِيَّة، الأُوقِيَّةُ خَيْرٌ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ]. رواهُ ابنُ حِبَّان في صَحيحِه.

وعَن أبي أُمامَةَ، رضيَ اللهُ عنهُ، قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: [مَنْ قَرَأَ عَشْرَ آيَاتٍ في لَيْلَةٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الغَافِلِينَ. وَمَنْ قَرَأَ مِائَةَ آيَةٍ كُتِبَ لَهُ قُنُوتُ لَيْلَةٍ. وَمَنْ قَرَأَ مِائَتَيْ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ القَانِتِينَ. وَمَنْ قَرَأَ أَرْبَعَمِائَةِ آيَةً كُتِبَ مِنَ العَابِدِينَ. وَمَنْ قَرَأَ خَمْسَمِائَةِ آيَةً كُتِبَ مِنَ الحَافِظِينَ. وَمَنْ قَرَأَ سِتَّمِائَةِ آيَةً كُتِبَ مِنَ الخَاشِعِينَ. وَمَنْ قَرَأَ ثَمَانَمِائَةِ آيَةً كُتِبَ مِنَ المُحْسِنِينَ. وَمَنْ قَرَأَ أَلْفَ آيَةً أَصْبَحَ لَهُ قِنْطَارٌ، وَالْقِنْطَارُ أَلْفٌ وَمِائَةُ أُوقِيَّةٍ، الأُوقِيَّةُ خَيْرٌ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، أَوْ قَالَ خَيْرٌ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ. وَمَنْ قَرَأَ أَلْفَي آيَةٍ كَانَ مِنَ

المُوجِبِينَ]. رواهُ الطَّبَراني. المُوجِب الَّذِي أَتَى بِفِعْلٍ يُوجِبُ له الجَنَّةَ، ويُطلَقُ أيضًا على مَن أَتى بِفعلٍ يُوجِبُ له النَّار.

وعَن أبي هُريرَةَ، رضيَ اللهُ عَنه، عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: [مَنْ حَافَظَ عَلَى هٰؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ المَكْتُوبَاتِ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الغَافِلِينَ]. رواهُ ابنُ خُزيمَةَ في صَحيحِهِ. وفي رِوايَةٍ: [مَنْ صَلَّى فِي لَيْلَةٍ بِمائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ القَانِتِينَ المُخْلِصِينَ]. قالَ الحاكِمُ صَحيحٌ علَى شَرطِ مُسلِمٍ.

﴿قالَ﴾ في [تُحفة المُتعبِّد]: اِعلَمْ أنَّ الأَحسنَ والأَنفعَ أنْ يَقومَ المُتَهجِّدُ قدرَ نَشاطِهِ. فإذا فَتَرَ رَقَدَ. وأنْ يُعوِّدَ نفسَهُ المُلازَمَةَ بِالتَّدريجِ كَركْعتَيْنِ أوَّلاً، فهِي خيرٌ مِن الدُّنيا، ومَن لَمْ يُدرِكِ الخيرَ كُلَّه، فلاَ يَترُكْهُ كُلَّه، والقَليلُ يَجُرُّ إلى الكَثيرِ. قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: [صَلُّوا مِنَ اللَّيْلِ وَلَوْ أَرْبَعًا! صَلُّوا وَلَوْ رَكْعَتَيْنِ!] وقالَتْ عائِشَةُ، رَضِيَ اللهُ عنها: لاتَدَعْ قِيامَ اللَّيلِ، فإنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كانَ إذَا مَرِضَ أو كَسِلَ صلَّى قاعِدًا!

فعَوِّدْ نفسَك مايُمكِنُها الدَّوامُ علَيه، فقَد يَطولُ بِكَ عُمرُكَ فتَضْعُفُ عن الكَثيرِ، فَدَرِّجْ نفسَكَ فِي التَّهَجُّدِ حتَّى تَبلُغَ إحدَى عَشرَةَ ركعَةً، فَدُمْ علَيها ولا تَزِدْ. وفي القِراءَةِ إلى أَنْ تَخْتِمَ القُرآنَ في سَبْعٍ. والْزَمْ مِن الصِّيامِ ثلاثَةَ أَيَّامٍ، فهُو صِيامُ الدَّهرِ. أُولٰئِك كلُّه مِن وَصيَّةِ النَّبيِّ ﷺ لِعَبدِالله بن عمرٍو بن العاصِ، رضيَ اللهُ عَنه.

وفي الحَديثِ الصَّحيحِ: [أَحَبُّ الأَعْمَالِ إلَى اللهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ]. وفيهِ: [خُذُوا مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللهَ لاَيَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا]. وعَن عائِشَةَ، رضِيَ اللهُ عنها، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: [إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ. فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ لَعَلَّهُ يَذْهَبُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ فَيَسُبَّ نَفْسَهُ]. وكلُّ هٰذا شَفقَةٌ مِن النبيِّ ﷺ وتَعْليم.

وإذا فاتَكَ شيءٌ مِن صَلاةِ اللَّيلِ فاقْضِهِ. وكذَا الضُّحَى وغيرُها مِن السُّنَنِ الَّتي تُقْضَى لِتَعْتادَ النَّفسُ المُلازَمَةَ والحِرصَ على الخَيْر.

وعَن عُمَرَ بنِ الخطَّابِ، رضِيَ اللهُ عَنه، قالَ. قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: [مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ مِنَ اللَّيْلِ أَوْ قِرَاءَةِ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ مَا بَيْنَ صَلاَةِ الفَجْرِ وَصَلاَةِ الظُّهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ]. رواهُ مُسلِم.

﴿الفصلُ الرابع﴾

في وقت التَّهجُّدِ من اللَّيل

وورَد عَن السَّلَفِ أَنَّه قالَ بعضُهم، مَنِ اخْتارَ لِورْدِهِ أوَّلَ اللَّيلِ، يُوتِرُ قبلَ أنْ ينامَ، وقالَ بَعضُهُمْ آخِرَ اللَّيلِ لِفَضلِ السَّحَرِ، وفيهِ أَحاديثُ.

قالَ رسولُ اللهِ ﷺ لِعَليٍّ، كرَّمَ اللهُ وجهَه: فإنِ اسْتطَعْتَ أنْ تَقومَ مِن ثُلُثِ اللَّيلِ الآخِرِ فإنَّها ساعَةٌ مَشهُودَة، والدُّعاءُ فيها مُستَجابٌ.

وفي الحديثِ الصَّحيحِ، قالَ النبيُّ ﷺ: [يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبارَكَ وَتَعالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَماءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ. مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ. مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ]. وفي رِوايَةٍ: [ثُمَّ يَبْسُطُ يَدَيْهِ يَقُولُ: مَنْ يُقْرِضُ غَيْرَ مَعْدُومٍ وَلاَ مَظْلُومٍ حَتَّى يَنْفَجِرَ الفَجْرُ].

والمُرادُ بهذا النُّزولِ نُزولٌ بِلا انْتِقال ولاَ زَوال، كَما قالَهُ البَيْهَقي، وأَرادَ نُزولَ مَلَكٍ مِن مَلائِكَتِهِ. وقولُه «ثُمَّ يَبْسُطُ يَدَيْهِ» كِنايَةٌ عن سَعَةِ جُودِهِ وفَضلِهِ وإفاضَةِ رَحمتِهِ على المُتهَجِّدِين والمُسْتَيْقِظِين في السَّحَر. ومِنهُم مَنِ اخْتارَ ما هُو الأَوْفَقُ لِحالَتِهِ فَليلَةٌ كذَا ولَيلَةٌ كذَا، فلِكُلٍّ ما يُناسِبُه. ﴿قالَ﴾ في [تُحفة المتَعبِّد]: وهذا حَسَنٌ مُوافِقٌ لِلسُّنَّةِ، وكلٌّ قد ورَدَ مِن فِعلِهِ ﷺ وفِعلِ الصَّحابَةِ، رضِيَ اللهُ عنهم.

﴿الفصلُ الخامس﴾

مايعين على قيام اللَّيل

ومِمَّا يُعينُ علَى قِيامِ اللَّيلِ إحْياءُ ما بَيْنَ العِشائَيْنِ بِصَلاةٍ أَو تِلاوَةٍ أَو ذِكرٍ.

ومِنها أنْ لَا يَتحدَّثَ بعدَ العِشاءِ في شيَءٍ مِن أُمورِ الدُّنيَا إلَّا لِضَرورَةٍ، كَحَديث ضَيْفٍ، أو زَوجَةٍ، مِن غَيرِ إفْراطٍ، ومعَ ذٰلك فَالنَّومُ مِن أوَّلِ اللَّيلِ أفضَلُ لِئَلَّا يَغلِبَهُ النَّومُ وقتَ السَّحَر، وقَد يَفوتُهُ التَّهجُّدُ بِذٰلك.

ومِنها، وهُو أَعظَمُ ما يُستَعانُ بِه، تَخفِيفُ العَشَاءِ، وشُربِ المائِعَاتِ، وأَكلِ الرُّطوباتِ. فإنْ أَكلَ وَامتَلأَ ثَقُلَ على المَعِدَةِ، فلاَ يَنَمْ عَقِبَهُ فيَثْقُلَ على القَلبِ أَكثَرَ، ويَقْسُوَ بِهِ قَلبُهُ، ولٰكِن يُبادِرُ بِالذِّكرِ والتِّلاوَةِ والصَّلاةِ.

ومِنها، وهُو عَظيمٌ جِدًّا، تَركُ الكَلامِ في الفُضولِ وما لايَعْنِي، فَضْلاً عنِ اللَّغوِ في الباطِلِ. فالأَوَّلُ يُورِثُ القَسوَةَ والبُعدَ مِن الله.

ومِنها أنْ لايُحَمِّلَ نفسَهُ بِالنَّهارِ مِن الأَشْغالِ والمَشَقَّةِ مايُتعِبُ البدنَ.

ومِنها نَومُ القَيلُولَةِ، وَلْيَحذَرْ مِمَّا هُو خُرقٌ وحُمقٌ كَالنَّومِ بعدَ الصُّبحِ، وقبلَ الطُّلوعِ فإنَّهُ يَمنَعُ الرِّزقَ. وبعدَ العَصرِ فإنَّه يُورِثُ الجُنونَ.

ومِنها، وهُو أَعظَمُ ما يُستَعانُ بِه أيضًا، اِهْتِمامُ القَلبِ بِالتَّهَجُّدِ وعَزْمُه علَيْه، فكُلُّ مَن أَهَمَّهُ شيءٌ اِجْتَهَدَ في تَحْصِيلِهِ. وَلْيَعتَنِ الواقِفُ علَى هٰذهِ الفائِدَةِ بِالعملِ بِما فيها، وتَعْليمِها أهلَهُ وأَولادَهُ وأَصْحابَهُ. فمَن دَلَّ على خَيرٍ فلَهُ مِثلُ أَجرِ فاعِلِهِ، كَما رواهُ مُسلِمٌ، واللهُ أَعْلَم.

اِنتَهَى الكلامُ مِن كتابِ [الأنوار] لِلشَّيخِ الفَقيهِ عبدِالله بن عبدالرحمٰن بَلْحَاج بافَضل، مُصَنِّفِ المُخْتصَرَيْن، رحِمَه اللهُ رَحمَةَ الأَبرار، وأَسْكَنَهُ بُحبوحَة دارِ القَرار، آمين، ونفَعَنا والمُسلِمين بِعُلومِهِ، إنَّه مُتَفَضِّلٌ غفَّار.

وَلْنَختِمِ الكِتابَ وهٰذهِ الفَوائِدَ بِذِكْرِ بعضِ تَرتيبِ سيِّدِنا القُطبِ الغَوث عبدِالله بن علوي الحدَّاد، لِيَتِمَّ بذٰلك تَمامَ الفائِدَة وكَمالَها لِمَن اقْتدَى بِهِ. وسنُبَيِّنُ ذلك، فنقولُ:

﴿خاتِمَةُ الكِتاب﴾

نَسألُ اللهَ حُسنَ الخاتِمَةِ لَنا ولِوالدِينا ولأَوْلادِنا ولِمَشائِخنا ولِمُعلِّمِينـا ومُحِبِّينا مِن المُسلِمين، ومَن كَتَبَ الكِتابَ وَاسْتَكْتَبَهُ أَو قَرَأَهُ أَو سَمِعَهُ أَو عَمِلَ بما فِيه، إنَّه جَوادٌ كَريمٌ.

قالَ سيِّدُنا العارِفُ باللهِ تعالَى، العَلَّامَةُ الحبيب محمَّد بن زين بن سُميط باعلَوِي في كتابِه [بَهجة الفُؤاد مُختصَر غايَة القَصد والمُراد] في مَناقِبِ القُطبِ الغَوث عبدالله بن علوي الحدَّاد: وُلِدَ سيِّدُنا عبدُالله ليلَةَ الإثنَيْن، لِخَمْسٍ خلَتْ مِن شَهرِ صفَرِ الخَير سنة ١٠٤٤ (أربَعٍ وأَربعين وألفٍ) مِن الهِجرَةِ النَّبويَّـةِ، علَى صـاحِبِها أفضَـلُ الصَّلاةِ والتَّحِيَّة. أَرَّخَهُ بعضُ فُضلَاء السَّادَة علَى حِسابِ الجُمَّلِ بِقولِهِ «الشَّمْسُ قَدْ طَلَعَتْ».

وحدَّثَني بعضُ المُنَوَّرين عن أَبيه، وكانَ مِن الصَّالِحين، قالَ: كُنتُ أَرْحَلُ مَعَ الشَّيخِ الصَّالِحِ المُكاشَفِ عبدِالقادر بن الشَّيخِ العارِف محمد باشراحيل، صاحبِ الغُرَيْب، إلى تَريم لِزِيارَةِ مَن بِها مِن الصَّالحِين، فيَأتي بِي إلى الصِّبْيانِ، وهُم يَلعبون، وعِندَهم سيِّدِي عبدُالله الحدَّاد، فيَقولُ لي: أُنْظُرْ إلى هٰذا الصَّبِيِّ فإنَّه سيَكون له شَأنٌ عَظيمٌ. وعاشَ عبدالقادر إلى نحوِ سنةِ ١٠٧٠ (سبعين وألفٍ)، وتُوُفِّيَ وسيِّدِي سِنُّه عِشرون سنَة، وكانَ في هذهِ المُدَّةِ يَستَشِيرُهُ في بعضِ أُمورِهِ، ويُحِيلُ علَيه حتَّى إنَّه آخِرَ عُمرِهِ كَتَبَ لِسيِّدِي يُخبِرُهُ أنَّه عازِمٌ علَى السَّفرِ إلى الحَجِّ، فأَجابَهُ سيِّدِي: ليسَ سفَرُك هذا إلى الحَجِّ، إنَّما هُو إلى البَرزَخ، فالوَصِيَّةُ مِنَّا إليكَ أنْ تُسَلِّمَ علَى رسولِ اللهِ ﷺ، وعلى والدِكَ. فلمَّا وصَلَ إليهِ الكِتابُ أَخْفاهُ، وتُوُفِّيَ بعدَ ذلك بِقليلٍ. وكُفَّ بصَرُ سيِّدِنا عبدالله الحدَّاد، وهُو ابنُ ثلاثِ سِنينَ، فعَوَّضَه اللهُ نورَ البَصيرَةِ.

ورأَيْتُ بِخَطِّ بعضِ الصَّالِحِين أنَّ بعضَ المُنَوَّرِين رأَى بعدَ موتِ سيِّدِي عبدالله كأَنَّ قائِلًا يَقولُ: إنَّ اللهَ تعالَى بِفَضلِهِ بَلَّغَ سيِّدِي عبدالله الحدَّاد مَقامَ الشَّيخ عبدالقادر الجَيْلاني، وزادَهُ بِسبَبِ كَفِّ بصَرِهِ. وزارَ سيِّدُنا قبرَ النَّبيِّ هُود، علَى نبيِّنا وعلَيهِ أفضَلُ الصَّلاةِ والسَّلامِ نحوًا مِن ثَلاثِين مرَّة، كلُّها في شَهرِ شَعْبان.

وقالَ رضِيَ اللهُ عنهُ لِبَعضِ أَصْحابِهِ يُحَرِّضُهُ فِي المَجيءِ إلَيه: ظَنَنتُمْ أَنَّا حَصَّلناهُ بِالهُوَيْنَا. أَلَمْ تَعلَموا أَنَّا طُفْنَا جَمِيعَ البُلدانِ، أَي بِجِهَةِ حَضرمَوْت لِلِقاءِ الصَّالِحِين، والتَّبرُّكِ بِهِم، وكُنَّا نَطلُبُ مِن الكُلِّ، والآنَ الكُلُّ يَطلُبُ مِنَّا. وزارَ سيِّدُنا وَادِيَ دُوعَن وحُرَيضَه ثلاثَ مرَّاتٍ.

وكانَ سفَرُهُ إلى الحَجِّ سنةَ ١٠٧٩، وبعدَ انْقِضاءِ الحَجِّ وأَداءِ المَناسِكِ بِأَجْمَعِها، سافَرَ لِزيارَةِ جدِّهِ ﷺ. وقالَ سيِّدِي عبدُالله: لَمَّا أَرَدنا الخُروجَ مِن المَدينَةِ آتاني آتٍ في المَنامِ، وقالَ: إنَّ جدَّكَ المُصطَفَى يُقرِئُكَ السَّلامَ ويَقولُ: لاتَخرُجْ مِن المَدينَةِ بعدُ. ﴿قالَ﴾ فأَصْبحَ الشَّيخ حُسين بافضل مَريضًا. ﴿قلتُ﴾ وحصَلَ ماحصَلَ مِن الكَرامَةِ لِسيِّدِي معَهُ، وذٰلِك أنَّهُ أَدْنَفَ وأَشْرَفَ علَى الهَلاكِ، فوَهَبَ له سيِّدِي شيئًا مِن عُمُرِهِ، واسْتَوهبَ له مِن كُلِّ مَن حضَرَ عندَهُ، فجمَعَ ذٰلك وكَتَبَهُ في وَرَقَةٍ، وتوَجَّهَ بِها إلى مُواجَهَةِ القَبرِ الشَّريفِ، وتوَسَّلَ بِه إلى اللهِ تعالَى في أنْ يَقبَلَ، فانْصَرفَ مُنشَرِحًا قائِلًا: قَد قبِلَ اللهُ الشَّفاعَة. وعاشَ الشَّيخ حُسين بافضَل المَذكورُ تِلكَ المُدَّةَ، وتُوُفِّيَ بعدَها.

وبنَى سيِّدُنا بيتَهُ الَّذي فِي الحاوِي المَيمُونِ سنةَ ١٠٨٣ (ثلاثٍ وثَمانِين وأَلْفٍ)، وسكَنَهُ شِتاءً وصَيفًا سنةَ وُلِدَ ابنُهُ الحَسَن شَهرَ رجَبٍ سنةَ ١٠٨٩ (تسعٍ وثَمانِين وأَلْفٍ). بلَغَ سيِّدُنا رضِيَ اللهُ عنه مِن العُمرِ تِسعًا وثمانِين سنةً إلَّا ثلاثَةَ أَشْهُر مِن أوَّلِ سنةِ ١٠٤٢، يُجمَعُ ذٰلك بِالجُمَّلِ، أَي تاريخُ وَفاتِهِ نفَعَ اللهُ بِه «شَيخُ الصُّوفِيَّةِ تُوُفِّيَ»، رضيَ اللهُ عنهُ، لَيلَةَ سابعٍ مِن شَهرِ ذِي القَعدَةِ الحَرامِ، وتوَلَّى تَمريضَهُ وغُسلَهُ ابنُهُ الحَسَن.

قالَ ابنُهُ الحَسَن: لَمَّا قَرُبَ خُروجُ رُوحِهِ الزَّكِيَّة، رأيتُ بارِقَةً مِن نورٍ، وأَنِستُ إذ

ذاكَ بِهُبوبٍ بارِدٍ، فعندَ ذٰلك خرجَتْ رُوحُهُ الطَّاهِرةُ وحزَرَ بعضُ الفُضلاءِ مَن صلَّى على جَنازَتِهِ نحوَ عِشرين أَلفًا.

وأمَّا عِباداتُهُ، رضيَ اللهُ عنهُ، فنَذكُرُ مِنها طرَفًا يَسيرًا، لأَنَّ ذٰلك بابٌ واسِعٌ جِدًّا لايُحيطُ بهِ وَصفُ واصِفٍ، ولا يَتناوَلُهُ ضَبطُ ضابِطٍ، وهُو البَحرُ الَّذي لايُجارَى فكيفَ يَخوضُ غَمرتَهُ الخائِضُونَ، أَو يَركَبُ مَتنَ لُجَّتِهِ القاصِرُونَ.

فقَد كانَ رضِيَ اللهُ عَنه مِن المُشَمِّرينَ عَن ساقِ الجدِّ، والبالِغينَ في ذٰلك غايَةَ الجُهدِ، الباذِلينَ نِهايَةَ الوُسعِ. لم يزَلْ دائِبًا في العِبادَة، سالِكًا سبيلَ السَّعادَةِ مِن حينِ صِغَرِهِ، وهُو في جُهدٍ جَهِيد، وهَواتِفُ العِنايَةِ تُناديهِ هَل مِن مَزِيد. هٰكذا دأْبُهُ ليلًا ونَهارًا، لم يَفتُرْ عنهُ عشِيَّةً وإبكارًا، وما زالَتْ مَطايا عَزمِهِ تجِدُّ بهِ السَّير، ولا تَوانَتْ بهِ في القَليلِ ولا في الكَثِير.

قالَ السيِّد الجَليل محمَّد بن أَبي بَكر الشِّلِّي في وَصفِهِ نفَعَ اللهُ بهِ: لازَمَ الجِدَّ والاِجْتهادَ في العِباداتِ وأَنْواعِ القُرُباتِ، وأَضافَ إلى العِلمِ العمَل، وشبَّ في ذٰلك واكْتَهَل، وواظَبَ على ذٰلك سِرًّا وجَهرًا، وأَخذَ مِن ذٰلك ما هُو أَوْلى وأَحْرَى، حتَّى نالَ ما نَال، مِمَّا لم يخطُرْ لأَحدٍ على بَال، وتلاَ لِسانُ حالِهِ القَويم، ذٰلك فَضلُ اللهِ يُؤتِيهِ مَن يَشاءُ واللهُ ذُو الفَضلِ العَظِيم.

وعَن سيِّدِي رضيَ اللهُ عنهُ، أنَّه قالَ: كنتُ مِن حينِ الصِّغَر، وأَنا في الجِدِّ والاِجْتِهاد، وسُلوكِ سَبيلِ الرَّشَاد، والدُّؤُوبِ في العِبادَة ولُزومِ المُجاهَدَة. وكانَ بعضُ أَهلي يَنهاني عَن كَثرَةِ ذٰلك على سَبيلِ الشَّفَقَة. وكنتُ رُبَّما تركتُ بعضَ المُجاهداتِ في بدايَتي مُراعاةً لأَبَوَيَّ لإشْفاقِهِما عليَّ. وكانَ يَقولُ: كنتُ إذا خَرجْتُ مِن المَكتبِ أَتعلَّمُ القُرآن، أَمْضي إلى بعضِ المَساجِدِ، أَتنفَّلُ فيه كثيرًا. وقَد أُصَلِّي مِائَةَ ركعَةً، وقَد أُصلِّي مِائَتَيْن - هٰذا في أَوانِ الصِّغَر.

﴿قالَ﴾ وكُنَّا مِن حِينِ الاِبْتِداءِ نَسيرُ في البِلادِ لِلِقاءِ الصَّالِحين وزِيارَةِ الأَمْواتِ

مِنهم. وكُنَّا نَزورُ شِعبَ بَني مُخدَّم المَقبورِ فيه الإمامَانِ أحمد بن عيسى، وأحمد بن محمَّد الحَبَشي، نفَعَ اللهُ بِهِمْ. ﴿قالَ﴾ ورُبَّما كانَتِ الزِّيارةُ على الأَقْدامِ ونحنُ أيضًا صِيامٌ، نحنُ والشَّيخ الصَّالِح أبو بكر بن الفَقيه محمد باجُبَير. وحدَّثَ باجُبَير المَذكورُ أنَّهُ في بعضِ الزِّياراتِ لِلشِّعبِ المَذكورِ إذا كانَ مِن اللَّيلِ يَمتُ، ويَقومُ سيِّدِي ويَنزِعُ الماءَ مِن البِئر، ويَطرَحُ في مَياضي الشَّيخ أحمد الحَبَشي وأنا أُحِسُّ بِه.

وكانَ نفَعَ اللهُ بِه أَوانَ البِدايَةِ يَدورُ كلَّ ليلةٍ على مَساجِدِ تَريم لِلتَّعَبُّدِ بها، وتَتَبُّعِ مَآثِرِ أَسْلافِهِ الطَّاهِرين. وكانَ يَقولُ: كنَّا نَتَفقَّدُ مَساجِدَ تَريم لِلتبرُّكِ بها حتَّى أنَّ بعضَ مَساجِدِها كانَ مُطَيَّنًا مَهجُورًا، فتَسَوَّرناهُ من أَعلاه. وكانَ في الاِبْتداءِ يَزورُ تُربَةَ تَريم كلَّ لَيلةٍ.

وكانَ جارٌ لِمَسجِدِ الهُجَيرَة الَّذي كانَ يُصلِّي فيه قالَ: كنتُ أَرْقُبُهُ كلَّ ليلَةٍ، يَخرُجُ إلى المَسجدِ إذا نامَ النَّاسُ، فتَبِعتُهُ في بعضِ اللَّيالي حتَّى وصلَ إلى تُربَةِ آلِ أبي علَوِي، وزارَهُم حتَّى خرَجَ، وأَنا مِنه بعيدٌ لايُحِسُّ بي في ظَنِّي، فاخْترَقَ البِلادَ كلَّها طُولاً حتَّى وصلَ إلى قَريبٍ مِن ضَريحِ مَولَى الرَّاكةِ المَعروفِ بها، كأنَّه يُريدُ زِيارتَهُ أَو زِيارةَ أَهلِ بَريح، تُربَةٍ قديمةٍ هُناك مَأثورَةٍ بِسَفحِ الجَبَلِ، حِذاءَ مكانِ سيِّدِي الحاوِي مِن جِهةِ الشَّمال، ﴿قالَ﴾ وهُو لم يَشعُرْ بي، فَالْتفَتَ إليَّ قائِلاً: يافُلان (بِاسمِي) مافُضولُك؟ اِرجِع! فرَجَعتُ.

وقالَ سيِّدي أحمد: كانَ لسيِّدِي عبدالله في قِيامِ اللَّيلِ المَقامُ الأَرفَعُ، وكانَ قليلَ النَّومِ، أَو لايَنامُ أَصلاً، ويُعجِبُهُ أَهلُ الهِمَّةِ والنَّشاطِ خُصوصًا، وليسَ ذٰلك بِالعَجيبِ مِنه، فإنَّه قَد حازَ قَصَبَ السَّبقِ في جميعِ مَقاماتِ الدِّينِ، ولَمْ يُرَ ولَمْ يُسمَعْ مثلُ حالِهِ ومَقامِهِ، فإنَّه نفَعَ اللهُ بِهِ على القَدَمِ المُحمَّدِيِّ في جميعِ عِباداتِهِ وعاداتِهِ، ولَه الوارِثَةُ الكامِلةُ مِن جدِّهِ المُصطَفَى ﷺ.

وأَخْبرَني بعضُ الثِّقاتِ مِن السَّادةِ آلِ أَبي علَوِي. ﴿قالَ﴾ جِئْنا مرَّةً لِزِيارَتِهِ،

ووَصَلْنا قبلَ مُضيِ نِصفِ اللَّيـلِ. فلمَّا اجْتَمعنا بِـه صَباحًـا، قالَ: إنّي أَحْسَستُ بَمجيئِكُم، لأَنَّ ذٰلك الوقتَ لا أَنامُ فيه أَصلاً.

وأَخْبرَني بعضُ الإِخْوانِ أَنَّ بعضَ الصَّالِحِين مِن أَصحابِ سيِّدِي قالَ: كنتُ معه سنَةً مِن السِّنينَ في زِيارَتِهِ لِنَبيِّ اللهِ هُود، عليه السَّلام، فلَدَغَني عَقرَبٌ ذاتَ ليلةٍ، فأَرِقْتُ طولَ اللَّيلِ فلَم أَرَهُ نامَ قطُّ، فسَأَلْتُهُ عن ذٰلك، فقالَ لي علَى هٰذا الحالِ نحوُ ثلاثِين سنَةً، وعاشَ بعدَ ذٰلك عِشرينَ سنةً.

وحدَّثَ السيِّد الصَّالح شيخ بن حسن الجُـفريُّ باعَلَوي، قالَ: لَمَّا تزَوَّجَ سيِّدِي عبدالله بِأُختي، كانَ في بيتِنا، فكُنتُ أَرْقُبُهُ بِاللَّيلِ، فلَم أَرَهُ إلاَّ مُستَيقِظًا. وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يَقولُ: أَنا في حينِ الاِبْتداءِ قَد قَلَّلْنا الغِذاءَ بحيثُ إنَّا نَزِنُ القُوتَ بِالعُودِ الأَخْضرِ لِينقُصَ قليلاً قليلاً. وبَقِيَ نفَعَ اللهُ به إلى أنْ تُوُفِّيَ وهُو لا يَأكُلُ إلاَّ العُلْقَةَ مِن الطَّعامِ قَدرَ ما يُقِيمُ بِنيَتَهُ. وكانَ يَقولُ: إنّي مُنذُ زمانٍ طويلٍ قَد رُفِعَتْ شَهوَةُ الطَّعامِ عنّي، وما كُنتُ آكُلُ إلاَّ بِحسَبِ المُوافقَةِ.

وكانَ يَقولُ: ما تَركْنا الاِغْتِسالَ يومَ الجُمعةِ، لا في حَضرٍ ولا سَفرٍ. وسَمِعتُ أَنَّه كانَ قديمًا يُصَلِّي الفَجرَ يومَ الجُمعةِ في الجامِعِ، ويَجلِسُ لأَجلِ حِيازَةِ فَضيلَةِ التَّبكِيرِ إليه.

وقالَ سيِّدُنا وشَيخُنا أحمد: كانَ شيخُنا عبدالله نفَعَ اللهُ به في المُجاهدَةِ والعِبادَةِ مُقَدَّمَ فُرسانِها، وبَهلَوانَ أَقْرانِها، لم يُعرَفْ أَنَّه صلَّى صلاةً مِن الخَمسِ مُنفَرِدًا، ولا غَيْرَ أَوَّلِ الوقتِ، ولاَ اسْتَعجَلَ في صَلاتِهِ، ولا تَرَكَ قِيامَ اللَّيلِ. وكانَ مِمَّا رَأَيْتُهُ في صُحبَتِي إيَّاه في زِيارَةِ نَبيِّ اللهِ هُود، عليهِ السَّلام، يَقومُ مِن اللَّيلِ، ويُصلِّي ثلاثَ عَشرَةَ ركعةً مع كمالِ حُضورٍ، وتَمامِ فَهمٍ وخُشوعٍ، وحُسنِ اسْتِكانَةٍ وخُضوعٍ، وإدامَةِ تَضرُّعٍ واسْتِغفارٍ ورُجوعٍ، ويُطيلُ الدُّعاءَ عَقِبَ كلِّ رَكعتَيْنِ مَع سُؤالِ الرَّحمَةِ والاِسْتِعاذَةِ مِن العذابِ، كما نُقِلَ مِن صلاةِ النَّبيِّ ﷺ. ويَقومُ مِن اللَّيلِ النِّصفَ الأَخِيرَ وثُلُثَهُ، أو أَدنَى

مِن ذلك، أو أكثَر. ويَفعَلُ قَهوَةً مَليحَة. وكُنَّا نَراهُ كَثيرَ الذِّكرِ لا يَكادُ يَفتُرُ عنه في وقتٍ مِن الأَوْقاتِ، خُصوصًا سُنَّةَ «لا إلهَ إلَّا الله» يَعقِدُ مِنها في كلِّ قَليلٍ أَعدادًا مَعْدودَةً وآلافًا مُعَقَّدَة. وكانَ يُدخِلُها في خِلالِ كَلامِهِ، فرُبَّما خاطَبَ أَحدًا وأَتى بها في مُدَّةِ رَدِّ الجَوابِ مِن المُخاطَبِ بِالكَلِمَةِ والكَلِمَتين، كلُّ ذٰلك حِرصًا على الوَقتِ لِئَلَّا يَضيعَ مِنهُ شيءٌ في غَيرِ يَقظَةٍ وشَحاحَةً بِالزَّمنِ، أنْ يَمضيَ بِغيرِ طاعَةٍ.

وبِالجُملَةِ فلَم يَكُنْ له وَقتٌ ولا مَكانٌ إلَّا وقَد شَغَلَهُ بِوظِيفَةٍ مِن وَظائِفِ الخَيرِ وخَلَّةٍ مِن أعمالِ البِرِّ. وكانَ يَقولُ: إنَّا لانُظهِرُ لِلنَّاسِ مِن أَوْرادِنَا إلَّا القَليلَ، وما أَخْفيناهُ أَكثَر. ﴿قُلتُ﴾ بل أَكثَرُ أَعْمالِ البِرِّ كانَ يُخفِيهَا إلَّا ما كانَ مِنها مِن ضَرورَةِ الاِقْتِداء، ووَظائِفِ الدَّعوَةِ إلى اللهِ وإلى سَبيلِهِ، لأَنَّه رضيَ اللهُ عَنه مِن كِبارِ أَئِمَّةِ الدَّعوَةِ إلى اللهِ بالمَقالِ والأَعْمالِ والحَال. كيفَ وهُو مِن الرِّجالِ الَّذين إذا رُأُوا ذُكِرَ الله، بَل إذا ذُكِرُوا ذُكِرَ الله. شِعرًا:-

خِيارُ الوَرَى طُوبَى لِعَبدٍ رَآهُمُو * وجالَسَهُمْ ولَو مَرَّةً مِنه في العُمُرِ

﴿تَتِمَّةٌ﴾

نَذكُرُ فيها طَرَفًا مِن تَرتِيبِ عِباداتِهِ، وتَوزِيعِ أَوقاتِهِ مِن صَباحِهِ إلى مَسائِهِ، وذٰلك بِالنِّسبَةِ إلى مانُقِلَ عَنه، ورُوقِبَ فيه أَواخِرَ عُمرِه، ورُبَّما كانَ له تَرتِيبٌ وتَوزِيعٌ في أوَّلِ عُمرِهِ غَيرُ هٰذا، واللهُ أعلم.

وقَد سَأَلْتُ سيِّدِي علوي بن سيِّدِنا عبدالله في أَنْ يُقَيِّدَ شيئًا مِمَّا حَفِظَهُ عنهُ مِن ذٰلك، لأَنَّه كانَ كثيرَ المُلازَمَةِ له مِن حينِ صِغَرِه، فهُو جديرٌ بما هُنالك. فسمَحَ بِذٰلك، جَزاهُ اللهُ عنَّا وعَن سائِرِ المُسلِمينَ خيرًا.

قالَ السيِّد علوي المَذكورُ: كانَ والدِي نفَعَ اللهُ به، إذا قامَ مِن اللَّيلِ يَمسَحُ النَّومَ عَن وَجهِهِ، ويَأخُذُ في دُعاءِ الاِسْتِيقاظِ، ثمَّ يَقرَأُ «إنَّ في خَلْقِ السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ

. . . . . العَشرَ الآيات»، ثمَّ يَأخُذُ في عملِ القَهْوَةِ الَّتي اسْتعادَها بِنفسِه. كانَ ذلك دأْبَهُ حتَّى أَعْجزَهُ الكِبَرُ، فاسْتَعانَ بِغيرِه على فِعلِها. وكانَ عندَ حُضورِها يَقرَأُ الفاتحةَ ثلاثَ مرَّاتٍ: أَحدُها بِنيَّةِ صلاحِ أُمورِ المُسلِمين. والثَّانِيةُ تَرجِعُ إلى الأَمْواتِ - الأَسْلافِ مِنهُم. والثَّالِثةُ تَتضَمَّنُ سُؤالاتٍ عَديدَةً، خاصَّةً وعامَّةً، ثمَّ يَقرَأُ آيَةَ الكُرسي، ويَقولُ خُصوصًا «يا قَوِي يا قَوِي» مِائَةً وسِتَّ عَشرَةَ مرَّةً، عددُها بِالجُمَّلِ، وكانَ لا يَشرَبُها حتَّى يَفرُغَ مِن ذلك كلِّه، ثم يَتوَضَّأُ وُضوءً كامِلاً، إِسْباغًا وأَذْكارًا، حَسبَما ذَكَرَه الإمامُ الغزالي في [بِدايةِ الهدايه]، غيرَ أَنَّه أَوَّلَ شيءٍ يَقولُ إذا فَرَغَ مِن وُضوئِهِ «اَللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، وَوَسِّعْ فِي دَارِي، وَبَارِكْ لِي فِي رِزْقِي». ورُبَّما قَرأَ سُورةَ «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ . . . ».

ثمَّ يَفْتتِحُ الصَّلاةَ بِركعتَيْنِ خَفيفَتَيْنِ يَقرَأُ في أُولاهُما بعدَ الفاتِحَةِ «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا». وفي الثَّانِيةِ «وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُورًا رَحِيمًا». ثمَّ يَقولُ بعدَ كلِّ آيةٍ مِنهما «أَسْتَغْفِرُ اللهَ» ثلاثًا، و«قُلْ يَأَيُّهَا الكَافِرُون» في الأُولَى، و«قُلْ هُوَ اللهُ أَحَد» في الثَّانِيَة. فإذا سلَّمَ مِنهما، قالَ: ﴿اللَّهُمَّ﴾ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ بَهَاءُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيُّومُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَمَنْ عَلَيْهِنَّ، أَنْتَ الحَقُّ، وَمِنْكَ الحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنُّشُورُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقٌّ. ﴿اللَّهُمَّ﴾ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَسْرَفْتُ، أَنْتَ المُقَدِّمُ وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ. ﴿اللَّهُمَّ﴾ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا. ﴿اللَّهُمَّ﴾ اهْدِنِي لِأَحْسَنِ الأَعْمَالِ، لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا، لَا يَصْرِفُ سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ. أَسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ البَائِسِ المِسْكِينِ، وَأَدْعُوكَ دُعَاءَ المُفْتَقِرِ الذَّلِيلِ، فَلَا تَجْعَلْنِي بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا، وَكُنْ بِي رَءُوفًا رَحِيمًا، يَا خَيْرَ السَّائِلِينَ وَأَكْرَمَ المُعْطِينَ!

ثمُ يُكبِّرُ، ثمَّ يَحمَدُ، ثمَّ يهلِّلُ، ثمَّ يَسْتغفِرُ، ثمَّ يَقولُ «سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ»، ثمَّ «سُبْحَانَ اللهِ المَلِكِ القُدُّوس »، ثمَّ «اَللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ ضِيقِ الدُّنْيَا وَضِيقِ يَوْمِ القِيَامَةِ» عَشرًا، ثمَّ يَفْتتِحُ الوِترَ، ويُطيلُ في الأُولى جِدًّا، فالَّتي تَليها نحوُ مانُقِلَ عن النَّبيِّ ﷺ في صلاةِ اللَّيلِ. وكانَ آخِرَ وقتِه يَقرَأُ في صلاتِهِ آياتٍ مِن الكِتابِ العزيزِ مِن مَواضِعَ مُتفرِّقَةٍ حَسبَما يَظهرُ له ويَراه. وكانَ يُطيلُ دُعاءَ الافْتِتاح، ويَختِمُ قِيامَهُ بالرَّكَعاتِ الثَّلاثةِ المُعَيَّناتِ القِراءَةُ فيهِنَّ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى والكافِرُون والمُعَوِّذات. ورُبَّما فَصَلَها رَكعتَيْنِ وواحِدَة، ورُبَّما جَمَعَ الكُلَّ. وكانَ لايَترُكُ القُنوتَ في الرَّكعَةِ الأخيرَةِ مِن الوِتْرِ، ورُبَّما زادَ فيه بعدَ قَولِهِ «وَأَتُوبُ إِلَيْك». وكانَ يُؤخِّرُ الوِترَ إلى قَريبِ الفَجرِ.

وكانَ رُبَّما نامَ بعدَ قِيامِهِ، وتَوَضَّأَ ثانِيًا لِلوِتْرِ وصلاةِ الفَجرِ، وكانَ نَومُهُ خَفيفًا جِدًّا حتَّى لو كُنتَ حاضِرَهُ لَشَكَكْتَ فيه هَل هُو نَائِمٌ أَو ساكِنٌ، وكانَ بعدَ الوِترِ يقولُ «سُبْحَانَ المَلِكِ القُدُّوس» ثلاثًا «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ المَلائِكَةِ وَالرُّوحِ، جَلَّلْتَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ بِالعِزَّةِ وَالجَبَرُوتِ، وَتَعَزَّزْتَ بِالقُدْرَةِ وَقَهَرْتَ العِبَادَ بِالمَوْت. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِك، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِك، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِك». ثمَّ يَقولُ «لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِين». أَربعِين مرَّة.

ثمَّ يَركَعُ سُنَّةَ الفَجرِ مَهما طَلَعَ الفَجرُ ويَقرَأُ في الرَّكعَتَيْنِ الكافِرُون والإِخلاص والآيتَيْن: «قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمٰعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ، وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَانُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ» - و«قُلْ يَاأَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ الله، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ».

فإِذَا سلَّمَ قالَ: «اَللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ وَمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجِرْنِي مِنَ النَّار» ثلاثًا. إِلٰهِي بِحُرْمَةِ الحَسَنِ وَجَدِّهِ وَبَنِيهِ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ، نَجِّنِي مِنَ

الغَمِّ الَّذي أنَا فِيهِ. يَا حَيُّ يَا قَيُّوم، يَا ذَا الجَلَالِ وَالإكْرَام، أَسْأَلُكَ أَنْ تُحْيِيَ قَلْبِي بِنُورِ مَعْرِفَتِك، يَاالله يَاالله يَاالله، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِين. اَللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِي بِهَا قَلْبِي . . . . . إلى آخِرِ الدُّعاءِ المَشهورِ المَعروفِ بِدُعاءِ الفَجرِ. وبَعدَهُ «يَا حَيُّ يَا قَيُّوم، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» أَربعِين مرَّة.

وكانَ يَركعُ السُّنَّةَ في البيتِ ويَجلِسُ فيهِ حتَّى يُؤَذَّنَ بِالصَّلاةِ، ثُمَّ يَتَوَجَّهُ إلى المَسجِد قائِلًا: «اَللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْك، وَبِحَقِّ مَمْشَايَ هٰذا إِلَيْك، فَإِنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشَرًا وَلَا بَطَرًا، وَلَا رِيَاءً وَلَا سُمْعَةً. خَرَجْتُ اتِّقَاءَ سَخَطِك، وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِك. فَأَسْأَلُكَ أَنْ تُنْقِذَنِي مِنَ النَّار، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ».

فإذا أُقِيمَتِ الصَّلاةُ قالَ: «اَللَّهُمَّ أَقِمْهَا وَأَدِمْهَا وَاجْعَلْنِي مِنْ صَالِحِي أَهْلِهَا. رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ. رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الحِسَابُ. رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَسْوَسَةِ الصَّدْر، وشَتَاتِ الأَمْر، وَعَذَابِ القَبْر. رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِين وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ. «اَللَّهُمَّ» آتِنِي أَفْضَلَ مَا تُؤْتِي عِبَادَكَ الصَّالِحِين». ورُبَّما قرَأَ قُل أَعوذُ بِرَبِّ النَّاس.

ثُمَّ يُكبِّرُ ولَم يُسمَعْ مِنه التَّلَفُّظُ بِالنِّيَّةِ. وكانَ رُبَّما ابتدَأَ دُعاءَ الافْتِتاح بِـ«سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِك، تَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ»، ورُبَّما ختَمَ بهِ. ويَقرَأُ في السَّكتَةِ بعدَ الفاتِحَةِ فِي الرَّكعَةِ الأُولى «رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي، إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ المُسْلِمِينَ». وفي الثَّانِيَةِ «رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ». وقد اقْتَصرَ في آخِرِ وَقتِهِ عندَ الضُّعفِ بِالكِبَرِ في القِراءَةِ في الصُّبحِ على أَوساطِ المُفَصَّل، كَسَبِّح والغاشِيَة في صُبحِ يوم الجُمُعة. وكانَ يَقرَأُ مِن قبلُ أَيَّامَ القُوَّةِ والنَّشاطِ بِالسَّجدَةِ وهَل أَتى، وقَد يَقرَأُ بِالشَّمسِ وبِالضُّحَى،

وقَد يقرَأُ بـاِقْرَأْ وإِنَّا أَنْزلنَاه، وقَد يقرَأُ بـلَمْ يَكُن وَوالعادِيَات - هٰذا كلُّه في فَريضَةِ الصُّبح.

وأَمَّا فَريضةُ المَغربِ، فكانَ يقرَأُ في أُولى المَغربِ وثانِيَتِها ليلةَ الجُمُعةِ والثُّلاثَاءِ بـ «قُلْ يٰاأيُّها الكافِرون» و «قُلْ هو اللهُ أَحَد»، وفي ليلةِ السَّبتِ والأَربعاءِ المُعوِّذَتَيْن، وفي الخَميسِ والإِثنَيْنِ الماعُون والكَوْثَر، وفي ليلةِ الأَحَد الفِيل ولإِيلافِ قُرَيش، وفي ثالِثَةِ المَغربِ كلَّ لَيلةٍ «رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّاب». وفي ذٰلك أَثَر عَن أَبي بكر وعُمر، رضيَ اللهُ عنهُما، أَنَّهُما كانَا يَقرآنِهَا.

وأَمَّا فَريضَةُ العِشاءِ، فكانَ إذا قَرَأَ في الأُولى مِنها مثَلاً غالِبًا بِسُورةِ الضُّحى قرَأَ في الثَّانيةِ أَلَمْ نَشْرَح، وإذا قرَأَ أَلَمْ نَشْرَح قرَأَ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالفَتْح. ورُبَّما قرَأَ سُورةَ التِّين والقَدر، ورُبَّما قرَأَ بِالزَلْزَلَة والتَّكاثُر، وكذَا بِسُورَةِ القارِعَة وأَلْهَاكُم، وكذَا بِسُورةِ الهُمَزَة والفِيل. وكانَ يقرَأُ في ثالِثَتِهـا «أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَـا وَالآخِرَةِ تَـوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِين». وفي رابِعَتِها «رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّ ءْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا».

﴿قلتُ﴾ وأَمَّا الظُّهرُ والعصرُ، فكانَتِ القِراءَةُ فيها سِرًّا قَلَّ أَنْ يُسمَعَ مِنه غيرَ أَنَّه آخِرَ وقتِهِ عِندَما أَعْجَزه الكِبَر، رُبَّما قرَأَ في صلاةِ العصرِ أَلْهَاكُم وَالعَصر، وسَمِعتُه مرَّةً قرَأَ فيها بِسُورةِ الإِخلاص، لٰكن هٰذا كانَ عندَ العَجزِ لَمَّا ناهَزَ التِّسعِينَ سنَةً، فافْهَم ذٰلك واعْلَم، وإلاَّ فقد كانَ يُطيلُ الصَّلاةَ.

وقِيلَ له إنَّ فُلانًا مِن السَّادةِ أَهلِ العِلْم يَسأَلُ عَن صَلاتِكُم؟ قالَ: أَرادَ أَنْ يُصيبَ السُّنَّة، وحسِبْتُ أنَّه يَقولُ: مَن أَرادَ أَن يَنظُرَ إلى صلاةِ النبيِّ ﷺ فلْيَنظُر إلى صلاتِنا، رضيَ اللهُ عنه، ونفَعَنا والمُسلمين، آمِين.

وكانَ يقرَأُ في ثالِثَةِ الظُّهرِ والعصرِ «رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيم. وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ». وفي رابِعَتِها «رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّار» - فهٰذا الَّذي ذكَرْناه هُو فيما يَتعلَّقُ بِقِراءَةِ الفَرائِضِ المَكْتوبَات.

وأمَّا النَّوافِلُ المُتعَلِّقَةُ بِالفَرائِضِ وغَيرُها فَالَّذي أَدْركناه يَعْمَلُ به ويُواظِبُ عليه في سُنَّةِ الفَجرِ الصُّبحِ يُصَلِّيها في البيتِ، ويَقرَأُ فيها سُورةَ الكافِرون والإِخْلاص، أو آيتَيْنِ مِن البقرةِ وآلِ عِمران، كما سبَقَ ذِكرُه عندَ ذِكرِ تهجُّده. وكانَ يُصلِّي سُنَّةَ الظُّهرِ القَبلِيَّةَ أربعًا بِتَحرُّمٍ وتَسليمٍ واحدٍ، يقرَأُ في كلِّ رَكعَةٍ بعدَ الفاتِحةِ آيةَ الكُرسيِّ، وسُورة الإِخْلاص ثلاثًا، ومُقرأً مِن سُورةِ يٓس. وكانَ يُطِيلُها، ثمَّ بعدَ أنْ أَعْجزَهُ الكِبَرُ اقْتَصرَ فيها علَى آياتٍ مَخْصوصَة.

وأمَّا سُنَّةُ الجُمُعةِ بِالخُصوصِ، فكانَ يَقرَأُ في الأُولى مِنها آيةَ الكُرسيِّ وأوَّلَ سُورةِ الجُمُعةِ إلى قَولِهِ «فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُون». وفي الثانِيَة «آمَنَ الرَّسُولُ . . .» وآخِرَ سُورةِ الجُمُعَة. وفي الثالِثة آيةَ الكُرسيِّ وأوَّلَ سُورةِ المُنافِقين إلى قَولِهِ عزَّ وجَلَّ «وَلٰكِنَّ المُنَافِقِينَ لاَيَعْلَمُون». وفي الرَّابعةِ بَقِيَّةَ سُورةِ المُنافِقين، ثمَّ آيةَ الكُرسي وآخِرَ الحَشرِ وأوَّلَ المُدَّثِّر إلى قَولِهِ تعالَى «وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ». ويَقولُ بعدَ سُنَّةِ الجُمُعةِ والظُّهرِ القَبلِيَّةِ، وقبلَ الفَرْض «اَللَّهُمَّ إنَّك تَعْلَمُ سِرِّي وَعَلاَنِيَتِي فَاقْبَلْ مَعْذِرَتِي، وَتَعْلَمُ حَاجَتِي فَأَعْطِنِي سُؤْلِي، وَتَعْلَمُ مَا فِي نَفْسي فَاغْفِرْ لِي ذَنْبِي. اَللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيمَانًا دَائِمًا يُبَاشِرُ قَلْبِي، وَأَسْأَلُكَ يَقِينًا صَادِقًا حَتَّى أَعْلَمَ أَنَّهُ لَا يُصِيبُنِي إِلاَّ مَا كَتَبْتَهُ عَلَيَّ، وَأَرْضِنِي بِمَا قَسَمْتَهُ لِي». وذٰلكَ دُعاءُ آدَمَ علَيهِ السَّلامُ، وهُو مَعرُوفٌ ومَشهورٌ بِعَظيمِ الفَضلِ وجَزالَةِ الأَجْر. وكانَ يَدعو بِه أيضًا بعدَ سُنَّةِ العَصرِ، وسُنَّةِ العِشاءِ القَبلِيَّةِ، فَلْيُعلَم ذٰلك.

وأَمَّا بَعدِيَّةُ الظُّهرِ، فكانَ يُصلِّيها رَكعتَيْنِ يَقرَأُ فيها المُعَوِّذَتَيْنِ غالِبًا، وقَد يُصلِّيها أَربعًا. وكانَ يُصلِّي سُنَّةَ العصرِ أَربعًا بِتَحرُّمَينِ وتَسلِيمتَيْنِ يَقرَأُ فيها بِالزَّلزلَةِ وَالعادِياتِ والقارِعةِ وأَلهاكُم، ويَقولُ بعد التَّسليمَةِ الأُولى «اَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مَلٰئِكَتِكَ وَالمُقَرَّبِينَ، وَعَلَى أَنْبِيَائِكَ وَالمُرْسَلِين، وَعَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِين». ويأْتِي بعدَ التَّسليمَةِ الثَّانِيةِ بِدُعاءِ آدمَ، عليه السَّلامُ، السَّابق. ثُمَّ يقولُ «اَللَّهُمَّ إِلٰهِي تَمَّ نُورُكَ فَهَدَيْتَ فَلَكَ الحَمْدُ، وَبَسَطْتَ رِزْقَكَ فَأَعْطَيْتَ فَلَكَ الحَمْدُ، وَعَظُمَ حِلْمُكَ فَعَفَوتَ فَلَكَ الحَمْدُ، رَبَّنَا وَجْهُكَ

أَكْرَمُ الوُجُوهِ، وَجَاهُكَ أَعْظَمُ الجَاهِ، وَأَعْطِيَتُكَ أَفْضَلُ العَطَايَا وَأَهْنَاهَا، تُطَاعُ رَبَّنَا فَتَشْكُرَ، وَتُعْصَى رَبَّنَا فَتَغْفِرَ، تُجِيبُ المُضْطَرَّ، وَتَكْشِفُ الضُرَّ، وَتُنْجِي مِنَ الكَرْبِ، وَلَا يَجْزِي بِآلَائِكَ غَيْرُكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ يَاذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ». وَيَقولُ بَعْدَهُ «أَسْتَغْفِرُ اللهَ» مِائَةَ مرَّة.

وأمَّا سُنَّةُ المَغربِ القَبليَّةُ، فكانَ قلَّ أنْ يُصلِّيَها، ويَقولُ: لانَأْمرُ بها ولا نَنْهى عنها. والبَعدِيَّةُ يُصلِّيها رَكعتَيْنِ بِسورةِ الكافِرون والإخلاص، ويَقولُ بعدَها «يامُقَلِّبَ القُلُوبِ وَالأَبْصارِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ».

وأمَّا سُنَّةُ العِشاءِ القَبليَّةُ، فكانَ يُصلِّيها رَكعتَيْنِ يَقرأُ فيهما بِسُورتَيْ قُرَيْش والكَوْثَر، ويأْتِي بِدُعَاءِ آدمَ المُتقدِّم، وقبلَها يُصلِّي رَكعتَيْنِ بِنِيَّةِ الرِّضا يَقرأُ في كلٍّ منها آيةَ الكُرسيِّ مرَّة والإخلاصَ ثلاثًا، ويقولُ: ويُروَى عن النبيِّ ﷺ أنَّ من صلاَّهما يأْتِ وَربُّه عنه رَاضٍ. وكانَ يأْمرُ أكثرَ أَصْحابه بِصلاتِها، واسْتَجازَه بعضُ الفُقراءِ السَّيَّاحِين فيما يَسْتَعينُ بهِ على تَيْسيرِ طَعامِهِ وشَرابِهِ إذا كانَ في البَريَّةِ، فأَجازَه نفَعَ اللهُ به. تَقرأُ آيةَ التَّوكُّلِ وآياتِ الحِفظِ المشهورةَ الفَضلِ، الكَثيرةَ النَّفعِ، لِلْجَلْبِ وَالدَّفْعِ، وقال: إنَّها لِجَلْبِ كلِّ خيرٍ، ودفعِ كلِّ ضيرٍ، وأَمرَهُ أيضًا أنْ يُصلِّيَ هذهِ الصَّلاةَ، أَعْني صَلاةَ الرِّضَا، وكذَا صلاةُ البَتَّة، وهِي أَربعُ ركعاتٍ مِن آخِرِ اللَّيلِ بِتَحَرُّمٍ وتَسليمٍ، يَقرأُ في كلِّ ركعةٍ منها آيةَ الكُرسيِّ مرَّة، وإحدى عشرَةَ من سُورةِ الإخلاص. وقالَ: ويُروَى عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّ من صلاَّها غُفِرَ له البَتَّةَ، واللهُ غفورٌ رَحيمٌ.

ويَقرأُ بعدَ سُنَّةِ العِشاءِ القَبلِيَّةِ، وقبلَ فَريضتِها سُورةَ الوَاقِعَة، ويَفرغُ منها عِند إقامةِ الصَّلاةِ، ويُصلِّي سُنَّةَ العِشَاءِ البَعدِيَّة رَكعتَيْنِ بِالمُعوِّذتَيْنِ غالبًا - هذا آخِرَ عُمرِهِ. وقد كانَ قبلُ يَقرأُ فيهما بالَم السَّجدة، وَتَبارَكَ المُلْك، ويَقولُ بعدَهما «جَزَى اللهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنَّا مَاهُوَ أَهْلُهُ» عشرًا.

وكانَ يُصلِّي أَربعَ رَكعاتٍ بعدَ الأَخيرَةِ الَّتي وردَ في الحدِيث أنَّه عليه السَّلامُ كان

لايَتركُهُنَّ، ويَقولُ إنهنَّ كَمِثلِهِنَّ من ليلةِ القَدرِ - بِتحرُّمٍ وتَسلِيمٍ واحدٍ، يَقرأُ في الأُولى الزَّلزَلَة، وفي الثَّانِية أَلهاكُمُ التَّكاثُر، والثَّالِثَة «وَإِلٰهُكُم إِلٰهٌ واحدٌ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ. إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي البَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ المُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُون»، والرَّابِعَةِ «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ. فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ». وقَد يأْتي بِالمُعشَّراتِ المُتقدِّمِ ذِكرُها بعدَ الافْتِتاحِ بِالرَّكعتَيْنِ مِن قيامِ اللَّيلِ.

وكانَ رضِيَ اللهُ عنهُ يُصلِّي الضُّحٰى ثمانَ رَكعاتٍ قلَّما يَترُكُها، وقد اقْتصرَ آخِرَ وقتِهِ على أَربعٍ، ويُصلِّي الإشراقَ أيضًا أَربعًا، وسمِعتُ أنَّه كانَ يَقرأُ في صلاةِ الضُّحٰى سُورةَ وَالشَّمس وَالضُّحٰى والانشِراح والنَّصر والتَّكاثُر وقُرَيْش والمُعوِّذتَيْن، ورُبَّما قرأَ بِغيرِ ماذُكِرَ من آياتِ الكِتابِ العَزيزِ كما سبقَ في تهجُّدِهِ، ويَقولُ بعدَها «اللَّهُمَّ بِكَ أُحَاوِلُ، وَبِكَ أُصَاوِلُ، وَبِكَ أُقَاتِلُ، وَعَلَيْكَ أَتَوَكَّلُ، فَتَقَبَّلْ مِنِّي». ويَقولُ «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» أَربعِين مرَّة.

وكانَ يقولُ بعدَ صلاةِ الظُّهرِ «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ المَلِكُ الحَقُّ المُبِينُ» مِائةَ مرَّة، ويَقولُ «لَا إِلٰهَ إِلَّا الله» ألفَ مرَّة. وفي شَهرِ رَمضانَ يَقولُها أَلفَيْ مرَّةٍ كلَّ يومٍ، فيكونُ المَجمُوع فِيه سِتِّين ألفًا وكَمَّلَها سَبعِين ألفًا في صِيامِ ستِّ شَوَّالٍ.

وكانَ يَقرأُ بعدَ صلاةِ الجُمُعةِ وبعدَ التَّسبيح الفَاتِحَةَ والإخلاصَ والمُعوِّذتَيْن سبعًا سبعًا، ويَقولُ «يَاغَنِيُّ يَاحَمِيد، يَامُبْدِيءُ يَامُعِيد، يَارَحِيمُ يَاوَدُود، أَغْنِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِك، وَبِطَاعَتِكَ عَنْ مَعْصِيَتِك، وَبِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاك» ثلاثًا. ويَقولُ «يَاكَافِي يَامُغْنِي يَافَتَّاح يَارَزَّاق» ويُكرِّرُ ذٰلك مِرارًا. ويَقولُ مِائَة مرَّة «سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ

وَبِحَمْدِه». ويَقرأُ سُورةَ الكَهْفِ ليلةَ الجُمُعةِ ويومَها، ويَقرأُ سُورةَ طٰه في الجامعِ قبلَ الصَّلاةِ.

وأمَّا صَلاةُ الأَوَّابين، فكانَ رضيَ اللهُ عنهُ قديمًا يُصلِّيها عِشرين ركعةً كما نُقِلَ عنهُ، وذٰلك في أيَّامِ النَّشاطِ واجْتِماعِ القُوَى. وأمَّا ماأدْرَكناه فكانَ يُصلِّيها أربعَ ركعاتٍ بعدَ سُنَّةِ المَغرِب بتحرُّمٍ وسلامٍ واحدٍ يَقرأُ في الأُولى بعدَ الفاتحة «أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عبثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَاتُرْجَعُونَ. فَتَعَالَى اللهُ المَلِكُ الحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ. وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَايُفْلِحُ الكَافِرُونَ. وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ. فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَلَهُ الحَمْدُ فِي السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ. يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذٰلِكَ تُخْرَجُونَ». وفي الثَّانية «والصَّافَاتِ صَفًّا. فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا. فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا. إِنَّ إِلٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ. رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ المَشَارِقِ. إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الكَوَاكِبِ. وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ. لَايَسَّمَّعُونَ إِلَى المَلَإِ الأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ. دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ. إِلَّا مَنْ خَطِفَ الخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ. فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ»، وفي الثَّالثةِ «حٰمٓ. تَنْزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللهِ العَزِيزِ العَلِيمِ. غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ العِقَابِ ذِي الطَّوْلِ، لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ المَصِيرُ» وآيَةَ الكُرسيِ. وفي الرَّابِعَةِ «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ. فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ». وقَد يُبدِلُها بِقَولِه تعالَى «لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالحَقِّ، لَتَدْخُلُنَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَاتَخَافُونَ، فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا» ويَقولُ بعدَ السَّلامِ منها «حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ» سبعًا. وكانَ يُصلِّيها في المَسجِدِ، وقَد يُصلِّيها في البيتِ.

وكانَ بعضَ اللَّيالي في بَيتِهِ رُبَّما يُصلِّي زِيادَةً على الأَرْبعِ المَذكُورَةِ بآياتِ التَّوكُّلِ والحِفظِ، وأوَّلِ سُورةِ الأَنْعامِ، و«اَللهُ نورُ السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نورِهِ كَمِشْكٰوةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ، اَلْمِصْبَاحُ فِي زُجاجَةٍ، اَلزُّجاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ، يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ زَيْتونَةٍ لاَشَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ، يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ، نُورٌ عَلَى نُورٍ، يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ، وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ، وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ».

وأمَّا أَذْكارُ الصَّلاةِ فيها وبَعدَها قَد سبَقَ مايَقولُهُ قبلَها، وفي افْتِتاحِها عندَ ذِكرِ قِيامِهِ.

وكانَ رَضِيَ اللهُ عنهُ يَقولُ في الرُّكوعِ «سُبْحَانَ رَبِّيَ العَظِيم» ثلاثًا، قائِلاً بعدَ الثَّالثَةِ «وَبِحَمْدِه» مرَّةً «رَبِّ اغْفِرْ لِي». وفي السُّجودِ «سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى» ثلاثًا، قائِلاً بعدَ الثَّالثَةِ «وَبِحَمْدِه» مرَّةً «رَبِّ اغْفِرْ لِي». وكانَ يَأْتي في الرُّكوعِ والسُّجودِ والاِعْتِدالِ والجُلوسِ وغَيرِها بِجَميعِ ما جَاءَ عنهُ عليهِ السَّلامُ، غيرَ أنَّه قَد يَجمَعُ وقَد يُفرِّقُ، فيَأْتي بِهٰذا في وقتٍ، وهٰذا في وقتٍ حَسْبَما يُعطيهِ الوَقتُ مِن تَطويلٍ واقْتِصارٍ.

وكانَ يَزيدُ في سُجودِ صَلاةِ الجُمُعةِ «اَللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ قَلْبًا نَقِيًّا مِنَ الشَّرِّ، بَرِيئًا لاَ جَافِيًا وَلاَ شَقِيًّا».

وكانَ يُؤثِرُ في التَّشهُّدِ والصَّلاةِ فيه علَى النَّبيِّ ﷺ رِوايَةَ البُخارِيِّ عنِ ابنِ مَسعودٍ «اَلتَّحِيَّاتُ لِلهِ وَالصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ. اَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه. اَلسَّلاَمُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ. أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُه. اَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّد». ورُبَّما يَأْتي بِالزِّيادَةِ الَّتي اخْتارَها الشَّافِعيُّ، رحِمَه اللهُ تعالَى: التَّحِيَّاتُ المُبارَكَاتُ الصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ لِلهِ . . . . . إلى آخِرِها.

ثمَّ يَأْتي بِالدُّعاءِ: ﴿اَللَّهُمَّ﴾ اغفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِنِّي أَسْأَلُكَ الجَنَّةَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّار. رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ

الحِسَاب». ورُبَّما قالَ «يا مُقلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِك».

وكانَ يَأْتِي بِأَدْعِيةٍ وأَذْكارٍ كَثيرَةٍ، ويُداوِلُ بينَهَا. وإنَّما هٰذه بِالنِّسبَةِ مِن غَيرِه، فَافْهَم ذلِك.

وكانَ إذا سلَّمَ مِن الصَّلاةِ، قالَ: «أَسْتَغْفِرُ اللهَ (ثلاثًا). ﴿اَللَّهُمَّ﴾ أَنْتَ السَّلَام، وَمِنْكَ السَّلَام، وَإِلَيْكَ يَعُودُ السَّلَام، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ يَاذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَام. سُبْحَانَ رَبِّنَا العَلِيِّ الأَعْلَى الوَهَّاب. لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَاشَرِيكَ لَه، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدّ. أَسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيَّ القَيُّومَ وَأَتُوبُ إِلَيْه». ويزيد «العَظِيم» في الصُّبحِ والمَغرِب. «سُبْحَانَ مَنْ لَا يَعْلَمُ قَدْرَهُ غَيْرُه، وَلَا يَبْلُغُ الوَاصِفُونَ صِفَتَه». وقَد يَزِيدُ بعدَ الصُّبحِ فقَط. «رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا وَبِالإِسْلَامِ دِينًا وَبِالْقُرْآنِ إِمَامًا. أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيم. اَلحَمْدُ لِلهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنِّي الغَمَّ وَالهَمَّ وَالحَزَنَ».

ثُمَّ يَأْخذُ في التَّسْبيحِ وَالتَّحْميدِ وَالتَّكْبيرِ مِن كلٍّ (ثلاثًا وثلاثِين)، ثمَّ تَمامَ المِائةِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَه، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير».

ثُمَّ يَفْتَتِحُ الدُّعاءَ بَالحَمدِ وَالثَّناءِ وَالاِسْتِغفارِ وَالصَّلاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ المُخْتارِ، ويَتَحرَّى مِن الدُّعاءِ المَأْثورِ الجامِعَ النَّافِعَ، مِثلُ:

﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِنِّي أَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِك، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِك، وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْم، وَالغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ، وَالفَوْزَ بِالجَنَّةِ وَالنَّجاةَ مِنَ النَّار. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبادَتِك، يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِك. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ اجْعَلْ خَيرَ عُمْرِي آخِرَه، وَخَيْرَ عَمَلِي خَوَاتِمَه، وَخَيْرَ أَيَّامِي يَوْمَ لِقَائِك. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَأَسْأَلُكَ رِزْقًا طَيِّبًا، وَأَسْأَلُكَ عَمَلًا مُتَقَبَّلًا، وَأَسْأَلُكَ فِعْلَ الخَيْرَات، وَتَرْكَ

الْمُنْكَرات، وَحُبَّ المَسَاكِين، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَني، وَإِذَا أَرَدْتَ بِقَوْمٍ فِتْنَةً فَاقْبِضْني إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُون. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ ارْزُقْنِي طَيِّبًا، وَاسْتَعْمِلْنِي صَالِحًا، وَتَوَفَّنِي مُسْلِمًا، وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِين، وَاغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِأَوْلَادِي وَلِأَحْبَابِي وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِين، وَاخْتِمْ لِي وَلَهُمْ بِالإِحْسَانِ بِالحُسْنَى فِي يُسْرٍ وَلُطْفٍ وَعَافِيَة». - وغير ذلك من الدَّعواتِ الجامِعاتِ النَّافِعات.

وكانَ يَدْعو بهذا الدُّعاءِ على هٰذا النَّسَق، ويُرتِّبُ هذهِ الأَذْكارَ علَى هذا التَّرتِيب، أَوْرَدناهُ علَى مارَوَيْناه عنهُ رضِيَ اللهُ عنهُ ونفَعَ بِهِ تَبَرُّكًا ورَجاءَ الاِقْتِداءِ والاِنْتِفَاع. وهٰذهِ فائِدَةٌ وُضِعَتْ في هذهِ الأَوْراقِ لِقَصدِ الاِنْتِفاعِ، إنْ شاءَ الله.

ثمَّ يَقرَأُ الفاتِحَةَ، وبعدَها يَقولُ:

﴿اَللَّهُمَّ﴾ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الأُمُورِ كُلِّهَا وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَة. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِنِّي أُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ كُلِّ نَفَسٍ وَلَمْحَةٍ وَطَرْفَةٍ يَطْرِفُ بِهَا أَهْلُ السَّمٰوَاتِ وَأَهْلُ الأَرْضِ، وَكُلِّ شَيْءٍ هُوَ فِي عِلْمِكَ كَائِنٌ أَوْ قَدْ كَانَ، إِنِّي أُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذٰلِكَ كُلِّه. اللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ، لَاتَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ، لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ، مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ، يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ، وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ. شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ وَالمَلَائِكَةُ وَأُولُوا العِلْمِ قَائِمًا بِالقِسْطِ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ. إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلَامُ. قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ المُلْكِ تُؤْتِي المُلْكَ مَنْ تَشَآءُ، وَتَنْزِعُ المُلْكَ مِمَّنْ تَشَآءُ، وَتُعِزُّ مَنْ تَشَآءُ، وَتُذِلُّ مَنْ تَشَآءُ، بِيَدِكَ الخَيْرُ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ، وَتُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَتُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ، وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَاب. سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُون، وَسَلَامٌ عَلَى المُرْسَلِين، وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ اكْفِنِي مَا أَهَمَّنِي مِنْ أَمْرِ آخِرَتِي وَدُنْيَايَ. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّه، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّه.

ثمَّ يَقرَأُ المُعَوِّذَتَيْنِ مرَّةً مرَّة، وسُورةَ الإِخْلاصِ. - (عشرًا)

فإنْ كانَتِ الفَريضَةُ صُبحًا أو عَصرًا أو مَغرِبًا، قالَ «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَه، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير» - (عَشرَ مرَّات). وإنْ كانَتْ صُبحًا أو مَغرِبًا، زادَ «اَللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنَ النَّار» - (سبعًا)

وكانَ يَقولُ بعدَ كلِّ فريضَةٍ: -

أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَه، إِلٰهٌ وَاحِدٌ وَرَبٌّ شَاهِدٌ، وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُون. - (أربعًا)

حَسْبِيَ اللهُ وَكَفَى، سَمِعَ اللهُ لِمَنْ دَعَا، لَيْسَ وَرَاءَ اللهِ مُنْتَهَى، سُبْحَانَ مَنْ لَمْ يَزَلْ بِي رَحِيمًا. - (أربعًا)

سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ وَلَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَر، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ عَدَدَ خَلْقِه، وَرِضَا نَفْسِه، وَزِنَةَ عَرْشِه، وَمِدَادَ كَلِمَاتِه. - (ثلاثًا)

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْك، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ وَتُسَلِّمَ عَلَى عَبْدِكَ وَنَبِيِّكَ وَرَسُولِكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ، وَعَلَى آلِهِ أَفْضَلَ وَأَدْوَمَ مَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ مَلَائِكَتِكَ الْمُقَرَّبِين، وَأَنْبِيَائِكَ الْمُرْسَلِين، وَعِبَادِكَ الصَّالِحِين. - (ثلاثًا)

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَات. - (سبعًا وعِشرين مرَّة)

ثمَّ يَقولُ بعدَ الصُّبحِ والمَغرِبِ فقطْ: ﴿اَللَّهُمَّ﴾ أَنْتَ أَحَقُّ مَنْ ذُكِر، وَأَحَقُّ مَنْ عُبِد، وَأَعْظَمُ مَنِ ابْتُغِي، وَأَرْأَفُ مَنْ مَلَك، وَأَجْوَدُ مَنْ سُئِل، وَأَوْسَعُ مَنْ أَعْطِي ..... إلى آخرِ الدُّعاءِ، وهو مَعْروفٌ ومَأْثورٌ ومَشهور.

ثمَّ يَأْتي بِدُعاءِ ابْنِ المُعتَمِر: سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ وَلَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَر، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيم، عَدَدَ مَا خَلَقَ وَعَدَدَ مَا هُوَ خَالِقٌ، وَزِنَةَ مَا خَلَقَ وَزِنَةَ

مَا هُوَ خالِقٌ، وَمِلْءَ مَا خَلَقَ وَمِلْءَ مَا هُوَ خَالِقٌ، وَمِلْءَ سَماوَاتِهِ وَمِلْءَ أَرْضِهِ، وَمِثْلَ ذٰلِكَ، وَأَضْعَافَ ذٰلِكَ، وَعَدَدَ خَلْقِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمُنْتَهَى رَحْمَتِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ، وَمَبْلَغَ رِضَاهُ حَتَّى يَرْضَى، وَإِذَا رَضِيَ، وَعَدَدَ مَا ذَكَرَهُ بِهِ خَلْقُهُ فِي جَمِيعِ مَا مَضَى، وَعَدَدَ مَا هُمْ ذَاكِرُوهُ فِيمَا بَقِيَ فِي كُلِّ سَنَةٍ وَشَهْرٍ وَجُمُعَةٍ وَيَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَسَاعَةٍ مِنَ السَّاعَاتِ، وَشَمٍّ وَنَفَسٍ مِنَ الأَنْفَاسِ، وَأَبَدٍ مِنَ الآبَادِ، مِنْ أَبَدٍ إِلَى أَبَدٍ، أَبَدِ الدُّنْيَا وَأَبَدِ الآخِرَةِ، وَأَكْثَرَ مِنْ ذٰلِكَ، لاَيَنْقَطِعُ أَوَّلُهُ وَلاَ يَنْفَدُ آخِرُه.

ثُمَّ يَقرَأُ: آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ، وَالْمُؤْمِنُونَ، كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، لاَنُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ. وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ. لاَيُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا، لَهَا مَاكَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَااكْتَسَبَتْ. رَبَّنَا لاَتُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا، رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا، رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَطَاقَةَ لَنَا بِهِ، وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا، أَنْتَ مَوْلاَنَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الكَافِرِينَ.

فإِنْ كانَتِ الفَريضَةُ صُبحًا، قالَ: يَاالله، يَا وَاحِدُ يَا أَحَدُ، يَا وَاجِدُ يَا جَوَاد، اِنْفَحْنَا مِنْكَ بِنَفْحَةِ خَيْرٍ (ثلاثًا). يَا بَاسِطُ (عشرًا) أُبْسُطْ عَلَيْنَا الخَيْرَ وَالرِّزْقَ . . . . . إلى آخِرِ حزبِ الفَتحِ والنَصر الَّذِي رَتَّبهُ بعدَ صَلاةِ الفَجرِ، وهو مَعروفٌ لِلإِخوانِ مَشهورٌ وظاهِرٌ مَذكورٌ بينَ أَصحابِهِ والمُنْتَمِين إليه. ﴿قال﴾ رضِيَ اللهُ عنه: وَضعناه ورَتَّبْناه لِلإِخوان والأَصحاب، إِمَّا كلَّ يومٍ أو كلَّ جُمُعةٍ وَاِثْنَيْنِ حَسبَ الهِمَّة وَالنَّشاط.

ثمَّ يقولُ: ﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَاعَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَاعَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ. وَأَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ. وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ. وَأَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم. وَأَسْتَعِيذُكَ مِمَّا اسْتَعَاذَكَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم. وَأَسْأَلُكَ مَا قَضَيْتَ لِي مِنْ أَمْرٍ

أَنْ تَجْعَلَ عاقِبَتَهُ رَشَدًا، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِين. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِنِّي أَصْبَحْتُ لاَ أَسْتَطِيعُ دَفْعَ مَاأَكْرَهُ، وَلاَ أَمْلِكُ نَفْعَ مَا أَرْجُو، وَأَصْبَحَ الأَمْرُ بِيَدِ غَيْرِي، وَأَصْبَحْتُ مُرْتَهنًا بِعَمَلِي، فَلاَ فَقِيرَ أَفْقَرُ مِنِّي. ﴿اللَّهُمَّ﴾ لاَتُشْمِتْ بِي عَدُوِّي، وَلاَ تَسُؤْ بِي صَدِيقِي، وَلاَ تَجْعَلْ مُصِيبَتِي فِي دِينِي، وَلاَ تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّي، وَلاَ تُسَلِّطْ عَلَيَّ مَنْ لاَيَرْحَمُنِي، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، لاَتَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّه.

ثُمَّ دُعاء الكَرْب: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ الحَلِيمُ الكَرِيم، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيم، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيم. - (ثلاثًا)

ثُمَّ يَقول: «يَا كَافِي يَا مُغْنِي يَا فَتَّاح يَا رَزَّاق» عدَدًا لَم يُضبَطْ عنهُ، غيرَ أَنَّه قَد أَجازَ فيهِ بَعضَ أَصْحابِهِ بِمائةٍ وسَبعين، أَو أَرْبعين، أَو خَمسٍ وعِشرين مرَّة.

ثُمَّ يَقول: ﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ المَكْرِ وَالِاسْتِدْرَاجِ مِنْ حَيْثُ لاَ أَشْعُرُ، إِنَّكَ جَوَادٌ كَرِيم . - (ثلاثًا)

ثُمَّ يَقولُ دُعاءَ محمَّد بن واسِع المَشهُور:-

﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِنَّكَ سَلَّطْتَ عَلَيْنَا عَدُوًّا بَصِيرًا بِعُيُوبِنَا، مُطَّلِعًا عَلَى عَوْرَاتِنَا، يَرَانَا هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ نَرَاهُم. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ فَأَيِّسْهُ كَمَا أَيَّسْتَهُ مِنْ رَحْمَتِك، وَقَنِّطْهُ مِنَّا كَمَا قَنَّطْتَهُ مِنْ عَفْوِك، وَبَاعِدْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ جَنَّتِك.

ثُمَّ دُعاءَ عُتبَةَ الغُلام المَعرُوف:-

﴿اَللَّهُمَّ﴾ يَا هَادِيَ المُضِلِّين، يَا رَاحِمَ المُذْنِبِين، وَمُقِيلَ عَثَرَاتِ العَاثِرِين، اِرْحَمْ عَبْدَكَ ذَا الخَطَرِ العَظِيمِ، وَالمُسْلِمِينَ كُلَّهُمْ أَجْمَعِين. وَاجْعَلْنِي مِنَ الأَحِبَّاءِ المَرْزُوقِين، اَلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِين، آمِينَ يَا رَبَّ العَالَمِين.

وإِنْ كانَتِ الفَرِيضَةُ عصرًا، قرَأَ بعدَ قَولِهِ «اِنْفَحْنَا مِنْكَ بِنَفْحَةِ خَيْر» حِزبَ البَحرِ المَذكورَ المَشهُور لِلشَّاذِلي.

ثمَّ يَقولُ بعدَه: -

سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِه، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيم، لَا إِلٰهَ إلَّا الله. اَللَّهُمَّ ثَبِّتْ عِلْمَهَا فِي قَلْبِي، وَاغْفِرْ لِي ذَنْبِي، وَاغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَات. وَقُلِ الحَمْدُ للهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى. - (ثلاثًا)

ثمَّ يَقرأُ آيةَ الكُرسيِّ، ثمَّ دُعاءَ الكَربِ المُتقدِّمَ ذِكرُه (ثلاثًا). لَا إِلٰهَ إلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِين. - (ثلاثًا)

ثمَّ يَأْتي بِدُعائِهِ المُسمَّى دُعاءَ الإِمْداد بالقوَّة: «يَا اللهُ يَا رَبُّ يَا قَدِيرُ يَا قَوِيُّ يَا مَتِين» - (ثلاثًا). أَسْأَلُكَ بِقُدْرَتِكَ وَبِقُوَّتِكَ أَنْ تُمِدَّنِي فِي جَمِيعِ قُوَايَ وَجَمِيعِ جَوَارِحِي الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ بِقُدْرَةٍ مِنْ قُدْرَتِك، وَبِقُوَّةٍ مِنْ قُوَّتِك، أَقْدِرُ بِهَا وَأَقْوَى عَلَى القِيَامِ بِمَا كَلَّفْتَنِي مِنْ حُقُوقِ رُبُوبِيَّتِك، وَنَدَبْتَنِي إِلَيْهِ مِنْهَا فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ خَلْقِك، وَعَلَى التَّمَتُّعِ بِكُلِّ مَا خَوَّلْتَنِي مِنْ نِعَمِكَ الَّتِي أَبَحْتَهَا لِي فِي دُنْيَاك، وَيَكُونُ ذٰلِكَ عَلَى أَصْلَحِ الوُجُوه وَأَعْدَلِهَا، وَأَحْسَنِهَا وَأَفْضَلِهَا، مَصْحُوبًا بِالعَافِيَةِ وَالقَبُولِ وَالرِّضَا مِنْكَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِين.

ومِن دُعائِهِ نفعَ اللهُ به الَّذي انْتَخَبَهُ بعدَ الصَّلَوَاتِ المَكْتوباتِ: -

يَا اللهُ يَا لَطِيف، يَا كَافِي يَا حَفِيظُ يَا مُعِين (ثلاثًا). أَسْأَلُكَ لُطْفًا شَامِلًا لِجَمِيعِ الحَالَاتِ وَالحَرَكَات، وَالسَّكَنَاتِ وَالتَّقَلُّبَات، وَكِفَايَةً لِجَمِيعِ المُهِمَّاتِ وَالمُلِمَّاتِ وَالأَذِيَّات، وَحِفْظًا مِنْ جَمِيعِ البَلِيَّاتِ وَالعَاهَاتِ والآفَات، وَإِعَانَةً عَلَى جَمِيعِ الطَّاعَاتِ المَفْرُوضَاتِ فَالمَنْدُوبَات، وَالمُسَارَعَةَ فِي الخَيْرَاتِ وَالجِدَّ فِي الأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ المُقَرِّبَاتِ إِلَيْكَ، يَا عَالِمَ الخَفِيَّات، وَيا بَارِيءَ النَّسَمَات، وَإِلٰهَ مَنْ فِي الأَرْضِ وَالسَّمٰوَات.

ومِن دُعائِهِ «يَا لَطِيفُ يَا رَزَّاقُ يَا قَوِيّ يَا عَزِيز» - (ثلاثًا). أَسْأَلُكَ تَأَلُّهًا إِلَيْكَ، وَاعْتِرَافًا فِيكَ، وَفَنَاءً بِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ، وَلُطْفًا شَامِلًا خَفِيًّا وَجَلِيًّا، وَرِزْقًا وَاسِعًا هَنِيئًا وَمَرِيئًا، وَقُوَّةً فِي الإِيمَانِ وَاليَقِين، وَصَلَابَةً فِي الحَقِّ وَالدِّين، وَعِزًّا بِكَ يَدُومُ وَيَتَخَلَّد،

وَشَرَفًا يَبْقى وَيَتَأَبَّد، لايَشُوبُهُ كِبْرٌ ولا عُتُوّ، وَلاَ إرادَةُ فَسادٍ وَلاَ عُلُوّ، إنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيب.

ومِن دُعائِهِ بعدَ المَكْتوباتِ :-

﴿اَللَّهُمَّ﴾ وَفِّقْني لِطَاعَتِك، وَاسْلُك بِي سَبِيلَ مَرْضَاتِك، وَاجْعَلْني مِمَّنْ يَتَّقِيكَ وَيَخْشَاك، وَيَخافُكَ وَيرْجُوك، وَيَسْتَعِينُ بِكَ وَيَتَوكَّلُ عَلَيْك. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ احْفَظْني في دِيني وَنَفْسي، وَأَهْلي وَأَوْلادِي، وَمَالي وَجَمِيعِ مَا أَعْطَيْتَني، وَوَفِّقْني لِشُكرِك، وَاجْعَلْني في خَفِيِّ لُطْفِك، وَأَسْبِلْ عَلَيَّ جَمِيلَ سِتْرِك، وَارْزُقْني العَافِيَةَ الكَامِلَةَ في الدُّنْيا وَالآخِرَة، وَتَوَفَّني عَلَى مِلَّةِ الإِسْلَامِ في يُسْرٍ وَلُطْفٍ كَمَا تُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ، آمِين يَا رَبَّ العَالَمِين. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ اجْعَلْني مِنْ عِبَادِكَ المُخْلِصِين، وَحِزْبِكَ المُفْلِحِين، وَتَوَفَّني مُسْلِمًا وَأَلْحِقْني بالصَّالِحِين، وَاغْفِرْ لي وَلِوَالِدَيَّ وَلِجَمِيعِ المُؤْمِنِينَ وَالمُسْلِمِينَ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِين. ومِمَّا كانَ يُوصي بِتَرتِيبِه بعدَ كلِّ صَلاةٍ فريضَةٍ أَرْبعينَ مرَّةً. «سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ» خمسًا وعِشرينَ مرَّة. «الله الله» إحْدى وعِشرينَ مرَّة.

وقالَ رضِيَ اللهُ عنهُ في بَعضِ وَصَايَاهُ: ومِمَّا نُرتِّبُه ونُوصي بِهِ الأَصْحاب بعدَ كلِّ مَكْتوبَةٍ «أَسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الحَيَّ القَيُّومَ وَأَتُوبُ إِلَيْه» - (خمسًا وعِشرين مرَّة). «سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللهِ العَظِيم» - (خمسًا وعِشرين مرَّة). وبعدَ الصُّبحِ والعَصرِ «أَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ الَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمٰنَ الرَّحِيمَ الحَيَّ القَيُّومَ الَّذِي لَايَمُوتُ وَأَتُوبُ إِلَيْه، رَبِّ اغْفِرْ لي» - (خمسًا وعِشرين مرَّة).

وكانَ يُرتِّبُ بعدَ صَلاةِ العَصرِ سِيمَا في الأَشْهُرِ الحُرُمِ «أَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ الَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الحَيَّ القَيُّومَ وَأَتُوبُ إِلَيْه، تَوْبَةَ عَبْدٍ ظَالِمٍ لَايَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا، وَلَا مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا» - (سبعَ مرَّات).

فهٰذا الَّذي أَوْرَدناه مِمَّا كانَ رضِيَ اللهُ عنهُ يُرتِّبُه على هٰذه الكَيْفِيَّةِ بعدَ الصَّلاةِ وفِيها وقَبْلَها.

وأمَّا جُملَةُ أَوْرادِهِ الَّتي كانَ يُرتِّبُها صَباحًا ومَساءً، وعِندَ كلِّ حادِثٍ وسبَبٍ ومُوجِبٍ فِي كلِّ حالٍ ووَقتٍ بِحَسَبِهِ، فذٰلِك شيْءٌ لاتُعَدّ.

وهٰذا مَا حُفِظَ عنهُ مِمَّاأَظْهَرَه، وقَد رَوَيْنا عنهُ أنَّه قالَ: إنَّ لنَا أَوْرادًا لَم نُظْهِرها، وإنَّما أَظْهَرنا اليَسيرَ، يَعنِي بِقَصدِ الاقْتِداءِ والتَّأَسِّي بهِ. قالَ ابْنُهُ السيِّدُ الجَليلُ عَلَوي: أمَّا أَوْرادُهُ فلَمْ نَطَّلِعْ مِنها إلاَّ على البَعْض. وقَد كانَ يَأْخذُ فِيها مِن وَقتِ السَّحَرِ في الصَّباحِ ويَسْتغرِقُهُ إلى أوَّلِ وَقتِ الفَجْر. وفِي المَساءِ يَأْخذُ فيها مِن وَقتِ الاِصْفِرارِ بعدَ التَّدريسِ بعدَ العَصرِ ويَسْتَغرِقُهُ ذلك إلى وَقتِ النَّوم.

وكانَ رضِيَ اللهُ عنهُ إذا افْتَتحَ التَّدريسَ يَقولُ: نَوَيْتُ التَّعلُّمَ والتَّعلِيم، والتَّذكِرَةَ والتَّذكِير، والنَّفعَ والاِنْتِفاع، والإفادَةَ والاِسْتِفادَة، والحَثَّ والتَّمسُّكَ بِكتابِ الله، وسُنَّةِ رَسولِه، والدَّعوَةَ إلى الهُدَى، والدِّلالَةَ على الخَيْر، اِبْتِغاءَ مَرضَاتِ الله، وقُربِه وثَوابِه، بِسمِ الله. فيَبْدأُ القارِيءُ ويَمتَدُّ ذلك إلى وَقتِ الاِصْفِرار لِلشَّمسِ. ثمَّ يَختِمُ الدَّرسَ قائِلاً: واللهُ أَعْلَم وَأَحْكَم، ويَقرأُ الفاتِحَةَ بِنيَّةِ صلاحِ أُمورِ المُسلِمين، ويَدعُو بعدَها بِأَنْواعِ الدَّعواتِ.

والغالِبُ أنَّه يَقولُ: «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنا مِنْ خَشْيَتِكَ مَاتَحُولُ بِهِ بَيْنَنا وَبينَ مَعاصِيك، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَك، وَمِنَ اليَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا، وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصارِنَا وَقُوَّتِنَا مَاأَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الوارِثَ مِنَّا، وَاجْعلْ ثَأْرَنا عَلى مَنْ ظَلَمَنا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلاَتَجْعَلْ مُصِيبَتَنا في دِينِنَا، وَلاَتَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَمَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلاَتُسَلِّطْ عَلَيْنَا بِذُنُوبِنَا مَنْ لاَيَخافُكَ وَلاَيَرْحَمُنَا. . . . .» الدُّعاءَ المَشهور الَّذِي كانَ يَدعو به ﷺ في مَجلِسه.

ومِمَّا ظَهَرَ مِن أَوْرادِهِ واشْتَهَر، وشاعَ وانْتَشَر، وسارَ في البَحرِ والبَرِّ، سَيرَ الشَّمسِ والقَمَر، أَربعَةٌ:-

﴿الأوَّل﴾ المُسمَّى [مِفتاح السَّعادة والفلَاح في أَذْكار المَساءِ والصَّباحِ]، وأَدْعيَةٌ

تُنسَبُ لأهلِ الفَضلِ والصَّلاحِ، وهي أَعظمُ أَوْرادِهِ وأَوْسعُها.

﴿الثاني﴾ [النُّبذَة الصُّغرى في أَذْكار الصَّباح والمَساء]، وهو لَطيفٌ جدًّا لايَكادُ أحدٌ مِن أَصْحابِه والمُنتَسِبين إليه، بل وغيرِهم مِن المُنتَمِين إلى الخَيرِ والدِّين، إلاَّ وهو يَحْفَظُه.

﴿الثالث﴾ [حِزبُ الفتحِ والنَّصر] المُرتَّب بعدَ صلاةِ الفَجرِ، إمَّا كلَّ يومٍ، أَو يومَ الجُمُعةِ والإِثْنَين، يَحفظُه جَماعةٌ مِن الأَصْحاب.

﴿الرابع﴾ الرَّاتِبُ المَشهورُ بعدَ صلاةِ العِشاء، يُقرَأُ في الجَمعِ وعلَى الاِنْفِرادِ أيضًا لِمَن أَرادَ، ولا يَختَصُّ بِاللَّيلِ، فمَن أَرادَ تَرتيبَهُ بِالنَّهارِ فلَهُ ذلِك.

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يَقولُ: إنَّ الرَّاتِب الَّذي وَضَعْناه بعدَ العِشاءِ يَحرُسُ البلدَ الَّتي يُذكَرُ فيها. ويَنْبَغي أنْ يُرتِّبَه كلُّ مُريدٍ، سِيَما إنْ كانَ صاحِبُ الرَّاتِبِ واسِطَتَهُ إلى اللهِ تعالَى. فإنْ رتَّبَه بعدَ الصُّبحِ والعِشاءِ فهُو الأَكْملُ. وأوَّلُه أَنْ يُحضِرَ قَلبَهُ ويَستَشعِرَ أنَّه يَرَى ربَّه تعالَى، ويُبدَأُ بِالفاتِحَةِ، ويُختَمُ بِالجلالَةِ، وإنْ بَلَّغَها إلى أَلفِ مرَّة كانَ حَسَنًا، ولابدَّ أنْ يَظهرَ عليهِ شيءٌ مِن أَنْوارِ المَلَكُوت - انتَهَى كلامُه رضيَ اللهُ عنهُ ونفَعَ به.

ومِن خَطِّ الأَحْسائِي أحمد الشَّجَّار، قالَ: وأَمْلى سيِّدُنا هذا الدُّعاءَ النَّبـويَّ، وأَحسِبُ أنَّه مَذكورٌ في كِتابِ [الأَذكار] للإمامِ النَّوَوي، رحِمَه اللهُ تعالَى، وهُو:-

﴿اَللَّهُمَّ﴾ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي وَخَطَإِي وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذٰلِكَ عِنْدِي. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير -

اِنْتَهَى ما نَقَلْناه مِن [بَهجة الفُؤاد مُختصرِ غايَة القَصد والمُراد]، وبِه يَتِمُّ ماأَردنا جَمْعَهُ مِن تِلكَ الفَوائِدِ الَّتي أَسْلَفنا ذِكرَها، وكلُّ ذلِك كَرامَةٌ لِصاحِبِ [سبيل الهداية والرَّشاد]، سيِّدنا الوالِد أحمد بن الحَسَن بن سيِّدِنا عبدالله الحدَّاد، رحِمَه الله، وأَدامَ لَنا بِهِ النَّفعَ

والإمْداد، لأنّي لمّا نقلتُ الكِتابَ المَذكُور، أَردتُ أن أَزِيدَ فيه حَديثًا. قالَ: لاتَزِدْ فيه شَيئًا وَاشْرَح شرحًا غيرَ هذا.

ولمّا منَّ اللهُ سُبحانَهُ وتعالَى بِجَمعِ هذهِ الفَوائِدِ تَبيَّنَ أنَّ ذلِك كَرامَةٌ مِنه ولَه.
ومُؤَلَّفاتُ سيّدِنا الوالِدِ مِن الكُتبِ ثَمانيَةٌ:-

﴿الأوَّل﴾ السَّفينَة المُسمَّاة [سَفينة الأَرْبَاح ونُزْهة الأَرْواح] في ثـلاثِ مُجلَّدات كِبار، جَمَعَ فيها مِن غالِبِ العُلومِ مِن كلِّ فَنٍّ.

﴿الثَّاني﴾ مِن مُؤلَّفاتِهِ المَنسَك المُسمَّى [بُغيَة المُحتاج إلى مَعْرِفةِ مَناسِك المُعْتمِر والحاجّ].

﴿الثَّالث﴾ مِن مُؤلَّفاتِه الدِّيوان المُسمَّى [نُزهَة القُلوب وفُسحَة المَكروب].

﴿الرَّابع﴾ مِن مُؤلَّفاتِه [سَبيل الهِدايَة والرَّشَاد] في ذِكرِ نُبذَةٍ مِن فَضائِل راتِب سيّدنا القُطب عبدالله بن علوي الحدَّاد.

﴿الخامِس﴾ مِن مُؤلَّفاتِه الفَتاوى في مُجلَّد كَبير سمَّاها [القَوْل الصَّواب في جَوابِ أَسْئِلة الإِخْوان والأَصْحاب].

﴿السَّادس﴾ مِن مُؤلَّفاتِه [المُكاتبات لِلإِخوان والأَصْحاب] فيها عُلومٌ جَمَّة ووَصايا مُهِمَّة.

﴿السَّابع﴾ مِن مُؤلَّفاتِه [الفَوائِد السَّنِيَّة في الجِهة الحَضْرميَّة وخُصوصيَّات السَّادَة العَلَويَّة] وهو آخِرُ مُصنَّفاتِه، فيه ثَمانِيةُ أَبْواب ومُقدِّمة وخاتِمَة لم يُؤَلَّف مثلُه، نفَعَ اللهُ بِهِ، آمين.

﴿الثَّامن﴾ مِن مُؤلَّفاتِه تَحريرُه كِتاب [تَثْبِيت الفُؤَاد] بِذِكر كلامِ القُطب السيّد عبدالله الحدَّاد الَّذي جَمَعَه الأَحْسائِي أحمد بن عبدالكريم الشَّجَّار، فإنَّه أعنِي الأَحْسائِي رتَّبَه على تَرتيبِ السِّنين في الغالِب، وحرَّرَه سيِّدُنا الوالِد، وجعَلَ لكُلِّ كلامٍ مُوافِقٍ لِكَلامٍ جَمَعَهُ إلى مايُوافِقُه، وهو في مُجلَّدين كَبيرَين.

جَزَاهُ اللهُ أَفْضَلَ الجَزَاء، وَنَفَعَنَا بِهِ وَبِعُلُومِهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة، وَأَلْحَقَنَا بِهِمْ فِي خَيْرٍ وَعَافِيَة، وَجَمَعَنَا بِهِ فِي الدَّارَيْنِ عَلَى خَيْرٍ وَفِي خَيْرٍ بِجَاهِ النَّبِيِّ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِين، إِنَّ رَبِّي كَرِيمٌ مُجِيب.

سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيم. رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا، وَارْزُقْنِي العَمَلَ مَعَ القَبُولِ وَالعَاقِبَةِ كَمَا عَلَّمْتَنَا، وَاجْعَلْهُ حُجَّةً لَنَا لَا حُجَّةً عَلَيْنَا، وَارْزُقْنَا فَإِنَّكَ خَيْرُ الرَّازِقِين، وَارْحَمْنَا فَإِنَّكَ خَيْرُ الرَّاحِمِين، وَاحْفَظْنَا فَإِنَّكَ خَيْرُ الحَافِظِين، وَانْصُرْنَا فَإِنَّكَ خَيْرُ النَّاصِرِين، وَاهْدِنَا وَنَجِّنَا مِنَ القَوْمِ الكَافِرِينَ وَالظَّالِمِين، وَاغْفِرْ لَنَا فَإِنَّكَ خَيْرُ الغَافِرِين، وَافْتَحْ لَنَا فَإِنَّكَ خَيْرُ الفَاتِحِين.

اَللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ رِضَاكَ وَالجَنَّة، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ سَخَطِكَ وَالنَّار. اَللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنَّا وَوَالِدِينَا وَأَوْلَادِنَا وَأَهْلِينَا وَقَرَابَاتِنَا وَأَصْحَابِنَا وَمُحِبِّينَا وَالنَّاقِلِينَ لِهٰذِهِ الفَوَائِد، وَلِكَافَّةِ المُسْلِمِينَ أَجْمَعِين. وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى جَمِيعِ آبَائِهِ، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّين، وَعَلَيْنَا مَعَهُمْ وَفِيهِمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِين.

اَلحَمْدُ لِلهِ الَّذِي هَدَانَا لِهٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا الله. سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُون، وَسَلَامٌ عَلَى المُرْسَلِينَ وَالحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العَالَمِين.

اِنتَهى ما جَمَعْناه مِن الفَوائِد، ومَن أَرادَ الاِخْتِصارَ والاِقْتِصار، فعَلَيْه بِكِتابِنا المُسمَّى [الفَوائِد والإِفادَة لأَهلِ الأَذْكار والعِبادَة]. نعَمْ وكلُّ فائِدَةٍ مِن هذا الكِتاب مُسْتَقِلَّة بنفسِها. فمَن أَرادَ إِفْرادَ البعضِ لِحاجَتِه، فلَه ذلِك خُصوصًا الفائِدَة الَّتي هِي شَرحٌ على جَميعِ أَلْفاظِ الرَّاتِب الشَّريف، فما مَقْصودُنا إلَّا الاِنْتِفاع، ونحنُ نَسْتَغفِرُ اللهَ ونَتوبُ إليه مِمَّا صادَفْنا فيهِ مِن رِياءٍ و سُمعَةٍ أَو إِعْجاب.

وَنَسْأَلُ اللهَ الكَرِيمَ بِكَرَمِهِ وَمَنِّهِ وَإِحْسَانِهِ وَفَضْلِهِ أَنْ يَتَقَبَّلَ ذٰلِكَ مِنَّا، وَأَنْ يَجْعَلَهُ خَالِصًا لِوَجْهِهِ الكَرِيم، وَأَنْ يَغْفِرَ لَنَا بِفَضْلِهِ جَمِيعَ الذُّنُوبِ وَالخَطِيئَات، وَأَنْ يَنْفَعَ بِهِ

المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَاتِ فِي الحَيَاةِ وَبَعْدَ المَمَات. وَصَلَّى اللهُ عَلَى أَفْضَلِ مَخْلُوقَاتِهِ مُحَمَّدٍ سَيِّدِ المُرْسَلِين، وَخَاتَمِ النَّبِيِّين، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ إِلَى يَوْمِ الدِّين، وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، وَالحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العَالَمِين.

وفرَغتُ مِن تأْليفِه

يَوم الاِثْنَين ثالِث شَهرِ الله المُعظَّم رَمضان سنة ١١٩٩

تَقبَّل الله ذلِك وجعَلَه خالِصًا لِوجهِه الكَريم

آمين

والحمدُ لله ربِّ العالَمين

وصلَّى الله علَى سيِّدِنا ونبِيِّنا ومَوْلانا محمَّدٍ

وعلَى آلِهِ وصَحبِه وسلَّم

وكانَ الفَراغُ مِن نَسخِ هذا الكِتاب هَجير الظَّهير

يومَ السَّبت لأربعٍ وعِشرين لَيالٍ خلَتْ مِن

شَهر ذي القَعدَة الخَير مِن شُهور سنَة ١٢٤٩

تِسعٍ وأَرْبعين سنَة بعدَ المائتَيْن والأَلْف

على يدِ أفقرِ الورَى وأَضْعَفِهم بلا امتِراء

أَسير الذُّنوب عسى أَنْ يعفُوَ عنه علاَّمُ الغُيوب

الفقير إلى الله عزَّ وجلَّ

كمال بن أحمد

غفرَ الله له ولِوالدَيْه ولِمَشائِخه ولِمُعلِّميه ولِمُحِبِّيه

ولِمَن أَحسنَ إليه ولِمَن أَساءَه ولِلمُسلِمين أَجْمَعين

بِجُودِك ومَنِّك ياكَريم

إنَّكَ جوادٌ كَريم غَفورٌ رَحيم

والحمدُ لله ربِّ العالَمين

آمِين

وصلَّى الله على خَير خَلقِه

سيِّدِنا محمَّد خاتَم النبِيِّين

وعلى آلِه وصَحبِه أَجْمَعين

ملحق لشرح الراتب
[حزب الفتح]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم. يَاأَلله، يَاوَاحِد، يَاأَحَد، يَاوَاجِد، يَاجَوَاد. انْفَحْنَا مِنْكَ بِنَفْحَةِ خَيْر. (ثَلَاثًا)!

[ثُمَّ يَقولُ وهو رافِعٌ يدَيْهِ جِدًّا بِحيثُ يُرى بياضُ إِبْطَيْه]:

يَابَاسِطُ (عشرًا).

[ثُمَّ يَضعُهما ويقولُ]:

أُبْسُطْ عَلَيْنَا الخَيْرَ وَالرِّزْق، وَوَفِّقْنَا لِإِصَابَةِ الصَّوَابِ وَالحَقّ، وَزَيِّنَّا بِالْإِخْلَاصِ وَالصِّدْق، وَأَعِذْنَا مِنْ شَرِّ الخَلْق، وَاخْتِمْ لَنَا بِالحُسْنَى فِي لُطْفٍ وَعَافِيَة. ﴿اللَّهُمَّ﴾ جَمِّلْنَا بِسِتْرِك، وَاسْتُرْنَا بِعَافِيَتِك، وَعَافِنَا مِنْ مُخَالَفَتِك. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِنِّي أَسْأَلُكَ الهُدَى وَالتُّقَى، وَالعَفَافَ وَالغِنَى، وَالعَافِيَةَ وَاليَقِين، وَالثَّبَاتَ عَلَى الحَقّ، وَالوَفَاةَ عَلَى الْإِسْلَام، وَالمَصِيرَ إِلَى الجَنَّة. ﴿اللَّهُمَّ﴾ إِنِّي أَسْأَلُكَ دَوَامَ العَافِيَة، وَتَمَامَ النِّعْمَة، وَحُسْنَ الخَاتِمَةِ وَالعَاقِبَة. ﴿اللَّهُمَّ﴾ نَوِّرْ قُلُوبَنَا، وَاشْرَحْ صُدُورَنَا، وَأَحْسِنْ مُنْقَلَبَنَا، وَأَيِّدْنَا بِرُوحٍ مِنْك، وَوَفِّقْنَا لِمَا تُحِبُّهُ وَتَرْضَاه، وَثَبِّتْنَا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَة. ﴿اللَّهُمَّ﴾ اغْفِرْ ذُنُوبَنَا، وَاسْتُرْ عُيُوبَنَا، وَاكْشِفْ كُرُوبَنَا، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَلِّفْ فِي طَاعَتِكَ وَطَاعَةِ رَسُولِكَ بَيْنَ قُلُوبِنَا. ﴿اللَّهُمَّ﴾ جَمِّلْ أَحْوَالَنَا، وَسَدِّدْ أَقْوَالَنَا، وَأَصْلِحْ أَعْمَالَنَا، وَطَهِّرْ قُلُوبَنَا، وَحَسِّنْ أَخْلَاقَنَا، وَطَيِّبْ وَوَسِّعْ أَرْزَاقَنَا، وَاقْضِ بِفَضْلِكَ دُيُونَنَا، وَأَصْلِحْ بِكَرَمِكَ شُئُونَنَا، وَاجْعَلْ إِلَى رَحْمَتِكَ وَرِضَاكَ وَمُجَاوَرَتِكَ فِي دَارِ كَرَامَتِكَ مُنْقَلَبَنَا وَمَصِيرَنَا وَرُجُوعَنَا. ﴿اللَّهُمَّ﴾ بَارِكْ لَنَا فِي قُلُوبِنَا وَأَدْيَانِنَا، وَأَبْدَانِنَا وَجَوَارِحِنَا، وَعُلُومِنَا وَأَعْمَالِنَا، وَأَخْلَاقِنَا وَأَرْزَاقِنَا، وَأَهْلِينَا وَأَوْلَادِنَا، وَقَرَابَاتِنَا وَأَصْحَابِنَا، وَجَمِيعِ مَنْ مَعَنَا وَمَا مَعَنَا.

﴿اَللَّهُمَّ﴾ اجْعَلْنَا وَإِيَّاهُمْ أَجْمَعِينَ فِي عَافِيَتِكَ وَسَلَامَتِك، وَعِزِّكَ وَكَرَامَتِك، وَغِنَاكَ وَيُسْرِك، وَسَتْرِكَ وَسَعَتِك، وَخَفِيِّ لُطْفِكَ وَجَمِيلِ سَتْرِك. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ اجْعَلْنَا وَإِيَّاهُمْ أَجْمَعِينَ فِي حِفْظِكَ وَكَنَفِكَ وَعَهْدِكَ وَذِمَّتِكَ وَجِوَارِكَ وَعِيَاذِكَ وَأَمَانِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ مِنْ خَلْقِكَ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْطَانٍ وَسُلْطَان، مِنْ إِنْسٍ وَجَانٍّ، وَطَاغٍ وَبَاغٍ، وَحَاسِدٍ وَخَائِن، وَسَاحِرٍ وَغَادِر، وَمَاكِرٍ وَعَائِن. ﴿بِسْمِ اللهِ﴾ تَحَصَّنَّا بِالله، اسْتَجَرْنَا بِالله. ﴿بِسْمِ اللهِ﴾ أَدْخَلْنَا أَنْفُسَنَا وَأَهْلِينَا وَأَوْلَادَنَا وَأَمْوَالَنَا وَجَمِيعَ مَنْ مَعَنَا وَمَا مَعَنَا فِي حِفْظِ اللهِ، وَفِي كَنَفِ اللهِ، وَفِي أَمَانِ اللهِ، مِنْ شَرِّ جَمِيعِ الْبَلِيَّاتِ وَالْأَذِيَّاتِ وَالْمُؤْذِينَ وَالْأَشْرَارِ مِنْ خَلْقِ اللهِ، وَمِنْ فُجَاءَةِ الْأَقْدَار، وَبَغَتَاتِ الْأُمُورِ بِالسُّوء، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ هَدْمٍ وَحَرْقٍ وَغَرَق. ﴿بِسْمِ اللهِ﴾ بَابُنَا، تَبَارَكَ حِيطَانُنَا، يسٓ سَقْفُنَا، كهيعٓصٓ كِفَايَتُنَا، حمٓ عٓسٓقٓ حِمَايَتُنَا، فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ.

وَسَتْرُ اللهِ مَسْبُولٌ عَلَيْنَا　　　وَعَيْنُ اللهِ نَاظِرَةٌ إِلَيْنَا
بِحَولِ اللهِ لَايُقْدَرُ عَلَيْنَا

وَاللهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيط، بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيد، فِي لَوْحٍ مَحْفُوظ. فَاللهُ خَيْرٌ حَافِظًا، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِين. (ثلاثًا). حَسْبِيَ اللهُ، لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ، وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيم. (سَبْعًا). بِسْمِ اللهِ الَّذِي لَايَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيم. (ثلاثًا)، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيم. (ثلاثًا).

[في نسخة يَقرأ الإخلاصَ، والمُعوذتَيْن ثلاثا ثلاثا]

﴿اَللَّهُمَّ﴾ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا، وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا، وَاكْفِنَا كُلَّ هَوْلٍ دُونَ الْجَنَّة. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَسَلِّمْ. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ الْحَيَاةِ وَخَيْرَ الْوَفَاةِ وَخَيْرَ مَابَيْنَهُمَا. وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ الْحَيَاةِ وَشَرِّ الْوَفَاةِ وَشَرِّ مَابَيْنَهُمَا. أَحْيِنِي حَيَاةَ

السُّعَدَاء، حَيَاةَ مَنْ تُحِبُّ بَقَاءَه، وَتَوَفَّنِي وَفَاةَ الشُّهَدَاء، وَفَاةَ مَنْ تُحِبُّ لِقَاءَه. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ قَنِّعْنِي بِمَا رَزَقْتَنِي، وَبَارِكْ لِي فِيه، وَاخْلُفْ عَلَيَّ كُلَّ غَائِبَةٍ لِي بِخَيْر. ﴿اللَّهُمَّ﴾ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَهْدِ البَلَاء، وَدَرَكِ الشَّقَاء، وَسُوءِ القَضَاء، وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاء. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ لَاتُقَدِّمْنِي لِعَذَاب، وَلَا تُؤَخِّرْنِي لِفِتْنَة، وَخُذْ رِضَاكَ مِنِّي فِي عَافِيَة. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ ارْحَمْنِي بِتَرْكِ المَعَاصِي أَبَدًا مَاأَبْقَيْتَنِي، وَارْحَمْنِي أَنْ أَتَكَلَّفَ مَا لَايَعْنِينِي، وَارْزُقْنِي حُسْنَ النَّظَرِ فِيمَا يُرْضِيكَ عَنِّي، أَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الغَيْبِ وَالشَّهَادَة، وَالعَدْلَ فِي الرِّضَا وَالغَضَب، وَالقَصْدَ فِي الغِنَى وَالفَقْر، وَالصِّدْقَ فِي الجِدِّ وَالهَزْل، وَالتَّوَاضُعَ فِي القَوْلِ وَالفِعْل. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ كَمَا حَسَّنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي، وَاجْعَلْ سَرِيرَتِي خَيْرًا مِنْ عَلَانِيَتِي، وَاجْعَلْ عَلَانِيَتِي صَالِحَة. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ صَالِحِ مَاتُؤْتِي النَّاسَ مِنَ الأَهْلِ وَالمَالِ وَالوَلَد، غَيْرَ الضَّالِّ وَلَا المُضِلِّ. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ وَفِّقْنِي لِمَحَابِّكَ مِنَ الأَعْمَال، وَارْزُقْنِي حُسْنَ الظَّنِّ بِك، وَصِدْقَ التَّوَكُّلِ عَلَيْك. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ زَيِّنِّي بِزِينَةِ الإِيمَان، وَاجْعَلْنِي هَادِيًا مَهْدِيًّا. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ احْفَظْنِي فِيمَا أَمَرْتَنِي، وَاحْفَظْنِي عَمَّا نَهَيْتَنِي، وَاحْفَظْ عَلَيَّ مَاأَعْطَيْتَنِي. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَسَلِّم. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ اجْعَلْنِي مِنْ أَوْلِيَائِكَ المُتَّقِين، وَحِزْبِكَ المُفْلِحِين، وَاسْتَعْمِلْنِي فِيمَا يُرْضِيكَ عَنِّي، وَوَفِّقْنِي لِمَحَابِّكَ مِنِّي، وَصَرِّفْنِي بِحُسْنِ اخْتِيَارِكَ لِي، أَسْأَلُكَ جَوَامِعَ الخَيْرِ وَفَوَاتِحَهُ وَخَوَاتِمَه، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ جَوَامِعِ الشَّرِّ وَفَوَاتِحِهِ وَخَوَاتِمِه، وَأَسْتَغْفِرُكَ ﴿اَللَّهُمَّ﴾ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ تُبْتُ إِلَيْكَ مِنْهُ ثُمَّ عُدْتُ فِيه، وَأَسْتَغْفِرُكَ مِنْ كُلِّ عَمَلٍ عَمِلْتُهُ لِوَجْهِك، فَخَالَطَهُ مَا لَيْسَ لَكَ فِيهِ رِضًا، وَأَسْتَغْفِرُكَ مِنْ كُلِّ وَعْدٍ وَعَدْتُكَ بِهِ مِنْ نَفْسِي، ثُمَّ لَمْ أُوفِ لَكَ بِه، وَأَسْتَغْفِرُكَ مِنْ كُلِّ نِعْمَةٍ أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ فَتَقَوَّيْتُ بِهَا عَلَى مَعْصِيَتِك، وَأَسْتَغْفِرُكَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ أَذْنَبْتُهُ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ وَبَيَاضِ النَّهَارِ فِي خَلَاءٍ أَوْ مَلَاءٍ، أَوْ سِرٍّ أَوْ عَلَانِيَة، يَاكَرِيمُ. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ يَارَبَّ كُلِّ شَيْء، بِقُدْرَتِكَ عَلَى كُلِّ شَيْء، اغْفِرْ لِي كُلَّ شَيْء، وَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْء. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ ارْحَمْ مَاخَلَقْتَ، وَاغْفِرْ مَاقَدَّرْتَ، وَطَيِّبْ مَارَزَقْتَ، وَتَمِّمْ مَاأَنْعَمْتَ، وَتَقَبَّلْ مَااسْتَعْمَلْتَ، وَاحْفَظْ مَااسْتَحْفَظْتَ، وَلَا تَهْتِكْ مَاسَتَرْتَ، فَإِنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ

حِدَّةِ الحِرْص، وَشِدَّةِ الطَّمع، وَسَوْرَةِ الغضَب، وَسِنَةِ الغَفْلَة، وَتَعَاطِي الكُلْفَة، وَمُبَاهَاةِ المُكْثِرين، وَالإِزْرَاءِ عَلَى المُقِلِّين، وَأَنْ أَخْذُلَ مَظْلُومًا، أَوْ أَنْصرَ ظَالِمًا، أَوْ أَقُولَ فِي العِلْمِ بِغَيْرِ عِلْم، أَوْ أَعْمَلَ فِي الدِّينِ بِغَيْرِ يَقِين، يَامَنْ لَايَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْن، وَلَا سَمْعٌ عَنْ سَمْع، وَلَا تُغَلِّطُهُ المَسَائِل، وَلَا يُبْرِمُهُ إِلْحَاحُ المُلِحِّين، أَذِقْنِي بَرْدَ عَفْوِك، وَحَلَاوَةَ مَغْفِرَتِك. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ ارْزُقْنِي حُزْنَ خَوْفِ الوَعِيد، وَلَذَّةَ رَجَاءِ المَوْعُود، حَتَّى أَجِدَ لَذَّةَ مَالَهُ أَطْلُب، وَخَوْفَ مَا عَنْهُ أَهْرُب. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ دُنْيَا تَمْنَعُ خَيْرَ الآخِرَة، وَمِنْ حَيَاةٍ تَمْنَعُ خَيْرَ المَمَات، وَمِنْ أَمَلٍ يَمْنَعُ خَيْرَ العَمَل، وَأَسْتَغْفِرُكَ مِنْ كُلِّ لَذَّةٍ بِغَيْرِ ذِكْرِك، وَرَاحَةٍ بِغَيْرِ خِدْمَتِك، وَسُرُورٍ بِغَيْرِ قُرْبِك، وَفَرَحٍ بِغَيْرِ مُجَالَسَتِك، وَشُغْلٍ بِغَيْرِ مُعَامَلَتِك. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِذَا أَقْرَرْتَ عَيْنَ أَهْلِ الدُّنْيَا بِالدُّنْيَا، فَأَقِرَّ عَيْنِي بِطَاعَتِك. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ اجْعَلْ طَاعَتَكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنِّي، أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَحُبَّ مَنْ حُبُّهُ يُقَرِّبُنِي إِلَيْك. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ وَمَا رَزَقْتَنِي مِمَّا أُحِبُّ، فَاجْعَلْهُ قُوَّةً لِي فِيمَا تُحِبُّ، وَمَا زَوَيْتَ عَنِّي مِمَّا أُحِبُّ، فَاجْعَلْهُ فَرَاغًا لِي فِيمَا تُحِبُّ. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ لَاتَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْن، وَلَا تَنْزِعْ عَنِّي صَالِحَ مَاأَعْطَيْتَنِي. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِنَّكَ سَأَلْتَنِي مِنْ نَفْسِي مَا لَاأَمْلِكُهُ إِلَّا بِك، فَأَعْطِنِي مِنْهَا مَايُرْضِيكَ عَنِّي، أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَحُبَّ كُلِّ عَمَلٍ يُقَرِّبُنِي إِلَى حُبِّك. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ اجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي، وَأَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ المَاءِ البَارِد. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الوَفَاةُ خَيْرًا لِي. أَسْتَغْفِرُكَ مِنْ كُلِّ مُدْخَلِ سُوءٍ، وَنِيَّةِ سُوء، فَاغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيم. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّكِّ فِي الحَقِّ بَعْدَ اليَقِين، وَمِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم، وَمِنْ شَدَائِدِ يَوْمِ الدِّين، وَمِنَ الوَعْثِ عِنْدَ البَعْث، وَأَسْأَلُكَ رِضَاكَ وَالجَنَّة، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ سَخَطِكَ وَالنَّار، وَاخْتِمْ لَنَا بِالحُسْنَى فِي لُطْفٍ وَعَافِيَة، يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِين.
وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم.

[حزب النصر]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا، لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَاتَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّر، وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَيَنْصُرَكَ اللهُ نَصْرًا عَزِيزًا، وَكَانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهًا، وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة، وَمِنَ الْمُقَرَّبِين. وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْض. بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم. نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيب، وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِين. يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ. قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ. اَللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّوم، لَاتَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوم، لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْض. مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِه، يَعْلَمُ مَابَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاء، وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَا يَؤُدُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيم. بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ. لَوْ أَنْزَلْنَا هٰذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ الله، وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُون. هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيم. هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّر، سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُون. هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى، يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيم. أُعِيذُ نَفْسِي بِاللهِ تَعَالَى مِنْ كُلِّ مَايَسْمَعُ بِأُذُنَيْن، وَيُبْصِرُ بِعَيْنَيْن، وَيَمْشِي بِرِجْلَيْن، وَيَبْطِشُ بِيَدَيْن، وَيَتَكَلَّمُ بِشَفَتَيْن. حَصَّنْتُ نَفْسِي بِاللهِ الْخَالِقِ الأَكْبَر، مِنْ شَرِّ مَاأَخَافُ وَأَحْذَر، مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَأَنْ يَحْضُرُون. عَزَّ جَارُه، وَجَلَّ ثَنَاؤُه، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُه، وَلَا إِلَهَ غَيْرُه. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ إِنِّي أَجْعَلُكَ فِي نُحُورِ أَعْدَائِي، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ وَتَحَيُّلِهِمْ وَمَكْرِهِمْ وَمَكَائِدِهِمْ، أَطْفِئْ نَارَ مَنْ

أَرادَ بِي عَداوَةً مِنَ الجنّ والإِنْس، يَاحَافِظُ يَاحَفِيظ، يَاكَافِي يَامُحِيط، سُبْحَانَكَ يَارَبِّ مَاأَعْظَمَ شَأْنَك، وَأَعزَّ سُلْطَانَك. تَحَصَّنْتُ بِالله، وَبِأَسْمَاءِ الله، وَبِآيَاتِ الله، وَمَلائِكَةِ الله، وَأَنْبِيَاءِ الله، وَرُسُلِ الله، وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِ الله. حَصَّنْتُ نَفْسِي بِلا إِلَهَ إِلَّا الله، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ احْرُسْنِي بِعَيْنِكَ الَّتِي لاتَنَام، وَاكْنُفْنِي بِكَنَفِكَ الَّذِي لَايُرَام، وَارْحَمْنِي بِقُدْرَتِكَ عَلَيَّ، فَلا أَهْلِكَ وَأَنْتَ ثِقَتِي وَرَجَائِي، يَاغِيَاثَ المُسْتَغِيثِين، يَادَرَكَ الهَالِكِين، اكْفِنِي شَرَّ كُلِّ طَارِقٍ يَطْرُقُ بِلَيْلٍ أَوْ نَهَار، إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْر، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير. بِسْمِ اللهِ أَرْقِي نَفْسِي مِنْ كُلِّ مَايُؤْذِي، وَمِنْ كُلِّ حَاسِد. اَللهُ شِفَائِي، بِسْمِ اللهِ رَقِيتُ. ﴿اَللَّهُمَّ﴾ رَبَّ النَّاس، أَذْهِبِ البَأْس، إِشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، وَعَافِ أَنْتَ المُعَافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُك، شِفَاءً لَايُغَادِرُ سَقَمًا وَلَا أَلَمًا. يَاكَافِي يَاوَافِي، يَاحَمِيدُ يَامَجِيد، اِرْفَعْ عَنِّي كُلَّ تَعَبٍ شَدِيد، وَاكْفِنِي مِنَ الحَدِّ وَالحَدِيد، وَالمَرَضِ الشَّدِيد، وَالجَيْشِ العَدِيد، وَاجْعَلْ لِي نُورًا مِنْ نُورِك، وَعِزًّا مِنْ عِزِّك، وَنَصْرًا مِنْ نَصْرِك، وَبَهَاءً مِنْ بَهَائِك، وَعَطَاءً مِنْ عَطَائِك، وَحِرَاسَةً مِنْ حِرَاسَتِك، وَتَأْيِيدًا مِنْ تَأْيِيدِك، يَا ذَاالجَلَالِ وَالإِكْرَام، وَالمَوَاهِبِ العِظَام، أَسْأَلُكَ أَنْ تَكْفِيَنِي مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ، إِنَّكَ أَنْتَ اللهُ الخَالِقُ الأَكْبَر.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين، ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَعَلَى كُلِّ حَال، يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِين.

فهرست
شرح راتب الحداد

* * * * *

تَمَّتْ

كِتابةً ومراجَعةً وتصحيحًا

لهذه النسخة

بالآلة الألكترونية

بإعانة الله ومنّه

في سنغافوره

بيوم الأربعاء

٢٧ جمادى الأخيرة ١٤١٢ هـ

موافق

٤ ديسمبر ١٩٩١ م

وبالله التوفيق وعليه التكلان

آمين اللهم آمين